

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الموفق بقدرته الغالبة بين المتفرقات. المفرق بحكمته العالية جمع المجتمعات. الذى سبق وجود كل ماسواه وجوده. وعم جم الخلايق كرمه وجوده. والصلوة والسلم على سادة الانام. وشفعاء يوم القيام: محمد واله الكرام. الذين من انوار اثارهم تقتبس العلوم والاحكام. مادام للمؤتلفات انتظام. وكان للمختلفات انفصام اما بعد فيقول الفقير الى الغنى ابن الحاج على اصغر محمد المدعو بمهدى غفر الله له ولوالديه بالنبى وثقيله. ان كتاب الغرر والدرر للسيد السند العلامة الفهامة قدوة العلماء اسوة الفقهاء سلالة النجباء العظام نقاوة النقباء الكرام. السيد الاجل الاعلى. ابى القاسم على بن الحسين الملقب بالمرتضى رضى الله عنه وارضاه. وحشره مع من ارتضاه. قد نظم من غرر الفرايد قدرا كثيرا. وجمع من درر الفوايد جما غفيرا فكم من مسئلة اصلية اسس فيه بنيانها على تقوى من الله وكاين من معضلة فرعية شرق شارقها من مشرق اثار رسول الله وكائن من اية متشابهة احكمت فيه تاويلها وكاين من رواية مجملة بينت فيه تفصيلها وكاين من شعر مفلق فتح فيه مغلقه وكاين من نثر خنذيذ اوضح فيه لغة ولمقه. ورب غريبة غريبة فتح لبيان حالها اعلام الشواهد. ورب عجيبة لغوية

رفعت

رفعت عن خفض الاشكال بنصب المصادر والموارد. لنا معه ففى كل طرس منه كنز الفوائد وفى كل سطر منه حل المعاقد. بيد انه مع غضارة معناه ونضارة مغناه لما كان منسوجا على منوال الافتنان. مبنيا على اساس الاتيان ببديع البيان لم يبين فيه ما موضوعه واحد فى موضع واحد حتى يسهل الاحاطة به على الطالب الناقد ولذا احتاج الى فهرس ينظم لالئه ويرهم متسقا اهم ما فيه مومئا للقاصد الى معظم مقاصده. مطلعا له على خصوص مصادره ومراصده. وقد حثنى على مثله عمدة الاكارم زبدة الاعاظم افخم الفضلاء اكرم الاخلاء لازال كاسمه السامى عبد الكريم. وبحفو فا من مولاه باللطف العميم. فاجبت امره بعون الله ممتثلا وفهرست الكتاب لامتوانيا ولا كسلا. واضعا للفهرس اثنى عشر بابا ليكون كل منها لجزئيات عنوانه مابا مشيرا بالعلامة الاولى الى موضع المدعى وبالثانية الى المجلس الذى عليه احتوى وذلك بعد ان كتبت كل مجلس معدودا فى الهامش بحذاه ورقمت عددا لاهم ما فيه فى الحاشية بازاه راجيا ممن له الانصاف بالانصاف ان ينظر اليه لا بعين الجور والاعتساف وعلى الله التوكل فى الصعاب والضعاف

فى ان سرعة الحساب كيف يدل على الوعد والوعيد ٣ من ٢٧ مايدل على وجوب العبادة
١ من ٢٤ الثواب هل هو تفضل اولا ٧ من ٢٣ كلام فى نفاق اهل الكباير وفسقهم ٢ من
دليل على انه تعالى ليس بجسم ٢ من ٢٧ تاويل ماظاهره التجسيم ٣ من ٢١ و٤ من ٢١
و١ من ٤١ و١ من ٤٢ و٣ من ٤١ و١ من ٤٤ معنى وجه الله ١ من ٣٢ دليل على انه تعالى لايدرك
بالابصار ٣ من ٤٢ ماعلم مخصوص به تعالى ٤ من ٣١ معنى كونه تعالى من وراء حجاب ١ من ٥٤
معنى الاستهزاء المضاف اليه تعالى ١ من ٥٩ القول فى عصمة الانبياء عليهم السلم
١ من ٢٤ و١ من ٢٥ و١ من ٣٤ تاويل ماظاهره جواز الشرك عليهم عليهم السلم ١ من ٤٤ معنى
توبة موسى ع ١ من ٤٢ هل ينفع نصح النبى الكفار ام لا ١ من ٧ القول فى ابتداء الخلق
٢ من ٢٣ بطوء اجابة الدعاء ١ من ٣٢ تحقيق ان الملئكة كيف علمت قبل خلق آدم ان
ذريته يفسدون فى الارض ويسفكون الدماء ٢ من ٥٢ بيان ان الملئكة كيف
علمت صدق آدم فى بيان اسماء المسميات ٤ من ٥٢ النسيان هل هو من فعل الله
او من فعل العباد الباب الثانى فى مسايل اصول الفقه تاخير البيان عن وقت الخطاب
٢ من ٣٩ القول فى نسخ الاخبار ٤ من ٥٣ مجرد امر الرسول ع هل يقتضى الوجوب اولا
٤ من الباب الثالث فى المسايل الشرعية الفرعية من يكره مشاورته ٤ من ٢٦ النهى عن
الفرار من الطاعون ٣ من ٤٣ مايجوز التشام به ٣ من ٤٢ هل يكره العزل عن النساء اولا
٣ من ٧٥ مايقطع به السارق ٣ من ٤٢ التكبر الممدوح والمقدوح ٢ من ٢١ يحرم اكل
الربا ٢ من ١ النهى عن الكسب الزمارة ٤ من ٣٥ مايحرم من المسلم على المسلم ٢ من ٤٥
الامر بالفرار من المجذوم ٣ من ٤٤ النهى عن صلوة الرجل وهو زناء ٤ من ٧٥ الوضوء
مما غيرت النار ٥ من ٢٧ اداب الصدقة ٢ من ٢٩ نكاح الشغار ٥ من ٤ السوم فى البيع
٢ من ٤٢ يجوز النظر الى عورة الرجل عند الضرورة ٢ من ٤ كراهة نسيان القران
٣ من ١ الامر بالتغنى بالقران ٣ من ٣ النهى عن سب الدهر ٢ من ٤ استحباب دوام العمل
٢ من ٥ الامر بدخول البيوت من ابوابها ٢ من ٢٦ النهى عن الطيرة ٢ من ٤ كراهة
كثرة المزاح والضحك ٣ من ٢٥ كراهة الريا والسمعة ٤ من ٣٥ النهى عن السحر ١ من ٢٩

الجنب

استحباب تعلم القران وحفظه ١ من ٣ النهى عن المسافرة بالقران الى ارض العدو ٢ من ٣
يستحب حب لقاء الله وذكره تعالى فى الملاء الباب الرابع فى تفسير الايات واذا اردنا ان نهلك
قرية امرنا مترفيها ٢ من ١٠ الذين ياكلون الربا ٣ من ١ ويسئلونك عن الروح الخ ١ من
والارض مددناها الخ ٢ من ٢ واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم الايات ٢ من ٣ وجوه
يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ٤ من ٣ وماكان لنفس ان تومن الا باذن الله الخ ١ من ٤
ذلك يوم مجموع له الناس الخ ٣ من ٤ يوم لاينطقون الخ ٣ من ٤ واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون الخ ٣ من ٤ كذلك واورثناها قوما اخرين فما بكت عليهم السماء الخ ١ من ٥
ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة الخ ١ من ٦ ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة
اعمى الخ ١ من ٧ واخرجت الارض اثقالها ٤ من ٧ وجاءوا على قميصه الخ ١ من ٨ لا اعبد
ماتعبدون ١ من ٩ فباى الاء ربكما تكذبان ١ من ٩ ولن تستطيعوا ان تعدلوا
بين النساء الخ ٤ من ١ اليس البر ان تولوا الخ ١ من ١٤ ومثل الذين كفروا كمثل الذى
ينعق بما لايسمع الخ ١ من ١٥ ان الذين يكفرون بايات الله ١ من ١٦ وقتلهم الانبياء بغير
حق ١ من ١٦ ومن يدع مع الله الها اخر الخ ١ من ١٦ الله الذى رفع السموات الخ ١ من ١٦
ولا تكونوا اول كافر الخ ١ من ١٦ ولا تشتروا باياتى الخ ١ من ١٦ لا يسئلون الناس الحافا
١ من ١٦ ساصرف عن اياتى الخ ١ من ٢١ تعلم ما فى نفسى الخ ٤ من ٢١ اذ جاؤكم من فوقكم
ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار الخ ١ من ٢٢ ان الساعة اتية اكاد اخفيها الخ
٣ من ٢٢ وجعلنا نومكم سباتا ١ من ٢٣ فغشيهم من اليم ماغشيهم ١ من ٢٤
فخر عليهم السقف من فوقهم ٢ من ٢٤ ذلك قولهم بافواههم ١ من ٢٥ فردوا
ايديهم فى افواههم ٢ من ٢٥ والى الله ترجع الامور ١ من ٢٦ ليس البر بان تاتوا
البيوت من ظهورها الخ ٢ من ٢٦ اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب
١ من ٢٧ والله يرزق من يشاء بغير حساب ١ من ٢٨ قد افترينا على الله كذبا
ان عدنا فى ملتكم الخ ١ من ٢٨ واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمن الى قوله
لو كانوا يعلمون ١ من ١٩ ومايعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم ١ من ٣١

لا تثريب عليكم اليوم امن ٣٢ خلق الانسان من عجل امن ٣٣ ولقد همت به وهم بها ع
امن ٣٤ رب السجن احب الي امن ٣٥ ونادى نوح ربه امن ٣٦ فلا تعجبك اموالهم
ولا اولادهم امن ٣٧ يا ايها الذين امنوا استجيبوا الربكم الى قوله تعالى واعلموا ان الله
يحول بين المرء وقلبه امن ٣٨ فاين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين لخ امن ٣٩ اولئك
لم يكونوا معجزين لخ امن ٤٠ ما منعك ان تسجد لما خلقت لخ امن ٤١ نحن اعلم بما يستمعون ع
٣ من ٤١ كل شيء هالك الا وجهه امن ٤٢ واذا سألك عبادي عني لخ امن ٤٣
هو الذي انزل لكم من السماء ماء لكم منه شراب لخ امن ٤٤ ليس لك من الامر شيء لخ
امن ٤٥ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم لخ امن ٤٦ الله ولي الذين امنوا ع
امن ٤٧ ربنا لا تزغ قلوبنا لخ امن ٤٨ ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة لخ امن ٤٩ لئن
بسطت الي يدك لخ امن ٥٠ فهي كالحجارة لخ امن ٥١ وعلم آدم الاسماء لخ امن ٥٢ و
اسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا لخ امن ٥٣ فاما الذين شقوا ففي النار الايات امن ٥٤
اسمع بهم وابصر لخ امن ٥٥ واذ نجيناكم من آل فرعون لخ امن ٥٦ ولا تقولن لشيء اني
فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله امن ٥٧ ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا لخ امن ٥٨ الله
يستهزئ بهم لخ امن ٥٩ فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون ٣ من ٦٠ وقلنا اهبطوا
بعضكم لبعض عدو امن ٦٠ انظر كيف ضربوا لك الامثال لخ امن ٦١ انك لن تستطيع
معي صبرا امن ٦١ حتى اذا جاء امرنا وفار التنور امن ٦٢ قل هل انبئكم بشر من ذلك لخ
امن ٦٣ الذي جعل لكم الارض فراشا امن ٦٤ يا اخت هرون ما كان ابوك امرء
سوء لخ امن ٦٥ وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا لخ امن ٦٥ ولما جاء موسى
لميقاتنا امن ٦٦ واذ قتلتم نفسا فادارأتم لخ امن ٦٧ هو الذي خلقكم من نفس واحدة لخ
امن ٦٨ قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون امن ٦٩ ولا ينفعكم
نصحي ان اردت ان انصح لخ امن ٧٠ شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن لخ امن ٧١
واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان لخ امن ٧٢ قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون لخ
امن ٧٣ ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا لخ امن ٧٤ ولو ترى اذ وقفوا على النار لخ امن ٧٥

واذا الموءودة سئلت لخ امن ٧٥ وهديناه النجدين الايات امن ٧٦ الباب الخامس في حل
الاحاديث وكلها نبوية الا ما صرح به من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله وهو اجذم ٢ من ١
ليس منا من لم يتغن بالقرآن ٢ من ٣ اكثر اهل الجنة البله ٢ من ٤ لا تسبوا الدهر فان الله
هو الدهر ٢ من ٥ ان احب الاعمال الى الله عز وجل ادومها الحديث ٣ من ٦ اذا لم تستحي
فاصنع ما شئت ٣ من ٧ تقيء الارض افلاذ كبدها مثل الاسطوان الحديث ٣ من ٧
المال الذي ليس فيه تبعة ٣ من ٨ ما يدل على الفضل الحسين عليه السلام ٢ من ١٥ ان قلوب
بني آدم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن ٣ من ٢١ ان الميت ليعذب ببكاء الحي عليه
٣ من ٢٣ ما من احد يدخله عمله الجنة وينجيه من النار الحديث ٢ من ٢ ان هذا القرآن
مأدبة الله ٢ من ٢٤ توضئوا مما غيرت النار ٣ من ٢٧ خير الصدقة ما ابقت غنى واليد العليا
خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول ٣ من ٢٨ لو كان هذا القرآن في اهاب ما مسته النار
امن ٣٠ من تتبع المسمعة يسمع الله به ٣ من ٣٥ من يسمع الناس بعمله يسمع الله به
٣ من ٣٩ لا تناجشوا ولا تدابروا كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه ٢ من ٤٥
لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده ٣ من ٤ لا يموت
لمؤمن ثلثة من الاولاد فتمسه النار الا تحلة القسم ٣ من ٥٠ كل مولود يولد على
الفطرة الا ان يكون ابواه يهودانه وينصرانه ٢ من ٥٣ تاويل حديث حكم فيه النبي ص
بايمان من قال الله في السماء ٣ من ٦١ لا عدوى ولا هامة ولا طيرة ٢ من ٦٣ فر من المجذوم
فرارك من الاسد ٢ من ٦٤ الشوم في المرأة والدار والدابة ٢ من ٦٦ معنى قول علي عليه السلام
من احبنا اهل البيت فليستعد للفقر جلبابا او تجفافا ٢ من ٦ معنى قوله عليه السلام
رايت النبي ص في المنام وانا اشكو اليه من الاود واللدد ٢ من ٢ حديث ما رايت القبطية
وابن عمها وما فيه من الغرائب والاحكام ٣ من ٤ معنى قول ابن مسعود تعلموا العلم
فانه لا يدري احدكم متى يختل اليه الباب الرابع في طرائف اللغة الاجذم ٣ من ١ الروح امن ٢
النفس ٣ من ٢١ اللحن ٣ من ٢ بكاء السموات والارض امن ٥ الشغار ٣ من ٤ النغق
بعين سعفص او غين ضظغ ٣ من ٥ السر بمعنى النكاح ٣ من ٦ ماء الحنجرة وماء المفاصل

*٢/٥

بســـــــم الله الرّحمن الرّحيم

مجلس اوّل مسئلة قال الشّريف الاجلّ المرتضى ابو القاسم علىّ بن الحسين بن موسى الموسوى رضى الله عنه كان بعض الشيوخ المتقدّمين يقول ليس بممتنع ان يمكّن الله تعالى من الظّلم من يعلم انّه يرد القيمة غير مستحقّ لشيءٍ من الاعواض اولما يوازى القدر المستحقّ عليها منها فاذا اراد الانتصاف منه تفضّل عليه بما ينقله الى مستحقّ العوض ويقول هذا ليس ببعيد ولا يستحيل لانّ العوض ليس يختصّ بصفة تمنع من التّفضّل بمثله ولا يجرى فى ذلك مجرى الثّواب والمستقر من مذاهب الشّيوخ وهو الصّحيح انّ الانتصاف لا يجوز ان يكون موقوفًا على ما يتفضّل به لانّ الانتصاف واجبٌ على الله تعالى من حيث خلّى بين عباده وبين الظّلم فلا يجوز ان يتعلّق الامر واجب بالتّفضّل لفاعله ان لا يفعله فيؤل الحال الى تعذّر الانتصاف وقالوا من يعلم الله تعالى انّه يرد القيمة ولا اعواض له يمنعه من الظّلم ولا يمكنه لهذه العلّة ويجيزونه ان يمكّن من الظّلم من يكون فى الحال غير مستحقّ للعوض او غير مستحقّ للقدر الّذى يوازى الظّلم من العوض بعد ان يكون المعلوم من حاله ان يرد القيمة وقد استحقّ من الاعواض ما يوازى عليه منها قال المرتضى وهذا القول يعنى تجويز

تمكين

٨

تمكين الظّالم من الظّلم وهو فى الحال غير مستحقّ للعوض يبطل بالعلّة الّتى ابطلنا بها قول من اجاز الانتصاف بالتّفضيل لانّا نعلم تبعيّة المكلّف وغير المكلّف لا تجب ولا تجب وللقديم تعالى ان لا يفعلها فلو لم يفعلها واخترم هذا الظّالم بعد حال ظلمه لكان الانتصاف منه غير ممكن وقد تعلّق الانتصاف على هذا القول بما ليس بواجب كما علّقه من قدّمنا حكاية قوله بما ليس بواجب وليس لهم ان يقولوا ذلك يحسن لانّ الله تعالى يعلم انّه يبقيه فيستحقّ اعواضا لانّ عليهم مثل ذلك اذا قيل لهم فاجيزوا ايضا ان يرد القيمة وهو لا يستحقّ العوض ويعلم الله تعالى انّه يتفضّل عليه بما يقع به الانتصاف فاذا قالوا اعلم الله تعالى بانّه يتفضّل لا يخرج الفضل من ان يكون غير واجب قيل لهم وعلم الله تعالى بانّه يبقى من لا عوض له يستحقّ لا تخرج التّبقية من ان تكون غير واجبة فاستوى الامران والصّحيح ان يقال انّه تعالى لا يمكّن الظّلم من لا عوض له فى الحال يستقيم ويطّرد تاويل اية قال الله جلّ من قايل وَاِذَا اَرَدْنَا اَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً اَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا فى هذه الاية وجوه من التّاويل كلّ منها يبطل الشّبهة الدّاخلة على بعض المبطلين فيها حتّى عدلوا بتاويلها عن وجهه وصرفوه عن بابه اوّلها انّ الاهلاك قد يكون حسنا وقد يكون قبيحا فاذا كان مستحقّا او على سبيل الاستحقاق كان حسنا وانّما يكون قبيحا اذا كان ظلما فتعلّق الارادة به لا يقتضى تعلّقها به على الوجه القبيح ولا ظاهر للاية يقتضى ذلك واذا علمنا بالادلّة تنزّه القديم تعالى عن القبيحات علمنا انّ الارادة لم تتعلّق الّا بالاهلاك الحسن وقوله تعالى امرنا مترفيها المامور به محذوف وليس يجب ان يكون المامور به هو الفسق وانّما يجرى هذا مجرى قول القائل امرته فعصى ودعوته فابى والمراد انّنى امرته بالطّاعة ودعوته الى الاجابة والقبول و يمكن ان يقال على هذا الوجه ليس موضع الشّبهة ما تكلّمتم عليه وانّما موضعها ان يقال اىّ معنى لتقدّم الارادة فان كانت متعلّقة باهلاك مستحقّ بغير الفسق

الامتحان م

وان وقع بعده الفسق ح

المذكور فى الاية فلا معنى لقوله اذا اردنا امرنا لان آمره بما يامر به لا يحسن ارادته للعقاب المستحق بما تقدم من الافعال وان كانت الارادة متعلقة بالاهلاك المستحق مخالفة الامر المذكور فى الاية فهذا الذى تابونه لانه يقتضى انه تعالى مريد لاهلاك من لم يستحق العذاب الجواب عن ذلك ان الله تعالى لم يعلق الارادة الا باهلاك مستحق بما تقدم من الذنوب والذى حسن قوله اذا اردنا امرنا هو ان فى تكرار الامر بالطاعة والايمان اعذارا الى العصاة وانذارا لهم وايجابا للحجة عليهم حتى يكونوا متى خالفوا واقاموا على العصيان والطغيان بعد تكرار الوعيد والوعظ والانذار ممن يحق عليه القول وتجب عليه الحجة ويشهد لصحة هذا التاويل قوله تعالى قبل هذه الاية وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا

الوجه الثانى فى تاويل هذه الاية ان يكون قوله تعالى امرنا مترفيها من صفة القرية وصلتها ولا يكون جوابا لقوله واذا اردنا ويكون تقدير الكلام واذا اردنا ان نهلك قرية من صفتها انا امرنا مترفيها ففسقوا فيها وتكون اذا على هذا الجواب لم يات لها جواب ظاهر فى الاية للاستغناء عنه بما فى الكلام من الدلالة عليه ونظير هذا قوله تعالى فى صفة الجنة حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ولم يات لاذا جواب فى طول الكلام للاستغناء عنه ويشهد ايضا بصحة هذا الجواب قول الهذلى · حتى اذا سلكوهم فى قتائدة · شلا كما تطرد الجمالة الشردا · فحذف جواب اذا ولم يات به لان هذا البيت اخر القصيدة والوجه الثالث ان يكون ذكر الارادة فى الاية مجازا واتساعا وتنبيها على المعلوم من حال القوم وعاقبة امرهم وانهم متى امروا فسقوا وخالفوا ويجرى ذكر الارادة هيهنا مجرى قولهم اذا اراد التاجر ان يفتقر اتته النوائب من كل وجه وجاءه الخسران من كل طريق وقولهم اذا اراد العليل ان يموت خلط فى اكله وتسرع الى كل ما تتوق اليه نفسه ومعلوم

ان المع

ان التاجر لم يرد فى الحقيقة شيئا ولا العليل ايضا لكن لما كان المعلوم من حال هذا الخسران ومن حال هذا الهلاك حسن هذا الكلام واستعمل ذكر الارادة لهذا الوجه وكلام العرب وحى واشارات واستعارات ومجازات ولهذه الحال كان كلامهم فى المرتبة العليا من الفصاحة فان الكلام متى خلا من الاستعارة وجرى كله على الحقيقة كان بعيدا من الفصاحة بعيدا من البلاغة وكلام الله تعالى افصح الكلام والوجه الرابع ان تحمل الاية على التقديم والتاخير ويكون من تلخيصها اذا امرنا مترفى قرية بالطاعة فعصوا واستحقوا العقاب للذين اردنا اهلاكهم والتقديم والتاخير فى الشعر وكلام العرب كثير ومما يمكن ان يكون شاهدا لصحة هذا التاويل من القران · قوله تعالى · يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ والطهارة انما تجب قبل القيام الى الصلوة · وقوله تعالى وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ · وقيام الطائفة معه يكون قبل اقامة الصلوة لان اقامتها هى الاتيان بجميعها على الكمال فاما قراءة من قرا الاية بالتشديد فقال امّرنا وقراءة من قراها بالمد والتخفيف فقال آمرنا فلن يخرج معنى قراءتيهما على الوجوه التى ذكرناها الا الوجه الاول فان معناه لا يليق الا بان يكون ما تضمنته الاية هو الامر الذى يستدعى به الفعل تاويل خبر روى عن النبى صلى الله عليه واله انه قال من تعلم القران ثم نسيه لقى الله وهو اجذم قال ابو عبيد القاسم بن سلام مفسرا لهذا الحديث فى كتابه غريب الحديث الاجذم المقطوع اليد واستشهد بقول المتلمس · وما كنت الا مثل قاطع كفه · بكف له اخرى فاصبح اجذما · وقد خطّأ عبد الله ابن مسلم بن قتيبة ابا عبيد فى تاويل هذا الخبر وقال الاجذم وان كان المقطوع اليد فان هذا المعنى لا يليق بهذا الموضع قال لان العقوبات من الله تعالى لا تكون الا وفقا للذنوب وبحسبها واليد لا مدخل لها فى نسيان القران فكيف يعاقب فيها واستشهد بقوله تعالى · الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا

كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وزعم ان تاويل الاية ان الربا اذا
اكلوه ثقل في بطونهم وربى في اجوافهم فجعل قيامهم مثل قيام من يتخبطه الشيطان
تعثرا وتخبلا واستشهد ايضا بما روى عن النبي صلى الله عليه وآله من قوله رايت
ليلة اسرى بي قوما تقرض من شفاههم وكلما قرضت وفت فقال لي جبرئيل
هولاء خطباء امتك تقرض شفاههم لانهم يقولون ما لا يفعلون قال في الخبر
لاجذم هو المجذوم وانما جاز ان يسمى المجذوم اجذم لان الجذام يقطع اعضاءها
ويشذبها والجذم القطع قال الشريف المرتضى وقد اخطأ الرجلان جميعا وذهبا
عن الصواب ذهابا بعيدا وكان غلط ابن قتيبة افحش واقبح لانه علل غلطه
فاخرجه الى اغاليط كثيرة ونحن نبين معنى الخبر فهو ظاهر لمن كان له ادنى معرفة
بمذاهب العرب في كلامها وانما اراد عليه السلام بقوله يحشر اجذم المبالغة في وصفه
بالنقصان عن الكمال وفقد ما كان عليه بالقران من الزينة والجمال والتشبيه
بالاجذم من حسن التشبيه وعجيبه لان اليد من الاعضاء الشريفة التي لا يتم
كثير من التصرف ولا يوصل الى كثير من المنافع الا بها ففاقدها يفقد ما كان
عليه من الكمال وتفوته المنافع والمرافق التي كان يجعل يده ذريعة الى نيلها
وهذه حال ناسي القران ومضيعه بعد حفظه لانه يفقد ما كان لابسا
له من الجمال ومستحقا له من الثواب وهذه عادة للعرب في كلامهم معروفة
يقولون فيمن فقد ناصره ومعينه فلان بعد فلان اجذع وقد بقي بعده
اجذم قال الفرزدق يرثي مالك بن مسمع ∴ تضعضع طود وايل بعد مالك ∴ و
اصبح منها معطس العز اجدعا ∴ وانما اراد المعنى الذي ذكرناه وللعرب ملاحن
في كلامها واشارات الى الاغراض وتلويحا بالمعاني متى لم يفهمها ويسرع الى
لفطنتها من تعاطى بتفسير كلامهم وتاويل خطابهم كان ظالما لنفسه متعديا طوره
ونعود الى الكلام على ما ذكره الرجلان اما ابو عبيد فان خطاه من حيث لم يفطن
للغرض في الخبر وضل عن وجهه والا فالاجذم هو الاقطع لا محالة كما قال

التشذيب قطع الاغصان اكثر لم تثبت في محلها

معنى الخبر ثم نتكلم على ما اورداه آماع

لانه لا يليق بهذا الموضع واذا حمل عليه لم يفد شيئا وان كانت شبهته التي
اوقعته في هذا التاويل ظنه ان ذلك يكون على سبيل العقوبة له على نسيان القران
فليس كما ظن لان الجذام والابرص ليس بعقوبة لان الله تعالى قد يجذم اولياءه والصالحين
من عباده ويقطع اعضاهم بالامراض وقد يبتدي خلق من هو ناقص الاعضاء فليس
بلازم في الجذم ان يكون عقوبة ثم لو كان يستحق ناسي القران عقوبة على نسيانه لكان
حفظ القران باسره فرضا واجبا وحتما لازما لان العقوبة لا تستحق بترك ما ليس
بواجب وليس حفظ جميع القران كذلك واما ابن قتيبة فانه غلط من حيث لم يفطن
للوجه في الخبر الذي ذكرناه ومن حيث ظن ان العقوبة لا تكون الا في محل
الذنب وهذا القول يوجب عليه ان لا يجلد ظهر الزاني وتختص العقوبة بفرجه
وكذلك القاذف كان يجب ان يعاقبه في لسانه دون سائر اعضائه والخبر الذي
استشهد به حجة عليه لانا نعلم ان اللسان اقوى خطا في الباب الكلام من الشفة
فلم تخص العقوبة وحلت بالشفاه دونه ثم غلط في تاويل الاية التي اوردها
اقبح من كل ما تقدم لانه توهم ان ما تضمنته الاية من تخبط اكل الربا وتعثره
عند القيام انما هو في الدنيا من حيث يثقل ما اكله في معدته فيمنعه النهوض
ونحن نعلم ضرورة خلاف ذلك ونجد كثيرا من اكلي الربا اخف نهوضا واسرع
قياما وتصرفا من غيرهم ممن لم ياكل الربا قط والمعنى في الاية ما ذكره المفسرون
من ان ما وصفهم الله تعالى به يكون عند قيامهم من قبورهم فيلحقهم العثار
والزلل والتخبط على سبيل العقوبة لهم وليكون ذلك ايضا امارة لمن يعاينهم
من الملائكة والخزنة على الفرق بين الولي والعدو ومستحق الجنة ومستحق النار
وليس بمعروف ولا ظاهر ان الاجذم هو المجذوم ورد ابن قتيبة معناه واشتقاقه
الى الجذم الذي هو القطع يوجب عليه ان كل داء يقطع الجسد ويفرقه اوصاله
كالجدري والاكلة وغيرهما يسمى جذاما ويسمى من كان عليه اجذم وهذا باطل
واما قول الشاعر ∴ حرق قيس على البلاد ∴ حتى اذا اضطرمت اجذما ∴

فليس من هذا الباب بل هو من الاجذام بالذال المعجمة والدال غير المعجمة جميعا
الاسراع واما قول عنترة فى وصف الذباب . هزجا يحك ذراعه بذراعه
قدح المكب على الزناد الاجذم فهو من هذا الباب لان الاجذم من صفة المكب
لا من صفة الزناد فكانه قال قدح المكب الاجذم على الزناد وهذا من احسن
التشبيه واوقعه مجلس تاويل اية قال الله تعالى وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ
مِنْ اَمْرِ رَبِّي وَمَا اُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ اِلَّا قَلِيلًا وقد ظن قوم من غفلة الملحدين
وجهالهم ان الجواب عما سئل عنه فى هذه الاية لم يحصل وان الامتناع منه
انما هو لفقد العلم به وان قوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا تبكيت وتقريع
لم يقعا موقعهما وانما هو على سبيل المحاجزة والمدافعة عن الجواب وفى هذه الاية
وجوه من التاويل تبطل ما ظنوه وتدل على ما جهلوه اولها انه تعالى انما عدل عن جوابهم
لعلمه بان ذلك ادعى لهم الى الصلاح فى الدين وان الجواب لو صدر منه تعالى اليهم
لازدادوا فسادا وعنادا اذ كانوا بسوالهم معنتين لا مستفيدين وليس هذا
بمنكر لانا قد نعلم فى كثير من الاحوال فيمن يسالنا عن الشىء ان العدول عن
جوابه اولى واصلح فى تدبيره وقد قيل ان اليهود قالت لكفار قريش سلوا محمدا
عن الروح فان اجابكم فليس بنبى وان لم يجبكم فهو نبى فانا نجد فى كتبنا ذلك
فامره الله تعالى بالعدول عن ذلك ليكون علما للرسول دالا على صدقه ومكذبا
لليهود الرادين عليه وهذا جواب ابى على محمد بن عبد الوهاب الجبائى وثانيها ان
القوم انما سالوه عن الروح وهل هى صنعة مخلوقة ام ليست كذلك فاجابهم
بانها من امر ربى وهو جوابهم عن ما سئلوا عنه بعينه لانه لا فرق بين ان يقول
فى الجواب انها محدثة مخلوقة وبين قوله انها من امر ربى لانه انما اراد انها
من فعله وخلقه وسوا على هذا الجواب ان يكون الروح التى سالوا عنها هى
التى بها قوام الجسد ام عيسى عليه السلم ام جبرئيل فقد سمى الله تعالى جبرئيل
روحا وعيسى ايضا سمى بذلك فى القران وثالثها انهم سالوه عن الروح الذى

هو القران فقد سمى الله تعالى القران روحا فى مواضع من الكتاب واذا كان السوال
عن القران فقد وقع الجواب موقعه لانه قال لهم ان الروح الذى هو من امر ربى
ومما انزل على نبيه صلى الله عليه واله وسلم ليجعله دلالة وعلما على صدقه
وليس من فعل المخلوقين ولا مما يدخل فى امكانهم وهذا جواب الحسن البصرى
ويقويه قوله تعالى بعد هذه الاية وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ
ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا . فكانه قال تعالى ان القران من امرى وفعلى ومما
انزلته علما على نبوة رسولى ولو شئت لرفعته بها وازلته وتصرفت فيه كما يتصرف
الفاعل فيما يفعله فصل قال ابو مسلم محمد بن بحر الاصبهانى فى قوله تعالى وَالْاَرْضَ
مَدَدْنَاهَا وَاَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَاَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ قال
انما خص الموزون دون المكيل بالذكر لوجهين احدهما ان غاية المكيل
تنتهى الى الوزن لان سائر المكيلات اذا صارت طعاما دخلت فى باب الوزن
وخرجت عن باب الكيل والوجه الاخر ان فى الوزن معنى الكيل لان الوزن هو
طلب مساواة الشىء بالشىء ومقايسته اليه وتعديله به وهذا المعنى ثابت
فى المكيل فخص الوزن بالذكر لاشتماله على معنى المكيل هذا قول ابى مسلم ووجه
الاية وما يشهد له ظاهر لفظها غير ما سلكه ابو مسلم وانما اراد تعالى بالموزون المقدر
الواقع بحسب الحاجة فلا يكون ناقصا عنها ولا زايدا عليها زيادة مضرة او داخلة
فى باب العبث ونظير ذلك من كلامهم قولهم كلام زيد موزون وافعاله
مقدرة موزونة وانما يراد ما اشرنا اليه وعلى هذا المعنى تاول المفسرون
ذكر الموازين فى القران على حد التاويل وانها التعديل والمساواة بين الثواب
والعقاب قال الشاعر لها بشر مثل الحرير ومنطق . رخيم الحواشى لا هراء ولا نزر
الهراء الكثير والنزر القليل فكانه قال ان حديثها لا يقل عن الحاجة ولا يزيد
عليها وهذا يجرى مجرى ان يقول هو موزون وقال مالك بن اسماء بن
خارجة الفزارى . وحديث الذه هو مما . يكسب الناعتون يوزن وزنا .

منطق صائب وتلحن احيانا، وخير الحديث ما كان لحنا وهذا الوجه الذى
ذكرناه اشبه بمراد الله تعالى فى الاية واليق بفصاحة القران الكريم وبلاغة الموفية
على فصاحة ساير الفصحا وبلاغتهم فاما قول الشاعر الذى استشهدنا بشعره
وتلحن احيانا فلم يرد اللحن، فى الاعراب الذى هو ضد الصواب، وانما اراد
به الكناية عن الشىء والتعريض بذكره والعدول عن الايضاح عنه على معنى
قوله تعالى ولتعرفنهم فى لحن القول، وقول الشاعر: ولقد وحيت لكم لكيما
تفطنوا، ولحنت لحنا ليس بالمرتاب، وقد قيل ان اللحن الذى عنى فى البيت
هو الفطنة وسرعة الفهم على ما روى عن النبى صلى الله عليه انه قال لعل احدكم ان
يكون الحن بحجته اى افطن لها واغوص عليها وتماثيهد لما ذكرناه ما اخبرنا
به ابو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزبانى قال حدثنا احمد بن عبد الله
العسكرى قال حدثنا العنزى قال حدثنا على بن اسمعيل اليزيدى قال
اخبرنا اسحق بن ابرهيم قال تكلمت هند بنت اسماء بن خارجة فلحنت وهى
عند الحجاج فقال لها اتلحنين وانت شريفة فى بيت قيس قالت اما سمعت قول
اخى مالك لامراته الانصارية قال وما هو قالت قال: منطق صايب وتلحن احيانا
وخير الحديث ما كان لحنا، فقال لها الحجاج انما عنى اخوك اللحن فى القول اذا كنى
المحدث عما يريد، ولم يعن اللحن فى العربية فاصلحى لسانك وقد ظن عمرو بن بحر
الجاحظ مثل هذا بعينه وقال ان اللحن مستحسن فى النساء الغراير، وليس
بمستحسن منهن كل الصواب، والتشبه بفحول الرجال واستشهد بابيات
مالك بعينها، وظن انه اراد باللحن ما يخالف الصواب وتبعه على هذا الغلط
عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى فذكر فى كتابه المعروف بعيون الاخبار
ابيات الفزارى واعتذر بها من لحن ان اصيب فى كتابه واخبرنا ابو عبد الله
المرزبانى قال اخبرنى محمد بن يحيى الصولى قال حدثنا يحيى بن على المنجم قال
حدثنى ابى قال قلت للجاحظ مثلك فى عقلك وعلمك بالادب ينشد قول الفزارى

ويفسره على انه اراد اللحن فى الاعراب وانما اراد وصفها بالظرف والفطنة وانها
تورى عما قصدت له وتنكب التصريح به فقال قد فطنت لذلك بعد فقلت فغيره
من كتابك فقال كيف لى بما سارت به الركبان قال الصولى وهو فى كتابه على خطائه
ومن حسن اللحن الذى هو التعريض والكناية ما اخبرنا به ابو الحسن على بن محمد الكاتب
قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد الازدى ان رجلا من بنى العنبر حصل اسيرا
فى بكر بن وايل فسالهم رسولا الى قومه فقالوا لا ترسل الا بحضرتنا لانهم كانوا
عزموا على غزو قومه فخافوا ان ينذرهم فجى بعبد اسود فقال له اتعقل قال نعم
انى لعاقل قال وما اريك عاقلا واشار بيده الى الليل فقال ما هذا قال هذا الليل قال
اراك عاقلا ثم ملا كفيه من الرمل فقال كم هذا فقال لا ادرى وانه لكثير فقال
ايما اكثر النجوم ام النيران فقال كل كثير فقال ابلغ قومى التحية وقل لهم ليكرموا فلانا
يعنى اسيرا كان فى ايديهم من بكر فان قومه لى مكرمون وقل لهم ان العرفج قد ادبى
وشكت النساء وامرهم ان يعروا ناقتى الحمرا فقد طال ركوبها وان يركبوا جملى الاصهب
باية ما اكلت معكم حيسا واسئلوا اخى الحارث فلما ادى العبد الرسالة اليهم قالوا
لقد جن الاعور والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملا اصهب ثم سرحوا العبد ودعوا
الحارث فقصوا عليه القصة فقال قد انذركم اما قوله العرفج قد ادبى يريد ان الرجال قد
استلأموا ولبسوا السلاح وقوله وشكت النساء اى اتخذن الشكا للسفر وقوله الناقة
الحمراء اى ارتحلوا عن الدهنا واركبوا الصمان وهو الجمل الاصهب وقوله اكلت
معكم حيسا يريد اخلاطا من الناس قد غزوكم لان الحيس يجمع التمر والسمن والاقط
فامتثلوا ما قال وعرفوا لحن كلامه تاويل خبر روى ابو عبيد القاسم بن سلام فى
كتابه غريب الحديث عن امير المومنين على بن ابى طالب عليه السلام انه قال من احبنا
اهل البيت فليستعد للفقر جلبابا او تجفافا قال ابو عبيد تاول بعض الناس
هذا الخبر على انه اراد به الفقر فى الدنيا قال وليس ذلك كذلك لانا نرى فيمن
يحبهم مثل ما نرى فى سائر الناس من الغنى والفقر ولا يتميز بينهما قال والصحيح

انه اراد به الفقر في يوم القيمة واخرج الكلام مخرج الموعظة والنصيحة والحث
على الطاعات فكانه اراد من احبنا فليعد لفقره يوم القيمة ما يجبره من الثواب
والقرب الى الله تعالى والزلف عنده قال ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه وجه
الحديث خلاف ما قاله ابو عبيد ولم يرد الا الفقر في الدنيا ومعنى الخبر ان من احبنا
فليصبر على التقلل من الدنيا والتقنع فيها وليأخذ نفسه بالكف عن احوال الدنيا
واعراضها وشبه الصبر على الفقر بالتجفاف او الجلباب لانه يستر الفقر كما يستر الجلباب
والتجفاف البدن قال ويشهد لصحة هذا التاويل ما روي عنه عليه السلم انه راى قوما
على بابه فقال يا قنبر من هولاء فقال له قنبر هولاء شيعتك فقال ما لي لا ارى
فيهم سيماء الشيعة قال وما سيما الشيعة قال خمص البطون من الطوى يبس الشفاه
من الظما عمش العيون من البكاء هذا كله قول ابن قتيبه والوجهان جميعا في الخبر حسنان
وان كان الوجه الذي ذكره ابن قتيبة احسن واوضح ويمكن ان يكون في الخبر وجه
ثالث تشهد لصحته اللغة وهو ان احد وجوه معنى لفظة الفقر ان يحز انف البعير
حتى يخلص الى العظم او قريب منه ثم يلوى عليه حبل يذلل بذلك الصعب يقال
فقره يفقره فقرا اذا فعل ذلك به وبعير مفقور وبه فقرة وكل شيء حززته واثرت
فيه فقرته ومنه سميت الفاقرة وقيل سيف مفقر فيحتمل القول ان يكون عليه السلم
اراد من احبنا فليزم نفسه وليخطمها وليقدها الى الطاعات ويصرفها عما تميل
طباعها اليه من الشهوات وليذللها على الصبر عما كره منها ومشقة ما اريد منها كما
يفعل بالبعير الصعب وهذا وجه طباعها اليه من الشهوات وليذللها على الصبر
عما كره منها ومشقة ما اريد منها كما يفعل بالبعير الصعب وهذا وجه في الخبر ثالث
لم يذكر وليس يجب ان يستبعد حمل الكلام على بعض ما يحتمله اذا كان له شاهد
من اللغة وكلام العرب لان الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر
ان يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعاني ويجوز ان يكون اراد المخاطب كل واحد منها
منفردا وليس عليه العلم بمراده بعينه فان مراده مغيب عنه واكثر ما يلزمه ما ذكرناه من ذكر وجوه احتمال

الكلام

الكلام فصل قال المرتضى رضي الله عنه وممن كان من مشهوري الشعراء ومتقدميهم
على مذاهب اهل العدل ذو الرمة واسمه غيلان بن عقبه وكنيته ابو الحارث وذو الرمة
لقب لقب به لبيت قاله وهو قوله في صفة الوتد . اشعث باقي رمة التقليد .
والرمة القطعة البالية من الحبل يقال للحبل رمام اذا كان ضعيفا باليا وقيل انما لقب
بذي الرمة لانه كان وهو غلام يتفزع فجاءته امه بمن كتب له كتابا وعلقه عليه
برمة من حبل فسمي ذي الرمة ويشهد بمذهبه في العدل بمذهبه في العدل ما اخبرنا
به ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال اخبرنا ابو عثمان الاشناندانی
عن التوزي عن ابي عبيدة قال اختصم روبه وذو الرمة عند بلال بن ابي برده
فقال له روبه والله ما فحص طاير افحوصا ولا تقرمص سبع قرموصا الا بقضاء
وقدره فقال له ذو الرمة والله ما قدر الله على الذيبان ان ياكل حلوبة عايل ضرايك
فقال روبه افبقدرته اكلها هذا كذب على الذيب ثان فقال ذو الرمة الكذب
على الذيب خير من الكذب على رب الذيب وهذا خبر صريح في قوله بالعدل
واحتجاجه عليه وبصيرته فيه واما العيايل فهو جمع عيل وهو ذو العيال والضرايك
جمع ضريك وهو الفقير واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا احمد بن محمد المكي
عن ابي العيناء عن الاصمعي عن اسحق وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالالباب
ما تفعل الخمر فقلت له فعولين خبر الكون فقال لي لو سبحت ربحت انما قلت وعينان
فعولان وصفتهما بذلك وانما تحرز ذو الرمة بهذا الكلام من القول بخلاف العدل
وقد روي هذا الخبر على خلاف هذا الوجه . اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني
احمد بن خالد النخاس قال حدثني محمد بن القاسم ابو العيناء قال حدثنا الاصمعي
قال لما انشد ذو الرمة قوله . وعينان قال الله كونا فكانتا . فعولين بالالباب
ما تفعل الخمر . وهو يريد كونا فكانتا فعولين حيث كانتا قال له عمرو بن عبيد
ويحك قلت عظيما فقل فعولان بالالباب فقال له ذو الرمة ما ابالي اقلت هذا
ام سبحت فلا اعلم ما ذهب اليه عمرو فقال له يا سبحان الله لو عنيت ما ظننت كنت

قال الشريف المرتضى ره
ابن سعيد قال انشد ذو الرمة

جاهلا ومن روى انه كان على مذاهب اهل العدل من شعراء الطبقة الاولى — قال الشريف المرتضى رض
اعشى قيس بن ثعلبة واستشهد بقوله ؛ استاثر الله بالوفاء وبالعدل . وولى
الملامة الرجلا . وممن قيل انه كان على مذهب الجبر من المشهورين ايضا لبيد بن
ربيعة العامرى واستدل بقوله . ان تقوى ربنا خير نفل . وباذن الله ريثى
والعجل . من هداه الله سبل الخير اهتدى . ناعم البال ومن شاء اضل .
وان كان لا سبيل الى نسب الجبر الى مذهب لبيد الا هذان البيتان فليس فيهما — طرتى ع
دلالة على ذلك اما قوله وباذن الله ريثى والعجل فيحتمل ان يريد بعلمه كما يتاول
عليه قوله تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله اى بعلم الله وان
قيل فى هذه الاية انه اراد الله تعالى بتخليته وتمكينه وان كان لا شاهد لذلك
فى اللغة امكن مثله فى قول لبيد فاما قوله من هداه اهتدى ومن شاء اضل
فيحتمل ان يكون مصروفا الى بعض الوجوه التى تتاول عليها الضلال والهدى
المذكوران فى القران مما يليق بالعدل ولا يقتضى الاجبار اللهم الا ان يكون
مذهب لبيد معروفا فى الاجبار بغير هذه الابيات فلا نتاول هذا التاويل
بل يحمل مراده على موافقة المعروف من مذهبه مسئلة اعلم ان اصحابنا لما — قال الشريف المرتضى رض
استدلوا على نفى الرؤية بالابصار عن الله تعالى بقوله لا تدركه الابصار وهو يدرك
الابصار وهو اللطيف الخبير . وبينوا انه تعالى تمدح بنفى الادراك البصر الذى
هو رؤية البصر عن نفسه على وجه يرجع الى ذاته فيجب ان يكون فى ثبوت
الرؤية له فى وقت من الاوقات نقص وذم قال لهم مخالفوهم كيف يمدح بنفى
ادراك البصر الذى هو رؤية البصر عن نفسه على وجه يرجع الى ذاته فيجب
ان يكون فى ثبوت الرؤية له فى وقت من الاوقات نقص وذم قال لهم مخالفوهم
كيف يتمدح بانه لا يرى وقد يشاركه فى نفى الرؤية ما ليس بممدوح كالمعدومات
والارادات والاعتقادات فقالوا لهم لم يتمدح تعالى بنفى الرؤية فقط وانما تمدح
بنفى الرؤية عنه واثباتها له فتمدح بمجموع الامرين وليس يشاركه فى هاتين الصفتين.

مشارك

مشارك لان الموجودات المحدثات على ضروب منها ما يرى ولا يرى كالاعتقادات والارادات
ومنها ما يرى ولا يرى كالالوان ومنها ما يرى ويرى كالانسان وضروب الاحياء وليس
فيها ما يرى ولا يرى فثبت المدحة لله تعالى بتضمن الاية فقال لهم المخالفون
وكيف يجوز ان يكون صفة لا تقتضى المدحة بانفرادها ثم تصير تقتضيها مع غيرها
ولئن جاز هذا ليجوزن ان يتمدح متمدح بانه شئ عالم او موجود قادر فاذا كان لا مدحة
فى وصف الذات بانها شئ وموجودة وان انضمت الى صفة مدح من حيث كانت
بانفرادها لا يقتضى مدحا فكذلك لا مدحة تقتضى فى نفى الرؤية عمن تثبت له من حيث
كانت بانفرادها لا تقتضى مدحا فاجاب اصحابنا عن هذا الكلام بان قالوا ليس
يمتنع فى الصفة ان تكون لا تقتضى مدحا اذا انفردت وتقتضيه اذا انضمت الى
غيرها ومثلوا ذلك بقوله تعالى لا تاخذه سنة ولا نوم فان نفى السنة والنوم
ههنا انما يكون مدحا اذا انتفى عمن هو بصفة الاحياء وان كان بانفراده لا يقتضى
مدحا لمشاركة ذوات كثيرة غير ممدوحة وفصلوا بين الوصف بالشئ والوجود
وبين ما ذكروا من حيث لا تاثير لهاتين الصفتين فى المدح واعلم ان صفات المدح
المتضمنة للاثبات ما يفتقر الى شرط فى كونها مدحا وصفات المتضمنة النفى — النفى اذا كانت مدحا فلا بد فيها من شرط
اعم من الاثبات فيدخل تحته الممدوح وغير الممدوح والاثبات اشد اختصاصا — وانما الفرق الامران من حيث كان النفى
الا ترى ان ما ليس بعالم من الذوات وليس بموجود اكثر مما يثبت له العلم والوجود — اعم من الاثبات ع
منها لان الاول لا يكون الا غير متناه والثانى لا يكون الا متناهيا فلما كانت
صفات المدح النفى الممدوح وغير الممدوح احتاجت الى شرط يخصصها وانت
اذا اعتبرت سائر صفات النفى التى يتمدح بها وجدتها مفتقرة الى الشروط — تباين ع
الا ترى ان من ليس بجاهل انما يكون ممدوحا بهذا النفى اذا كان حيا ذاكرا
لانه قد يكون لا عالما ولا جاهلا لسهو يلحقه وذهول يعتريه ومن ليس
بعاجز انما يكون ممدوحا اذا كان ايضا موجودا حيا ومن ليس بظالم انما
يكون ممدوحا اذا كان قادرا على الظلم وله دواع اليه ولا بد فى الشرط الذى

يحتاج اليه في صفات النفي حتى يكون مدحا ويكون ايضا اثباتا او جاريا مجرى
الاثبات ولا يكون نفيا لانه ان كان نفيا لم يتخصص وساوى فيه الممدوح
وما ليس بممدوح مثال ذلك انا اذا مدحنا غيرنا بانه لا يظلم وشرطنا في هذا المدح
انه لم يدعه داع الى الظلم لم تحصل المدحة لانه قد يشاركه في نفي الظلم ونفي الدواعي
اليه ما ليس بممدوح فلا بد من شرط يجري مجرى الاثبات وهو ان نقول
وهو ممن تدعوه الدواعي الى الافعال ويتصرف فيها بحسب حاجته ودواعيه فاذا صحت
هذه الجملة فالوجه ان نقول ان المدح في الاية انما يتعلق بنفي الادراك عن القديم
تعالى لكن بشرط ان يكون مدركا ونجعل كل واحد من الصفتين تقتضي المدح بجمعها
مع ان كل واحدة لا تقتضيه على سبيل الانفراد وليس بمنكر ان يقتضي الشيء غيره
بشرط متى وجد حصل المقتضى واذا لم يحصل لم يحصل مقتضاه ونفي السنة والنوم والظلم يرجع ى
عن الله تعالى انما كان مدحا بشروط معروفة على نحو ما ذكرناه وهذا التلخيص
في هذا الموضع اولى واحسم للشبهة مما تقدم ذكره المجلس الثالث في تاويل اية ان
سال سائل فقال ما تقولون في قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلم فالقى شعر
عصاه فاذا هي ثعبان مبين وقال في موضع آخر وان الق عصاك فلما
راها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب لم يرجع وقيل لم يلتفت وقيل
لم يعطف نفسه ولم ينتظر يقال كر على القوم وما عقب ويرى اهل النظر
انه ماخوذ من العقب وقال سفيان لم يعقب لم يمكث ويقال عقب في الامر اذا
تردد في طلبه مجدا وقوله تعالى لا معقب لحكمه اي لا يحكم بعد حكمه حاكم و
المعقب الذي يكر على الشيء وقوله تعالى له معقبات من بين يديه اي الانسان له
ملائكة يعقب بعضهم بعضا وقال الفراء ملائكة الليل تعقب ملائكة النهار
بمعنى انهم يتعاقبون ليلا ونهارا والثعبان هو الحية العظيمة الخلقة والجان
الصغير من الحيات فكيف اختلف الوصفان والقصة واحدة وكيف يجوز ان تكون
العصا في حال واحدة بصفة ما عظم خلقه من الحيات وبصفة ما صغر منها واي شيء

يكون

يكون التناقض عن هذا الكلام الجواب اول ما نقوله ان الذي ظنه السائل من كون تزيلون ي
الايتين خبرا عن قصة واحدة باطل بل الحالتان مختلفتان فالحال التي اخبر تعالى
ان العصا فيها بصفة الجان كانت في ابتداء النبوة وقبل مصير موسى الى فرعون
والحال التي صارت العصا فيها ثعبانا كانت عند لقائه فرعون وابلاغه الرسالة
والتلاوة تدل على ذلك واذا اختلفت القصتان فلا مسئلة على ان قوما من المفسرين
قد تعاطوا الجواب عن هذا السؤال اما لظنهم ان القصة واحدة او لاعتقادهم
ان العصا الواحدة لا يجوز ان تنقلب في حالتين تارة الى صفة الجان وتارة الى
صفة الثعبان او على سبيل الاستظهار في الحجة وان الحال لو كانت واحدة
على ما ظن لم يكن بين الايتين تناقض وهذا الوجه احسن ما تكلفوا الجواب
لاجله لان الاولين لا يكونان الا عن غلط او غفلة وذكروا وجهين تزول بكل
واحد منهما الشبهة في تاويلها احدهما انه تعالى انما شبهها بالثعبان في احدى
الايتين لعظم خلقها وكبر جسمها وهول منظرها وشبهها في الاية الاخرى
بالجان لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها فاجتمع لها مع انها في جسم الثعبان
وكبر خلقه نشاط الجان وسرعة حركته وهذا ابهر في باب الاعجاز وابلغ في خرق
العادة ولا تناقض معه بين الايتين وليس يجب اذا شبهها بالثعبان ان
يكون لها جميع صفاته وقد قال الله تعالى ويطاف عليهم بآنية من فضة ولا اذا شبهها بالجان ان يكون لها جميع صفاته
واكواب كانت قوارير قوارير من فضة قدروها تقديرا ولم يرد تعالى
ان الفضة قوارير على الحقيقة وانما وصفها بذلك لانه اجتمع لها صفاء القوارير
وشفوفها ورقتها مع انها من فضة وقد تشبه العرب الشيء بغيره في بعض
وجوه فيشبهون المراة بالظبية وبالبقرة ونحن نعلم ان في الظباء والبقر من الصفات
ما لا يستحسن ان يكون في النساء وانما وقع التشبيه في صفة دون صفة ومن وجه
دون آخر والجواب الثاني انه تعالى لم يرد بذكر الجان في الاية الاخرى الحية وانما
اراد احد الجن فكانه تعالى اخبرنا بان العصا صارت ثعبانا في الخلقة وعظم الجسم

وكانت مع ذلك كاحد الجن في هول المنظر وافزاعها لمن شاهدها ولهذا قال تعالى
فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب. ويمكن ان يكون في الاية تاويل
آخر استخرجناه انه لم يزد على الوجهين الاولين لم ينقص عنهما والوجه في تكلفنا
له ما بيناه من الاستظهار في الحجة وان التناقض الذي توهم زايل على كل وجه وهو
ان يكون العصى لما انقلبت حية صارت اولا بصفة الجان وعلى صورته ثم صارت
بصفة الثعبان على تدريج ولم تصر كذلك ضربة واحدة فتتفق الايتان على هذا التاويل
ولا يختلف حكمهما وتكون الاية الاولى التي تتضمن ذكر الثعبان اخبارا عن غاية حال
العصا وتكون الاية الثانية تتضمن ذكر الحال التي ولى موسى فيها هاربا وهي حال
انقلاب العصا الى خلقة الجان وان كانت بعد ذلك الحال انتهت الى صورة
الثعبان فان قيل على هذا الوجه كيف يصح ما ذكرتموه مع قوله تعالى فاذا هي
ثعبان مبين وهذا يقتضي انها صارت ثعبانا بعد الالقاء بلا فصل قلنا ليس
تقدير الاية ما ظن وانما فايدة قوله تعالى فاذا هي الاخبار عن قرب الحال التي صارت فيها بتلك الصفة [تقديم]
وانها لم يطل الزمان في مصيرها كذلك ويجري هذا مجرى قوله تعالى او لم ير الانسان
انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين مع ما بين كونه نطفة وكونه خصيما من تباعد
وقولهم ركب فلان من منزله فاذا هو في ضيعته وسقط من اعلى الحايط فاذا هو
في الارض ونحن نعلم ان بين خروجه من منزله وبلوغه ضيعته زمانا وانه لم يصر
اليها الا على تدريج وكذلك سقوطه من الحايط وانما فايدة الكلام الاخبار [الحائط]
عن تقارب الزمان وانه لم يطل ولم يمتد. اية اخرى قال الله تعالى واذ اخذ [قال الشريف المرتضى رض] [الاعراف]
ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم
قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين. او تقولوا
انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون
وقد ظن بعض من لا بصيرة له ولا فطنة عنده ان تاويل هذه الاية ان الله تعالى
استخرج من ظهر آدم جميع ذريته وهم في خلق الذر فقررهم بمعرفته واشهدهم

على انفسهم

على انفسهم وهذا التاويل مع ان العقل يبطله ويحيله مما يشهد ظاهر القران بخلافه
لان الله تعالى قال واذ اخذ ربك من بني آدم ولم يقل من آدم وقال من ظهورهم
ولم يقل من ظهره وقال ذرياتهم ولم يقل ذريته ثم اخبر تعالى بانه فعل ذلك لئلا
يقولوا انهم كانوا عن هذا غافلين او يعتذروا بشرك آبائهم وانهم نشأوا على دينهم [يوم القيمة]
وسنتهم وهذا يقتضي ان الاية لم تتناول ولد آدم لصلبه وانها انما تناولت
من كان له آباء مشركون وهذا يدل على اختصاصها ببعض ذرية آدم فهذه
شهادة الظاهر ببطلان تاويلهم فاما شهادة العقل فمن حيث لا تخلو هذه الذرية
التي استخرجت من ظهر آدم عليه السلم فخوطبت وقررت من ان تكون كاملة العقل [العقول]
مستوفية لشروط التكليف او لا تكون كذلك فان كانت بالصفة الاولى
وجب ان يذكر هؤلاء بعد خلقهم وانشائهم واكمال عقولهم ما كانوا عليه
في تلك الحال وما قرروا به واستشهدوا عليه لان العاقل لا ينسى ما جرى
هذا المجرى وان بعد العهد وطال الزمان ولهذا لا يجوز ان يتصرف احدنا
في بلد من البلدان وهو عاقل كامل فينسى مع تعدي العهد جميع تصرفه المتقدم
وساير احواله وليس ايضا لتخلل الموت بين الحالين تاثير لانه لو كان تخلل الموت
يزيل الذكر لكان تخلل النوم والسكر والجنون والاغما بين احوال العقلاء يزيل
ذكرهم لما مضى من احوالهم لان ساير ما عددناه مما ينفي العلوم يجري مجرى
الموت في هذا الباب وليس لهم ان يقولوا اذا جاز في العاقل الكامل ان ينسى
ما كان عليه في حال الطفولية جاز ما ذكرناه وذلك انا انما اوجبنا ذكر العقلاء
لما ادعوه اذا كملت عقولهم من حيث جرى عليهم وهم كاملوا العقول ولو كانوا
بصفة الاطفال في تلك الحال لم توجب عليهم ما اوجبناه على ان تجويز النسيان
عليهم ينقض الغرض في الاية وذلك ان الله تعالى اخبرنا بانه انما قررهم واشهدهم
لئلا يدعوا يوم القيمة الغفلة عن ذلك وسقوط الحجة عنهم فيه فاذا جاز نسيانهم له
عاد الامر الى سقوط الحجة عنهم وزوالها وان كانوا على الصفة الثانية من فقد العقل [العلم]

واشرايط التكليف قبح خطابهم وتقريرهم واشهادهم وذلك عبثا قبيحا تعالى الله عنه
فان قيل قد ابطلتم تاويل مخالفيكم فما تاويلها الصحيح عندكم قلنا في الاية وجهان
احدهما ان يكون الله تعالى انما عنى بها جماعة من ذرية بني آدم خلقهم وبلغهم
واكمل عقولهم وقررهم على لسان رسله عليهم السلم بمعرفته وما يجب من طاعته
فاقروا بذلك واشهدهم على انفسهم به لئلا يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا
غافلين او يعتذروا بشرك اباءهم وانما اتى من اشتبه عليه تاويل الاية من حيث
ظن ان اسم الذرية لا يقع الا على من لم يكن كاملا عاقلا وليس الامر كما ظن
لانا نسمي جميع البشر بانهم ذرية ادم وان دخل فيهم العقلاء الكاملون وقد
قال الله تعالى ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من اباءهم
وازواجهم وذرياتهم ولفظ الصالح لا يطلق الا على من كان كاملا عاقلا فان
استبعدوا تاويلنا وحملنا الاية على البالغين المكلفين فهذا جوابهم والجواب
الثاني انه تعالى لما خلقهم وركبهم تركيبا يدل على معرفته ويشهد بقدرته
ووجوب عبادته واراهم العبر والايات والدلايل في انفسهم وفي غيرهم كان
بمنزلة المشهد لهم على انفسهم وكانوا في مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره
فيهم على الوجه الذي اراده الله تعالى وتعذر امتناعهم منه وانفكاكهم
من دلالته بمنزلة المقر المعترف ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا
وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ وان لم يكن منه تعالى
قول على الحقيقة ولا منهما جواب ومثله قوله تعالى شاهدين على انفسهم
بالكفر ونحن نعلم ان الكفار لم يعترفوا بالكفر بالسنتهم وانما ظهر منهم ظهورا
لا يتمكنون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين به ومثل هذا قولهم جوارحي
تشهد بنعمتك وحالي معترفة باحسانك وما روي عن بعض الخطباء من قوله
سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك فان لم تجبك حوارا
اجابتك اعتبارا وهذا باب كبير وله نظاير كثيرة في النظم والنثر يغني عن ذكر جميعها

القدر

وان لم يكن هناك اشهاد ولا اقرار على الحقيقة ويجري ذلك مجرى قوله تعالى

القدر الذي ذكرناه منها تاويل خبر قال ابو عبيد القاسم بن سلام فيما يروى عن النبي
ليس منا من لم يتغن بالقران قال اراد ان يستغني به واحتج بقولهم تغنيت تغنيا
وانشد بيت الاعشى وكنت امرأ زمنا بالعراق . عفيف المناخ طويل التغن .
قال اخر كلانا غني عن اخيه حياته . ونحن اذا متنا اشد تغانيا . واحتج بقول
ابن مسعود من قرا سورة ال عمران فهو غني اي مستغن وبالحديث الاخر نعم
كنز الصعلوك سورة ال عمران يقوم بها في آخر الليل والصعلوك الفقير واحتج بحديث
آخر يروى عن النبي ص وهو انه قال لا ينبغي لحامل القران ان يظن ان احدا اعطي
افضل مما اعطي لانه لو ملك الدنيا باسرها لكان القران افضل مما ملكه واحتج
ايضا بخبر يرفعه عن عبيد الله بن نهيك انه دخل على سعد في بيته فاذا مثال
رث ومتاع رث فقال قال رسول الله ص ليس منا من لم يتغن بالقران قال
ابو عبيد فذكره المتاع الرث والمثال الرث يدل على ان التغني بالقران الاستغنا به
عن الكثير من المال والمثال هو الفراش قال الشاعر . بكل طويل الساعدين
كانما . يرى الليل المثال الممهدا .. يعني الفراش قال ابو عبيد ولو كان معناه
الترجيع لعظمت المحنة علينا بذلك اذ كان من لم يرجع بالقران ليس منه عليه السلم
وذكر عن غير ابي عبيد جواب اخر وهو انه عليه السلم اراد من لم يحسن صوته بالقران
ولم يرجع فيه واحتج صاحب هذا الجواب بحديث عبد الرحمن بن السايب
قال اتيت سعدا وقد كف بصره فسلمت عليه فقال من انت فاخبرته
فقال مرحبا يا ابن اخي بلغني انك حسن الصوت بالقران سمعت رسول الله
يقول ان هذا القران نزل بحزن فاذا قراتموه فابكوا وتباكوا ادليل على
ان التغني المحير والترجيع وروي عن النبي ص انه قال لا يأذن الله بشيء
من اهل الارض الا الاصوات المؤذنين والصوت الحسن بالقران معنى
قوله ياذن يستمع يقال اذنت للشيء اذن اذنا اذا استمعت قول الشاعر
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به . وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا قال

وتغانيت تغانيا
يسري
فان لم تبكوا
التحسين
بشرّ

عدي بن زيد العبادي ايها القلب تعلل بددن . ان همي في سماع واذن . و
الاذن هو السماع وانما حسن تكرير المعنى لاختلاف اللفظ وللعرب في هذا مذهب
معروف ومثله . وهندا بي من دونها الناي والبعد . فاما الددن فهو اللهو واللعب
وفيه لغات ثلاث دد على مثال دم . وددا على مثال فتى وددن على مثال حزن
ومنه قول النبي صلى الله عليه واله ما انا من دد ولا الدد مني . فان قيل كيف يحمل قوله
لا ياذن الله لشيء كاذنه لكذا وكذا على معنى الاستماع وهو تعالى سامع لكل مسموع
فاي معنى للاختصاص قلنا ليس المراد بالسماع ههنا مجرد الادراك وانما المراد به
القبول فكانه عليه السلم قال ان الله تعالى لا يتقبل ولا يثيب على شيء من اهل الارض كتقبله
وثوابه على كذا وكذا ومن هذا قولهم هذا كلام لا اسمعه وخاطبت فلانا بكلام فلم
يسمعه وانما يريد نفي القبول لا الادراك والبيت الذي انشدناه يشهد بذلك لانه
قال وان ذكرت لسوء عندهم اذنوا ونحن نعلم انهم يسمعون الذكر بالخير .
والشر معا من حيث الادراك فوجه الاختصاص ما ذكرناه وقد ذكر ابو بكر محمد بن
القاسم الانباري وجها ثالثا في الخبر قال اراد عليه السلم من لم يتلذذ بالقران ولم
يستحله ويستعذب تلاوته كاستحلاء اصحاب الطرب للغنا والتذاذهم به وسمى
ذلك تغنيا من حيث يفعل عنده ما يفعل عند التغني بالغنى وذكر ان ذلك
نظير قولهم العمايم تيجان العرب والحبا حيطان العرب والشمس حمامات العرب العمايم
وانشد بيت النابغة . بكا حمامة تدعو هديلا . مفجعة على فنن تغنى . فشبه
صوتها لما اطرب اطراب الغنا بالغنا . وجعلوا العمايم لما قامت مقام التيجان .
تيجانا وكذلك القول في الحبا والشمس وجواب ابي عبيد احسن الاجوبة واسلمها
وجواب ابي بكر ابعدها لان التلذذ لا يكون الا في المشتهى وكذلك الاستحلا
والاستعذاب وتلاوة القران وتفهم معانيه من الافعال الشاقة فكيف
يكون ملذا مشتهى فان عاد الى ان يقول قد تستحلى التلاوة من الصوت الحزين الحسن
قلنا هذا رجوع الى الجواب الثاني الذي رغبت عنه وانفردت عنه نفسك

بما يخالفه

بما يخالفه ويمكن ان يكون في الخبر وجه رابع خطر لنا وهو ان يكون قوله
عليه السلم يتغنى من غني الرجل بالمكان اذا طال مقامه به ومنه قيل المغنى والمغاني
قال الله تعالى كان لم يغنوا فيها اي لم يقيموا بها . وقال الاسود بن يعفر . ولقد
غنوا فيها بانعم عيشة . في ظل ملك ثابت الاوتاد . وقول الاعشى الذي انشده
ابو عبيد وهو . وكنت امرأ زمنا بالعراق . عفيف المناخ طويل التغن .
فطول المقام اشبه منه بالاستغنا بذلك فكان الاعشى اراد انني كنت ملازما لان المقام يوصف بالطول ولا يوصف الاستغنا
لوطني مقيما بين اهلي لا اسافر للانتجاع والطلب . فيجري قوله هذا مجرى قول
حسان بن ثابت الانصاري . اولاد جفنة حول قبر ابيهم . قبر ابن مارية الكريم
المفضل . اراد بقوله حول قبر ابيهم انهم ملوك لا ينتجعون . ولا يفارقون محالهم
واوطانهم فيكون معنى الخبر على هذا الوجه من لم يقيم على القران فلا يتجاوزه
الى غيره ولا يتعداه الى سواه ويتخذه مغنى ومنزل مقام فليس منا فان قيل
اليس قد يتعدى القران الى السنة والاجماع وسائر ادلة الشرع فكيف يحظر علينا
تعديه قلنا ليس في ذلك تعد للقران لان القران دال على وجوب اتباع
السنة وغيرها من ادلة الشرع فمن اعتمد بعضها في شيء من الاحكام لا يكون
متجاوزا للقران ولا متعديا له فاما قوله عليه السلم ليس منا فقد قيل فيه
انه لا يكون على اخلاقنا واستشهد ببيت النابغة . اذا حاولت في اسد
فجورا . فاني لست منك ولست مني . وقيل انه اراد ليس على ديننا وهذا
الوجه لا يليق الا بجوابنا الذي اخترناه وهو بعد بجواب ابي عبيد اليق
لانه محال ان يخرج عن دين النبي ص ومثله من لم يحسن صوته بالقران
ويرجع فيه او من لم يلتذذ بتلاوته ويستحلها مسئلة اعلم ان اصحابنا
قد اعتمدوا في ابطال ما ظنه اصحاب الرؤية في قوله تعالى وجوه يومئذ
ناضرة الى ربها ناظرة . على وجوه معروفة لانهم بينوا ان النظر ليس يفيد
الرؤية ولا الرؤية من احد محتملاته ودلوا على ان النظر ينقسم الى اقسام

كثيرة منها الخد قد الصحيح تقليب حال المرى طلبا لرؤيته ومنها النظر الذى هو الانتظار
ومنها النظر الذى هو التعطف والرحمة ومنها النظر الذى هو الفكر والتامل
وقالوا اذا لم يكن فى اقسام النظر الرؤية لم يكن للقوم بظاهرها تعلق واحتجنا جميعا
الى طلب تاويل الاية من غير جهة الرؤية وتاولها بعضهم على الانتظار للثواب
وان كان المنتظر فى الحقيقة محذوفا والمنتظر منه مذكورا على عادة للعرب معروفة
وسلم بعضهم ان النظر يكون الرؤية بالبصر وحمل الاية على رؤية اهل الجنة لنعم الله
عليهم على سبيل حذف المرى فى الحقيقة وهذا الكلام مشروح فى مواضعه وقد
بينا ما يورد عليه وما يجاب عن الشبه المعترضة فيه فى مواضع كثيرة وهيهنا
وجه غريب فى الاية يحكى عن بعض المتاخرين لا يفتقر معتمده الى العدول عن (الصاحب ابن عباد)
الظاهر او الى تقدير محذوف ولا يحتاج الى منازعتهم فى ان النظر يحتمل الرؤية
او لا يحتملها بل يصح الاعتماد عليه سواء كان النظر المذكور فى الاية هو الانتظار
بالقلب ام الرؤية بالعين وهو ان يحمل قوله تعالى الى ربها ناظرة على انه اراد به
نعمة ربها لان الالاء النعم وفى واحدها اربع لغات يقال الى مثل قفا والى مثل
رمى والى مثل معى والى مثل حسى قال اعشى بكر بن وايل . ابيض لا يرهب
الهزال ولا . يقطع رحما ولا يخون الى . اراد به لا يخون نعمة . فاراد الى ربها
نعم ربها . واسقط التنوين للاضافة فان قيل اى فرق بين هذا الوجه وبين تاويل (جنات النعيم ابن عربي)
من حمل الاية على انه اريد بها الى ثواب ربها ناظرة يعنى رائية لنعمه وثوابه
قلنا هذا الوجه لا يفتقر الى محذوف لانه اذا جعل الى حرف ولم يعلقها بالرب تعالى
فلا بد من تقدير محذوف فى الجواب الذى ذكرناه لا يفتقر الى تقدير محذوف لان
الى فيه اسم يتعلق به الرؤية فلا نحتاج الى تقدير غيره المجلس الرابع تاويل اية
ان قال قايل ما تاويل قوله تعالى . وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل
الرجس على الذين لا يعقلون . فظاهر هذا الكلام يدل على ان الايمان انما كان
لهم فعله باذنه وامره وليس هذا مذهبكم فان حمل الاذن هيهنا على الارادة اقتضى

ان من لم

ان من لم يقع منه الايمان لم يرده الله تعالى منه وهذا ايضا صحيح بخلاف قولكم
ثم جعل الرجس الذى هو العذاب على الذين لا يعقلون ومن كان فاقدا
عقله لا يكون مكلفا فكيف يستحق العذاب وهذا بالضد من الخبر المروى عن النبى صلعم
انه قال اكثر اهل الجنة البله الجواب يقال له فى قوله الا باذن الله وجوه
منها ان يكون الاذن الامر ويكون معنى الكلام ان الايمان لا يقع من احد الا بان الله (بعد ان)
فيه ويامر به ولا يكون معناه ما ظنه السايل من انه لا يكون للفاعل فعله الا
باذنه ويجرى هذا مجرى قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله
ومعلوم ان معنى قوله ليس لها فى هذه الايه هو ما ذكرناه وان كان الاشبه
فى الاية التى ذكر الموت ان يكون المراد بالاذن العلم ومنها ان يكون الاذن
هو التوفيق والتيسير والتسهيل ولا شبهة فى ان الله تعالى يوفق لفعل الايمان
ويلطف فيه ويسهل السبيل اليه ومنها ان يكون الاذن العلم من قولهم
اذنت لكذا وكذا اذا استمعته وعلمته واذنت فلانا بكذا وكذا اذا علمته فتكون
فايدة الاية الاخبار عن علمه تعالى بساير الكاينات وانه ممن لا يخفى عليه الخفيات (وانه لا يخفى)
وقد انكر بعض من لا بصيرة له ان يكون الاذن بكسر الالف وتسكين الدال عبارة
عن العلم وزعم ان الذى هو العلم الاذن بالتحريك واستشهد بقول الشاعر
. ان همى فى السماع واذن . وليس الامر على ما توهمه هذا المتوهم لان الاذن (اذن باذن اذنا اذا علم / واذن باذن اذنا اذا امر)
هو المصدر والاذن هو اسم الفعل ويجرى مجرى الحذر فى انه مصدر والحذر
بالتسكين الاسم على انه لو لم يكن مسموعا الا الاذن بالتحريك لجاز التسكين
مثل مثل ومثل وشبر وشبه ونظاير ذلك كثيرة ومنها ان يكون الاذن
العلم ومعناه اعلام الله تعالى المكلفين بفضل الايمان وما يدعو الى فعله فيكون
معنى الاية وما كان لنفس ان تؤمن الا باعلام الله تعالى لها وما يبعثها على الايمان
ويدعوها الى فعله واما ظن السايل دخول الارادة فى محتمل اللفظ فباطل
لان الاذن لا يحتمل الارادة فى اللغة ولو احتملها ايضا لم يجب ما توهمه

لانه اذا قال ان الايمان لم يقع الا وانا مريد له لم ينف ان يكون مريدًا لما لم يقع وليس يجي في صريح الكلام ولا دلالته شي من ذلك فاما قوله تعالى ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون فلم يعن به الناقصي العقول وانما اراد تعالى الذين لم يعقلوا ولم يعلموا ما وجب عليهم علمه من معرفة خالقهم تعالى والاعتراف بنبوة رسله عليهم السلم والانقياد الى طاعتهم ووصفهم بانهم لا يعقلون تشبيها كما قال الله تعالى صم بكم عمي وكما يصف بعضنا من لم يفطن لبعض الامور او لم يعلم ما هو مامور بعلمه بالجنون وفقد العقل فاما الحديث الذي اورده السايل شاهدا له فقد قيل فيه انه صلى الله عليه وآله لم يرد بالبله ذوي الغفلة والنقص والجنون وانما اراد البله عن الشر والقبيح وسماهم بلها عن ذلك من حيث لا يستعملونه ولا يعتادونه لا من حيث فقدوا العلم به ووجه تشبيه من هذه حاله بالابله ظاهر فان الابله عن الشي هو الذي لا يعرض له ولا يقصد اليه فاذا كان المتنع عن الشر معرضا عنه هاجرا لفعله جاز ان يوصف بالبله للفايدة التي ذكرناها ويشهد بصحة هذا التاويل قول الشاعر. ولقد لهوت بطفلة ميالة. بلهاء تطلعني على اسرارها. اراد انها بلهاء عن الشر والريبة. وان كانت فطنة لغيرهما. وقال ابو النجم العجلي. من كل عجزاء سقوط البرقع. بلهاء لم تحفظ ولم تضيع. اراد بالبلهاء ما ذكرناه فاما قوله سقوط البرقع فاراد انها تبرز وجهها ولا تستره ثقة بحسنها وادلالا بجمالها وقوله لم تحفظ اراد استقامة طرايقها تغني عن حفظها وانها لعفافها ونزاهتها غير محتاجة الى مسدد وموقف وقوله ولم تضيع اراد انها لم تهمل في اغذيتها وتنعيمها وترفيهها فتتشقف ومثل سقوط البرقع قول الشاعر. فلما توافقنا وسلمت اقبلت. وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا. ومثله ايضا بها شرف من زعفران وعنبر. اطارت من الحسن الردا المحبرا. اي رمت منها ثقة بالجمال والكمال ومثله وهو مليح. لهونا بمنجول البراقع حقبة. فما بال دهر لزنا بالوصاوص. اراد بمنجول

البراقع اللواتي يوسعن عيون براقعهن ثقة بحسنهن ومنه الطعنة النجلاء والعين النجلاء ثم قال فما بال دهر احوجنا واضطرنا الى القباح اللواتي يضيقن عيون براقعهن لقبحهن والوصاوص هي الثقب الصغار في البراقع ومما يشهد للمعنى الاول الذي هو الوصف بالبله لا بمعنى الغفلة قول ابن الدميه. باهلي ومالي من اذا عرض واله. ببعض الاذى لم يدر كيف يجيب. ولم يعتذر عذر البري ولم تزل. به ضعفة حتى يقال مريب. ومثله ايضا احب اللواتي في صباهن غرة. وفيهن عن ازواجهن طماح. مسرات حب مظهرات عداوة تراهن كالمرضى وهن صحاح. ومثله يكتبين الينجوج في كبد المشتى. وبله احلامهن وسام. واما قوله يكتبين ماخوذ من لفظ الكبا وهو العود اراد يبخرن به والينجوج هو العود ايضا وفيه ست لغات ينجوج وانجوج ويلنجوج والنجوج ويلنجج والنجج واما كبد المشتى فهو ضيقه وشدته ومنه قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد وقد روي في كبة المشتى والمعنى متقارب لان الكبة هي الصدمة والحملة ماخوذ من كبة الخيل فاما الوسام فهو الحسان من الوسامة وهي الحسن ويمكن ان يكون في البله جواب آخر وهو ان تحمله على معنى البله الذي هو الغفلة والنقصان في الحقيقة ويكون معنى الخبر ان اكثر اهل الجنة الذين كانوا بلها في الدنيا فعندنا ان الله تعالى ينعم الاطفال في الجنة والمجانين والبهايم وانما لم يجعلهم بلها في الجنة وان كان ما يصل اليهم من النعيم على سبيل العوض والتفضل لا يفتقر الى كمال العقل لان الخبر ورد بان الاطفال والبهايم اذا دخلوا الجنة لم يدخلوها الا وهم على افضل الحالات واكملها فلهذا صرفنا عنهم البله في الجنة ورددناه الى احوال الدنيا والا فالعقل لا يمنع من ذلك كمنعه اياه في باب الثواب والعقاب تاويل آخر قال الله تعالى مخبرا عن يوم القيمة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نوخره الا لاجل معدود يوم ياتي لا تكلم نفس الا باذنه وقال في موضع اخر هذا يوم

لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون . وقال في موضع اخر فاقبل بعضهم
على بعض يتلاومون وظاهر هذه الايات اختلاف لان بعضها ينبئ عن ان
النطق لا يقع منهم في ذلك اليوم ولا يؤذن لهم فيه وبعضها ينبئ عن خلافه
قال قوم من المفسرين في تاويل هذه الايات ان يوم القيمة يوم طويل ممتد
فقد يجوز ان يمنعوا النطق في بعضه وفي موضع اخر يؤذن لهم وهذا الجواب ضعيف
لان الاشارة الى يوم القيمة بطوله فكيف يجوز ان تجعل الحالات فيه مختلفة
وعلى هذا التاويل يجب ان يكون قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون في بعضه والظاهر
بخلاف ذلك والجواب السديد عن هذا ان يقال انما اراد الله تعالى نفي النطق
المسموع المقبول الذي ينتفعون به ويكون لهم في مثله عذر او حجة ولم ينف
النطق الذي ليست هذه حاله ويجري هذا مجرى قولهم خرس فلان عن حجته
وحضرنا فلانا يناظر فلم يقل شيئا وان كان الذي وصف بالخرس عن الحجة والذي
نفي عنه القول قد تكلم بكلام كثير غزير الا انه من حيث لم يكن فيه حجة ولا به
منفعة جاز اطلاق القول الذي حكيناه عليه ومثل هذا قول الشاعر . اعمى اذا
ما جارتي خرجت . حتى يواري جارتي الخدر . ويصم عما كان بينهما سمعي . وما
بي غير وقر وقول الاخر لقد طال كتمانيك حتى كانني . برد جواب السائل عنك
اعجم . وعلى هذا التاويل قد زال الاختلاف لان التساول والتلاوم لا حجة فيه
فاما قوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون فقد قيل فيه انهم غير مامورين
بالاعتذار فكيف يعتذرون ويحمل الاذن على الامر وانما لم يؤمروا به من حيث
كانت تلك الحال لا تكليف والعباد ملجئون عند مشاهدة احوالها الى الاعتراف
والاقرار واحسن من هذا التاويل ان يحمل يؤذن لهم على معنى انه لا يستمع لهم
ولا يقبل عذرهم والعلة في امتناع قبول عذرهم هي التي ذكرناها تاويل خبر
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وقد ذكر قوم
في تاويل هذا الخبر ان المراد به لا تسبوا الدهر فانه لا فعل له وان الله مصرفه

ومدبره

ومدبره فحذف من الكلام ذكر المصرف والمدبر وقال هو الدهر وفي هذا الخبر وجه هو
احسن من الذي حكيناه وهو ان الملحدين ومن نفى الصانع من العرب كانوا ينسبون
ما ينزل بهم من افعال الله تعالى كالمرض والعافية والجدب والخصب والبقاء والفناء
الى الدهر جهلا منهم بالصانع جلت عظمته ويذمون الدهر ويسبونه في كثير
من الاحوال من حيث اعتقدوا انه الفاعل بهم هذه الافعال فنهاهم النبي صلى الله عليه واله
عن ذلك وقال لهم لا تسبوا من فعل بكم هذه الافعال ممن تعتقدون انه هو
الدهر فان الله تعالى هو الفاعل لهذه الافعال وانما قال ان الله هو الدهر من حيث
نسبوا الى الدهر افعال الله تعالى وقد حكى الله تعالى عنهم قوله . ما هي الا
حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وقال لبيد . في قروم
سادة من قومه . نظر الدهر اليهم فابتهل . اي دعى عليهم وقال عمرو بن قميئة
. كاني وقد جاوزت تسعين حجة . خلعت بها عني عذار لجامي . على الراحتين
مرة وعلى العصا . انوء ثلثا بعدهن قيامي . رمتني بنات الدهر من حيث لا ارى
فكيف بمن يرمى وليس برامي . فلو انها نبل اذا لاتقيتها . ولكنني ارمى بغير
سهامي . اذا ما رآني الناس قالوا الم تكن . حديثا حديد الطرف غير كهام
وافنى وما افنى من الدهر ليلة . ولم يغن ما افنيت سلك نظام . واهلكني
تامل يوم وليلة . وتامل عام بعد ذاك وعام . وقال الاصمعي ذم اعرابي
رجلا فقال هو اكثر ذنوبا من الدهر وانشد الفراء . حنتني حانيات الدهر حتى
كاني خاتل ادنو لصيد . قصير الخطو يحسب من راني . ولست مقيدا اني
بقيد . وقال كثير وكنت كذي رجلين رجل صحيحة . واخرى رمى فيها الزمان فشلت
وقال آخر فاستاثر الدهر الغداة بهم . والدهر يرميني وما ارمي .
يا دهر قد اكثرت فجعتنا . بسراتنا ووقرت في العظم . وسلبتنا ما لست تعقبنا .
يا دهر ما انصفت في الحكم واما قوله ووقرت في العظم فانما اراد به اتخذت فيه
وقرا او قيرا والوقر الحفرة العظيمة تكون في الصفا يستنقع فيها ماء المطر والوقب

ايضا كذلك والوقيرة هي ايضا الحفيرة الا انها دون الاولتين في الكبر وكل
هؤلاء الذين روينا اشعارهم نسبوا افعال الله تعالى التي لا يشاركه فيها غيره
الى الدهر فحسن وجه التاويل الذي ذكرناه مسئلة اعلم ان المنافع التي عوض
الله تبارك وتعالى الاحياء لها ثلث منفعة تفضل منفعة عوض ومنفعة ثواب فاما
المنفعة على سبيل التفضل فهي الواقعة ابتداء من غير سبب استحقاق و
لفاعلها ان يفعلها وله ان لا يفعلها واما منفعة العوض فهي المنفعة المستحقة
من غير مقارنة شيء من التعظيم والتبجيل المصاحبين له فكان التفضل اصل سائر
المنافع من حيث يجب تقدمه وتاخر ما عداه لانه لا سبيل للمنتفع ان ينتفع بشيء
دون ان يكون حيا له شهوة والابتداء بخلق الحيوة والشهوة تفضل فقد صح
انه لا سبيل الى النفع بمنفعة العوض والثواب الا بعد تقدم التفضل
فاما المنفعة بالثواب فهي الاصل للمنفعة بالعوض لان الالام او ما جرى
مجرى الالام مما يستحق به العوض متى لم يكن فيها اعتبار يفضي الى الثواب
ويستحق به لم يحسن فعلها وجرى عندنا مجرى العبث ولهذا نقول ان الله
تبارك وتعالى لو لم يكلف احدا من المكلفين ما كان يحسن منه ان يبتدى با
بالالام وان عوض عليها والاحياء على ضروب فمنهم من عرض للمنافع الثلث
ومنهم من عرض لاثنتين ومنهم من عرض لواحدة فالمكلف المعرض للثواب
لا بد ان يكون منفوعا بالتفضل من الوجه الذي قلنا لانه اذا خلق حيا
وفعل له القدرة والشهوة والعقل وضروب التمكين فقد نفع بالتفضل
وليس يجب في من هذه حاله ان يكون منفوعا بالعوض لانه لا يمتنع ان يخلو
المكلف منا من الم يبتدئه الله به فلا يكون معرضا للعوض فمتى عرض له فقد
تكاملت فيه المنافع فصار المكلف مقطوعا على تعريضه لاثنتين من المنافع
ويجوز ان تكامل الثلاث له فاما من ليس بمكلف فمقطوع فيه على احد المنافع وهي
التفضل من حيث خلق حيا ومكن من كثير من المنافع ومشكوك في تعريضه

للعوض

وأما منفعة الثواب فهي المستحقة على وجه التعظيم والتبجيل فمنفعة العوض تبين من التفضل بالاستحقاق والثواب يبين من العوض بالتعظيم والتبجيل

علته

في تعريضه للعوض من الوجه الذي بينا كما قطعنا على احدى المنافع فيه فنحن قاطعون
ايضا على نفي التعريض للثواب عنه لفقد ما يوصل اليه وهو التكليف ولا بد
في كل حي يحدث ان يكون معرضا لاحدى هذه المنافع او لجميعها وانما اوجبنا
ذلك من جهة حكمة القديم تعالى لا من جهة انه ليس بمستحيل في نفسه قلنا انه يستحيل
ليس يستحيل في نفسه لان كونه حيا وعاقلا وذا شهوة وقدرة ليس منفعة بنفسه
وانما يكون منفعة ونعمة اذا فعل تعريضا للنفع فاما اذا فعل تعريضا للضرر او لا
لوجه من الوجوه فانه لا يكون نعمة ولا منفعة وانما اوجبناه للنفع من جهة حكمة القديم
لانه اذا جعل الحي بهذه الصفات فلا يخلو من ان يكون اراد بها نفعه او ضرره او لم يرد
شيئا فان كان الاول فهو الذي اوجبناه وان كان الثاني والثالث فالقديم تعالى
منزه عنهما لان الاول يجري مجرى الظلم والثاني هو العبث بعينه وقد يشارك
القديم في النفع بالتفضل والعوض الفاعلون المحدثون ولا يصح ان يشاركوه في النفع
الثواب لان الصفة التي يستحق المكلف لكونه عليها الثواب وهي كون الفعل شاقا
عليه لا يكون الا من قبله تعالى وليس لاحد ان يظن في من يهدي الى الدين
ويرشد الى الايمان وما يستحق به الثواب انه معرض للثواب وذلك لان
المكلف يكون معرضا للثواب ويصح ان يستحقه من دون كل هداية وارشاد
يقع منا ولولا الصفة التي جعله الله تعالى عليها لم يصح ان يستحقه فبان الفصل
بين الامرين على ان احدنا وان نفع غيره بالتفضل وبالتعريض للعوض فهذه
المنافع منسوبة الى الله تعالى ومضافة اليه لا من قبل انه لولا نعمه ومنافعه
لم تكن هذه منافع ولا نعما الا ترى انه لو لم يخلق الله الحيوة والشهوة لم يكن
ما يوصل اليهما مما ذكرناه منفعة ولا نعمة ولو لم يخلق المشتهى الملذ وذ
لم يكن لنا سبيل الى النفع والانعام فبان بهذه الجملة ما قصدناه المجلس
الخامس ان سئل سائل فقال ما تاويل قوله تعالى مخبرا عن مهلك قوم فرعون
وتوريثه نعمهم كذلك واورثناها قوما اخرين فما بكت عليهم السماء

وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ وكيف يجوز ان يضيف البكاء اليهما وهو لا يجوز في الحقيقة
عليهما الجواب يقال له في هذه الاية وجوه اربعة من التاويل اولها انه تعالى اراد
اهل السماء والارض فحذف كما حذف في قوله وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ويجري مجرى
ذلك في قوله تعالى حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا واراد اهل القرية واصحاب الحرب
ويجري مجرى ذلك قولهم السخا حاتم يريدون السخاء سخاء حاتم وقال الحطيئة وشر
المنايا ميت وسط اهله . كهلك الفتى قد اسلم الحي حاضر . اراد شر المنايا منية ميت
وقال الاخر قليل عيبه والعيب جم . ولكن الغنى رب غفور وقال ذو الرمة
لهم مجلس صهب السبال اذلة . سواسية احرارها وعبيدها . اراد اهل المجلس
فاما قوله صهب السبال فانما اراد به الاعداء والعرب تصف الاعداء بذلك وان
لم يكونوا اصهب الاسبلة وقوله سواسيه يريد انهم مستوون متشابهون
ولا يقال هذا الا في الذم وثانيها انه تعالى اراد المبالغة في وصف القوم بصغر
القدر وسقوط المنزلة لان العرب اذا اجزت عن عظم المصايب بالهلك قالت
كسفت الشمس لفقده واظلم القمر وبكاه الليل والنهار والسماء والارض يريدون
بذلك المبالغة في عظم الامر وشمول ضرره قال جرير في عمر بن عبد العزيز
الشمس طالعة ليست بكاسفة . تبكي عليك نجوم الليل والقمرا وقال مرع الحميري
الريح تبكي شجوها . والبرق يلمع في الغمامه . وهذا صنيعهم في وصف كل امرئ
جل خطبه وعظم موقعه . فيصفون النهار بالظلام . وان الكواكب طلعت نهارا .
لفقد نور الشمس وضوءها . قال النابغة . تبدو كواكبه والشمس طالعة
لا النور نور ولا الاظلام اظلام . وقال طرفه . ان تنوله فقد تمنعه .
وتريه النجم يجري بالظهر . ومن هذا قولهم لارينك الكواكب بالنهار معناه
اني اورد عليك ما يظلم له في عينك النهار فتظنه ليلا ذا كواكب فاما بيت جرير
فقد قيل في انتصاب النجوم والقمر وجوه ثلثة احدها ان اراد ان الشمس
طالعة وليست مع طلوعها كاسفة نجوم الليل والقمر لان عظم الرزية قد سلبها

ضوءها فلم يناف طلوعها ظهور الكواكب والوجه الثاني ان يكون انتصاب ذلك
كما ينتصب في قولهم لا اكلمك الابد والدهر وطول المسند وما جرى مجرى ذلك
فكانه اخبر بان الشمس تبكيه ما طلعت النجوم وظهر القمر والوجه الثالث
ان يكون القمر ونجوم الليل باكين الشمس على هذا المرثي فبكتهن اي غلبتهن
بالبكاء كما يقال باكاني عبد الله فبكيته وكاثرني فكثرته اي غلبته وفضلت عليه
وثالثها ان يكون معنى الاية الاخبار عن انه لا احد اخذ بثارهم ولا انتصر
لان العرب كانت لا تبكي على قتيل حتى تاخذ بثاره وتقتل من كان بوا به من عشيرة
القاتل فكنى تعالى بهذا اللفظ عن فقد الانتصار والاخذ بالثار على مذهب
القوم الذين خوطبوا بالقران ورابعها ان يكون ذلك كناية عن انه لم يكن
لهم في الارض عمل صالح يرفع منها الى السماء ويطابق هذا التاويل على ما روي
عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ قيل
له او تبكيان على احد فقال نعم مصلاه في الارض ومصعد عمله في السماء وروى
انس ابن مالك عن النبي صلعم انه قال ما من مومن الا وله باب يصعد منه عمله
وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه ومعنى البكاء ههنا الاخبار
عن الاختلال بعده كما يقال بكى منزل فلان بعده قال ابن مقبل . لعمر ابيك
لقد شاقني . مكان حزنت له او حزن وقال مزاحم العقيلي بكت دارهم
من اجلهم فتهللت . دموعي فاي الجازعين الوم . امستعبرا يبكي على الهون
والبلى . واخر يبكي شجوه ويهيم . فاذا لم يكن لهؤلاء القوم الذين اخبر الله
عن بوارهم مقام صالح في الارض ولا عمل كريم يرفع الى السماء جاز ان يقال
فما بكت عليهم السماء والارض ويمكن في الاية وجه خامس وهو ان يكون
البكى فيها كناية عن المطر والسقيا لان العرب تشبه المطر بالبكاء ويكون
معنى الاية ان السماء لم تسق قبورهم ولم تجد عليهم بالقطر على مذهب العرب
المعروف في ذلك لانهم كانوا يستسقون السحاب لقبورهم من فقدوه من عزائهم

ويستنبتون لمواقع حفرهم الزهر والرياض وقال النابغة. فلازال قبر
بين تبنى وجاسم. عليه من الوسمي طل ووابل. فينبت حوذانا وعوفا منورا.
سأتبعه من خير ما قال قائل. وكانوا يجرون هذا الدعاء مجرى الاسترحام ومسألة الله لهم
الرضوان والفعل الذي اضيف الى السماء وان كان لا يجوز اضافته الى الارض فقد
يصح عطف الارض على السماء بان يقدر فعل يصح نسبه اليها والعرب تفعل مثل
هذا قال الشاعر. ياليت زوجك في الوغا. متقلدا سيفا ورمحا. فعطف
الرمح على السيف وان كان التقلد لا يجوز فيه لكنه اراده حاملا رمحا ومثل هذا
يقدر في الاية فيقال انه تعالى اراد ان السماء لم تسق الا قبورهم وان الارض
لم تعشب عليهم وكل هذا كناية عن حرمانه رحمة الله تعالى ورضوانه تاويل خبر
روى ابو هريرة عن النبي صلعم انه قال ان احب الاعمال الى الله عز وجل ادومها
وان قل فعليكم من الاعمال بما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وفي صفته
الله تعالى بالملل وجوه اربعة اولها اراد نفي الملل عنه وانه لا يمل ابدا
فعلقه بما لا يقع على سبيل التبعيد كما قال الله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل
في سم الخياط وقال الشاعر. فانك سوف تحكم او تناهى. اذا ما شبت او شاب
الغراب. اراد انك لا تحكم ابدا فان قيل من اين قلتم ان ما علقه به لا يقع حتى
حكمتم بانه اراد نفي الملل على سبيل التابيد قلنا معلوم ان الملل لا يشتمل
البشر في جميع ارائهم واوطارهم لانهم لا يعرون من حرص ورغبة وامل وطمع
فلهذا جاز ان يعلق ما علم تعالى انه لا يكون بمللهم والثاني ان يكون المعنى انه
لا يغضب عليكم ويطرحكم حتى تتركوا العمل له وتعرضوا عن سؤاله والرغبة
في حاجاتكم الى جوده فسمى الفعلين مللا وان لم يكونا على الحقيقة كذلك على
مذهب العرب في تسميتها الشيء باسم غيره اذا وافق معناه من بعض الوجوه
قال عدي بن زيد العبادي. ثم اضحوا لعب الدهر بهم. وكذاك الدهر يودي
بالرجال وقال عبيد بن الابرص الاسدي سائل بنا حجر بن ام قطام اذ. ظلت به السمر

الذوايل

الذوايل تلعب. فنسب اللعب الى الدهر والقنا تشبيها وقال ذو الرمة. وابيض
موشي القميص نصبته. على خصر مقلات سفيه جديلها. فسمى اضطراب
زمامها وشدة تحركها سفها لان السفه في الاصل هو الطيش وسرعة الاضطراب
والحركة وانما وصف ناقته بالذكا والنشاط فاما قوله وابيض موشي القميص
فانما عنى به سيفه وقميصه جفنه والمقلات الناقة التي لا يعيش لها ولد والوجه
الثالث ان يكون المعنى ان الله تعالى لا يقطع عنكم فضله واحسانه حتى تملوا
من سؤاله ففعلهم ملل على الحقيقة وسمى فعله تعالى مللا وليس بملل على
الحقيقة للازدواج ومشاكلة اللفظتين في الصور وان اختلفتا في المعنى
ومثل هذا قوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
وجزاء سيئة سيئة مثلها ومثله قول الشاعر وهو عمرو بن كلثوم
التغلبي. الا لا يجهلن احد علينا. فنجهل فوق جهل الجاهلينا.
وانما اراد المجازات على الجهل لان العاقل لا يفخر بالجهل ولا يمتدح به
والوجه الرابع ان يكون الراوي وهم وغلط من الضم الى الفتح وان يكون قوله
يمل بالضم لا بالفتح وعلى هذا يكون له معنيان احدهما انه لا يمل قبحكم بالنار
حتى تملوا من عبادته وتعرضوا عن طاعته لان الملة هي مشتوى الخبز
يقال مل الرجل الخبز وغيرها يملها اذا اشتواها في الملل وقيل ان الجمل لا يقال
لملة حتى يخالطه رماد والمعنى الثاني ان يكون اراد انه لا يسرع الى اعقابكم
بل يحلم عنكم ويتانى بكم حتى تملوا حلمه وتستعجلوا عذابه بركوبكم المحارم
وتتابعكم في المآثم روي انه قيل للفرزدق هل حسدت احدا على شيء من الشعر
فقال لم احسد احدا على شيء منه الا ليلى الاخيلية في قولها. ومخرق
عنه القميص تخاله. بين البيوت من الحياء سقيما. حتى اذا برز اللواء
رايته. تحت اللواء على الخميس زعيما. لا تقربن الدهر آل مطرف.
لا ظالما ابدا ولا مظلوما وقال علي ابن الرومي انى قلت وركبكان الريح تطلب عندهم

لمات من جد بها بالعصايب . سروا يخبطون الليل وهي تلفهم . الى شعب الاكوار
من كل جانب . اذا ابصروا نارا يقولون ليتها . وقد حضرت ايديهم نار غالب و
ليس ابيات الفرزدق بدون ابيات ليلى بل هي اجزل الفاظا واشد اسرا الا ان ابيات
ليلى اطبع وانصع وقد كان الفرزدق مشهورا بالحسد على الشعر والاستكثار لقليله
والافراط في استحسان مستحسنه وقد روى ان الكميت بن زيد الاسدي لما
عرض على الفرزدق ابياتا من قصيدته التي اولها . انصرم اليوم حبل الشيب
ام تصل . وكيف والشيب في فوديك مشتعل . لما عبات لقوس المجد سهمها .
حيث الجدود على الاحساب تنتضل . اجرر من عشرها وواحدة . فلا العمى لك من داء
ولا الشلل . الشمس ادتك الا انها امراة . والبدر اداك الا انه رجل .
يعني ان اباك البدر وامك الشمس حسده الفرزدق فقال له انت خطيب
وانما سلم له الخطابة ليخرجه عن اسلوب الشعر ولما بهره حسن الابيات وافرط
بها اعجابه ولم يتمكن من دفع فضلها جملة عدل في وصفها الى معنى الخطابة
وحسد الفرزدق واعجابه بالجيد من ادل دليل على حسن نقده له وقوة بصيرته
فيه وان كان يطرب للجيد منه فضل طرب ويعجب منه فضل عجب ويدل ايضا
على انصافه فيه وانه مستقل للكثير الصادر من جهته فان كثيرا من الناس
قد يبلغ بهم الهوى في الاعجاب والاستحسان لما يظهر منهم من شعر او فضل
الى ان يعموا عن محاسن غيرهم فيستقلوا منهم الكثير ويستصغروا الكبير ولابيات
الفرزدق خبر مشهور متداول اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال دخل الفرزدق
على سليمان بن عبد الملك ومعه نصيب الشاعر فقال له سليمان انشدني
فانشده الابيات التي تقدم ذكرها فاسود وجه سليمان وغاظه فعله وكان
يظن انه ينشده مديحا فلما راى نصيب ذلك قال الا انشدك فانشده
اقول لركب قافلين لقيتهم . قفا ذات اوشال ومولاك قارب . قفوا خبروني
عن سليمان انني . لمعروفه من ذات ودان طالب . فعاجوا فاثنوا بالذي

انت اهله . ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب . فقال له سليمن انت اشعر اهل جلدتك
وفي بعض الاخبار ان الفرزدق قال ذلك في نصيب لما ساله عنه سليمن وروي
ايضا انه لما انشد نصيب ابياته قال له سليمن احسنت ووصله ولم يصل الفرزدق
فخرج الفرزدق وهو يقول . وخير الشعر اكرمه رجالا . وشر الشعر ما قال العبيد
ولا شبهة في ان ابيات الفرزدق مقدمة في الجزالة والرصانة على ابيات نصيب وان
كان نصيب قد اغرب وابدع في قوله . ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب . الا ان
ابيات نصيب وقعت موقعها ووردت في حال تليق بها وابيات الفرزدق جاءت
في غير وقتها وعلى غير وجهها فلهذا قدمت ابيات نصيب والفرزدق مع تقدمه
في الشعر وبلوغه الى الذروة العليا والغاية القصوى شريفا لاباء كريم البيت له
ولابائه ماثر لا تدفع ومفاخر لا تجحد والفرزدق لقب به وليس باسمه وانما لقب
بذلك لجهامة وجهه وغلظه لان الفرزدق هي القطعة الضخمة من العجين وقيل
انها الخبزة الغليظة التي تتخذ منها النساء الفتوت واسمه همام بن غالب وكنيته
ابو فراس وقيل انه كان يكنى في شبابه بابي مكية وهي اعرب كنيته وكان شيعيا
مائلا الى بني هاشم ونزع في اخر عمره عما كان عليه من القذف والفسق وراجع
طريقة الدين على انه لم يكن في خلال فسقه منسلخا من الدين جملة ولا مهملا لامره
اصلا ومما يشهد له بذلك ما اخبرنا به علي بن محمد الكاتب عن ابي بكر محمد بن
يحيى الصولي عن ابي حفص الفلاس عن عبد الله بن سوار عن معوية ابن عبد الكريم
عن ابيه قال دخلت على الفرزدق فجعلت احادثه فسمعت صوت حديد
يتقعقع فتاملت الامر فاذا هو مقيد الرجل فسالته عن السبب في ذلك فقال لي
اني اليت على نفسي ان لا انزع القيد من رجلي حتى احفظ القران واخبرنا ابو
عبد الله المرزباني قال اخبرني ابو نزار القراطيسي قال حدثنا ابن ابي الدنيا قال
حدثني الرياشي عن الاصمعي عن سلام بن مسكين قال قيل للفرزدق علام
تقذف المحصنات فقال والله لله احب الي من عيني هاتين افتراه يعذبني بعدها

ورُوي انه تعلّق باستار الكعبة وعاهد الله تعالى على ترك الهجا والقذف الذين
كان ارتكبهما وقال . الم ترني عاهدت ربي وانني . لبين رتاج قايم ومقام
على حلفة لا اشتم الدهر مسلما . ولا خارجا من في زور كلام . اطعتك يا ابليس (اشتم)
سبعين حجة . فلما انقضى عمري وتم تمامي . فررت الى ربي وايقنت انني .
ملاق لايام الحتوف حمامي ورُوي الصولي عن الحسين بن الفياض عن ادريس
بن عمران قال جاءني الفرزدق فتذاكرنا رحمة الله وسعتها فكان اوثقنا بالله
فقال له رجل الك هذا الرجا والمذهب وانت تقذف المحصنات وتفعل ما
تفعل فقال اترونني لو اذنبت الى ابوي اكانا يقذفانني في تنور وتطيب
انفسهما بذلك قلنا لا بل كانا يرحمانك فقال انا والله برحمة ربي اوثق مني برحمتهما
واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن ابرهيم قال حدثنا عبد الله
بن ابي سعيد الوراق قال حدثني محمد بن محمد بن سليمن الطفاوي قال حدثني
ابي عن جدي قال شهدت الحسن البصري في جنازة النوار امراة الفرزدق وكان
الفرزدق حاضرا فقال له الحسن وهو عند القبر يا ابا فراس ما اعددت
لهذا المضجع قال شهادة ان لا اله الا الله منذ ثمانين سنه فقال له الحسن
هذا العمود فاين الطنب وفي رواية اخرى انه قال نعم ما اعددت ثم قال
الفرزدق . في الحال اخاف وراء القبر ان لم يعافني . اشد من الموت التهابا واضيقا
اذا جاءني يوم القيمة قايد . عنيف وسواق يسوق الفرزدقا . لقد خاب
من اولاد آدم من مشى . الى النار مغلول القلادة ازرقا . يقاد الى نار الجحيم مسربلا (مشدود)
سرابيل قطران لباسا محرقا . قال فرايت الحسن يدخل بعضه في بعض ثم
قال حسبك ويقال ان رجلا راى الفرزدق بعد موته في منامه فقال
ما فعل ربك بك قال عفا عني بتلك الابيات فاما يدل على تشيعه وميله
الى بني هاشم مما اخبرنا به ابو عبد الله المرزباني قال حدثني عمر بن داود
العماني قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا مهدي بن سابق

قال

قال حدثنا ابو لبيد قال جاء الكميت الى الفرزدق فقال يا عم اني قد قلت قصيدة
اريد ان اعرضها عليك فقال له قل فانشد . طربت وما شوقا الى البيض اطرب
فقال له الفرزدق الى من طربت ثكلتك امك قال . ولا لعبا مني وذو الشيب
يلعب . ولم تلهني دار ولا رسم منزل . ولم يتطربني بنان مخضب . فقال له الى
من طربت فقال . ولا انا ممن يزجر الطير همه . اصاح غراب ام تعرض ثعلب . ولا
السانحات البارحات عشية . امر سليم القرن ام مر اعضب . ولكن الى اهل الفضائل والنهى (فقال له من طربت لا ام لك فقال الكميت)
وخير بني حواء والخير يطلب . فقال له الفرزدق هؤلاء بنو دارم فقال الكميت
الى النفر البيض الذين بحبهم . الى الله فيما نابني اتقرب . فقال له الفرزدق هؤلاء
بنو هاشم فقال الكميت . بني هاشم رهط النبي فانني بهم ولهم ارضى مرارا واغضب
فقال الفرزدق والله لو جزتهم الى سواهم لذهب قولك باطلا ومما يشهد لذلك
ما اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا الحسين بن محمد قال حدثني جدي يحيى
علي بن الحسن العلوي قال حدثنا الحسين بن محمد بن طالب قال حدثني الحسين بن محمد بن
طالب قال حدثني غير واحد من اهل الادب ان علي بن الحسين عليهما السلام حج
فاستجهر الناس جماله وتشوفوا له وجعلوا يقولون من هذا فقال الفرزدق
هذا ابن خير عباد الله كلهم . هذا التقي النقي الطاهر العلم . هذا الذي تعرف البطحا
وطأته . والبيت يعرفه والحل والحرم . اذا راته قريش قال قائلهم . الى مكارم
هذا ينتهي الكرم . يكاد يمسكه عرفان راحته . ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم .
يغضي حياء ويغضى من مهابته . ولا يكلم الا حين يبتسم . اي القبايل ليست في رقابهم
لاولية هذا اوله نعم . من يشكر الله يشكر اولية ذا . فالدين من بيت هذا ناله
الامم . وفي رواية الغلابي ان هشام بن عبد الملك حج في خلافة عبد الملك
او الوليد وهو حديث السن فاراد ان يستلم الحجر فلم يتمكن من ذلك لتزاحم
الناس عليه فجلس ينتظر خلوة فاقبل علي بن الحسين عليهما السلام وعليه ازار ورداء
وهو من احسن الناس وجها واطيبهم ريحا بين عينيه سجادة كانها ركبة عنز

فجعل يطوف بالبيت فاذا بلغ الحجر تنحى الناس حتى يستلمه هيبةً له واجلالًا
فغاظ ذلك هشاما فقال له رجل من اهل الشام من هذا الذى هابه الناس
هذه الهيبة فقال هشام لا اعرفه لئلا يرغب فيه اهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضرا
لذلك الرجل لكنى اعرفه وذكر الابيات وهى اكثر مما رويناه تركناها لانها
معروفة قال فغضب هشام وامر بحبس الفرزدق بعسفان بين مكة والمدينة
وبلغ ذلك بعلى بن الحسين عليهما السلام فبعث الى الفرزدق باثنى عشر الف درهم
وقال اعذرنا يا ابا فراس فلو كان عندنا فى هذا الوقت اكثر منها لوصلناك به
فردها الفرزدق وقال يا بن رسول الله ما قلت الذى قلت الا غضبًا لله
ورسوله وما كنت لارزاء عليه شيا فردها اليه واقسم عليه بالله فى قبولها
وقال له قد راى الله مكانك وعلم نيتك وشكر لك ونحن اهل البيت اذا
انفذنا شيا لم نرجع فيه فقبلها وجعل الفرزدق يهجو هشاما وهو فى الحبس
فمما هجاه به قوله . ايحبسنى بين المدينة والتى اليها قلوب الناس يهوى منيبها .
يقلب راسا لم يكن راس سيد . وعينا له حولاء باد عيوبها . المجلس السادس
ان سال سائل فقال ما عندكم فى تاويل قوله وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً
وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وظاهر هذه
الاية يقتضى انه ما شاء ان يكونوا امة واحدة وان يجتمعوا على الايمان والهدى
وهذا بخلاف ما تذهبون اليه ثم قال ولذلك خلقهم فلا يخلوا من ان يكون
عنى انه للاختلاف خلقهم او للرحمة فلا يجوز ان يعنى الرحمة لان الكناية
عن الرحمة لا تكون بلفظ ذلك ولو ارادها لقال ولتلك خلقهم فلما قال
ولذلك كان رجوعه الى الاختلاف اولى وليس يبطل حمل الاية على الاختلاف خلقهم
من حيث لم يكن مذكورا فيها لان الرحمة ايضا غير مذكورة فيها واذا جعلتم
قوله الا من رحم ربك دالا على الرحمة وكذلك قوله مختلفين داله على الا
ختلاف على ان الرحمة هى رقة القلب والشفقة وذلك لا يجوز على الله تعالى
ومتى

ومتى تعدى هذا بما ذكرناه لم يعن بها الا العفو واسقاط الضرر وما جرى مجراهما
عن مستحقه وهذا مما لا يجوز ان تكون مخلوقين له على مذهبكم لانه لو خلقهم
للعفو لما حسن منه عقاب المذنبين ومواخذة المستحقين الجواب يقال
له اما قوله وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ فانما عنى المشية التى ينضم اليها الالجاء ولم يعن المشية
على سبيل الاختيار وانما اراد تعالى ان يخبرنا عن قدرته وانه ممن لا يغالب ولا
يعصى مقهورا من حيث كان قادرا على الجاء العباد واكراههم على ما اراده منهم العبيد
فاما لفظة ذلك فى الاية فحملها على الرحمة اولى من حملها على الاختلاف
لدليل العقل وشهادة اللفظ فاما دليل العقل فمن حيث علمنا انه تعالى كره
الاختلاف والذهاب عن الدين ونهى عنه وتوعد عليه فكيف يجوز ان يكون
شائيا له ومجريا بخلق العباد اليه فاما شهادة اللفظ فلان الرحمة اقرب الى هذه
الكناية من الاختلاف وحمل اللفظة على اقرب المذكورين اليها اولى فى لسان العرب
فاما ما طعن به السايل وتعلق به من تذكير الكناية وان الكناية عن الرحمة
لا تكون الا مؤنثة فباطل لان تانيث الرحمة غير حقيقى فاذا كنى عنها بلفظ التذكير
كانت الكناية على المعنى لان معناها هو الفضل والانعام كما قال سرنى كلمتك
يريدون سرنى كلامك وقال الله تعالى هذا رحمة من ربى ولم يقل هذه
وانما اراد هذا فضل من ربى وقالت الخنساء . فذلك يا هند الرزية فاعلمى
ونيران حرب حيث شب وقودها . ارادت الرزء وقال امرء القيس برهرهة
رودة رخصة . كخرعوبة البانة المنفطر . فقال المنفطر ولم يقل المنفطرة لانه
ذهب الى الغصن وقال آخر . هنيئا لسعد ما اقتضى بعد وقعتى بناقة سعد
والعشية بارد . فذكر الوصف لانه ذهب الى العشى وقال الاخر . قامت تبكيه
على قبره . من لى من بعدك يا عامر . تركتنى فى الدار ذا غربة . قد ذل من ليس له ناصر
فقال ذا غربة ولم يقل ذات غربة لانه اراد شخصا ذا غربة وقال زياد الاعجم
ان الشجاعة والمروة ضمنا . قبرا بمرو على الطريق الواضح . ويروى ان الشجاعة

والسماحة وهكذا كان في الاملاء فقال ضمنا ولم يقل ضمنتا قال الفراء لانه
ذهب الى ان السماحة والشجاعة مصدران والعرب تقول قصارة الثوب يعجبني
لان تانيث المصادر يرجع الى الفعل وهو مذكر وقال الفرزدق. تجوب بنا الفلاة
الى سعيد. اذا ما الشاة في الارطاة قالا. فذكر الوصف لانه اراد التيس فاما
الارطاة فهي واحدة الارطى وهي شجر ينبت في الرمل يستظل بظلاله الظبا من الحر
وتاوي اليه قال الشماخ. اذا الارطى توسد ابرديه. خدود جوازئ بالرمل عين.
وقوله قالا من القيلولة لا من القول على ان قوله تعالى الا من رحم ربك كما يدل
على التذكير في موضعه لان الفعل مذكر ويجوز ايضا ان يكون قوله تعالى ولذلك
خلقهم كناية عن اجتماعهم على الايمان وكونهم فيه امة واحدة ولا محالة انه لهذا
خلقهم ويطابق هذه الاية وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقد قال
قوم في قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ومعناه انه لو شاء ان
يدخلهم اجمعين الجنة فيكونوا في وصول جميعهم الى النعيم امة واحدة واجرى هذه
الاية مجرى قوله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها الى طريق الجنة فعلى هذا
التاويل ايضا يمكن ان ترجع لفظة ذلك الى ادخالهم اجمعين الى الجنة لانه تعالى
انما خلقهم للمصير اليها والوصول الى نعيمها واما قوله ولا يزالون مختلفين
فمعناه الاختلاف في الدين والذهاب عن الحق فيه بالهوى والشبهات
وذكر ابو مسلم محمد بن بحر في قوله مختلفين وجها غريبا وهو ان يكون معناه ان
خلف هؤلاء الكافرين يخلف سلفهم في الكفر لانه سواء قولك خلف بعضهم بعضا
وقولك اختلفوا كما سواء قولك قتل بعضهم بعضا واقتتلوا ومنه قولهم
لا افعل كذا ما اختلف العصران والجديدان اي جاء كل واحد منهما بعد الاخر
واما الرحمة فليست رقة القلب كما ظنه السائل لكنه فعل النعيم والاحسان
يدل على ذلك ان من احسن الى غيره وانعم عليه يوصف بانه رحيم وان لم تعلم
منه رقة قلب عليه بل وصفهم بالرحمة من لا يعهدون منه رقة القلب

الابردان الغداة والعشي عن الابردين
بعينه يقيه الدرض في الظل ويقرع الدرض
في بمنى الوقتين والجوارئ جمع جارية

كما يدل على الرحمة يدل ايضا على ان رحيم
فاذا جعلنا الكناية بلفظة ذلك على الى الرحيم كان نعم

في انه اراد هديها

اقوى

٢٨

اقوى من وصفهم الرقيق القلب بذلك لان مشقة النعمة والفضل والاحسان
على من لا رقة عنده اكثر منها على الرقيق القلب وقد علمنا ان من رق قلبه لو امتنع
من الافضال والاحسان لم يوصف بالرحمة واذا انعم وصف بذلك فوجب
ان يكون معناها ما ذكرناه على انه لا يمتنع ان يكون معنى الرحمة في الاصل ما ذكرتم ماذكرته
ثم انتقل بالتعارف الى ما ذكرناه كنظائره وقد وصف الله تعالى القران بانه
هدى ورحمة من حيث كان نعمة ولا يتاتى في القران ما ظنوه وانما وصفت
رقة القلب بانها رحمة لانها مما تجاور الرحمة التي هي النعمة في الاكثر وليست
الرحمة مختصة بالعفو بل تستعمل في ضروب النعم وصنوف الاحسان الا ترى انا
انا نصف النعم على غيره المحسن اليه بالرحمة وان لم يسقط عنه ضررا ولا تجاوز له
عن زلة وانما سمي العفو عن الضرر وما جرى مجراه رحمة من حيث كان نعمة لان
النعمة باسقاط الضرر تجري مجرى النعمة بايصال النفع فقد بان بهذه الجملة معنى الاية
وبطلان ما ضمنه السائل سؤاله فان قيل اذا كانت الرحمة هي النعمة وعندكم
ان نعم الله تعالى شاملة للمخلوقين اجمعين فاي معنى لاستثنا من رحم من جملة
المختلفين ان كانت الرحمة هي النعمة وكيف يصح اختصاصها بقوم دون قوم
وهي عندكم شاملة عامة قلنا لا شبهة في ان نعم الله تعالى شاملة للخلق اجمعين
غير ان في نعمه ايضا ما يختص بها بعض العباد اما للاستحقاق او لسبب يقتضي
الاختصاص فاذا حملنا قوله تعالى الا من رحم ربك على النعمة بالثواب فالا
ختصاص ظاهر لان النعمة بين لا تكون الا مستحقة فمن استحق الثواب باعماله وصل
الى هذه النعمة ومن لم يستحقه لم يصل اليها وان حملنا الرحمة في الاية على النعمة
بالتوفيق للايمان واللطف الذي وقع بعده فعل الايمان كانت هذه النعمة ايضا
مختصة لانه تعالى انما لم ينعم على سائر المكلفين بها من حيث لم يكن في معلومه ان لهم
توفيقا وان في الافعال ما يختارون عنده الايمان فاختصاص هذه النعمة
ببعض العباد لا يمنع من شمول نعم اخر لهم كما ان شمول تلك النعم لا يمنع من اختصاص هذه

ويوجد عنده محل وصف المشترة بالسماحة
لمكانت توجد عندها المحبة في الاكثر

تاويل خبر روى ابو مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال انما ادرك الناس من كلام
النبوة الاولى اذا لم تستحي اعمل ما شئت وفي هذا الخبر وجوه من التاويل ثلثة احدها
ان يكون معناه اذا اعملت العمل لله عز وجل وانت لا تستحي من الناظرين اليك ولا تخوفهم
ان ينسبوك فيه الى الرياء صنعت ما شئت لان فكرك فيهم ومراقبتك لهم يقطعانك
عن استيفاء شروط عملك ويمنعانك عن القيام بحدوده وحقوقه واذا اطرحت
الفكر توفرت على استيفاء عملك والوجه الثاني ان من لم يستحي من المعاير
والمخازي والقبايح صنع ما شاء والظاهر ظاهر امر والمعنى معنى تغليظ وانكار مثل
قوله تعالى اعملوا ما شئتم وقوله عز وجل فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
وهذا نهاية التغليظ والزجر عن كبر الذنب في اطراح الحيا ويجري مجرى قولهم
بعد ان فعل فلان كذا وكذا فليفعل ما شاء وبعد ان اقدم على كذا فليقدم على ما شاء
والمعنى المبالغة في عظم ما ارتكبه وقبح ما اقترفه والوجه الثالث ان يكون معنى
الخبر اذا لم تفعل ما يستحي منه فافعل ما شئت فكان معنى الخبر اذا لم تفعل قبيحا
فافعل ما شئت لانه لا قبيح من ضروب القبايح الا والحيا يصاحبه ومن
شان فاعله اذا قرع به ان يستحي منه فمتى جانب الانسان ما يستحي منه من افعاله
فقد جانب ساير القبايح وما عدا القبيح من الافعال فهو حسن ويجري هذا مجرى
خبر يروى فيما اظن عن نبينا عليه السلام ان رجلا جاء فاسترشده الى خصلة فيكون
فيها جماع الخير فقال عليه السلام اشترط عليك ان لا تكذبني ولن اسئلك ما وراء
ذلك فهان على الرجل ترك الكذب بخاصته والمعاهدة على اجتنابه دون ساير
القبايح وشرط على نفسه ذلك فلما انصرف جعل كلما هم بقبيح ويقول ان رايت
لو سالني عنه النبي صلى الله عليه وآله ما كنت قايلا له لانني ان صدقته افتضحت وان كذبته
نقضت العهد بيني وبينه فكان ذلك سببا لاجتنابه ساير القبايح وهكذا
وهكذا معنى الخبر الذي تاولناه لان في اجتناب ما يستحي منه اجتنابا لساير القبايح
تاويل خبر روى محمد ابن الحنفية عن ابيه امير المؤمنين عليه السلام قال كان قد كثر

على مارية القبطية ام ابرهيم في ابن عم لها قبطي كان يزورها ويختلف اليها فقال لي النبي صلى الله عليه وآله خذ
هذا السيف وانطلق فان وجدته عندها فاقتله قلت يا رسول الله اكون في امرك اذا ارسلتني
كالسكة المحماة امضي لما امرتني ام الشاهد يرى ما لا يرى الغايب فقال لي النبي صلى الله عليه وآله بل الشاهد
يرى ما لا يرى الغايب فاقبلت متوشحا بالسيف فوجدته عندها فاخترطت السيف
فلما اقبلت نحوه عرف اني اريده فاتى نخلة فرقي اليها ثم رمى بنفسه على قفاه وشغر برجليه
فاذا انه اجب امسح ما له مما للرجال قليل ولا كثير قال فغمدت السيف ورجعت الى النبي صلى الله عليه وآله فاخبرته
فقال الحمد لله الذي يصرف عنا اهل البيت قال المرتضى رضي الله عنه في هذا الخبر
احكام وغرايب ونحن نبدا باحكامه ثم نتلوه بغريبه فاول ما فيه ان القايل ان يقول
كيف يجوز ان يامر الرسول بقتل رجل على التهمة بغير بينة ولا يجري مجراها والجواب
عن ذلك ان القبطي جاز ان يكون من اهل العهد الذين اخذ عليهم ان يجري عليهم
احكام المسلمين وان يكون الرسول تقدم اليه بالانتهاء عن الدخول الى مارية
فخالف العهد واقام على ذلك وهذا نقض العهود من اهل الكفر موذن بالمحاربة
والموذن بها مستحق للقتل فاما قوله الشاهد يرى ما لا يرى الغايب فانما
عنى به رؤية العلم لا رؤية البصر لانه لا معنى في هذا الموضع لرؤية البصر فكانه
عليه السلام قال بل الشاهد يعلم ويصح له من وجه الراي والتدبير ما لا يصح للغايب
ولو لم يقل ذلك لوجب قتل الرجل على كل حال وانما جاز منه عليه السلام ان يخير بين
قتله والكف عنه ويفوض الامر فيه الى امير المؤمنين عليه السلام من حيث لم يكن قتله
من الحدود والحقوق التي لا يجوز العفو عنها ولا يسع الا اقامتها لان ناقض
العهد ممن امره الى الامام القايم بامور المسلمين اذا قدر عليه قبل توبته ان
يقتله عليه السلام او يمن عليه ومما فيه ايضا من الاحكام اقتضاء ان مجرد امر رسول الله
لا يقتضي الوجوب لانه لو اقتضى ذلك لما حسنت مراجعته ولا استفهامه
وفي حسنها ووقوعها موقعها دلالة على انه لا يقتضي ذلك ومما فيه ايضا من الاحكام
دلالته على انه لا باس بالنظر الى عورة الرجل عند الامر ينزل فلا يوجد من النظر اليها

اما الحد يقام او لعقوبة تسقط لان العلم بانه امسح اجب لم يكن الا عن تامل ونظر وانما جاز التامل والنظر ليتبين هل هو ممن يكون منه مما قذف به اولا او الواجب على الامام فيمن شهد عليه بالزنا وادعى انه مجبوب ان يامر بالنظر اليه وتبيين امره وبمثله امر النبى صلى الله عليه وآله في قتل مقاتل بنى قريظة لانه امر ان ينظروا الى مؤتزر كل من اشكل عليهم امره فمن وجدوه قد انبت قتلوه ولولا جواز النظر الى العورة عند الضرورة لما قامت شهادة الزنا لان من راى رجلا مع امراة واقع عليها متى لم يتامل امرهما حق التامل لم تصح شهادته ولهذا قال النبى صلى الله عليه وآله لسعد بن عبادة وقد ساله عمن وجد مع امراته رجلا ايقتله فقال صلى الله عليه وآله لا حتى ياتى باربعة شهداء فلو لم يكن الشهداء اذا حضروا تعمدوا النظر الى عورتيهما لاقامة الشهادة كان حضورهم كغيبتهم ولم تقم شهادة الزنا لان من شرطها مشاهدة العضو في العضو كالميل في المكحلة فان قيل كيف جاز لامير المؤمنين عليه السلام الكف عن القتل ومن اى جهة اثره لما وجدها اجب واى تاثير لكونه اجب فيما استحق به القتل وهو نقض العهد قلنا انه عليه السلم لما فوض اليه الامر في القتل والكف وكان له ان يقتله على كل حال وان وجد اجب لان كونه بهذه الصفة لا يخرجه من نقض العهد وانما اثر الكف الذى كان اليه وموضوعا مفوضا الى رايه لازالة التهمة والشك الواقعين في امر مارية ولانه اشفق من ان يقتله فيتحقق الظن ويلحق بذلك العار فراى عليه السلم ان الكف اولى لما ذكرنا فاما غريب الحديث فقوله شغر برجله يريد رفعها واصله في وصف الكلب اذا رفع رجله للبول فاما نكاح الشغار بالكسر وقد قيل الشغار بالفتح فهو ان يزوج الرجل من هو ولى لها من بنت او اخت على ان يزوجه بنته او اخته بغير مهر وكان احد العرب في الجاهلية يقول للاخر شاغرنى اى زوجنى حتى ازوجك واظنه ماخوذ من الشغر الذى هو رفع الرجل لان النكاح فيه معنى الشغر فسمى هذا العقد شغارا ومشاغرة لافضائه في كل واحد من المتزوجين الى معنى الشغر وصار اسما لهذا النكاح كما قيل في الزنا سفاح لان الزانيين

يتسافحان الماء اى يسكبانه والماء هو النطفة ويمكن ان يكون ايضا الماء الذى يغتسلان به فكنى بذلك عن الزنا ثم صار اسما له وعلما عليه ومن الشغر الذى هو رفع الرجل قول زياد لابنة معوية وكانت عند ابنه فافتخرت يوما عليه فتطاولت فشكاها الى ابيه زياد فدخل عليها بالدرة يضربها ويقول اشغرا وفخرا فاما قول الفرزدق . شغارة تقذ الفصيل برجلها . فطارة لقوادم الابكار . فان من غريب شعره . وفسره فقال معنى شغارة انها ترفع رجلها للبول وقوله تقذ الفصيل برجلها . اى تركله وتدفعه عن الدنو الى الرضاع ليتوفر اللبن على الحلب واراد بتقذ . اى تبالغ في ايلامه وضربه ومنه الموقوذة واما قوله فطارة لقوادم الابكار فالفطر هو الحلب بثلاث اصابع والقوادم هى الاخلاف ولذا خص الابكار بذلك لان صغر اخلافها يمنع من حلبها ضبا والضب هو الحلب بالاصابع الاربع فكانه لا يمكن فيها لقصر اخلافها الا الفطر ومعنى البيت تعيير نساء جرير بانهن راعيات وذلك مما تعير به العرب النساء الا ترى الى قوله قبل هذا البيت كم عمة لك يا جرير وخالة . فدعاء قد حلبت على عشارى . كنا نحاذر ان تضيع لقاحنا . ولها اذا سمعت دعاء يسار . ثم تلا ذلك بقوله . شغارة تقذ الفصيل برجلها . فطارة لقوادم الابكار . قال المرتضى وعندى ان قوله شغارة كناية عن رفع رجلها للزنا وهو اشبه بان يكون مراده في هذا الموضع الا ترى انه قد وصفها بالوله وترك حفظ اللقاح عند سماعها دعاء يسار ويسار اسم راع وكانه وصفها بالوله الى الزنا والاسراع اليه وترك حفظ ما استحفظته من اللقاح فالاشبه ان يكون قوله شغارة مع كونه عقيب البيت الذى ذكرناه محمولا على ما اشرنا اليه فاما قولهم ذهبوا شغر بغر فليس من هذا في شيء وانما يراد به انهم ذهبوا متفرقين مشتتين ومثله ذهبوا عباديد وعباهيد وشعاليل وشعارير وايادى سبا كل ذلك بمعنى واحد فاما قوله فاذا هو اجب فيعنى به المقطوع الذكر لان الجب هو القطع ومنه بعير اجب اذا كان مقطوع السنام وقد ظن بعض من تاول هذا

ان الامسح هيهنا هو القليل لحم الالية كالارصع والارسح والازل وهذا غلط
لان الوصف بذلك لا معنى له في الخبر وانما اراد تاكيد الوصف له بانه اجب والمبالغة
فيه لان قوله امسح يفيد انه مستلم الذكر يزيد على اجب زيادة ظاهرة اخبرنا ابو عبيد الله
المرزباني قال حدثنا القاسم ابن الحسين الوراق قال حدثني سليمن بن داود
الطوسي قال حدثني سوار بن عبد الله القاضي عن الاصمعي قال دخلت على الرشيد
في الليل فتذاكرنا احوال القمر فقلت العرب تقول للقمر اذا كان بن ليلة ما انت
ابن ليلة قال رضاع سخيلة حل اهلها برميلة فاذا كان ابن ليلتين قيل له ما انت
ابن ليلتين قال حديث امتين بكذب ومين فاذا كان ابن ثلاث قيل له ما انت ابن ثلث
قال قليل اللباث وقيل ايضا حديث فتيات غير جد مؤتلفات قيل فما انت ابن
اربع قال عتمة ام ربع وقيل عتمة ام الربع غير جايع ولا مرضع قيل ما انت ابن خمس
قال عشا خلفات قعس ويقال حديث وانس قيل ما انت ابن سبع قال دلجة ضبع وقيل
هدى لانس ذي الجمع وقيل حديث جمع وقيل يطغر في النسع وقيل يلتقط في الجزع
قيل ما انت ابن ثمان قال قمر اضحيان قيل ما انت ابن تسع قال منقطع الشسع وقيل
يلتقط في الجزع وقيل الودع وقيل عشية اهل جمع قيل ما انت بن عشر قال ثلث
الشهر وقيل عنق الفجر وقيل ادبك الفجر قيل ما انت ابن احدى عشرة قال اطلع عشاء
وارى بكرة وقيل اغيب بسحرة قيل ما انت ابن اثنتي عشرة قال مونق للبشر بالبدو
والحضر قيل ما انت ابن ثلث عشرة قال قمر باهر يعشى له الناظر قيل ما انت ابن اربع عشرة
قال مقبل الشباب اضيء مدجنات السحاب وقيل مضيء للسحاب قيل ما انت ابن خمس عشرة
قال تم الشباب وانتصف الحساب قيل ما انت ابن ستة عشر قال نقص الخلق بالغرب
والشرق قيل ما انت ابن سبع عشرة قال امكنت المقتفر القفرة قيل ما انت ثماني عشرة
قال قليل البقا سريع الفنا قيل ما انت ابن تسع عشرة قال بطي الطلوع بين الخشوع قيل
ما انت ابن عشرين قال اطلع بسحرة واضيء بالبهرة وقيل ثم اهجر بالبهر وقيل
ما انت ابن احدى وعشرين قال كالقبس يرى بالغلس قيل ما انت ابن اثنتين وعشرين

قال

قال اطلع في قتمة ولا اجلو الظلمة قيل ما انت ابن اربع وعشرين قال لاقمر ولا هلال
قيل ما انت ابن خمس وعشرين قال دنا الاجل وانقطع الامل قيل ما انت ابن ست
وعشرين قال اطلع بكرا ولا ارى الا ظهرا قيل ما انت ابن ثمان وعشرين قال اسبق
شعاع الشمس قيل ما انت ابن تسع وعشرين قال ضئيل صغير فلا يراني الا البصير
قيل ما انت ابن ثلثين قال هلال مستتر قال الاصمعي ثم قلت للرشيد يقال
انه لا يحفظ هذا الحديث من الرجال الا العاقل فقال خذه علي قلت هات
فاعاده حتى بلغه قيل له ما انت ابن ثمان قال قمر اضحيان اما قوله رضاع سخيلة
اراد تصغير سخلة والمعنى ان القمر يبقى بقدر ما ينزل قوم فتضع شاتهم سخلة
ثم ترضعها ويرتحلون قبلها وفي الافق بمقدار هذا وقوله حل اهلها برميلة اظن
ان المعنى فيه الاخبار عن قلة اللباث وسرعة الانتقال لان الرمل ليس بمنزل مقام
للقوم لانهم كانوا يختارون في منازلهم جلد الارض وهضبها والاماكن التي
لا تستولي السيول عليها فخص الرملة بهذا المعنى وقوله حديث امتين بكذب
ومين يريد ان بقاءه قليل بمقدار ما تلتقي الامة الامة فتكذب لها حديثا ثم تفترقان
وقوله حديث فتيات غير جد مؤتلفات اراد انه يبقى بقاء فتيات اجتمعن على غير
ميعاد فتحادثن ساعة ثم انصرفن غير مؤتلفات وقوله عتمة ام ربع يقال عتمت
الابل اذا تاخرت عن العشاء ومن هذا سميت صلوة العتمة لانها آخر الوقت
في العشاء وقوله ام اربع يعني الناقة وهو تاخير حلبها يريد ان بقاءه بمقدار وقت
ما تحلب ناقة لها ولد ولدته في اول الربيع وهو اول النتاج والولد في هذا الوقت
يسمى ربعا اذا كان ذكرا فاذا كان انثى قيل ربعة فان كان في اخر النتاج قيل
هبع للذكر وهبعة للانثى وقوله عشا خلفات قعس فالخلفات اللواتي قد
استبان حملهن واحدتها خلفة وهي الحوامل المخاض ولا واحد للمخاض من لفظها
وانما قال عشا خلفات لانها لا تعشى الى ان يغيب القمر في هذه الليلة والقعس
الداخلة الظهر الخارجة البطن وقوله سمر وبيت يريد انه لا يبقى الا بقدر

ما يبيت الانسان ثم تيسير وقوله قمر اضحيان اى ضاح بارز ويقال قمر اضحيانٌ
بالتنوين فيهما جميعا وقمر اضحيانٍ بالاضافه ومنه قوله ليلة اضحيان اذا كانت نقية
البياض وقوله منقطع الشع اراد انه يبقى بقدر ما يبقى شع من وقد يمشى به حتى الشسع
ينقطع وقوله يلتقط الجزع اى انه مضىء ابلج لو انقطعت عنقه فتاة فيها
شذر ومفصل بجزع ماضاع منها لضيائه ونقائه وقوله اضىء بالبهره يعنى
بوسط الليل لان بهرة الشىء وسطه وقوله امكنت المقتفر القفره والمقتفر الذى ومقفرة وتقفرة موضعه الذى يقصده
يتبع الآثار ومقتفراته مواضعه التى يقصدها المجلس السابع ان سئل سائل عن قوله
تعالى ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى واضل سبيلا
فقال كيف يجوز ان يكون فى الاخرة عميا وقد تظاهر الخبر عن الرسول صلى الله عليه وآله
بان الخلق يحشرون كما بدؤا سالمين من الآفات والعاهات وقال الله تعالى كما بدانا
اول خلق نعيده وقال عز وجل فبصرك اليوم حديد الجواب يقال ان فى هذه وقال تعالى كما بداكم تعودون
الاية اربعة اجوبة احدها ان يكون العمى الاول انما هو عن تامل الآيات والعبر والنظر فى الدلالات
التى اراها الله تعالى المكلفين فى انفسهم وفيما يشاهدونه ويكون العمى الثانى
هو عن الايمان بالاخرة والاقرار بما يجازى به المكلفون فيها من ثواب وعقاب
وقد قال قوم ان الاية متعلقة بما قبلها من قوله تعالى ربكم الذى يزجى لكم الفلك
فى البحر لتبتغوا من فضله الى قوله تعالى ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم
فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا
ثم قال تعالى بعد ذلك ومن كان فى هذه اعمى يعنى عن هذه النعم وعن هذه
العبر فهو فى الاخرة اعمى اى عما غيب عنه من امر الاخرة اعمى ويكون قوله فى هذه
كناية عن النعم لا عن الدنيا ويقال ان ابن عباس رحمه الله سئل سائل عن هذه
الاية فقال له اتامل ما قبلها وبنبه على التاويل الذى ذكرناه والجواب الثانى اتل ما
من كان فى هذه يعنى الدنيا اعمى عن الايمان بالله والمعرفة بما اوجب عليه المعرفة به عن طريقها
فهو فى الاخرة اعمى عن الجنة والثواب بمعنى انه لا يهتدى الى طريقهما ولا يوصل
اليهما

اليهما او عن الحجة اذا سؤل ووقف ومعلوم ان من ضل عن معرفة الله تعالى والايمان ويفقد
به يكون فى القيمة منقطع الحجة مفقود المعاذير والجواب الثالث ان يكون العمى
الاول عن المعرفة والايمان والثانى بمعنى المبالغة فى الاخبار عن عظم ما يناله هؤلاء
الكفار من الخوف والغم والحزن الذى ازال الله تعالى عن المؤمنين العارفين بقوله
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومن عادة العرب ان تسمى من اشتد همه وقوى
حزنه انما اعمى سخين العين ويصفون المسرور بانه قرير العين قال الله تعالى فلا تعلم
نفس ما اخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون والجواب الرابع ان العمى
الاول عن الايمان والثانى هو الآفة فى العين على سبيل العقوبة كما قال تعالى
ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا قال
كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ومن يجيب بهذا الجواب يتاول
قوله تعالى كما بدانا اول خلق نعيده على ان المعنى فيه الاخبار عن الاقتدار وعدم
المشقة فى الاعادة كما انها معدومة فى الابتداء ويجعل ذلك نظيرا لقوله تعالى
وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه ويتاول قوله تعالى فبصرك
اليوم حديد على ان معناه الاخبار عن قوة المعرفة وان الجاهل بالله تعالى
يكون فى الاخرة عارفا به والعرب تقول فلان بصير بهذا الامر وزيد ابصر بكذا
من عمرو ولا يريدون ابصار العين بل العلم والمعرفة ويشهد بهذا التاويل قوله تعالى
ولقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد
اى كنت غافلا عما انت الآن عارف فلما كشفنا عنك الغطاء بان اعلمناك وفعلنا
فى قلبك المعرفة عرفت وعلمت فاما الخبر الذى تدعى روايته فهو خبر واحد
ولا حجة فى مثله واذا عرف لفظه ربما امكن تاويله على ما يطابق هذا الجواب
ومن ذهب الى الاجوبة الاول يجعل العمى الاول والثانى معا عن المعرفة فى العين
فان عورض بقوله تعالى ونحشره يوم القيمة اعمى تاوله على العمى عن الثواب
او عن الحجة وقال فى قوله تعالى لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا فى اعتقادى انه معناه كنت بصيرا

وظنّي من حيث كنت ارجوا الهداية الى الثواب وطريق الجنّة والمحصّل من هذه
الجملة انه لا يجوز ان يراد بالعمى الثاني والاول جميعا الآفة في العين لانه يؤدّي الاول والثا
الى ان كلّ من كان مؤوف البصر في الدنيا من مومن وكافر وطايع وعاص يكون كذلك
في الآخرة وهذا باطل وبمثله يبطل ان يراد بلفظ اعمى الثانية المبالغة بمعنى افعل
من فلان ويبطله ايضا ان العمى الذي هو الخلقة لا يتعجب منه بلفظ افعل وانما يقال
ما اشدّ عماه ولا يجوز ان يراد بالعمى الاول عمى العين والعمى الثاني عن الثواب
والجنة او الحجة لانا نعلم ان فيمن عميت عينه في الدنيا من يستحق الثواب ويوصل اليه
ولا يجوز ان يراد بالاول والثاني العمى عن المعرفة والايمان لا على طريق المبالغة
والتعجب ولا غير ذلك لانا نعلم ان الجهال بالله تعالى المعرضين في الدنيا عن معرفته
لا يجوز ان يكونوا في الآخرة كذلك فضلا ان يكونوا على ابلغ من هذه الحال لان المعارف
في الآخرة ضرورية يشترك فيها جميع الناس فلم يبق بعد الذي ابطلناه الا ما دخل
في الاجوبة الثلثة الاول اذا اريد باعمى الثانية المبالغة والتعجب كان في موضعه وعلى الاجوبة م
لان عمى القلب وضلاله يتعجب منه بلفظة افعل وان لم يجز ذلك في عمى الجارحة
ولمن اجاب بالجواب الرابع ان لا يجعل قوله تعالى فهو في الآخرة اعمى لفظ تعجب بل يجعله
اخبارا عن عماه من غير تعجب وان عطف عليه بقوله تعالى واضل سبيلا ويكون تقدير
الكلام ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى وهو اضل سبيلا فان قيل ولم
انكرتم التعجب من الخلق بلفظة افعل قلنا قد قال النحويون في ذلك ان الالوان
والعيوب لا يتعجب منها بلفظ التعجب وانما يعدل فيها الى اشدّ واظهر وما جرى
مجراهما قالوا لان العيوب والالوان قد ضارعت الاسماء وصارت خلقة كاليد
والرجل ونحو ذلك فلا يقال ما اسوده واعوره كما لا يقال ما ايداه وارجله ويقال
ما اشدّ سواده كما يقال ما اشدّ يده ورجله واعتلّوا بعلة اخرى قالوا ان الفعل
من الالوان والعيوب على افعلّ وافعالّ مثل احمرّ واعورّ واحولّ واحوالّ
والتعجب لا يدخل فيما زاد على ثلثة احرف من الافعال الا ترى انه لا يدخل في انطلق

واستخرج ودحرج لزيادة على ثلثة احرف فان قيل لهم فقد قالوا اعورت عينه
وحولت قالوا هذا منقول من افعلّ وهو في الحكم زايد على ثلثة احرف يدل على ذلك
صحة الواو فيه كما صحت في اسودّ وابيضّ ولولا انه منقول لاعتلت الواو وقلبت
عارت وحالت كما قيل خاف وهاب وحكي عن الفرا في ذلك جوابان احدهما ان افعل
في التعجب فيه زيادة على وصف قبله اذ قال القايل افضل واجمل فهو زايد في الوصف
من جميل وفاضل فلم يقولوا ما ابيض زيدا لئلا يسقط التزيد ولا يكون قبل ابيض
وصف يزيد ابيض عليه يخالف لفظه لفظه كما خالفا افضل واجمل فاضلا وجميلا
فلما تمّ لهم في ابيض واحمر علم التزيد دخلوا عليه الزيادة ما تبين فيه فقالوا اما اظهر
حمرة زيد وما اشدّ سواد عمرو لان اظهر يزيد على ظاهر واشدّ يزيد على شديد و
الجواب الآخر ان التعجب مبني على زيادة تصلح ان يقع بعدها نقص وتقصير عن
بلوغ التناهي فقالوا ما اعلم زيدا ليدلوا على زيادة علمه لانهم في قولهم عالم وعليم
لم يبلغوا في التناهي مبلغ اعلم ولم يقولوا ما ابيض زيدا لان البيان لا يتاتى منه
زيادة بعد نقص فعدلوا الى التعجب باشدّ وابين وما جرى مجراهما وهذا الجواب
ليس بسديد لان الالوان قد يتاتى فيها الزيادة بعد نقص وقد يدخل فيه المفاضلة التفاضل خ
الا ترى ان ما حاله قليل اجزاء البياض يكون انقص حالا في البياض مما حاله
الكثير من الاجزاء والجواب الذي حكيناه عن الفرا اصوب وان كان ما قدمنا
عن البصريين هو المعتمد وقد انشد بعضهم معترضا على ما ذكرناه قول الشاعر
يا ليتني مثلك في البياض . ابيض من اخت بني اباض . وانشد ايضا قول الشاعر
اما الملوك فانت اليوم الامهم . لوما وابيضهم سربال طباخ واما البيت الاول
فان ابا العباس المبرد حمله على الشذوذ وقالوا ان الشاذ النادر لا يطعن في المعمول
عليه المتفق على صحته ويجوز ان يقال ايضا في البيت الثاني مثل ذلك وقد قيل
في البيت الثاني ان ابيض فيه ليس الذي هو للمفاضلة وانما هو افعل الذي مونثه
فعلى كقولك ابيض وبيضا ويجري ذلك مجرى قولهم هو احسن القوم وجها
نملاء

وشريفهم خلقًا فكان الشاعر قال ومبيضهم فلما اضافه انتصب ما بعده لتمام
الاسم وهذا احسن من حمله على الشذوذ ويمكن فيه وجه آخر وهو ان ابيض في البيت
وان كان في الظاهر عبارة عن اللون فهو في المعنى كناية عن اللوم والبخل فحمل لفظ
التعجب على المعنى دون اللفظ ولولا انه اراد بابيضهم بياض الثوب ونفاه على
الحقيقة لما جاز ان يتعجب بلفظ افعل فالذي جوز تعجبه بهذه اللفظة ما ذكرناه
فاما قول المتنبي . ابعد بعدت بياضا لا بياض له . لانت اسود في عيني من الظلم .
فقد قيل فيه ان قوله لانت اسود في عيني كلام تام ثم قال من الظلم اي من جملة الظلم
كما يقال حر من الاحرار ولئيم من اللئام اي من جملتهم وقال الشاعر . وابيض من ماء الحديد
كانه . شهاب بدا والليل داج عساكره . كانه قال وابيض كائن من ماء الحديد وقوله
من ماء الحديد وصف لابيض وليس يتصل به كاتصال من بافضل في قولك هو
افضل من زيد ولفظ من في بيت المتنبي مرفوعة الموضع لانها وصف الاسود واذا اريد
المفاضلة والتعجب كانت منصوبة الموضع باسود كما تقول زيد خير منك فمنك
في موضع نصب بخير كانه قال فخارك بخير لك اي فضلك في الخير وهذا التاويل
المذكور في بيت المتنبي يمكن ان يقال في قول الشاعر . ابيض من اخت بني اباض .
ويحمل على انه اراد من جملتها ومن قومها ولم يرد التعجب وتاوله على هذا الوجه
اولى من حمله على الشذوذ فاما قول المتنبي ابعد بعدت بياضا لا بياض له فالمعنى في
الظاهر للناس فيه انه اراد لا ضياء له ولا نور ولا اشراق من حيث كان خلو لم
يجز نا موذنا بقضي الاجل وهذا لعمري معنى ظاهر الا انه يمكن فيه معنى اخر
وهو ان يريد انك بياض لا لون بعده لان البياض اخر الوان الشعر فجعل قوله
لا بياض له بمنزلة لا لون بعده وانما سوغ ذلك له ان البياض هو الذي بعد السواد
فلما نفى ان يكون للشيب بياض كان نفيا لان يكون من بعده لون وقد اختلف القراء
في فتح الميم وكسرها من قوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى فقرا ابن كثير
ونافع وابن عامر بفتح الميمين معا وقرا عاصم في رواية ابي بكر وحمزه والكسائي بكسر
جميعا

الميم

الميم منهما معا وفي رواية حفص لا يكسرهما وكسر ابو عمرو الاولى وفتح الاخيرة ولكل وجه عن عاصم ح
لما من ترك امالة الجميع فان قوله حسن لان كثيرا من العرب لا يميلون هذه الفتحة
ومن امال الجميع فوجه قوله ان ينحوا بالالف نحو الياء ليعلم انها تنقلب الى الياء
واما قراءة ابي عمرو بامالة الاولى وفتح الثانيه فوجه قوله انه جعل الثانية
افعل من كذا مثل افضل من فلان واذا جعلها كذلك لم تقع الالف في اخر الكلمة
لان اخرها انما هو من كذا وانما تحسن الامالة في الاواخر وقد حذف من افعل
الذي هو لتفضيل الجار والمجرور جميعا وهما مرادان في المعنى مع الحذف وذلك
نحو قوله تعالى فانه يعلم السر واخفى اي المعنى واخفى من السر فكذلك قوله تعالى
فهو في الاخرة اعمى اي اعمى منه في الدنيا واعمى من غيره ويقول هذه الطريقة
ما عطف عليه من قوله تعالى واضل سبيلا فكما ان هذا لا يكون الا على افعل من كذا
كذلك المعطوف عليه تاويل خبر روى ابو هريره عن النبي صلى الله عليه وآله
انه قال تقي الارض افلاذ كبدها مثل الاسطوان من الذهب والفضة ويجي
القاطع للرحم فيقول في مثل هذا قطعت رحمي ويجي السارق فيقول هذا قطعت في مثل هذا
يدي ثم يتركونه لا ياخذون منه شيئا معنى تقي اي تخرج ما فيها من الذهب والفضة
وذلك من علامات قرب الساعة وقوله تقي تشبيه واستعارة من حيث كان اخراجها
واظهارا وكذا تسميته ما في الارض من الكنوز كبدا تشبيها بالكبد التي في بطن
البعير وغيره وللعرب في هذا مذهب معروف وقال مرة بن محكان السعدي
يصف قدرا نصبها للاضياف . لها ازيز يزيل اللحم ازمله . عن العظام اذا ما
استحشمت غضبا . ترمي الصلاة بنبل غير طائشة . وفقا اذا انس من تحتها لهبا
فوصفها بالغضب تشبيها واستعارة فاما الازيز الغليان والعرب تقول
لجوفه ازيز مثل ازيز المرجل والازمل الصوت واستحشمت اي غضبت يقال استحشمت ع
احشمته اي غضبته وقال النابغة الجعدي في المعنى الاستعارة . سالتني
عن اناس هلكوا . شرب الدهر عليهم واكل . فوصف الدهر بالشرب والاكل
باناس ع

يتجنبه القاطع بتفضيل في قطع هذا من قاطع

تشبيها واستعارة وقال قوم معنى البيت شرب اهل الدهر بعدهم واكلوا واختلفوا
اهل اللغة في الافلاذ فقال يعقوب بن السكيت لا يكون الا للبعير وهو قطعة
من كبد ولا يقال فلذ الشاه ولا فلذ البقر ويقال اعطى فلذا من الكبد قال اعشى
باهلة. تكفيه حزة فلذان الم بها . من الشوا ويروى شربه الغمر . والغمر القدح الصغير
وقال يعقوب ولا يقال اعطى حزة من سنام ولا من لحم انما الحز في الكبد خاصة
فاذا اراد ذلك من السنام واللحم قالوا اعطى حذية من لحم وهي القطعة الصغيرة
وفلقة من سنام وقال الطوسي عن ابي عبيد عن الاصمعي قال يقال اعطى حذية
من لحم وحزة من لحم وهبرة من لحم وذرة ومثل هذا الحديث قوله تعالى واخرجت
الارض اثقالها معناه اخرجت ما فيها من الكنوز وقال قوم عنى به الموتى
وانها اخرجت موتاها فسمى تعالى الموتى اثقالا تشبيها بالحمل الذي يكون في البطن
لان الحمل يسمى ثقلا قال الله تعالى فلما اثقلت والعرب تقول للسيد الشجاع ثقلا
على الارض فاذا مات يسقط عنها بموته ثقل قالت الخنساء ترثي اخاها . ابعد ابن
عمرو من ال الشريد . حلت به الارض اثقالها . معناه انه لما مات حل عنها بموته
ثقل لسودده وشرفه وقال قوم معنى حلت زينت موتاها وهو ماخوذ من الحلية
وقال الشمردل اليربوعي يرثي اخاه . وحلت به اثقالها الارض وانتهى لمثواه
منها وهو عف شمايله وروى هشام بن المنذر قال زهير بن ابي سلمى المزني بيتا
ثم اكدى فمر به النابغة الذبياني فقال يا ابا امامة اجز قال ماذا قال . تراك
الارض اما مت خفا . وتحيي ما حييت به ثقيلا . نزلت بمستقر العز منها .
ثماذا قال فاكدى والله النابغة . واقبل كعب بن زهير وهو غلام فقال له ابوه
اجز يا بني فقال ماذا فانشده البيت الاول ومن الثاني . نزلت بمستقر العز منها
فقال كعب فتمنع جانبيها ان يزولا . فقال زهير انت والله ابني وانما خص
الكبد من بين ما يشتمل عليه البطن لانه من اطايب الجزور والعرب تقول اطايب
الجزور السنام والملحا والكبد قال المرتضى رضي الله عنه واني لاستحسن قول الخنساء

ودنيل

وقد قيل لها ما مدحت اخاك حتى هجوت اباك . فقالت جاري اباه واقبلا . وهما
يتعاوران ملاءة الحضر . حتى اذا نزت القلوب وقد . لزت هناك العذر بالعذر
وعلا هتاف الناس ايهما . قال المجيب هناك لا ادري . برزت صحيفة وجه والده .
ومضى على غلوائه يجري . اولى فاولى ان يساويه . لولا جلال السن والكبر
وهما كانهما وقد برزا . صقران قد حطا الى وكر . ويقال انه قيل لابي عبيدة
ليس هذه الابيات في مجموع شعر الخنساء فقال ابو عبيدة العامة اسقط من ان
يجاد عليها بمثل ذلك ولعمري انها قد بلغت في مدح اخيها من غير ازراء على ابيها
النهاية لانها جعلت تقدم ابيه له عن قدرة منه على المساواة وعن غيره تقصير منه
وانه افرج له عن السبق معرفة بحقه وتسليما لكبر سنه وكان الخنساء نظرت
في هذا الى قول زهير . فشج بها الاماعز وهي تهوي . هوي الدلو اسلمها الرشاء .
فليس لحاقه كلحاق الف . ولا كنجاتها منه نجاء . يقدمه اذا اختلفت عليها .
تمام السن منه والذكاء . ويشبه ان يكون الكميت اخذ من الخنساء قوله في مخلد
بن يزيد المهلب . ما ان ارى كابيك ادرك شاوه . احد ومثلك طالب لم يلحق
بتجاذبان له فضيلة سنه . وتلوت بعد مصليا لم تسبق . ان تنزعا ولفضيلة
سبقه . فبمثل شاو ابيك لم يتعلق . ولئن لحقت به على ما قد مضى . من بعد
غاية فاتح واخلق . ويشبه هذا المعنى قول المؤمل بن اميل الكوفي المحاربي
يمدح المهدي في حيوة المنصور . لئن فت الملوك وقد توافوا . اليك من
السهولة والوعور . لقد فات الملوك ابوك حتى . بقوا من بين كاب او حسير
وجئت وراءه تجري حثيثا . وما بك حين تجري من فتور . فقال الناس
ما هذين الا . بمنزلة الخليق من الجدير . فان سبق الكبير فاهل سبق
له فضل الكبير على الصغير . وان بلغ الصغير مدى كبير فقد خلق الصغير
من الكبير هذا المعنى في قول الشاعر جيادا جرت في حلبة فتفاضلت
على قدر الاسنان والعرق واحد . ومما له بهذا المعنى بعض الشبه وان لم يكن

وان لم يذكر فيه السن وتفضيل الكبير قول ظهير. هو الجواد فان يلحق بشاؤهما
على تكاليفه فمثله لحقا. او يسبقاه على ما كان من مهل. فمثل ما قدما من صالح سبقا.
وروى انه عرضت على جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي جارية شاعرة فاراد
ان يبلوها فقال لها قولي في معنى بيتي زهير الذين ذكرناهما فقالت. بلغت
او كدت يحيى او لحقت به. فمثلما خالد في شأو ومستبق. لكن مضى وتلا يحيى فات
له. ثالث تعللت دون الركض بالعنق ومن احسن ما قيل في المساواة والمقاربة
وهو داخل في هذا المعنى مناسب له قول عباد بن شبل. اذا اخترت من قوم
خيار خيارهم. فكل بني عبد المدان خيار. جرى ابعنان واحد فضل بينهم.
بان قيل فاتا فات العذار عذار. وقول الكميت. مصل لها ابو له سابق. بان قيل
فات العذار عذارا او مثله قول العتابي وهو مليح جدا كما تقاذف جردني اعنتها.
سبقا باذا انهار او بالعذر. واول من سبق الى هذا المعنى زهير في قوله يصف
مطايرة البازي القطاة ومقاربته لها. دون السماء وفوق الارض قدرها
عند الذنابى فلا فوق ولا درك وقد لحظ ابو نواس هذا المعنى في قوله يمدح
الفضل بن الربيع ويذكر مقارنته لابيه في المجد والسودد. ثم جرى الفضل
فانثنى قدما. دون مداه من غير ترهيق. فقيل راساسهما ايراد به. الغاية
والنصل سابق الفوق. ويشاكل ذلك قول البحتري في ابن ابي سعيد الثغري
جد كجد ابي سعيد انه. ترك السماك كانه لم يشرف. قاسمته اخلاقه وهي
الردى. للمعتدي وهي الندى للمقتفي. فاذا جرى من غاية وجريت من
اخرى التقى شأو وكما في المنصف ولتشبيه ايضا قوله واذا رايت شمايل ابني
صاعد. ادت اليك شمايل ابني مخلد. كالفرقدين اذا تامل ناظر. لم يعل موضع
فرقد من فرقد فاما قول الخنسا يتعاوران ملاءة الحضر. وهي تعني بالملاءة الغبار
فان عدي بن الرقاع كانه ينظر اليها في قوله يصف حمارا واتانا. يتعاوران
من الغبار ملاءة. بيضاء محدثة هما نسجاها. تطوى اذا وطيا مكانا جاشيا.

واذا السنابك اسهلت نشراها. وهذا المعنى وان كان هو المعنى الخنسا بعينه فقد
زاد في استيفائه عليها زيادة ظاهرة صار من اجلها بالمعنى احق منها وقد ابتدى بهذا
رجل من بني عقيل فقال من قصيدة. يثيران من نسج الغبار عليهما. قميصين اسمالا
ويرتديان المجلس الثامن في تاويل ايات سئل سائل عن قوله تعالى وجاؤا على قميصه
بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان
على ما تصفون فقال كيف وصف الدم بانه كذب والكذب من صفات الاقوال ومن صفات
الاجسام واي معنى لوصف الصبر بانه جميل ومعلوم ان صبر يعقوب عليه السلم
على فقد ابنه لا يكون الا جميلا ولم ارتفع الصبر وما المقتضي لرفعه الجواب.
يقال له اما كذب فمعناه مكذوب فيه وعليه مثل قولهم هذا ماء سكب
وشراب صب يريدون مصبوبا ومسكوبا ومثله ماء غور ورجل صوم وامراة
نوح قال الشاعر تظل جيادهم نوحا عليهم. مقلدة اعنتها صفونا. اراد
نايحة عليهم ومثله ما لفلان معقول يريدون عقل وما له على هذا الامر مجلود
يريدون جلدا قال الشاعر حتى اذا لم يتركوا العظامه. لحما ولا لفواده معقولا.
انشد ابو العباس ثعلب. قد والذي سمك السماء بقدرة. بلغ العزاء وادرك المجلود
وقال الفرا وغيره يجوز في النحو بدم كذب بالنصب على المصدر لان معنى جاؤا
فيه معنى كذبوا اكذابا كما قال الله تعالى والعاديات ضبحا فنصب ضبحا على المصدر
لان العاديات بمعنى الضابحات وانما كان دما مكذوبا فيه لان اخوة يوسف
ذبحوا سخلة ولطخوا قميص يوسف بدمها وجاؤا اباهم بالقميص وادعوا اكل الذئب
له فقال لهم يعقوب يا بني لقد كان هذا الذئب رفيقا حتى اكل ابني ولم يخرق
قميصه قالوا بل قتله اللصوص فقال كيف قتلوه وتركوا قميصه وهم الى قميصه
احوج منهم الى قتله وقيل انه كان في قميص يوسف ثلاث ايات حين قد قميصه
من دبر وحين القي على وجه ابيه فارتد بصيرا وحين جاؤا عليه بدم كذب
فتنبه ابوه على ان الذئب لو اكله لخرق قميصه واما وصف الصبر بانه جميل فلان

الصبر قد يكون جميلا وغير جميل وانما يكون جميلا اذا قصد به وجه الله تعالى وفعل للوجه
الذى وجب فلما كان فى هذا الموضع واقعا على الوجه المحمود مدح ووصفه بذلك وقد قيل
انه اراد صبرا لا شكوى فيه ولا جزع ولو لم يصفه بذلك لظن مصاحبة الشكوى او الجزع
له فاما ارتفاع قوله تعالى فصبر جميل فقد قيل ان المعنى شانى صبر جميل والذى اعتقده
صبر جميل وقال قطرب معناه فصبرى جميل وانشدوا. شكى الى جملى طول السرى
يا جملى ليس الى المشتكى صبر جميل فكلانا مبتلى. معناه فليكن منك صبر جميل
وقد روى ان قراءة ابى فصبرا جميلا بالنصب وذلك يكون على الاغراء والمعنى فاصبرى
يا نفس صبرا جميلا وقال ذو الرمة الا انما بى فصبرا بليته. وقد يبتلى الحر الكريم
فيصبر وقال الاخر ابى الله ان يبقى لحى بشاشة. فصبرا على ما شاءه الله لى صبرا.
تاويل خبر فى الحديث ان قيس ابن عاصم قال اتيت رسول الله صلى الله عليه واله
فقال هذا سيد اهل الوبر فقلت يا رسول الله ما المال الذى ليست على فيه تبعة
من طالب ولا ضيف فقال عليه السلم نعم المال اربعون والكثرة ستون وويل
لاصحاب المائين الا من اعطى الكريم ومنح الغزيرة ونحر السمينة فاكل واطعم القانع
والمعتر فقلت يا رسول الله ما اكرم هذه الاخلاق واحسنها انه لا يحل بالوادى
الذى فيه ابلى من كثرتها فقال كيف تصنع فى العطية فقلت اعطى البكر واعطى
الناب قال فكيف تصنع فى المنحة قلت لامنح المائة قال فكيف تعطى الطروقة
قلت يغدو الناس بابلهم فلا يوزع رجل عن جمل يختطمه فيمسكه ما بدا له حتى
يكون هو الذى يرده وفى الرواية الاخرى قال كيف تصنع فى الاطراق قلت
انى لافقر الناب المدبر والضرع الصغيرة قال فكيف تصنع بالمنيحة قلت انى
لامنح فى السنة المائة قال فمالك احب اليك ام مال مواليك قلت لا بل مالى
قال فان مالك ما اكلت فافنيت واعطيت فامضيت وفى الرواية الاخرى
ولبست فابليت وسائره لمواليك قلت لا جرم والله لئن رجعت اليها لاقلن عددها
فلما حضره الموت جمع بنيه فقال يا بنى خذوا عنى فانكم لن تاخذوه عن احد

ناقة غزيرة اى كثيرة اللبن

العطية

يختطمه

تعت يغدو والناس من شاء اخذ
براس بعيره فذهب به قال كيف تصنع
فى الاطراق

هو انصح لكم منى لا تنوحوا على فان رسول الله لم ينح عليه وقد سمعته ينهى
عن النياحة وكفنونى فى ثيابى التى كنت اصلى فيها وسودوا اكابركم فانكم اذا سودتم
اكابركم لم يزل لابيكم فيكم خليفة واذا سودتم اصاغركم هان اكابركم على الناس وزهدوا
فيكم واصلحوا من عيشكم فان فيه غنى عن طلب الى الناس واياكم والمسئلة فانها اخس
كسب المرء واذا دفنتمونى فاخفوا قبرى عن بكر ابن وايل فقد كانت بيننا خماشات
فى الجاهلية فلا امن سفيها منهم ان ياتى امرا يدخل عليكم عيبا فى دينكم اما قوله صلى الله عليه واله
والكثرة ستون فمعناه الكثير تقول العرب نسال الله الكثر ونعوذ بالله من القل اى
نسئل الله الكثير ونعوذ به من القليل قال الشاعر فان الكثر اعيانى قديما.
ولم اقتر لدن انى غلام. وقال الاخر. وقد يقصر القل الفتى دون همه. وقد كان لولا
القل طلاع انجد. والكريمة يعنى بها كرائم ماله وامنح الغزيرة اى اعطها من يحلبها
ويردها ومن ذلك الحديث العارية مؤداة والمنحة مردودة والدين مقضى
والزعيم غارم فالمنحة الناقة او الشاة يدفعها الرجل الى من يحلبها وينتفع بلبنها
ثم يردها عليه والزعيم الكفيل ويقال له ايضا القبيل والصبير والجميل ومنه قوله تعالى
وانا به زعيم وقال الشاعر فلست بآمر فيها بسلم. ولكنى على نفسى زعيم وقال
الاخر قلت كفلى لك رهن بالرضا. فازعمى يا هند قالت قد وجب. معناه اكفلى
ويروى فاقبلى من القبيل الذى هو الكفيل ايضا وقال الفراء القانع هو الذى يايك
فيسئلك فان اعطيته قبل والمعتر الذى يجلس عند الذبيحة ويمسك عن السؤال
كانه يعرض بالمسئلة ولا يصرح بها فيقال قنع الرجل قناعة اذا رضى وقنع قنوعا
اذا سئل واما قوله لا جرم ان لهم النار ان لا رد على الكفار ثم ابتدا فقال
جرم ان لهم النار بمعنى كسب قولهم ان لهم النار وقال الشاعر. نصبنا
راسه فى راس جذع. بما جرمت يداه وما اعتدينا. اى بما كسبت وقال آخرون
معنى جرم حق وتاول الاية بمعنى حقق قولهم ان لهم النار وانشدوا ولقد
طعنت ابا عيينة طعنة. جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا. اراد حققت

فقال قوم معنى جرم كسب وتاولوا فى معنى
قوله تعالى

فزارة وروى الفرا فزارة بالنصب على معنى كسبت الطعنة فزارة الغضب وقال
الفرا لاجرم فى الاصل مثل لابد ولامحالة ثم استعملته العرب فى معنى حقا وجاءت
فيه بجواب الايمان فقالوا لاجرم لاقومن كما قالوا والله لاقومن وفيها لغات
يقال لاجَرم ولاجُرم بضم الجيم وتسكين الراء ولاجر بحذف الميم ولاذاجرم قال الشاعر
ان كلابا والدى لاذا جرم. لاهدرن اليوم هدرا فى النعم. والناب الناقة المسنة
وجمعها نيب ومثلها الشارف قال الشاعر. لا افتاء الدهر ابكيهم باربعة. ما اجترت
النيب او حنت الى بلد. ويقال للبعير اذا كبر ايضا عود وللانثى عودة قال الشاعر
عود على عود من القدم الاول. يموت بالترك ويحيى بالعمل. وهذا من ابيات
المعانى ومعناه بعير عود على طريق متقادم وسمى الطريق بانه عود لتقادمه
تشبيها بالبعير وقوله يموت بالترك ويحيى بالعمل اراد انه اذا سلك وطرق ظهرت
اعلامه ووضحت طرقه واهتدى سالكه لسلوكه فلم يضل عن قصده فكان هذا كالحياة له
واذا لم يسلك طمست اثاره وانمحت معالمه فلم يهتد فيه راكب لقصده وكان ذلك
كالموت له فاما الخماشات فهى الجنايات والجراحات قال ذو الرمة يذكر الحمار والاتن
رباع له مذاورق العود عنده. خماشات ذحل ما يراد امتثالها يريد بقوله ما يراد
امتثالها اى ما يراد اقتصاصها يقال امثلنى من هذا الرجل واقدنى واقصنى بمعنى واحد
فاما قوله لايورع رجل اى لايحبس ولايمنع يقال ورعت الرجل توريعا اذا منعته
وكففته والورع هو المتحرج المانع نفسه مما تدعوه يقال ورعا وورعا قال لبيد
اكل يوم هامتى مقزعة. لاتمنع الفتيان من حسن الرعة. ويقال ما ورع ان افعل
كذا وكذا اى ما كذب واما الورع بالفتح وهو الجبان واما الطروقة فهى التى قد حان
لها ان تطرق وهى الحقة وقوله فى الرواية الاخرى الامن اعطى رسلها فالرسل
اللبن والافقار هو ان يركبها الناس على ويحملهم على ظهورها ماخوذ من فقر
الظهر والاطراق للفحول هو ان يبذلها لمن ينزيها على اناث ابله وذكر الاطراق
فى هذه الرواية احب الى من الطروقة لانه قد تقدم من قوله انه يعطى

الناب والبكر والضرع والمانية فلا معنى لاعادة ذكر الطروقة وقوله فى الجواب
يغدو والناس فلا يورع رجل عن جمل يخطمه فيمسكه ما بدا له ثم يرده لا يحتمل
غير الاطراق ولا يليق بمعنى الطروقة وكان قيس ابن عاصم شريفا فى قومه حليما
ويكنى ابا على وكان الاحنف بن قيس يقول تعلمت الحلم من قيس بن عاصم اتى بقاتل
ابنه فقال رعبتم الفتى واقبل عليه وقال يا بنى لقد نقصت عددك واوهنت
ركنك وفتت فى عضدك واشمت عدوك واسأت بقومك خلوا سبيله
وما حل حبوته ولا تغير وجهه وقال ابن الاعرابى قيل لقيس بماذا اسدت قال
بثلاث بذل الندى وكف الاذى ونصر المولى وذكر المداينى قال كان قيس
بن عاصم يقول لبنيه اياكم والبغى فانه ما بغى قوم قط الا قلوا وذلوا وكان الرجل
من بنيه يظلمه بعض قومه فينهى اخوته ان ينصروه وقيس بن عاصم هو الذى
حفز الحوفزان قال سوار بن حيان. المنقرى ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة. سقته
نجيعا من دم الجوف اشكلا. وحمران قسرا انزلته رماحنا. فعالج غلا فى ذراعيه مثقلا
وفى يوم جدود يقول قيس بن عاصم. جزى الله يربوعا باسوء سعيها. اذا ذكرت
فى النايبات امورها. ويوم جدود قد فضحتم ذماركم. وسالمتم والخيل تدمى نحورها
سحطم سعدا والرباب انوفكم. كما حز فى انف القضيب جريرها. القضيب الناقة
المقتضبة الصعبة. وفى قيس يقول عبدة بن الطيب يرثيه عليك سلام الله قيس بن
عاصم. ورحمته ما شاء ان يترحما. سلام امرئ جللته منك نعمة. اذا زار عن
شحط بلادك سلما. فما كان قيس هلكه هلك واحد. ولكنه بنيان قوم تهدما
قال المرتضى رضى الله عنه ذاكرنى بعض الاصدقاء بقول ابى دهبل. الجيب وهو
يعنى ناقته. وابرزتها من بطن مكة بعدما. اصات المنادى بالصلوة فاعتما
وسالنى اجازة هذا البيت بابيات تنضم اليه واجعل الكناية فيه كانها كناية
عن امراة لا عن ناقة فقلت فى الحال. فطيب مسراها المقام وضوأت. باشراقها
بين الحطيم وزمزما. فيا رب ان لقيت وجها تحية. فحى وجوها بالمدينة سهما.

تجافين عن مس الدهان وطالما . عصمن عن الحنا أكفا ومعصما . وكم من جليد لا يخامره الهوى
شنن عليه الوجد تيما . اهان لهن النفس وهي كريمة . والقى اليهن الحديث المكتما .
تسفهت لما ان مررت بدارها . وعوجلت دون الحلم ان تحلما . فعجت نقري دارسا
متنكرا . وتسئل مصروفا عن النطق اعجما . ويوم وقفنا للوداع وكلنا . يعد مطيع
الشوق من كان احزما . وكان ابو دهبل من شعراء قريش وممن جمع الى الطبع التجويد
واسمه وهب بن زمعة بن اسيد بن احيحة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح واسمه
تيم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لوى بن غالب وكان جمح تيما واسم اخيه زيدا وهما
ابنا عمرو بن هصيص فاستبقا الى غاية فمضى تيم عن الغاية فقيل جمح تيم فسمي جمح ودف
عليها زيد فقيل سهم زيد فسمتا سهما فاكنيته فهي مشتقة من الدهبلة وهي
المشي الثقيل يقال دهبل الرجل دهبلة اذا مشى مشيا ثقيلا اخبرنا ابو عبيد الله
محمد بن عمران المرزباني قال حدثني محمد بن ابرهيم قال حدثنا محمد بن يحيى النحوي
قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال قيل لابي عمرو بن العلا ما يعجبك من شعر ابي دهبل
الجمحي فقال قوله . يا عمرو ويحكم عمرا . وعزمت منا النأي والهجرا . يا عمرو شيخك
وهو ذو شرف . يرعى الانام ويكرم الصهرا . والله ما احببت حبكم . لا ثيبا خلقت
ولا بكرا . ان كان هذا السحر منك فلا . ترعى على وجدي سحرا . احدثني اود كفلت
بها . حملت بلا ترة لنا وترا . وترى لها دلا اذا نطقت . تركت بنات فؤادها صعرا
كتساقط الرطب الجني من . الاقناء لا نثرا ولا نزرا . ومقالها فيكم عركتها .
جنبي اربكها اللنا العذرا . ومريد سركم عدلت به . عما يحاول معدلا وعرا . قالت
تقيم لنا لنجزيه . يوما فخيم عندنا شهرا . وما ان اقيم لحاجة عرضت . الا لا بلى فيكم
عذرا . واذا هممت برحلة جزعت . واذا اقمنا لم نفد نقرا . اني لا رضى ما رضيت
واري لحسن حديثكم شكرا . وروى ابو عمرو الشيباني لابي دهبل . يا ليت من يمنع
المعروف يمنعه . حتى يذوق رجال غب ما صنعوا . وليت رزق رجال مثل نائلهم .
قوت كقوت ووسع كالذي وسعوا . ويروى ضيقا كضيق ووسعا كالذي وسعوا
المقترا
وليس

نعرت بقلب لا يعنف في الهوى
ومني عيني استمطرتها قطرتا دما

الدمادس

وليت للناس حظا في وجوههم . تبين اخلاقهم فيه اذا اجتمعوا . وليت ذا الفحش
لاقا فاحشا ابدا . ووافق الحلم اهل الحلم فارتدعوا . ولابي دهبل في قتل الحسين بن علي ٢٥
تبيت النشاوى من امية نوما . وبالطف قتلى ما ينام حميمها . وما ضيع الاسلام الا
عصابة . تامر نوكاها ودام نعيمها وصارت قناة الدين في يد ظالم . اذا مال منها
جانب لا يقيمها . واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابرهيم
قال حدثنا احمد بن يحيى قال روى ابو عمرو الشيباني لابي دهبل وقال يقال انها
للمجنون . االترك ليلى ليس بيني وبينها . سوى ليلة اني اذا لصبور . هبوني امرءا
منكم اضل بعيره . له ذمة ان الذمام كبير . وللصاحب المتروك اعظم حرمة . على صاحب
من ان يضل بعير . عفى الله عن ليلى الغداة فانها . اذا وليت حكما على تجور وروى
ابو عمرو الشيباني لابي دهبل وقد رواه ابو تمام في الحماسة له . اقول والركب
قد مالت عمائمهم . وقد سقى القوم كاس النعسة السهر . يا ليت اني باثوابي وراحلتي
عبد لاهلك طول الدهر مؤتجر . ان كان ذا قدرا يعطيك نافلة . منا ويحرمنا ما
انصف القدر . جنية او لها جن يعلمها . رمي القلوب بقوس ماله وتر واخبرنا المرزباني
قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال مثل قول ابي دهبل . ولو تركونا لا
هدى الله امرهم . فلم يلحموا قولا من الشر ينسج . لاوشك صرف الدهر تفريق بيننا
وهل يستقيم الدهر والدهر اعوج . قول العجاج لرؤبة ابنه يشكو لما استطال
عمره وتمنى موته قال لما راى عشا طرفي . استعجل الدهر وفيه كاف .
يخترم الالف عن الالاف . قال ومثله علمت ابن عم لا يزال كانه . وان لم اتى
منطو لي على وتر يعين على الدهر والدهر مكتف . وان استعنه لا يعين على الدهر .
وقال المرتضى رضي الله عنه ومثل الجميع قول ابي احمد عبيد الله بن عبد الله ابن طاهر . الى كم يكون
العتب في كل ساعة . وكم لا تملين القطيعة والهجرا . رويدك ان الدهر فيه كفاية
لتفريق ذات البين فانتظر الدهر المجلس التاسع ان سئل سائل فقال ما وجه التكرار
في سورة الكافرين وما الذي حسن اعادة النفي لكونه عابدا ما يعبدون وكونهم

كف م

هذا الشهر

عابدين ما يعبد . وذكر ذلك مرة واحدة تغني وما وجه التكرار ايضا في سورة
الرحمن لقوله فباي آلاء ربكما تكذبان الجواب المقدم ذكر ابن قتيبة في معنى التكرار
في سورة الكافرين وجها وهو ان القرآن لم ينزل دفعة واحدة وانما كان نزوله
شيئا بعد شيء والامر في ذلك ظاهر وكان المشركون اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا استلم
بعض اصنامنا حتى نؤمن بك ونصدق بنبوتك فامر الله تعالى بان يقول لهم
لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ثم غبروا مدة من الزمان وجاؤا
فقالوا اعبد بعض آلهتنا واستلم بعض اصنامنا يوما او شهرا او حولا لنفعل
مثل ذلك بالهك فامر الله تعالى بان يقول لهم ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم
عابدون ما اعبد اي ان كنتم لا تعبدون الهي الا بهذا الشرط فانكم
لا تعبدونه ابدا وقد طعن بعض الناس على هذا التاويل بان قال انه يقتضي
شرطا وحذفا لا يدل عليه ظاهر الكلام وهو ما شرطه في قوله ولا انتم عابدون
ما اعبد اذا كان ما نفاه عن نفسه من عبادته ما يعبدون مطلقا غير مشروط
فكذلك ما عطفه عليه وهذا الطعن غير صحيح لانه لا يمتنع عطف المشروط
على المطلق بحساب قيام الدلالة وعن هذا السؤال ثلثة اجوبة كل واحد منها
كل واحد منها اوضح مما ذكره ابن قتيبة اولها ما حكى عن ابي العباس ثعلب انه
قال انما حسن التكرار لان تحت كل لفظة معنى ليس هو تحت الاخرى وتلخيص [اثبات شرط بدليل وان لم يكن في ظاهر الكلام ولا يمتنع ؟]
الكلام قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الساعة وفي هذه الحال
ولا انتم عابدون ما اعبد في هذه الحال ايضا فاختص الفعلان منه ومنهم بالحال
وقال من بعد ولا انا عابد ما عبدتم في المستقبل ولا انتم عابدون ما اعبد
فيما تستقبلون فاختلفت المعاني وحسن التكرار لاختلافها ويجب ان تكون
السورة من هذا مختصة بمن المعلوم انه لا يؤمن وقد ذكر مقاتل وغيره انها
نزلت في ابي جهل والمستهزئين ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم احد والمستهزئون
هم العاص بن وايل والوليد بن المغيرة والاسود بن المطلب والاسود بن

عبد يغوث

عبد يغوث وعدي بن قيس والجواب الثاني وهو جواب الفراء ان يكون التكرار للتاكيد
كقول المجيب مؤكدا بلى بلى والممتنع لا لا ومثله قوله تعالى كلا سوف تعلمون
ثم كلا سوف تعلمون . وانشد الفراء . وكاين وكم عندي لهم من صنيعة
ايادي ثنوها علي واجبوا . وانشد ايضا . كم نعمة كانت لكم . كم كم وكم
وقال آخر . نعق الغراب ببين بني عدة . كم كم وكم بفراق ليلى تنعق وقال
الآخر . اردت لنفسي بعض الامور . فاولى لنفسي اولى لها والجواب الثالث وهو
اغربها انني لا اعبد الاصنام التي تعبدونها ولا انتم عابدون ما اعبد اي انتم
غير عابدين الله تعالى الذي انا عابده اذا اشركتم به واتخذتم الاصنام وغيرها
معبودة من دونه او معه وانما يكون عابدا له من اخلص له العبادة دون غيره
وافرده بها وقوله ولا انا عابد ما عبدتم اي لست اعبد عبادتكم وما في قوله
ما عبدتم في موضع المصدر كما قال تعالى والارض وما طحيها ونفس وما
سويها اي وطحوه اياها وتسويته لها وقوله تعالى ذلكم بما كنتم تفرحون [ومطحيه]
في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون يريد بفرحكم ومرحكم قال الشاعر
يا ربع سلامة بالمنحنى . بخيف سلع جادك الوابل . ان تمس وحشا فبما قد ترى
وانت معمور بها آهل . اراد فبرؤيتك معمورا آهلا . ومعنى قوله ولا
انتم عابدون ما اعبد اي لستم عابدين عبادتي على نحو ما ذكرناه ولم يتكرر
الكلام الا لاختلاف المعنى وتلخيص ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للكفار لا اعبد الهتكم
وما تدعونه من دون الله ولا انتم عابدون الهي فان زعمتم انكم عابدون الله
فانتم كاذبون اذ كنتم من غير الجهة التي امركم بها تعبدونه فانا لا اعبد مثل
عبادتكم ولا انتم ما دمتم على ما انتم عليه تعبدون مثل عبادتي فان قيل
اما اختلاف المعبودين فلا شبهة فيه فما الوجه في اختلاف العبادة قلنا
انه صلى الله عليه وسلم كان يعبد من يخلص له العبادة ولا يشرك به شيئا وهم يشركون فاختلفت
عبادتاهما ولانه ايضا كان يتقرب الى معبوده بالافعال الشرعية التي تقع على

على وجه العبادة وهم لا يفعلون تلك الافعال ويتقربون بافعال غيرها يعتقدون
جهلا انها عبادة وقربة فان قيل فما معنى قوله لكم دينكم ولي دين وظاهر
هذا الكلام يقتضي اباحتهم المقام على اديانهم قلنا في هذه الاية ثلثة اجوبة احدها
ان ظاهر الكلام وان كان ظاهر اباحة فهو وعيد ومبالغة في النهي والزجر كما قال اعملوا ما شئتم وثانيها انه اراد لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني فحذف الجزاء لدلالة
الكلام عليه وثالثها انه اراد لكم جزاؤكم ولي جزائي لان نفس الدين هو الجزاء
قال الشاعر اذا ما القونا لقيناهم . ودناهم مثل ما يقرضونا . فاما التكرار في سورة
الرحمن فانما حسن للتقرير بالنعم المختلفة المعدودة فكلما ذكر نعمة انعم بها قرر
عليها التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره الم احسن اليك بان خولتك الاموال
الم احسن اليك بان خلصتك من المكاره الم احسن اليك بان فعلت بك كذا
فيحسن منه التكرير لاختلاف ما يقرره به وهذا كثير في كلام العرب واشعارهم
قال مهلهل بن ربيعة يرثي اخاه كليبا . على ان ليس عدلا من كليب . اذا طرد
اليتيم عن الجزور . على ان ليس عدلا من كليب . اذا ما ضيم جيران المجير على
ان ليس عدلا من كليب . اذا رجف العضاة من الدبور . على ان ليس عدلا من كليب
اذا خرجت مخبأة الخدور . على ان ليس عدلا من كليب . اذا ما اعلنت نجوى
الامور . على ان ليس عدلا من كليب . اذا خيف المخوف من الثغور . على ان
ليس عدلا من كليب . غداة تلاتل الامر الكبير . على ان ليس عدلا من كليب
اذا ما حام جار المستجير . وقالت ليلى الاخيلية ترثي توبة بن الحمير . ونعم الفتى
يا توب كنت ولم تكن . لتسبق يوما كنت فيه تحاول . ونعم الفتى يا توب
جارا وصاحبا . ونعم الفتى يا توب حين تناضل . لعمري لانت المرء ابكي لفقده
بجد ولو لامت عليه العواذل . لعمري لانت المرء ابكي لفقده . اذا كثر بالملحين
التلاتل . ابى لك ذم الناس يا توب كلما . ذكرت امور محكمات كوامل . ابى لك
ذم الناس يا توب كلما . ذكرت سماح حين تاوي الارامل . فلا يبعدنك الله

يا توب انما . لقيت حمام الموت والموت عاجل . ولا يبعدنك الله يا توب انها .
كذاك المنايا عاجلات واجل . ولا يبعدنك الله يا توب والتقت . عليك الغوادي
المدجنات الهواطل . فخرجت من هذه الابيات من تكرار الى تكرار لاختلاف
المعاني التي عددناها على نحو ما ذكرناه وقال الحارث بن عباد وكان قاضي
العرب . قربا مربط النعامة مني . لقحت حرب وائل عن حيال ثم كرر . قربا مربط
النعامة في ابيات كثيرة من القصيدة للمعنى الذي ذكرناه وقالت ابنة عم النعمان
بن بشير ترثي زوجها . وحدثني اصحابه ان مالكا . اقام ونادى صحبه برحيل
وحدثني اصحابه ان مالكا . ضروب بنصل السيف غير نكول . وحدثني اصحابه
ان مالكا . جواد بما في الرحل غير بخيل . وحدثني اصحابه ان مالكا . خفيف
على الحدثان غير ثقيل . وحدثني اصحابه ان مالكا . صروم كماضي الشفرتين صقيل
وهذا المعنى اكثر من ان نحصيه وهذا هو الجواب عن التكرار في سورة المرسلات
بقوله . ويل يومئذ للمكذبين فان قيل اذا كان الذي حسن التكرار في سورة
الرحمن ما عدده من الائه ونعمه فقد عدد في جملة ذلك ما ليس بنعمة وهو
قوله تعالى . يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران وقوله هذه
جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم ان فكيف يحسن
ان يقول عقيب هذا فباي الاء ربكما تكذبان وليس هذا من الالاء والنعم
قلنا الوجه في ذلك ان فعل العقاب وان لم يكن نعمة فذكره ووصفه والانذار به
من اكبر النعم لان في ذلك زجرا عما يستحق به العقاب وبعثا على ما يستحق به الثواب
وانما اشار بقوله تعالى فباي الاء ربكما تكذبان بعد ذكر جهنم والعذاب فيها
الى نعمته بذكر وصفها والانذار بعقابها وهذا مما لا شبهة في كونه نعمة قال المرتضى
رضي الله وكما انه كان في الجاهلية وقبل الاسلام في ابتدائه قوم يقولون
بالدهر وينفون الصانع واخرون مشركون يعبدون غير خالقهم ويسترزقون
الرزق من غير رازقهم اخبر الله تعالى عنهم في كتابه وضرب لهم الامثال

وكرر عليهم البينات والاعلام فقد نشأ بعد هؤلاء جماعة ممن يستتر باظهار الاسلام
ويحقره باظهار شعاره والدخول فى جملة اهله دمه وماله زنادقة ملحدون وكفار
مشركون فمنهم عز الاسلام عن المظاهرة والجأهم خوف القتل الى المساترة وبلية
هؤلاء على الاسلام واهله اعظم واغلظ لانهم يدغلون فى الدين ويموهون
على المستضعفين بجاش رابط ورأى جامع فعل من قد امن الوحشة ووثق
بالانسه فيما يظهره من لباس الدين الذى هو منه على الحقيقة عار وبأثوابه
غير متوار كما يحكى ان عبد الكريم ابن ابى العوجاء قال لما قبض عليه محمد بن
سليمن وهو والى الكوفة من قبل المنصور واحضره للقتل وايقن بمفارقة الحياة
قال لئن قتلتمونى لقد وضعت فى احاديثكم اربعة الآف حديث مكذوبة
مصنوعة والمشهور من هؤلاء الوليد بن يزيد بن عبد الملك والحمادون حماد — موضوعة م
الراوية وحماد بن الزبرقان وحماد عجرد وعبد الله بن المقفع وعبد الكريم ابن
ابى العوجاء وبشار بن برد ومطيع بن اياس ويحيى بن زياد الحارثى وصالح بن
عبد القدوس الازدى وعلى بن الخليل الشيبانى وغير هؤلاء ممن لم نذكره وهم
وان كان عددهم كثير فقد اقلهم الله واذلهم بما شهدت به دلائله الواضحة
وحججه اللائحة على عقولهم من الضعف وارائهم من السخف ونحن نذكر من اخبار
كل واحد ممن ذكرناه وتهمته فى دينه ونومى الى جملة كافية والذى دعانا الى التشاغل
بذلك وان كان عنايتنا بغيره اقوى مسئلة من نرى اجابته ونؤثر موافقته
فتكلفناه ومن اجله مع انه غير خال من فائدة ينفع علمها ويتأدب بروايتها
وحفظها اما الوليد فكان مشهورا بالالحاد متظاهرا بالعناد غير محتشم
فى اطراح الدين احدا ولا مراقب فيه بشرا وفى الحديث انه ولد لاخى ام سلمة
زوج النبى صلعم غلام فسموه الوليد فقال النبى صلعم سميتموه باسماء فراعنتكم
ليكونن فى هذه الامة رجل يقال له الوليد بن يزيد هو شر على هذه الامة من
فرعون على قومه قال الاوزاعى فسالت الزهرى عنه فقال ان استخلف الوليد

لدينه

٤٠٣

بن يزيد والا فهو الوليد بن عبد الملك اخبرنا ابو عبد الله المرزبانى قال حدثنى
محمد بن ابرهيم قال حدثنا محمد بن يزيد النحوى قال كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك
قد عزم ان يبنى فوق البيت الحرام قبة يشرب عليها الخمور ويشرف على الطواف
فقال بعض الحجبة لقد رايت المجوسى البناء فوق الكعبة وهو يقدر مواضع
اركان القبة فلم تمض تلك الليلة حتى وافى الخبر بقتل الوليد واخبرنا المرزبانى قال — ابو عبيد الله
اخبرنى عبد الله بن يحيى العسكرى عن ابى اسحق الطلحى قال اخبرنا احمد بن ابرهيم
بن اسمعيل عن ابى العالية عن بعض اهل العلم قال قال يزيد بن الوليد الملقب بالناقص
لما ولى نشدت الله رجلا سمع شيئا من الوليد الا اخبر به فقام ثور بن يزيد فقال
اشهد لقد سمعته يقول. اسقيانى وابن حرب. واسترانى بازار. وانا ركامن
طلب الجنة. يسعى فى خسار. ساسوس الناس حتى. يركبوا دين الحمار. — اى نيزوا بعضهم على البعض كما يسافد الحمر
واخبرنا المرزبانى قال اخبرنى احمد بن خالد النخاس قال حدثنا محمد بن مكحول
قال نشر الوليد بن يزيد يوما المصحف وكان خطه كانه اصابع وجعل يرميه بالسهام
وهو يقول. تذكرنى الحساب ولست ادرى. احقا ما تقول من الحساب.
فقل لله يمنعنى طعامى. وقل لله يمنعنى شرابى قال المرتضى رضى الله عنه ويله
من هذه الجرأة على الله عز وجل وويلا طويلا وما اقدر الله عز وجل ان يمنعه طعامه — وما اقدر الله اللئيم م
وشرابه وحياته وما امهل اللعين باليم العقاب وشديد العذاب لولا ما تتم به
المحنة ويتعلق به التكليف من تاخر المستحق من الثواب والعقاب وتبعيدهما من احوال
الطاعات والمعاصى فاما ابو عبد الله المرزبانى قال حدثنى احمد بن كامل قال
كان الوليد بن يزيد زنديقا وانه فتح المصحف يوما فراى فيه واستفتحوا وخاب
كل جبار عنيد فاتخذ المصحف غرضا ورماه بالنبل حتى مزقه وهو يقول
اتوعد كل جبار عنيد. فها انا ذاك جبار عنيد. فان لاقيت ربك يوم حشر
فقل يا رب خرقنى الوليد. فاما حماد الراوية فكان منسلخا من الدين زاريا على اهله — مزقنى م
مدمنا لشرب الخمور وارتكاب الفجور وقال عمرو بن بحر الجاحظ كان منقذ بن زياد الهلالى

ومطيع بن اياس ويحيى بن زياد وحفص بن ابى وُدّه وقاسم ابن زُنقُطَر وابن المقفع
ويونس بن ابى فروه وحماد عجرد وعلى بن الخليل وحماد بن ابن ابى ليلى الراويه
وحماد بن الزبرقان ووالبة بن الحباب وعمارة بن حمزه بن ميمون ويزيد بن الفيض
وجليل بن محفوظ المهلبى وبشار بن برد المرعّث وابان اللاحقى يجتمعون على
الشراب وقول الشعر ويهجون بعضهم بعضا وكلهم كان متهما فى دينه وعمل يونس
بن ابى فروه كتابا فى مثالب العرب وعيوب الاسلام بزعمه وصار به الى ملك الروم
واخذ به مالا وقال احمد بن يحيى النحوى قال رجل يهجو حماد الراوية . نعم الفتى
لو كان يعرف ربّه . ويقيم وقت صلاته حماد . بسطت مشافره الشمول فانفه .
مثل القدوم يسنّها الحداد . وابيض من شرب المدامة وجهه . فبياضه يوم الحساب سواد
لا يعجبنّك بزّه ولسانه . انّ المجوس يرى لها اسباد . وكان حماد الراوية مشهورا بالكذب
فى الراويه وعمل الشعر واضافته الى الشعراء المتقدّمين ودسّه فى اشعارهم
حتى ان كثيرا من الرواة قالوا قد افسد حماد الشعر لانه كان رجلا يقدر على صنعته
فيدسّ فى شعر كل رجل منهم ما يشاكل طريقته فاختلط لذلك الصحيح بالسقيم وهذا الفعل
منه وان لم يكن دالّا على الالحاد فهو فسق وتهاون بالكذب فى الرواية فاما حماد
بن زبرقان فهذه طريقته فى التخرّم والتهتك اخبرنا ابو الحسن على بن محمد الكاتب
قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا الاشناندانى قال دعا حماد بن الزبرقان
ابا الغول النهشلى الى منزله وكان يتقارضان فانتهره ابو الغول فلم يزل المفضل به
حتى اجابه وانطلق معه فلما رجع الى المفضل قال ما صنعت انت وحماد قال
اصطلحنا على ان لا امرّ بالصلوة ولا يدعونى الى شرب الخمر وانشد المفضل قوله
نعم الفتى لو كان يعرف ربّه . وذكر الابيات التى تقدّمت فى الرواية الاولى
منسوبة الى هجاء حماد الراوية فاما حماد عجرد فشهرته فى الضلالة كشهرة الحمادين
وكان يرمى مع ذلك بالتثنية اخبرنا ابو عبد الله المرزبانى قال حدثنى على بن
ابى عبد الله الفارسى قال اخبرنى ابى قال حدثنى مهرويه قال حدثنى على بن عبد الله

الشعر اللبد يكنى به عن المال الوفر

التخرم التدين بدين الخرمية وهم اهل التناسخ

التقارض تقارض بعضهم بعضا الثناء اى يتجازيان ذلك ... تقارضان اى يتجازيان ذلك فى الخير والشر

بن سعد

بن سعد قال حدّثنى السرى بن الصّباح الكوفى قال دخلت على بشار بالبصره
فقال لى يا ابا على انى قد اوجعت صاحبكم وبلغت منه يعنى حماد عجرد
فقلت بماذا يا ابا معاذ قال بقولى فيه . يا ابن نهيا راس علىّ ثقيل . واحتمال الرّاسين
خطب جليل . فادع غيرى الى عبادة ربين . فانى بواحد مشغول . فقلت لم ادعه
فى عماه فقلت قد بلغ حمادا هذا الشعر وهو يرويه على خلاف هذا قال فما يقول
فادع غيرى الى عبادة ربين . فانى بواحد مشغول . فلما سمعه اطرق وقال
احسن والله ابن الفاعلة ثم قال انى لاحتشمك فلا تنشد احدا هذين البيتين
وكان اذا سئل عنهما بعد ذلك قال مالى واخبرنا المرزبانى قال حدثنى على بن
هرون عن عمه يحيى بن على عن عمر بن شبّة قال حدثنى خلاد الارقط قال قال
بشار بلغنى ان رجلا كان ينشد القران وحماد ينشد الشعر فاجتمع الناس
على القارى فقال حماد علام تجتمعون فوالله لما اقول احسن مما يقول
فمقته الناس على هذا وروى ابن شبه عن ابى عبيد قال كان حماد عجرد يعيّر
بشارا بالقبح لانه كان عظيم الجسد مجدورا طويلا جاحظ العينين قد تغشّاهما
لحم احمر فلما قال حماد فيه . والله ما الخنزير فى نتنه . بربعه فى النتن او خمسه
بل ريحه اطيب من ريحه . ومسّه الين من مسّه . ووجهه احسن من وجهه
ونفسه افضل من نفسه . وعوده اكرم من عوده . وجنسه اكرم من جنسه
قال بشار ويلى على الزنديق لقد نفث بما فى صدره قيل وكيف ذاك قال وما اراد
الزنديق الا قول الله تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم فاخرج
الجحود بها مخرج هجائى وهذا خبث من بشار وتغلغل شديد لطيف واول
من جعل نفى الالحاد تاكيدا للوصف به واخرج ذلك مخرج المبالغة مساور
الوراق فى حماد عجرد فقال لو ان مانى وديصانا وعصبتهم . جاؤا اليك لما قلناك
زنديق . انت العبادة والتوحيد مذ خلقا . وذا التزندق نيرنج مخاريق
فاما ابن ابى المقفع فان جعفر بن سليمان روى عن المهدى انه قال ما وجد

كتاب زندقة قط الا واصله ابن المقفع وروى ابن شبة قال حدثنى من سمع
بن المقفع وقد مر ببيت نار المجوس بعد ان اسلم فلمحه وتمثل . يا بيت عاتكة الذى
اتعزل . حذر العدى وبه الفؤاد موكل . انى لامنحك الصدود واننى . قسما
اليك مع الصدود لاميل وروى احمد بن يحيى تعلب قال قال ابن المقفع يرثى
يحيى بن زياد وقال الاخفش والصحيح انه يرثى بها ابن ابى العوجا . رزئنا ابا عمرو
ولا حى مثله . فلله ريب الحادثات بمن وقع . فانك قد فارقتنا وتركتنا . ذوى
خلة ما فى انسداد لها طمع . لقد جر نفعا فقدنا لك اننا . امنا على كل الرزايا من الجزع
فقال تعلب البيت الاخير يدل على مذهبهم فى ان الخير ممزوج بالشر والشر ممزوج
بالخير واخبرنى على بن محمد الكاتب قال اخبرنى محمد بن يحيى الصولى قال حدثنى
المغيرة بن محمد المهلبى من حفظه قال حدثنا خالد بن خداش قال كان الخليل
بن احمد يحب ان يرى بن المقفع وكان المقفع يحب ذلك فجمعهما عباد بن عباد المهلبى
فتحادثا ثلثة ايام ولياليهن فقيل للخليل كيف رايت عبد الله قال ما رايت
مثله وعلمه اكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رايت الخليل فقال ما رايت مثله
وعقله اكثر من علمه قال المغيرة فصدقا فان عقل الخليل اداه الى ان مات ازهد الناس
وجهل ابن المقفع اداه الى ان كتب امانا لعبد الله بن على فقال فيه ومتى غدر امير المؤمنين
بعمه عبد الله فنساوه طوالق ودوابه حبس وعبيده احرار والمسلمون فى حل
من بيعته فاشتد ذلك على المنصور جدا وخاصة امر البيعة وكتب الى سفيان
بن معوية المهلبى وهو امير البصرة من قبله يقتله فقتله وكان ابن المقفع مع قلة دينه
جيد الكلام فصيح العبارة له حكم وامثال مستفادة من ذلك ما روى ان يحيى
بن زياد الحارثى كتب اليه يلتمس معاقدة الاخا والاجتماع على المودة فاخرجوا
به فكتب اليه كتابا يسترثيه فكتب اليه عبد الله ان الاخا رق فكرهت ان
املك رقى قبل ان اعرف حسن ملكتك وكان يقول ذلل نفسك بالصبر على
الجار السوء والعشير السوء وان ذلك لا يكاد يخطيك وكان يقول اذا نزل

هى عاتكة بنت يزيد بن معاوية

ريب

قال المغيرة

والصفا

يسترثيه يستبطئه

والجليس السوء

بكلامهم

بك امر مهم فانظر فان كان مما له حيلة فلا تعجز وان كان مما لا حيلة فيه فلا تجزع
ودعاه عيسى بن على يوما الى الغدا فقال اعز الله الامير لست يومى للكرام اكيلا
قال ولم قال لانى مزكوم والزكمة قبيحة الجوار . مانعة من عشرة الاحرار
وكتب الى بعض اخوانه اما بعد فتعلم العلم ممن هو اعلم منك وعلمه من انت
اعلم به منه فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال
لبعض الكتاب اياك والتتبع لوحشى الكلام طمعا فى نيل البلاغة فان ذلك
هو العى الاكبر وقال لاخر عليك بما سهل من الالفاظ مع التجنب لالفاظ السفلة
وقيل له ما البلاغة فقال التى اذا سمعها الجاهل ظن انه يحسن مثلها وقال
لا تحدث من تخاف تكذيبه ولا تسال من تخاف منعه ولا تعد بما لا تقدر
على انجازه ولا تضمن ما لا تثق بالقدرة عليه ولا ترج ما تعنف برجائه
ولا تقدم على ما تخاف العجز عنه وقال لبعض اخوانه اذا صاحبت ملكا فاعلم
انهم قد ينسبون الى قلة الوفا فلا تشعر قلبك استبطاوه فانه لم تشعر احد
قبله شيئا الا ظهر على لسانه ان كان سخيفا وعلى وجهه ان كان حليما وكان
يقول ان مما يسلى العالم عن الدنيا علمه بان الارزاق لم تقسم فيها على قدر الاخطار
فاما بن ابى العوجا فقد ذكرنا ما روى من اعترافه بدسه فى احاديث النبى صلعم
احاديث مكذوبه وروى انه راى عدلا وقد كتب عليه اية الكرسى فقال لصاحبه
لم كتبت هذا عليه قال لئلا يسرق فقال قد راينا مصحفا مسروقا ولبشار
رفيه . الا قل لعبد الكريم يا بن ابى العوجا . بعت الاسلام للكفر موقا .
لا تصلى ولا تصوم فان . صمت فبعض النهار صوما رقيقا . لا تبالى اذا اصبت
من الخمر عتيقا . ان لا تكون عتيقا . ليت شعرى غداة حليت فى الجند حنيفا
حليت ام زنديقا فاما بشار بن برد فروى المازنى قال قال رجل لبشار اتاكل
اللحم وهو مباين لديانتك يذهب الى انه ثنوى ان هذا اللحم يدفع عنى شر هذه
الظلمة قال المبرد ان بشارا كان يتعصب للنار على الارض ويصوب راى ابليس

المحلى عارض الجيش اى ان
العارض اذا كتب اسمه
مسلما او زنديقا

فقال لبشار

ويروى

فى الامتناع من السجود وردى له . النار مشرقة والارض مظلمة . والنار
معبودة مذ كانت النار وروى بعض اصحابه قال كنا اذا حضرت الصلوة
نقوم اليها ويقعد بشار فيجعل حوالى ثوبه ترابا لننظر هل يصلى فنعود والتراب
بحاله لم يقم الى الصلوة اخبرنا ابو عبيد الله المرزبانى قال حدثنى على بن ابى عبد الله
الفارسى قال اخبرنى ابى قال حدثنى ابن مهرويه عن احمد بن خلاد قال
حدثنى ابى قال كنت اكلم بشارا واردّ عليه سوء مذهبه بميله الى الالحاد
وكان يقول ما اعرف الا ما عاينت او عاينه معاين وكان الكلام يطول بيننا
فقال لى ما اظن الامر يا ابا خلد الا انه كما يقال انه خذلان ولذلك اقول .
طبعت على ما فىّ غير مخيّر . هواى ولو خيّرت كنت المهذبا . اريد فلا اعطى واعطى
فلم ارد . وغيّب عنّى ان انال المغيبا . واصرف عن قصدى وعلى مصرعه . فامسى
وما اعقبت الا التعجبا قال له الجاحظ كان بشار صديقا لواصل بن عطا الغزالى
قبل ان يظهر مذاهبه المكروهة وكان بشار مدح واصل بن عطا وذكر خطبته
التى نزع منها الرا وكانت على البديهة فقال . تكلف القوم والاقوام قد حلفوا
وخبّروا خطبا ناهيك من خطب . فقام مرتجلا تغلى بداهته . كمرجل القين لما
حفّ باللهب . وجانب الراى لم يشعر به احد . قبل التصفح والاغراق فى الطلب
ومثل ذلك قول بعضهم فى الواصل بن عطا ويجعل البرّ قمحا فى تكلمه . وجانب الرا
حتى احتال للشعر ولم يطق مطرا والقول يعجبه . فعاذ بالغيث اشفاقا من المطر
فلما ظهر بشار مذاهبه هتف به واصل وقام بذكره وتكفيره وقيد فقال بشار
مالى اشايع غزالا له عنق . كنقنق الدوّ ان ولّى وان مثلا . عنق الزرافة ما
بالى وبالكم . تكفرون رجالا كفّروا رجلا . فلما تتابع على واصل بالحاده
قال عند ذلك اما لهذا الاعمى الملحد اما لهذا المشنف المكنّى بابى معاذ ما يشهد
من يقتله اما والله لولا ان الغيلة سجية من سجايا الغالية لدسست اليه من
يبعج بطنه فى جوف منزله وعلى مضجعه او فى يوم حفله ثم كان لا يتولى ذلك

الاعقيلى

الاعقيلى او سدوسى فعدل واصل من الضرير الى الاعمى ومن الكافر الى الملحد
ومن المرعث الى المشنف ومن بشار الى ابى معاذ ومن الفراش الى المضجع وزاد
قوم فقالوا ومن ارسلت الى دسست ومن يبقر الى يبعج ومن داره الى منزله ومن المغيرية
الى الغالية والاول اشبه بان يكون مقصودا وما ذكرنا ثانيا فقد يتفق استعماله
من غير عدول عن استعمال الرا فاما قوله ولا يتولى ذلك الا عقيلى او سدوسى
فلان بشارا كان ينزل فيهم فاما لقب بشار بالمرعث فقد فيه ثلاثة اقوال احدها
انه لقب بذلك لبيت قاله وهو قال . ويم المرعث فاتر الطرف والنظر .
لست والله قاتلى الا ان يغلب القدر القول الثانى انه كان لبشار ثوب له جيبان
احدهما عن يمينه والاخر عن شماله وكان اذا اراد لبسه ضمه عليه ضما من غير
ان يدخل راسه فيه فشبه استرسال الجيبين وتدليهما بالرعاث وهى القرطة
فقيل المرعث وقال ابو عبيدة انما سمى المرعث لانه كان يلبس فى صباه رعاثا
وهذا هو القول الثالث وكان بشار مقدما فى الشعر جدا حتى ان كثيرا
من الرواة يلحقه بمن تقدم عصره عليه المجودين اخبرنا المرزبانى عن محمد بن
يحيى الصولى قال حدثنا محمد بن الحسين اليشكرى قال قيل لابى حاتم
من اشعر الناس قال الذى يقول . ولها مبسم كثغر الاقاحى . وحديث
كالوشى وشى البرود . نزلت فى السواد من حبة القلب . ونالت زيادة
المستزيد . عندها الصبر عن لقائى وعندى . زفرات يأكلن صبر الجليد
يعنى بشارا قال وكان يقدمه على جميع الناس ولما قال بشار . بنى امية هبوا
طال نومكم . ان الخليفة يعقوب بن داوود . ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا
خليفة الله بين الزق والعود . الناى . فبلغ ذلك المهدى فوجد عليه وكان سببا
لقتله المجلس العشر فاما ابن مطيع ابن اياس الكنانى فاخبرنا ابو عبد الله المرزبانى
عن على بن هرون عن عمه يحيى بن على عن ابى ايوب المدينى عن احمد بن ابرهيم
الكاتب قال اخبرنى ابى قال رايت بنتا لمطيع قد اتى بها فى اول ايام الرشيد

مولى لهم وذكره بنى سدوس لان بشارا كان

فاقرّت بالزندقة وقرأتها وتابت وقالت هذا شيء علّمنيه ابي فقبل الرشيد توبتها
وردّها الى اهلها وقال محمد بن داود الجراح في اخبار مطيع انه كان يرمى بالزندقة
وروى انه لما حضرته الوفاة احاط به اهل بيته فاقبلوا يقولون له قل يا مطيع
لا اله الا الله فلا يقول حتى اذا صارت نفسه في غرغرته تنفّس ثم اهوى الى الكلام
فقالوا له قل لا اله الا الله فتكلم كلاما ضعيفا فتسمعوا له فاذا هو يقول
لهف نفسي على الزمان وفي . اي زمان دهتني الازمان . حين جاء الربيع واستقبل
الصيف . وطاب الطلاء والريحان قال المرتضى رضي الله عنه وهذا الحديث يرويه الهيثم
بن عدي ليحيى بن زياد الحارثي الكوفي فهو يحيى بن زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان
بن الديان الحارثي الكوفي وزياد بن عبيد الله هو خال ابي العباس بن السفاح
ويكنى يحيى لانه كان ظريفا وهذا المعنى قصد ابو نواس بقوله . تيه مغن وظرف
زنديق قال الصولي وانما قال ذلك لان الزنديق لا يرع عن شيء ولا
يمتنع مما يدعى اليه فنسبه الى الظرف لمساعدته على كل شيء وقلة خلافه
وروى انه قيل ليحيى بن زياد وهو يجود بنفسه قل لا اله الا الله
فقال لم يبق الا الغبط والخلاخل ثم اغمي عليه فلما افاق واعيد عليه القول قال
دبا زلت تعلى به للراجل وروى محمد بن يزيد قال قال مطيع بن اياس يرثي
يحيى بن زياد وكانا جميعا مرميين بالخروج عن الملة . يا اهل بكوا لقلبي القرح
وللدموع الهوامل السفح . راحوا بيحيى الى مغيبه . في القبر بين التراب والصفح
راحوا بيحيى ولو تساعدني . الاقدار لم تبكر ولم ترح . يا خير من يحسن البكاء
له . اليوم ومن كان امس للمدح . قد ظفر الحزن بالسرور وقد . اديل مكروهنا
من الفرح . ولمطيع يرثيه . انظر الى الموت كيف بادهم . والموت مقدامة
على البهم . لو قد تدبرت ما صنعت به . قرعت سنا عليه من ندم . فاذهب
بمن شئت اذ ذهبت به . ما بعد يحيى للرزء بالالم . فاما صالح بن عبد القدوس
فكان متظاهرا بمذاهب الثنوية ويقال ان ابا الهذيل العلاف ناظره فقطعه ثم قال

لعلى

له على اي شيء تعزم يا صالح قال استخير الله واقول بالاثنين قال ابو الهذيل ناظره
في مسئلة مشهورة في الامتزاج الذي ادعوه بين النور والظلمة فاقام عليه الحجة
وانقطع فانشأ يقول . يا ابا هذيل هداك الله يا رجل . فانت حقا لعمري معضل
جدل . وروى انه روي يصلي صلوة تامة الركوع والسجود فقيل ما هذا و
مذهبك معروف فقال سنة البلد وعادة الجسد وسلامة الاهل والولد وبقال
انه لما رأى المهدي قتله على الزندقة دعا اليه بكتاب وقال له اقرأ هذا قال
وما هو قال كتاب الزندقة قال صالح او تعرفه انت امير المؤمنين اذا قرأته
قال لا قال افتقتلني على ما لا تعرف قال فاني اعرفه قال صالح فقد عرفته ولست
بزنديق وكذلك اقرأه ولست بزنديق . وذكر محمد بن يزيد قال ذكر بعض الرواة
ان صالحا نوظر فيما قذف به من الزندقة بحضرة المهدي قال له الست القائل
في حفظك ما انت عليه . رب سر كتمته فكاني . اخرس او ثنى لساني خبل
ولو اني ابديت للناس علمي لم يكن لي في غير حبسي اكل . فقال له صالح
فاني اتوب وارجع فقال هيهات الست القائل . والشيخ لا يترك اخلاقه . حتى
يواري في ثرى رمسه . اذا ارعوى عاد الى جهله . كذا الضنا عاد الى نكسه
ثم قدم فقتل ويقال انه صلبه على الجسر ببغداد ومن شعره وهو في الحبس
اذا ادخل السجان يوما لحاجة . عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا . ونفرح بالدنيا
نعلل حديثنا . اذا نحن اصبحنا الحديث عن الرؤيا . فان حسنت لم تأت عجلى
وابطأت . وان قبحت لم تحتبس واتت عجلى . طوى دوننا الاخبار سجن ممنع
له حارس تهدى العيون ولا يهدا . قبرنا ولم ندفن فنحن بمعزل . من الناس
لا نخشى فنغشى ولا نغشى . الا احد يأوي لاهل محلة . مقيمين في الدنيا
وقد فارقوا الدنيا . قال المرتضى رضي الله عنه واظن ان ابن الجهم
لحظ قول صالح فنغشى ولا نغشى في قوله يصف الحبس . بيت يجدد للكريم
كرامة . ويزار فيه ولا يزور فيحفد فاما علي بن الخليل فذكر محمد بن داود قال

ابن

كان علي بن الخليل وهو مولى يزيد بن مزيد الشيباني ويكنى ابا الحسن وهو كوفي متهم
بالزندقة فطلبه الرشيد عند قتله الزنادقة فاستتر طويلا ثم قصد الرقة ولها
الرشيد فمدحه ومدح المفضل بن الربيع وروى انه لما قعد الرشيد للمظالم
بالرقة حضر شيخ حسن الهيئة حسن الخضاب معه قصيدة فاشار بها فامر الرشيد
باخذها منه فقال يا امير المومنين انا احسن لها قراءة من غيري فاذن لي
فقراتها ففعل فقال اني شيخ كبير ولا آمن من الاضطراب اذا قمت فان رايت
ان تاذن لي في الجلوس فعلت فقال اجلس فجلس ثم انشا يقول . يا خير
من وخدت بارجله . نجب الركاب بمهمه جلس . تطوي السباسب في ازمتها . اللين ينبسط في الارض
على البحار عمايم البرس . لما رايتك الشمس طالعة . سجدت لوجهك طلعة البرنس
الشمس . خير الخلايق انت كلهم . في يومك الماضي وفي امس . وكذاك
لا تنفك خيرهم . تمسي وتصبح فوق ما تمسي . من عصبة طابت ارومتها .
اهل العفاف ومنتهى القدس . فوق النجوم فروع نبعتهم . ومع الحضيض
منابت الغرس . اني رحلت اليك من فزع . كان التوكل عند ترسي . ماذا لك
الا انني رجل . اسموا الى بقر من الانس . بقر اوانس لا قرون لها . يقتلن
بالتطويل والحبس . واجانب الفتيان بينهم . صهبا مثل مجاجة الورس
للماء في حافاتها حبب . نظم كلطي صحايف الفرس . والله يعلم في بقيته . ما لي
ما ضعت اقامة الخمس . فقال له هرون من انت قال علي بن الخليل الذي يقال
انه الزنديق قال انت آمن وكتب الى حمدويه الا يعرض له ومن تركنا ذكره
من هولاء اكثر ممن ذكرناه . وانما اعتمدنا من كان في هذه البلية اشهر
وامره فيها اظهر واوردنا مع ذلك قليلا من كثير وجملة من تفصيل واذ
قد ذكرنا جملة من اخبار اهل الضلال والمنقادين للجهال حسب ما سئلنا
فنحن نتبعها بشيء من اخبار اهل التوحيد والعدل وملح حكاياتهم ومستحسن
الفاظهم ليعلم الفرق بين من ربحت بيعته ومن خسرت صفقته فقد سئلنا

ايضا ذلك

٢١

ايضا ذلك اعلم ان اصول التوحيد والعدل ماخوذة من كلام امير المومنين عليه السلام
وخطبه فانها تتضمن من ذلك ما لا زيادة عليه ولا غاية وراه ومن تامل المانور
في ذلك من كلامه علم ان جميع ما اسهب المتكلمون من بعد في تصنيفه وجمعه تفصيل اسهب فيه
لتلك الجمل وشرح لتلك الاصول وروى عن الائمة من اولاده عليهم السلام
من ذلك ما لا يكاد يحاط به كثرة ومن احب الوقوف عليه وطلبه في مضانه ومكانه منه
اصاب منه الكثير الغزير الذي في بعضه شفاء لما في الصدور السقيمة ونتاج
للعقول العقيمة ونحن نقدم ما نريد ذكره شيئا مما روي عنهم في هذا الباب
فمن ذلك ما روي عن امير المومنين عليه السلام وهو يصف الله تعالى بمضادته
بين الاشياء علم ان لا ضد له وبمقارنته بين الامور علم ان لا قرين له
ضاد النور بالظلمة والخشونة باللين واليبوسة بالبلل والبرد بالحرور والقر ببه
بين متباعداتها مفرق بين متدانياتها وروي عنه عليه السلام انه سئل
بم عرفت ربك فقال بما عرفني به قيل وكيف عرفك قال لا تشبهه صورة
ولا يحس بالحواس ولا يقاس بالناس وقيل له عليه السلام كيف يحاسب الله تعالى
الخلق على كثرتهم فقيل كيف يحاسبهم ولم يرونه قال كما رزقهم ولا يرونه فقال كما يرزقهم
وساله رجل فقال اين كان ربك قبل ان يخلق السماء والارض فقال عليه السلام
اين سوال عن مكان وكان الله لا مكان وروي عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام
انه سال محمد الحلبي فقال هل راى رسول الله ربه فقال نعم راه بقلبه فاما
ربنا جل جلاله فلا تدركه ابصار الناظرين ولا تحيط به اسماع السامعين
وروى صفوان بن يحيى قال دخل ابو قرة المحدث على ابي الحسن الرضا عليه السلام
فسئله عن اشياء من الحلال والحرام والاحكام والفرايض والروية فقسم لموسى حتى بلغ سواله الى التوحيد فقال ابو قرة
الكلام ولمحمد الروية فقال الرضا عليه السلام فمن المبلغ عن الله تعالى الى الثقلين الجن انا روينا ان الله تعالى قسم الكلام
والانس انه لا تدركه الابصار ولا يحيطون به علما وليس كمثله شيء اليس
محمد صلى الله عليه واله نبيا صادقا قال بلى فقال فكيف يجيء رجل الى الخلق

فيخبرهم انه جاء من عند الله تعالى يدعوهم اليه بامره ويقول لا تدركه الابصار
ولا يحيطون به علما ليس كمثله شيء ثم يقول انا رايته بعيني واحيط به علما
اما تستحيون ما قدرت الزنادقة ان ترميه بهذا ان يكون ياتي عن الله تعالى بشيء
ثم ياتي بخلافه من وجه آخر قال ابو قرة فانه يقول ولقد رآه نزلة اخرى
عند سدرة المنتهى قال عليه السلام ما بعد هذه الاية يدل على انه ما راى
حيث يقول ما كذب الفؤاد ما راى اي يقول ما كذب فؤاد محمد ما رات
عيناه ثم اخبر بما راى فقال لقد راى من آيات ربه الكبرى وآيات الله
غير الله وقد قال الله تعالى ولا يحيطون به علما فاذا راته الابصار فقد
احاط به العلم فقال ابو قرة فاكذب بالروية فقال الرضا عليه السلام اذ القران

الفرقان

كذبها وما اجمع عليه المسلمون انه لا يحاط به علما ولا تدركه الابصار وليس
كمثله شيء واتى اعرابي ابا جعفر محمد بن علي عليه السلام فقال له هل رايت ربك حين عبدته
فقال لم اعبد شيئا لم اره فقال كيف رايته فقال لم تره الابصار بمشاهدة العيان

الكن

بل راته القلوب بحقايق الايمان لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس
معروف بالايات منعوت بالعلامات لا يجور في قضيته هو الله الذي
لا اله الا هو فقال الاعرابي الله اعلم حيث يجعل رسالته روى
ان شيخا حضر صفين مع امير المومنين عليه السلام فقال له اخبرنا يا امير المومنين
عن مسيرنا الى الشام اكان بقضاء من الله وقدر قال له نعم يا اخا اهل الشام
والذي فلق الحبة وبرا النسمة ما وطينا موطئا ولا هبطنا واديا ولا علونا
تلعة الا بقضاء من الله وقدر فقال الشامي عند الله احتسب عنائي يا امير
المومنين وما اظن ان لي اجرا في سعيي اذا كان الله قضاه علي وقدره فقال
له عليه السلام ان الله قد اعظم لكم الاجر على مسيركم وانتم سائرون وعلى مقامكم
وانتم مقيمون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا اليها مضطرين

حالاتكم

ولا عليها مجبرين فقال كيف ذلك والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا

وانصرافنا فقال عليه السلام ويحك يا اخا اهل الشام لعلك ظننت قضاء لازما
وقدرا حتما لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد
والامر من الله والنهي وما كان المحسن اولى بثواب الاحسان من المسيء والمسيء
اولى بعقوبة الذنب من المحسن تلك مقالة عبدة الاوثان وحزب الشيطان
وخصماء الرحمن وشهداء الزور وقدرية هذه الامة ومجوسها ان الله امر
عباده تخييرا ونهاهم تحذيرا وكلف يسيرا واعطى على القليل كثيرا ولم يطع
مكرها ولم يعص مغلوبا ولم يكلف عسيرا ولم يرسل الانبياء لعبا ولم
ينزل الكتاب الى عباده عبثا ولا خلق السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك
ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار فقال الشامي فما القضاء
والقدر اللذان كان مسيرنا بهما وعنهما قال الامر من الله تعالى بذلك والحكم
ثم تلى ذلك وكان امر الله قدرا مقدورا فقال الشامي فرحا مسرورا لما سمع
هذا المقال فقال فرجت عني فرج الله عنك يا امير المومنين وانشا القول
انت الامام الذي نرجو بطاعته . يوم الحساب من الرحمن غفرانا . اوضحت من امرنا
ما كان ملتبسا . جزاك ربك بالاحسان احسانا . وروى ان ابا حنيفة
النعمان بن ثابت قال دخلت المدينة فاتيت ابا عبد الله عليه السلام فسلمت عليه
وخرجت من عنده فرايت ابنه موسى عليه السلام في دهليز قاعدا في مكتبه وهو
صغير السن فقلت له اين يحدث الغريب عندكم فنظر الي ثم قال يجتنب شطوط

اذا اراد ذلك

الانهار ومساقط الثمار وافنية الدور والطرق النافذة والمساجد ويضع
ويرفع بعد ذلك حيث شاء فلما سمعت هذا القول نبل في عيني وعظم
في قلبي فقلت له جعلت فداك فمن المعصية فنظر الي ثم قال اجلس حتى اخبرك
فجلست فقال ان المعصية لا بد ان تكون من العبد او من ربه او منهما جميعا
فان كانت من الله فهو اعدل وانصف من ان يظلم عبده وياخذه بما
لم يفعله وان كانت منهما فهو شريكه والقوي اولى بانصاف عبده

الضعيف وان كانت من العبد وحده فعليه وقع الامر واليه توجه النهي وله
حق الثواب والعقاب ووجبت الجنة والنار قال فلما سمعت ذلك قلت
ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ وقد نظم هذا المعنى فقيل . لم تخل
افعالنا اللاتي نذم لها . احدى ثلث خصال حين ناتيها . اما تفرد بارينا بصنعتها
فيسقط اللوم عنا حين ننشيها . او كان يشركنا فيها فيلحقه . ما سوف يلحقنا
من لايم فيها . او لم يكن لالهي في جنايتها . ذنب فما الذنب الا ذنب جانيها
سيعلمون اذا الميزان شال بهم . اهم جنوها ام الرحمن جانيها . واحد من نظائره
من المتقدمين بالقول بالعدل الحسن البصري واسم ابيه يسار من اهل ميسان
مولى لبعض الانصار وكان اسم امه خيرة مملوكة لام سلمة زوج النبي صـ ويقال ان
ام سلمة كانت تاخذ الحسن اذا بكى فتسكته بثديها وكان يدر عليه فيقال ان الحكمة
التي اوتيها الحسن من ذلك وبلغ الحسن من السن تسعا وثمانين سنة فمن نصرته
بالعدل ما رواه علي بن الجعد قال سمعت الحسن يقول من زعم ان المعاصي من الله
جاء يوم القيمة مسودا وجهه ثم قرا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ
وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ وقال داود بن ابي هند سمعت الحسن يقول كل شيء
بقضاء وقدر الا المعاصي وكان الحسن بارع الفصاحة بليغ المواعظ كثير العلم
وجميع كلامه في الوعظ وذم الدنيا واجله ماخوذ لفظا ومعنى او لفظا دون معنى من كلام
امير المومنين علي بن ابي طالب عليه السلم فهو في ذلك القدوة والغاية فمن ذلك قوله عليه السلم
شيئان احدهما ماخوذ من الاخر احدهما اكبر شيء في الدنيا العبر والاعتبار
وقوله عليه السلم مثل الدنيا والاخرة مثل الشرق والغرب متى ازددت من احدهما
قربا ازددت من الاخر بعدا وقوله عليه السلم شتان بين عملين عمل تذهب لذته
وتبقى تبعته وعمل تذهب مونته ويبقى اجره وقوله في وصف الدنيا ما اصف
من دار اولها عناء واخرها فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من صح فيها امن
ومن مرض فيها ندم ومن استغنى فتن ومن افتقر حزن وقوله من كلام له في ايها

الذام للدنيا

الذام للدنيا والمغتر بغرورها متى استذمت اليك بل متى غرتك المضاجع اباءك
من الثرى ام بمنازل امهاتك من البلى كم مرضت بكفيك وكم عالجت تبتغي لهم
الشفاء وتستوصف لهم الاطباء ام مثلت لك الدنيا نفسك وبمصرعهم مصرعك
قال المرتضى رضي الله عنه وهذا باب ان ولجناه اغترفنا من ثبج بحر زاخر
وشوبوب غمام ماطر وكل قول في هذا الباب لقايل اذا اضيف اليه او قوبل به
كان كاضافة القطرة الى الغمرة والحصاة الى الحرة وانما اشرنا اليه اشارة واومانا
اليه ايماء ثم نعود الى ما كنا فيه وروي ان اعرابيا سمع كلام الحسن البصري
فقال المومن فصيح اذا لفظ نصيح اذا وعظ وروي ان الحسن تلا يوما انا
عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال ثم قال ان قوما غدوا في المطارف
العتاق والعمايم الرقاق يطلبون الامارات ويضيعون الامانات يتعرضون
للبلاء وهم منه في عافية حتى اذا اخافوا من فوقهم من اهل العفة وظلموا من تحتهم
من اهل الذمة اهزلوا دينهم واسمنوا براذينهم ووسعوا دورهم وضيقوا
قبورهم الم ترهم قد جددوا الثياب واخلقوا الدين يتكي احدهم على شماله فيأكل
من غير ماله طعامه غصب وخدمه سخرة يدعو بحلو بعد حامض وبحار بعد
بارد ورطب بعد يابس حتى اذا اخذته الكظة تجشا من البشم ثم قال يا جارية
هاتي حاطوما يعني هاضوما يهضم الطعام يا احيمق لا والله لن تهضم الا دينك
اين جارك اين يتيمك اين مسكينك اين ما اوصاك الله عز وجل له وذكر يوما
الحجاج فقال اتانا اعيمش اخيفش له جميمة يرجلها واخرج الينا بنانا باقصار
والله ما عرق فيها عنان في سبيل الله فقال بايعوني فبايعناه ثم رقى
هذه الاعواد ينظر الينا بالتصغير وننظر اليه بالتعظيم يامرنا بالمعروف ويجتنبه
وينهانا عن المنكر ويرتكبه وروي عيسى بن عمر قال قال الحسن ان هذه القلوب
طلعة فاقدعوها فانكم ان تطيعوها تنزع بكم الى شر غاية وحادثوا هذه
النفوس فانها سريعة الدثور قال عيسى بن عمر فحدثت بذلك ابا عمرو بن العلاء

فعجب من فصاحته وكان يقول فى بعض كلامه ما تشاء ان ترى احدا ابيض
بضا يملخ فى الباطل ملخا ينفض مذرويه ويقول هاناذا فاعرفونا قال فالبض هو
الرخص اللحم وليس هو من البياض على ما يظنه قوم لانه قد يكون الرخاص مع
الادمة فاما قوله يملخ هو التثنى والتكسر يقال ملخ الفرس اذا لعب قال يصف
الحمار. معترم التجليح ملاخ الملق. والمذروان فرعا الاليتين. قال عنترة احوى
تنفض استك مذرويها. لتقتلنى فها اناذا عمارا. هذا قول ابى عبيدة وقال
ابن قتيبة رادا عليه. ليس المذروان فرعى الاليتين حسب بل هما الجانبان
من كل شى تقول العرب جاء فلان يضرب اصدريه ويضرب عطفيه وينفض
مذرويه وهما منكباه وذكر انه سمع رجلا من فصحاء العرب يقول قنع الشيب
مذرويه يريد جانبى راسه وهما فوداه وانما سميا بذلك لانهما يذريان اى
يشيبان والذرى الشيب قال وهذا اصل الحرف ثم استعير للمنكبين والاليتين
والطرفين من كل شى قال امية بن عايذ الهذلى يذكر قوسا. على عجس هتافة المذروين
زوراء مضجعة فى الشمال اراد قوسا ينفض طرفيها قال فلا معنى لوصف الرجل
الذى ذكره الحسن بانه يحرك اليتيه ولا من شان من يبذخ ويتيه على نفسه
ويقول هاناذا فاعرفونى ان يحرك اليتيه انما اراد انه يضرب عطفيه وهذا
مما يوصف به المرح المختال وربما قالوا جاء ينفض مذرويه اذا تهددوا
يتوعد لانه اذا تكلم وحرك راسه نفض قرون فوديه وهما مذرواه قال
المرتضى رضى الله عنه ليس الذى ذكره ابو عبيد ببعيد لان من شان
المختال الذى يذهب بنفسه ان يهتز ويتثنى فتتحرك اعطافه واعضاؤه ومذرواه
من جملة ما يهتز ويتحرك لانهما بارزان من جسمه فيظهر فيهما الاهتزاز وانما خص
المذروان بالذكر مع ان غيرهما يتحرك ايضا على طريق التقبيح على هذا المختال
والتهجين لفعله وقول ابن قتيبة ليس من شان من يبذخ ان يحرك اليتيه ليس بشى
لان الغالب من شان الباذخ المختال الاهتزاز وتحريك الاعطاف على

منه ما يلزمه فيما قال لانه ليس من شان كل متوعد ان يحرك راسه وينفض مذرويه
فاذا قال ان ذلك فى الاكثر قيل له مثله وكان الحسن يقول يا ابن ادم جمعا
جمعا سرطا سرطا جمعا فى وعاء وشدا فى وكاء وركوب الذلول ولبس اللين
حتى قيل مات فافضى والله الى الاخرة فطال حسابه وكان يقول مسكين ابن ادم
مكتوم الاجل مكنون العلل اسير جوع صريع شبع ان من تؤلمه البقة وتقتله
الشرقة لبادى الضعف فريسة الحتف وكان يقول ما اطال احد الامل الا اساء
العمل وكتب الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان طول البقاء الى فناء فخذ من
فنائك الذى لا يبقى لبقائك الذى لا يفنى والسلام وكان يقول اذا رايت رجلا
ينافسك فى الدنيا فنافسه فى الاخرة وسئله رجل ما حالك فقال باشد حال
ما حال من اصبح وامسى ينتظر الموت ثم لا يدرى ما يفعل الله به وكان
يقول يا ابن ادم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان يكتبان عملك
فامل ما شئت واكثر واقلل وفى خبر اخر ريقك مدادهما ولسانك قلمهما
وروى ابو بكر الهذلى قال لما قدم عمر بن هبيرة واليا على العراق نزل
واسطا فبعث الى الشعبى والى الحسن البصرى فقال لهما ان يزيد بن عبد الملك
عبد اخذ الله ميثاقه وانتجبه لخلافته وقد اخذ بنواصينا واعطيناه عهودنا
ومواثيقنا وصفقة ايدينا فوجب علينا السمع والطاعة وانه يبعثنى الى عراقكم
غير سائل اياه الا انه لا يزال يبعث الينا فى القوم نقتلهم او فى الضياع نقبضها او فى الدور
نهدمها فنوليه من ذلك ما ولاه الله فما تريان فاما الشعبى فقال قولا فيه بعض
اللين واما الحسن فانه قال له يا عمر انى انهاك عن الله ان تتعرض له فان الله
مانعك من يزيد وما يمنعك يزيد من الله انه يوشك ان ينزل عليك ملك
من السماء فيستنزلك من سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى الضيق قبرك ثم
لا يوسعه عليك الا عملك ان هذا السلطان انما جعل ناصر الدين الله فلا تركبوا
دين الله وعباد الله بسلطان الله تذلونهم به فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية

الخالق عز وجل وذكر عن الشعبي انه قال كان والله الحسن اكرم منا عليه وروى
ابو بكر بن عياش قال قال مسلمة بن عبد الملك للحسن عظني قال اذا نزلت عن المنبر فاعمل
بما تكلمت به قال عظني قال اوليت قط قال نعم قال فما كنت تحب ان يؤتى اليك
فأته الى من وليته وعن ثابت البناني قال قال رجل للحسن آخذ عطائي ام ادعه حتى آخذه
من حسناتهم يوم القيمة فقال له قم ويحك خذ عطاءك فان القوم مفاليس
من الحسنات يوم القيمة وولد للحسن غلام فهناه بعض اصحابه فقال الحسن نحمد الله
على هبته ونستزيده من نعمه ولا مرحبا بمن اذا كنت غنيا اذهلني وان كنت فقيرا
اتعبني لا ارضى بسعيي له سعيا ولا بكدي له في الحيوة كدا اشفق عليه من الفاقة من بعد
وفاتي وانا في حال لا يصل الي من همه حزن ولا من فرحه سرور وكان الحسن يقول
لو لم يكن من شوم الشراب الا انه جاء الى احب خلق الله الى الله فافسده لكان ينبغي
للعاقل ان يتركه يعني العقل وعزى جاثلية يهوديا فقال له جزاك الله على مصيبتك
باعظم ما جازى به احدا من اهل ملتك وهذا تخلص منه مليح لانه لم يدع له
بالثواب الذي لا يستحقه الكفار واراد بالجزاء العوض الذي يستحقه الكافر مع
استحقاق العقاب وكان الحسن يقول ليس للفاسق المعلن بالفسق غيبة ولا لاهل
الاهواء والبدع غيبة ولا للسلطان الجائر غيبة وقال في قوله تعالى رَبَّنَا آتِنَا
فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً قال العلم وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً قال الجنة وخرج الحسن في جنازة
معها نوائح فقال له رجل اما ترى يا ابا سعيد هذا وهم الرجل بالرجوع فقال له
الحسن ان كنت كلما رايت قبيحا تركت له حسنا اسرع ذلك في دينك وذكرت عنده
الدنيا فقال . احلام نوم او كظل زائل . ان اللبيب بمثلها لا يخدع . وكان يتمثل
اليوم عندك دلها وحديثها . وغدا لغيرك كفها والمعصم . كالبيت يصبح خاليا
من اهله . ويحل بعدك فيه من لا تعلم . وعن ابي عبيدة قال لما فرغ الحجاج
من خضراء واسط نادى في الناس ان يخرجوا فيدعوا له بالبركة فخرج الناس
وخرج الحسن فاجتمع عليه الناس فخاف اهل الشام على نفسه ان يقتلوه فرجع

وهو يقول

ال

وهو يقول قد نظرنا يا اخبث الاخبثين وافسق الفاسقين . فاما اهل السماء فمقتوك
واما اهل الارض فغروك . ثم قال ابى الله تعالى للميثاق الذي اخذ على اهل العلم
لَيُبَيِّنُنَّهُ للناس ولا يكتمونه ثم انصرف وبلغ ذلك الحجاج فقال يا اهل الشام
وهم حوله الله ليقوم من عبيد من عبيد اهل البصرة فيتكلم فينا بما تكلم به ثم لا يكون
عند احد منكم تغيير ولا نكير قالوا ومن ذلك اصلحك الله استبدادهم فقال
علي به وامر بالنطع والسيف فاحضر وجيء اليه فلما دنا الحسن الى من الباب
وحرك شفتيه والحاجب ينظر اليه فلما دخل قال له الحجاج هيهنا واجلسه قريبا
من فرشه وقال له ما تقول في علي وعثمان قال اقول قول من هو خير مني
عند من هو شر منك قال موسى لفرعون اذ قَالَ لَهُ مَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى
قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى علم علي وعثمان عند الله تعالى
فقال له الحجاج انت سيد العلماء يا ابا سعيد ثم دعا له بغالية فغلل بها لحيته
فلما خرج الحسن اتبعه الحاجب قال له يا ابا سعيد والله لقد دعاك لغير ما فعل
بك والله لقد احضر السيف والنطع فلما اقبلت رايتك قد حركت شفتيك بشيء
فما قلت قال قلت يا عُدَّتِي عِنْدَ كُرْبَتِي وَيَا صَاحِبِي عِنْدَ شِدَّتِي وَيَا وَلِيِّي
فِي نِعْمَتِي وَيَا اِلٰهِي وَاِلٰهَ آبَائِي اِبْرٰهِيمَ وَاِسْمٰعِيلَ وَاِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ
ارْزُقْنِي مَوَدَّتَهُ وَاصْرِفْ عَنِّي اَذَاهُ وَمَعَرَّتَهُ ففعل ربي عز وجل لي ذلك
وكان الحسن يقول ما زال النفاق مقموعا حتى عمم هذا عمامة وقلد سيفا
يعني الحجاج وروى ابو بكر بن الهذلي ان رجلا قال للحسن يا ابا سعيد ان
الشيعة تزعم انك تبغض عليا عليه السلم فاكب يبكي طويلا ثم رفع راسه
فقال لقد فارقكم بالامس رجل كان سهما من مرامي الله عز وجل على عدوه
رباني هذه الامة ذو شرفها وفضلها وذو قرابة من النبي صلعم قريبة لم يكن
بالنومة عن امر الله تعالى ولا بالغافل عن حق الله ولا السروقة من مال الله
اعطى القران فيما له وعليه فاشرف منها على رياض مونقة واعلام بينة

عزايمه

استبدادهم

ذاك ابن ابيطالب بالكع وكان الحسن اذا اراد ان يحدث في زمن بني امية عن
علي عليه السلم قال قال ابو زينب وشهد الحسن جنازة فقال ان امراً هذا اخره ينبغي
ان يزهد فيه وان امراً هذا اوله لينبغي ان يحذر منه وعن حميد بن الطويل قال
خطب رجل الى الحسن ابنته فكنت السفير بينهم فرضيه واراد ان يزوجه
فاثنيت عليه ذات يوم قلت وازيدك يا ابا سعيد ان له خمسين الفا قال اقلت
له خمسين الفا ما اجتمعت من حلال قال قلت يا ابا سعيد انه والله ما علمت عليه
لورع مسلم فقال ان كان جمعها من الحلال لقد ظن بها عن حق لا يجري بيني وبينه
صهر ابدا وقيل لعلي بن الحسين عليه السلم قال الحسن البصري ليس العجب ممن هلك
كيف هلك وانما العجب ممن نجا كيف نجا فقال عليه السلم انا اقول ليس العجب ممن
نجا كيف نجا انما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله تعا واتى عليه السلم
يوما الحسن البصري وهو يقص عند الحجر فقال يا حسن ارضى نفسك للموت
قال لا قال فعملك للحساب قال لا قال فلم تشغل الناس عن الطواف المجلس الحادي
عشر ومن تظاهر بالقول العدل واشتهر به واصل بن عطا الغزالي ويكنى
ابا حذيفة وقيل انه مولى بني ضبة وقيل مخزوم وقيل مولى بني هاشم وذكر انه
لم يكن غزالا وانما لقب بذلك لانه كان يكثر الجلوس في الغزالين وقيل انه يجلس
في الغزالين عند رضيع له يعرف بابي عبد الله الغزال وذكر المبرد ان واصلا
كان يلزم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء فيصرف صدقته اليهن ولقب
بذلك كما لقب ابو سلمة حفص بن سليمن بالخلال وهو وزير ابي العباس ولم يكن
خلالا وانما كان منزله بالكوفة يقرب الخلالين وكان يجلس عندهم فسمي خلالا
ومثله ابو علي الحرمازي وهو مولى لبني هاشم وانما لقب بذلك لانه كان
يلزم الحرماز ابرهيم بن يزيد الجوزي وليس بجوزي ولكنه كان ينزل بمكة
بشعب الجوز وابو سعيد المقبري لانه ينزل بالمقابر وكان واصل الثغ في الراء فتح
اللثغة فكانه يخلص كلامه من الراء ليعدل عنها في ساير محاوراته وقد ذكرنا طرفا

من ذكر

في اخبار بشار بن برد وذكر ابو الحسن البرزعي المتكلم ان انسانا سال عمرو بن عبيد
او غيره عن شيء في القدر بحضرة واصل بن عطا فتكلم السائل بشيء اغضب عمرا فانها
مندمة والشيطان يكون معها وله في تضاعيفها همزة وقد اوجب الله عز وجل على
نبيه عليه السلم ان يستعيذ من همزات الشياطين وان يكونوا معه بقوله اعوذ
بك من همزات الشياطين الى خاتمة الاية وقلما شاهدت احدا اخا فثبت في
جوابه وما ينطق به لسانه فلحقه به لوم قال البرزعي انظر الى واصل كيف
كلم عمرا فاخرج الراء من كلامه فقال موضع والشيطان يحضرها يكون معها
وقال قد اوجب الله تعا على نبيه ولم يقل امره وقال ان يكونوا معه بدلا من قوله
وان يحضرون ثم قال الى خاتمه الآية ولم يقل الى آخر الاية قال المرتضى رضي الله عنه
ومما لم يذكره البرزعي انه عدل عن افتتاح الاية من اجل الراء ايضا لان اولها
وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين ولولا قصده الى العدول لكان
ذكرها واجبا من حيث ابتدائها لا سيما وفي ابتدائها تعليم وتوقيف على كيفية
دعائه والاستعاذة به وقيل ان رجلا قال له كيف تقول اسرج الفرس
فقال اليه الجواد وقال له اخر كيف تقول ركب فرسه وجر رمحه فقال
استوى على جواده وسحب عامله وذكر ابو الحسين الخياط ان واصلا كان
من اهل المدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومولده سنة ثمانين ومات سنة احدى وثلثين ومائة
وكان واصل ممن لقي ابا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وصحبه واخذ عنه
وقال قوم انه لقي اباه محمدا عليه السلم وذلك غلط لان محمدا توفي سنة ثمانين او
وثمانين وواصل هو اول من اظهر المنزلة بين المنزلتين لان الناس كانوا في اسماء
اهل الكبائر من اهل الصلوة على اقوال كانت الخوارج تسميهم بالايمان و
كان الحسن البصري واصحابه يسمونهم بالنفاق فاظهر واصل القول
بانهم فساق غير مؤمنين ولا كفار ولا منافقين وكان عمرو بن عبيد من اصحاب
الحسن وتلاميذه فجمع بينه وبين واصل ليناظره فيما اظهره من القول بالمنزلة

بين المنزلتين قلما وقفوا على الاجماع ذكر ان واصلا اقبل ومعه جماعة من
اصحابه الى حلقة الحسن وفيها عمرو بن عبيد جالسا فلما نظر الى واصل وكان فى
عنقه طول واعوجاج قال ارى عنقا لا يفلح صاحبها وسمع ذلك واصل فلما
سلم عليه قال له يا ابن اخى ان من عاب الصنعة عاب الصانع للتعلق الذى بين الصانع
والمصنوع فقال له عمرو بن عبيد يا ابا حذيفة قد وعظت فاحسنت ولن اعود
الى مثل الذى كان منى وجلس واصل فى الحلقة وسئل ان يكلم عمرا فقال واصل
لعمرو لم قلت من اتى كبيرة من اهل الصلوة يستحق اسم النفاق فقال عمرو لقول الله تعالى
وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ
جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ثم
قال فى موضع اخر إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وكان كل فاسق منافقا
اذا كانت الالف واللام المعرفة موجودتين فى الفاسق فقال له واصل اليس
قد وجدت فى قوله تعالى وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ
واجمع اهل العلم على ان صاحب الكبيرة يستحق اسم الظالم كما يستحق اسم فاسق
والاكفرة صاحب الكبيرة من اهل الصلوة بقوله تعالى وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ
تعرف بالف ولام التعريف اللتين فى قوله وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ كما قال فى القاذف واولئك هم الفاسقون فتسميته منافقا
لقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون فامسك عمرو ثم قال له واصل يا ابا عثمان
ايما اولى ان يستعمل فى اسماء المحدثين من امتنا ما اتفق عليه اهل الفرق
من اهل القبلة او ما اختلف فيه فقال عمرو بل ما اتفقوا عليه فقال له واصل
الست تجد اهل الفرق على اختلافهم يسمون صاحب الكبيرة فاسقا ويختلفون
فيما عدا ذلك من اسمائه لان الخوارج تسميه مشركا فاسقا والشيعة تسميه
كافر نعمة فاسقا قال المرتضى رضى الله عنه يعنى بالشيعة الزيدية والحسن
يسميه منافقا فاسقا والمرجئة مؤمنا فاسقا فاجمعوا على تسميته بالفسق

سوق

تنبيه

واختلفوا

واختلفوا فيما عدا ذلك من اسمائه فالواجب ان يسمى بالاسم الذى اتفق عليه
وهو الفسق لاتفاق المختلفين عليه ولا يسمى بما عدا ذلك من الاسماء التى اختلف
فيها فيكون صاحب الكبيرة فاسقا ولا يقال فيه انه مؤمن ولا منافق ولا
مشرك ولا كافر نعمة فهذا اشبه باهل الدين فقال له عمرو بن عبيد ما بينى
وبين الحق عداوة والقول قولك فليشهد على من حضر انى تارك للمذهب الذى
كنت اذهب اليه من نفاق صاحب الكبيرة من اهل الصلوة قائل بقول ابى حذيفة
فى ذلك وانى قد اعتزلت مذهب الحسن فى هذا الباب فاستحسن الناس هذا
من عمرو وقيل ان اسم الاعتزال انما اختص به هذه الفرقة لاعتزالهم مذهب الحسن
بن الحسن فى تسميته مرتكب الكبيرة من اهل الصلوة بالنفاق وحكى غير ذلك
وقيل ان قتاده بعد موت الحسن البصرى كان جلس مجلسه وكان هو وعمرو بن عبيد
جميعا رئيسين مقدمين فى اصحاب الحسن فجرى بينهما نفرة فاعتزل عمرو
مجلس قتاده فاجتمع اليه جماعة من اصحاب الحسن فكان قتاده اذا جلس مجلسه سال
عن عمرو واصحابه فيقول ما فعلت المعتزلة فسموا بذلك قال المرتضى رضى الله عنه
اما ما الزمه واصل بن عطا لعمرو بن عبيد اولا فسديد لازم واما ما كلمه به ثانيا فغير
واجب ولا لازم لان الاجماع وان لم يوجد فى تسميه صاحب الكبيرة بالنفاق
او غيره من الاسماء كما وجد فى تسميته بالفسق فغير ممتنع ان يسمى بذلك لدليل
غير الاجماع فى الشيء وان كان دليلا على صحته فليس فقده دليلا على فساده
وواصل انما الزم عمروا ان يعدل عن التسمية بالنفاق للاختلاف فيه ويقتصر
بالتسمية بالفسق للاتفاق عليه وهذا باطل ولو لزم ما ذكره للزمه ان يقال قد
اتفق اهل الصلوة على استحقاق صاحب الكبيرة من اهل القبلة الذم والعقاب
ولم يتفقوا على استحقاقه التخليد فى العقاب او يقول انهم اجمعوا على استحقاقه
للعقاب ولم يجمعوا على فعل المستحق به فيجب ان اقول بما اتفقوا عليه وانفى
ما اختلفوا فيه فاذا قيل له استحقاق الخلود او فعل المستحق به من العقاب

ووجود الاجماع

وان لم يجمعوا عليه فقد علم بدليل غير الاجماع قيل له مثل ذلك فيما عوّل عليه
ويطل على كل حال ان يكون الاختلاف في القول دليلا على وجوب الامتناع منه وهذا
ينتقض بمسايل كثيره ذكرها يطول على ان المقدمة التي قدمها لا تسلم ما الزم عليها
لان الاجماع اولا من الاختلاف فيما يتعارض ويتقابل والاجماع والاختلاف
في الموضع الذي كلم عليه واصل عمروا في مكانين لان الاجماع هو على تسميته بالفسق
والاختلاف هو في تسميته بما عداه من الاسماء فلا تعارض بينهما وله ان ياخذ
بالاجماع في موضعه ويعوّل فيما الاختلاف فيه على دلالة غير الاجماع لان فقد
الاجماع من القول لا يوجب بطلانه وحكى ان واصلا كان يقول اراد الله تعالى
من العباد ان يعرفوه ثم يعملوا قال الله تعالى يا موسى إني أنا الله فعرفه نفسه
ثم قال له اخلع نعليك فبعد ان عرفه نفسه امره بالعمل قال والدليل على ذلك قوله
والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا يعني صدقوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر علموا وعملوا وعلموا وروى المبرد قال
حدثت ان واصل بن عطا اقبل في رفقة فاحسوا بالخوارج وكانوا قد اشرفوا
على العطب فقال واصل لاهل الرفقة ان هذا ليس من شانكم فاعتزلوا ودعوني العصب الكلاب تر
واياهم فقالوا شانك فقال الخوارج له ما انت واصحابك قال مشركون مستجيرون
ليسمعوا كلام الله ويعرفوا حدوده فقالوا قد اجرناكم قال فعلمونا احكامه
فجعلوا يعلمونه احكامهم وجعل يقول قد قبلت انا ومن معي قالوا فامضوا
مصاحبين فانكم اخواننا قال لهم ليس ذلك لكم قال الله تعالى وإن أحد
من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه فابلغونا
مامننا فساروا باجمعهم حتى بلغوهم الامن وحكى ان محمدا وابرهيم ابني عبد الله جميعا
بن الحسن كانا ممن دعاهما واصل الى القول بالعدل فاستجابا له وذلك لما حج
واصل ودعا الناس بمكة والمدينة وحكى ابو القاسم البلخي ان عبد الله قال لابنه
محمد كل خصالك محمودة يا بني الا تولك بالعدل فقال يا ابة افتني اقدر على تركه
ام لا اقدر على تركه
فورد الكلام

فورد الكلام على رجل عاقل فقال لا عاتبتك عليه ابدا قال المرتضى رضي الله عنه
قال ابو القاسم البلخي يقول ان كنت اقدر على تركه فهو قولي وان كنت لا اقدر فلم
تعاتبني على شيء لا اقدر عليه فاما عمرو بن عبيد فيكنى ابا عثمان مولى لبني العدوية على تركه
من بني تميم قال الجاحظ هو عمرو بن عبيد بن باب وباب نفسه من سبي كابل
من سبي عبد الرحمن بن سمرة وكان باب مولى لبني العدوية قال وكان ابو عبيد
شرطيا وكان عمرو متزهدا فكانا اذا اجتازا معا قالوا هذا شر الناس ابو خير
الناس فيقول عبيد صدقتم هذا ابرهيم وانا تارخ وقال علي بن الجعد
هو عبيد بن باب وكان بوابا للحكم بن ايوب قال وكان باب مكاتبا بالدكان
معروف له دكان باب وكان فارسيا وللفرزدق معه خبر مشهور تركنا ذكره لشهرته
وللفحش فيه . وذكر ابو الحسين الخياط ان مولد عمرو بن عبيد وواصل بن عطا جميعا
في سنة ثمانين قال ومات عمرو في سنة اربع واربعين ومائة وهو ابن اربع وستين
سنة وروي ان عمروا استاذن على المنصور فدخل عليه الربيع فقال له
بالباب رجل يقول اني عمرو بن عبيد وكانت على المنصور جبة يمانية محققة
قال ويلك يا ربيع عمرو بالباب قال نعم قال هات لي قميصا ابيض فاتاه به فالقاه
عليه قال ثم من خلفي فقط الجبة وازرها علي قال فدخل عليه رجل ادم مربوع قال الربيع ولم اكن ارى ان احدا يوقره
الكلمة بين عينيه اثر السجود حسن الادب حسن اللسان كانه لم يزل مع الملوك المنصور حتى رايت عمرو بن عبيد
الملوك في توقيره الخليفة واعظامه اياه قال فسلم فاجتذبه المنصور
ليجلسه معه فابى وطرح نفسه بين يديه فسأله واحفى به فلما اراد واحفى وتحفى به
عمرو القيام قال له عظني يا ابا عثمان واوجز قال ان ما في يديك لست بوارثه
عن احد وانما هو شيء صار اليك وقد كان في يد غيرك قبلك ولو دام لك
لبقي في الاول والسلام وعن الاصمعي قال مطر الوراق لعمرو بن عبيد اني
لارحمك مما يقول الناس فيك فقال عمرو افسمعتني اقول فيهم شيئا قال لا المتمني
قال فاياهم فارحم وقال خالد بن صفوان لعمرو بن عبيد لم لا تاخذ مني فتقضي دينا نتقضى

ان كان عليك وتصل رحمك فقال له عمرو اما دين فليس على واما صلة رحمي فلا تجب علي وليس عندي قال فما يمنعك ان تاخذ مني قال يمنعني انه لم ياخذ احد من احد شيئا الا ذل له وانا والله اكره ان اذل لك ويقال ان ابن لهيعه اتى عمرو بن عبيد في المسجد الحرام فسلم عليه وجلس اليه وقال له يا ابا عثمن ما تقول في قوله تعالى وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فقال له ذلك في محبة القلوب التي لا يستطيعها العبد ولم يكلفها فاما العدل بينهن في القسمة من النفس والكسوة والنفقة فهو مطيق لذلك وقد كلفه بقوله تعالى فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فيما تطيقون فتذروها كالمعلقة بمنزلة من ليست ايما ولا ذات بعل فقال ابن لهيعه هذا والله هو الحق ويقال ان عمرو بن عبيد اتى يونس بن عبيد يعزيه عن ابن له فقال له ان اباك كان اصلك وان ابنك كان فرعك وان امرا ذهب اصله وفرعه لحري ان يقل بقاؤه فقيل ان عبد الله بن عبد الاعلى اخذ هذا المعنى قال. صحبتك قبل الروح اذ انا نطفة. تصان فما يبدو لعين مصونها. ارى المرء دنيا للمنايا وما لها. مطال اذا حلت بنفس ديونها. فما ذا بقاء الفرع من بعد اصله. ستلقى الذي لاقى الاصول غصونها. واول من سبق الى هذا المعنى امرؤ القيس في قوله. فبعض اللوم عاذلتي فاني. ستغنيني التجارب وانتسابي. الى عرق الثرى وشجت عروقي. وهذا الموت يسلبني شبابي. واخذ ذلك لبيد في قوله. فان انت لم تصدقك نفسك فانتسب لعلك تهديك القرون الاوايل. فان لم تجد من دون عدنان والدا. ودون معد فلتزعك العواذل. واخذ ايضا في قول عمر. تود ابنتاي ان يعيش ابوهما وهل انا الا من ربيعة او مضر. وابرهيم بن العباس الصولي اما محمود ففي قوله اذا ما انتسبت الى ادم. فلم يك بينكما من اب. وجاءت سنوك بك الاربعين وصرت الى الجانب الاجنب. ودب البياض خلال السواد. فاصبحت في شيبك الاشهب. فكيف تومل طول الحيوة. ان كان حلمك لم يعزب.

وابرهيم

واما ابرهيم ففي قوله. نعى نفسي الى ابي. وخبر ابن منقلبي. بموعظة راها في ابيه كما رايت بي. وكان ابو نواس لحظ هذا المعنى في قوله. وما الناس الا هالك وابن هالك. وذي نسب في الهالكين عريق. اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت. له من عدو في ثياب صديق.

المجلس الثاني عشر

روي ان عمرو بن عبيد دخل على معوية بن عمرو الغلابي وهو يجود بنفسه فقال له ان الله تعالى تعبدك في حال الصحة بالعمل بجوارحك وقلبك ووضع عنك في هذه الحال العمل بالجوارح ولم يكلفك الا العمل بقلبك فاعطه بقلبك ما يجب له عليك وروي ان قوما اجتمعوا الى عمرو بن عبيد فتذاكروا السخا فاكثروا في وصفه وعمرو ساكت فسالوه عما عنده فقال ما اصبتم صفته ان السخي من جاد بماله تبرعا وكف عن اموال الناس تورعا وذكر اسحق بن الفضل الهاشمي قال اني لعلى باب المنصور يوما وعلى جنبي عمارة بن حمزة اذ طلع عمرو بن عبيد على حمار فنزل عن حماره ثم دفع البساط برجله وجلس دونه فالتفت الي عماره فقال لا تزال بصرتكم ترمينا منها باحمق فما فصل الكلام من فيه حتى خرج الربيع وهو يقول ابو عثمن عمرو بن عبيد قال فوالله ما دل على نفسه حتى ارشد اليه فاتكاه يده ثم قال اجب امير المومنين جعلت فداك فمر متكيا عليه فالتفت الى عماره فقلت ان الرجل الذي استحمقته قد ادخل وتركنا فقال كثيرا ما يكون ذلك فاطال اللبث ثم خرج الربيع وهو متوكئ عليه والربيع يقول يا غلام حمار ابي عثمان فما برح حتى اتى بالحمار فاقره على سرجه وضم اليه نشر ثوبه واستودعه الله فاقبل عماره على الربيع فقال لقد فعلتم اليوم بهذا الرجل ما لو فعلتموه بولي عهد كم لقضيتم ذمامه قال فما غاب عنك مما فعل به اكثر واعجب فقال عماره فان اتسع لك الحديث فحدثنا فقال الربيع ما هو الا ان سمع الخليفة بمكانه فما امهل حتى امر بمجلس ففرش لبودا ثم انتقل اليه والمهدي معه سواده وسيفه ثم اذن له فلما دخل سلم عليه بالخلافة فرد عليه وما زال يدنيه حتى اتكاه فخذه وتحفى به ثم ساله عن نفسه وعن عياله يسميهم رجلا رجلا وامراة امراة

ثم قال له يا اباعثمن عظنا فقال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
والفجر وليال عشر ومر فيها الى اخرها ثم قال ان ربك يا اباجعفر لبالمرصاد
فبكا بكاء شديدا كانه لم يسمع تلك الايات الا تلك الساعة فقال زدنى فقال
ان الله قد اعطاك الدنيا باسرها فاشتر نفسك منه ببعضها واعلم ان هذا الامر الذى
صار اليك انما كان فى يد من كان قبلك ثم افضى اليك وكذلك يخرج منك الى من
هو بعدك وانى احذرك ليلة تتمخض صبحتها عن يوم القيمة قال فبكا اشد
من بكائه الاول حتى رجف جنباه وفى رواية اخرى انه لما انتهى الى اخر السورة
فقال يا امير المومنين ان ربك لبالمرصاد لمن عمل مثل عملهم ان ينزل به مثل ما
انزل بهم فاتق الله فان من وراء بابك نيرانا تاجج من الجور ما يعمل فيها بكتاب الله
ولا سنة رسول الله فقال يا اباعثمن انا نكتب اليهم فى الطوامير نامرهم بالعمل بالكتاب
والسنة فان لم يفعلوا فما عسى ان نصنع فقال له مثل اذن الفاره يكفيك من
الطوامير الله تكتب اليهم فى حاجة الله فلا ينفذ وفيها انك والله لو لم ترض
من عمالك الا بالعدل اذا التقرب اليك به من لا نية له فيه قال المرتضى عفى الله عنه
رجعنا الى نسق الحديث فقال له سليمن بن مجالد رفقا يا امير المومنين فقد اتعبته
منذ اليوم فقال بمثلك ضاع الامر وانتشر لا ابالك وماذا اخفت على امير المومنين
ان بكى من خشية الله وفى رواية اخرى ان سليمن بن مجالد لما قال له ذلك رفع
عمرو راسه فقال من انت فقال ابو جعفر اولا تعرفه يا اباعثمن فقال لا
ولا ابالى الا اعرفه فقال هذا اخوك سليمن بن مجالد فقال هذا اخو الشيطان
ويلك يا بن مجالد خزنت نصيحتك عن امير المومنين ثم اردت ان تحول بينه
وبين من اراد نصيحته يا امير المومنين ان هولاء اتخذوك سلما الى شهواتهم
فانت كالاخذ بالقرنين وغيرك يحلب فاتق الله فانك ميت وحدك ومحاسب
وحدك ومبعوث وحدك ولن يغنى عنك هولاء من ربك شيئا فقال له
المنصور يا اباعثمن هل من حاجة قال نعم قال ما هى قال لا تبعث الى حتى اتيك

فحلفة نفسك فينفذ ريما
ونكتب اليهم

قال اذا لا

قال اذا لا انلقى قال عن حاجتى سالتنى ثم ودعه ونهض فلما ولى اتبعه بصره
وانشا يقول. كلكم طالب صيد. كلكم يمشى رويد. غير عمرو بن عبيد
وروى ان هشام بن الحكم قدم البصرة فاتى حلقة عمرو بن عبيد فجلس فيها
وعمرو لا يعرفه فقال لعمرو اليس قد جعل الله لك عينين قال بلى قال ولم قال
لانظر بهما فى ملكوت السموات والارض فاعتبر قال وجعل لك فما قال نعم قال
ولم قال لاذوق الطعام واجيب الداعى ثم عدد عليه الحواس كلها ثم قال وجعل
لك قلبا قال نعم قال ولم قال لتودى اليه الحواس ما ادركته فيميز بينها قال فانت
لم يرض لك ربك تعالى اذ خلق لك خمس حواس حتى جعل لها اماما ترجع اليه
فكيف يرضى لهذا الخلق الذى حشاهم العالم الا يجعل لهم اماما يرجعون اليه
فقال له عمرو ارتفع حتى ننظر فى مسئلتك وعرفه ثم دار هشام فى حلق البصرة
فما امسى حتى اختلفوا وروى ابو عبيده قال دخل عمرو بن عبيد على سليمن بن
على بن عبد الله بن العباس بالبصرة فقال له سليمن اخبرنى عن صاحبك يعنى
الحسن حين يزعم ان عليا عليه السلم قال انى وددت انى كنت اكل الحشف بالمدينة
ولم اشهد مشهدى هذا يعنى يوم الصفين فقال له عمرو بن عبيد لم يقل هذا
لانه ظن ان امير المومنين شاك ولكنه يقول وددت انه كان ياكل الحشف بالمدينة ولم
تكن هذه الفتنة فقال له فقوله فى عبد الله بن العباس يفتينا بالعلم والقمل وطار
باموال الناس ليلة فقال له وكيف يقول هذا وابن عباس رحمه الله لم يفارق
عليا عليه السلم حتى قتل وشهد صلح الحسن عليه السلم واى مال يجتمع فى بيت مال البصرة
مع حاجة على عليه السلم الى الاموال وهو يفرغ بيت مال الكوفة فى كل خميس [illegible]
وقالوا انه كان بخيل فنفر يترك المال يجتمع بالبصرة وهذا باطل قال الجاحظ
نازع رجل عمرو بن عبيد فى القدر فقال له عمرو ان الله تعالى قال فى كتابه ما يزيل
الشك عن قلوب المومنين فى القضا والقدر قال تعالى فوربك لنسئلنهم اجمعين
عما كانوا يعملون ولم يقل لنسئلنهم عما قضيت عليهم او قدرته فيهم

اوارادته منهم اوشئته لهم وليس بعد هذا الا الاقرار بالعدل والسكوت
عن الجور الذي لا يجوز على الله قال خلاد الارقط حدثني زميل عمرو بن عبيد
قال سمعته في ليلة التي مات فيها يقول اللهم ان كنت تعلم انه لم يعرض لي امران قط
احدهما لك فيه رضا والاخر لي فيه هوى الا قدمت رضاك على هواي فاغفر لي ورثى
ابو جعفر المنصور على قبره بمران وهو موضع على ليال من مكة على طريق البصرة وانشا
يقول . صلى الاله عليك من متوسد . قبرا مررت به على مران . قبرا تضمن مؤمنا
متخشعا . عبد الاله ودان بالفرقان . واذا الرجال تنازعوا في شبهة . فصل
الخطاب بحكمة وبيان . فلو ان هذا الدهر ابقى صالحا . ابقى لنا عمروا ابا عثمن .
فاما ابو الهذيل العلاف فهو محمد بن الهذيل بن عبيد الله بن مكحول العبدي
وقال ابو القاسم البلخي هو من موالي عبد القيس وولد سنة اربع وثلثين ومائة
وقال ابو الحسين الخياط ولد سنة احدى وثلثين ومائة وقيل انه توفي في اول
ايام المتوكل سنة خمس وثلثين ومايتين فكانت سنه مائة سنة قال البرذعي لحق ابا الهذيل
في اخر عمره خرف الا انه لم يكن يذهب عليه معرفة المذهب والقيام بحجته وكف
بصره قبل وفاته واخذ ابو الهذيل الكلام عن عثمن الطويل صاحب واصل بن عطا
وقيل ان ابا الهذيل في حداثته بلغه ان رجلا يهوديا قدم البصرة وقطع جماعة
من متكلميها فقال لعمه يا عم امض بي الى هذا اليهودي حتى اكلمه فقال له عمه
يا بني كيف تكلمه وقد عرفت خبره وانه قطع مشايخ المتكلمين فقال لا بد ان تمضي
بي اليه فمضى به قال فوجدته يقرر الناس على نبوة موسى عليه السلم فاذا اعترفوا
له بها قال نحن على ما اتفقنا عليه الى ان يجمع على ما تدعونه فتقدمت اليه فقلت
اسئلك ام تسئلني فقال بل اسئلك فقلت ذلك اليك فقال لي اتعترف بان
موسى عليه السلم نبي صادق ام تنكر ذلك فتخالف صاحبك فقلت له ان كان موسى
الذي تسئلني عنه هو الذي بشر بنبي عليه السلم وشهد بنبوته وصدقه فهو صادق
نبي وان كان غير من وصفت فذلك شيطان لا اعترف بنبوته فورد عليه ما لم يكن

في حسابه

في حسابه ثم قال لي افتقول ان التورية حق فقلت هذه المسئلة تجري مجرى الاولى
ان كانت هذه التورية التي تسئلني عنها هي التي تتضمن البشارة بنبي عليه السلم
فتلك حق وان لم تكن كذلك فليست بحق ولا اقر بها فبهت وافحم ولم يدر
ما يقول ثم قال احتاج ان اقول لك شيئا بيني وبينك قال فظننت انه
يقول شيئا من الخير فتقدمت اليه فسارني وقال لي امك كذا وكذا وام من علمك
لا يكني وقدر اني اثب به فيقول وثبوا بي وشغبوا علي فاقبلت على من كان
في المجلس وقلت اعزكم الله الستم قد وقفتم على مسئلته اياي وجوابي اياه
فقالوا بلى قلت افليس عليه ان يرد جوابي ايضا قالوا بلى قلت لهم فانه لما سارني
شتمني بالشتم الذي يوجب الحد وشتم من علمني وانما قدر انني اثب عليه فيدعي
واثبناه وشغبنا عليه وقد عرفتكم شانه بعد الانقطاع فانصروني فاخذته
الايدي من كل جهة وخرج هاربا من البصرة وعن ابي العينا قال قال لي
ابو الهذيل ما معنى الخسف فقلت ان تنقلب الارض اعلاها اسفلها فقال الا
يكن هذا اليوم بالارض فانه لبالناس وقال ابو الهذيل قال لي المعذل بن
غيلان العبدي وكان من سادة عبد القيس وكان يجتمع اليه اهل النظر يا ابا
الهذيل ان في نفسي شيئا من قول القوم في الاستطاعة فبين لي ما يذهب
بالريب عني فقلت اخبرني عن قول الله تعالى سيحلفون بالله لو استطعنا
لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون هل يخلو من ان
يكون اكذبهم لانهم مستطيعون للخروج وهم تاركون له باستطاعة الخروج
فيهم وليس يخرجون فقال انهم لكاذبون اي هم مستطيعون للخروج وهم يكذبون
فيقولون لسنا نستطيع ولو استطعنا لخرجنا فاكذبهم الله تعالى على هذا الوجه
اويكون على وجه اخر يقول انهم لكاذبون اي ان اعطيتهم الاستطاعة .. لم يخرجوا فتكون معهم الاستطاعة
على الخروج ولا يخرجون فعلى كل حال قد كانت الاستطاعة على الخروج ولا
يكون الخروج ولا يعقل للاية معنى ثالث غير الوجهين الذين وصفنا وحكى

سليمن الرقي ان ابا الهذيل لما ورد سر من راى نزل في غرفة الى ان تطلب له
دار تصلح له قال فمررت به فقلت له يا ابا الهذيل اتنزل في مثل هذا المنزل
فانشدني . يقولون زين المرء يا مي رحلة . الا ان زين الرحل يا مي راكبه . وعن ابي
مجالد قال رايت رجلا وقد سال ابا الهذيل وهو في الوراقين بقصر وضاح
فقال له من يجمع بين الزانيين فقال له يا ابن اخي اما بالبصرة فانهم يقولون
القوادون ولا احسب اهل بغداد يخالفونهم في هذا القول فما تقول انت
فخجل الرجل فسكت وقال ابو الهذيل قلت لرجل ممن ينفي الحركة ولم يسمه وزعم
قوم انه الاصم خبرني عن قول الله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد
منهما مائة جلدة وذكر القاذف فقال اجلدوهم ثمانين جلدة فايهما اكثر
فقال حد الزاني فقلت بكم قال بعشرين فقلت فخبرني عن الجلد اهو يد الجلاد
قال لا قلت فهو السوط قال لا قلت فهو ظهر المجلود قال لا غير هذا هو الجلد
قال لا قلت فانما تقول ان لا شيء اكثر من لا شيء بعشرين فانقطع وقال ابو الهذيل
قلت لمجوسي ما تقول في النار قال بنت الله قلت فالبقر قال ملائكة الله قص
اجنحتها وحطها الى الارض يحرث عليها قلت فما الماء قال نور الله قلت فما الجوع
والعطش قال فقر الشيطان وفاقته قلت فمن يحمل الارض قال بهمن الملك فقلت
ما في الدنيا شر من المجوس اخذوا ملائكة الله فذبحوها ثم غسلوها بنور الله
ثم شووها ببنت الله ثم دفعوها الى فقر الشيطان وفاقته ثم سلحوها على راس
بهمن اعز ملائكة الله فانقطع المجوسي وخجل لما لزمه . ودخل ابو الهذيل يوما
على الحسن بن سهل وعنده فتى قد رفع مجلسه فقال ابو الهذيل من هذا الفتى الذي
قد رفع الامير لتوفيته معرفة حقه قال رجل من اهل النجوم قال من اهل صناعة الحساب
ام الاحكام قال الاحكام قال ذلك حكم يبطل افاسله قال سل فاخذ ابو الهذيل
تفاحة من بين يديه فقال اآكل هذه ام لا قال نعم تاكلها قال لست آكلها فتعيدها
الى يدك واعيد النظر فوضعها واخذ غيرها فقال له الحسن لم اخذت غيرها قال

يا ابا الهذيل؟
قلت فهو الانفراج الذي بين السوط وظهر المجلود فقال لا قلت افتثبت شيئا
ابن سهل؟
على
فوضعها ابو الهذيل وهم

لئلا يقول لي لا تاكلها فآكلها خلافا عليه فيقول لي قد اصبت في المسئلة الاولى
فقال نعمان المثال يوما لابي الهذيل دل على حدث العالم بغير الحركة والسكون فقال له
ابو الهذيل مثلك مثل رجل قال لخصمه احضر الى القاضي ولا تحضر بينتك وذكر
محمد ابن الجهم صاحب الفرا قال رايت ابا الهذيل وقد جاء الى الديوان في ايام المامون
فسئل سهل بن هرون بن راهيون ان يكتب له كتابا في حاجة له الى حفصويه صاحب
الجيش ونهض ابو الهذيل فاملى على سهل بن هرون . ان الضمير اذا سالتك حاجة
لابي الهذيل خلاف ما ابدى . فاذا اتاك الحاجة فامدد له . حبل الرجاء بمخلف الوعد
والن لكفا تحسن ظنه . في غير منفعة ولا رفد . حتى اذا طالت شقاوة جده
ورجا الغنا فاجبهه بالرد . وان استطعت له المضرة فاجتهد . فيما يضر بابلغ الجهد
وانظر كلامي فيه فارم به . خلف الثريا منك في البعد . وكذاك فافعل غير محتشم
ان جئت فاسئل في ابي الهذيل . قال المرتضى رضي الله عنه ويشبه هذا المعنى ما
اخبرنا ابو عبيد المرزباني قال حدثني محمد بن ابي الازهر قال حدثنا ابو العينا
قال كان لي صديق فجاءني يوما فقال لي اريد الخروج الى فلان العامل واحب
ان تكون معي اليه وسيلة وقد سالت من صديقه فقيل لي ابو عثمن الجاحظ وهو
صديقك فاحب ان تاخذ لي كتابه اليه بالعناية قال فصرت الى الجاحظ فقال
لي في اي شيء جاء ابو عبد الله فقلت مسلما وقاضيا الحق في حاجة لبعض اصدقائي
وهي كذا وكذا فقال لا تشغلنا الساعة عن المحادثة فاني في غد اوجه اليك بالكتاب
فلما كان من الغد وجه الي بالكتاب مختوما فقلت لابني وجه بهذا الكتاب الى
فلان ففيه حاجته فقال لي ان ابا عثمن بعيد الغور فينبغي ان تفضه وتنظر ما فيه
ففعلت فاذا في الكتاب كتابي اليك مع من لا اعرفه وقد كلمني فيه من لا اوجب حقه
فان قضيت حاجته لم احمدك وان رددته لم اذمك فلما قرات الكتاب مضيت الى
الجاحظ من فوري فقال يا ابا عبد الله قد علمت انك انكرت ما في الكتاب فقلت
اوليس موضع نكرة فقال لا هذه علامة بيني وبين الرجل فيمن اعتني به فقلت لا والله

المثاني

ما رايت رجلا اعلم بطبعك وما جبلت عليه من هذا الرجل يعني صاحب الحاجة اعلمت انه لما قرا الكتاب قال ام الجاحظ عشرة الاف وام من يسأله فقلت له يا هذا اتشتم صديقنا قال هذه علامتي فيمن اشكره وفي رواية اخرى ان ابا العيناء سلم الكتاب الى صاحب الحاجة وقال له فض الكتاب فقال له انه مختوم فقال ابو العيناء هو اهون من ظنته قال المرتضى رضي الله عنه واظن ان ابا العيناء تنبه على فض الكتاب وقراءته بخبر طرفة بن العبد والمتلمس الضبعي المشهور وذلك انهما وفدا على عمرو بن هند ونادماه واختصا به ثم افضى الامر الى ان هجاه كل واحد منهما وعرض به بالشعر المشهور في الرواية فحنق عليهما وهم بقتلهما ثم اشفق من ذلك واراد قتلهما بيد غيره وكان على طرفة احنق فعلم انه ان قتله هجاه المتلمس فكتب لهما كتابا الى البحرين وقال اني كتبت لكما بصلة فاشخصا لقبضها فخرجا من عنده والكتابان في ايديهما ثم ان شيخ جالس على ظهر الطريق متكشفا يتبرز ومعه كسرة خبز ياكل منها ويتناول القمل من ثيابه فيقصعه فقال احدهما لصاحبه هل رايت اعجب من هذا الشيخ مقالته فقال وما ترى من عجبي ادخل طيبا واخرج خبيثا واقتل عدوا وان اعجب مني من يحمل حتفه بيده وهو لا يدري فاوجس المتلمس في نفسه خيفة وارتاب بكتابه ولقيه غلام من اهل الحيرة فقال له اتقرا يا غلام قال نعم ففض خاتم كتابه ودفعه الى الغلام فقراه فاذا فيه اما بعد اذا اتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه واصلبه حيا فاقبل على طرفة فقال له تعلمن والله قد كتب لك بمثل هذا فادفع كتابك الى الغلام يقراه عليك فقال كلا والله ما كان ليجسر علي قومي بمثل هذا ولم يلتفت الى قول الشيخ المتلمس والقى المتلمس كتابه في نهر الحيرة وقال. قذفت بها بالثني من جنب كافر. كذلك اقنو كل قط مضلل. رضيت لها بالماء لما رايتها. يجول بها التيار في كل جدول. كافر نهر بالحيرة واقنو اقتني والقط الكتاب والتيار معظم الماء وكثرته وقال المتلمس ايضا. من مبلغ الشعراء عن اخويهم. نبأ فتصدقهم بذلك الانفس. اودى الذي علق الصحيفة منهما.

ونجا حذار حبائه المتلمس. القى صحيفته ونجت كوره. وجناء مجمرة المناسم عرمس. عيرانة طبخ الهواجر لحمها. فكان نقبتها اديم املس. اطريفة بن العبد انك خائن. اباحة الملك الهمام تمرس. الق الصحيفة لا ابا لك انه. يخشى عليك من الحباء النقرس. النقرس هيهنا الداهية ومضى طرفة بكتابه الى البحرين فامر به المعلى بن حنش العبدي فقتل فقال المتلمس. عصاني فما لاقى رشادا وانما. يبين من امر الغوي عواقبه. فاصبح محمولا على ظهر آلة. تمج نجيع الجوف منه ترائبه. فلا تقبلها يعالوك فوقها. وكيف التوقي ظهر ما انت راكبه. ولحق المتلمس ببلاد الشام وهجا عمرا وبلغه ان عمرا يقول لئن وجده بالعراق ليقتلنه فقال. آليت حب العراق الدهر اطعمه. والحب ياكله في القرية السوس. وجرى المثل بصحيفة المتلمس فقال الفرزدق يذكر الشعراء الذين اورثوه اشعارهم. وهب القصائد لي النوابغ اذ مضوا. وابو يزيد وذو القروح وجرول. والفحل علقمة الذي كانت له. وهي رواية بني قيس وهن قتلنه ومهلهل الشعراء ذاك الاول. يعني بالنوابغ النابغة الذبياني والجعدي ونابغة بني شيبان ويعني بابي يزيد المخبل السعدي وجرول وهو الحطيئة وذو القروح امرء القيس واخو بني قيس هو طرفة ومعنى قوله وهن قتلنه يعني القصايد التي هجا بها عمرو بن هند ويقال ان صاحب المتلمس وطرفة في هذه القصة هو النعمان بن المنذر. وذلك انه شبه بقول طرفة. ابا منذر كانت غرورا صحيفتي. ولم اعطكم في الطوع مالي ولا عرضي. ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا. حنانيك بعض الشر اهون من بعض. وابو منذر هو النعمان بن المنذر وكان النعمان بعد عمرو بن هند وقد مدح طرفة النعمان فلا يجوز ان يكون عمرو قتله فيشبه ان يكون القصة مع النعمان

المجلس الثالث عشر

وكان ابو سهل بشر بن المعتمر من وجوه اهل الكلام ويقال ان جميع معتزلة بغداد كانوا من مستجيبه وقال ابو القاسم البلخي انه من اهل بغداد وقيل من اهل الكوفة وذكر الجاحظ انه كان ابرص وحكى انه كان يوما في مجلس وعنده اصحابه فجعل يسالهم ويقول الا انتم تحمدون الله عز وجل على ايمانكم وهم يقولون نعم

وتقدم ذكر ذلك في كتابه فيقولون له انما ذم من احب ان يحمد على ما لم يفعله

فيقول لهم وكانهم يحبيان يحمد على ما لم يفعل ثم الم يعن عليه ولم يدع اليه وهو ليشغب اذا قيل ثمامه بن اشرس فقال بشر المجبر قد سالت القوم واجابوك وهذا ابو معن فاسئله فسئله عن المسئله وقال هل يجب عليك ان تحمد الله على الايمان قال لا بل هو يحمدني عليه لانه امرني به ففعلته وانا احمده على الامر به والتقوية عليه والاعانة اليه فانقطع المجبر وقال بشر شنعت فسهلت قال الجاحظ وكان بشر يقع في ابي الهذيل وينسبه الى النفاق فقال وهو يصفه ابو الهذيل لان يكون لا يعلم وهو عند الناس يعلم احب اليه من ان يعلم ويكون عند الناس لا يعلم ولان يكون من السفلة وهو عند الناس من العلية احب اليه من ان يكون من العلية وهو عند الناس من السفلة ولان يكون نبيل المنظر سخيف المخبر احب اليه من ان يكون نبيل المخبر سخيف المنظر وهو بالنفاق اشد عجبا منه بالاخلاص ولباطل مقبول احب اليه من حق مدفوع ولبشر اشعار كثيرة يحتج فيها على اصحاب المقالات. وذكر الجاحظ انه لم ير احدا اقوى على المخمس والمزدوج مما قوي عليه بشر وانه كان اكثر في ذلك واقدر من ابان اللاحقي وهو القايل. ان كنت تعلم ما اقول. وما تقول فانت عالم. او كنت تجهل ذا وذاك. فكن لاهل العلم لازم. اهل الرياسة من. ينازعهم رياستهم فظالم. سهرت عيونهم وانت. بالجهل انت لها تخاصم. لولا مقامهم رايت. الدين مضطرب القوايم فاما ابو اسحق ابرهيم بن سيار النظام فانه كان مقدما في العلم بالكلام حسن الخاطر فيه شديد التدقيق والغوص على المعاني وانما اداه الى المذاهب الباطلة التي تفرد بها واستبشعت منه تدقيقه وتغلغله وقيل انه مولى الزيادين من ولد العبيد وان الرق جرى على احد ابايه وقيل للنظام ما الاختصار فقال الذي يحي اختصاره فساد وقال لرجل اتعرف فلانا المجوسي فقال نعم ذاك الذي حلق وسط راسه كما يفعل اليهودي فقال النظام لا مجوسيا عرفت ولا يهوديا وصفت قال الجاحظ وذاك النظام عبد الوهاب الثقفي فقال هو احلى من امن بعد خوف

والله اعلم

عن الذي ما سره حالم لا نطلبن رياسته

الله اعلم

وبرء بعد سقم وخصب بعد جدب وغنى بعد فقر وطاعة المحبوب وفرج المكروب ومن الوصل الدايم مع الشباب الناعم وللنظام شعر كثير صالح فمنه. يا تاركي جسدا بغير فوادي. اسرفت في الهجران والابعاد. ان كان يمنعك الزيارة اعين. فادخل الى بعلة العواد. كي ما اريك وتلك اعظم نعمة. ملكت يداك بها منيع قيادي. ان العيون على القلوب اذا جنت. كانت بليتها على الاجساد. وله ايضا تامله طرفي فالم خده. فصار مكان الوهم من نظري اثر. وصافحه قلبي فالم كفه. فمن صفح قلبي في انامله عقر. يمر بقلبي خاطرا فيجرحه. ولم ار جسما قط يجرحه الفكر. ويقال ان ابا العتاهيه قال انشدت النظام اذا هم النديم له بلحظ. تمشت في محاسنه الكلوم قال ينبغي ان ينادم هذا اعمى قال المرتضى رضي الله عنه وابيات النظام تتضمن معنى بيت ابي العتاهيه ولسنا ندري ايهما اخذ من صاحبه والنظام يكرر هذا المعنى كثيرا في شعره فمن ذلك قوله. رق فلو بزت سرابيله. علقه الجو من اللطف. يجرحه اللحظ بتكراره. ويشكي الايماء بالطرف وحكي ان ابا النظام جاء به وهو حدث الى الخليل بن احمد ليعلمه فقال له الخليل يوما يمتحنه وفي يده قدح زجاج يا بني صف لي هذه الزجاجة فقال امدح ام بذم قال بمدح قال نعم. تريك القذا. ولا تقبل الاذى. ولا تستر ما وري. قال فذمها قال. سريع كسرها بطي جبرها. فقال فصف هذه النخلة واومى الى نخلة في داره فقال امدح ام بذم قال بمدح قال. هي حلو مجتناها. باسق منتهاها. ناضر اعلاها. قال فذمها قال. هي صعبة المرتقى. بعيدة المجتنى. محفوفة بالاذى. فقال الخليل يا بني نحن الى التعلم منك احوج قال المرتضى رضي الله عنه هذه بلاغة من النظام حسنة لان البلاغة هي وصف الشي ذما او مدحا باقصى ما يقال فيه شبيه بهذا المعنى خبر لبيد المشهور في هجائه البقلة التي امتحن بهجائها واختبر بذمها فقال فيها ابلغ ما يقال في ذمها مثلها وذلك ان عمارة وانسا وقيسا والربيع بني زياد العبسيين

وفدوا على النعمان بن المنذر و وفد عليه العامريون بنو ام البنين وعليهم ابو البراء
وعامر بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو ملاعب الاسنة وكان العامريون ثلثين
رجلا وفيهم لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو يومئذ غلام له ذوابة
وكان الربيع بن زياد العبسي ينادم النعمان ويكثر عنده ويتقدم على من سواه وكان
يدعى الكامل لشطاطه وبياضه وكماله فضرب النعمان قبة على ابي براء واجرى عليه
وعلى من كان معه النزل وكانوا يحضرون النعمان لحاجتهم فافتخروا يوما بحضرته
فكاد العبسيون يغلبون العامريين وكان الربيع اذا خلا بالنعمان طعن فيهم وذكر
معايبهم ففعل ذلك مرارا العداوته لبني جعفر لانهم كانوا اسروه فصد النعمان
عنهم حتى نزع القبة عن ابي براء وقطع النزل فدخلوا عليه يوما فراوا منه جفاء
وقد كان قبل ذلك يكرمهم ويقدم مجلسهم فخرجوا من عنده غضابا وهموا بالانصراف
ولبيد في رحالهم يحفظ امتعتهم ويغدو بابلهم فيرعاها فاذا امسى انصرف بها
فاتاهم تلك الليلة وهم يتذاكرون امر الربيع فقال لهم ما لكم تتناجون فكتموه وقالوا
اليك عنا فقال اخبروني وكانت ام لبيد عبسية في حجر الربيع فقالوا والله خالك قد غلبنا
على الملك وصد عنا وجهه قال هل تقدرون على ان تجمعوا بيني وبينه غدا حين يقعد
الملك فارجز به رجزا ممضا مولما لا يلتفت اليه النعمان بعده ابدا قالوا وهل
عندك ذلك قال نعم قالوا فانا نبلوك بشتم هذه البقلة وقدامهم بقلة دقيقة القضبان
قليلة الورق لاصقة فروعها بالارض تدعى التربة فاقتلعها من الارض فاخذها
بيده وقال هذه البقلة التربة الثقلة الرذلة التي لا تزكي نارا ولا تؤهل دارا ولا تسر
جارا عودها ضئيل وفرعها ذليل وخيرها قليل بلدها شاسع ونبتها خاشع
واكلها جائع والمقيم عليها قانع اقصر البقول فرعا واخبثها مرعى واشدها
قلعا فخربا لجارها وجدعا فالقوا بي اخا عبس ارجعه عنكم بتعس ونكس واتركه في امره
في لبس فقالوا نصبح ونرى فيك راينا فقال لهم عامر انظروا الى غلامكم هذا فان
رايتموه نائما فليس امره بشيء انما تكلم بما جرى على لسانه وان رايتموه ساهرا فهو

صح

صاحبكم فرمقوه بابصارهم فوجدوه قد ركب رحلا يكدم واسطته حتى اصبح قالوا
انت والله صاحبه فحلقوا راسه وتركوا له ذوابتين والبسوه حلة وغدوا به معهم
فدخلوا على النعمان فوجدوه يتغدى ومعه الربيع ليس معه غيره والدار والمجالس
مملوة بالوفد فلما فرغ من الغداء اذن للجعفريين فدخلوا عليه والربيع الى جانبه فذكروا
للنعمان حاجتهم فاعترض الربيع في كلامهم فقام لبيد وقد دهن احد شقي راسه
وارخى ازاره وانتعل نعلا واحدا وكذلك كانت الشعراء تفعل في الجاهلية اذا ارادوا
الهجاء فمثل بين يديه ثم قال . يا رب هيجا هي خير من دعه . اذ لا تزال هامتي مقزعه
نحن بنو ام البنين الاربعه . ونحن خير عامر بن صعصعه . المطعمون الجفنة المدعدعه
والضاربون الهام تحت الخيضعه . مهلا ابيت اللعن لا تاكل معه . ان استه من
برص ملمعه . وانه يدخل فيها اصبعه . يدخلها حتى يواري اشجعه . كانما يطلب
شيئا ضيعه . فلما فرغ لبيد التفت النعمان الى الربيع يرمقه شزرا وقال اكذاك
انت قال كذب والله ابن الاحمق اللئيم فقال النعمان ان هذا الغلام لقد خبث على
طعامي فقال الربيع ابيت اللعن اما اني قد فعلت بامه لا يكني وكانت في حجره
فقال لبيد انت لهذا الكلام اهل اما انها من نسوة غير فعل وانت المرء فعل هذا
في يتيمته قال المرتضى رضي الله عنه ووجدت في رواية اخرى اما انها من نسوة
فعل وانما قال ذلك لانها كانت من قوم الربيع فنسبها الى القبيح فصدقه عليه
تهجينا له ولقومه فامر الملك بهم جميعا فاخرجوا واعاد القبة على ابي براء وانصرف
الربيع الى منزله فبعث اليه النعمان بضعف ما كان يحبوه به وامره بالانصراف
الى اهله فكتب اليه اني قد تخوفت ان يكون قد وقع في صدرك ما قال لبيد ولست
برائم حتى تبعث الي من يجردني ليعلم من حضرك من الناس اني لست كما قال فارسل
اليه انك لست صانعا بانتفائك مما قال لبيد شيئا ولا قادرا على رد ما زلت
به الالسن فالحق باهلك ثم كتب اليه النعمان في جملة ابيات جوابا عن ابيات
كتبها اليه الربيع مشهوره . قد قيل ذلك ان حقا وان كذبا . فما اعتذارك

فلما اصبحوا

المدعدعه

اكذلك انت

يتيمته

عليها

من شيء اذا قيلا. عرج برحلك عنا حيث شئت ولا. تكثر على ودع عنك
الاباطيلا. واخبرنا ابو حاتم عن ابى عبيد الله المرزبانى قال حدثنا محمد بن الحسن
بن دريد قال اخبرنا ابو حاتم عن ابى عبيد الله المرزبانى ايضا قال حدثنى محمد بن
احمد الكاتب قال حدثنا احمد بن عبيد بن ناصح النحوى قال اخبرنا محمد بن زياد عن الكلبى
عن عبد الله بن مسلم البكائى وقد كان ادرك الجاهلية وفى حديث كل واحد
زيادة على الاخر ولم نات بجميع الخبر على وجهه بل اسقطنا منه ما لم نحتج اليه
واوردنا ما اوردناه منه بالفاظ. قال المرتضى رضى الله عنه اما قوله نحن
بنى ام البنين الاربعه فانه نصب على المدح والذم جميعا وام البنين هى بنت
عمرو بن ربيعة بن صعصعه وكانت تحت مالك بن جعفر بن كلاب فولدت
له عامر بن مالك ملاعب الاسنه وطفيل بن مالك فارس قرزل وهو ابو عامر
بن الطفيل وقرزل فرس كانت له وربيعة بن مالك ابا لبيد وهو ربيع المقترين
ومعوية بن مالك معود الحكام وانما سمى معود الحكام بقوله. اعود مثلها الحكام
بعدى. اذا ما الحق فى الاشياع نابا. وولدت له عبيدة الوضاح فهولاء خمسه
وقال لبيد اربعة لان الشعر لم يمكنه من غير ذلك فاما الجفنة المدعدعه فهى
المملوه واما الخيضعه فان الاصمعى يذكر لبيدا قالت تحت الخيضعه يعنى الجلبه
فسوت له الرواة وقيل ان الخيضعه اصوات وقع السيوف والخيضعه ايضا
البيضة التى تلبس على الراس والخيضعه الغبار والقول يحتمل كل ذلك فاما ابيت
اللعن فان ابا حاتم قال سالت الاصمعى عنه فقال معناه ابيت ان تاتى من الامور
ما تلعن عليه فاما الاشاجع فهى العروق والعصب الذى على ظهر الكف
وقد روى اكل يوم هامتى مقزعه والقزع هو تساقط بعض الشعر والصوف
وبقاء بعضه يقال كبش اقزع ونعجة قزعا. فاما الجاحظ فهو ابو عثمن عمرو بن
بحر بن محبوب مولى لابى القلمس عمرو بن قلع الكنانى ثم الفقيمى وذكر المبرد
انه ما راى احرص على العلم من ثلثة الجاحظ والفتح بن خاقان واسمعيل بن اسحق

القاضى

والعرب تنصب على المدح

القاضى فاما الجاحظ فانه كان اذا وقع فى يده كتاب قراه من اوله الى اخره اى كتاب
كان واما الفتح بن خاقان فكان يحمل الكتاب فى خفه فاذا قام من بين يدى المتوكل
للبول والصلوة اخرج الكتاب فنظر فيه وهو يمشى حتى يبلغ الموضع الذى
يريده ثم يصنع مثل ذلك فى رجوعه حتى ياخذ مجلسه واما اسمعيل بن اسحق
فانى ما دخلت عليه قط الا وفى يده كتاب ينظر فيه او يقلب الكتب لطلب كتاب
ينظر فيه قال البلخى وتفرد الجاحظ بالقول بان المعرفة طباع وهى مع ذلك فعل
للعبادة على الحقيقة وكان يقول فى ساير الافعال انها انما تنسب الى العباد على انها
وقعت بهم طباعا وانها وجبت بارادتهم وليس بجائز ان يبلغ احد فلا يعرف الله
تعالى والكفار عنده بين معاند وبين عارف وقد استغرقه حبه لمذهبه وشغفه
به وعصبيته فهو لا يشعر بما عنده من المعرفه بخلافه وكان الجاحظ ملازما
لمحمد بن عبد الملك الزيات وكان منحرفا عن احمد بن ابى دواد للعداوة التى كانت بين احمد
ومحمد فلما قبض على بن الزيات هرب الجاحظ فقيل له لم هربت قال خفت ان اكون
ثانى اثنين اذ هما فى التنور يريد ما صنع لمحمد بن عبد الملك من ادخاله تنورا فيه
مسامير كان هو صنعه ليعذب الناس فيه فعذب به حتى مات وروى
انه اتى بالجاحظ بعد موت ابن الزيات وفى عنقه سلسلة وهو مقيد فى قميص
سمل فلما نظر اليه ابن ابى دواد قال والله ما علمتك الا متناسيا للنعمه
كفورا للصنيعه معدنا للمساوى وما فتنى باستصلاحى لك ولكن الايام لا تصلح
منك لفساد طويتك ورداءة دخلتك وسوء اختيارك وغالب طبعك فقال
الجاحظ خفض عليك ايدك الله فوالله لان يكون لك الامر على خير من ان يكون
لى عليك ولان اسىء وتحسن احسن فى الاحدوثة عنك من ان احسن وتسىء ولان
تعفو عنى فى حال قدرتك اجمل بك من الانتقام منى فقال له ابن ابى داود قبحك الله
فوالله ما علمتك الا كثير تزويق اللسان وقد جعلت بيانك امام قلبك ثم اصطنعت
فيه النفاق والكفر يا غلام سر به الى الحمام وامط عنه الاذى فاخذ عنه

بان المعرفة تحتمل من الطباع

والفقه

السلسلة والقيد وادخل الحمام وحمل اليه تخت من ثياب وطويلة وخف
فلبس ذلك ثم اتاه فصدره في مجلسه ثم اقبل عليه فقال هات الان حديثك
يا ابا عثمن وقال المبرد سمعت الجاحظ يقول احذر من ان تامن فانك على حذر
ممن تخاف وقال الجاحظ قلت لابي يعقوب الخريمي الشاعر من خلق المعاصي
قال الله قلت فمن عذب عليها قال الله قلت فلم قال لا ادري والله وكان الجاحظ
يقول ينبغي للكاتب ان يكون رقيق حواشي الكلام عذب ينابيعه اذا حاور [illegible]
سدد سهم الصنوا الى غرض المعنى وقال لا تكلم العامة بكلام الخاصة ولا الخاصة
بكلام العامة وقال سوار بن ابي شراعة كنت عند الجاحظ فرآني اكتب خطا رديا في ورق
ردي متقارب السطور فقال لي ما احسبك تحب ورثتك فقلت وكيف ذاك
قال لاني اريك تسيء بهم فيما تخلفه وذكر ابو العباس المبرد قال سمعت الجاحظ
يقول لرجل اذا انت والله حوج الى هوان من كريم الى اكرام ومن علم الى عمل ومن
قدرة الى عفو ومن نعمة الى شكر وقال المبرد قال لي الجاحظ يوما اتعرف مثل قول
اسمعيل بن القاسم ولا خير فيمن لا يواطن نفسه. على نايبات الدهر حين تنوبه
فقلت نعم قول كثير ومنه اخذ. فقلت لها يا عز كل مصيبة. اذا وطنت يوما لها
النفس ذلت. وروى يموت بن المزرع لخاله عمرو بن بحر الجاحظ في الجماز يهجوه
نسب الجماز مقصور اليه منتهاه. تنتهي الاحساب بالناس ولا تعدو قفاه. يتهاجى
من ابو الجماز فيه كانتباه. ليس يدري من ابو الجماز الا من يراه. اخبرنا المرزباني
قال اخبرني علي بن هرون قال انشدني وكيع قال انشدنا ابو العينا قال انشدنا الجاحظ
لنفسه في الخضاب. زرت فتاة من بني هلال. فاستعجلت علي بالسؤال.
مالي اراك قاني السبال. كانما كرعت في جريال. ما ينبغي مثلك من امثال.
تنح قدامي ومن خيالي قال المرتضى رضي الله عنه قوله كانما كرعت في جريال
مليح قوي ولا يشبه شعر الجاحظ لليته وضعف كلامه وذكر ابو العينا قال
حدثني ابرهيم بن رباح قال انشدني الجاحظ يمدحني. بدي حين اثرى باخوانه

ففلل

الكرع الشرب بفيه من النهر
الجريال صبغ احمر
وجريال الذهب حمرته

ففلل عنهم شباة العدم. وذكره الحزم ريب الزمان. فبادر بالعرف قبل الندم.
قال ابن ابرهيم فذاكرت بهما احمد بن ابي داود فقال قد انشد فيهما يمدحني بهما ثم لقيت محمد
بن الجهم فقال قد انشدنيهما يمدحني بهما وقال يموت بن المزرع سمعت خالي الجاحظ
يقول لا اعرف شعرا يفضل قول ابي نواس وانشد ودار ندامى عطلوها وادلجوا.
بها اثر منهم جديد ودارس. مساحب من جر الزقاق على الثرى. واضغاث ريحان جني
ويابس. حبست بها صحبي فجددت عهدهم. واني على امثال تلك لحابس. ولم ادر منهم
غير ما شهدت به. بشرقي ساباط الديار البسابس. اقمنا بها يوما ويوما وثالثا
ويوما له يوم الترحل خامس. تدار علينا الراح في عسجدية. حبتها بانواع التصاوير
فارس. قرارتها كسرى وفي جنباتها. مهى تدريها بالقسي الفوارس. فللخمر ما زرت
عليه جيوبها. وللماء ما دارت عليه القلانس. قال الجاحظ فانشدتها ابا
شعيب القلال فقال يا ابا عثمن لو نقر هذا الشعر لطن فقلت ويلك ما تفارق الجرار
والخزف حيث كنت قال المرتضى رحمه الله اخذ ابو نواس قوله. ولم ادر منهم غير ما شهدت به.
بشرقي ساباط الديار البسابس. من ابي خراش الهذلي في قوله. ولم ادر من القى عليه
رداءه. سوى انه قد سل عن ماجد محض. ويقال ان ابا خراش اول من مدح من لا يعرفه
وذاك ان خراش بن ابي خراش بن هود بن عمرو بن مرة وبجاه فلما تفرقوا اليه قال اقتلت
مني ويقال بل راه في الاسر رجل من بني عمه فالقى عليه رداءه ليجيره به وقال
له النجا ويلك فقال ابو خراش في ذلك. حمدت الهي بعد عروة اذ نجى.
خراش وبعض الشر اهون من بعض. فاقسمت لا انسى قتيلا رزيته.
بجانب قوسى ما مشيت على الارض. على انها تعفو الكلوم وانما. توكل با
بالادنى وان جل ما يمضي. ولم ادر من القى عليه رداءه. سوى انه قد سل
من ماجد محض واخبرنا المرزباني قال حدثنا ابرهيم بن محمد بن شهاب
قال حدثنا ابو الحسن احمد بن عمر البرزعي المتكلم قال سرت الى منزل الجاحظ
في اول ما قدمت من بلد وقد اعتل علته التي فلج فيها فاستاذنت عليه فخرج

اسروه فطرح رجل من القوم رداءه
عليه حين شغل القوم بقتل عروة

الى خارج المنزل فقال لى يقول لك وما تصنع بشق مايل ولعاب سايل فانصرفت
عنه وذكر يموت بن المزرع قال وجه المتوكل فى السنة التى قتل فيها ان يحمل اليه الجاحظ
من البصره فساله الفتح ذلك فوجده لافضل فيه فقال لمن اراد حمله وما يصنع
بامرء ليس بطائل ذى شق مايل ولعاب سائل وفرج بائل وعقل جائل وقال المبرد
سمعت الجاحظ يقول انا من جانب الايسر مفلوج فلو قرض بالمقاريض ما علمت و
من جانب الايمن منقرس فلو مر به الذباب لالمت وبى حصاة لا يتسرح لى البول
معها واشد ما على ست وتسعون وقال يوما لمتطبب يشكوا اليه علته اصطلحت
الاضداد على جسدى ان اكلت باردا اخذ برجلى وان اكلت حارا اخذ
براسى وتوفى سنة خمس وخمسين ومائتين **المجلس الرابع عشر فى تاويل ا**
ان سئل سائل عن قوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين
واتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسا
ئلين وفى الرقاب واقام الصلوة واتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا
والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك
هم المتقون فقال كيف ينفى كون توليته الوجوه الى الجهات من البر وانما يفعل
ذلك فى الصلوة وهى بر لا محاله وكيف خبر عن البر بمن والبر كالمصدر ومن اسم محض وعن
اى شىء كنى بالهاء فى قوله تعالى واتى المال على حبه والمخصوص بانها كناية عنه وقد
تقدمت اشياء كثيره وعلى اى شىء ارتفع الموفون وكيف نصب الصابرين
وهم معطوفون على الموفون وكيف وحد الكناية فى موضع وجمعها فى اخر
فقال من امن واتى المال واقام الصلوة ثم قال والموفون بعهدهم والصابرين
ويقال له فيما ذكرته الاية جوابان احدهما انه اراد تعالى ليس الصلوة هى
البر كله لكنه ما عددها مما فى الاية من ضروب الطاعات وصنوف الواجبات فلا
تظنوا انكم اذا توجهتم الى الجهات بصلاتكم فقد احرزتم البر باسره وحزتموه

زايل رلون

بطا

بكماله بل يبقى عليكم بعد ذلك معظمه واكثره **والجواب الثانى** ان النصارى لما توجهوا
الى المشرق واليهود الى بيت المقدس واتخذوا هاتين الجهتين قبلتين واعتقدوا
فى الصلوة اليهما انها بر وطاعه خلافا على الرسول صلعم اكذبهم الله تعالى فى ذلك وبين
ان ذلك ليس من البر اذ كان منسوخا بشريعة النبى صلعم التى تلزم الاسود والابيض
والعربى والعجمى وان البر هو ما تضمنته الاية فاما الاخبار عن البر بمن ففيه
وجوه ثلثه **اولها** ان يكون معنى البر هاهنا البار وذا البر وجعل احدهما فى مكان
الاخر والتقدير ولكن البار من امن بالله ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى ان اصبح
ماؤكم غورا يريد غايرا ومثل قول الشاعر. ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت الخنساء
فانما هى اقبال وادبار. واراد انها مقبلة ومدبرة ومثله. تظل جياده نوحا
عليهم. مقلدة اعنتها صفونا. اراد نايحة عليهم ومثله. هريقى من دموعهما
سجاما. ضباع وجاوبى نوحا قياما. **والوجه الثانى** ان العرب قد تخبر عن الاسم
بالمصدر والفعل وعن المصدر بالاسم فاما اخبارهم عن المصدر بالاسم فقوله
تعالى ولكن البر من امن بالله وقول العرب انما البر الذى يصل الرحم ويفعل كذا وكذا
واما اخبارهم عن الاسم بالمصدر والفعل مثل قول الشاعر. لعمرك ما الفتيان
ان تنبت اللحى. ولكنما الفتيان كل فتى ندى. فجعل ان تنبت وهو مصدر خبرا ندام
عن الفتيان **والوجه الثالث** ان يكون المعنى ولكن البر من امن بالله فحذف
البر الثانى واقيم من مقامه كقوله تعالى واشربوا فى قلوبهم العجل قال الشاعر اراد حب العجل
وكيف تواصل من اصبحت. خلالته كابى مرحب. اراد كخلالة ابى مرحب وقال
النابغة. وقد خفت حتى ما تزيد مخافتى. على وعل فى ذى المطارة عاقل. اراد على
مخافة وعل وتقول العرب بنو فلان يطاهم الطريق اى اهل الطريق **وحكى**
عن بعضهم اطيب الناس الزبد اى اطيب ما ياكل الناس الزبد وذلك قولهم حسبت
صباحى زبدا اى صباح زبد **وروى** عن ابن عباس فى قوله تعالى ليس على الاعمى
حرج اى ليس على من اكل مع الاعمى حرج وفى قوله تعالى وراءهم كلهم قال

صاحب كلبهم وذكروا انه كان راعيا تبعهم فاما ما كنى عنه بالهاء في قوله تعالى

وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى ففيه وجوه اربعة اولها ان تكون الهاء راجعة

على المال الذي تقدم ذكره ويكون المعنى واتى المال على حب المال واضيف الحب (الى م)

الى المفعول ولم يذكر الفاعل كما يقول القايل اشتريت طعامي كاشتراء طعامك (كاشتراء طعامك دم المنع)

والوجه الثاني ان تكون الهاء راجعة على من امن بالله فيكون المصدر مضافا الى

الفاعل ولم يذكر المفعول لظهور المعنى ووضوحه والوجه الثالث ان ترجع الهاء

على الايتاء الذي دل اتى عليه والمعنى واعطى المال على حب الاعطاء ويجري

ذلك مجرى قول القطامي . هم الملوك وابناء الملوك لهم . والاخذون به

والساسة الاول . فكنى بالهاء عن الملك لدلالة قوله الملوك عليه ومثله قول الشاعر

اذا نهي السفيه جرى اليه . وخالف والسفيه الى خلاف . اراد جرى الى

السفه الذي دل ذكر السفيه عليه والوجه الرابع ان يكون الهاء ترجع الى الله تعالى

لان ذكره جل وعز قد تقدم فيكون المعنى واتى المال على حب الله ذوي القربى

واليتامى فان قيل اي فايدة في ذلك وقد علمنا الفايدة في ايتاء المال مع محبته

والظن به وان العطية تكون اشرف وامدح فما الفايدة فيما ذكرتموه وما

معنى محبة الله والمحبة عندكم هي الارادة والقديم تعالى لا يصح ان يراد قلنا

اما المحبة عندنا فهي الارادة الا انهم يستعملونها كثيرا مع حذف متعلقها مجازا

وتوسعا فيقولون فلان يحب زيدا اذا اراد منافعه ولا يقولون زيد يريد

عمروا بمعنى انه يريد منافعه لان التعارف يجري في استعمال الحذف والاختصار (التعارف)

في المحبة دون الارادة وان كان المعنى واحدا وقد ذكر ان لقولهم زيد

يحب عمرا مزية على قولهم يريد منافعه لان اللفظ الاول ينبي عن انه لا يريد

الا منافعه وانه لا يريد شيئا من مضاره والثاني لا يدل على ذلك فحصلت له مزية

وعلى هذا المعنى يصف الله تعالى بانه يحب اولياءه والمؤمنين من عباده والمعنى

فيه انه يريد لهم ضروب الخير من التعظيم والاجلال والنعم فاما وصفنا نحن

بانه يحب الله تعالى فالمعنى فيه انه يريد تعظيمه وعبادته والقيام بطاعته

ولا يصح فيه المعنى الذي ذكرناه في محبة العباد بعضهم بعضا لاستحالة المنافع

عليه ومن جوز عليه تعالى الانتفاع لا يصح ايضا ان يكون محبا على هذا المعنى

لانه باعتقاده ذلك فيه قد خرج من ان يكون عارفا به فمحبته في الحقيقة لا تتعلق

ولا تتوجه اليه كما نقول في اصحاب التشبيه انهم اذا عبدوا من اعتقدوه

الها فقد عبدوا غير الله فاما الفايدة في اعطاء المال مع محبة الله تعالى فهي

ظاهرة لان اعطاء المال متى قارنته ارادة وجه الله تعالى به وعبادته وطاعته

استحق به الثواب ومتى لم يقترن به ذلك لم يستحق الفاعل به ثوابا وكان

ضايعا وتاثير ما ذكرناه ابلغ من تاثير حب المال والضن به لان المحب للمال

الضنين به متى بذله واعطاه ولم يقصد به الطاعة والعبادة والقربة لم يستحق

به شيئا من الثواب وانما يؤثر حبه للمال في زيادة الثواب متى حصل

ما ذكرناه من قصد القربة والعبادة ولو تقرب بالعطية وهو غير ضنين بالمال

ولا محب له لاستحق الثواب وهذا الوجه لم نسبق اليه في هذه الاية وهو

احسن ما قيل فيها وقد ذكر فيها وجه اخر وهو ان يكون الهاء راجعة الى من امن

وينتصب ذوي القربى بالحب ولا يجعل لاتى منصوب لوضوح المعنى ويكون

تقدير الكلام واعطى المال على حبه ذوي القربى واليتامى وعلى محبته اياهم

وهذا الوجه ليس فيه مزية في باب رجوع الهاء التي وقع عنها السوال عنه والا

جوبة الاول اقوى واولى فاما قوله تعالى والموفون بعهدهم ففي رفعه وجهان

احدها ان يكون مرفوعا على المدح ويكون المعنى وهم الموفون بعهدهم قال

الزجاج وهذا اجود الوجهين والوجه الاخر ان يكون معطوفا على من امن ويكون

المعنى ولكن ذا البر وذوي البر المؤمنون والموفون بعهدهم فاما نصب الصابرين

ففيه وجهان احدهما المدح لان مذهبهم في الصفات والنعوت اذا طالت

يتعرضوا بينها بالمدح او الذم ليميزوا الممدوح او المذموم ويفردوه فيكون

(margin: وانما بين ما تقدم بتقدير انتصاب ذوي القربى بالحب وذلك غير ما وقع السوال عنه)

(margin: لان النعت اذا طال ذكر رفع بعضه ونصب بعضه على المدح)

غير متبع لاول الكلام من ذلك قول الخرنق بنت بدر بن هفان . لا يبعدن
قومي الذين هم . سم العداة وآفة الجزر . النازلين بكل معترك . والطيبين
معاقد الازر . فنصب ذلك على المدح وربما رفعوهما جميعا على ان يتبع آخر
الكلام اوله ومنهم من ينصب النازلين ويرفع الطيبين وآخرون يرفعون
النازلين وينصبون الطيبين والوجه في النصب والرفع ما ذكرناه ومن ذلك
قول الشاعر انشده الفراء . الى الملك القرم وابن الهمام . وليث الكتيبة في المزدحم
وذا الراي حين تغم الامور . بذات الصليل وذات اللجم . فنصب ليث الكتيبة
وذا الراي على المدح وانشد الفراء ايضا . فليت التي فيها النجوم تواضعت . على كل غث منهم
وسمين . غيوث الحيا في كل محل ولزبة . اسود الشرى يحمين كل عرين . ومما نصب
على الذم قوله . سقوني الخمر ثم تكنفوني . عداة الله من كذب وزور . والوجه
الآخر في نصب الصابرين ان يكون معطوفا على ذوي القربى ويكون المعنى واتى المال
على حبه ذوي القربى والصابرين قال الزجاج وهذا لا يصلح الا ان يكون والموفون
رفع على المدح للمضمرين لان ما في الصلة لا يعطف عليه بعد العطف على الموصول
وكان يقوي الوجه الاول فاما توحيد الذكر في موضع جمعه في آخر فلان من آمن
لفظه لفظ الوحدة وان كان في المعنى للجمع فالذكر الذي بعده موحد لانه اجري على اللفظ
وما جاء من بعد في الوصف بعد ذلك على سبيل الجمع مثل قوله تعالى والموفون والصابرين
فعلى المعنى وقد اختلفت قراءة القراء السبعة في رفع راء ونصبها من قوله تعالى
ليس البر فقراءة حمزة وعاصم في رواية حفص ليس البر بنصب الراء وروى هبيرة
عن حفص عن عاصم انه كان يقرا بالنصب والرفع وقرا الباقون البر بالرفع والوجهان
جميعا حسنان لان كل واحد من الاسمين اسم ليس وخبرها معرفة فاذا اجتمعا
في التعريف تكافا في جواز كون احدهما اسما والآخر خبرا كما تتكافا في النكرات
وحجة من رفع البر انه لان يكون البر الفاعل اولى لان ليس تشبه الفعل وكون الفاعل بعد
الفعل اولى من كون المفعول بعده الا ترى انك اذا قلت قام زيد فان الاسم يلي الفعل

بعون

ويقول ضرب غلامه زيد فيكون التقدير في الغلام التاخير فلولا ان الفاعل
اخص بهذا الموضع لم يجز هذا كما لم يجز في الفاعل ضرب غلامه زيدا حيث لم يجز
في الفاعل تقدير التاخير كما جاز في المفعول به لوقوع الفاعل موقعه المختص به
وحجة من نصب البر ان يقول كون الاسم ان وصلتها اولى لشبهها بالمضمر في انها
لا توصف كما لا يوصف المضمر فكانه اجتمع مضمر ومظهر والاولى اذا اجتمعا
ان يكون المضمر الاسم من حيث كان اذهب في الاختصاص من المظهر قال المرتضى رضي الله عنه
حدثنا ابو القاسم عبيد الله بن عثمن بن يحيى بن خنيف الدقاق قال اخبرنا
ابو عبد الله محمد بن احمد الحكيمي الكاتب قراءة عليه قال املى علينا ابو العباس احمد
بن يحيى النحوي ثعلب قال اخبرنا ابن الاعرابي قال قال ابن الكلبي لما كان بعد يوم
الهباءة جاور قيس بن زهير النمر بن قاسط فقال لهم اني قد جاورتكم واخترتكم
فزوجوني امراة قد ادبها الغنى واذلها الفقر في حسب وجمال فزوجوه ظبية
بنت الكيس النمري وقال لهم ان في خلالا ثلاثا اني غيور واني فخور واني انف
ولست افخر حتى ابتلى ولا اغار حتى ارى ولا آنف حتى اظلم فاقام فيهم حتى ولد له
فلما اراد الرحيل عنهم قال اني موصيكم بخصال وناهيكم عن خصال عليكم بالاناة
فان بها تنال الفرصة وتسويد من لا تعابون بتسويده وعليكم بالوفاء فانه يعيش
الناس وباعطاء من تريدون اعطاءه قبل المسئلة ومنع من تريدون منعه قبل
الالحاح واجارة الجار على الدهر وتنفيس المنازل عن بيوت الايامى وخلط الضيف اليتامى
بالعيال وانهاكم عن الرهان فاني به ثكلت مالكا اخي والبغي فانه قتل زهيرا
ابي وعن الاعطاء في الفضول فتعجزوا عن الحقوق وعن الاسراف في الدماء فان
يوم الهباءة الزمني العار وعليكم بمنع الحرم الا من الاكفاء فان لم تصيبوا لها الاكفاء فان لهن
خير مناكحها القبور او خير منازلها واعلموا اني كنت ظالما مظلوما ظلمني بنو بدر بقتلهم
مالكا اخي وظلمتهم بان قتلت من لا ذنب له قال المرتضى رضي الله عنه اما قوله
انهاكم عن الرهان فاراد المراهنة في سباق الخيل وذلك ان قيس بن زهير راهن

حذيفة بن بدر الفزاری علی فرسه داحس والغبراء وفرسی حذیفة الخطار والحنفا
وقال بعض بنی فزاره بل قرزل والحنفا وكان قيس كارها لذلك وانما هاجر بينهما
بعض بنی عبد الله ابن غطفان وقيل بل رجل من بنی عبس والخبر فی شرح ذلك مشهور ثم
وقع الاتفاق علی السباق وجعلوا الغاية من واردات الی ذات الاصاد وجعلوا القصبة
فی يد رجل من بنی ثعلبة بن سعد يقال له حصين وبيد رجل من بنی العشرا من بنی فزاره
وملأوا البركة ماء وجعلوا السابق اول الخيل يكرع فيها ثم ان حذيفة بن بدر وقيس
بن زهير اتيا المدی الذی ارسلت الخيل فيه ينظران اليها والی خروجها فلما ارسلت
عارضها فقال حذيفة خدعتك يا قيس فقال قيس ترك الخداع من اجری من مائة
غلوة فارسلها مثلا ثم ركضا ساعة فجعل خيل حذيفة تتقدم خيل قيس فقال حذيفة
سبقت يا قيس فقال قيس جری المذكيات غلاب فارسلها مثلا والمذكيات المسان
من الخيل ويروی غلاء اي كما يتغالی بالنبل ثم ركضا ساعة فقال حذيفة انك لا تركض
ركضا سبقت خيلك فقال قيس رويدا يعلون الجدد الی الوعث وقد كان بنو فزاره
اكمنوا بالثنية كمينا لينظروا فان جاء داحس سابقا امسكوه وصدوه عن الغاية فجاءا
داحس سابقا فامسكوه ولم يعرفوا الغبراء وهی خلفه مصلية حتی مضت الخيل واسهلت
من الثنية ثم ارسلوه فتمطر فی آثارها فجعل يسيرها فرسا فرسا حتی انتهی الی الغاية
مصليا وقد طرح الخيل غير الغبراء ولو تباعدت الغاية سبقها فاستقبلها بنو فزاره
فلطموها ثم حلؤوها عن البركة ثم لطموا داحسا وقد جاءا متواليين ثم جاء حذيفة
وقيس فی آخر الناس وقد دفعتهم بنو فزاره عن سبقهم ولطموا فرسيهما وجری
من الخلف فی اخذ السبق ما قد شرحته الرواة وقد قيل فی بعض الروايات ان الرهان
والسبق كان بين حمل بن بدر وبين قيس وفی ذلك يقول قيس . كما لاقيت من حمل
بن بدر . واخوته علی ذات الاصاد . هم فخروا علیّ بغير فخر . وردّوا دون غايته
جوادی . وقد لفوا الی بفعل تغير سوء . فالفونی لهم صعب القياد . وكنت اذا
امنيت بخصم سوء . دلفت له بداهية نآد . ثم ان قيس اغار علی عوف ابن بدر

فقتله واخذ ابله فبلغ ذلك بنی فزاره فهموا بالقتال فحمل الربيع بن زياد العبسی
دية عوف بن بدر مائة عشراء مثلية ويقال ان قيسا قتل ابنا لحذيفة يقال له مالك
وان حذيفة كان ارسله اليه يطلب منه السبق فطعنه فدق صلبه وان الربيع
بن زياد حمل ديته مائة عشراء فسكن الناس عن القتال ثم ان مالك بن زهير نزل موضعا
يقال له اللقاطة قريبا من الحاجر ونكح امراة يقال لها مليكة بنت حارثة من بنی
غراب بن فزاره فبلغ ذلك حذيفة بن بدر فدس اليه فرسانا فقتلوه وكان الربيع
بن زياد العبسی مجاورا لحذيفة بن بدر وكانت تحت الربيع معاذه بنت بدر فلما
وقف علی الخبر قال . نام الخلی وما اغمض حار ساهرا . من سيئ النبأ الجليل الساری
من مثله تمسی النساء حواسرا . وتقوم معولة مع الاسحار . من كان مسرورا
بمقتل مالك . فليأت نسوتنا بوجه نهار . يجد النساء حواسرا يندبنه . يضربن
اوجههن بالاسيار . قد كن يخبأن الوجوه تسترا . فاليوم حين بدون للنظار
افبعد مقتل مالك بن زهير . ترجو النساء عواقب الاطهار . ما ان اری فی قتله لذوی
الحجا . الا المطی تشد بالاكوار . ومجنبات ما يذقن عذوقة . يقذفن بالمهرات والامهار
ومساعرا صدأ الحديد عليهم . فكانما طلی الوجوه بقار . فاما خبر مقتل زهير
بن جذيمة العبسی ابی قيس فاختلف الرواية فی سببه فيقال ان هوازن بن منصور
كانت تؤدی الاتاوه زهير بن جذيمة لبمن فی نحی فاعتذرت اليه وشكت السنين
اللوای تتابعت علی الناس فذاقه فلم يرض طعمه فدعها ای دفعها بقوس فی يده
عطل فی صدرها فسقطت وبدت عورتها فغضبت من ذلك هوازن وحقد
الی مكان فی صدرها من الغيظ وكانت يومئذ قد امرت بنو عامر بن صعصعة ای كثرت
والی خالد بن جعفر بن كلاب فقال والله لاجعلن ذراعی هذه وراء عنقه حتی
اقتل او يقتل وفی ذلك يقول خالد بن جعفر . اريغونی اراغتكم فانی .
وحذفة كالشجاء تحت الوريد . مقربة اواسيها بنفسی . والحفها ردائی فی الجليد
لعل الله يمكننی عليها . جهارا من زهير او اسيد . فاتثقفونی فاقتلونی

يبد وهام

الخلاف

من اتقف فليس الى خلود . ويقال بل كان السبب فى ذلك ان زهير بن جذيمة
لما قتل فى غنى من قتل بابنه شاس واتى عكاظ فلقيه خالد بن جعفر بن كلاب
وكان حدثا فقال يا زهير اما ان لك ان تشتفى وتكف يعنى مما قتل بشاس فاغلظ
له زهير وحقره فقال خالد اللهم امكن يدى هذه الشعرا القصير من عنق زهير
بن جذيمة ثم اعنى عليه فقال زهير اللهم امكن يدى هذه البغاء الطويل من عنق خالد
ثم خل بيننا فقالت قريش هلكت والله يا زهير فقال انتم والله الذين لا اعلم لهم
ثم اجمع خالد بن جعفر على قصد زهير فقتله واتفق نزول زهير بالقرب من ارض
بنى عامر وكانت تماضر بنت عمرو بن الشريد امراة زهير بن جذيمة وام ولده فمر بها
اخوها الحارث بن عمرو الشريد فقال زهير لبنيه ان هذا الحمار لطليعة عليكم فاتقوه
فقالت اخت لبنيها ايزور كم خالكم فتوثقون وقالت تماضر لاخيها الحارث انه
لير يبنى اكيبنا ملك وقر وتلك الاكبنيان الغم والقروت السكوت ولا يا خذن
فيك ما قال زهير فانه رجل بيذارة عيذارة شنوءة قال المرتضى رضى الله عنه
الاثرم البيذاره الكثير الكلام والعيذاره السيئ الخلق ثم حلبوا له وطبا وقد اخذوا
عليه يمينا ان لا يخبر عليهم ولا ينذر بهم احدا فخرج الحارث حتى اتى بنى عامر فقعد
الى شجرة يجتمع اليها بنو عامر فالقى الوطب تحتها وقال والقوم ينظرون
ايتها الشجرة الذليلة اشربى من هذا اللبن فانظرى ما طعمه فقال القوم هذا
الرجل ماخوذ عليه وهو يخبركم خبرا فذاقوا اللبن واذا هو حلو لم يقرص بعد
فقالوا انه يخبرنا ان مطلبنا قريب فركب خالد بن جعفر بن كلاب ومعه جماعة
وكان راكبا فرسه حذفه فلقوا زهيرا فاعتنق خالد زهيرا وخرا عن فرسيهما
ووقع خالد فوق زهير ونادى يا بنى عامر اقتلونى والرجل واستغاث زهير بنيه
فاقبل اليه ورقاء بن زهير يشتد بسيفه فضرب خالدا ثلاث ضربات فلم يغن شيئا
وكان على خالد درعان قد ظاهر بينهما ثم ضرب جندج راس زهير فقتله وفى ذلك
وفى ذلك يقول ورقاء بن زهير . رايت زهيرا تحت كلكل خالد . فاقبلت اسعى

كالعجول ابادر . فشلت يمينى يوم اضرب خالدا . ويمنعه عنى الحديد المظاهر .
فيا ليتنى من قبل ضربة خالد . ويوم زهير لم تلدنى تماضر . فاما خبر الهباه فان بنى
عبس وبنى فزارة لما التقوا الى جنب جفر الهباه فى يوم قايظ فاقتتلوا ولخبرهم
شرح طويل معروف فاستجار حذيفه ومن معه بجفر الهباه ليتبرد فيه فهجم عليه
القوم فقال حذيفه يا بنى عبس يا بن العود وابن الاحلام فضربه حمل بن بدر
بين كتفيه وقال اتق ماثور المقول بعد اليوم فارسلها مثلا وقتل قرواش بن
حذيفه بن بدر وقتل الحارث بن زهير حملا واخذ منه ذا النون سيف مالك بن زهير
اخيه وكان حمل بن بدر اخذه من مالك بن زهير يوم قتل فقال قيس فى ذلك
تعلم ان خير الناس ميت . على جفر الهباءة لا يريم . فلولا ظلمه ما زلت ابكى .
عليه الدهر ما طلع النجوم . ولكن الفتى حمل بن بدر . بغى والبغى مرتعه وخيم
اظن الحلم دل على قومى . وقد يستجهل الرجل الحليم . فمارست الرجال ومارسونى .
فمعوج على ومستقيم وقال قيس ايضا شفيت النفس من حمل بن بدر .
وسيفى من حذيفه قد شفانى . فان اك قد بردت بهم غليلى . فلم اقطع بهم
الا بنانى المجلس الحادى عشر تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى ومثل
الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمى
فهم لا يعقلون فقال اى وجه لتشبيه الذين كفروا بالصايح الناعق
بالغنم والكلام يدل على ذمهم ووصفهم بالغفلة وقلة التامل والتمييز والناعق
بالغنم قد يكون مميزا متاملا محصلا يقال له فى هذه الاية خمسة اجوبة
اولها ان يكون المعنى مثل واعظ الذين كفروا والداعى لهم الى الايمان
والطاعة كمثل الراعى الذى ينعق بالغنم وهى لا تعقل معنى دعائه وانما تسمع صوته
ولا تفهم غرضه والذين كفروا بهذه الصفة لانهم يسمعون وعظ النبى صلى الله عليه وآله
ودعاءه وانذاره فيضربون عن قبول ذلك ويعرضون عن تامله فيكونون بمنزلة من
لم يعقل ولم يفهم لاشتراكهما فى عدم الانتفاع به ويجوز ان يقوم قوله الذين كفروا

من لبنهم

بالغنم

فيعرضون

مقام الواعظ والداعي لهم كما تقول العرب فلان يخافك كخوف الاسد والمعنى كخوفه
الاسد فاضاف الخوف الى الاسد وهو في المعنى مضاف الى الرجل قال الشاعر
فلست مسلما ما دمت حيا . على زيد بتسليم الامير . اراد بتسليمي على الامير
ونظاير ذلك كثيرة الجواب الثاني ان يكون المعنى ومثل الذين كفروا كمثل الغنم
التي لا تفهم نداء الناعق فاضاف الله تعالى المثل الثاني الى الناعق وهو في المعنى
مضاف الى المنعوق به على مذهب العرب في قولها . طلعت الشعرى . وانتصب
العود على الحربا . والمعنى وانتصب الحربا على العود وجاز التقديم والتاخير
لوضوح المعنى انشد الفرا . ان سراجا لكريم مفخره . تحلى به العين اذا ما تجهره .
معناه يحلى بالعين فقدم واخر وانشد الفرا ايضا . كانت فريضة ما تقول كما .
كان الزنا فريضة الرجم . المعنى كما كان الرجم فريضة الزنا وانشد ايضا . وقد خفت
حتى ما تزيد مخافتي . على وعل في ذي المطارة عاقل . اراد ما تزيد مخافة وعل على
مخافتي . ومثله كان لون ارضه سماؤه . اراد كان لون سمائه ارضه . ومثله ترى
الثور فيها مدخل الظل راسه . وسائره باد الى الشمس اجمعوا . اراد مدخل راسه
الظل وقال الراعي . فصبحته كلاب الغوث يؤسدها . مستوضحون يرون العين
كالاثر . يريد انهم يرون الاثر كالعين وقال ابو النجم . قبل دنو الافق من جوزائه
فقلب وقال العباس بن مرداس . فديت بنفسه نفسي ومالي . ولا آلوك
الا ما اطيق . اراد فديت بنفسي نفسه وقال ابن مقبل . ولا تهيبني الموماة اركبها .
اذا تجاوبت الاصداء بالسحر . اراد لا اتهيب الموماة وهذا كثير جدا الجواب
الثالث ان يكون المعنى ومثل الذين كفروا ومثلنا او مثلهم ومثلك يا محمد
كمثل الذي ينعق اي مثلهم في الاعراض ومثلنا ومثلك في الدعا والتنبيه
والارشاد كمثل الناعق بالغنم فحذف المثل الثاني اكتفاء بالاول ومثله قوله تعالى
وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر . واراد الحر والبرد كما قال ابو ذويب . عصيت اليها
القلب اني لامره . مطيع فما ادري ارشد طلابها . اراد ارشد ام غي فاكتفى

اتذكر اذ لحافك جلد شاة
واذ نعلاك من جلد البعير

سبحان الذي اعطاك ملكا
وعلمك الجلوس على السرير

استوضح الرجل اذا وضع يده
على جبينه للنظر الى الشيء

ناكتفى بذكر الحر من البرد

بذكر الرشد لوضوح الامر الجواب الرابع ان يكون المراد ومثل الذين كفروا
في دعائهم الاصنام التي يعبدونها من دون الله تعالى وهي لا تعقل ولا تفهم ولا
تضر ولا تنفع كمثل الذي ينعق دعاء ونداء بما لا يسمع صوته جملة والدعاء
والندا على هذا الجواب ينتصبان بينعق والا توكيد للكلام ومعناها الالغا قال
الفرزدق . هم القوم الا حيث سلوا سيوفهم . وضحوا بلحم من محل ومحرم . و
المعنى هم القوم حيث سلوا سيوفهم والجواب الخامس ان يكون المعنى ومثل الذين
كفروا في دعائهم الاصنام وعبادتهم لها واسترزاقهم اياها كمثل الراعي الذي
ينعق بغنمه ويناديها فهي تسمع نداءه ودعاه ولا تفهم معنى كلامه فشبه ما من
يدعوه الكفار من المعبودات دون الله تعالى بالغنم من حيث لا تعقل الخطاب
ولا تفهمه ولا ينفع عندها فيه ولا مضرة وهذا الجواب يقارب الذي قبله
وان كانت بينهما مزية ظاهرة لان الاول يقتضي ضرب المثل بما لا يسمع الدعاء
والندا جملة ويجب ان يكون مصروفا الى غير الغنم وما اشبهها مما يسمع وان لم
يفهم وهذا الجواب يقتضي ضرب المثل بما يسمع الدعاء والنداء وان لم يفهمها
والاصنام من حيث كانت لا تسمع الدعاء جملة يجب ان يكون داعيها ومناديها
اسوأ حالا من منادي الغنم ويصح ان ينصرف الى الغنم وما اشبهها مما يشارك
في السماع ويخالف في الفهم والتمييز وقد اختلف الناس في ينعق فقال اكثرهم
لا يقال نعق ينعق الا في الصياح بالغنم وحدها وقال بعضهم نعق ينعق بالغنم
والابل والبقر والاول اظهر في كلام العرب وقال الاخطل . فانعق بضانك
يا جرير فانما . منتك نفسك في الخلاء ضلالا . وقال ايضا نعق الغراب ونغق
بالغين المعجمة اذا صاح من غير ان يمد عنقه ويحركها فاذا امدها وحركها
ثم صاح قيل نعب ويقال ايضا نعب الفرس ينعب نعبا ونعيبا ونعبانا وهو
صوته ويقال فرس منعب اي جواد وناقة نعابة اذا كانت سريعة تاويل خبر روي
عن النبي صلى الله عليه وآله انه خرج مع اصحابه الى طعام دعوا اليه فاذا ابا الحسن عليه السلام

وهو صبي يلعب مع صبية في السكة فاستنتل رسول الله صلعم امام القوم فطفق
الصبي يفر مرة هيهنا ومرة هيهنا ورسول الله صلعم يضاحكه ثم اخذه فجعل احدى
يديه تحت ذقنه والاخرى تحت فاس راسه واقنعه وقبله وقال صلعم
انا من حسين وحسين مني احب الله من احب حسينا حسين سبط من
الاسباط قال المرتضى رضي الله عنه معنى استنتل تقدم ويقال استنتل
الرجل استنتالا وابرنتى ابرنتاء وابرندع ابرنداعا اذا تقدم هكذا ذكره
ابو بكر بن الانباري ووجدت بعض المتقدمين في علم اللغة يحكي في كتاب
له قال تقول استنتلت الامر استنتالا اذا استعددت له واستنتل
الرجل تفرد من القوم ويقال استنتل اشرف والمعاني تتقارب والخبر يليق
بكل واحد منها وحكى هذا الرجل الذي ذكرناه في كتابه في ابرنتى وابرندع ايضا انه من الاستعداد فاما السكة فهي من المنازل المصطف والنخل
المصطف ومعنى طفق ما زال قال الشاعر. طفقت تبكي واسعدها. وكلانا
ظاهر الكمد. وفاس الراس طرف القمحدوة المشرف على القفا ومعنى اقنعه
رفعه هكذا ذكر ابن الانباري وقال غيره اقنع ظهره اذا طاطاه ثم رفعه برفق
فاما الاسباط في ولد اسحق عليه السلم كالقبائل في بني اسمعيل عليه السلم وقال
ابن الانباري هم الصبية والصبوة بالياء والواو ومما حدثنا ابو القاسم عبيد الله
بن عثمن بن يحيى بن منيعا قال اخبرنا ابو عبد الله محمد بن احمد الحكيمي قراءة قال
املا علينا ابو العباس احمد بن يحيا ثعلب وقال اخبرنا ابن الاعرابي انه قيل
لابنة الخس ما مائة من المعزى قالت مويل يشف الفقر من ورائه مال الضعيف
وحرفة العاجز قيل فما مائة من الابل قالت نعم جمال ومال ومنى الرجال قيل لها
فما مائة من الخيل قالت طغى عند من كانت ولا توجد قيل فما مائة من الحمر قالت
عازبة الليل وخزي المجلس لا لبن فيحلب ولا صوف فيجز ان ربط عيرها دلى وان
ارسلته ولى وبهذا الاسناد عن ابن الاعرابي قال قيل لابنة الخس والخسف

فاصلها

من الضان قالت قرية لا حمى بها

[illegible]

والحض قال ذلك يقال ما احسن شي قالت غادية في اثر سارية في نجاء قاوية قال
نجاء ارض مرتفعة لان النبات في موضع مشرف احسن وقالوا ايضا نخاء اي ابية
ليس بها رمل ولا حجارة قال والجمع النقاخي وبنت الرابية احسن من بنت الوادي
لان السيل يصرع الشجر فيقذفه في الاودية ثم يلقى عليه الدمن قال المرتضى رضي الله عنه
ومما يدل على ان بنت الرابية احسن قول الاعشى. ما روضة من رياض الحزن
معشبة. خضراء جاد عليها مسبل هطل. وقول كثير. فما روضة في الحزن طيبة
الثرى. يمج الندى جثجاثها وعرارها. فخص الحزن للمعنى الذي ذكرناه وبهذا الاسناد
عن ابن الاعرابي قال العرب تقول جانا بطعام لا ينادي وليده اي جاء بطعام كثير
لا تراد فيه زيادة ووقع في امر لا ينادي وليده يقول لا يدعى له الصبيان ولا يستغنا
الا الابكار الرجال فيه وقال المرتضى رضي الله عنه وفي ذلك قولان آخران احدهما
عن الاصمعي قال اصله من الشدة تصيب القوم حتى تذهل الام عن ولدها فلا تناديه
لما هي فيه ثم صار مثلا لكل شدة ولكل امر عظيم والقول الاخر عن الكلابي قال
اصله من الكثرة والسعه فاذا اهوى الوليد الى شي لم يزجر عنه حذر الافساد لسعة
ما هم فيه ثم صار مثلا لكل كثرة قال الفرا وهذا القول يستعار في كل موضع يراد
به الغاية وانشد. لقد كفنا يزيد بن مزيد. شرائع جود لا ينادي وليدها. وبهذا
الاسناد الذي تقدم عن ابن الاعرابي قال دخل ودفه الاسدي على معن بن
زايدة الشيباني فقال ان رايت اكرمك الله ان تضعني من نفسك بحيث وضعت
نفسي من رجائك فانك قد بلغت حالا لو اعتقني الله فيها بكر من تنضف الحلال
بعدك لم يكن كثيرا واني قدمت الرجا واحسنت الثنا ولزمت الحفاظ
ثم انشا يقول. يا معن انك لم تنعم على احد. فشاب نعماك تنغيص ولا كدر
فانظر الي بطرف غير ذي مرض. فربما صح لي من طرفك النظر. ايام وجهك لي
طلق يخبرني. اذا سكت بما تخفي وتضطمر. ومن هواك شفيع ليس يغفلني
وان نايت وان قلت بي الذكر. قد كنت اثرت عندي مرة اثرا. فقد تقارب

نبذة

التنضف الخدمة لا تنضفه اذا خدمه والتنضف الخادم

الذكر والذكرى والذكرة بمعنى واحد والذكر جمع الذكراة

بعفو ذلك الاثر. فايما كان ذو عسر وميسرة. فان حظك فيه الحمد والشكر.
فاجبر بفضلك عظما كنت تجبره. واجمع بفضلك ما قد كاد ينتشر. ما نازع العسر بفعلك
في اليسر مذ علقت. كفي بحبلك الا ظفر اليسر. وقد خشيت وهذا الدهر ذو غير.
بان يداك يطول الجفوة العسر. فقال معن اوما كنا اعطيناك شيئا قال لا قال
اما الذهب والفضة فليسا عندنا ولكن هات تختا من ثيابي يا غلام فدفع اليه وكان
يحمل عليه بابن عياش وحبيب بن بديل فاعطاهما معه تختين وقال غرمتني يا ودفر تخت
ثياب وقال المرتضى رضي الله عنه وكان معن ابن زايدة جوادا شجاعا شاعرا ويكنى
ابا الوليد وهو معن بن زايدة بن مطر بن شريك بن عمرو ومطر هو اخو الحوفزان بن عبدالله ابن زايدة
شريك وكان معن من اصحاب ابن هبيرة فلما قتل رثاه معن فقال. الا ان عينا
لم تجد يوم واسط. عليك بجاري دمعها لجمود. عشية قام النايحات وشققت
جيوب بايدي ماتم وخدود. وان تمس مهجور الفناء فربما. اقام به بعد الوفود
وفود. فانك لم تبعد على متعهد. بلى كل من تحت التراب بعيد. اخبرنا ابو عبيد الله
المرزباني قال اخبرني يوسف بن يحيى المنجم عن ابيه قال حدثني محمد بن القاسم بن
مهرويه قال حدثني ابو يزيد الحكم بن موسى قال حدثني ابي قال كان معن بن زايدة
من اصحاب يزيد بن عمرو بن هبيرة وكان مستترا حتى كان يوم الهاشمية فانه حضر
وهو معتم متلثم فلما نظر الى القوم قد وثبوا على المنصور تقدم فاخذ بلجام
بغلته ثم جعل يضربهم بالسيف قدامه فلما افرجوا له وتفرقوا عنه قال له من انت
ويحك قال انا طلبتك معن بن زايدة فلما انصرف المنصور حباه وكساه ورتبه
ثم قلده اليمن فلما قدم عليه من اليمن قال له هيه يا معن تعطي مروان بن ابي حفصة
مائة الف على ان قال لك. معن بن زايدة الذي زيدت به. شرفا الى شرف بني درهم
شيباني. ان عد ايام الفعال فانما. يوماه يوم ندا ويوم طعان. قال كلا يا امير المؤمنين
ولكني اعطيته على قوله. ما زلت يوم الهاشمية معلما. بالسيف دون خليفة
الرحمن. فمنعت حوزته وكنت وقاءه. من وقع كل مهند وسنان. قال احسنت

يامعن

يامعن وفي خبر آخر انه دخل على المنصور فقال له ويلك ما اظن ما يقال فيك
من ظلمك لاهل اليمن واعتسافك اياهم الا حقا قال وكيف ذاك يا امير المؤمنين
قال بلغني انك اعطيت شاعرا كان يلزمك الف دينار وهذا من السرف الذي
لا اثني مثله فقال يا امير المؤمنين انما اعطيته من فضول مالي وغلات ضياعي
وفضلات رزقي وكففته عن عرضي وقضيت الواجب من حقه علي وقصده
الي وملازمته لي قال فجعل ابو جعفر ينكت بقضيب في يده الارض ولا يعاوده لم
القول واخبرنا المرزباني قال اخبرني علي بن يحيى عن عبد الله بن ابي سعد الوراق
عن خالد بن يزيد بن وهب ابن جرير عن عبد الله بن محمد المعروف بمنقار من اهل خراسان
وكان من ولاة الرشيد قال حدثني معن بن زايدة قال كنا في الصحابة سبعمائة
رجل فكنا ندخل على المنصور في كل يوم قال فقلت للربيع اجعلني في آخر من يدخل
عليه قال لست باشرفهم حسبا فتكون في اولهم ولا باخسهم نسبا فتكون في اخرهم
وان مرتبتك لتشبه نسبك قال فدخلت على المنصور ذات يوم وعلي دراعة فضفاضة
وسيف حنفي اقرع بنعله الارض وعمامة قد اسدلتها من قدامي وخلفي فسلمت
عليه وخرجت فلما صرت عند الستر صاح بي يا معن صيحة انكرتها فلبيته فقال
الي فدنوت فاذا به قد نزل عن فراشه الى الارض وجثى على ركبتيه واستل
عمودا من بين فراشين واستحال لونه ودرت اوداجه وقال انك لصاحبي
يوم واسط لا نجوت ان نجوت مني قال قلت يا امير المؤمنين تلك نصرتي
لباطلهم فكيف نصرتي لحقك فقال لي كيف قلت فاعدت عليه القول
فما زال يستعيد لي حتى رد العمود الى مستقره واستوى متربعا واسفر لونه
وقال يا معن ان باليمن هنات قلت يا امير المؤمنين ليس لمكتوم رأي وهو اول
من ارسلها مثلا فقال انت صاحبي فاجلس قال فجلست فامر الربيع باخراج
كل من كان في الدار وخرج الربيع فقال لي ان صاحب اليمن قد هم بالمعصية
واني اريد ان آخذه اسيرا ولا يفوتني شيء من ماله قلت وليني اليمن واظهر

انك قد ضممتني اليه وامر الربيع ان يزيح علتي في كل ما احتاج اليه ويخرجني
في يومي هذا لئلا ينتشر الخبر قال فاستل عهدا من بين فراشه فوقع فيه باسمي
وناولنيه ثم دعا الربيع فقال يا ربيع انا قد ضممنا معنا الى صاحب اليمن
فازح علته بما يحتاج اليه من السلاح والكراع ولا يمس الا وهو راحل قال
ثم ودعني فودعته وخرجت الى الدهليز فلقيني ابو الوالي فقال يا معن اعزز علي
ان تضم الى ابن اخيك قال فقلت انه لا غضاضة على الرجل ان يضمه سلطانه الى
ابن اخيه وخرجت الى اليمن فاتيت الرجل فاخذته اسيرا وقرات عليه العهد
وقعدت في مجلسه وروى عمر بن شبه قال اجتمع عند معن بن زايدة ابن ابي عاصم
وابن ابي حفصة والضمري فقال لينشد كل واحد منكم امدح بيت قاله فينا فانشد
ابن ابي حفصة مسحت ربيعة وجه معن سابقا . لما جرى وجرى ذوو الاحساب .
فقال له معن الجواد يعثر فيمسح وجهه من الغبار والعثار وغيرهما قبل من وانشد
الضمري . انت امرؤ همك المعالي . ودلو معن فلا الربيع . وسائلك الحمد تشتريه
يشمعه عنك ما يبيع . فقال له ما احسن ما قلت الا انك لم تسمني ولم تذكرني
فمن شاء انتحله وانشد ابن ابي عاصم . ان زال معن بني زايدة لم يزل . الندى الى
بلد بغير مسافر . ففضله عليهم وروى انه اتى معن بن زايدة بثلثمائة اسير
فامر بضرب اعناقهم فقال له شاب منهم يا ابا الشيبان نناشدك الله ان تقتلنا عطاشا
فقال اسقوهم ماء فلما شربوا قال يا ابا الشيبان نناشدك الله ان تقتل اضيافك
فقال اطلقوهم وذكر احمد بن كامل ان الخوارج قتلت معن بن زايدة بسجستان
في سنة احدى وخمسين ومائة وروى ان عبد الله بن طاهر كان يوما عند المامون
فقال له يا ابا العباس من اشعر من قال الشعر في خلافة بني هاشم قال امير المومنين اعرف
بهذا مني قال على حال . قال عبد الله اشعرهم الذي يقول في معن بن زايدة . ايا قبر
معن كنت اول حفرة . من الارض خطت للسماحة مضجعا . ايا قبر معن كيف واريت
جوده . وقد كان منه البر والبحر مترعا . بلى قد وسعت الجود والجود ميت . ولو

والكراع في القدو النعم بمنزلة الوصيفة العربي وهو مشدد التاء يذكر ويونث

كان

كان حيا ضقت حتى تصدعا . والابيات للحسين بن مطير الاسدي وهي تزيد
على هذا المقدار واولها . الما بمعن ثم قولا لقبره . سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا
فتى عيش في معروفه بعد موته . كما كان بعد السيل مجراه مرتعا . ولما مضى معن مضى الجود
فانقضى . واصبح عرنين المكارم اجدعا . المجلس السادس العشرون وبالله الرشاد
فقال ما الوجه في قوله تعالى ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون
النبيين بغير الحق وفي موضع اخر وقتلهم الانبياء بغير حق وظاهر هذا القول
يقتضي ان قتلهم قد يكون بحق قوله ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به
وقوله تعالى الذي رفع السموات بغير عمد ترونها وقوله تعالى ولا تكونوا
اول كافر به وقوله تعالى ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وقوله ولا يسئلون
الناس الحافا والسؤال عن كل هذه الايات من وجه واحد وهو الذي تقدم الجواب
ان للعرب فيما جرى هذا المجرى من الكلام عادة معروفة ومذهبا مشهورا عند من
تصفح كلامهم وفهم عنهم مرادهم بذلك المبالغة في النفي وتاكيده فمن ذلك قولهم
فلان لا يرجى خيره ليس يريدون ان فيه خيرا لا يرجى وانما غرضهم انه لا خير عنده
على وجه من الوجوه ومثله قلما رايت مثل هذا الرجل وانما يريدون ان مثله
لا يرى لا قليلا ولا كثيرا وقال امرؤ القيس . على لاحب لا يهتدى بمناره .
اذا سافه العود الديافي جرجرا . يصف طريقا واراد بقوله لا يهتدى بمناره
انه لا منار له فيهتدى بها والعود المسن من الابل والديافي منسوب الى دياف قرية
بالشام معروفة وسافه شمه والجرجرة مثل الهدير وانما اراد ان العود اذا
غرفه فاستبعده وذكر ما يلحقه فيه من المشقة فجرجر لذلك وقال احمد بن احمر
لا يفزع الارنب اهوالها . ولا ترى الضب بها ينجحر . اراد ليست بها اهوال
فتفزع الارنب وقال النابغة . يحفه جانبا نيق ويتبعه . مثل الزجاجة لم
تكحل من الرمد . اراد ليس بها رمد فتكحل له وقال امرؤ القيس . وصم حوام
ما يقين من الوجى . كان مكان الردف منه على رال . يصف حوافر فرسه

وقوله ما يقين من الوجا فالوجا هو الحفا ويقين اي يتوقين يقال وفي الفرس اذا هاب
المشي فاراد انه لا وجي بحوافره فيتهيبن الارض من اجله والرال فرخ النعام
وشبه اشراف. عجز بعجز الرال وقال لا يغمز الساق من اين ولا وصب. ولا
ولا يعض على شرسوفه الصفر اي ليس بساقه اين ولا وصب. فيغمزها من اجلهما
وقال سويد بن ابي كاهل. من اناس ليس في اخلاقهم. عاجل الفحش ولا سوء
سوء الجزع ولم يرد انه في اخلاقهم فحشا اجلا ولا جزعا غير سيء وانما اراد نفي
الفحش والجزع عن اخلاقهم ومثل ذلك قولهم فلان غير سريع الى الخنا وهم يريدون
انه لا يقرب الخنا لا انه الا نفي الاسراع حسب وقال الفرزدق وهو يهجو بني جعفر بن كلاب
ويعيرهم بقتلى منهم اصيبوا في بعض حروبهم فحملت النساء هؤلاء القتلى.
حتى اتين بهم الحي. ولم تات عير اهلها بالذي اتت. به جعفر يوم الهضبات عيرها.
انتهم بعير لم تكن هجرية. ولا حنطة الشام المزيت خميرها. يعني ان العير انما تحمل
التمر والطعام الى الحي فحملت عير هؤلاء القوم القتلى وقوله لم تكن هجرية اي لم تحمل
التمر وذلك لكثرة التمر بهجر ثم قال ولا حنطة الشام المزيت خميرها ولم يرد ان
هناك حنطة ليس في خميرها من زيت وعلى هذا تاويل الايات التي وقع السوال
عنها لانه تعالى لما قال ويقتلون النبيين بغير حق ثم وصف القتل بما لا بد
ان يكون عليه من الصفة وهي وقوعه على خلاف الحق وكذلك ومن يدع مع الله الها
اخر لا برهان له به انما هو وصف لهذا الدعاء وانه لا يكون الا عن برهان
وقوله تعالى الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها وجهه ايضا انه لو كان هناك
عمد لرايتموه فاذا نفى روية العمد نفى وجود العمد كما قال لا يهتدى بمناره
اي لا منار له من حيث علم انه لو كان له منار لاهتدى به فصار نفي الاهتدى
بالمنار نفيا لوجود المنار وقوله تعالى. ولا تكونوا اول كافر به تغليظ وتاكيد
في تحذيرهم من الكفر وهو ابلغ من ان يقول ولا تكفروا به ويجري مجرى قولهم
فلان لا يسرع الى الخنا وقلما رايت مثله اذا ارادوا به تاكيد نفي الخنا ونفي رويته المثل

الاهز

لكنه اراد انها لم تحمل تمرا ولا حنطة ثم وصف الحنطة وما يجعل في خميرها من الزيت

دل على ان قتلهم لا يكون الا بغير حق

المذكور

المذكور وكذلك قوله تعالى لا يسئلون الناس الحافا معناه لا مسئلة تقع منهم و
المثل الاول ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا والفايدة ان كل ثمن لها لا يكون الا
قليلا فصار نفي الثمن القليل نفيا لكل ثمن وهذا اوضح بحمد الله ومنته باب

في ذكر شيء من اخبار المعمرين واشعارهم ومستحسن كلامهم احد المعمرين الحارث

بن كعب بن عمرو بن وعلة بن خالد بن مالك بن ادد المذحجي ومذحج هي ام مالك بن ادد نسب
ولد مالك اليها وانما سميت مذحج لانها ولدت على اكمة تسمى مذحجا واسمها مذلة
بنت ذي مهجشان قال ابو حاتم السجستاني جمع الحارث بن كعب بنيه لما حضرته الوفاة
فقال يا بني قد اتت علي ماية وستون سنة ما صافحت بيميني يمين غادر ولا قنعت نفسي بخلة فاجر ولا صبوت بابنة
عم ولا كنة ولا طرحت عندي مومسة قناعها ولا بحت لصديق بسر واني لعلى دين شعيب النبي
وما عليه احد من العرب غيري وغير اسد بن خزيمة وتميم بن مر فاحفظوا وصيتي
وموتوا على شريعتي الهكم فاتقوه يكفكم المهم من اموركم ويصلح لكم اعمالكم واياكم
ومعصيته لا يحل بكم الدمار ويوحش منكم الديار يا بني كونوا جميعا ولا تفرقوا
فتكونوا شيعا وان موتا في عز خير من حياة في ذل وعجز وكلما هو كاين كاين
وكل جمع الى تباين الدهر ضربان فضرب رخاء وضرب بلاء واليوم يومان فيوم حبرة
ويوم عبرة والناس رجلان فرجل معك ورجل عليك تزوجوا الاكفاء وليستعملن
في طيبهن الماء وتجنبوا الحمقاء فان ولدها الى افن ما يكون الا انه لا راحة لا لقاطع
القرابة واذا اختلف القوم امكنوا عدوهم منهم وافة العدد اختلاف الكلمة والتفضل
بالحسنة يقي السيئة والمكافاة بالسيئة الدخول فيها والعمل السوء يزيل النعماء
وقطيعة الرحم تورث الهم وانتهاك الحرمة يزيل النعمة وعقوق الوالدين يعقب النكد
ويمحق العدد ويخرب البلد والنصيحة تجر الفضيحة والحقد يمنع الرفد ولزوم الخطيئة
يعقب البلية وسوء الرعة يقطع اسباب المنفعة والضغاين تدعو الى التباين ثم انشا
يقول. اكلت شبابي فافنيته. وافنيت بعد دهور دهورا. ثلثة اهلين
صاحبتهم. فبادوا واصبحت شيخا كبيرا. قليل الطعام عسير القيام. قد ترك

الدهر خطوي قصيرا • ابيت اراعي نجوم السماء • اقلب امري بطونا ظهورا • قوله
ولا صبوت بابنة عم ولا كنة الصبوة هو رقة الحب والكنة هي امراة اخي الرجل
وامراة ابن اخيه فاما المومس فهي الفاجرة البغي واراد بقوله لم تطرح عنه
قناعها اي لم تتبذل عنده وتنبسط كما تفعل مع من يريد الفجور بها قوله فيوم حبرة
ويوم عبرة فالحبرة السرور والفرح والعبرة تكون من ضد ذلك لان العبرة لا تكون
الا من امر يحزن مولم واما الافين فهو الاحمق يقال رجل افين اذا كان احمق
ومن امثالهم وجدان الرقين يغطي على افن الافين اي وجدان المال يغطي على
الاحمق واحد الرقين رقة وهي الفضة فاما قوله النصيحة تجبر الفضيحة فيشبه
معناه ان يكون النصح اذا نصح من لا يقبل نصيحته ولا يصغي الى موعظته فقد افضح
عنه لانه افضى اليه بسره وباح بمكنون صدره فاما سو الرعة فانه يقال
فلان حسن الرعة والتورع اذا كان حسن الطريقة ومن المعمرين المستوغر وهو
عمرو بن مضر المسمي المستوغر ببيت قاله وهو • ينش الما في الربلات منها • نشيش الرضف
في اللبن الوغير • الربلات واحدها ربله وربله بفتح البا واسكانها وهي كل
لحمة غليظة هكذا ذكر ابن دريد والرضف الحجارة المحماة وفي الحديث كانه على الرضف
واللبن الوغير لبن تلقى فيه حجارة محماة ثم يشرب حذر من وغرة الظهيرة وهي اشد
ما يكون من الحر ومنه وغر صدر فلان يوغر وغرا اذا التهب من غضب وحقد
وقال اصحاب الانساب عاش المستوغر ثلثمائة سنة وعشرين سنة وادرك
الاسلام او كاد يدركه اوله وقال ابن سلام كان المستوغر قديما وبقي بقاء طويلا
حتى قال • ولقد سئمت من الحيوة وطولها • وعمرت من عدد السنين مئينا •
مائة اتت من بعدها مائتان لي • وازددت من عدد الشهور سنينا • هل ما بقي
الا كما قد فاتنا • يوم يكر وليلة تحدونا • وهو القائل • اذا ما المرء صم فلم يكلم •
واودى سمعه الا ندايا • ولاعب بالعشي بني بنيه • كفعل الهر يحترش العضايا •
يلاعبهم وود لو سقوه • من الذيفان مترعة ملايا • فلا ذاق النعيم ولا شرابا •
الم

ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن
تميم بن مر بن اد بن طابخة بن الياس بن

ولا يشفا من المرض الشفايا • اراد بقوله صم فلم يكلم اي لم يتسمع ما يكلم به فاختصر
ويجوز ان يريد انه لم يكلم للياس من استماعه فاعرض عن خطابه لذلك وقوله واودى
سمعه الا ندايا اراد ان سمعه هلك الا انه يسمع الصوت العالي الذي ينادي به
وقوله ولاعب بالعشي بني بنيه فانه مبالغة في وصفه بالهرم والخرف وانه
قد تناهى الى ملاعبة الصبيان وانسهم به ويشبه ان يكون خص العشي بذلك لانه
وقت رواح الصبيان الى بيوتهم واستقرارهم فيها وقوله يحترش العظايا اي يصيدها
والاحتراش ان يقصد الرجل الى جحر الضب فيضربه بكفه ليحسبه الضب افعى فيخرج
اليه فياخذه فيقال حرشت الضب واحترشته ومن امثالهم هذا اجل من الحرش
يضرب عند الامر يستعظم ويتكلم بذلك على لسان الضب وقال ابن دريد قال
الضب لابنه اتق الحرش قال وما الحرش قال اذا سمعت حركة بباب الجحر فلا تخرج فسمع
يوما وقع المحفار فقال هذا اجل من الحرش فجعل مثلا للرجل اذا سمع الشي الذي هو يا ابت هذا الحرش تاد ؟
اشد مما كان يتوقعه والذيفان السم والعظايا جمع عظاية وهو دويبة معروفة
ومن المعمرين دويد بن زيد بن نهد بن زيد بن ليث بن سود بن اسلم بن الحاف
بن قضاعة بن مالك بن مرة بن مالك بن حمير قال ابو حاتم عاش دويد بن زيد بن نهد
اربعمائة سنة وستا وخمسين سنة وقال ابن دريد لما حضرت دويد بن زيد الوفاة
وكان من المعمرين قال ولا تعد العرب معمرا الا من عاش مائة سنة وعشرين سنة فصاعدا
قال لبنيه اوصيكم بالناس شرا لا ترحموا لهم عبرة ولا تقيلوا لهم عثرة وقصروا
الاعنة وطولوا الاسنة اطعنوا شزرا واضربوا هبرا واذا اردتم المحاجزة والمرء مقبل المناجزة ؟
يعجز لا المحالة بالجد ولا بالكد التجلد ولا التبلد والمنية ولا الدنية لا تاسوا على
فايت وان عز فقده ولا تحنوا الى ظاعن وان الف قربه ولا تطمعوا فتطبعوا ولا تهنوا
فتجزعوا ولا يكونن لكم المثل السوء ان الموصين بنو سهوان اذا مت فارحبوا
خط مضجعي ولا تضنوا على برحب الارض وما ذلك بمود الى روحا ولكن راحة نفس
خامرها الاشفاق ثم مات قال ابو بكر بن دريد وفي حديث اخر انه قال • اليوم يبنى

لدويد بيته . يارب نهب صالح حويته . ورب قرن بطل اردينه . ورب غيل
حسن لويته . ومعصم مخضب ثنيته . لوكان للدهر بلى ابليته . اوكان قرني واحدا كفيته
وعن قوله . القى على الدهر رجلا ويدا . والدهر ما اصلح يوما افسدا . يفسد ما اصلحه
اليوم غدا . قوله اطعنوا شزرا اذا فتله على الشمال والنظر الشزر نظر بموخر العين فقال
الاصمعي نظر الى شزرا اذا نظر اليه من عن يمينه وشماله وطعنه شزرا كذلك
وقوله هبرا قال ابن دريد يقال هبرت اللحم اهبره هبرا اذا قطعته قطعا كبارا والاسم
الهبره والهبره وسيف هبار واللحم هبير ومهبور والمحال الحيله وقوله بالجد لا بالكد
اي يدرك الرجل حاجته وطلبته بالجد وهو الحظ والبخت ومنه رجل مجدود
فاذا كسرت الجيم فهو الانكماش في الامر والمبالغة فيه وقوله التجلد ولا التبلد
اي تجلدوا ولا تتبلدوا وقوله فتطبعوا اي تدنسوا والطبع الدنس يقال طبع السيف
يطبع طبعا اذا ركبه الصدا وقال ثابت قطنة العتكي لا خير في طمع يدني الى طبع
وغفة من قيام العيش تكفيني وقوله ولا تهنوا فتخرعوا فالوهن الضعف والخرع والخراعة
اللين ومنه سميت الشجرة الخروع للينها وقوله ان الموصين بنو اسهوان فما
الموصون جمع موصى وبنو سهوان ضرب به مثلا اي لا تكونوا ممن تقدم اليهم
فسهوا واعرضوا عن الوصية وقالوا انه يضرب هذا المثل للرجل الموثوق به و
معناه ان الذين يحتاجون الى ان يوصوا بحوايج اخوانهم الذين يسهون عنه
لعلة قلة عنايتهم وانت غير غافل ولا ساه عن حاجتي وقوله فارهبوا اي
اوسعوا والرحب السعة والروح الراحة وقوله في الشعر فالغيل الساعد الممتلي
والمعصم موضع السوار من اليد وخبر المعمرين زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله
بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذره بن زيد اللات بن رفيده بن ثور بن كلب بن وبرة بن
تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن
مالك بن حمير قال ابو حاتم عاش زهير بن جناب مائتي سنة وعشرين سنة واوقع
مائتي وقعه وكان سيدا مطاعا شريفا في قومه ويقال كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن

في غيره من اهل زمانه كان سيد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم ووافدهم الى الملوك
وطبيبهم والطب في ذلك الزمان شرف وحازي قومه والحزاة الكهان وكان فارس قومه
وله البيت فيهم والعدد منهم فاوصى الى بنيه فقال يا بني اني قد كبرت سني وبلغت
حرسا من دهري فاحكمتني التجارب والامور تجربة واختبار فاحفظوا مني ما اقول وعوا
اياكم والخور عند المصايب والتواكل عند النوايب فان ذلك داعية للغم وشماتة
للعدو وسوء الظن بالرب واياكم ان تكونوا مغترين بالاحداث ولها امنين ومنها ساخرين فانه
ما سخر قوم قط الا ابتلوا ولكن توقعوها فانما الانسان في الدنيا غرض تعاوره الرماة
فمقصر دونه ومجاوز لموضعه وواقع عن يمينه وشماله ثم لا بد انه مصيبه قوله
حرسا والسنه المدة من الدهر والتواكل ان يكل القوم امرهم الى غيرهم من قولهم رجل
وكل اذا كان لا يكفي نفسه ويكل امره الى غيره ويقال رجل وكلة تكلة والغرض كل ما نصب
للرمي وتعاوره اي تداوله وقد ضمن ابن الرومي معنى قول زهير بن جناب الانسان في
الدنيا غرض تعاوره الرماة فمقصر دونه ومجاوز له موضعه وواقع عن يمينه وشماله ثم لا بد
ان يصيبه اصابة فاحسن كل الاحسان والابيات . كفى بسراج الشيب في الراس هاديا
لمن قد اضلته المنايا لياليا . امن بعد ابداء المشيب مقاتلي . لرامي المنايا تحسبيني
ناجيا . غدا الدهر يرميني فتدنوا سهامه . لشخصي اخلق ان يصبن سواديا . وكان كرامي
الليل يرمي ولا يرى فلما اضاء الشيب شخصي رمانيا اما البيت الاخير فانه ابدع فيه واغرب
وما علمت انه سبق الى معناه ولانه جعل الشبابا كالليل الساتر على الانسان الحاجز
بينه وبين من اراد رميه والشيب مبديا للمقاتله هاديا الى اصابته لضوءه وبياضه
وهذا في نهاية حسن المعنى وقوله رماني اي اصابني ومثله قول الشاعر . فلما راى
شخصي ريت سواده . ولا بد ان يرمي سواد الذي يرى . وكان ابن زهير جناب على عهد
كليب بن وايل ولم يكن في العرب انطق من زهير ولا اوجه عند الملوك وكان لشدة
رايه يسمى كاهنا ولم تجمع قضاعة الا عليه وعلى رزاح بن ربيعه وسمع زهير
بعض نسائه تتكلم بما لا ينبغي لامراة ان تتكلم به عند زوجها فنهاها فقالت له

اسكت عني والا ضربتك بهذا العمود فوالله ما كنت اراك تسمع شيئا ولا تعقله
فقال عند ذلك شعر. الا يالقوم لا ارى النجم طالعا. ولا الشمس الا حاجبي بيميني
معزبتي عند القفي بعمودها. يكون نكيرا ان اقول ذريني. امينا على السر النساء وربما
اكون على الاسرار غير امين. فللموت خير من حداج موطاء. مع الظعن لا ياتي
المحل لحين. وهو القايل. ابني ان اهلك فقد. اورثتكم مجدا بنية. وتركتكم
ابناء سادات. زنادكم ورية. من كل ما نال الفتى. قد نلته الا التحية.
ولقد نزلت البازل. الكوما ليس لها وليه. وخطبت خطبة حازم. غير الضعيف
ولا العيية. فالموت خير للفتى. فليهلكن وبه بقيه. من ان ارى الشيخ البجال
وقد يهادى بالعشية. وهو القايل. ليت شعري والدهر ذو حدثان.
اي حين منيتي تلقاني. اسبات على الفراش خفات. ام بكفي مفجع حران. وقال
حين مضت له من عمره مايتا سنة. وحولت انت مايتان عاما. عليه ان يمل
من الثواء. قوله معزبتي يعني امراته يقال معزبة الرجل وطلته وحنته كل ذلك
امراته وقوله امينا على سر النساء فالسر خلاف العلانيه والسر ايضا النكاح
قال الحطيئة. ويحرم سر جارهم عليهم. وياكل جارهم انف القصاع. وقال امرؤ القيس
الا زعمت بسباسة اليوم انني كبرت والا يحسن السر امثالي. وكلام بن زهير يحمل
الوجهين جميعا لانه اذا كبر وهرم ولم يتهيب النساء ان يتحدثن بحضرته باسرارها
هاونا به وتعويلا على ثقل سمعه وكذلك هرمه وكبره يوجبان كونه امينا على
نكاح النساء لعجزه عنه وقوله حداج. وطاه الحداج مركب من مراكب النساء
والجمع احداج وحدوج والظعن والاظعان الحوادج والظعينة المرءة في الهودج
ولا تسمى ظعينة حتى تكون في هودج والجمع ضعاين وانما اخبر عن هرمه
وان موته خير من كونه مع الظعن في جملة النساء وقوله زنادكم ورية الزناد
جمع زند وزندة وهما عودان تقدح بهما النار وفي احدهما فروض وهي ثقب
فالتي فيها الفروض هي الانثى والذي تقدح بطرفه هو الزند الاب والزنده الام

وحلت م

لتشعرت حتى ما ابالي
حتفي في صباح ام مساء

وكنى بن زناد

وكنى بزنادكم ورية عن بلوغهم مآربهم تقول العرب وريت بك زنادي اي نلت
بك ما احب من النجح والنجاة ويقال للرجل الكريم واري الزناد فاما التحية فهو الملك
فكانه قال من كل ما نال الفتى قد نلته الا الملك وقيل التحية هيهنا الخلود والبقا
والبازل الناقة التي قد بلغت تسع سنين فهي اشد ما تكون ولفظ البازل في الناقة والجمل سواء
والكوما العظيمة السنام والوليه برذعه تطرح على ظهر البعير تلي جلده والبجال
الذي يبجله قومه ويعظمونه ومعنى يهادى اي يمايله الرجال فيسند ونه لضعفه
والتهادى المشي الضعيف وقوله اسبات فالسبات سكون الحركة ورجل مسبوت والخفات
الضعف يقال خفت الرجل اذا اصابه ضعف من مرض وجوع والمفجع الذي قد فجع
بولد او قرابة والحران العطشان الملهب وهو هيهنا المحزون على قتلاه فتمايز بحي لبن
بن جناب. اذا ما شئت ان تسلى حبيبا. فاكثر دونه عدد الليالي. فما سلى حبيبك
مثل نائي. ولا بلى جديدك كابتذالي. المجلس السابع عشر ومن المعمرين ذو الاصبع
العدواني واسمه حرثان بن محرث بن الحارث بن ربيعه بن وهب بن ثعلبة بن ظرب
بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان وهو الحارث بن عمرو بن قيس بن غيلان بن مضر وانما
سمي الحارث بن عدوان لانه عدا على اخيه فهم فقتله وقيل بل فقا عينه وقيل ان اسم
ذي الاصبع محرث بن حرثان وقيل حرثان بن حويرث وقيل حرثان بن حارثه ويكنى ابو عدوان
وسبب لقبه بذي الاصبع ان حية نهشته على اصبعه فشلت فسمي بذلك ويقال
انه عاش مائة وسبعين سنة وقال ابو حاتم انه عاش ثلثمائة سنة وهو احد
حكام العرب في الجاهلية وذكر الجاحظ انه كان اثرم وروى عنه. لا يبعدن
عهد الشباب ولا. لذاته ونباته النضر. لولا اوليك ما حفلت متى. عوليت في
الحرج الى قبري. هزيت عيلة ان رات هرمي. وان انحنى لتقادم ظهري. وكان
لذي الاصبع بنات اربع فعرض عليهن ان يزوجهن فابين وقلن خدمتك وقربك
احب الينا ثم اشرف عليهن يوما من حيث لا يرينه فقلن لتقل كل واحدة منا ما في
نفسها فقالت الكبرى. الا هل اراها ليلة وضجيعها. اشم كنصل السيف غير مهند

ويروى لاينام على هجر

عليم باد وآء النسآء واصله . اذا ما انتما في سر اهلى ومحتدى . ويروى من اهل سر
ومن اصل سرى فقلن لها انت تريدين ذا قرابة قد عرفته ثم قالت الثانية الا ليت زوجى
من اناس اولى عدى . حديث الشبا طيب الثوب والعطر . لصوق باكباد النسآء
كانه . خليفة جان لاينام على وتر . فقلن لها انت تريدين فتى ليس من اهلك ثم قالت
الثالثة الا ليته يكسى الجمال نديه . له جفنة تشقى بها المعز والجزر . له حكمات الدهر
من غير كبرة . تشين فلا فان ولا ضرع قمر . فقلن لها انت تريدين سيدا شريفا . وقلن
للرابعة قولى فقالت لا اقول شيئا يا عدوة الله علمت ما فى انفسنا ولا نعلم ما فى
نفسك فقالت زوج من عود خير من قعود فمضت مثلا فزوجهن اربعتهن
فتركهن حولا ثم اتى الكبرى فقال يا بنية كيف ترين زوجك قالت خير زوج يكرم الحليله
ويعطى الوسيله قال فما مالكم قالت خير مال الابل نشرب البانها جرعا وناكل لحمانها
مزعا ويحملنا وضعيفنا معا قال يا بنى زوج كريم ومال عميم ثم اتى الثانية فقال يا بنية
كيف زوجك قالت خير زوج يكرم اهله وينسى فضله قال وما مالكم قال البقر تالف
الفنا وتملا الاناء وتودك السقا ونساء مع النسآء قال حظيت ورضيت ثم اتى الثالثة
فقال لها يا بنية كيف زوجك فقالت لا سمح بذر ولا بخيل حكر قال فما مالكم قالت
المعز قال وما هى قالت لو كنا نولدها فطما ونسلخها ادما ويروى ادما بالفتح لم نبغ لها
نعما فقال لها جذو مغنيه ويروى جذوى مغنية ثم اتى الصغرى فقال يا بنية كيف زوجك
قالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال فما مالكم قالت شر مال قال وما هو
قالت الظان جوف لا يشبعن وهيم لا ينفعن وصم لا يسمعن وامر مغويتهن
يتبعن فقال ابوها اشبه امرء بعض بزه فمضى مثلا اما قول احدى بناته فى الشعر اشم فالشمم
هو ارتفاع ارنبة الانف وورودها يقال رجل اشم وامراة شما قال حسان بن ثابت
بيض الوجوه كريمة احسابهم . شم الانوف من الطراز الاول . فالشمم الارتفاع
فى كل شىء فيحتمل ان يكون اراد حسان بشم الانوف ما ذكرناه من ورود الارنبة
لان ذلك عندهم دليل العتق والنجابة ويجوز ان يريد بذلك الكناية عن نزاهتهم

وتباعدهم

وتباعدهم عن دنايا الامور ورذايلها وخص الانوف بذلك لان الحمية والغضب
والانف فيها ولم يرد طول انفهم وهذا اشبه بان يكون مراده لانه قال بيض الوجوه
ولم يرد بياض اللون فى الحقيقة وانما كنى بذلك عن نقاء اعراضهم وجميل اخلاقهم
وافعالهم كما يقول القايل جاءنى فلان بوجه ابيض وقد بيض فلان وجهه بكذا وكذا
وانما يعنى ما ذكرناه وقول المراة اشم كنصل السيف يحتمل الوجهين ايضا وقول حسان
من الطراز الاول اى افعالهم افعال ابائهم وسلفهم وانهم لم يحدثوا اخلاقا مذمومة
لا تشبه نجارهم واصولهم وقولها عين مهند اى هو المهند بعينه كما يقال هو
هذا بعينه وعين الشىء نفسه على الرواية الاخرى غير مهند اى ليس هو السيف المنسوب
الى الهند فى الحقيقة وانما هو مشبه به فى امضائه وقولها من سر اهلى اى من اكرمهم
واخلصهم يقال فلان فى سر قومه اى فى صميمهم وشرفهم وسر الوادى اطيبه ترابا
والمحتد الاصل وقول الثانية اولى عدى فانما معناه ان يكون لهم اعداء لان من لا عدو
له هو الفسل الرذل الذى لا خير عنده والكريم الفاضل من الناس هو المحسدى — المحسود
المعادى وقولها لصوق باكباد النسآء تعنى فى المضاجعة ويحتمل ان يكون
ارادت فى المحبة والمودة وكنت بذلك عن شدة محبتهن له وميلهن اليه وهو اشبه
وقولها كانه خليفة جان اى كانه حية للصوقه والجان جنس من الحيات
فخففت لضرورة الشعر وقول الثالثة يكسى الجمال نديه فالندى هو المجلس
وقولها له حكمات الدهر يقول قد احكمته التجارب وجعلته حكيما فاما الضرع
فهو الضعيف والقمر الذى لم يجرب الامور وقول الكبرى يكرم الحليلة ويعطى
الوسيلة فالحليلة هى امراة الرجل والوسيلة الحاجة وقولها نشرب البانها
جرعا فالجرع جمع جرعة وهو الماء القليل يبقى فى الاناء وقولها مزعا المزعة
البقية من دسم ويقال له ما جزعة ولا مزعة هكذا ذكر ابن دريد بالضم فى جزعة
ووجدت غيره بكسرها فيقول جزعة فاذا كسرت فينبغى ان تكون نشرب البانها جزعا
وبكسر المزع ايضا ليزدوج الكلام فيقول وتاكل لحمها مزعا فالمزع بالكسر هى القطعة

من الشحم والمزعة بالكسر هي ايضا من الريش والقطن وغير ذلك كالمزقة من الخرق والتمزيع التقطيع والتشقيق يقال انه ليكاد يتمزع من الغيظ ومزع الظبي يمزع مزعا اذا اسرع في عدوه وقوله مال عميم اى كثير وقول الثانية تودك السقا من الودك الذى هو الدسم وقول الثالثة تولدها فطما الفطم جمع فطيم وهو المقطوع من الرضاع وقولها تسلخها ادما والادم جمع ادام وهو الذى يؤكل تقول لو انا فطمناها عند الولادة وسلخناها للادم من الحاجة لم ينتفع بها نعما وعلى هذه الرواية الاخرى ادما من الاديم وقوله جذق مغنية فالجذق القطعة وقول الصغرى جوف لا يشبعن الجوف جمع جوفا وهي القطعة العظيمة الجوف والهيم العطاش لا ينقعن لا يروين ومعنى قولها وامر مغويتهن يتبعن اى القطيع من الضان يمر على قنطرة فتزل واحدة فتقع في الماء فيقعن اتباعا لها والضان توصف بالبلادة اخبرنا ابو الحسن على بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم عن ابى عبيدة عن يونس قال ابن دريد واخبرنا به العكلى عن ابن ابى خالد عن الهيثم بن عدى عن مسعر بن كدام قال حدثنى سعيد بن خالد الجدلى قال لما قدم عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل مصعب دعا الناس الى فرائضهم فاتيناه فقال من القوم فقلنا من جديلة فقال جديلة عدوان قلنا نعم فتمثل عبد الملك . عذير الحى من عدوان كانوا حية الارض . بغى بعضهم بعضا . فلم يرعوا على بعض . ومنهم كانت السادات والموفون بالقرض . ومنهم حكم يقضى . فلا ينقض ما يقضى . ومنهم من يجيز الناس بالسنة والفرض . ثم اقبل على رجل كنا قدمناه امامنا جسيم وسيم فقال ايكم يقول هذا الشعر فقال لا ادرى فقلت انا من خلفه يقوله ذو الاصبع فتركنى واقبل على ذلك الجسيم فقال وما كان اسم ذى الاصبع فقال لا ادرى فقلت انا من خلفه حرثان ثم اقبل عليه وتركنى فقال لم سمى ذو الاصبع فقال لا ادرى فقلت انا من خلفه نهشته حية على اصبعه فاقبل عليه وتركنى فقال من ايكم كان قال لا ادرى فقلت انا من خلفه من بنى ناج فاقبل على الجسيم فقال كم عطاؤك قال سبعمائة ثم اقبل على فقال كم عطاؤك قلت اربعمائة فقال يا ابا الزعيزعة حط من عطا هذا ثلثمائة وزدها في عطا هذا فرحت وعطائى سبعمائة وعطاؤه اربعمائة وفى رواية اخرى انه لما قال له من ايكم كان فقال لا ادرى

فقلت

فقلت انا من خلفه من بنى ناج الذين يقول فيهم الشاعر . واما بنو ناج فلا تذكرنهم ولا تتبعن عينيك من كان هالكا . اذا قلت معروفا لتصلح بينهم . يقول وهيب لا اجالبه ذلكا . وترى . فاضحى كظهر العود جب سنامه . تحوم عليه الطير احدب باركا . وقد رويت هذه الابيات لذى الاصبع ومن ابيات ذى الاصبع قوله . اكاشر ذا الظغن المبين منهم . فاضحك حتى يبدو الناب اجمع . واهدنه بالقول هدنا . يرى سريرة ما اخفى لبات يفزع . معنى اهدنه اسكنه ومن قوله ايضا . اذا ما الدهر جر على اناس . شراشره اناخ باخرينا . وقل للشامتين بنا افيقوا . سيلقى الشامتون كما لقينا . معنى الشراشر هيهنا الثقل ويقال القى اليه شراشره وجراميزه اى ثقله ومن قوله . ذهب الذين اذا راونى مقبلا . هشوا الى ورحبوا بالمقبل . وهم الذين اذا حملت حمالة . ولقيتهم فكاننى لم احمل . ومن قوله . لى ابن عم على ما كان من خلق . مختلفان فاقليه ويقلينى . ازرى بنا اننا شالت نعامتنا . فخالنى دونه بل خلته دونى . لاه ابن عمك لا افضلت فى حسب . عنى ولا انت ديانى فتخزونى . انى لعمرك ما بابى بذى غلق . عن الضيوف ولا خبزى بممنون . ولا لسانى على الادنى بمنطلق بالفاحشات ولا اغضى على الهون . ماذا على ولو كنتم ذوى رحم . ان لا احبكم ان لم تحبونى . يا عمرو ان لا تدع شتمى ومنقصتى . اضربك حيث تقول الهامة اسقونى وانتم معشر زيدت على مائة . فاجمعوا امركم طرا فكيدونى . كل امرى صاير يوما لشيمته وان تخلق اخلاقا الى حين . لا يخرج القسر منى غير مابية . ولا الين لمن لا يبتغى لينى . قوله شالت نعامتنا معناه تنافرنا فصرنا ضدين لا اطمئن اليه ولا يطمئن الى يقال شالت نعامة القوم اذا جلوا عن الموضع وقوله لاه ابن عمك قال قوم اراد لله ابن عمك وقال ابن دريد اقسم واراد والله ابن عمك وقوله عنى اى على والديان الذى يلى امره ومعنى فتخزونى فتسوسنى والهون الهوان وقوله اضربك حيث تقول الهامة اسقونى قال الاصمعى العطش فى الهامة فاراد اضربك فى ذلك الموضع اى على الهامة بحيث تعطش وقال اخرون العرب تقول ان الرجل اذا قتل خرجت من راسه هامة

٨

اسلم

يدب الى الاعداء احدب باركا ويروى فاضحى كظهر العود جب سنامه

وهى مشهورة

تدور حول قبره وتقول اسقوني. ولا تزال كذلك حتى يؤخذ بثاره وهذا باطل
ويجوز ان يعنيه ذو الاصبع على مذاهب العرب وقوله لا يخرج القسر مني غير مابيه
فالقسر القهر اي ان اخذت قسرا لم ازدد الا اباء وعمر المعمرين معدي كرب الحميري من
الذي رعين قال ابن سلام وقال معديكرب وقد طال عمره . اراني كلما افنيت يوما
اتاني بعده يوما جديد . يعود بياضه في كل فجر . ويابى لي شبابا مايعود ومن المعمرين
الربيع بن ضبع الفزاري ويقال انه بقي الى ايام بني امية وروي انه دخل على عبد الملك
بن مروان فقال له يا ربيع اخبرني عما ادركت من العمر والمدى ورايت من الخطوب الماضية م
قال انا الذي اقول . ها انا ذا امل الخلود وقد . ادرك عقلي ومولدي حجرا قال
عبد الملك قد رويت هذا الشعر من شعرك وانا صبي قال وانا القايل . اذا عاش
الفتى مايتين عاما . فقد ذهب اللذاذة والفتاء . قال وقد رويت هذا من شعرك وانا غلام
وابيك يا ربيع لقد طلبك جد غير عاثر ففصل لي عمرك قال عشت مايتي سنة في فترة
عيسى عليه السلم وعشرين ومائة في الجاهلية وستين في الاسلام قال اخبرني عن فتية
من قريش متواطي الاسماء فقال سل ايهم شئت قال اخبرني عن عبد الله بن عباس قال فهم
وعلم وعطاء جذم ومقرى ضخم قال فاخبرني عن عبد الله بن جعفر قال ريحانة طيب اعسر م
ريحها لين مسها قليل على المسلمين ضرها قال فاخبرني عن عبد الله بن عمر قال حلم
وعلم وطول كظم وبعد من الظلم قال فاخبرني عن عبد الله بن الزبير قال جبل
وعر ينحدر منه الصخر قال لله درك يا ربيع ما اعرفك بهم قال قرب جواري وكثر
استخباري قال المرتضى رضي الله عنه ان كان هذا الخبر صحيحا فيشبه ان يكون سؤال
عبد الملك له انما كان في ايام معوية لا في ولايته لان الربيع يقول في الخبر عشت
في الاسلام ستين سنة وعبد الملك ولي في سنة خمس وستين من الهجرة فان
كان صحيحا فلا بد مما ذكرناه فقد روي ان الربيع ادرك ايام معوية ويقال ان الربيع
لما بلغ مايتي سنة قال . الا ابلغ بني بني ربيع . فاشرار البنين لكم فداء . فاني قد
كبرت ودق عظمي . فلا تشغلكم عني النساء . وان كنائن النساء صدق . وما الى

بني ولا

بني ولا اساء . اذا كان الشتاء فادفئوني . فان الشيخ يهدمه الشتاء . واما حين يذهب
كل قر . فسربال خفيف ورداء . اذا عاش الفتى مايتين عاما . فقد ذهب اللذاذة والفتاء
وكان ورث قال حين بلغ مايتي واربعين سنة . اصبح مني الشباب قد حسرا . ان ينأ عني
فقد ثوى عصرا . ودعنا قبل ان نودعه . لما قضى من جماعنا وطرا . ها انا ذا امل
الخلود وقد . ادرك عقلي ومولدي حجرا . ابا امرء القيس هل سمعت به . هيهات
هيهات طال ذا عمرا . اصبحت لا احمل السلاح ولا . املك راس البعير ان نفرا . والذئب
اخشاه ان مررت به . وحدي واخشى الرياح والمطرا . من بعد ما قوة اسر بها .
اصبحت شيخا اعالج الكبرا . وقوله عطاء جذم اي سريع وكل شي اسرعت فيه فقد اسهت م
جذمته وفي الحديث اذا اذنت فترسل واذا اقمت فاجذم اي اسرع والمقرى
الاناء الذي يقرا فيه وقوله فما الابني ولا اساء اي لم يقصروا والالى المقصر
المجلس الثاني عشر ومن المعمرين ابو الطمحان القيني واسمه حنظلة بن الشرقي بن كنانة
بن القين قال ابو حاتم عاش مايتي سنة فقال في ذلك حنتني حانيات الدهر حتى كاني
خاتل ادنو الصيد . قصير الخطو يحسب من راني . ولست مقيدا اني بقيد قال ابو حاتم قريب م
حدثني عدة من اصحابنا انهم سمعوا ابن حبيب ينشد هذا البيتين . وينشد ايضا
تقارب خطو رجلك يا دويد . وقيدك الزمان بشر قيد . وهو القايل . واني من
القوم الذين هم هم . اذا مات منهم سيد قام صاحبه . نجوم سماء كلما غاب كوكب
بدا كوكب تاوي اليه كواكبه . اضاءت لهم احسابهم ووجوههم . دجى الليل حتى
نظم الجزع ثاقبه . وما زال منهم حيث كان مسود . تسير المنايا حيث سارت كتايبه
ومعنى البيتين الاولين يشبه قول اوس بن حجر . اذا مقرم منا ذرا حد نابه . تخمط فينا ناب
اخر مقرم . وللطفيل الغنوي مثل هذا المعنى وهو قوله . كواكب جن كلما انقض كوكب
بدا وانجلت عنه الدجنة كوكب . وقد اخذ الخريمي هذا المعنى فقال . اذا قمر منا تغور
او خبا . بدا قمر في جانب الافق يلمع . ومثل ذلك للخلافة اهل الارض فينا وراثة
اذا مات منا سيد قام صاحبه . ومثله ذلك . اذا سيد منا مضى لسبيله اقام عمود

الملك اخر سيد. وكان مزاحم العقيلي نظر الى قول ابي الطمحان. اضاءت لهم احسابهم
ووجوههم. فقال وجوه كلون المدبحين اعتشوابها. صدع الدجى حتى ترى لوان س
الليل ينجلي. ويقارب ذلك قول حجير بن مضرب السعدي. اضاءت لهم
احسابهم فتضالت. لنورهم الشمس المنيرة والبدر. وانشد محمد بن يحيى الصولي
في معنى بيت ابي الطمحان. من البيض الوجوه بني سنان. لو انك تستضي بهم اضا..
هم حلوا من الشرف المعلى. ومن كرم العشيرة حيث شاؤا. فلو ان السماء
دنت لمجد. ومكرمة دنت لهم السماء. وابو الطمحان القايل. اذا كان في صدر ابن
عمك احنة. فلا تستثرها سوف يبدو دفينها. وهو القايل. اذا شاء راعيها
استقى من وقيعة. كعين الغراب صفوها لم يكدر. الوقيعة المستنقع في الصخر للماء ويقال للماء
اذا زل عن صخرة فوقع في بطن اخرى هو ماء الوقايع وانشد والذي الرمة. ونلنا
سقاطا من حديث كانه. جنى النحل ممزوجا بماء الوقايع. ويقال للماء الذي
يجري على الصخر ماء الحشرج وللماء الذي يجري بين الحصا والرمل ماء المفاصل وانشد
لابي ذويب. وان حديثا منك لو تبذلينه. جنى النحل في البان عود مطافل. مطافيل
ابكار حديث نتاجها. تشاب بماء مثل ماء المفاصل. وانشد ابو محلم السعدي
لابي الطمحان. بني اذا ما سامك الذل قاهر. عزيز فبعض الذل اتقى واحرز. ولا
ولا تحرز من بعض الامور تعززا. فقد يورث الذل الطويل التعزز. وهذان البيتان
يرويان لعبد الله بن معوية الجعفري وروي لابن الطمحان ايضا في هذا المعنى مثل
يارب مظلمة يوما لطيت لها. تمضي علي اذا ما غاب نصاري. حتى اذا ما انجلت ماانجلت س
عني غيابتها. وثبت فيها وثوب المخدر الضاري. ومن المعمرين عبد المسيح بن بقيله
الغساني وهو عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بقيله وبقيلة اسمه ثعلبه
وقيل الحارث وانما سمي بقيله لانه خرج في بردين اخضرين على قومه فقالوا
ما انت الا بقيله فسمي بذلك وذكر الكلبي وابو مخنف وغيرهما انه عاش ثلثمائة
وخمسين سنة وادرك الاسلام فلم يسلم وكان نصرانيا وروي ان خالد بن الوليد

لما نزل

لما نزل على الحيرة وتحصن منه اهلها ارسل اليهم ابعثوا الي رجلا من عقلائكم
وذوي انسابكم فبعثوا اليه بعبد المسيح بن بقيلة فاقبل اليه يمشي حتى دنا من خالد
فقال انعم صباحا ايها الملك فقال قد اغنانا الله عن تحيتك هذه فمن اين اقصى
اثرك ايها الشيخ قال من ظهر ابي قال فمن اين خرجت قال من بطن امي قال فعلام انت
فقال على الارض فقال ففيم انت قال في ثيابي قال اتعقل لا عقلت قال اي والله
واقيد قال ابن كم انت قال ابن رجل واحد قال خالد ما رايت كاليوم قط
اني اسله عن الشي وينحو في غيره قال ما اجبتك الا عما سالت فسل عما بدا لك
قال اعرب انتم ام نبيط قال عرب استنبطنا ونبيطا استعربنا فقال احرب انتم
ام سلم قال فما هذه الحصون قال بنيناها للسفيه نحذر منه حتى يجي الحليم قال لا بل سلم
ينهاه قال كم اتى لك قال خمسون وثلثمائة سنة قال فما ادركت قال ادركت سفن
البحر ترفا الينا في هذا الجرف ورايت المراة من اهل الحيرة تضع مكتلها على راسها لا
تزود الا رغيفا واحدا حتى تاتي الشام ثم قد اصبحت اليوم خرابا يبابا وذلك داب الله في
البلاد والعباد ومعه سم ساعة يقلبه في كفه قال له خالد ما هذا الذي في كفك
قال السم قال فما تصنع به قال ان كان عندك ما يوافق قومي واهل بلدي حمدت الله
وقبلته وان كانت الاخرى لم اكن اول من ساق اليهم ذلا وبلاء اشربه فاستريح
من الدنيا فانما بقي من عمري اليسير قال خالد هاته فاخذه ثم قال بسم الله رب
الارض والسماء الذي لا يضر مع اسمه شي ثم اكله فتجللته غشية ثم ضرب
بذقنه صدره طويلا ثم عرق فافاق كانما انشط من عقال فرجع ابن بقيلة الى قومه
قال قد جيتكم من عند شيطان اكل سم ساعة فلم يضره صانعوا القوم واخرجوهم
عنكم فان هذا امر مصنوع لهم فصالحوهم على مائة الف درهم وانشا ابن بقيله
يقول. ابعد المنذرين ارى سواما. تروح بالخورنق والسدير. تحاماه فوارس
كل قوم. مخافة ضيغم عالي الزئير. وصرنا بعد هلك ابي قبيس. كمثل الشاء في
اليوم المطير. يريد ابا قابوس صغره ويروى كمثل المعز. تقسمنا القبايل من معد

علانية كابسار الجزور. نؤدى الخرج بعد خراج كسرى. وخرج من قريظة والنظير
كذاك الدهر دولته سجال. فيوم من مساءة اوسرور. ويقال ان عبد المسيح بن بقيله
لما بنى بالحيرة قصره المعروف بقصر بن بقيله قال. لقد بنيت للحدثان حصنا.
لوان المرء تنفعه الحصون. طويل الراس اقعس مشمخرا. لانواع الرياح به حنين.
ومما يروى لعبد المسيح ابن بقيله. والناس ابناء علات فمن علموا. ان قد اقل فمجفو
ومحقور. وهم بنون لام ان راوا نسبا. فذاك بالغيب محفوظ ومخفور.
وهذا يشبه قول اوس بن حجر. بنى ام ذى المال الكثير يرونه. وان كان عبدا سيد
القوم جحفلا. وهم لمقل المال اولاد علة. وان كان محضا فى العمومة مخولا. وذكر
ان بعض مشايخ اهل الحيرة خرج الى ظهرها يختط دارا فلما احتفر موضع الاساس
وامعن فى الاحتفار اصاب كهيئة الكهف فدخله فاذا رجل على سرير من رخام
وعند راسه كتابة انا عبد المسيح بن بقيله. حلبت الدهر اشطره حياتى.
ونلت من المنى بلغ المزيد. وكافحت الامور وكافحتنى. فلم احفله بمعضلة كؤود.
وكنت انال فى الشرف الثريا. ولكن لاسبيل الى الخلود. ومن المعمرين النابغة الجعدى
واسمه قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن
صعصعة ويكنى ابا ليلى وروى ابو حاتم السجستانى قال كان النابغة الجعدى اسن من النابغة
الذبيانى والدليل على ذلك قوله. تذكرت والذكرى تهيج على الهوى. ومن حاجة
المحزون ان يتذكرا. نداماى عند المنذر بن محرق. ارى اليوم منهم ظاهر الارض مقفرا.
كهول وفتيان كان وجوههم. دنانير مما شيف فى الارض قيصرا. فهذا يدل
على انه كان مع المنذر بن محرق والنابغة الذبيانى كان مع النعمان بن المنذر بن
محرق وقوله شيف يعنى جلى والمشوف المجلو ويقال ان النابغة عبر ثلثين سنة
لا يتكلم ثم تكلم بالشعر ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة باصبهان وكان دونها
بها وهو الذى يقول. فمن يك سائلا عنى فانى. من الفتيان ايام الخنان. وايام
الخنان كانت للعرب قديمة هاج بها فيهم مرض فى افواههم وحلوقهم. مضت

مائة لعام ولدت فيه. وعشر بعد ذاك وحجتان. فابقى الدهر والايام منى.
كما ابقى من السيف اليمانى. تفلل وهو مأثور جراز. اذا جمعت بقايمه اليدان.
وقال ايضا فى طول عمره. لبست اناسا فافنيتهم. وافنيت بعد اناس اناسا.
ثلثة اهلين افنيتهم. وكان الاله هو المستاسا. معنى المستاس المستعاض
وروى هشام بن محمد الكلبى انه عاش مائه وثمانين سنة وروى ابن دريد
عن ابى حاتم فى موضع اخر ان النابغة الجعدى عاش مائتى سنة وادرك الاسلام
وروى له. قالت امامة كم عمرت زمانة. وذبحت من عتر على الاوثان. العترة الشاة
تذبح لاصنامهم فى رجب فى الجاهليه. ولقد شهدت عكاظ قبل محلها. عنها وكنت اعد من
فتيان. والمنذر بن محرق فى ملكه. وشهدت يوم هجاين النعمان. وعمرت حتى جاء
احمد بالهدى. وقوارع تتلى من القران. ولبست من الاسلام ثوبا واسعا. من سيب
لا حرم ولا منان. وله ايضا فى طول عمره. المرء يهوى ان يعيش وطول عمر ما يضره.
تفنى بشاشته ويبقى. بعد حلو العيش مره. وتتابع الايام حتى. لا يرى شيئا يسره.
كم شامت بى ان هلكت. وقايل لله دره. وروى ان النابغة الجعدى كان يفتخر
ويقول اتيت النبى صلى الله عليه وآله فانشدته. بلغنا السماء مجدنا وجدودنا. وانا
لنرجوا فوق ذلك مظهرا. فقال صلى الله عليه وآله. والى اين المظهر يا ابا ليلى. قلت الجنة
يا رسول الله. فقال اجل ان شاء الله ثم انشدته. فلا خير فى حلم اذا لم تكن له. بوادر
تحمى صفوه ان يكدرا. ولا خير فى جهل اذا لم يكن له. حليم اذا ما اورد الامر اصدرا.
فقال صلى الله عليه وآله لا يفضض الله فاك وفى رواية اخرى لا يفضض
فوك فيقال ان النابغة عاش عشرين ومائة سنة لم تسقط له سن ولا ضرس
وفى رواية اخرى عن بعضهم قال فرايته قد بلغ الثمانين ترف غروبه وكان كلما
سقطت له ثنية نبتت له اخرى مكانها وهو احسن الناس ثغرا معنى ترف تبرق
وكان الماء يقطر منها قال المرتضى رضى الله عنه ومما يشاكل قوله الجنة فى جواب قول
النبى صلى الله عليه وآله الى اين المظهر يا ابا ليلى وان كان يتضمن العكس من معناه ما روى من دخول

من دخول الاخطل على عبد الملك بن مروان مستغيثا من فعل الجحاف السلمي وانه
انشد لقد اوقع الجحاف بالبشر وقعة. الى الله منها المشتكى والمعول. فان لم تغيرها
قريش بحلمها. يكن عن قريش مستمار ومزحل. فقال له عبد الملك الى اين يا ابن النصرانية
فقال الى النار فقال لو قلت غيرها قطعت لسانك فقوله الى النار تخلص مليح على
البديهة كما تخلص الجعدي بقوله الى الجنة واول قصيدة الجعدي التي ذكرنا منها الابيات
خليلي عوجا ساعة وتهجرا. ولوما على ما احدث الدهر اوذرا. ولا تسئلا ان الحيوة
قصيرة. فطيرا لروعات الحوادث اوقرا. وان كان امر لا تطيقان دفعه. فلا تجزعا مما قضى
واصبرا. الم تعلما ان الملامة نفعها. قليل اذا ما الشئ ولى فادبرا. لوى الله علم الغيب
عمن سواه. ويعلم منه ما مضى وتاخرا. وفيها يقول. وجاهدت حتى ما احس ومن معي
سهيلا اذا ما لاح ثم تغورا. بريد اني كنت بالشام وسهيل لا يكاد يرى هناك وهذا
بيت معنى وفيها يقول. ونحن اناس لا نعود خيلنا. اذا ما التقينا ان تحيد وتنفرا.
وننكر يوم الروع لوان خيلنا. من الطعن حتى تحسب الجون اشقرا. وليس بمعروف لنا
ان نردها. صحاحا ولا مستنكر ان تعقرا. اخبرنا المرزباني قال انشدنا علي بن سليمان
الاخفش قال انشدنا احمد بن يحيى قال انشدنا محمد بن سلام وغيره للنابغة الجعدي
تلوم على هلك البعير ظعينتي. وكنت على لوم العواذل زاريا. الم تعلمي اني رزيت محاربا.
فمالك منه اليوم شيئا ولا ليا. ومن قبله ما قد رزيت بوحوح. وكان ابن ام والخليل
المصافيا. فتى كملت خيراته غير انه. جواد فما يبقى من المال باقيا. فتى كان فيه ما يسر
صديقه. على ان فيه ما يسوء الاعاديا. اشم طويل الساعدين سميدع. اذا لم يرح للمجد
اصبح غاديا. ومما يروى للنابغة الجعدي. عقيلية اومن هلال بن عامر. بذي الرمث من
وادي المنار خيامها. وذكر الاصمعي عن ابي عمرو بن العلا قال سئل الفرزدق عن النابغة
الجعدي فقال صاحب خلقان يكون عنده مطرف بالف وخمار بواف قال الاصمعي وصدق
الفرزدق بينا النابغة في كلام اسهل من الزلال واشد من الصخر اذ لان وذهب
ثم انشد له. سما لك هم ولم تطرب. وبت ببث ولم تنصب. وقالت سليمى ارى راسه.

يبيح العصا ان الندامة ثم ما
يقرب شئ غير ما كان قدرا

ابعد وحواح ارخيف

التميع السيد القوم

اذا ابتسمت في البيت والليل دونها
اضاء دجى الليل البهيم ابتسامها

ترثب في طرفيه طراز

كناصية الفرس الاشهب. وذلك من وقعات المنون. فغيبي اليك ولا تعجبي.
اتين على اخوتي سبعة. وعدن على ربعي الاقرب. ثم تهول بعدها. فادخلك الله
برد الجنان. جذلان في مدخل طيب. فكان كلامه حتى لوان ابا الشمقمق قال هذا الابيات
كان رديا ضعيفا قال الاصمعي وطريق الشعر اذا ادخلته في باب الخير لان الا ترى
حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والاسلام فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي
النبي م وحمزة وجعفر عليهما السلام وغيرهما الان شعره المجلس الثاني عشر مسئلة
تتعلق بما ذكرناه ان سئل سائل فقال كيف يصح ما ورد تموه من تطاول الاعمار و
امتدادها وقد علمتم ان كثيرا من الناس ينكر ذلك ويحيله ويقول انه لا قدرة
عليه ولا سبيل اليه ومنهم من ينزل في انكاره درجة فيقول وانه وان كان
جايزا من طريق القدرة والامكان فانه مما يقطع على انتفائه لكونه خارقا للعادات
اذا وثق الدليل بانها لا تنخرق الا على سبيل الابانة والدلالة على صدق نبي
من الانبياء علم ان جميع ما روى من زيادة الاعمار على العادة باطل مصنوع لا
يلتفت الى مثله الجواب قيل له اما من ابطل تطاول الاعمار من حيث الاحالة واخرجه من باب
الامكان فقوله ظاهر الفساد لانه لو علم ما العمر في الحقيقة وما المقتضى لدوامه اذا دام
وانقطاعه اذا انقطع لعلم من جواز امتداده ما علمناه والعمر هو استمرار كون من يجوز
ان يكون حيا وغير حي حيا وان شئت ان تقول هذا استمرار كون الحي الذي لكونه
على هذه الصفة ابتدا احيا وانما شرطنا الاستمرار لانه يبعد ان يوصف من كان
واحدة حيا بان له عمر بل الابدان يراعوا في ذلك ضربا من الامتداد والاستمرار وان
قل وشرطنا جواز ان يكون غير حي ويكون لكونه حيا ابتداء احترازا من ان يلزم
عليه القديم تعالى لانه جلت عظمته ممن لا يوصف بالعمر وان استمر كونه حيا
وقد علمنا ان المختص بفعل الحيوة هو القديم تعالى وفيما يحتاج اليه الحيوة من البنية
ومن المعاني ما يختص به عز وجل ولا يدخل الا تحت مقدوره كالرطوبة وما يجري
مجراها فمتى فعل الله تعالى الحيوة وما تحتاج اليه من البنية وهي مما يجوز عليه البقاء

وكذلك ما نحتاج اليه فليس ينتفي الا بضد يطرء عليها او بضد ينتفي ما نحتاج اليه
والاقوى انه لا ضد لها في الحقيقة لم يخل بما نقصده من هذا الباب فهما
لم يفعل القديم تعالى ضدها او ضد ما نحتاج اليه ولا انتقض ناقض بنيته الحي استمر كون
الحي حيا ولو كانت الحيوة لا تبقى على مذهب من راى ذلك لكان ما قصدناه صحيحا
لانه تعالى قادر على ان يفعلها حالا فحالا ويوالي بين فعلها وفعل ما نحتاج اليه
فيستمر كون الحي حيا فاما ما يعرض من الهرم بامتداد الزمان وعلو السن وتناقض
بنية الانسان فليس مما لا بد منه وانما اجرى الله تعالى العادة بان يفعل ذلك عند
تطاول الزمان والايجاب هناك ولا تاثير للزمان على وجه من الوجوه وهو تعالى
قادر على ان لا يفعل ما اجرى العادة بفعله واذا ثبتت هذه الجملة ثبت ان تطاول العمر
ممن غير مستحيل وانما اتى من احال ذلك من حيث اعتقد ان استمرار كون الحي حيا
عن طبيعة وقوة لهما مبلغ من المادة متى انتهتا اليه انقطعتا واستحال ان يدوما
ولو اضافوا ذلك الى فاعل مختار متصرف يخرج عندهم من باب الاستحالة فاما الكلام
في دخول ذلك في العادة او خروجه عنها فلا شك في ان العادة قد جرت في الاعمار
باقدار متقاربة يعد الزايد عليها خارقا للعادة الا انه قد ثبت ان العادة قد تختلف
في الاوقات وفي الاماكن ايضا ويجب ان يراعى في العادة اضافتها الى من هي عادة
له في المكان والوقت وليس يمتنع ان يقل ما كانت العادة جارية على تدريج حتى يصير
حدوثه خارقا للعادة بغير خلاف ولان يكثر الخارق للعادة حتى يصير حدوثه غير
خارق لها على خلاف فيه واذا صح ذلك لم يمتنع ان تكون العادات في الزمان الغابر
كانت جارية بتطاول الاعمار وامتدادها ثم تناقض ذلك على تدريج حتى صارت
عادتنا الان جارية بخلافه وصار ما بلغ مبلغ تلك الاعمار خارقا للعادة وهذه جملة
فيما اوردناه كافية باب في الجوابات الحاضرة المستحسنة التي تسميها المسكتة
اعلم ان اجوبة المحاورة والمناظرة انما تستحسن وتونثر اذا اجمعت مع الصواب سرعة
الحضور فكم من جواب اتى بعد لاي وورد بعد تقاعس لم يكن له في النفوس وقع

وانما تنتفي بانتفاء ما تحتاج اليه ولو كان للحياة ضد في الحقيقة م

موجب

بطي م

ولاص

ولا حل من القلوب محل الحاضر السريع وان كان المتثاقل اعرف في نسب الاصابه
واخذ باطراف الحجة ولهذا قيل احسن الناس جوابا احضرهم قريش ثم العرب ثم
الموالي تاتي اجوبتها بعد لاي وفكرة وروية وقد مدح الجواب الحاضر بكل لسان
فقال اظنه صحار العبدي لمعوية بن ابي سفيان وقد سأله عن البلاغة فقال
ان تصيب فلا تخطي وتسرع فلا تبطي ولطول الفكرة والاغراق في الروية مذهب
وان لا يحمد فيه التسرع والتعجل كما لا يحمد في وان السرعة التثاقل والتايد وانما
تحمد السرعة في اجوبة المحاورة والمناظرة وترادف الفكرة والروية للاراء المستخرجة
والامور المستنبطة التي على الانسان فيهما مهلة وله في تاملها فسحة ولا عيب عليه
معها في اطالة التامل واعادة التصفح ولهذا قال الاحنف بصفين اغبوا الراي
فان ذلك يكشف لكم عن محضه وقال عبد الله بن وهب الراسبي لما اراده الخوارج
على الكلام حين عقد واله لا خير في الراي الفطير والكلام القضيب وسوار بن التوام
الرقاشي فامسك عن الجواب وقال ما احب الخير الا بايتا فاما قولهم ثلث يعرفن
في الاحمق سرعة الجواب وكثرة الالتفات والثقة بكل احد فمحمول على الاسراعه
بالجواب عند الراي والمشاورة والاحوال التي يستحب فيها التاييد والتثبت
او على الاسراع من غير تحصيل ولا ضبط وذلك مذموم ولا اشكال فيه ثم نعود الى
ما قصدناه وروي ان بعض ازواج النبي صلى الله عليه وآله سالته متى يعرف الانسان ربه فقال
عليه السلام اذا عرف نفسه وقال له صلى الله عليه وآله رجل اني اكره الموت فقال عليه السلام له
الك مال قال نعم قال قدم مالك فان قلب كل امرء عند ماله وقال يهودي
لامير المؤمنين عليه السلام ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فقال انما اختلفنا عنه
لا فيه ولكنكم ما جفت اقدامكم من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها كما لهم
الهة قال انكم قوم تجهلون وروي انه لما فرغ عليه السلام من دفن الرسول صلى الله عليه وآله
سئل عن خبر السقيفة فقيل له ان الانصار قالت منا امير ومنكم امير فقال عليه السلام
فهلا ذكرتم الانصار قول النبي صلى الله عليه وآله يقبل من محسنهم ويتجاوز من مسيئهم

اي العبيد م

ثم انحصر بعد ذلك فقال الا تخطي ولا تبطي

فكيف يكون الامر فيهم والوصاة بهم وقال له عليه السلم ابن الكوا يا امير المومنين كم
بين السماء والارض فقال دعوة مستجابة وقيل له ما طعم الماء فقال طعم الحيوة
وقيل له كم بين المشرق والمغرب قال مسيرة يوم للشمس واثنى عليه رجل وكان
له متهما فقال انا دون ما تقول وفوق ما في نفسك وكان عليه السلم اذا اطراه رجل
فقال اللهم انك اعلم بي منه وانا اعلم بنفسي فاغفر لي ما لا يعلم اخبرنا ابو عبد الله
المرزباني قال حدثنا عبد الواحد بن محمد الخصيبي قال حدثني ابو علي احمد بن
اسمعيل قال حدثني ايوب بن الحسين الهاشمي قال قدم على الرشيد رجل من الانصار
يقال له نفيع وكان عريضا فحضر باب الرشيد يوما ومعه عبد العزيز بن عمر بن عبد
العزيز وحضر موسى بن جعفر عليهما السلم على حمار له فتلقاه الحاجب بالاكرام
واعظمه من كان هنالك وعجل له الاذن فقال نفيع لعبد العزيز من هذا الشيخ
قال او ما تعرفه قال لا قال هذا شيخ آل ابي طالب هذا موسى بن جعفر فقال ما رايت
اعجز من هولاء القوم يفعلون هذا برجل يقدر ان يزيلهم عن السرير اما لئن خرج
لاسوءنه فقال له عبد العزيز لا تفعل فان هولاء اهل بيت قل ما تعرض لهم
احد في الخطاب الا وسموه في الجواب سمة يبقى عارها عليه مدى الدهر قال
وخرج موسى بن جعفر عليهما السلم فقام اليه نفيع الانصاري فاخذ بلجام حماره
ثم قال له من انت فقال يا هذا ان كنت تريد النسب فانا ابن محمد حبيب الله
ابن اسمعيل ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله وان كنت تريد البلد فهو الذي فرض
الله عز وجل على المسلمين وعليك ان كنت منهم الحج اليه وان كنت تريد المفاخرة
فوالله ما رضي مشركو قومي مسلمي قومك اكفاء لهم حتى قالوا يا محمد اخرج لنا اكفاءنا
من قريش خل عن الحمار فخلى عنه يده ترتعد وانصرف بخزي فقال عبد العزيز
الم اقل لك ويقال ان معوية استشار الاحنف بن قيس في عقد البيعة لابنه يزيد
فقال انت اعلم بليله ونهاره وقال احمد بن يوسف لابي يعقوب الخزيمي مدحك
لمحمد بن منصور اجود من مراثيك فيه فقال كنا نعمل للرجا واليوم للوفاء وبينهما

ابون

بون ودخل مطيع بن اياس على الهادي في جبوة المهدي فدهش فقال السلم عليك
يا امير المومنين فقيل له مه فقال لعبد امير المومنين وقال معوية بن ابي سفيان
لعقيل بن ابي طالب وكان جيد الجواب حاضره انا خير لك من اخيك فقال عقيل
ان اخي آثر دينه على دنياه وانت آثرت دنياك على دينك فاخي خير لنفسه منك وانت
خير لي منه وقال له يوما ان فيكم لشبقا يا بني هاشم فقال هو منا في الرجال ومنكم
في النساء وقال له معوية وقد دخل عليه هذا عقيل عمه ابو لهب فقال عقيل هذا
معوية عمته حمالة الحطب وعمة معوية ام جميل بنت حرب بن امية وكانت امراة
ابي لهب وقال له يوما يا ابا يزيد اين ترى عمك ابا لهب فقال عقيل اذا دخلت النار
فانظر عن يسارك تجده مفترشا عمتك حمالة الحطب فانظر ايهما اسوء حالا الناكح ام المنكوح
وقال له ليلة الهرير بصفين يا ابا يزيد انت معنا الليلة فقال ويوم بدر كنت معكم وقيل
لسعيد بن المسيب وقد كف الا تقدح عينيك قال حتى افتحها على من ودخل معن بن زايده
على المنصور فقال له كبرت يا معن فقال في طاعتك قال وانك لتتجلد قال على اعدائك
قال فان فيك لبقية قال هي لك وقال عبيد الله بن زياد لمسلم بن عقيل والله لاقتلنك
قتلة يتحدث بها بعدك فقال مسلم اشهد انك لا تدع سوء القتلة ولوم الغدرة لاحد
اولى بهما منك وقال رجل لعمرو بن العاص لا تفرغن لك قال اذا وقعت في الشغل وقال
معاوية لعمرو بن سعيد بن العاص الملقب بالاشدق الى من اوصى بك ابوك فقال ان ابي
اوصى الي ولم يوص بي وقال عبيد الله بن زياد بن ظبيان لابنه وقد حضرته الوفاة
قد اوصيت بك فلانا فالقه بعدي فقال يا ابه اذا لم يكن للحي الا وصية الميت فالحي هو
هو الميت وقال الوليد بن يزيد لابن الرقاع العاملي انشدني في بعض قولك في الخمر فانشده
بكيت اذا شجت وفي الكاس وردة . لها في عظام الشاربين دبيب . فقال له شربتها
ورب الكعبة فقال ابن الرقاع لئن كان رابك نعتي لها لقد رابني معرفتك بها ولما
اتى معوية نعي الحسن بن علي صلوات الله عليه بعث الى ابن عباس وهو لا يعلم الخبر فقال
له هل عندك خبر من المدينة قال لا قال اتانا نعي الحسن واظهر سرورا فقال ابن عباس

اذا لا ينسئ الله فى اجلك ولا يسد حفرتك قال احسبه قد ترك صبية صغارا قال
كلنا كان صغيرا فكبر قال واحسبه بلغ سنا قال مثل مولك لا يجهل قال معوية
لو قال قائل انك اصبحت سيد قومك قال اما وابو عبد الله الحسين بن على عليه السلام حى فلا
كان ذلك بالشام وروى ابن عباس رضى الله عنه بالشام غزا على الحسن صلوات الله عليه
فلما كان من غد اتى يزيد بن معوية الى بن عباس وهو فى المسجد يعزى فجلس بين يديه
جلسة المعزى له واظهر حزنا وغما فلما انصرف اتبعه بن عباس بصره وقال اذا ذهب
الحرب ذهب حلم قريش وروى ان وفودا دخلت على عمر بن عبد العزيز فاراد فتى
منهم الكلام فقال عمر ليتكلم اكبركم فقال الفتى ان قريشا لترى فيها من هو اسن منك
فقال له تكلم يا فتى وروى محمد بن سلام الجمحى قال انشد كثير عبد الملك بن مروان
على ابن ابى العاص دلاص حصينة . اجاد المسدى نسجها فاذ الها . فقال له هلا
قلت كما قال الاعشى . واذا تكون كتيبة ملمومة . شهبا يخشى الزايدون نهالها
كنت المقدم غير لابس جنة . بالسيف تضرب معلما ابطالها . فقال انه وصفه
بالخرق ووصفتك بالحزم ويشبه ذلك ما روى عن ابى عمرو بن العلا انه لقى ذا الرمة
فقال له انشدنى قصيدتك . ما بال عينك منها الما ينسكب . فانشده اياها فلما
انتهى الى قوله . تصغى اذا شدها بالكور جانحة . حتى اذا ما استوى فى غرزها تثب .
فقال له ابو عمرو قول عمك الراعى احسن مما قلت وهو . تراها اذا قام فى غرزها .
كمثل السفينة او اوقر . ولا تعجل المرء عند البروك . وهى بركبته ابصر .
فقال ذو الرمة ان الراعى وصف ناقة ملك وانا وصفت ناقة سوقة وحكى
الصولى ان اعرابيا سمع ذا الرمة ينشد بيته الذى حكيناه فقال سقط والله
الرجل فاما الغرز فهو للناقة مثل الركاب للدابة وهو نسع مضفور وقوله
تصغى يريد تميل راسها كانها تسمع لانها ليست بنفور بل مؤدبة مقومة والكور
الرحل وقد اخذ هذا المعنى ابو نواس فاحسن نهاية الاحسان فقال يصف الناقة
فى مدحه الخصيب بن عبد الحميد فكانها مصغ لتسمع بعض الحديث باذنه وقر

فلم يرض

فلم يرض بان وصفها بالاصغا حتى وصفها بالوقر وهو الثقل فى الاذن لان الثقيل
السمع يكون اصغاؤه وميله الى جهة الحديث اشد واوكد وانى لاستحسن القصيدة — قال السيد قدس الله روحه
التى من جملتها هذا البيت الذى اوردناه لابى نواس لانها دون العشرين بيتا
وقد نسب فى اولها ثم وصف الناقة باحسن وصف ثم مدح الرجل الذى قصده
واقتضاه حاجته كل ذلك بطبع يتدفق ورونق يترقرق وسهولة مع جزولة
الفصيح . بامنة امتنها السكر . ما يقتضى منى لها الشكر . اعطتك فوق مناك
من قبل . قد كنت قبل برامها وعرت بى اليك بها سوالفه . رب اضاعة عيشر السخر
ظلت حميا الكاس تبسطنا . حتى تهتك بيننا الستر . فى مجلس ضحك السرور به
عن ناجذيه وحلت الخمر . اما قوله حلت الخمر فيحتمل ان يريد به ان ما وصفه
من طيب الموضع وتكامل السرور وحصول المامول فيه صار مقتضيا الشرب — حضور هم
الخمر وملجيا الى تناولها ورافعا للحرج فيها على مذهب الشعرا فى المبالغة ويكون
فايدة وصفها بانها حلت المبالغة فى وصف الحال بالحسن والطيب ويحتمل
ان يكون عقد على نفسه والى الا يتناول الخمر الا بعد الاجتماع مع محبوبه وكان
الاجتماع معه متعذرا له من بينه على مذهب العرب فى تحريم الخمر على نفوسهم
الى ان ياخذوا بثارهم ويجرى ذلك مجرى قول الشاعر . حلت الخمر وكانت حراما . — الشنفرى م
وبلاى ما الممت تحل . ويحتمل ايضا ان يريد بحلت نزلت واقامت فى من الحلول الذى
هو المقام لا من الحلال وكانه وصف بلوغ جميع اراته وحضور فنون لذاته
وانها تكاملت بحلول الخمر التى فيها تحصل جميع اللذات وهذا الوجه وان لم يشر اليه احد
ممن تقدم فى تفسير هذا البيت فالقول يحتمله ولا مانع من ان يكون مرادا وقد
قيل انه اراد انا اذا استحلت الخمر لسكرنا وفقدنا العقول التى كنا نمتنع بها — لها
من الحرام والوجوه المتقدمة اشبه واقرب الى الصواب . ولقد يجوب بى الفلاة اذا
صام النهار وقالت العفر . اراد بصام وقف وذلك وصف له بالامتداد والطول
والعفر الضبا اللواتى فى الوانهن حمرة تخالطها كدورة وقالوا من القايلة وهى — كدرة

وهى وقت نصف النهار لامن القول. شذنية رعت الحمى فاتت. مل الحبال كانها
قصر. شذنية منسوبة الى شذن وهو موضع باليمن يقال الملك ذو شذن
تثنى على الحاذين ذا خصل تعاله الشذران والخطير الحاذ موخر الفخذ والشذران
رفع الناقة ذنبها من المرح والنشاط والخطر معروف من خطر يخطر وتعاله اى علله
اما اذا رفعة شاطمة. فتقول رتق فوقها نسر يعنى بشاملة اى مبالغة فى رفع
ذنبها ويقال رتق الطاير اذا نشر جناحيه طاير من غير تحريك. اما اذا وضعته
خافظة. فتقول ارخى خلفها سترا. وتسف احيانا وتحسبها. مترسما يقتاده اثر
معنى تسف اى تدنى راسها من الارض والمترسم الذى يتبع الرسم ويتامله ومعنى
اثر اى هو معنى يطلب الاثر وهو موكل بتتبعه يقال اثر واثر واثر ثلث لغات وقد
وهم الصولى فى تفسير هذا البيت لانه قال ان ابا نواس جمع الاثر اثارا ثم جمع الاثار
اثرا ثم خفف فقال اثر وليس يحتاج الى ما ذكره مع ما اوردناه وانما ذهب عليه
انه يقال فى الاثر اثر. فاذا قصرت لها الزمام سما. فوق المقادم ملطم حر. فكانها
مصغ لتسمعه. بعض الحديث باذنه وقر. تبرى لانقاض اضر بها. جذب البرى
صقر. معنى تبرى تنبرى اى تعرض لهذه الانقاض والانقاض جمع نقض وهو البعير
الذى قد هزله القعر والكلا البرى جمع برة تكون فى انف البعير تذللها. برى اليك بها بنو امل
عتبوا فاعتبهم بك الدهر. انت الخصيب وهذه مصر. فتدفقا فكلاهما بحر. لا تقعدا
بى عن مدا املى. شيئا فما لكما به عذر. ويحق لى ان صرت بينكما. ان لا يحل بساحتى فقر.

المجلس العشرون ثم نعود الى ما كنا اخذين فيه من ذكر مستحسن الجواب روى
ان رجلا نظر الى كثير الشاعر راكبا وابو جعفر محمد بن على عليه السلم يمشى فقال له اتركب
وابو جعفر يمشى فقال هو امرنى بذلك وانا بطاعته فى الركوب افضل منى فى عصيانى
اياه بالمشى وروى ان دعاة خراسان صاروا الى ابى عبد الله الصادق عليه السلم
فقالوا والله اردنا محمد بن على فقال اولئك بالسراة ولست بصاحبكم فقالوا لو اراد الله
بنا خيرا كنت صاحبنا فقال المنصور بعد ذلك لابى عبد الله اردت الخروج علينا

فقال نحن

فقال نحن ندعليكم فى دولة غيركم فكيف نخرج عليكم فى دولتكم وقال عبد الملك
بن مروان لنصيب هل لك فى الشراب فقال له نصيب الشعر مغلغل واللون مربد
وانما قربنى اليك عقلى فهبه لى فقال مروان بن محمد الملقب بالحمار لحاجبه وقد ولى
منهزما كر عليهم بالسيف فقال لا طاقة لى بذلك فقال والله لئن لم تفعل لاسوءنك
فقال وددت انك تقدر على ذلك وقال يحيى بن خالد لشريك علمنا مما علمك الله
يا ابا عبد الله فقال له شريك اذا علمتم بما تعلمون علمتكم ما تجهلون وقال المامون
لمحمد بن عمران بلغنى انك بخيل فقال ما اجمد فى حق ولا اذوب فى باطل وقيل لابن
ابى دواد الايادى ونظر الى بنته تسوس فرسه فرسه واهنتها يا ابا داود فقال
اهنتها بكرامتى كما اكرمتها بهوانى ومثل ذلك قول اعرابى اهين لهم نفسى لاكرمها بهم.
ولن تكرم النفس التى لا تهينها. ودخل عمارة بن حمزة على المنصور فقال
مظلوم يا امير المومنين فقال من ظلمك قال عمارة غصبنى ضيعتى فقال المنصور
قم يا عمارة فاقعد مع خصمك فقال عمارة ما هو لى بخصم فقال له كيف قال ان كانت
الضيعة له فلست انازعه فيها وان كانت لى فهى له ولا اقوم من مجلس شرفنى به امير
المومنين لاقعد فى ادنى منه بسبب ضيعة وقال هشام بن عبد الملك لرجل فى الكعبة
سلنى حاجتك فقال لا اسئل فى بيت الله عز وجل غيره وهرب سليمن بن عبد الملك
من الطاعون فقيل له ان الله تعالى يقول قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت
او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا. فقال ذلك القليل نطلب وقيل ان الجعد بن
درهم جعل فى قارورة ترابا وماء فاستحال دودا وهوام فقال لاصحابه انا خلقت
ذلك لانى كنت سبب كونه فبلغ ذلك جعفر بن محمد عليهما السلم فقال ليقل كم هو
وكم الذكران منه والاناث ان كان خلقه وكم وزن كل واحدة منهن وليامر الذى
الذى يسعى الى هذا الوجه ان يرجع الى غيره فانقطع وهرب وقال المامون للفضل
بن سهل انى اخاف عليك اقواما يعادونك فلا تركب الا فى جيش فقال الفضل ما اخاف
غيرك فان امنتنى من نفسك لم يضرنى انسان وقيل لابى ثور ما تقول فى حماد بن زيد

بن درهم وحماد بن سلمه بن دينار فقال بينهما فى العلم كفيئة ما بين ابويهما فى الصرف
واراد المامون تقبيل السواد وجلس يناظر العمال على ذلك فقام اليه رجل
من الدهاقين فقال يا امير المؤمنين ان الله عز وجل ولاك علينا بالامانة فلا تقبلنا
فاضرب عن ذلك وقال رجل لابن عباس زوجنى من فلانه وكانت يتيمة فى حجره فانصرف به
فقال لا ارضى حالك لانها تتشرف فقال الرجل هو اياس بن معوية بن قرة المزنى
قد رضيت انا فقال ابن عباس انا لا ارضاك لها ويشبه هذا الخبر من وجه خبر رواه
المداينى قال ارسل عمر بن عبد العزيز رجلا من اهل الشام وامره ان يجمع بين اياس
بن معوية المزنى وبين القاسم بن ربيعه الجوشى من بنى عبد الله بن غطفان فيولى
القضا انفذهما فقدم البصرة فجمع بينهما فقال اياس الشامى ايها الرجل سل عنى
وعن القاسم فقيهى المصر الحسن وابن سيرين فمن اشار عليك بتوليته وليه وكان القاسم
ياتى الحسن وابن سيرين ولم يكن اياس ياتيهما فعلم القاسم انه ان سالهما اشارا به القاسم
فقال للشامى لا تسل عنى ولا عنه فوالله الذى لا اله الا هو ان اياسا هو افضل
منى وافقه واعلم بالقضاء فان كنت عندك ممن يصدق فانه لينبغى ان تقبل منى وان
كنت كاذبا فما يحل لك ان توليني وانا كاذب فقال اياس للشامى انك جئت برجل
فاقمته على شفير جهنم فافتدى نفسه من النار ان تقذفه فيها بيمين حلفها
كذب فيها يستغفر الله منها وينجوا مما يخاف فقال الشامى اما اذ فطنت لهذا
فانى اوليك فاستقضاه ولما امضى معوية بيعة يزيد جعل الناس يقرظونه
فقال يزيد لابيه ما ندرى انخدع الناس ام يخدعوننا فقال معوية يا بنى من تخادع
لك ليخدعك فقد خدعته وسمع عبد الملك بن مروان ليلة قبض وهو يجود
بنفسه وقد سمع صوت قصار يقول ليتنى كنت قصارا اعيش بما اكسب يوما بيوم
فبلغ ذلك ابا حازم فقال الحمد لله الذى جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه
ولا نتمنى فى الحيوة الدنيا ما هم فيه وقال الجاحظ يوما يا امتانى فقال لو كان الذى
اضفتنى اليه عبدك ما قدرت على بيعه لكثرة عيوبه فكيف اكون على دينه

وقال ابن عباس

وقال ابن عباس رضى الله عنه للخوارج وقد ارسله امير المؤمنين عليه السلم اليهم انشدكم الله
ايما اعلم بالتنزيل والتاويل على ام انتم قالوا على فقال اليس تدرون لعل الذى
حكم به فيكم بفضل علمه على ما تعلمون فرجع اكثرهم وقال عتبه ابن ابى سفيان
لعبد الله بن عباس ما منع على بن ابيطالب ان يجعلك احد الحكمين فقال اما والله
لو بعثنى لاعترضت مدارج انفاسه اطير اذا اسف واسف اذا طار ولعقدت
له عقدا لا تنقض مريرته ولا يدرك طرفاه ولكنه سبق قدر ومضى اجل والاخرة
خير لامير المؤمنين من الدنيا وقال ابو جعفر محمد بن على عليهما السلم لكثير امتدحت
عبد الملك بن مروان فقال لم اقل له يا امام الهدى وانما قلت له يا شجاع والشجاع
حية ويا اسد والاسد كلب ويا غيث والغيث موات فتبسم ابو جعفر عليه السلم وقالت
بنت عبد الله بن مطيع لزوجها يحيى بن طلحه ما رايت الام من اصحابك اذا ايسرت
لزموك واذا اعسرت تركوك فقال هذا من كرمهم ياتوننا فى حال القوة منا عليهم
ويفارقوننا فى حال الضعف منا عليهم وقيل لابرهيم النخعى متى كنت قال حين
احتيج الى وراى رجل رجلا يصلى صلاة خفيفة فقال له ما هذه الصلوة فقال
صلوة ليس فيها ريا واخبرنا ابو عبد الله المرزبانى قال حدثنا احمد بن ابى الازهر
قال حدثنا احمد بن يزيد النحوى قال تزعم الرواة ان قتيبة بن مسلم لما فتح سمرقند
افضى الى اثاث لم ير مثله والات لم يسمع مثلها فاراد ان يرى الناس عظيم ما فتح الله
ويعرفهم اقدار القوم الذين ظهر عليهم فامر بدار ففرشت وفى صحنها قدور
يرتقى اليها بالسلالم واذا الحصين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشى قد اقبل
والناس جلوس على مراتبهم والحصين شيخ كبير فلما راه عبد الله بن مسلم اخو قتيبة
قال لقتيبه اتاذن لى فى معاتبته فقال لا ترده فانه خبيث الجواب فابى عبد الله
الا ان ياذن له وكان عبد الله يضعف وكان قد تسور حايطا الى امراة قبل ذلك
فاقبل على الحصين فقال امن الباب دخلت يا ابا ساسان قال اجل اسن عمك
عن تسور الحيطان قال رايت هذه القدور قال هى اعظم من ان لا ترى قال ما احسب

بكر بن وايل راى مثلها قال اجل ولا غيلان ولو راها سمى شبعان ولم غيلان فقال
يا ابا ساسان من الذى يقول عزلنا وامرنا وبكر بن وايل. تجر خصاها تبتغى من يحالف
قال اعرفه واعرف الذى يقول. وخيبة من يخيب على غنى. وباهلة بن يعصر
والرباب. قال فمن الذى يقول. كان فقاح الازد حول ابن مسمع. وقد عرقت
افواه بكر بن وايل. قال اعرفه واعرف الذى يقول. وقوم قتيبة امهم وابوهم.
لولا قتيبة اصبحوا فى مجهل. فقال واما الشعر فاراك ترويه ولكن هل تقرا من القران
شيئا قال نعم اقرا منه الكثير الطيب هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ
شَيْئًا مَذْكُورًا فاغضبه فقال والله لقد بلغنى ان امراة الحصين حملت اليه
وهى حبلى من غيره قال فما تحرك الشيخ عن هيئته الاولى ثم قال على رسله وما تكون
تلد غلاما على فراشى فيقال ابن الحصين كما يقال عبد الله بن مسلم فاقبل قتيبة على عبد الله
فقال لا يبعد الله غيرك. ولقى شريك النميرى رجلا من بنى تميم فقال له التميمى يعجبنى من الجوارح
البازى فقال له شريك خاصة اذا اصاد القطا اراد التميمى بقوله البازى قول جرير
انا البازى المطل على نمير. اتيح من السماء لها انصبابا. واراد شريك بقوله اذا صاد
القطا قول الطرماح. تميم بطرق اللوم اهدى من القطا. ولو سلكت طرق المكارم ضلت
وساير شريك النميرى عمر بن هبيرة الفزارى على بغلة فجاوزت بغلته برذون عمر
فقال عمر اغضض من لجامها فقال شريك انها مكتوبة فقال عمر ما اردت ذلك
فقال شريك ولا انا اردته ظن شريك ان عمر اراد بقوله اغضض من لجامها
قول جرير. فغض الطرف انك من نمير. فلا كعبا بلغت ولا كلابا. وعنى شريك
بقوله مكتوبة بقوله. لا تامنن فزاريا خلوت به. على قلوصك واكتبها باسيار
وانشد ابو تمام احمد بن المعتصم قصيدته السينية التى يمدحه فيها فلما بلغ الى قوله ابو تمام [illegible]
فى حلم احنف فى شجاعة عامر. فى جود حاتم فى ذكاء اياس فقال له الكندى وكان
حاضرا ما صنعت شيئا قال وكيف قال الان شعراء دهرنا قد تجاوزوا بالممدوح
من كان قبله الا ترى الى قول ابى العكوك فى ابى دلف. رجل ابر على شجاعة عامر.

باسا

٨٨

باساو غير فى حيا حاتم. فاطرق الطائى ثم رفع راسه وانشد. لا تنكروا ضربى
له من دونه. مثلا شرودا فى الندا والباس. فالله قد ضرب الاقل لنوره. مثلا
من المشكوة والنبراس. وقال ابن هبيرة لابى لامه وكان مولا لبنى امية لما
ظهرت المسوده لا تخذن لك منهم عبدا صالحا يخدمك فلما علت كلمتهم وفشت
دعوتهم قال ابو دلامه ليت الله قيض لى منهم مولا صالحا اخدمه قال يحيى بن
خالد لعبد الملك بن صالح الهاشمى ان خصالك كاملة سوى حقد فيك فقال
انا خزانة تحفظ الخير والشر وقد نظر ابن الرومى الى هذا المعنى فى قوله. وما الحقد
الا توام الشكر فى الفتى. وبعض السجايا ينتسبن الى بعض. فحيث ترى حقدا على
ذى اساءة. فثم ترى شكرا على حسن القرض. اذا الارض ادت ريع ما انت زارع.
من البذر فيها فهى ناهيك من ارض. وقال الحجاج للخطيط الخارجى ما تقول فى عبد
الملك قال ما اقول فى رجل انت خطية من خطاياه فقال فهل هممت بى قط قال
نعم ولكن حال بيننا بين قدر وقد اعطيت الله عهدا ان سئلتنى لاصدقنك
وان خليت عنى لاطلبنك ولئن عذبتنى لاصبرن لك فامر بقتله اما البين فهى
الارض الواسعة قال بن مقبل. بشر وحمير ابوال البغال به. انى تسديت وهنا
ذلك البينا. وقيل لابى العتاهية لما قال عتبت ما للخيال. خبرينى وما لى لا اراه
خرجت من العروض فقال انا اكبر من العروض. وقال عبد الملك للهيثم بن الاسود
مالك قال قوام من العيش وغنى عن الناس فقيل له لم تجزه فقال لو كان كثيرا
حسدنى وان كان قليلا ازدرانى واغتاب الاعمش رجلا من اصحابه فطلع الرجل
على تقية ذلك فقال له رجل من اصحابه قل له ما قلته حتى لا يكون غيبة فقال
له الاعمش بل قل له انت حتى يكون نميمة وقال معوية لعمرو بن العاص هل غششتنى
منذ نصحتنى قال لا قال بلى يوم اشرت على بمبارزة على بن ابى طالب وانت
تعلم من هو قال عمرو دعاك رجل عظيم الخطر الى المبارزة فكنت من مبارزته
على احدى الحسنيين اما ان قتلته فقد قتلت قتال الاقران وازددت شرفا الى شرفك

وخلوت بملكك واما ان قتلك فتعجل من مرافقة الشهداء والصديقين والصالحين
فقال معوية لهذا اشد على من الاولى فقال عمرو فكنت من جهادك في تلك فتوب
من الساعة فقال دعني منك الان وقيل للاحنف وقد راى مسيلمة الكذاب كيف
فقال ماهو بنبي صادق ولا بمتنبي حاذق وروى المبرد قال قال زياد لابي الاسود
الدؤلي لولا انك قد كبرت لاستعنا بك في بعض امورنا فقال ان كنت تريدني
للصراع فليس عندي وان كنت تريد عقلي ورأيي فهما اوفر ما كانا وكان ابو الاسود
حاضر الجواب جيد الكلام مليح النادرة وروى عن الشعبي انه قال قاتل الله
ابا الاسود ما كان اعفا طرافه واحضر جوابه دخل على معوية بالنخيلة
فقال له معوية اكنت ذكرت للحكومة قال نعم قال فما كنت صانعا قال كنت اجمع
الفا من المهاجرين وابناءهم والفا من الانصار وابناءهم ثم اقول يا معشر من حضر ارجل
من المهاجرين احق ام رجل من الطلقاء فلعنه معوية فقال الحمد لله الذي كفاناك
وقد روى ان ابا الاسود طلب ان يكون في الحكومة وقال لامير المؤمنين عليه السلام
في وقت الحكمين يا امير المؤمنين لا ترض بابي موسى الاشعري فاني قد عجمت
الرجل وبلوته وحلبت اشطره فوجدته قريب القعر مع انه يمان وما ادري ما يبلغ
نصيحته فابعثني فانه لا يحل عقدة الا عقدت له اشد منها وانهم قد رموك بحجر
الارض فان قيل انه لا صحبة لي فاجعلوني ثاني الاثنين فليس صاحبهم الا من تقرب
وكان في الخلاف عليهم كالنجم فابى عليه السلام وروى محمد بن يزيد النحوي ان ابا الاسود
كان نازلا في بني قشير وكانوا يخالفونه في المذهب لان ابا الاسود كان شيعيا
فكانوا يرمونه بالليل فاذا اصبح شكا ذلك فشكا مرة فقالوا ما نحن نرميك
ولكن الله يرميك فقال كذبتم لو كان الله يرميني ما اخطاني وقال لهم يوما يا بني قشير
ما في العرب احب الي طول بقاء منكم قالوا ولم ذلك قالوا لانكم اذا ركبتم امرا
علمت انه غي فاجتنبته واذا اجتنبتم امرا علمت انه رشد فاتبعته فتنازعوا الكلام
فانشا يقول . يقول الارذلون بنو قشير . طوال الدهر لا تنسى عليا .

فقلت لهم وكيف يكون تركي . من الاعمال ما يقضى علينا . احب محمدا حبا شديدا
وعباس وحمزة والوصيا . احبهم لحب الله حتى . اجي اذا بعثت على هويا .
بنو عم النبي واقربوه . احب الناس كلهم اليا . فان يك حبهم رشدا اصبه
ولست بمخطئ ان كان غيا . قالوا شككت يا ابا الاسود فقال الم تسمعوا قول الله تعالى
يقول انا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين افترون الله شك عز وجل اما
اما قوله هويا فانها لغة هذيل يقولون ذلك في كل مقصور مثل الهوى والعصى
والفتى والتقى قال ابو ذويب . سبقوا هوي واعنقوا لهواهم . فتخرموا ولكل جنب
مصرع وروى ان ابا الاسود دخل على معوية فقال له اصبحت جميلا يا ابا الاسود
فلو علقت تميمة تدفع عنك العين فقال . افني الشباب الذي فارقت بهجته .
كر الجديدين من آت ومنطلق . لم يتركا لي في طول اختلافهما . شيئا اخاف
عليه لذعة الحدق وروى انه دخل يوما السوق يشتري ثوبا فقال له رجل هلم
اقاربك هذا الثوب قال ان لم تقاربني باعدتك ثم قال له بكم هو قال قد اعطيت
به كذا وكذا قال انما تخبرني عما فاتك وروى انه كان ماشيا في طريق فقال له راكب
الطريق الطريق فقال له عن الطريق تعدلني ومرض ابو الاسود فقيل له هو امر الله
قال ذاك اشد له وقيل ان امراة خاصمته الى زياد في ولدها فقالت ايها
الامير ان هذا يريد ان يغلبني على ولدي وقد كان بطني له وعاء وثديي له سقاء
وحجري له فناء فقال ابو الاسود لهذا تريدين ان تغلبيني على ابني فوالله لقد حملته قبل
ان تحمليه ووضعته قبل ان تضعيه فقالت ولا سواء لانك حملته خفا وحملته
ثقلا ووضعته شهوة ووضعته كرها فقال له زياد انها امراة عاقلة يا ابا
الاسود فادفع ابنها اليها فاخلق ان تحسن ادبه وقال رجل لابي الاسود انت
والله ظريف لفظ وظرف علم ووعاء حلم غير انك بخيل فقال وما خير ظرف
لا يمسك ما فيه وسلم عليه اعرابي يوما فقال له ابو الاسود كلمة مقولة فقال اتاذن لي في الدخول
قال وراءك اوسع لك وقال فهل عندك شيء قال نعم قال اطعمني قال عيالي احق منك قال
ما رايت الام منك قال نسيت نفسك قال وساله رجل شيئا فقال له ما اصبحت

خائمتا قال بلى والله لقد اصبحت من حيث لا تدرى ابليس حاتم الذى يقول . اماوى
اما مانع فمبين . واما عطا لا ينهنهه الزجر **المجلس الحادى والعشرون** اخبرنا
المرزبانى قال اخبرنا ابو عبيد الله ابرهيم بن محمد بن عرفة النحوى قال لما ولى سليمان
ابن عبد الملك اتى بيزيد بن ابى مسلم مولى الحجاج فى جامعة وكان رجلا دميما
تقتحمه العين فلما راه سليمن قال لعن الله من اجرك رسنك وولى مثلك فقال يا امير
المومنين رايتنى والامر عنى مدبر ولو رايتنى وهو على مقبل لاستعظمت ما
استصغرت ولا استجللت ما استحقرت فقال سليمن اترى الحجاج يهوى فى النار
ام قد استقر فقال يا امير المومنين لا تقل كذا فان الحجاج قمع لكم الاعداء ووطا
لكم المنابر وزرع لكم الهيبة فى قلوب الناس وبعد وفاته يانى يوم القيمة
عن يمين ابيك عبد الملك وشمال اخيك الوليد فضعه حيث شئت **وروى**
ان خالد بن صفوان فاخر رجلا من بنى عبد الدار الذين يسكنون اليمامة فقال له
العبدرى من انت قال انا خالد بن صفوان بن الاهتم فقال له العبدرى انت
خالد كما كان هو خالد فى النار وانت ابن صفوان وقال عز وجل كمثل صفوان عليه
تراب وانت ابن الاهتم والصحيح خير من الاهتم فقال له خالد يا اخا بنى عبد
الدار اتتكلم وقد هشمتك بنو هاشم وامتك بنو امية وخزمتك بنو مخزوم و
بنو جمح فانت عبد دارهم تفتح اذا دخلوا وتغلق اذا خرجوا فقام العبدرى
محموما وتقدم الاشعث بن قيس الى شريح فقال له الاشعث بن قيس انعلمنى بك
يا شريح ابن ام اسامة تعرف النعمة فى غيرك وتنساها فى نفسك **وروى** ابو العينا
عن العتبى قال دخل الفرزدق الى سعيد بن العاص وعنده الحطيئة فلما مثل
بين يديه قال . اليك فررت منك ومن زياد . ولم احسب دمى لكما حلالا .
فان يكن الهجاء احل قتلى . فقد قلنا لشاعركم وقالا . ترى الغر الجحاجح من قريش
اذا ما الامر فى الحدثان عالا . قياما ينظرون الى سعيد . كانهم يرون به الهلالا .
فقال له الحطيئة هذا والله ايها الامير الشعر لا ما كنا نعلل به منذ اليوم يا غلام

ادرك

اقدمت امك من الحجاز قال ولكن قدمه ابى اراد الحطيئة بقوله ان كانت امك قدمت
الحجاز فقد وقعت بها وكنت منى واراد الفرزدق بقوله لكن قدمه ابى اى وقع
بامك فكنت اخى واشبه ذلك ما روى ان الفرزدق كان ينشد شعره يوما والناس
حوله اذ مر به الكميت بن يزيد فقال له الفرزدق كيف ترى شعرى فقال الكميت
حسن يسر فقال له الفرزدق ايسرك انى ابوك قال له اما ابى فلا اريد به بدلا ولكنى
يسرنى لو كنت امى فقال له الفرزدق اكتم هذا على عمك يا ابن اخى فما مر بى مثلها
وقيل ان عبد الملك ظفر برجل من بنى مخزوم زبيرى الراى فقال له لما حضر
مجلسه قد ردك الله على عقبيك فقال له الرجل او من رد اليك يا امير
المومنين فقد رد على عقبيه فوجم عبد الملك وقال موسى بن عيسى لشريك يا ابا عبد الله
عزلوك عن القضا وما راينا قاضيا عزل فقال شريك هم الملوك يعزلون
ويخلعون يعرض بان اباه خلع من ولاية العهد **وذكر** ابو عبيدة معمر بن المثنى
ان المفضل الضبى الراوية وهب لبعض جيرانه ايام الاضحى اضحية فلما لقيه قال
كيف وجدت اضحيتك قال ما وجدت لها دما بعوض بقول الشاعر ولو ذبح
الضبى بالسيف لم تجد . من اللوم للضبى لحما ولا دما **وروى** عن المامون انه قال ما اعيانى
جواب احد قط مثل جواب ثلثة احدهم ام المفضل بن سهل فانى عزيتها عن ابنها
وقلت لئن جزعت على الفضل لانه ولدك فها انا ذا ابنك مكانه فقالت
وكيف لا اجزع على من جعل مثلك لى ولدا والاخر رجل احضرته زعم انه نبى الله
موسى عليه السلم فقلت له ان الله عز وجل اخبرنا عن موسى عليه السلم انه يدخل يده
فى جيبه فيخرجها بيضاء من غير سوء فقال لى متى فعل ذلك موسى اليس بعد ما القى
فرعون فاعمل كما عمل فرعون حتى اعمل كما عمل موسى والثالث ان جماعة من اهل
الكوفة اجتمعوا الى يشكون من عاملها فقلت ارضوا ابوا احدا سمع منه فرضوا رجل
منهم فقال فى العامل واكثر فقلت له كذبت بل هو العفيف الورع العدل فذهب
اصحابه يتكلمون فسكتهم ثم قال صدقت يا امير المومنين هو كما تقول فوا

ذلك

بين رعيتك في العدل فصرفته عنهم ودخل عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي
على معويه فقال له معويه ما فعل الطرفات يعني طريفا وطرافا وطرفة
قال قتلوا مع علي عليه السلم قال ما انصفك ابن ابي طالب قدم بنيك واخر بنيه
فقال عدي بل ما انصفته اذ قتل وبقيت وكتب رجل الى صديق له يقترض
منه شيئا فاجابه يشكوا ضيق حاله فكتب اليه ان كنت كاذبا فجعلك الله صادقا
وان كنت صادقا فجعلك الله كاذبا وان كنت معذورا فجعلك الله ملوما وان كنت
ملوما فجعلك الله معذورا وسمع الاحنف رجلا يقول ما احلم معويه فقال
لو كان حليما ما سفه الحق ووصفه رجل عند الشعبي بالحلم فقال الشعبي
ويحك وهل اغمد سيفه وفي قلبه على احد شيئا وقال زياد لرجل حضره اين
منزلك قال وسط البصرة قال فما لك من الولد قال تسعة فقيل لزياد ان داره في اقصى
البصرة عند المقابر وله ابن واحد فقال الرجل داري بين اهل الدنيا والاخرة فهي
وسط البصرة وكان لي عشر بنين فقدمت تسعة منهم لي وبقي واحد لا ادري اهو
لي ام له وقال رجل لابن سيرين اني وقعت فيك فاجعلني في حل فقال ما احب
ان احلك بما حرم الله عليك قال وخطب الحجاج يوم جمعة فاطال فقال له رجل
ان الصلوة لا تنتظرك وان الله لا يعذرك فامر به فحبس فجاء اهله فشهدوا انه
مجنون فقال ان اقر بالجنون اطلقته فقيل له اعترف بذلك وتخلص فقال والله
لا اقول انه ابتلاني وقد عافاني وحدث ابو الحسن البصري بحديث فقال له
رجل يا ابا سعيد عن من فقال وما تصنع بعن من اما انت فقد نالتك موعظته
وقامت عليك حجته قيل لعبد الله ابن جعفر ونظر اليه يماكس في درهم اتماكس
في درهم وانت تجود فيما تجود به فقال ذاك مالي جدت به وهذا عقلي بخلت به
وروي ان ابا العينا محمد بن القاسم اليماني حدث بعض الزبيريين بحديث
في فضايل اهله فقال له الزبيري اتجلب التمر الى هجر فقال ابو العينا نعم اذا اجدبت
ارضها وعاوم نخلها وكان ابو العينا من احضر الناس جوابا واجودهم بديها

والمحهم

واملحهم نادرة وروي الصولي عن ابي العينا قال لما دخلت على المتوكل دعوت
له وكلمته فاستحسن خطابي وقال لي يا محمد بلغني ان فيك شرا فقلت يا امير المؤمنين
ان يكن الشر ذكر المحسن باحسانه والمسيء باساته فقد زكى الله تعالى وذم فقال في التزكية
نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ وقال في الذم هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ
عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ فذمه الله تعالى حتى قذفه وقال الشاعر . اذا انا بالمعروف لم اثن
دايبا . ولم اشتم الجبس اللئيم المذمما . ففيم عرفت الخير والشر باسمه . وشق لي الله
المسامع والعما . وان كان الشر كفعل العقرب التي تلسع النبي والذمي بطبع لا يميز فقد
صان الله عبدك عن ذلك وروي انه قال له يوما الى كم تمدح الناس فقال
ما احسنوا واساوا وروي ان المتوكل قال له يوما اني لافرق من لسانك فقال
له ان الشريف فروقة ذو احجام وان اللئيم ذو امنة واقدام وقال له يوما
وقد دخل عليه قد اشتقتك والله يا ابا العينا فقال له يا سيدي انما يشتد الشوق
على العبد لانه لا يصل الى مولاه فاما السيد فمتى اراد عبده دعاه وروي انه قال
له ما بقي احد في مجلس الا وقد اغتابك وذمك عند ما جرى من ذكرك غيري فقال
ابو العينا . اذا رضيت عني كرام عشيرتي . فلا زال غضبان علي لئامها وذكر
ابو العينا قال قال لي المتوكل كيف ترى داري هذه فقلت رايت الناس بنوا
دورهم في الدنيا وامير المومنين جعل الدنيا في داره وقال ابو العينا قال لي
المتوكل من اسخى من رايت ومن ابخل من رايت فقلت ما رايت اسخى من احمد بن ابي
داود ولا ابخل من موسى بن عبد الملك قال وكيف وقفت على بخله فقلت رايته
يحرم القريب كما يحرم البعيد ويعتذر من الاحسان كما يعتذر من الاساءه
قال اجبت الى من اطرحته فنحيته والى من استكتبته فبخلته فقلت يا امير المومنين
ان الصدق ليس هو في موضع من المواضع انفق منه بحضرتك والناس
يغلطون فيمن ينسبونه الى السخا فاذا نسب الناس السخا الى البرامكة فانما ذلك
سخا امير المؤمنين الرشيد واذا نسب الناس السخا الى الحسن بن سهل والفضل بن سهل

الجبس واللئيم والوغد اللئيم الذي لا اصل له

ونديمهم

يعني ان احسانه يكن نفسا فقدانه تخليم الى امد

فانما ذاك سخا امير المومنين المامون واذا نسبوا احمد بن ابي داود الى السخا فذاك
امير المومنين المعتصم واذا نسبوا الفتح بن خاقان وعبيد الله بن يحيى الى السخا فانما
هو سخاوك والا فانما بال هولاء القوم لم ينسبوا الى السخا قبل صحبتهم للخلفاء
فقال لي صدقت وسري عنه وقال المتوكل ما اشد عليك في ذهاب البصر
فقال فقد رويتك مع اجماع الناس على جمالك وقال له يوما اريدك لمجالستي
فقال لا اطيق ذلك وما اقول هذا جهلا بما لي في هذا المجلس من الشرف ولكن
انا رجل محجوب والمحجوب تختلف اشارته ويخفى عليه ايماوه ويجوز ان اتكلم
بكلام غضبان ووجهك راض وبكلام راض ووجهك غضبان ومتى لم اميز
بين هذين هلكت فقال صدقت وروي انه قال لولا انك ضرير لنادمتك فقال
له ان عفيتني من روية الاهلة وقراة نقش الخواتيم فاني اصلح وقال له المتوكل
ما تقول في ابن مكرم والعباس بن رستم فقال هما الخمر والميسر واثمهما اكبر من نفعهما
قال له بلغني انك تودهما فقال له لقد ابتعت الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة
وقال له يوما ان سعيد بن عبد الملك يضحك منك فقال ان الذين اجرموا كانوا من
الذين امنوا يضحكون وقال ابو العينا قال لي المنتصر ما احسن الجواب قال قلت
ما اسكت المبطل وحير المحق وقيل لابي العينا ابرهيم بن نوح النصراني عليك عاتب
فقال ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ورواه زرقان
وهو يضلحك نصرانيا فقال يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء فقال ابو العينا لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين اخبرنا
ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال اخبرني ابو العينا
قال كان سبب اتصالي احمد بن ابي داود ان قوما من اهل البصره عادوني وادعوا
علي دعاوي كثيرة منها انني رافضي فاحتجت الى ان خرجت عن البصره الى سر من راى
والقيت نفسي على ابن ابي داود وكنت نازلا في داره اجالسه كل يوم وبلغ القوم
خبري فشخصوا اعوي الى سر من راى فقلت له ان القوم قد قدموا من البصره يدا علي فقال

يد الله

يد الله فوق ايديهم فقلت لهم مكروا فقال ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين فقلت
هم كثيرون فقال كم من فية قليلة غلبت فية كثيرة باذن الله فقلت لله در القاضي ايها
القاضي فانت والله كما قال الصموت الكلابي . لله درك اي جنة خايف .
ومتاع الدنيا انت للحدثان . متخمط يطا الرجال عليه . وطاء الفنيق دوارج القران
ويكبهم حتى كان روسهم . مامومة تنحط للغربان . ويفرج الباب الشديد رتاجه
حتى يصير كانه بابان . فقال لابنه ابي الوليد اكتب هذه الابيات فكتبها بين يديه
قال الصولي حفظي عن ابي العينا الصموت الكلابي على انه رجل وقال لي وكيع
حفظي عن ابي العينا انها الصموت الكلابية على انها امراة ودخل ابو العينا على
الحسن بن سهل فاثنى عليه فامر له بعشرة الاف درهم فقال له والله ما استكثر
كثيرك ايها الامير ولا استقل قليلك قال وكيف ذلك قال لا استكثر كثيرك لانك
اكثر منه ولا استقل قليلك لانه اكثر من كثير غيرك وقال له عبيد الله بن يحيى
بن خاقان يوما اعذرني فاني مشغول فقال اذا فرغت لم احتج اليك وقال له يوما
قد تمنيت فيك الغضب يا ابا عبد الله فقال له فلا جل الله قدرك من غضبي
انما يغضب الرجل على من دونه فاما على من هو فوقه فلا ولكن احزنني تقصيرك فتميت
غضبا ويقال ان صاعد بن مخلد كان من احسن من اسلم دينا واكثرهم صلوة وصدقة
فصار الى بابه ابي العينا لكل جديد لذة ودخل يوما على ابي الصقر بن بليل في وزارته
فقال له يا ابا عبد الله ما اخرك عنا فقال له سرق حماري قال وكيف سرق قال لم اكن
مع الذي سرقه فاخبرك بما كان قال هلا اكتريت او ابتعت او اشتريت فقال قعدني
عن الشرا قلة الشي وكرهت منه العواري وذلة المكاري فوهب له حمارا وادناه
وادناه ابو الصقر يوما ورفعه فقال له ادنيتني حتى كاني تعضك وتبعد في حتى كاني ضدك
وقال لعبيد الله بن سليمن وقد رفعه الى كم ترفعني ولا ترفع بي راسا وقال له يوما
انا معك مغبوط الظاهر مرحوم الباطن ويقال ان ابا علي الضرير قال لابي العينا
وكانت بينهما ملاحات معروفة في اي وقت ولدت قال قبل طلوع الشمس فقال

عبلة
نشيء
البصير

ابو علي لذلك خرجت شحاذًا سائلا لانه الوقت الذي ينتشر فيه السؤال اخبرنا
ابو عبد الله المرزباني قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا ابو العينا قال
ما رايت قط احسن شاهدا عند حاجة من ابن عايشة قلت له يوما ما كان ابو معمر
المخزومي يصلك ثم جفاك فانشد . فان تناء عنا الا تضرنا وان تعد . تجدنا على العهد
الذي كنت تعلم . ثم قال ولا ادري لمن هذا البيت فقلت انا ابن سلام روى عن
يونس ان الفرزدق لما قال . تصرم مني ود بكر بن وايل . وما خلت دهري ودهم
يتصرم . قوارض تاتيني ويحتقرونها . وقد يملا القطر الاناء فيفعم . وكان نزل عليهم
حين هرب من زياد فقال جرير بن خرقا العجلي يجيبه . لقد بواتك الدار بكر بن وايل
ورد لك الاحشاء اذ انت مجرم ليالي تمنى ان تكون حمامة . بمكة يغشيها الستار
المحرم . فان تناء عنا الا تضرنا وان تعد . تجدنا على العهد الذي كنت تعلم .
فقال ابن عايشة انت والله يا بني ممن يستصدق في العلم مخايله ويكثر عليه دلايله
وقال ابو العينا يوما لابي الصقر بن بليل وهو وزير انت والله تقرب منا اذا احتجنا
اليك وتبعد منا اذا احتجت الينا قال المرتضى رضي الله عنه وهذا يشبه قول
ابرهيم بن العباس الصولي . ولكن الجواد ابا هشام . وفي العهد مامون المغيب .
بطي عنك ما استغنيت عنه . وطلاع عليك مع الخطوب . ولعله ماخوذ منه
فليس ينكر ذلك لانهما وان اجتمعا في زمان واحد في بعض الاوقات فان ابا العينا
بقي بعد ابرهيم بقاء طويلا لان ابرهيم توفي سنة ثلاث واربعين ومائتين وابو
العينا توفي سنة ثلاث و[illegible] بين ومائتين وما حكيناه عنه من الكلام قاله
لابي الصقر في وزارته وكانت بعد وفاة ابرهيم بن العباس بزمان طويل ويشبه
بيتا ابرهيم ويوشك ان يكونا ماخوذين من قول اوس بن حجر . وليس اخوك الدايم
العهد بالذي . يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا . ولكنه النائي اذا كنت امنا .
وصاحبك الادنى اذا الخطب اعضلا . ولابرهيم بن العباس ما يقارب هذا المعنى
ايضا وهو قوله . اسد ضار اذا هيجته . واب بر اذا ما قدرا . يعلم الابعد ان ثروة ولا

يقصد كثيرا

وضمت

اثنين او

يعلم الادنى

١٠٠

يعلم الادنى اذا ما افتقرا . ويشبه ان يكون هذا ماخوذا من قول المرار الفقعسي
اذا افتقر المرار لم ير فقره . وان ايسر المرار ايسر صاحبه . ومما يشبه قول المرار
قول ابرهيم بن العباس الصولي ايضا . فتى غير محجوب الغنى عن صديقه . ولا مظهر الشكوى
اذا النعل زلت . راى خلة من حيث يخفى مكانها . وكانت قذى عينيه حتى تجلت .
او من قول المتنخل الهذلي . ابو مالك قاصر فقره . على نفسه ومشيع غناه .
وهذا البيت الذي اوردناه للهذلي من جملة ابيات يرثي بها المتنخل اباه وقيل بل يرثي
اخاه اولها . لعمرك ما ان ابو مالك . بوان ولا بضعيف قواه . ولا بالد له نازع .
يغازي اخاه اذا ما نهاه . معنى له نازع اي خلق سوء ينزعه ويغازي يلاحي ويشاد
ولكنه هين لين . كعالية الرمح عرد نساه . العرد الشديد يقال وترعرد وعرند
وعرهم اي شديد والناعرق معروف . اذا سدته سدت مطواعة . ومهما
وكلت اليه كفاه . معنى سدته من المساوده التي هي المساره والسواد السرار كانه
قال اذا ساودته طاوعك ولم يحسدك وان وكلت اليه شيا كفاك وقوم
ينشدونه اذا سستـه سست مطواعة ولم اجد ذلك في رواية . الامن ينادي
ابا مالك . اني امرنا هوام في سواه . ابو مالك قاصر فقره . على نفسه ومشيع غناه
المجلس الثاني والعشرون في تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى ساصرف عن
اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل اية لا يومنوا بها وان
يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا
ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين . فقال ما تاويل هذه الاية
على ما يطابق العدل فان ظاهرها يقتضي انه تعالى الله الجواب قيل له في هذه الاية
وجوه منها ما ابتدأناه ومنها ما سبقناه اليه فحررناه واحترزنا فيه من المطاعن واجبنا
عما لعله يعرض فيه من الشبهة اولها ان يكون تعالى عنى بذلك انصرفهم عن ثواب
النظر في الايات وعن العز والكرامة اللذين يستحقهما من ادى الواجب عليه
في ايات الله وادلته وتمسك بها والايات على هذا التاويل يحتمل ان تكون

بالنون

وساعدك وقال قوم انه من السادهم وكانه اراد اذا كنت فوقه وسيدا له اطاعك

معجزات الانبياء عليهم السلم خاصة وهذا التاويل يطابقه الظاهر لانه تعالى قال ذلك
بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين فبين تعالى ان صرفهم عن الايات يستحق
بتكذيبهم ولايليق ذلك الا بما ذكرناه وثانيها ان يصرفهم تعالى عن زيادة المعجزات
التي يظهرها على الانبياء عليهم السلم بعد قيام الحجة بما تقدم من اياتهم ومعجزاتهم
لانه تعالى انما يظهرها وصرف الذين علم من حالهم انهم لايومنون عنها ويكون
هالصرف على احد وجهين اما بان لايظهرها جملة او بان يصرفهم عن مشاهدتها
ويظهرها بحيث ينتفع بها غيرهم فاذا قيل ما الفرق فيما ذكرتموه بين ابتدا المعجزات
وبين زيادتها قلنا الفرق بينهما ان المعجز الاول يجب اظهاره لازاحة العلة في التكليف
ولانه نعلم صدق الرسول المودي الينا ما فيه لطفنا ومصلحتنا فاذا كان التكليف
بوجوب تعريفنا المصالح والالطاف لتنزاح العلة وكان لاسبيل الى معرفتها على
الوجه الذي يكون عليه لطفا الا من قبل الرسول وكان لاسبيل الى العلم بكونه
رسولا الا من جهة المعجز وجبت بعثة الرسول وتحمله ما فيه مصلحتنا من الشرايع
واظهار المعجز على يده لتعلق هذه الامور بعضها ببعض ولا فرق في هذا الموضع بين
ان يعلم ان المبعوث اليهم الرسول او بعضهم يطيعون ويومنون بين ان لا يعلم ذلك
في وجوب البعثة وما يجب بوجوبها لان تعريف المصالح مما يقتضيه التكليف العقلي
الذي لا فرق في حسنه بين ان يقع عنده الايمان او لا يقع وليس هذه سبيل
ما يظهر من المعجزات بعد قيام الحجة بما تقدم منها لانه متى لم ينتفع بها منتفع
ويومن عندها من لم يومن لم يكن في اظهارها فايدة وكانت عبثا فافترق الامران
فان قيل كيف يطابق هذا التاويل قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها
غافلين ومن المعلوم ان صرفهم عن الايات لا يكون مستحقا بذلك قلنا يمكن
ان يكون قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا لم يرد به تعليل قوله سبحانه
ساصرف بل يكون كالتعليل لما هو اقرب اليه في ترتيب الكلام وهو قوله تعالى
وان يروا كل اية لا يومنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا

هذا الضرب من المعجزات اذا علم انه يومن
عنده من لم يومن بما تقدم من الايات
فاذا علم خلاف ذلك لم يظهرها م

بوجب تعريف م

عن اياتي م

سبيل الغي

سبيل الغي يتخذوه سبيلا لان من كذب بايات الله عز وجل وغفل
عن تاملها والاهتدا بنورها ركب الغي واتخذه سبيلا وحاد عن الرشد وضل
ضلالا بعيدا ورجوع لفظة ذلك الى ما ذكرناه اشبه بالظاهر من رجوعها الى
قوله ساصرف لان رجوع اللفظ الى اقرب المذكورين اليه ايضا اولى ويمكن ان يكون
قوله تعالى كذبوا باياتنا وان كان بلفظ الماضي المراد به الاستقبال ويكون وجهه
ان التكذيب لما كان معلوما منهم لو اظهرت لهم الايات جعل كانه واقع وبني
الخطاب عليه ولهذا نظاير في اللغة كثيرة او يكون جوابا لمحذوف فكانه تعالى
قال ذلك بانهم متى اظهرنا لهم اياتنا كذبوا بها ويجري ما ذكرناه اولا مجرى قوله تعالى
ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة وانه بلفظ الماضي والمعنى الاستقبال
وثالثها ان يكون معنى ساصرف عن اياتي اي لا اريهم من هذه الصفة واذا صرفهم عنها
فقد صرفها عنهم وكلى اللفظين يفيد معنى التي يختص بها الانبياء عليهم السلم فان قيل
فاي فايدة في قوله تعالى على سبيل التعليل ذلك بانهم كذبوا باياتنا واي معنى لتخصيص
الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وهو لا يوتى الايات والمعجزات الا الانبياء عليهم السلم
دون غيرهم وان كان ممن لا يتكبر قلنا لخروج الكلام مخرج التعليل على هذا التاويل
وجه صحيح لان من كذب بايات الله تعالى لا يوتى اياته ومعجزاته لتكذيبه وكفره وان كان
قد يكون غير مكذب ويمنع من ايتا الايات علة اخرى فالتكبر والبغي بغير الحق مانع من ايتاء
ايات الله تعالى وان منع غيره ويجري هذا مجرى قول القايل انا لا اود فلانا لغدره
ولا يلزم اذا لم يكن غادرا ان يوده لانه ربما خلا من الغدر وحصل على صفة اخرى تمنع
من مودته ويجوز ايضا ان يكون الاية خرجت على ما يجري مجرى السبب وان يكون بعض
الجهال في ذلك العصر اعتقد واجواز ظهور المعجزات على يد الكفار المتكبرين
فاكذبهم الله تعالى بذلك ورابعها ان يكون المراد بالايات العلامات التي يجعلها
الله تعالى في قلوب المومنين ليدل بها الملايكة على الفرق بين المومن والكافر فيفعلوا
بكل واحد منهما ما يستحقه من التعظيم والاستحقاق كما قال في اهل الحق الطبع والختم

اي لا اريهما م

معنى واحدا وليس لاحد ان يقول هلا قال
ساصرف اياتي عن الذين يتكبرون والايات ههنا
هي المعجزات م

اللذين ورد بهما القران على ان المراد بهما العلامة المميزة بين المومن والكافر
فيكون معنى ساصرفهم عنها اى اعدل بهم عنها العلامة المميزة عنهم واخص بها المومنين
المصدقين باياتى وانبيائى وهذا التاويل يشهد له ايضا قوله تعالى ذلك بانهم
كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين لان صرفهم عن هذه الايات كالمستحق بتكذيبهم
واعراضهم عن اياته تعالى وخامسها ان يريد الله تعالى انى اصرف من رام المنع من اداء
اياتى فى البعثة ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى والله يعصمك من الناس ويكون
الايات ههنا القران وما جرى مجراه من كتب الله تعالى التى يحملها على الرسل عليهم السلم
والصرف وان كان متعلقا فى الاية بنفس الايات فقد يجوز ان يكون فى المعنى
متعلقا بغيرها مما هو متعلق بها واذا ساغ ان يعلقه بالثواب والكرامة
المستحقين على التمسك بالايات ساغ ان يعلقه بما يمنع من تبليغها وادائها واقامة
الحجة بها وعلى هذا التاويل لا يجعل قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا راجعا الى ساصرف
بل نرده الى ما هو قبله بلا فصل من قوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا
وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا على ما بيناه فى الوجه الثانى من تاويل هذه الاية
وسادسها ان يكون الصرف ههنا الحكم والتسمية والشهادة ومعلوم ان من
شهد على غيره بالانصراف عن شىء فجايز ان يقال صرفه عنه كما يقال اكفره واكذبه
وافسقه وكما قال جل من قايل ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم اى شهد عليها بالانصراف
عن الحق والهدى وكقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وهذا التاويل
يطابقه قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين لان الحكم عليهم
بما ذكرناه والتسمية به من موجب تكذيبهم وغفلتهم عن ايات الله تعالى واعراضهم عنها
وسابعها انه تعالى لما علم ان الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق سيصرفون
عن النظر فى اياته والايمان بها اذا اظهرها على ايدى رسله عليهم السلم جاز ان يقول
ساصرف عن اياتى فيريد تعالى ساظهر ما ينصرفون بسوء اختيارهم عنه ويجرى ذلك
مجرى قولهم ساتخل فلانا وساخطئه فلانا اى اسالهم ما يبخل ببذله وامتحنه بما يخطى

فيه ولايكون

وتبليغها لان من الواجب على الله تعالى ان يحول بين من رام ذلك وبينه ولا يمكن منه لانه ينقض الغرض

فيه ولا يكون المعنى انى افعل فيه البخل والخطا والايات على هذا الوجه جايز ان تكون
قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا غير راجع الى قوله تعالى ساصرف بل الى ما قدمنا
ذكره لتصح الفايدة وثامنها ان يكون الصرف ههنا معناه المنع من ابطال الايات
والحجج والقدح فيها بما يخرجها عن ان تكون ادلة وحججا فيكون تقدير الكلام انى
بما ايدته من حججى واحكمته من اياتى وبينتى ساصرف المبطلين والمكذبين من القدح
فى الايات والدلالات ومانع لهم مما كانوا لولا هذا الاحكام والتاييد يعترضونه
ويغتمونه من تمويههم الحق ولبس الباطل ويجرى هذا مجرى قول احدنا
قد منع فلانا اعداءه بافعاله الكريمة واخلاقه المهذبة وطرايقه المحمودة من عيبه
وصرفهم عن ذمه واخرس السنتهم عن الطعن عليه وانما يريد المعنى الذى ذكرناه
فان قيل اليس فى المبطلين من طعن على ايات الله تعالى واورد الشبهة فيها مع
ذلك قلنا لم يرد عز وجل الصرف عن الطعن الذى لا يوثر ولا يشتبه على من احسن
النظر وانما اراد ما قدمناه وقد يكون الشىء فى نفسه مطعونا عليه وان لم يطعن
عليه طاعن كما قد يكون بريا من الطعن وان طعن فيه بما لا يوثر الا ترى ان قولهم
قد اخرس اعداءه عن ذمه ليس يراد انه منعهم عن التلفظ بالذم وانما المعنى فيه انه
لم يجعل للذم عليه طريقا ومجالا ويجب ايضا على هذا الوجه ان يكون قوله تعالى
ذلك بانهم كذبوا باياتنا يرجع الى ما قبله بلا فصل ولا يرجع الى قوله ساصرف
وتاسعها ان الله تعالى لما وعد موسى عليه السلم وامته باهلاك عدوهم
قال ساصرف عن اياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق واراد جل وعز انه
يهلكهم ويصطلمهم ويجتاحهم على سبيل العقوبة لما لهم كما ان منهم من التكذيب
بايات الله والرد بحججه والمروق عن طاعته وبشر من وعد بهذه الحال من بالوفا بها
وهو تعالى اذا اهلك هؤلاء الجبارين المتكبرين واصطلمهم فقد صرفهم عن اياته
من حيث اقتطعهم عن مشاهدتها والنظر فيها بانقطاع التكليف عنهم وخروجهم
عن صفة اهله وهذا الوجه يمكن ان يقال فيه ان العقوبة لا تكون الا مضامة

المعجزات دون ساير الادلة الدالة على الله تعالى وجايز ان تكون جميع الادلة ويجب على هذا الوجه ان يكون

ذمه

اورد

طايع

المومنين

للاستخفاف والاهانة كما ان الثواب لابد ان يكون مقترنا بالتعظيم والتبجيل وما ننزله
للامم وما نفعله بهم من بوار واهلاك لا يقترن الم لابد ان يكون مقترنا الى العقاب
من الاستخفاف ولا يفعل ما يخالف ما يفعله تعالى باوليائه على سبيل الامتحان والاختبار
فكيف يصح ما ذكرتموه ويمكن ان يجاب عن ذلك بان يقال لا يمتنع ان يضم الله تعالى الى ما يفعله
بهولاء الكفار المتكبرين من الاهلاك والبوار واللعن والذم والاستخفاف والاهانة ويامرنا
بان نفعل ذلك بهم فيكون ما يقع بهم من الالام على وجه العقوبة وشروطها ولا
يمتنع ايضا ان يكون الله تعالى يتعبد ويامر باهلاكهم وقتلهم على وجه الاستخفاف
والنكال ويضيف الله تعالى ذلك اليه من حيث وقع بامره وعن اذنه فان قيل ما معنى
قوله تعالى يتكبرون في الارض بغير الحق كان في التكبر ما يكون بالحق قلنا في هذا وجهان
احدهما ان يكون ذلك على سبيل التاكيد والتغليظ والبيان عن ان التكبر لا يكون
الا بغير الحق وان هذه صفة لازمة غير مفارقة ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ومن يدع
مع الله الها اخر لا برهان له به وقوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بايات الله
وقتلهم الانبياء بغير حق ولم يرد تعالى الا المعنى الذي ذكرناه ومثله قوله تعالى
ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا لم يرد النهي عن الثمن القليل دون الكثير بل اراد به
تاكيد القول بان كل ثمن يوخذ عنها اي يكون قليلا بالاضافة اليها ويكون المتعوض بها
عنها مغبونا مبخوسا خاسر الصفقة والوجه الاخر ان في التكبر ما يكون ممدوحا
لان من تكبر وتنزه عن الفواحش والدنايا وتباعد عن فعلها وتجنب اهلها يكون
مستحقا للمدح سالكا طريق الحق وانما التكبر المذموم هو الواقع على وجه النخوة
والبغي والاستطالة على ذوي الضعف والفخر عليهم والمباهاة لهم ومن كان بهذه
الصفة فهو مجانب للتواضع الذي ندب الله اليه وارشد الى الثواب المستحق عليه
ومستحق بذلك الذم والمقت فلهذا شرط تعالى ان يكون التكبر بغير الحق وقوله تعالى
في هذه السورة قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي
بغير الحق يحتمل ايضا هذين الوجهين اللذين ذكرناهما فان اريد به البغي المكروه الذي

هو الظلم

المكذبين المستحقين للبوار

هو الظلم وما اشبهه كان قوله بغير الحق تاكيدا واخبارا عن ان هذه صفته وان
اريد بالبغي الطلب وذلك اصله في اللغة كان الشرط في موضعه لان الطلب قد يكون
بالحق وغير الحق فان قيل ما معنى قوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا
سبيل الغي يتخذوه سبيلا وهل الروية ههنا العلم او الادراك بالبصر وهب
انها يمكن ان تكون في قوله تعالى وان يروا كل اية لا يومنوا بها انها محمولة
على روية البصر لان الايات والادلة مما يشاهد كيف تحمل الروية الثانية
على العلم وسبيل الرشد انما هي طريقه ولا يصح ان يرجع بها الا الى المذاهب
والاعتقادات التي لا تجوز عليها روية البصر فلا بد اذا من ان يكون المراد به الروية
العلم ومن علم طريق الرشد لا يجوز ان ينصرف عنه الى طريق الغي لان العقلاء
لا يختارون مثل ذلك قلنا الجواب عن ذلك من ثلثة اوجه احدها ان يكون
المراد بالروية الثانية روية البصر ويكون السبيل المذكوره في الاية هي الادلة
والايات لانها مما يدرك بالبصر وتسمى بانها سبيل الرشد من حيث كانت وصلة الى
الرشد وذريعة الى حصوله ويكون سبيل الغي هي الشبهات والمخاريق التي ينصبها
المبطلون والمدغلون في الدين ليموهوا بها الشبه على اهل الايمان وتسمى بانها
سبيل الغي وان كان النظر فيها لا يوجب حصول الغي من حيث كان المعلوم
ممن تشاغل بها وان اغتر باهلها انه يصير الى الغي والوجه الثاني ان يكون المراد
بالروية العلم الا ان العلم بهن لا يتناول كونها سبيلا للرشد وكونها سبيلا للغي
بل يتناولها لا من هذا الوجه الا ترى ان كثيرا من المبطلين يعلمون مذاهب
اهل الحق واعتقاداتهم الباطلة الفاسدة الا انهم يجهلون كونها باطلة ويعتقدون
صحتها بالشبهة فيصيرون اليها وعلى هذا الوجه لا يجب ان يكون الله تعالى وصفهم
بالغي وترك الحق مع علمهم به والوجه الثالث ان يكونوا عالمين بسبيل الرشد
والغي ويميزون بينهما والعياذ بالله غير انهم للميل الى الاغراض الدنيا والذهاب مع الهوى
والشهوات يعدلون عن الرشد الى الغي ويجحدون ما يعلمون كما اخبر الله تعالى

راغبين بها

وحججهم الا انهم يجهلون كونها صحيحة مفضية الى الحق
فيجتنبونها وكذا يعلمون مذاهب المبطلين واعتقاداتهم

بانهم يجحدون الحق وهم يعلمون ويستيقنونه
فان قيل فما معنى قوله تعالى

عن كثير من اهل الكتاب ذلك بانهم كذبوا باياتنا والتكذيب لا يكون في الحقيقة الا في الاخبار دون غيرها قلنا التكذيب قد يطلق في الاخبار وغيرها الا ترى انهم يقولون فلان يكذب بكذا اذا كان يعتقد بطلانه كما يقولون يصدق بكذا اذا كان يعتقد صحته ولو صرفنا التكذيب هيهنا الى اخبار الله تعالى التي تضمنتها كتبه الواردة على ايدي رسله عليهم السلم جاز فتكون الايات هيهنا هي الكتب المنزلة دون ساير المعجزات فان قيل فما معنى ذمه تعالى لهم بانهم كانوا عن الايات غافلين والغفلة على مذاهبكم من فعله لانها السهو وما جرى مجراه مما ينافي العلوم العلوم الضرورية ولا تكليف على الساهي فكيف يذم بذلك قلنا المراد هيهنا بالغفلة التشبيه لا الحقيقة ووجه التشبيه انهم لما اعرضوا عن تامل ايات الله تعالى والانتفاع بها اشبهت حالهم حال من كان ساهيا غافلا عنها فاطلق عليهم هذا القول كما قال الله تعالى صم بكم عمي على هذا المعنى وكما يقول احدنا لمن يستبطيه ويصفه بالاعراض عن التامل والتبين انت ميت وراقد لا تسمع ولا تبصر وما اشبه ذلك وكل هذا واضح بحمد الله تعالى تاويل خبر اخر ان سيل سايل عن الخبر المروي عن عبد الله بن عمر انه قال سمعت النبي صلى الله عليه واله يقول ان قلوب بني ادم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن يصرفها كيف يشاء ثم يقول قال رسول الله صلى الله عليه واله عند ذلك اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا الى طاعتك وعماير وبه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه واله ما من قلب ادمي الا وهو بين اصبعين من اصابع الله تعالى فاذا شاء الله ان يثبته ثبته وان شاء ان يقلبه قلبه وعماير ويه الحوشب قال قلت لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه واله ما كان اكثر دعاء النبي صلى الله عليه واله قالت كان اكثر دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قلت يا رسول الله ما اكثر دعائك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقال يا ام سلمة ما من ادمي الا وقلبه بين اصبعين من اصابع الله عز وجل ما شاء اقام وما شاء ازاغ فقال ما تاويل هذه الاخبار على ما يطابق التوحيد وينفي التشبيه او ليس من مذهبكم

ان الاخبار التي تخالف ظاهرها الاصول ولا تطابق العقول لا يجب ردها والقطع على كذب رواتها الا بعد ان لا يكون لها في اللغة مخرج ولا تاويل وان كان لها ذلك فباستكراه وتعسف ولستم ممن يقول ذلك في هذه الاخبار فما تاويلها الجواب ان الذي يعول عليه من تكلم في تاويل هذه الاخبار هو ان يقول ان الاصبع في كلام العرب وان كانت الجارحة المخصوصة فهي ايضا الاثر الحسن يقال لفلان على ماله وابله اصبع حسنة اي قيام واثر حسن. قال الراعي يصف القيام على ابله ضعيف العصا بادي العروق ترى له. عليها اذا ما اجدب الناس اصبعا. وقال طفيل الغنوي يصف نخلا. كميت كركن الباب احيا بناته. مقاليتها واستحشتهن اصبع. وقال لبيد بن ربيعة من يبسط الله عليه اصبعا. بالخير والشر باي اولعا. وقال حميد بن ثور اغر كلون البدر في كل منكب. من الناس نعمى يحتذيها واصبع. وقال اخر. وارزنات ليس فيهن ابن. ذو اصبع في متنها هذه فطن. وقال اخر. اكرم نزارا واسقه للشعشعا. فان فيه خصلات اربعا. حدا وجودا وندا واصبعا. والاصبع في كل ما اوردناه المراد بها الاثر الحسن والنعمة فيكون المعنى ما من ادمي الا وقلبه بين نعمتين لله جليلتين حسنتين فان قيل هذا قد ذكر كما حكيتم الا انه لم يفصل ما النعمتان وما وجه التثنية هيهنا ونعم الله على عباده كثيرة لا تحصى قلنا يحتمل ان يكون الوجه في ذلك نعم الدنيا ونعم الاخرة وثناهما لانهما كالجنسين او كالنوعين وان كان كل قبيل منهما في نفسه ذا عدد كثير لان الله تعالى قد انعم على عباده بان عرفهم بادلته وبراهينه ما انعم به عليهم من نعم الدنيا ونعم الاخرة وعرفهم ما لهم في الاعتراف بذلك الشكر عليه والثناء به من الثواب الجزيل والبقاء في النعيم الطويل ويمكن ان يكون الوجه في تسميتهم للاثر الحسن بالاصبع هو من حيث يشار اليه بالاصبع اعجابا به وتنبيها عليه وهذه عادتهم في تسمية الشيء بما يقع عنده وبما له تعلق وقد قال قوم في بيتي طفيل والراعي انهما ارادا ان يقولا يدا في مكان الاصبع لان اليد النعمة فلم يمكنهما

نعلا

فعلا عن اليد الى الاصبع لانها من اليد وفى الاصبع التى هى الجارحة ثمان لغات
اَصبع بفتح الالف والباء واَصبِع بكسر الباء واُصبُع بضم الالف والباء واُصبَع
بضم الالف وفتح الباء واِصبُع بكسر الالف وضم الباء وفى هذه الاخبار وجه اخر
وهو اوضح مما ذكر واشبه بمذاهب العرب فى ملاحن كلامها وتصرف كناياتها
وهو ان يكون المعنى فى ذكر الاصابع الاخبار عن تيسر تصريف القلوب وتقلبها
والفعل فيها عليه جلت عظمته ودخول ذلك تحت قدرته الا ترى انهم يقولون هذا
الشىء فى خنصرى واصبعى وفى يدى وقبضتى كل ذلك اذا ارادوا تيسره وتسهله
وارتفاع المشقة فيه والمؤنة على هذا المعنى يتأول المحققون قوله تعالى وَالْأَرْضُ
جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وقوله تعالى وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ فكأنه
لما اراد المبالغة فى صفة الله تعالى بالقدرة على تقليب القلوب وتصريفها بغير
مشقة ولا كلفة وان كان غيره تعالى يعجز عن ذلك ولا يتمكن منه قال انها بين اصبعين
من اصابعه كناية عن هذا المعنى واختصارا للفظ الطويل وجريا على مذاهب العرب
فى اخبارهم عن مثل هذا المعنى بمثل هذا اللفظ وهذا الوجه يجب ان يكون مقدما على الاول
ومعتمدا عليه لانه واضح جلى ويمكن ان يكون فى الخبر وجه اخر على تسليم ما يقترحه
المخالفون من ان الاصبعين هما المخلوقتان من اللحم والدم استظهارا فى الحجة
واقامة لها على كل وجه وهو انه لا ينكر ان يكون القلب يشتمل عليه جسمان
على شكل الاصبعين يحركه الله تعالى ويقلبه بالفعل فيهما ويكون وجه تسميتهما
بالاصابع من حيث كان على شكلهما والوجه فى اضافتهما الى الله تعالى وان كان جميع
افعاله يضاف اليه بمعنى الملك والقدرة انه لا يقدر على الفعل فيهما على هذا
الوجه لان غيره انما يقدر على تحريك القلب وما هو مجاور للقلب من الاعضاء
بتحريك جملة الجسم ولا يقدر على تحريكه وتصريفه منفردا مما جاوره غيره تعالى
فمن اين للمبطلين المتأولين هذه الاخبار باهوائهم وضعف ارائهم ان الاصابع
هيهنا اذا كانت لحما ودما فهى جوارح لله تعالى وما هذا الوجه الذى ذكرناه ببعيد

واصبع بضم الالف والواو
واصبع بكسر الالف والباء

وتحريكهما منفردين عما جاورهما غيره تعالى
فقيل انهما اصبعان له من حيث خص
للفعل

وعلى المتأول ان يورد كلما يحتمله الكلام مما لا يدفعه الحجة وان ترتب بعضه على بعض
فى القوة والوضوح ونحن نعود الى تفسير ما لعله ان يشتبه من الابيات التى استشهدنا
بها اما قوله حدا وجودا ونداوا صبعا فمعنى الجد هيهنا هو المضاء والنفاذ وقال الاخر
وارزنات ليس فيهن ابن فالارزنات العصى والابن العقد واما قول حميد
نور فى كل منكب من الناس فالمنكب الجماعة من الناس والمنكب ايضا الناحية فاما معنى
ابيات لبيد فانه اراد من يسق الله تعالى اليه خيرا او يصرف عنه شرا انما فعل
ذلك به اسبغه له حتى ينتهى منتهاه فاما بيت الطفيل فمعناه ان هذا الفحل الذى
وصفه بانه كميت وانه كركن الباب لتمامه وشدته لما ضرب فى الابل التى لا يعيش
لهن ولد فكان هذا منه اثرا جميلا عليها واما بيت الراعى فمعنى قوله ضعيف العصا
يريد انه قليل الضرب لها اما لانه لا يحوجه سدادا وتاددا او لشفقته عليهن وهذه
كناية فى نهاية الحسن واختصار شديد لانه قد يجوز ان يريد بانه ضعيف العصى
على الحقيقة من حيث لا يحتاج الى استعمالها فى الضرب فيختارها قوية ويجوز ان
يكون حذف واراد ضعيف فعل العصى وقوله بادى العروق يعنى عروق رجليه
لفسادها من السعى فى اثر هذه الابل واراد بالاصبع ان له عليها فى جدب الناس اثرا
حسنا لحسن قيامه وتعاهده وقد قيل انه انما سمى الراعى لبيت قال له فى هذه القصيدة
بعد بيتين من البيت الذى انشدناه وهو لها امرها حتى اذا ما تبوأت . باخفافها
ماوى تبوأ مضجعا . وهذا قول الاصمعى وقال السكرى سمى بذلك لقوله فى
هذه القصيدة . هدان اخو وطب وصاحب علبة يرى المجد ان يلقى خلاء ومرتعا .
ويروى عن بعض بنى نمير انه قال انما سمى بذلك لقوله . بنيت مرافقهن فوق مزلة
لا يستطيع بها القراد مقيلا . قال بعض بنى نمير لما سمع هذا البيت والله ما هو
الا راعى ابل فبقيت عليه وقال محمد بن سلام انما سمى الراعى لكثرة وصفه الابل وحسن
نعته لها واسمه عبيد بن حصين بن جندل وكنيته ابو جندل وقيل ابو نوح
تاويل اية ان سئل سائل عن قوله تعالى تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ

اسبغ له ذلك

وصفها عاشت اولادها التى هى بناته بعدان كن
مقاليت والمقلات

جميلا

اللبن محب فى صحبه رالحج علب وعلب

إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ يقال ما المراد بالنفس في هذه الاية وهل المعنى فيها كالمعنى
في قوله تعالى وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ او يخالفه او يطابقه معنى الايتين والمراد به
ما رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه واله انه قال قال الله تعالى اذا احب العبد
لقائي احببت لقاءه واذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني في ملاء
ذكرته في ملاء خير منهم واذا تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا واذا تقرب الي
ذراعا تقربت اليه باعا او لا يطابقه **الجواب** قلنا النفس في اللغة لها معان
كثيرة مختلفة ووجوه في التصرف متباينة فالنفس نفس الانسان وغيره من الحيوان
وهي التي اذا فقدها خرج عن كونه حيا ومنه قوله تعالى كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ
والنفس ذات الشيء الذي يخبر عنه كقولهم فعل ذلك فلان نفسه اذا تولى فعله والنفس
الانفة من قولهم ليس لفلان نفس اي لا انفة له والنفس الارادة من قولهم نفس فلان
في كذا اي ارادته وقال الشاعر. فنفساي نفس قالت ائت ابن بحدل. تجد فرجا من
كل غمى تهابها. ونفس تقول اجهد نجاءك لا تكن. كخاضبة لم يغن عنها خضابها.
ومنه ان رجلا قال للحسن يا ابا سعيد لم احج قط فنفس تقول لي حج ونفس تقول
لي تزوج فقال الحسن انما النفس واحدة ولكن لك هم يقول حج وهم يقول تزوج وامره
بالحج وقال الممزق العبدي ويروى لمعقر بن حمار البارقي. الا من لعين قد نآها حميمها.
وارقها بعد المنام همومها. فباتت لها نفسان شتى همومها. فنفس تعزيها
ونفس تلومها. وقال النميري بن تولب العكلي. اما خليلي فاني لست معجله. حتى
يوامر نفسيه كما زعما. نفس له من نفوس القوم صالحة. تعطي الجزيل ونفس يرضع
الغنما. واراد انه بين نفسين نفس تامره بالجود واخرى تامره بالبخل وكنى برضاع
الغنم عن البخل لان اللئيم يرضع اللبن من الشاة ولا يحلبها لئلا يسمع الضيف صوت الشخب
ويهتدي اليه ومنه قيل لئيم راضع وقال كثير. فاصبحت ذا نفسين نفس مريضة
من الياس لا ينفك هم يعودها. ونفس ترجى وصلها بعد صرمها. تجمل كي يزداد غيظا
حسودها. والنفس العين التي تصيب الانسان فيقال اصابت فلانا نفس اي عين

وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقي فيقول بسم الله ارقيك والله يشفيك
من كل داء هو فيك من عين عاين ونفس نافس وحسد حاسد وقال ابن
الاعرابي النفوس الذي يصيب الناس بالعين وذكر رجلا فقال كان والله حسودا
كذوبا وقال عبد الله بن قيس الرقيات. يتقي اهلها النفوس عليها. فعلى نحرها
الرقا والتميم. وقال مضرس بن ربعي الفقعسي. واذا نموا صعدا فليس عليهم
منا الخبال ولا نفوس الحسد. وقال ابن هرمة يمدح عبد الواحد بن سليمان بن
عبد الملك. فاسلم سلمت من المكاره والردى. وعثارها ووقيت نفس الحسد
والنفس ايضا من الدباغ بمقدار الدبغة يقول اعطني نفسا من دباغ اي قدر ما ادبغ
به مرة والنفس الغيب يقول القائل اني لا اعلم نفس فلان اي غيبه وعلى هذا
تاويل قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي تعلم غيبي وما عندي
ولا اعلم غيبك وقيل ان النفس ايضا العقوبة من قولهم احذرك نفسي اي عقوبتي
وبعض المفسرين يحمل قوله تعالى ويحذركم الله نفسه على هذا المعنى كانه تعالى قال يحذركم
عقوبته **ويروى** ذلك عن ابن عباس والحسن واخرون وقالوا معنى الاية وقد روي
عن الحسن ومجاهد في قوله تعالى تعلم ما في نفسي ما ذكرناه من التاويل بعينه فان قيل ما وجه
تسمية الغيب بانه نفس قلنا لا يمتنع ان يكون الوجه في ذلك ان نفس الانسان لما كانت
خفية الموضع نزل ما يكتمه ويجتهد في ستره منزلتها وسمي باسمها فقيل فيه انه
نفسه مبالغة في وصفه بالكتمان والخفا وانما حسن ان يقول تعالى مخبرا عن نبيه
ولا اعلم ما في نفسك من حيث تقدم قوله تعالى تعلم ما في نفسي ليزدوج الكلام
ولهذا لا يحسن ابتداء ان يقول انا لا اعلم ما في نفس الله تعالى وان حسن على الوجه الاول
ولهذا نظائر في الاستعمال مشهورة مذكورة فاما الخبر الذي ذكره السائل فتاويله
ايضا ظاهر صحيح وخارج على مذهب العرب في مثل هذا الباب معروف ومعناه ان من ذكرني
في نفسه جازيته على ذكره لي واذا تقرب الي شبرا جازيته على تقربه الي وكذلك
الخبر الى اخره فسمى المجازاة على الشيء باسمه اتساعا كما قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة

والله خير الماكرين

مثلها ويمكرون ويمكر الله والله يستهزئ بهم كما قال الشاعر. الا لا يجهلن احد علينا. فنجهل فوق جهل الجاهلينا. ونظائر هذا كثيرة في كلام العرب ولما اراد الله المبالغة في وصف ما يفعله من الثواب والمجازات على تقربه بالكثرة والزيادة كنى عن ذلك بذكر المسافة للتضاعف فقال ذراعا وباعا اشارة الى المعنى وهذا من ابلغ الوجوه واحسنها

المجلس الثالث والعشرون في تاويل آية ان سأل سائل

فقال ما تاويل قوله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا وكيف يجوز ان تبلغ القلوب الحناجر مع كونهم احياء ومعلوم ان القلب اذا زال عن موضعه المخلوق فيه مات صاحبه وعن اي شيء زاغت الابصار وباي شيء تعلقت الظنون بالله

الجواب قيل له في هذه الاية وجوه منها ان يكون المراد بذلك انهم جبنوا وفزع اكثرهم لما اشرف المشركون عليهم وخافوا من بوايقهم وبوادرهم ومن شان الجبان عند العرب اذا اشتد خوفه ان تنتفخ رئته ولهذا يقولون للجبان انتفخ سحره اي رئته وليس يمتنع ان تكون الرئة اذا انتفخت رفعت القلوب ونهضت به الى نحو الحنجرة وهذا التاويل قد ذكره الفراء وغيره ورواه الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ومنها ان القلوب قد توصف بالوجيب والاضطراب في احوال الجزع والهلع قال الشاعر. كان قلوب دلائها. معلقة بقرون الظبا. وقال امرء القيس. ولا مثل يوم في قذار ظللته. كاني واصحابي على قرن اعفرا. ويروى في قذار ظللت اراد المبالغة في وصف نفسه واصحابه بالقلق والاضطراب ومفارقة السكون والاستقرار وانما خص الظبي لان قرنه اكثر تحريكا واضطرابا لنشاطه ومرحه وسرعته وقد قال بعض الناس في هذا البيت ان امرء القيس لم يصف شدة اصابته من اضطراب فيليق قوله على قرن اعفرا بالتاويل المذكور بل وصف اماكن كان فيها مسرورا متنعما الا ترى الى قوله تعالى قبل هذا البيت بلا فصل. الا رب يوم صالح قد شهدته. بتاذف ذات التل من فوق طرطرا. فيكون معنى قوله على قرن اعفر على هذا الوجه

تاذف قرية بالشام معروفة

طرطرا قرية بالشام بمنبج وليها نهر يقال له طرطر

انه كان

انه كان على مكان عال مشرف شبهه لارتفاعه وطوله بقرن الظبي وهذا القول لابن الاعرابي والآخر للاصمعي فاما قول الآخر. الا قل لخير الشام كيف تغيرا. فاصبح يرمي الناس عن قرن اعفرا. فلا يحتمل الا الشدة والحال المذمومة ويجوز ان يريد ان الناس فيه غير مطمئنين بل هم غير متمكنين يموجون قلقون كانهم على قرن ظبي كقولك رماه الله بداهية ويكون عن ههنا بمعنى الباء فقال عن قرن اعفرا وهو يريد بقرن اعفر وقد ذكر في هذا البيت الوجهان معا فيكون معنى الاية على هذا التاويل ان القلوب لما اتصل وجيبها واضطرابها بلغت الحناجر لشدة القلق ومنها ان يكون المعنى كادت القلوب من شدة الرعب والخوف تبلغ الحناجر وان لم تبلغ الحناجر في الحقيقة فالغى ذكر كادت لوضوح الامر فيها ولفظ كادت ههنا للمقاربة مثل قول قيس ابن الحطيم. اتعرف رسما كاطراد المذاهب. لعمرة وحشا غير موقف راكب. ديار التي كادت ونحن على منى تحل بنا لولا نجاء الركائب. معناه قاربت ان تحل بنا وان لم تحل في الحقيقة وقوله غير موقف راكب فيه وجهان احدهما انه ليس موضع يقف فيه راكب لخلوه من الناس ووحشته والآخر ان يكون اراد انه وحش الا ان راكبا وقف به يعني به نفسه وقال نصيب. وقد كدت يوم الحزن لما ترنمت هتوف الضحى محزونة بالترنم. اموت لمبكاها اسا ان لوعتي ووجدي لسعدى شجو غير منجم. يعني بالمنجم المقلع وقال ذو الرمة. وقفت على ربع لمية ناقتي فما زلت ابكي عنده واخاطبه. واسقيه حتى كاد مما ابثه. تكلمني احجاره وملاعبه وكل هذا معنى كاد فيه المقاربة ومتى ادخلت العرب على كاد جحدا فقالوا ما كاد عبد الله يقوم ولم يكد عبد الله يقوم كان فيه وجهان اجودهما قام عبد الله بعد ابطاء ولاي ومثله قوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون اي ذبحوها بعد ابطاء وتاخير لانه وجدان البقرة عسر عليهم وروي انهم اصابوها ليتيم لا مال له غيرها فاشتروها من وليه بملء جلدها ذهبا فقال تعالى وما كادوا يفعلون الا انهم لم يقفوا عليها ولغلائها وكثرة ثمنها والوجه الآخر في قولهم ما كاد عبد الله يقوم اي ما يقوم

ويحتمل انه يطعنهم بقرن ظبي

عبد الله ان تكون لفظة يكاد على هذا المعنى لا حكم لها وعلى هذا يحمل اكثر المفسرين
قوله تعالى اذا اخرج يده لم يكد يراها اى لم يرها اصلا لان الله عز وجل لما قال
أو كظلمات في بحر لجي يغشيه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات
بعضها فوق بعض كان بعض هذه الظلمات يحول بين العين وبين النظر الى اليد
وساير المناظر فيكد على هذا التاويل زيدت للتاكيد والمعنى اذا اخرج يده لم يرها
وقال قوم معنى الاية اذا اخرج يده يراها بعد ابطاء وعسر لتكاثف الظلم وترادف
الموانع من الرؤية فيكد على هذا الجواب ليست بزايدة وقال اخرون معنى الاية
اذا اخرج يده لم يرد ان يراها لان الذى شاهد من تكاثف الظلمات آيسه من تامل
يده وقرر فى نفسه انه لا يدركها ببصره وحكى عن العرب اولئك اصحابى الذين
اكاد انزل عليهم اى اريد ان انزل عليهم وقال الشاعر. كادت وكدت وتلك خير
ارادة . ان عاد من لهو الصبابة ما مضى . اى ارادت واردت وقال الافوه الاودى
فان تجمع اوتاد واعمدة . وساكن بلغوا الامر الذى كادوا . اى ارادوا وقال بعضهم
معنى قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف اى اردنا ليوسف وقال ابن الكلبى عن ابى
صالح عن ابن عباس معناه كذلك صنعنا ليوسف ومما يشهد له جعل لفظة يكد
زايدة فى الاية قول الشاعر. سريع الى الهيجاء شاك سلاحه . فما ان يكاد قرنه يتنفس
اى فما ان يتنفس قرنه ويكاد مزيدة للتوكيد وقال حسان . وتكاد تكسل ان تجى
فراشها . فى جسم خرعبة وحسن قوامه . معناه تكسل ان تجى فراشها وقال الاخر
وان لا الوم النفس فيما اصابنى . وان لا اكاد بالذى نلت انجح . اى لا انجح بالذى
نلت ولو لم يكن الامر على هذا لم يكن البيت مدحا وروى عبد الصمد بن
المعذل بن غيلان عن ابيه عن جده غيلان قال قدم علينا ذو الرمة الكوفة
فانشدنا بالكناسة وهو على راحلته قصيدته الحائية التى يقول فيها . اذا
غير النأى المحبين لم يكد . رسيس الهوى من حب مية يبرح . فقال عبد الله بن
شبرمة قد برح يا ذا الرمة ففكر ساعة ثم قال . اذا غير النأى المحبين لم اجد . رسيس الهوى

من بعد مية يبرح . قال فاخبرت ابى بما كان من قول ذى الرمة واعتراض ابن شبرمة
عليه فقال اخطأ ذو الرمة فى رجوعه عن قوله الاول واخطأ ابن شبرمة
فى اعتراضه عليه هذا كقوله جل وعز اذا اخرج يده لم يكد يراها واما قوله
جل وعز ان الساعة آتية اكاد اخفيها فيحتمل ان يكون المعنى اريد ان اخفيها
لكى تجزى كل نفس بسعيها ويجوز ان تكون كاد زايدة ويكون المعنى ان الساعة
آتية اخفيها لتجزى كل نفس وقد قيل فيه وجه اخر وهو ان يتم الكلام عند قوله تعالى
ان الساعة آتية اكاد ويكون المعنى اكاد آتى بها ويقع الابتداء بقوله تعالى اخفيها لتجزى
كل نفس ومما يشهد لهذا الوجه قول ضابى البرجمى . هممت ولم افعل وكدت وليتنى
تركت على عثمن تبكى حلائله . اراد وكدت اقتله فحذف الفعل لبيان معناه وروى
عن سعيد بن جبير انه كان يقرأ اكاد اخفيها فمعنى اخفيها على هذا اظهرها قال
عبدة بن الطبيب يصف ثورا . يخفى التراب باظلاف ثمانية . فى اربع مسهن الارض
تحليل . اراد انه يظهر التراب ويستخرجه باظلافها وقال امرؤ القيس . فان تدفنوا
الداء لا نخفه . وان تبعثوا الحرب لا نقعد . اى لا نظهره وقال النابغة تخفى
باظلافها حتى اذا بلغت . يبس الكثيب تداعى الترب فانهدما . وقد رووا اهل
العربية خفيت الشىء بمعنى سترته واخفيته بمعنى اظهرته وكانت القراءة بالضم تحتمل
الوجهين الاظهار والستر والقراءة بالفتح لا تحتمل غير الاظهار واذا كانت
بمعنى الاظهار كان الكلام فى كاد واحتمالها للوجوه الثلاث التى ذكرناها كالكلام فيها
اذا كانت بمعنى الستر والتغطية فان قيل اى معنى لقوله انى استرها لتجزى
كل نفس بما تسعى واظهرها على الوجهين جميعا واى فائدة فى ذلك قلنا الوجه فى هذا
ظاهر لانه تعالى اذا ستر عنا وقت الساعة كانت دواعينا الى فعل الحسن الجميل والقبيح مترددة واذا
عرفنا وقتها بعينه كنا ملجئين الى التوبة بعد مفارقة الذنوب ونقض ذلك الغرض
بالتكليف واستحقاق الثواب فصار ما اريد به من المجاز للمكلفين بسعيهم وايصال
ثواب اعمالهم يمنع من اطلاعهم على وقت انقطاع التكليف عنهم فاما اذا كانت لفظة

اى لم يرها
لتجزى كل نفس بما تسعى

اخفيها بمعنى الاظهار فوجهها ايضا واضح لانه تعالى انما يقيم القيمة ويقطع التكليف
ليجازي كلاً باستحقاق ويوفي مستحق الثواب ثوابه ويعاقب المسيء باستحقاقه
فوضح وجه قوله تعالى اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى على المعنيين جميعا قال
المرتضى رضي الله عنه وجدت ابا بكر محمد بن القاسم الانباري يطعن على جواب
من اجاب في قوله تعالى وبلغت القلوب الحناجر بان قال معناه كادت تبلغ الحناجر
ويقول كاد لا تضمر ولا بد من ان يكون منطوقا بها ولو جاز ضميرها لجاز ان يقال
قام عبد الله بمعنى كاد عبد الله يقوم فيكون تاويل قام عبد الله لان معنى كاد
لم يقم عبد الله — عبد الله يقوم وهذا الذي ذكره غير صحيح ونظن ان الذي حمله على الطعن في
هذا الوجه حكايته له عن ابن قتيبة لان من شانه ان يرد كل ما ياتي به ابن قتيبة
وان تعسف في الطعن عليه والذي استبعده غير بعيد لان كاد قد تضمر في مواضع
ويقتضيها بعض الكلام وان لم يكن في صريحه الا ترى انهم يقولون اوردت على
فلان من العتاب والتوبيخ والتقريع ما مات عنده وخرجت نفسه ولما رأى فلانا
فلانا لم يبق فيه روح وما اشبه ذلك ومعنى جميع ما ذكرناه المقاربة فلا بد من
اضمار كاد فيه وقال جرير ٠ ان العيون التي في طرفها مرض ٠ قتلننا ثم لم يحيين
قتلانا ٠ وانما المعنى انهن كدن يقتلننا فهذا اكثر في الشعر والكلام من ان يذكر
واما قوله يحيين قتلانا فالاظهر في معناه انهن لم يزلن ما قاربن المطار بعد الموت
والقتل من الصدود والهجر وما اشبه ذلك وسمى هذه الامور حيوة كما سمى اضدادها
قتلا وقد قيل ان معنى يحيين انهن لم يدين قتلانا من الدية لان دية القتيل عند
العرب كالحياة له وقد روى ثم لم يحيين قتلانا وهذه رواية شاذة لم تسمع من
عالم ولا محصل ومعناها ضعيف ركيك واذا كان الامر على ما ذكرناه لم يمتنع
ان يقال قام فلان بمعنى كاد يقوم اذا دلت الحال على ذلك كما يقال مات بمعنى
كاد يموت فاما قوله فيكون تاويل قام عبد الله لم يقم عبد الله فخطا لانه ليس
معنى كاد يقوم انه لم يقم كما ظن بل معناه انه قارب القيام ودنا منه فمن قال

وليس يمتنع

وروي للمبرد يحيين فصححها

قام عبد

قام عبد الله اراد كاد يقوم فقد افاد ما لا يفيده قوله لم يقم واما قوله تعالى زاغت
الابصار فمعناه زاغت عن النظر الى كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها ويجوز ان يكون
المراد بزاغت حارت الابصار اي ومالت عن القصد في النظر دهشا وتحيرا فاما قوله تعالى وتظنون
بالله الظنونا فمعناه انكم تظنون مرة انكم تنصرون وتظهرون على عدوكم ومرة
انكم تقتلون وتمتحنون بالتخلية بينكم وبينهم ويجوز ايضا ان يراد قوله ان ظنونكم
اختلفت فظن المنافقون منكم خلاف ما وعدكم الله تعالى به من النصر وشكوا في خبره تعالى
عز وجل كما قال تعالى حكاية عنهم ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وظن المؤمنون
ما طابق وعد الله تعالى كما حكى جل وعز عنهم في قوله تعالى هذا ما وعدنا الله
ورسوله وصدق الله ورسوله وكلما ذكرناه واضح في تاويل الاية وما تعلق بها
المجلس الرابع والعشرون في تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى وجعلنا
نومكم سباتا فقال اذا كان السبات هو النوم فكانه تعالى قال وجعلنا نومكم نوما
هذا مما لا فايدة فيه الجواب قيل في هذه الاية وجوه منها ان يكون المراد بالسبات
الراحة والدعة وقد قال قوم ان اجتماع الخلق كان في يوم الجمعة والفراغ
منه كان في يوم السبت فسمى اليوم بالسبت للفراغ الذي كان فيه ولان الله تعالى
امر بني اسرائيل فيه بالاستراحة من الاعمال قيل واصل السبات التمدد يقال
سبتت المرأة شعرها اذا حلته من العقص وارسلته قال الشاعر ٠ وان سبتته
مال جثلا كانه ٠ سدا واهلات من نواسج خثعما ٠ اراد وان ارسلته ومنها
ان يكون المراد بذلك القطع والسبت ايضا الحلق يقال سبت شعره سبتا اذا حلقه
وهو يرجع الى معنى القطع والنعال السبتية التي لا شعر عليها قال عنترة ٠ بطل كان ثيابه
في سرحة ٠ يحذى نعال السبت ليس بتوام ٠ ويقال لكل ارض تنقعد منقطعة مما
حولها سبتا وجمعها سبات فيكون المعنى على هذا الجواب وجعلنا نومكم قطعا لاعمالكم
وتصرفكم ومن اجاب بهذا الجواب يقول انما سمى يوم السبت بذلك لان بدء
الخلق كان يوم الاحد وجمع يوم الجمعة وقطع يوم السبت فترجع التسمية الى معنى

الطرف الكريم ...
لم ... بنسيج اليمن

القطع وقد اختلف الناس فی ابتدآء الخلق فقال اهل التورية ان الله ابتداه فی
یوم الاحد فکان الخلق فی یوم الاحد والاثنین والثلاثا والاربعا والخمیس والجمعة ثم
فرغ فی یوم السبت وهذا قول اهل التورية وقال الاخرون ان الابتداء کان فی یوم
الاثنین الی یوم السبت وفرغ منه یوم الاحد وهذا قول اهل الانجیل فاما
قول اهل الاسلام فهو ان ابتدآء الخلق کان فی یوم السبت واتصل الی الخمیس
وجعل الجمعة عیدا فعلی هذا القول الاخیر یمکن ان یسمی الیوم بالسبت من حیث
قطع فیه بعض خلق الارض وقد روی ابو هریره عن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال
ان الله تعالی خلق البریة فی یوم السبت وخلق الجبال فی یوم الاحد ومنها ان یکون
المراد بذلک انا جعلنا نومکم سباتا لیس بموت لان النایم قد یفقد من علو
وقصوده واحواله اشیا کثیرة یفقدها المیت فاراد الله تعالی ان یمن علینا
بان جعل نومنا الذی یضاهی فیه بعض احوالنا احوال المیت لیس بموت
علی الحقیقة ولا یخرج لنا علی الحیوة والادراک فجعل التاکید بذکر المصدر
قایما مقام نفی الموت وسادا مسد قوله تعالی وجعلنا نومکم لیس بموت ویمکن
ان یکون فی الایة وجه اخر لم ذکر فیها وهو ان السبات لیس هو کل نوم وانما
هو من صفات النوم اذا وقع علی بعض الوجوه والسبات هو النوم الممتد الطویل
السکون ولهذا یقال فیمن وصف بکثرة النوم انه مسبوت وبه سبات ولا یقال ذلک
وکل نایم واذا کان الامر علی هذا لم یجر قوله تعالی وجعلنا نومکم سباتا یجری
ان یقول وجعلنا نومکم نوما والوجه فی الامتنان علینا بان جعل نومنا ممتدا
طویلا ظاهرا وهو لما فی ذلک لنا من المنفعة والراحة بل یصحبها فی الاکثر
القلق والانزعاج والهموم وهی التی تقلل النوم ~~وامتداده~~ وتنزره وفراغ
القلب ورخا البال ویکون معهما غزارة النوم وامتداده وهذا واضح قال
المرتضی رضی الله عنه وجدت ابا بکر محمد بن القاسم الانباری یطعن علی الجواب
الذی ذکرناه اولا ویقول ان ابن قتیبة اخطاء فی اعتماده لان الراحة لا یقال لها

لان التنویم والنوم الغزار لا یکسبان
شیا من الراحة

سبات

سبات ولا یقال سبت الرجل بمعنی استراح واراح ونعتمد علی الجواب الذی
ثنینا بذکره ویقول فیما استشهد به ابن قتیبه من قولهم سبتت المراة شعرها
ان معناه ایضا القطع لان ذلک انما یکون بازالة الشداد الذی کان مجموعا
به وقطعه والمقدار الذی ذکره ابن الانباری لا یقدح فی جواب بن قتیبه لانه
لا ینکر ان یکون السبات هو الراحة والدعة اذا کانتا عن نوم وان لم توصف
کل راحة بانها سبات ویکون هذا الاسم یختص بالراحة اذا کانت علی هذا الوجه
ولهذا نظایر کثیرة فی الاسماء واذا امکن ذلک لم یکن فی امتناع قولهم سبت الرجل
بمعنی استراح فی کل موضع دلالة علی ان السبات لا یکون اسما للراحة عند النوم
والذی یبقی علی ابن قتیبة ان یبین ان السبات هو الراحة والدعة ویستشهد علی
ذلک بشعر او لغة فان البیت الذی ذکره یمکن ان یکون المراد به القطع دون
التمدد والاسترسال فان قیل فما الفرق بین جواب ابن قتیبة وجوابکم الذی
ذکرتموه اخیرا قلنا الفرق بینهما بین لان ابن قتیبة جعل السبات نفسه راحة
وجعله عبارة عنها واخذ مستشهدا علی ذلک بالتمدد وغیره ونحن جعلنا
السبات من صفات النوم والراحة واقعة عنده للامتداد وطول السکون فیه
فلا یلزمنا ان یقال سبت الرجل بمعنی استراح لان الشی لا یسمی بما یقع عنده
حقیقة والاستراحة تقع عند جوابنا عند السبات ولیس السبات ایاها بعینها
علی ان فی الجواب الذی اختاره ابن الانباری ضربا من الکلام لان السبت وان
کان القطع علی ما ذکر فلم یسمع فیه البناء الذی ذکره وهو السبات ویحتاج فی اثبات
مثل هذا البناء الی سماع من اهل اللغة وقد کان یجب ان یورد من ای وجه اذا کان
السبت هو القطع جاز ان یقال سبات علی هذا المعنی ولم نره یفعل ذلک تاویل خبر
ان قال قایل ما تاویل الخبر الذی روی عن النبی صلی الله علیه وسلم ان المیت لیعذب ببکاء الحی
علیه وفی روایة اخری ان المیت یعذب فی قبره بالنیاحة علیه وقد روی هذا
المعنی المغیره بن شعبه ایضا فقال سمعت النبی صلی الله علیه وسلم یقول من نیح علیه فانه یعذب

وعلمنا ايضا بادلة السمع مثل قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فلا بد من ان يصرف ما ظاهره

بما
كا ينح عليه الجوز اذا كنا قد علمنا بادلة العقل التى لا يدخلها الاحتمال والاتساع
والمجاز قبح مواخذة احد بذنب غيره وهو بخلاف هذه الادلة الى ما يطابقها والمعنى
فى الاخبار التى سئلنا عنها ان صحت روايتها انه ان اوصى موص بان يناح عليه
ففعل ذلك بامره واذنه فانه يعذب بالنياحة وليس معنى يعذب بها انه
يواخذ بفعل النواح والبكاء وانما معناه ان يواخذ بامره بها ووصيته بفعلها وانما قال م
ذلك لان الجاهلية كانوا يرون البكاء عليهم والنوح ويامرون به ويوكدون
بالوصية بفعله وهذا مشهور بينهم قال طرفة العبد فان مت فانعينى بما انا اهله
وشقى على الجيب يا ابنة معبد. وقال بشر بن ابى حازم لابنته عمرة. فمن يك سائلا
عن بيت بشر. فان له بجنب الرده بابا. ثوى فى ملحد لا بد منه. كفى بالموت نايا
واغترابا. رهين بلى وكل فتى سيبلى. فاذرى الدمع وانتحبى انتحابا. وقد روى
عن ابن عباس فى هذا الخبر انه قال وهل ابن عمر انما مر رسول الله ص على يهودى
فقال انكم لتبكون عليه وانه ليعذب بذنبه وقد روى انكار هذا الخبر عليه ايضا
عن بعض ازواج النبى ص انها قالت لما اخبرت بروايته وهل ابو عبد الرحمن
كما وهل يوم قليب بدر انما قال ص ان اهل الميت ليبكون عليه وانه ليعذب
بجرمه قال المرتضى رضى الله عنه معنى وهل اى ذهب وهمه الى غير الصواب
يقال وهلت الى الشىء فانا اهل وهلا اذا ذهب وهمك اليه ووهلت عنه اهل
وهلا اذا نسيته وغلطت فيه ووهل الرجل يوهل وهلا اذا فزع والوهل
الفزع فاما القليب فهى البئر والجمع القلب قال حسان بن ثابت يذكر قتلى بدر
من المشركين. يناديهم رسول الله لما. قذفناهم كباكب فى القليب. الم تجدوا
حديثى كان حقا. وامر الله ياخذ بالقلوب. وقال اخر يذكر قتلى بدر من المشركين
فماذا بالقليب قليب بدر. من الشيزى تكلل بالسنام. ومعنى وهل فى ذكر القليب
انه روى ان النبى ص وقف على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعدكم ربكم
حقا ثم قال ص انهم ليسمعون ما اقول فانكر ذلك عليه وقيل انما قال صلى الله عليه

الرز لعجلهم ... من كعان

فماذا بالقليب قليب بدر
من القينات والشرب الكرام
الفتيان

انهم الان ليعلمون ان الذى كنت اقول لهم هو الحق واستشهد عليه بقوله تعالى
فانك لا تسمع الموتى واهل القليب جماعة من قريش فيهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة
والوليد بن عتبة وغيرهم وروى عن عبد الله بن مسعود انه قال بينا النبى صلى الله عليه وآله
ذات يوم قائما يصلى بمكة واناس من قريش فى حلقة فيهم ابو جهل بن هشام
فقال الا رجل يمنع احدكم ان ياتى الجزور التى نحرها آل فلان فياخذ سلاها ثم ياتى به
حتى اذا سجد وضعه على ظهره قال عبد الله فانبعث اشقى القوم وانا انظر اليه
فجاء به حتى وضعه على ظهره قال عبد الله فلو كانت لى يومئذ منعة لمنعته
وجاءت فاطمة عليها السلم وهى يومئذ صبية حتى اماطته عن ظهر ابيها ثم جاءت حتى
قامت على رؤسهم فاوسعتهم شتما قال فوالله لقد رايت بعضهم يضحك حتى انه
ليطرح نفسه على صاحبه من الضحك فلما سلم النبى ص واقبل على القوم وقال اللهم
عليك لفلان وفلان فلما راوا النبى ص قد دعا عليهم اسقط فى ايديهم فوالله الذى لا
اله غيره ما سمى النبى ص يومئذ احدا الا وقد رايته يوم بدر وقد اخذ برجله يجره الى القليب
مقتولا قوله فياخذ سلاها اى جلدها التى فيها ولدها ما دام فى بطنها والجمع الاسلاء
قال ابن حبيب الاسلاء التى فيها الاولاد وقال الاخطل. يطرحن بالثغر السخال كانما.
يشققن بالاسلاء اردية العصب. وقال الشماخ العبسى. والعيس دامية المناسم ضمر.
يقذفن بالاسلاء تحت الاركب وقال الفراء سقط فى ايديهم من الندامة وسقط وا
لغتان وهى بغير الف اكثر واجود ويمكن ان يكون فى قوله عليه السلم يعذب ببكاء اهله وجه
اخر وهو ان يكون المعنى ان الله تعالى اذا اعلمه ببكاء اهله واعزته عليه وما لحقهم بعده
من الحزن والهم تالم بذلك فكان عذابا له والعذاب ليس بجار مجرى العقاب الذى
لا يكون الا على ذنب المتقدم بل قد يستعمل كثيرا بحيث يستعمل الالم والضرر الا ترى
ان القايل قد يقول لمن ابتداه بالضرر والالم قد عذبتنى بكذا واذيتنى كما يقول
اضررت بى وانما لم يستعمل العقاب حقيقة فى الالم المبتدا من حيث كان اشتقاق لفظه
من العاقبة التى لا بد من تقدم سبب لها وليس هذا فى العذاب تاويل خبر

والمتن

ان سئل سائل عن الخبر الذي يرويه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من احد يدخله عمله الجنة وينجيه من النار قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل يقولها ثلثا فقال اليس في هذا دلالة على ان الله تعالى يتفضل بالثواب وانه غير مستحق عليه ومذهبكم بخلاف ذلك الجواب قلنا فائدة الخبر ومعناه بيان فقر المكلفين الى الله تعالى وحاجتهم الى الطافه وتوفيقاته ومعوناته وان العبد لو احوج الى نفسه وقطع الله تعالى مواد المعونة واللطف عنه لم يدخل بعمله الجنة ولا نجا من النار فكانه عليه السلم اراد ان احدا لا يدخل الجنة بعمله الذي لم يعنه الله تعالى عليه ولا لطف له فيه ولا ارشده اليه الجنة وهذا هو الحق الذي لا شبهة فيه فاما الثواب فما نابى القول بانه تفضل بمعنى ان الله تعالى تفضل بسببه الذي هو التكليف ولهذا نقول انه لا يجب عليه تعالى شئ ابتدا وانما يجب عليه ما اوجبه على نفسه فالثواب مما كان اوجبه على نفسه بالتكليف وكذلك التمكين والالطاف وكلما يوجبه ويجلبه التكليف ولولا ايجابه له على نفسه بالتكليف لما وجب فان قيل فقد سمى الرسول صلى الله عليه وسلم ما يفعل به تفضلا فقال عليه السلم الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل قلنا هذا يطابق ما ذكرناه لان الرحمة النعمة والثواب نعمة وهو فضل وتفضل من الوجه الذي ذكرناه وان حملنا قوله عليه السلم برحمة منه وفضل على ما يفعل به من الالطاف والمعونات فهي ايضا فضل وتفضل لان سببها غير واجب فاما قوله عليه السلم يتغمدني فمعناه يسترني يقال غمدت السيف اذا سترته قال الشاعر. نصبنا وما خافوا حدّ عامر. كظل السماء كل ارض تغمدا. فالجد هيهنا الحظ وشبه ما قسم لعامر من الغلبة والظفر بظل السماء الذي يستر كل شئ ويظهر عليه اخبرنا القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى حنيقا قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن احمد الحكيمي قراءة عليه قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى النحوي ثعلب قال اخبرنا ابن الاعرابي قال يقال للقوم اذا دعوت عليهم بهرهم الله والمبهور المكروب وانشدنا. ابرزوها مثل المهاة تهادى. بين خمس كواعب اتراب.

ثم قالوا تحبها قلت بهرا. عدد القطر والحصى والتراب. قال المرتضى رضي الله عنه وقد قيل في معنى قوله بهرا غير هذا الوجه اخبرنا ابو عبد الله محمد بن عمران المرزباني قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا القاسم بن اسمعيل قال حدثنا التوزي عن ابي عمرو الاسدي قال سمعت ابا عمرو بن العلا يقول عمر بن ابي ربيعة حجة في العربية وما اخذ عليه شئ الا قوله ثم قالوا تحبها قلت بهرا وله فيه عندي عذر ان اراد الخبر لا الاستفهام كانهم قالوا انت تحبها على جهة الاخبار لا الاستفهام فاكذبهم اخبار بجوابه فهذا حسن وبهرا يجوز ان يكون اراد نعم حبا بهرني بهرا ويكون ايضا بمعنى عقرا وتعسا دعا عليهم اذ جهلوا من حبه لها ما لا يجهل مثله وانشد ابو عمرو لحى الله قومي اذ يبيعون مهجتي. بجارية بهرا لهم بعدها بهرا. قال ابو عمرو ويكون بهرا بمعنى ظاهرا يريد حبا ظاهرا من قولهم قمر باهر وقد روى بعض الرواة انه قال قيل لي تحبها قلت بهرا والرواية الاولى هي المشهورة ولعل من روى ذلك فرّ بهذه الرواية من اللحن وهذان البيتان لعمر بن عبد الله بن ابي ربيعة المخزومي من جملة ابيات منها. من رسولي الى الثريا باني. ضقت ذرعا بهجرها والكتاب. وهي مكنونة تحير منها. في اديم الخدين ماء الشباب. سلبتني مجاج المسك عقلي. فسلوها بما يحل اغتصابا. ازهقت ام نوفل اذ دعتها. مهجتي ما لقاتلي من متاب. ابرزوها مثل المهاة تهادى. بين خمس كواعب اتراب. ثم قالوا تحبها قلت بهرا. عدد القطر والحصى والتراب. والثريا هذه التي عناها عمر بن ابي ربيعة اموية وقد اختلف في نسبها فقيل انها الثريا بنت عبد الله بن الحارث بن امية الاصغر بن عبد الشمس وقيل انها الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن امية الاصغر وذكر الزبير بن بكار ان الثريا هي بنت عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن امية الاصغر وانها اخت محمد بن عبد الله المعروف بابي جراب العبلي الذي قتله داود بن علي واخبرنا ابو عبد الله المرزباني قال حدثني عمر بن ابرهيم قال حدثنا محمد بن يحيى عن الزبير بن بكار قال حدثني موسى بن عمران بن ابي افلح قال حدثني بلال مولى ابن

ابى عتيق فى حديث طويل لعمر بن ابى ربيعة مع الثريا اختصرناه واوردنا بعضه قال سمع
ابن ابى عتيق قول عمر من رسولى الى الثريا فقال اياى اراد وبى نوّه لاجرم والله
لاذوق اكلا حتى اشخص اليه لاصلح بينهما فنهض ونهضت معه فجاء قوم
من بنى الديل من بنى بكر لم تكن تفارقهم النجايب يكرونها فاكترى منهم راحلتين واغلى
لهم بهما فقلت له استوضعهم شيئا اودعنى اماكسهم فقد اشتطوا فقال لى ويحك
اما علمت ان المكاس ليس من خلق الكرام وركب احدهما وركبت الاخرى فسار
سيرا شديدا فقلت له ارفق على نفسك فانما تريد لا يفوتك فقال ويحك اباد
حبل الود ان يتقضيا وماسلم الدنيا ان يتم التصدع بين عمر والثريا فقدمنا مكة ملح ...
ليلا غير محرمين فدق على عمر بابه فخرج اليه فسلم عليه فما نزل ابن ابى عتيق عن
راحلته وقال اركب اصلح بينك وبين الثريا فانا رسولك الذى ارسلت عنه فركب معه
فقدمنا الطايف فقال ابن ابى عتيق للثريا هذا عمر قد جشمنى سفر المدينة اليك
فجئتك به معترفا بذنب لم يجنه معتذرا من اساءته اليه فدعينى من التعداد
والترداد فانه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون فصالحته احسن صلح
وكررنا الى المدينة ولم يقم ابن ابى عتيق بمكة ساعة واحدة وفى الثريا يقول عمر ايضا لما
تزوجها سهيل بن عبد الرحمن المكنى بابى الابيض وقيل بل تزوجها سهيل بن عبد ابن عوف
العزيز بن مروان . ايها المنكح الثريا سهيلا . عمرك الله كيف يلتقيان . هى
شامية اذا ما استقلت . وسهيل اذا ما استقل يمان المجلس الخامس والعشرون

تاويل اية ان سئل سائل عن قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم

وقال ما الفائدة فى قوله تعالى ما غشيهم وقوله تعالى غشيهم يدل عليه ويستغنى
به عنه لان غشيهم لا يكون الا بالذى غشيهم وما الوجه فى ذلك قلنا
قد ذكر فى هذا اجوبة احدها ان يكون المعنى فغشيهم من ماء اليم البعض الذى غشيهم
لانه لم يغشهم جميع الماء بل غشيهم بعضه فقال الله تعالى ما غشيهم ليدل
ان الذى غرقهم بعض الماء وانهم لم يغرقوا بجميعه وهذا الوجه يحكى عن الفرا

وذكره ابن الانبارى واعتمده وغيره اوضح منه واليم هو البحر قال الشاعر . وبنى تبع على
اليم قصرا . عاليا مشرفا على البنيان وثانيها ان يكون المعنى فغشيهم من ماء اليم
ما غشى موسى واصحابه وذلك ان موسى عليه السلم واصحابه وفرعون واصحابه سلكوا
جميعا البحر وغشيهم كلهم الا ان فرعون وقومه لما غشيهم غرقهم وموسى
وقومه جعل الله لهم فى البحر طريقا يبسا فقال تعالى فغشى فرعون من فرعون وقومه
من ماء اليم ما غشى موسى وقومه فنجا هولاء وهلك هولاء وعلى هذا التاويل
يكون الهاء والميم فى قوله تعالى ما غشيهم كناية عن غير من كنى عنه بقوله فغشيهم
لان الاولى كناية عن فرعون وقومه والثانية كناية عن موسى وقومه و
ثالثها انه غشيهم من عذاب اليم واهلاكه لهم ما غشى الامم السالفة من العذاب
والهلاك عند تكذيبهم انبياءهم واقامتهم على رد اقوالهم والعدول عن ارشادهم
والامم السالفة وان لم يغشهم العذاب والهلاك عند تكذيبهم انبياءهم
واقامتهم على رد اقوالهم والعدول عن ارشادهم والامم السالفة وان لم يغشهم
العذاب والهلاك من قبل البحر فقد غشيهم عذاب واهلاك استحقوهما بكفرهم
وتكذيبهم انبياءهم فشبه بينهم وبين هولاء من حيث اشتمال العذاب على جميعهم
عقوبة على التكذيب ورابعها ان يكون المعنى فغشيهم من قبل اليم ما غشيهم
من العطب والهلاك فتكون لفظة غشيهم الاولى للبحر والثانية للاهلاك
والعطب اللذين لحقاهم من قبل البحر ويمكن فى الاية وجه اخر لم يذكر فيها وهو
واضح بين يليق بمذاهب العرب فى استعمال مثل هذا اللفظ وهو ان تكون الثانية
فى قوله تعالى ما غشيهم تعظيم الامر وتفخيمه كما يقول القايل فلان فعل ما فعل واقدم فغشيهم من اليم
على ما اقدم اذا اراد التفخيم وكما قال تعالى وفعلت فعلتك التى فعلت ومما يجرى
هذا المجرى ويدخل فى هذا الباب قولهم للرجل هذا هذا وانت انت وفى
القوم هم هم قال الهذلى . رفونى وقالوا يا خويلد لا ترع . فقلت وانكرت الوجوه هم هم
وقال ابو النجم . انا ابو النجم وشعرى شعرى . كل ذلك ارادوا تعظيم الامر وتكبيره تاويل

ايه اخرى ان سئل سائل عن قوله تعالى فخر عليهم السقف لان مع الاقتصار على القول الاول لايذهب وهم احد الى ان السقف يخر من تحتهم وثانيها الجواب قيل له في ذلك اجوبة اولها ان يكون معنى على بمعنى عن فيكن المعنى فخر عليهم السقف من فوقهم اى خر عن كفرهم وعن جحودهم بالله تعالى واياته كما يقول القايل اشتكى فلان عن دواء شربه وعلى دواء شربه فيكون على وعن بمعنى واحد اى من اجل الدواء وكذلك يكون معنى الايه فخر من اجل كفرهم السقف من فوقهم قال الشاعر

اري عليها وهي فرع اجمع . وهي ثلث اذرع واصبع اراد ارمي عنها لان الكلام العرب رميت عن القوس فاقام على مقام عن ولو انه تعالى قال على هذا التحقيق فخر عليهم السقف خر وليسوا هم تحته وثانيها ان يكون على بمعنى اللام والمراد فخر لهم السقف فان على قد يقام مقام اللام وحكي عن العرب ما اغيظك علي وما اغمك علي يريدون ما اغيظك وما اغمك لي وقال الطرماح يصف ناقته . كان نجواها على ثفناتها . معرس خمس وقعت للجناجن . اراد وقعت على الجناجن وهي عظام الصدر واقام اللام مقام على وقد يقول القايل ايضا تداعت على فلان داره واستهدم عليه حايطه ولا يريد انه كان تحته فاخبر تعالى بقوله من فوقهم عن فايدة لولاه ما فهمت ولجاز ان يتوهم متوهم في قوله تعالى فخر عليهم السقف ما يتوهمه من قولهم خرب عليه ربعه ووقف عليه دابته واشباه ذلك وللعرب في هذا مذاهب طريق لطيف لانهم لا يستعملون لفظة على في مثل هذا الموضع الا في الشر والامر المكروه الضار ويستعملون اللام وغيره في خلاف ذلك الا ترى انهم لا يقولون عمرت على فلان ضيعته بدلا من قولهم خربت عليه ضيعته ولا ولدت عليه جاريته بل يقولون عمرت له ضيعته وولدت له جاريته وكذا من شانهم اذا قالوا على ورووا على فانه يقال في الشر والكذب وفي الخير والحق يقولون قال عني وروي عني ومثل ذلك قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن لانهم لما اضافوا الشر والكفر الى ملك سليمان

من فوقهم واتيهم العذاب من حيث لا يشعرون فقال ما الفايدة في قوله من فوقهم وهو لا يفيد الا ما يفيد قوله فخر عليهم السقف

ولم يقل من فوقهم جاز ان يتوهم متوهم ان السقف

اى حسن نوق يعني كان تجاويف ا عضائها التجافيه عند البروك معرس خمس نوق

حسن يقال

حسن ان يقال يتلون عليه ولو كان خيرا قيل عنه ومثله يقولون على الله الكذب وهم يعلمون وقوله تعالى اتقولون على الله ما لا تعلمون وقال الشاعر

عرضت نصيحة مني ليحيى . فقال غششتني والنصح مر . وما بي ان اكون اعيب يحيى . ويحيى طاهر الاخلاق بر . ولكن قد اتاني ان يحيى . يقال عليه في بقعاء شر . فقلت له تجنب كل شيء . يعاب عليك ان الحر حر . ومثله قول الفرزدق في عنبسة بن معدان المعروف بعنبسة الفيلي وقد كان يتتبع شعره ويخطئه ويلحنه . لقد كان في معدان والفيل زاجر . لعنبسة الراوي علي القصايد . فقال علي ولم يقل عني للمعنى الذي ذكرناه وثالث الوجوه في الاية ان يكون من فوقهم تاكيدا وزيادة في البيان للكلام

كما قال تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والقلب لا يكون الا في الصدر ونظاير ذلك في الكتاب وكلام العرب كثيرة تاويل خبر ان سئل سائل عن الخبر الذي يرويه نافع عن ابي اسحق الهجري عن ابي الاحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان هذا القران مادبة الله فتعلموا مادبته ما استطعتم وان اصغر البيوت لجوفا اصغر من كتاب الله فقال ما تاويله وكيف بيان غريبه

الجواب قلنا المادبة في كلام العرب هي الطعام يصنعه الرجل ويدعو الناس اليه فشبه عليه السلم ما يكتسبه الانسان من خير القران ونفعه وفايدته عليه اذا قراه وحفظه بما يناله المدعو من طعام الداعي وانتفاعه به ويقال ادب الرجل يادب ادبا فهو ادب اذا دعى الناس الى طعامه ويقال للمادبة المدعاة وذكر الاحمر انه يقال فيها ايضا مادبة بفتح الدال قال طرفة بن العبد . نحن في المشتاة ندعو الجفلى . لا ترى الادب فينا ينتقر . ومعنى الجفلى انه عم بدعوته ولم يخص بها قوما دون قوم ومعنى ينتقر من النقرى اذا خص بها بعضا دون بعض قال بعض هذيل . وليلة يصطلي بالفرث جازرها . يختص بالنقرى المثرين داعيها . لا ينبح الكلب فيها غير واحدة . عند الصياح ولا يسري افاعيها . معنى يصطلي بالفرث جازرها ان الجازر اذا شق الكرش ادخل يده لشدة البرد في الفرث مستدفيا به ومعنى يختص بالنقرى المثرين داعيها

لشدة البرد

لشدة البرد

انه يخص بدعائه الى طعامه الاغنياء الذين يطمع من جهتهم في المكافاة وقال الاخر
قالوا ثلاثا ؤه حضب ومادبة. وكل ايامه يوم الثلاثاء. وقال الهذلي يصف عقابا.
كان قلوب الطير في جوف وكرها. نوى القسب يلقى عند بعض المادب. اراد به
جمع مادبه وقد روى هذا الحديث بفتح الدال المادبة وقال الاحمر المراد بهذه اللفظة
مع الفتح هو المراد بها مع الضم وقال غيره المادبة بفتح الدال مفعلة من الادب معناه
ان الله تعالى انزل القران ادبا للخلق وتقويما لهم وانما دخلت الهاء في مادبة ومادبه
والقران مذكر بمعنى المبالغة كما قالوا هذا شراب مطيبة للنفس وكما قال عنترة.
والكفر مخبثة لنفس المنعم. وجرى ذلك مجرى قولهم رجل علامة ونسابة في باب
المدح على جهة التشبيه بالداهية ورجل هلباجة في باب الذم على جهة التشبيه
بالبهيمة ويقال لطعام الاملاك وليمة ولطعام الزفاف العرس ولطعام الختان
العذيرة ولطعام بناء الدار الوكيرة ولطعام حلق شعر الراس العقيقة ولطعام القادم
من سفره النقيعة ولطعام النفاس الخرس والذي تطعم النفساء الخرسة قال الشاعر.
اذا النفساء لم تخرس ببكرها. غلاما ولم يسكت بحتر فطيمها. الحتر الشي القليل وقال
الاخر. كل الطعام تشتهي ربيعة. الخرس والاعذار والنقيعة. ويروى العرس
وينشد ايضا في النقيعة. انا لنضرب بالسيوف رؤسهم. ضرب القدار نقيعة
القدام. والقدار والجزار والقدام جمع قادم قال ابو زيد يقال لطعام الاملاك
النقيعة ولطعام بناء الدار الوكيرة والوكيرة ولطعام الختان العقيقة الاعذار والعذيرة
وقال الفرا الشندخي طعام الاملاك والوليمة طعام العرس وقال ابو زيد يقال من
النقيعة نقعت وقال الفرا يقال منها انقعت وقال ابن السكيت يقال للطعام الذي
يتعلل به قبل الغدا السلفة واللهنة يقال الهنوا ضيفكم اي اطعموه اللهنة قال
الشاعر. عجبت من سلمى وانى يكون لها... عجيز عارضها منفل. طعامها اللهنة اوقل. وقال ابن السكيت يقال
فلان ياكل الوجبة اذا كان ياكل اكلة في اليوم وقال الاصمعي فلان ياكل الوجبة اذا كان
ياكل اكلة في اليوم والليلة اكلة قال الشاعر. فاستغن بالوجبات عن ذهب. لم يوملك

اي ضعيف جاهل
الطعام
قول المهلهل
تبل يسم
قال الاصمعي لرجل

لامرؤ ذهبه. وقال ابن السكيت قال الاصمعي لرجل اسرع في سيره كيف كان سيرك
قال كنت آكل الوجبة وانجو الوقعة واعرس اذا فجرت وارتحل اذا اسفرت واسير
الوضع واجتنب الملع سيرفيه بعض الاسراع والملع سير اشد منه فاراد انه يجتنب الشديد
من السير كراهية ان يقف ظهره قبل ان يبلغ الارض التي يقصدها ويقال شر السير
الحقحقة اي السير الشديد الذي يقطع صاحبه عن بلوغ بغيته قال الشاعر. اذا الارض
الارض ثم تباعدت. عليك فضع رحل المطية وانزل. اي استرح حتى تقوى
على السير فان جهدت نفسك لم تقطع ارضا ولم تبق ظهرا وهذا من ابيات
المعاني التي يسئل عنها والذي قيل فيه ما ذكرنا ويمكن ايضا ان يكون معنى البيت اذا
بعدت عليك ارض فدعها واسئل عنها كما يقال دواء ما عز مطلبه الصبر وما
جرى مجرى ذلك من الفاظ التسلية والامر بالعدول عن تتبع ما صعب من الامور
وقال الاخر في معنى البيت الاول. يقطع بالنزول الارض عنا. وبعد الارض يقطعه
النزول. وقوله جئتكم لمسى سبع معناه لمساء سبع ليال. ويقال للذي يحضر طعام
القوم من غير ان يدعا اليه الوارش والوروش وقول العامة طفيلي مولد لا يوجد
في العتيق من كلام العرب واصل ذلك ان رجلا يقال له طفيل كان بالكوفة لا يقعد عن وليمة
من غير ان يدعا اليها واغل قال امرء القيس. فاليوم اشرب غير مستحقب. اثما
من الله ولا واغل. ويقال للداخل على الشرب الواغل والوغل قال الشاعر. ان اك مسكيرا
فلا اشرب الوغل. ولا يسلم مني البعير. وقوله ان اصفر البيوت لجوف اصفر من
كتاب الله تعالى معناه ان اخلى البيوت والصفر عند العرب الخالي من الانية وغيرها
ويمكن في قوله عليه السلام مادبة وجه اخر وهو ان يكون وجه التشبيه للقران بالمادبة
وتسميته بها من حيث دعا الخلق السلام هم بالاجتماع عليه فسماه عليه السلم
مادبة لهذا الوجه لان المادبة هي التي يدعى الناس اليها ويجتمعون عليها وهذا
الوجه يخالف الاول لان الاول تضمن ان وجه التشبيه من حيث النفع الوارد العائد
على الحافظ للقران كما ينتفع المدعو الى المادبة بما يصيبه من الطعام وهذا

واجتنب الملع فجئتكم لمسى سبع قوله الجز الو تتمة
معناه اقضي حاجتي مرة في اليوم وهو من النجو
وقوله اسير الوضع فالوضع

فقيل للوارش طفيلي تشبيها بطفيل هذا في وقته
ويقال للذي يحضر شراب القوم من غير ان يدعى له

لبيت مع

الوجه الاخر تضمن ان التشبيه وقع لاجل اجتماع الشاكر في الدعاء اليه والارتاح
الى اصابته وليس ببعيد ان يريد عليه السلم بالخبر المعنيين معا فلاتنافي بينهما اخبرنا
ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم قال كنا
في مجلس الاصمعي اذ اقبل اعرابي فقال لابن عميله كم فاشرنا الى الاصمعي فقال له ما معنى
قول الشاعر. لامال الا العطاف توزره. ام ثلثين وابنة الجبل. لا يرتقي النز في
ذلاذله. ولا يعدي نعليه من بلل. فقال الاصمعي. عصرته نطفة تضمنها.
لصب تلقى مواقع السبل. او وجبة من جناة اشكلة. ان لم يرعها بالقوس لم تنل
قال فادبر الاعرابي وهو يقول لم اركاليوم عضلة قال ابن دريد انما وصف رجلا
خايفا في راس جبل يقال لامال له الا العطاف وهو السيف توزره ام ثلثين
يعني كنانة فيها ثلثون سهما وابنة الجبل يعني القوس لانها تعمل من شجر الجبال مثل النبع
وغيره وقوله لا يرتقي النز في ذلاذله لانه في راس جبل فلا نز هناك يتعلق بما
يفضل من ثيابه ولا بلل يعدي نعليه عنه والعصرة الملجاء والنطفة الماء
المجتمع في صخرة او غيرها من بقية المطر واللصب الشق في الجبل اضيق من اللهب
واوسع من الشقب والسبل المطر والوجبة الاكل كل يوم مرة والاشكل السدر
الجبلي واحدته اشكلة يقول فهذه النطفة والوجبة من الاشكلة عصرتاه وقوله
ان لم يرعها بالقوس يعني انها الاثمار باليد حتى تحرك بالقوس قال المرتضى رض
وانما جعل الاصمعي انشاد باقي الابيات دلالة على معرفة معناها والاعرابي
انما سأله عن المعنى فاقام انشاده لها مقام تفسيرها واستغنى الاعرابي بذلك
لعلمه بانه ما للابيات معرفته بمعناها وكان الاصمعي كثيرا اذا انشد شيئا من الشعر
ينشد في معناه في الحال فمن ذلك ان اسحق بن ابرهيم الموصلي انشده يوما لنفسه
اذا كانت الاحرار اصلي ومنصبي وقام بنصري حازم وابن حازم. عطست بانف
شامخ وتناولت. يداي الثريا قاعدا غير قائم. قال فلما فرغ من انشادهما انشدت بعقب
ذلك. الا ايها السائلي جاهلا. ليعرفني انا انف الكرم. نمت في الكرام
بني عامر. فروعي واصلي قريش العجم. قال فجاء والله بالشعر الذي نحوته وعلمت
بيتي عليه واخبرنا ابو عبد الله المرزباني قال حدثنا عون بن محمد قال حدثنا اسحق
بن ابرهيم قال ما انشدت الاصمعي شيئا قط الا انشدني مثله كانه اعده لي
فانشدته يوما للاعشى علقتها عرضا. وعلقت رجلا غيري. وعلق اخرى غيرها
الرجل فانشدني من وقته. قتلتنا اخت بني لوي اذ رمت. واصاب نبلك
اذ رميت سواها. واعارها الحدثان منك مودة. واعار غيرك ودها وهواها.
وذكر ابو العينا قال كان الاصمعي اذ اسمع انسانا ينشد شعرا في معنى انشد
في ذلك المعنى من غير ان يريه انه اراده فانشده رجل قول القطامي والناس من يلق
خيرا قائلون له. ما يشتهي ولام المخطي الهبل. فانشده من قول قعنب الفزاري
فمن يلق خيرا يحمد الناس امره. ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وروى ميمون
بن هرون قال سمعت اسحق بن هرون يقول انشدت الاصمعي قول الاعشى
طلبا ان ينشدني مثله وكان مع بخله بالعلم لا يضن بمثل هذا. ان تركبوا
فركوب الخيل عادتنا. او تنزلون فانا معشر نزل. فانشدني لربيعة بن مقروم الضبي
ولقد شهدت الخيل يوم طرادها. بسليم اوظفة القوايم هيكل. فدعوا نزال فكنت
اول نازل. وعلام اركبه اذا لم انزل وروى عن اسحق بن ابرهيم ايضا انه قال
دخل الي يوما الاصمعي وعندي لحى العماني الراجز حافظ راوية فلما دخل عبث به
اخو العماني فقال له من هو الباهلي الذي يقول. فما صخرة ما دومة باهلية. باطيب
من فيها ولا رطب. فقال له قبل ان يستتم كلامه هو على كل حال اصلح من قول اخيك
العماني. يا رب جارية حوراء ناعمة. كانها عومة في جوف راقول. قال اسحق فقلت له
اكنت اعددت هذا الجواب قال لا ولكن ما مر بي شيء الا وانا اعرفه
المجلس السادس والعشرون في تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى وقالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم
فقال اي معنى لقوله تعالى بافواههم ومعلوم ان القول لا يكون الا بالافواه

الجواب قلنا القول يحتمل معنيين في لغة العرب احدهما القول باللسان والاخر بالقلب
فالقول الذي يضاف الى القلب هو الظن والاعتقاد ولهذا المعنى ذهبت العرب
بالقول مذهب الظن فقالوا اتقول عبد الله خارجا ومتى تقول عبد الله منطلقا
تريدون متى تظن قال الشاعر. اما الرحيل فدون بعد غد. فمتى تقول الدار تجمعنا.
اراد متى تظن الدار وقال الاخر اجهالا تقول بني لوي. لعمر ابيك ام متجاهلينا.
اراد تظن بني لوي وقال توبة الحمير. الا يا صفي النفس كيف تقولها. لو ان طريدا
خايفا يستجيرها. تخبران شطت بنا غربة النوى. ستنعم ليلى او يفك اسيرها.
اراد كيف تظنها فلما كان القول يستعمل في الامرين معا افاد قوله تعالى بافواههم
قصر المعنى على ما يكون باللسان دون القلب ولو اطلق تعالى القول ولم يات بذكر
الافواه لجاز ان يتوهم المعنى الاخر ومما يجوز ان يشهد لذلك قوله تعالى اذا جاءك
المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد
ان المنافقين لكاذبون فلم يكذب تعالى قول السنتهم لانهم لم يخبروا بافواههم
الا بالحق بل كذب ما يرجع الى قلوبهم من الاعتقادات ووجه اخر وهو ان تكون
الفايدة في قوله تعالى بافواههم ان القول لا برهان عليه وانه باطل كذب لا يرجع
فيه الا الى مجرد القول باللسان لان الانسان قد يقول بلسانه الحق والباطل
وانما يكون قوله حقا اذا كان راجعا الى برهان فكيف تكون اضافة القول
الى اللسان يقتضي ما ذكرناه من الفايدة وهذا كما يقول القايل لمن يشك في قوله
او يكذب به هكذا يقول لسانك وليس الشان فيما تقوله وتتفوه به وتقلب به لسانك
فكانهم ارادوا ان يقولوا هذا قول لا برهان عليه فاقاموا قولهم هكذا تقول
بلسانك وانما يقولون كذا بافواههم مقام ذلك والمعنى انه قول لا تعضده حجة ولا
برهان ولا يرجع فيه الا الى اللسان ووجه اخر وهو ان تكون الفايدة في ذلك
التاكيد فقد خرجت بها عادة العرب في كلامها وما تقدم من الوجهين اولى
ولان تحمل كلامه تعالى على الفايدة اولى من حمله على ما تسقط معه الفايدة تاويل اخرى

ان سئل

ان سئل سائل عن قوله تعالى الم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود
والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم
في افواههم. فقال اي معنى لرد الايدي في الافواه واي مدخل لذلك في التكذيب
بالرسل الجواب قلنا في ذلك وجوه اولها ان يكون اخبارا عن القوم بانهم ردوا
ايديهم في افواههم عاضين عليها غيظا وحنقا على الانبياء عليهم السلم كما يفعل المتوعد
لغيره المبالغ في معاندته ومكايدته وهي عادة معروفة في المغيظ المحنق انه يعض
على اصابعه ويفرك انامله ويضرب باحدى يديه على الاخرى وما شاكل ذلك
من الافعال وثانيها ان يكون الهاء في الايدي للكفار المكذبين والهاء التي في الافواه
للرسل عليهم السلم فكانهم لما سمعوا وعظ الرسل ودعاءهم وانذارهم اشاروا
بايديهم الى افواه الرسل مانعين لهم من الكلام كما يفعل المسكت منا لغيره الراد لحاجته
عليه قوله وثالثها ان تكون الهاء التي في الايدي والتي في الافواه معا للرسل
والمعنى انهم كانوا ياخذون ايدي الرسل فيضعونها على افواههم ليسكتوهم
ويقطعوا كلامهم ورابعها ان تكون الهاءان جميعا ترجعان الى الكفار
لا الى الرسل ويكون المعنى انهم اذا سمعوا وعظهم وانذارهم وضعوا ايدي
انفسهم على افواههم مشيرين اليهم بذلك الى الكف عن الكلام والامساك
عنه كما يفعل من يريد منا تسكيت غيره ومنعه عن الكلام من وضع اصبعه
على في نفسه وخامسها ان يكون المعنى فردوا القول بايدي انفسهم الى
افواه الرسل اي انهم كذبوهم ولم يصغوا الى اقوالهم فالهاء الاولى للقوم
والثانية للرسل والايدي انما ذكرت مثلا وتاكيدا كما يقول القايل فلان
اهلك نفسه بيده اي وقع الهلاك به من جهته لا من جهة غيره وسادسها
ان المراد بالايدي النعم وفي محمولة على الباء والهاء الثانية للقوم المكذبين
والتي قبلها للرسل والتقدير فردوا بافواههم نعم الرسل اي ردوا وعظهم
وانذارهم وتنبيههم على مصالحهم الذي لو قبلوه لكان نعما عليهم ويجوز ايضا بنيهم ع

ان يكون الهاء التى فى الايدى للقوم الكفار لانها نعم من الله تعالى عليهم فيجوز
اضافتها اليهم وحمل لفظة فى على معنى الباء جايز لقيام بعض الصفات مقام بعض
يقولون رضيت عنك ورضيت عليك وحكى فى لغة طى ادخلك الله بالجنة
يريدون فى الجنة فيعبرون بالباء عن معنى فى كذلك ايضا يصح ان يعبروا
بفى عن الباء وقال الشاعر. وارغب فيها عن لقيط ورهطه. ولكننى عن سنبس
لست ارغب. اراد وارغب بها فحمل فى على الباء وسابعها وهو جواب
اختاره ابو مسلم بن بحر وزعم انه اولى من غيره وقال المضمرون فى قوله تعالى ايديهم
الرسل وكذلك المضمرون فى افواههم والمراد باليد هيهنا ما نطق به الرسل
من الحجج والبينات التى ذكره الله تعالى انهم جاؤا بها قومهم واليد قد تقع فى كلام
العرب على النعمة وعلى السلطان ايضا وعلى الملك وعلى العهد والعقد ولكل ذلك
شاهد من كلامهم والذى اتى به الانبياء قومهم هو الحجة والسلطان وهو
النعمة وهو العهد وكل ذلك يقع عليه اسم اليد ولما كان ما يعظ به الانبياء قومهم
وينذرونهم به انما يخرج من افواههم فردوه وكذبوه قيل انهم ردوا ايديهم فى
افواههم اى انهم ردوا القول من حيث جاء قال ولا يجوز ان يكون الضمير فى ذلك
للمرسل اليهم كما تأوله بعض المفسرين وذكر ان معناه انهم عضوا اناملهم غيظا لان
الواضع يده الى فيه والعاض عليها لا يسمى رادا اليد الى فيه الا اذا كانت يده
فى فيه فيخرجها ثم يردها قال المرتضى رضى الله عنه وليس ما استنكره ابو مسلم
من رد الايدى الى الافواه بمستنكر ولا بعيد لانه قد يقال رد يده الى فيه والى
وجهه وعاد فلان يقول كذا ورجع يفعل كذا وان لم يتقدم ذلك الفعل ولو لم يسغ
هذا القول تحقيقا لساغ تجوزا واتساعا وليس يجب ان تؤخذ العرب بالتحقيق
فى كلامها فان تجوزها واستعارتها واتساعها اكثر على انه يمكن ان يكون المراد
بذلك انهم فعلوا ذلك الفعل شيئا بعد شىء وتكرر منهم فلهذا جاز ان تقول
ردوا ايديهم فى افواههم لانه قد تقدم منهم مثل هذا فلما تكرر جازت العبارة عن
الفعل

بالرد وهذا يبطل استضعافه للجواب اذا صرنا الى مراده تاويل خبر روى ان
مسلم الخزاعى ثم المصطلقى قال شهدت رسول الله ص وقد انشده منشد قول
سويد بن عامر المصطلقى. لا تامنن وان امسيت فى حرم. ان المنايا بكفى كل
انسان. واسلك طريقك تمشى غير مختشع. حتى تبين ما يمنى لك المانى.
فكل ذى صاحب يوما يفارقه. وكل زاد وان ابقيته فان. والخير والشر
مقرونان فى قرن. بكل ذلك ياتيك الجديدان. فقال رسول الله ص لو ادرك هذا
الاسلام فبكى مسلم فقال له ابنه يا ابة ما يبكيك من مشرك مات فى الجاهلية
فقال يا بنى لا تفعل فما رايت مشركة تلقفت من مشرك خير من سويد قوله ما يمنى
لك المانى معناه ما يقدر لك القادر قال الفراء يقال منى الله عليه الموت اى
قدر الله عليه الموت وقال يعقوب مناك الله بما يسرك اى قدر لك ما يسرك.
وانشد لعمر ابى عمرو لقد ساقه المنى. الى جدث له يوزى له بالاهاضب. قال
ابن الاعرابى ساقه المنى اى ساقه القدر وانشد ابن الاعرابى. منت لك ان تلاقينى
المنايا. احادا احادا فى الشهر الحلال. معناه قدرت لك وقال ابو عبيد فى قوله
من نطفة اذا تمنى معناه اذا يخلق ويقدر وقال بعض اهل اللغة انما سمى
منى لما يمنى فيه من ثواب الله اى يقدر فيه وقيل ايضا بما يمنى فيه من الدم وقيل
انما سمى بذلك لان ابرهيم عليه السلم لما انتهى اليه قال له الملك تمن فقال
اتمنى الجنة فسمى منى لذلك ومنى يذكر ويؤنث فى التذكير اجود قال الشاعر فى التذكير
سقى منى ثم رواه وساكنه. ومن ثوى فيه واهى الودق منبعق. وقال الاخر فى التانيث
ليوم منى اذ نحن ننزلها. اسر من يومنا بالعرج او ملل. فاما قوله والخير والشر مقرونان
فى قرن والقرن الحبل واراد انهما مجموعان لا يفترقان من حيث لا يكاد يصيب
الانسان فى الدنيا خير صرف ولا شر فيه فلهذا قال انهما مقرونان ويجوز ايضا
ان يريد ان السرعة تقلب الدنيا وابدالها الخير بالشر كان الخير والشر مقرونان
مجموعان معا لتقارب ما بينهما فاما الجديدان فهما الليل والنهار وهما ايضا

الاجدان والملوان والفتيان والردفان والعصران قال الشاعر. ان الجديدين
في طول اختلافهما. لايفسدان ولكن يفسد الناس. وقال الاخر. وامطله
العصرين حتى يملني. ويرضى بنصف الدين والانف راغم. وقال ابو عبيده
ويقال الليل والنهار ابنا سبات وانشد ابن الاعرابي. وكنا وهم كابني سبات تفرقا.
سوى ثم كانا منجدا وتهاميا. ويقال للغداة والعشي القرنان والبردان والصرعان
اخبرنا ابو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى النحوي قال اخبرنا ابو عبد الله محمد
بن احمد الحكيمي قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى النحوي قال انشدنا ابن
الاعرابي لرفيع الوالبي كذبتك ما وعدتك امس صلاح. وعسى يكون لما
وعدت نجاح. برء من السقم الطويل ضمانه. لا يستوي سقم بكم وصحاح.
اصلاح انك قد رميت نوافذا. وجوانحا ليست لهن جراح. ولقد رايتك بالقوادم
لمحة. وعلي من سدف العشي رياح. معنى رياح هيهنا اي علي وقت من العشي
ومثله رواح قوم يروونه بالكسر وليس بشي ما كان ابصرني بغرات الصبى. فاليوم
قد شفعت لي الاشباح. ومشى بجنب الشخص شخص مثله. والارض نابية
الشخوص براح. حلق الحوادث لمتي فتركن لي. راسا يصل كانه جماح. وذكا
باصداغي وقرن ذوائبي. قبس المشيب كانه مصباح. قال كانه جماح
من املاسه وجماح سهم او قصبة يجعل عليها طين ثم يرمى بها الطير وبهذا
الاسناد لبعضهم. ارى الناس للصعلوك حربا ولا ارى. لذي نشب الا خليلا
مصافيا. اري المال يغشى ذا الوصوم فلا ترى. ويدعى من الاشراف من كان غانيا.
الصعلوك الفقير وهو ايضا القرضوب والسبروت والوصوم العيوب
وبهذا الاسناد لعقيل بن علفه. اني يحمدني الخليل اذا احتدى. مالي ويكرهني
ذووا الاضغان. وابيت تخلجني الهموم كانني. دلو السقاة تمد بالاشطان
واعيش بالبلل القليل وقداري. ان الرموس مصارع الفتيان. واخبرنا
ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا علي بن منصور قال حدثنا محمد بن موسى

عن دعبل بن علي قال قال وذكر الابيات الثلثة وزاد فيها. ولقد علمت لئن
هلكت ليذكرن. قومي اذا علن النجي مكاني قال المرتضى رضي الله عنه وكان عقيل
بن علفه مع قوة شعره جيد الكلام حكيم الالفاظ وروى المدايني قال قال
عبد الملك بن مروان لعقيل بن علفه المزني ما اخس اموالكم فقال ما نال لنا احد
من صاحبه تفضلا قال ثم ايها قال مواريثنا قال فايها اشرف قال ما استفدنا
بوقعة حولت نعما وافادت عزا قال فما مبلغ عزكم قال لم يطمع فينا احد
ولو نومن قال فما مبلغ جودكم قال ما افدنا به مننا وابقينا به ذكرا قال فما
مبلغ حفاظكم قال يدفع كل رجل منا عن المستجير به كدفاعه عن نفسه قال
عبد الملك هكذا يصف الرجل قومه وروي انه قيل لعقيل بن علفه قد عنست
بناتك اما تخشى عليهن الفساد قال كلا اني خلفت عندهن الحافظين قيل وما هما
قال العري والجوع اجيعهن فلا ياشرن واعريهن فلا يظهرن وقال له عبد
الملك ربما مالك تهجو قومك قال لانهم اشباه الغنم اذا صيح بها رفعت واذا
سكت عنها رتعت قال انما تقولون البيت والبيتين قال حسبي من القلادة ما احاط
بالعنق فاما معنى علفه اسم ابيه فان ابن الاعرابي قال العلفه مثل الباقلاء الرطب
تكون تحت الزهرة من الفل وغيره قال ابو سعيد السكري ضرب من اوعية بزر
بعض النبات مثل قشرة الباقلا واللوبيا وهو الغلاف الذي يجمع عدة حب
وقيل ان عقيلا يكنى بابي الوليد وكان غيورا موصوفا بشدة الغيرة وروى
ابو عمرو بن العلا انه حمل يوما ابنة له وانشا يقول. اني وان سيق الي
وعيدانه. وزود عشر احب اصهاري الى القبور. وذكر الاصمعي ان عقيلا
كان لغيرته اذا راى رجلا يتحدث الى النساء اخذه ودهن ارفاغه ومغابنه
بزبد وربطه وطرحه في قرية فلا يعود الى معادثتهن وروى الاصمعي قال
كان عقيل بن علفه في بعض سفره ومعه ابنه العملس وابنته الجربا فانشا
يقول. قضت وطرا من دير سعد وربما. على عجل ناطحنه بالجماجم. ثم اقبل

على ابنته فقال اجزى ياجر بافقالت . كانّ الكرى سقاهم صرخدية . عقارا
تمشّت فى المطا والقوايم . فاقبل على ابنته يضربها ويقول والله ما وصفها
بهذه الصفه حتى شربتها فوثب عليه اخوها فقاتلوه دونها ثم رماه احدهم
بسهم فانتظم فخذيه فقال عقيل . انّ بنىّ رمّلونى فى الدّم . من يلق ابطال الرجال
يكلم . ومن يك ذا اود يقوّم . شنشنة اعرفها من اخزم . الشنشنة الطبيعة
والسجيّة وقيل الشبه وهذا مثل اجتلبه عقيل وقد قيل فيما قيل فى العقيل
وللدّهر اثواب فكن فى ثيابه . كلبسته يوما اجدّ وخلقا . وكن اكيس الكيسى اذا
كنت فيهم . وان كنت فى الحمقا فكن انت احمقا . المجلس السابع والعشرون
فى تاويل اية ان سئل سائل عن قوله تعالى . وَاِلَى اللهِ تُرجَعُ الامورُ فقال
كيف يصحّ القول بانها رجعت اليه وهى لم تخرج عن يده الجواب قلنا قد ذكر فى ذلك
وجوه احدها انّ النّاس فى دار المحنة والتكليف قد يغير بعضهم بعضا فيعتقدون
فيهم انهم يملكون جرّ المنافع اليهم وصرف المضارّ عنهم وقد تدخل عليهم الشبه
لتقصيرهم فى النظر وعدولهم عن وجهه وطريقه فيعبد قوم اصناما وغيرها من المعبودات
الجامدة الهامدة التى لا تسمع ولا تبصر ويعبد اخرون البشر ويجعلونهم شركاء
لله تعالى فى استحقاق العبادة ويضيف كل هؤلاء افعال الله عز وجل فيهم الى
غيره فاذا جاءت الاخرة وانكشف الغطا واضطروا الى المعارف زال ما كانوا
عليه فى الدنيا من الضلالة واعتقاد الباطل وايقن الكل بانه لا خالق ولا
رازق ولا ضارّ ولا نافع غير الله تعالى فردّوا امورهم اليه وانقطعت امالهم
عن غيره وعلموا انّ الذى كانوا عليه من عبادة غيره وتاميله للضرّ والنفع غرور وزور
فقال تعالى وَاِلَى اللهِ تُرجَعُ الامورُ لهذا المعنى والوجه الثانى ان يكون معنى
الاية ان الامور كلها ترجع الى الله تعالى وفى يده وقبضته من غير خروج ورجوع
حقيقى وقد تقول العرب قد رجع علىّ من فلان مكروه يعنى صار الىّ من زيد كذا وكذا
وان وقع منه على سبيل الابتداء قال الشاعر . فان تكن الايام احسنّ مرة . الى

منه ولم يكن منه مكروه الى قبل هذا الوقت
وكذلك قد يقولون قد عاد الى م

يغير

فقد

فقد عادت لهنّ ذنوب . اى صارت لهنّ ذنوب لم تكن من قبل بل كان قبلها احسان
فحمل الاية على هذا المعنى سايغ جايز تشهد له اللغة والوجه الثالث انا قد علمنا
ان الله تعالى قد ملك العباد فى دار التكليف امورا تنقطع بانقطاع التكليف
وافضى الامور الى الدار الاخرة مثل ما ملكه المولى من العبيد وما ملكه الحكام
من الحكم وغير ذلك فيجوز ان يريد برجوع الامور اليه انتهاءها اما ذكرناه من الامور التى
يملكها غيره بتمليكه الى ان يكون هو وحده مالكها ومدبرها ويمكن فى الاية
وجه اخر وهو ان يكون المراد بها انّ الامر ينتهى الى ان لا يكون موجود قادر
غيره ويفضى الامر فى الانتهاء الى ما كان عليه فى الابتداء لانّ قبل انشاء الخلق
هكذا كانت الصورة وبعد افنائهم هكذا تصير فيكون الكناية برجوع الامور
اليه عن هذا المعنى وهو رجوع حقيقى لانه عاد الى ما كان عليه متقدّما
ويحتمل ايضا ان يكون المراد بذلك ان الى قدرته تعود المقدورات لان ما
افناه من مقدوراته الباقية ترجع الى قدرته ويصح منه تعالى ايجاده لعوده
الى ما كان عليه وان كان ذلك لا يصحّ فى مقدورات البشر وان كانت باقية
لما دل الدليل عليه من اختصاص مقدورات القدر باستحالة العود اليهما من حيث
لم يجز عليها التقديم والتاخر وايضا هذا حكم الله تعالى المنفرد به دون سائر
القادرين والله اعلم تاويل اية اخرى ان سئل سائل عن قوله تعالى
لَيسَ البِرُّ بِاَن تَاتُوا البُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ البِرَّ مَنِ اتَّقَى وَاتُوا البُيُوتَ
مِن اَبوَابِهَا فقال اى معنى لذكر البيوت وظهورها وابوابها وهل المراد
بذلك البيوت المسكونة على الحقيقة او كنى بهذه اللفظة عن غيرها فان كان الاول
فما الفايدة فى اتيانها من ابوابها دون ظهورها وان كانت كناية فبيّنوا وجهها
ومعناها الجواب قيل له فى هذه الاية وجوه اولها ما ذكر من انّ الرجل من العرب
كان اذا قصد حاجة فلم تقض له ولم ينجح فيها رجع فدخل من موخر البيت ولم
يدخل من بابه تطيرا فدلهم الله تعالى على انّ هذا من فعلهم لابرّ فيه وامرهم

كالجواهر والاعراض الباقية

واٰمرهم من التقى بما ينفعهم ويقربهم اليه وقد نهى رسول الله صلعم عن الطيرة فقال لا
عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفراى لا شى يعدى شيئا قال عليه السلم لا يوردن ذو عاهة
على مصح ومعنى هذا الكلام ان من لحقت ابله آفة او مرض فلا ينبغى ان يوردها
على ابل غيره صحاح لانه متى لحق الصحاح مثل هذه العاهة اتفاقا لا لاجل العدوى
لم يومن من صاحب الصحاح ان يقول انما لحقوا ابلى هذه الآفة من تلك الابل وهى اعدت
ابلى فنهى عليه السلام عن هذا ليزول المأثم عن الفريقين والظن القبيح وثانيها
ان العرب الا قريشا ومن ولدته قريش كانوا اذا احرموا فى غير الاشهر الحرم لم يدخلوا
بيوتهم من ابوابها ودخلوها من ظهورها اذا كانوا من اهل الوبر واذا كانوا
من اهل المدر نقبوا فى بيوتهم ما يدخلون ويخرجون منه ولم يدخلوا ويخرجوا
من ابواب البيوت فنهاهم الله تعالى عن ذلك واعلمهم انه لا معنى له وانه ليس
من البر بان تطلبوا الخير من غير اهله وتلتمسوه من غير بابه واتوا البيوت من
ابوابها معناه اطلبوا الخير من وجهه ومن عند اهله وثالثها وهو جواب
ابى على الجبائى ان تكون الفايدة فى هذا الكلام ضرب المثل واراد تعالى ليس البر
ان ياتى الرجل الشى من خلاف جهته لان اتيانه من خلاف جهته يخرج الفعل
عن حد الصواب والبر الى الاثم والخطأ وبين تعالى ان البر التقوى وامر باتيان
الامور من وجوهها وان تفعل على الوجوه التى لها وجبت وحسنت وجعل
ذكر البيوت وظهورها وابوابها مثلا لان العادل فى الامر عن وجهه كالعادل
فى البيت عن بابه ورابعها ان تكون البيوت كناية عن النساء ويكون المعنى
واتوا النساء من حيث امركم الله والعرب تسمى المراة بيتا قال الشاعر . ما لى اذا
انزعها صأيت . اكبر غيرنى ام بيت . واراد بالبيت المرء ومما يمكن ان يكون
شاهدا للجواب الذى حكيناه عن ابى على الجبائى وجواب ابى عبيد ايضا
ما اخبرنا به ابو القاسم عبيد الله بن عثمن بن يحيى قال اخبرنا ابو عبيد الله
الحكيمى محمد بن احمد قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى النحوى قال انشدنى

الطيرة

وثالثها وهو جواب ذكره ابو عبيدة معمر بن المثنى ان المعنى ليس البر ...

الاعرابى

الاعرابى . ان عجبت لام العمر اذ هزئت . من شيب راسى وما بالشيب من عار .
ويروى لام الغمر بالغين المعجمة . ما شقوة المرء بالاقتار يقترة . ولا سعادته يوما بان كثار
ان الشقى الذى فى النار منزله . والفوز فوز الذى ينجو من النار . اعوذ بالله من
بز بن لى . شتم العشيرة او يدنى من العار . وخير دنياى تنسى امر اخرتى . وسوف
يبدى لى الجبار اسرارى . لا ادخل البيت احبو من مؤخره . ولا اكسر فى ابن
العم اظفارى . قوله لا ادخل البيت احبو من مؤخره يحتمل انه يريد به اننى
لا اتى الامور من غير وجهها على احد الاجوبة فى الاية ويحتمل ايضا اننى
لا اطلب الخير الا من اهله على جواب ابى عبيد ويحتمل وجها اخر وهو ان يريد
اننى لا اقصد البيت للريبة ان يعدل عن ابوابها طلبا لاخفاء امره فكانه نفى
عن نفسه هذا القول القبيح وتنزه عنه كما تنزه بقوله ولا اكسر فى ابن العم
اظفارى عن مثله واراد انه لا يرى ابن العم منى السوء ولا يتالم لشئ من جهتى
فاكون كاننى قد جرحته باظفارى وكسرتها فى لحمه وهذه كنايات مشهورة بليغة
للعرب ويجرى مجرى هذه الابيات ويقاربها فى المعنى وحسن الكناية قول هلال ابن
جعثم . وانى لعف عن زيارة جارتى . وانى لمشنوء الى اغتيابها . اذا غاب
عنها بعلها لم اكن لها . زورا ولم تنبح على كلابها . وما انا بالدارى احاديث بيتها
ولا عالم من اى حوك ثيابها . وان قراب البطن يكفيك ملؤه . ويكفيك سوات
الامور اجتنابها قال المرتضى رضى الله عنه وقد جمعت هذه الابيات
فقرات عجيبة وكنايات بليغة لانه نفى عن نفسه زيارة جارته عند غيبة
بعلها وخص حال الغيبة لانها ادنى الى الريبة واخص بالتهمة فقال ولم تنبح
على كلابها اراد انى لا اطرقها ليلا مستخفيا متنكرا فتنكرنى كلابها و
تنبحنى وهذه الكناية تجرى مجرى قول الشاعر المتقدم لا ادخل البيت
احبو من مؤخره وقد روى ولم تانس الى كلابها لان الانس لا يكون الا
مع المواصلة والموانسة وقوله وما انا بالدارى احاديث بيتها اراد به ايضا
يحتمل ان

وللسفلاء لان من شان من يسعى الى افساد الحرم ويقصد البيوت للريبة

وهذا معنى لحسن كانه اراد ليس يكثر الطروق لها والغشيان لمنزلها ...

تاكيد نفي زيارتها وطروقها عن نفسه لانه اذا اومن الزيارة عرف حاديث
بيتها واذا لم يزرها وصار مهالم يعرف ويحتمل ان يريد انني لا اسال عن احوالها
واحاديثها كما يفعل اهل الفضول فنزه نفسه عن ذلك وقوله ولا عالم من اي
حوك ثيابها كناية مليحة عن انه لا يجتمع معها ولا يقرب منها فيعرف صفة
ثيابها وبالاسناد المتقدم لحارثة بن بدر الغداني اذا الهم امسى وهو داء فامضه
ولست بممضيه وانت تعادله . ولا تنزلن امر الشديد بامرء . اذا هم امرا سوقته
عواذله . فما كل ما حاولته الموت دونه . ولا دونه ارصاده وحبائله .
وما الفتك ما امرت فيه ولا الذي تحدث من لاقيت انك فاعله . وما
الفتك الا لامرء ذي حفيظة . اذا صاح لم ترعد عليه خصائله . فلا تجعلن
سر الغير اهله . فتقعد ان افشى عليك تجادله . ولا تسال المال البخيل له
غنى سلى بعد ضر او رثته اوايله . ارى المال افياء الضلال فتارة . يوب
واخرى يختل المال خاتله . معنى امرت فيه اي شاورت والخصايل كل لحم
مجتمع وقد روينا في هذه الابيات زيادة على القدر الذي ذكرناه واخبرنا
المرزباني قال حدثنا الحسين بن علي قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا
المفضل عن ابي محمد ابن المنهال المهلبي قال من الابيات السايرة قول حارثة
بن بدر الغداني . لعمرك ما ابقى لي الدهر من اخ . حفي ولا ذي خلة لي او اصله
ولا من خليل ليس فيه غوايل . فشر الاخلاء الكثير غوايله . وقل لفواد
ان نزا بك نزوة . من الروع افرخ اكثر الروع باطله . معنى افرخ اسكن يقال
افرخ روعه اذا اسكن . وما كل ما حاولته الموت دونه . ولا دونه ارصاده وحبائله
وذكر البيتين اللذين بعده وزاد . وكن انت ترعى سر نفسك واعلمن . بان اقل الناس
بالسر حامله . اذا ما قلت شيئا فقل به . ولا تقل الشي الذي انت جاهله . اذا قلت شيئا فاعلمن نقل سره
ومما يستحسن لحارثة بن بدر قوله . لنا نبعة كانت تقينا فروعها . وقد بلغت
الا قليلا عروقها . وانا لتستحلي المنايا نفوسنا . وتترك اخرى مرة ما تذوقها .

وشيب راسي قبل حين مشيبه . رعود المنايا بيننا وبروقها . وقوله لنا نبعة
كانت تقينا مثل ضربه وانما اراد عشيرته واهل بيته وقد روى هذه الابيات
علي بن سليمن الاخفش عن ابي العباس ثعلب وزاد فيها . رايت المنايا باديات
وعودا . الى دارنا سهلا اليها طريقها . وقد قسمت نفسي فريقين منهما .
فريق مع الموتى وعندي فريقها . وبينا ترجى النفس ما هو نازح . من الامر لاقت
دونه ما يعوقها . وروى ابو العينا قال انشد الشعبي عبد الله بن جعفر الابيات
الثلثة الاولى وقال عبد الله لمن هذا يا شعبي قال لحارثة بن بدر قال نحن
احق بهذا ثم امر للشعبي باربعمائة دينار ومن مستحسن قول حارثة . ولقد وليت
امارة فرجعتها . في المال سالمة ولم اتمول . ولقد منعت النصح من متقبل .
ولقد رقدت النصح من لم يقبل . فباي لمسة لامس لم التمس . وباي حبالة
حائل لم اختل . يا طالب الحاجات يرجو نجحها . ليس النجاح مع الاخف الاعجل . حائل
واصدق اذا حدثت تكتب صادقا . واذا حلفت بمار بالفتحلل . معنى تكتب
صادقا اي تكون عند الله صادقا . وقوله فتحلل اي استثن . واذا رايت
الباهشين الى العلى . غبرا اكفهم بربث فاعجل . معنى الباهشين المادين ايديهم
الى الشي المشتهين له . واحذر مكان السو لا تنزل به . واذا نبا بك منزل
فتحول . واذا بن عملج بعض لجاجة . فانظر به غدا ولا تستعجل واذا
افتقرت فلا تكن متخشعا . ترجو الفواضل عند غير المفضل . استغن ما اغناك
ربك بالغنى . واذا تكون خصاصة فتجمل واخبرنا ابو عبد الله المرزباني قال
اخبرني محمد ابن ابي الازهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال كان حارثة بن بدر
الغداني رجل من بني تميم في وقته وكان قد غلب على زياد وكان الشراب
قد غلب عليه فقيل لزياد ان هذا قد غلب عليك وهو مستهتر بالشراب
فقال زياد كيف باطراح الرجل هو يسايرني منذ دخلت العراق لم يصكك
ركابي ركابه ولا تقدمني فنظرت الى قفاه ولا تاخر عني فلويت عنقي اليه

ولا اخذ على الشمس فى شتآء قط ولا الروح فى صيف قط ولا سالته عن علم الا ظننت انه لا يحسن غيره فلما مات زياد جفاه عبيد الله ابنه فقال له حارثه ايها الامير ما هذا الجفا مع معرفتك بالحال عند ابى المغيره فقال له عبيد الله ان ابا المغيره قد كان برع بروعا لا يلحقه معه عيبٌ وانا احدث وانما انسب الى من يغلب علىّ وانت رجل تديم الشراب فمتى قربتك فظهرت منك رايحة الشراب لم امن ان يظن بى فدع الشراب وكن اول داخل علىّ واخر خارج عنى فقال له حارثه انا لا ادعه لمن يملك ضرّى ونفعى افادعه للحال عندك قال فتخير من عملى ما شئت قال توليني رامهرمز فانها ارض عذاة وسرق فان بها شرابا وصف لى فولاه اياها فلما شيعه الناس قال انس بن ابى انس وقيل ابن ابى اياس الديلى . احار بن بدر قد وليت ولاية . فكن جرذا فيها تخون وتسرق ولا تحقرن يا حار شيئا وجدته . فحظك من ملك العراقين سرق . وباه تميما بالغنى ان للغنا . لسانا به المرء الهيوبة ينطق . فان جميع الناس اما مكذبٌ . يقول بما يهوى واما مصدّق . يقولون اقوالا ولا يعلمونها . فان قيل هاتوا حققوا لم يحققوا . وهذه الابيات تروى لابى الاسود الديلى وانه كتب بها الى حارثة لما ردّ اليه سرق ويزاد فيها وكن حازما فى اليوم ان الذى به يجئ غد يوم على الناس مطبق . ولا تعجزن فالعجز اوطاء مركب . وما كل من يدعى الى الخير يرزق . اذا ما دعاك القوم عدوك اكلا . فكل حار او جع لست بمن يحمق ويقال ان حارثة بن بدر اجاز فى هذه الابيات بقوله . جزاك الهى الناس خيرا جزائه فقد قلت معروفا واوصيت كافيا . اشرت بامر لو اشرت بغيره . لا لفيتنى فيه لامرك عاصيا . ويقال ان حارثة بن بدر والاحنف بن قيس دخلا على ابن زياد فقال لحارثة اى الشراب اطيب وكان بينهم بن طاساريه واقطه غنوية وسمنة عنبرية وسكرة سوسية ونطفة سرقانية فقال للاحنف يا ابا بحر اى شراب اطيب فقال الخمر قال وما يدريك ولست من اهلها

قال رايت

قال رايت فيها خصلتين عرفت انها اطيب الشراب بهما قال وما هما قال رايت من احلت له لا يتعداها الى غيرها ومن حرّمت عليه يتناولها فعلمت انها اطيب الشراب ولحارثه بن بدر يخاطب عبيد الله بن زياد لما تغير عليه بعد اختصاص كان بابيه . اهان واقضى ثم لينتصحوننى . واى امرء يعطى نصيحته قسرا . رايت اكف المصلتين عليكم . ملاء وكفى عن عطائكم صفرا . وانى مع الساعى اليكم بسيفه . اذا احدث الايام فى عظمكم كسرا . متى تسالونى ما على وتمنعوا . الذى لى لا استطيع على ذلكم صبرا . ولم يعاتبه . وكم من امير قد تجبر بعد ما . مريت له الدنيا بسيفى فدرت . اذا زبنته عن فواق اتت به . دعانى ولا ادعى اذا ما اقرت . اذا ما هى احلولت فحقّ مقسمى ويقسم لى منها اذا ما امرت . زبنته اى دفعته عن ان يحلبها ويشبه ابيات حارثه هذه قول عبد الله بن الزبير الاسدى يعاتب معوية ومروان واهل بيته من جملة قصايد وهى ابيات قوية جدا . عطاؤكم للضاربين رقابكم . وندعى اذا ما كان حز الكراكر . اخوكم فى المضيق وسهمنا اذا ما قسمتم فى الخطار الاصاغر . الخطار سهام صغار . وتدنيكم الادنى اذا ما سالتم ونلقى بندى حين نسال باسر . فان كان فينا الذنب فى الناس مثله . اخذنا به من قبل ناه وآمر . معنى من قبل ناه وآمر اى من قبل ان تنهى عنه او تؤمر باجتنابه وان جاء كم منا غريب بارضكم . لويتم له لوما جنوب المناخر . فهل يفعل الاعداء الا كفعلكم . هوان السراة وابتغاء العواثر . وغير نفسى عنكم ما فعلتم . وذكر هوان منكم متظاهر . جفاؤكم من عالج الحرب عنكم . واعداؤكم من بين جاب وعاثر . فلا تسالونى عن هواى وودكم . وقل فى فؤاد قد توجد نافر . ولحارثة بن بدر يرثى زيادا . لهفى عليك للهفة من خايف . يبغى جوارك حين لات مجير . اما القبور فانهن اوانس . بجوار قبرك والديار قبور . عمت فواضله فعم مصابه . فالناس فيه كلهم ماجور . ردت صنايعه اليه حيوته فكانه من نشرها منشور . قال الشريف المرتضى رضى الله عنه واظن ابا تمام الطائى

النفس

نظر الى حارثة ردّت صنايعه اليه حياته فى قوله . الم تمت يا شقيق الجود مذ زمن
فقال لى لم يمت من لم يمت كرمه . واخبرنا على بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد
قال اخبرنى عبد الرحمن يعنى ابن اخى الاصمعى عن عمه قال مر حارثة بن بدر الغدانى ومعه
كعب مولاه فجعل لا يمر بمجلس من مجالس بنى تميم الا قالوا مرحبا بسيدنا فقال كعب
ما سمعت كلاما قط هو اقر لعينى والذ فى سمعى مما سمعته اليوم فقال حارثة ولكنى
ما سمعت كلاما قط هو اكره لى منه ثم قال . ذهب الرجال فسدت غير مسود
ومن الشقاء تفردى بالسودد . وهذا البيت يقال انه لحارثة لا انه تمثل به
واخبرنا ابو عبيد الله المرزبانى قال اخبرنا عبد الله بن جعفر قال حدثنا محمد بن يزيد
قال قال الكنانى مر حارثة بن بدر بالاحنف بن قيس فقال لولا انك مستعجل
لشاورتك فقال له اجل كانوا يكرهون ان يشاور الجايع حتى يشبع والظمان
حتى ينقع والمضل حتى يجد والغضبان حتى يرضى والمحزون حتى يفيق المجلس الثامن
والعشرون فى تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى اولئك لهم نصيب مما
كسبوا والله سريع الحساب اى تمدح فى سرعة الحساب وليس بظاهر وجه المدح فيه
الجواب قلنا فى ذلك وجوه اولها ان يكون المعنى انه سريع المجازاة للعباد على اعمالهم
وان وقت الجزاء قريب وان تاخر ويجرى مجرى قوله تعالى وما امر الساعة الا
كلمح البصر او هو اقرب وانما جاز ان يعبر عن المجازات والجزاء بالحساب
لان ما يجازى به العبد هو كفو لفعله وبمقداره فهو حساب له اذا كان مماثلا
مكافيا ومما يشهد بان الحساب معنى الكفاية والمكافاة قوله تعالى جزاء من ربك
عطاء حسابا اى عطاء كافيا ويقال احسبنى الطعام يحسبنى احسابا اذا كفانى
قال الشاعر . واذ لا ترى فى الناس حسنا يفوتها . وفى الناس حسن لو تاملت
محسب . معناه كاف وثانيها ان يكون المراد انه جل وعز يحاسب الخلق جميعا
فى اوقات يسيرة ويقال ان مقدار ذلك مقدار حلب شاة لانه تعالى لا يشغله
محاسبة بعضهم عن محاسبة غيره بل كلهم جميعا يحاسبهم على اعمالهم فى وقت

[illegible]

واحد

واحد وهذا احد ما يدل على انه تعالى ليس بجسم وانه لا يحتاج فى الكلام الى آلة
لانه لو كان بهذه الصفة تعالى عنها لما جاز ان يخاطب اثنين فى وقت واحد
بمخاطبتين مختلفتين ولكان خطاب بعض الناس يشغله عن خطاب غيره
ولكانت مدة محاسبته للخلق على اعمالهم طويلة غير قصيرة كما ان جميع ذلك
واجب فى المحدثين الذين يفتقرون فى الكلام الى الالات وثالثها ما ذكره
بعضهم من ان المراد بالاية انه سريع العلم بكل محسوب وانه لما كانت عادة
بنى الدنيا ان يستعملوا الحساب والاحصاء فى اكثر امورهم اعلمهم جل وعز انه يعلم
ما يحسبون بغير حساب وانما سمى العلم حسابا لان الحساب انما يراد به العلم
وهذا جواب ضعيف لان العلم بالحساب والمحسوب لا يسمى حسابا ولو سمى
بذلك لما جاز ايضا ان يقال انه سريع العلم بكذا لان علمه بالاشياء مما لم يزل
يتجدد فيوصف بالسرعة ورابعها ان الله تعالى سريع القبول لدعاء عباده
والاجابة لهم وذلك انه يسال فى وقت واحد سؤلات مختلفة من امور الدنيا
والاخرة فيجرى لكل عبد بمقدار استحقاقه ومصلحته ويوصل اليه
عند دعائه ومسئلته ما يستوجبه بحد ومقدار فلو كان الامر على ما يتعارف
الناس لطال العدد واتصل الحساب فاعلمنا تعالى انه سريع الحساب اى سريع القبول
للدعاء وبغير احتباس فيه وبحث عن المقدار الذى يستحقه الداعى كما
يحتبس المخلوقون للحساب والاحصاء وهذا الجواب ايضا مبنى على دعوى لان
قبول الداعى لا يسمى حسابا فى لغة ولا عرف ولا شرع وقد كان يجب على من اجاب
بهذا الجواب ان يستشهد على ذلك بما يكون حجة فيه والا فلا طايل فيما ذكره
ويمكن فى الاية وجه اخر وهو ان يكون المراد بالحساب محاسبة الخلق على اعمالهم
يوم القيمة ومواقفتهم عليها ويكون الفائدة فى الاخبار بسرعة الاخبار
عن قرب الساعة كما قال تعالى سريع الحساب وليس لاحد ان يقول فهذا هو الجواب
الاول الذى حكيتموه وذلك ان بينهما فرقا لان الاول مبنى على ان الحساب

في الآية هو الجزاء والمكافاة على الاعمال وفي هذا الجواب لم يخرج الحساب عن بابه
وعن معنى المحاسبة المعروفة المقابلة بالاعمال وترجيحها وذلك غير الجزا
الذي يفضي الحساب اليه وقد طعن بعضهم في الجواب الثاني الذي ذكرناه معوّلا
على ابي علي الجبائي في اعتماده اياه بان قال تخرج الكلام في الآية على وجه الوعيد وليس
في خفة الوعيد الحساب وسرعة زمانه ما يقتضي زجرا والا هو مما يتوعد بمثله فيجب ان
يكون المراد الاخبار عن قرب امر الآخرة والمجازاة على الاعمال وهذا الجواب
ليس ابو علي هو المبتدئ به بل هو محكي عن الحسن البصري واعتمد ايضا قطرب بن
المستنير النحوي وذكره المفضل بن سلمة وليس الطعن الذي حكيناه عن هذا
الطاعن بمبطل له لانه اعتمده على ان تخرج الآية تخرج الوعيد وليس كذلك
لانه تعالى قال وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي
الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ
سَرِيعُ الْحِسَابِ فالاشبه بالظاهر ان يكون الكلام وعدا بالثواب وراجعا
الى الذين يقولون رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ
النَّارِ او يكون راجعا الى الجميع فيكون المعنى ان للجميع نصيبا مما كسبوا
فلا يكون وعيدا خالصا بل اما ان يكون وعدا خالصا او وعيدا على انه
لو كان وعيدا خالصا على ما ذكر الطاعن لكان لقوله تعالى والله سريع الحساب
على تاويل من اراد قصر الزمان وسرعة المواقفة وجه وتعلق بالوعيد
والوعيد لان الكلام على كل حال متضمن لوقوع المحاسبة على اعمال
العباد والاحاطة بخيرها وشرها وان وصف تعالى الحساب مع ذلك بالسرعة
ففي هذا ترغيب وترهيب لا محالة لان من علم انه يحاسب باعماله ويواقف
على جميلها وقبيحها انزجر عن القبيح ورغب في فعل الواجب فبهذا يقصر
الجواب وان كنا لا ندفع ان في حمل الحساب على قرب المجازاة او قرب المحاسبة
على الاعمال ترغيبا في الطاعات وزجرا عن المقبحات فالتاويل الاول اشبه

وما في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا

البقرة

بالظاهر

بالظاهر وبنسق الآية الا ان التاويل الآخر غير مدفوع ايضا ولا مردود تاويل
آية اخرى ان سأل سائل عن قوله تعالى وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ فقال
اي تمدح في الاعطاء بغير حساب وقد يكون المعطي بحساب اجزل عطية من المعطي
بغير حساب الجواب قلنا في هذه الآية وجوه اولها ان تكون الفائدة انه تعالى
يرزق من يشاء بغير تقدير من المرزوق ولا احتساب منه فالحساب ههنا راجع
الى المرزوق لا اليه تعالى كما يقول القايل ما كان كذا وكذا في حسابي اي لم اؤمله
ولم اقدر انه يكون وهذا وصف للرزق باحسن الاوصاف لان الرزق اذا
لم يكن محتسبا كان اهنا له واحلا وقد روي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية
انه قال يعني تعالى بها اموال بني قريظة والنضير وانها تصير اليكم بغير حساب ولا قتال
وعلى اسهل الامور واقربها وايسرها وثانيها انه تعالى يرزق من يشاء رزقا
غير مضيق ولا مقتر بل يزيد في السعة والكثرة على كل عطاء للمخلوقين فيكون
نفي الحساب فيه نفيا للتضييق ومبالغة في وصفه بالسعة والعرب تسمي العطاء
العطاء القليل محسوبا قال قيس بن الخطيم . اني سريت وكنت غير سروب
وتقرب الاحلام غير قريب . ما تمنعي يقظى وقد تؤتينه . في النوم غير مصرد
محسوب وثالثها ان يكون المعنى انه يرزق من يشاء من غير طلب للمكافاة
او ارادة لفائدة تعود اليه او منفعة ترجع عليه لان من شان اهل الدنيا
ان يعطوا الناس ليكافؤا او لينتفعوا ولهذا يقال لمن يقصد بالعطية الى هذه الامور
فلان يحاسب الناس فيما يعطيهم ويناقشهم فيما يوصله اليهم وما اشبه ذلك
فلما انتفت هذه الامور من عطاياه سبحانه جاز ان يقول تعالى انه يرزق
من يشاء بغير حساب ورابعها ما اجاب به قطرب قال معنى الآية انه يعطي
العدد الكثير مما لا يضبطه الحساب اذ لا ياتي عليه العدد ولان مقدوره
لا يتناهى وما في خزائنه لا ينحصر ولا يصح عليه النفاد وليس كالمعطي منا
الالف من الالفين والعشرة من المائة لان مقدار ما يتسع له ويتمكن منه

المصرد المقلل

محدود متناه ولا تتناهى ولا انقطاع لما يقدر سبحانه عليها وخامسها انه
يعطي عباده في الجنة من النعم واللذات اكثر مما استحقوه وازيد مما وجب
بمحاسبته تعالى اياهم على طاعاتهم كما قال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
فيضاعفه له اضعافا كثيرة وكما قال عز وجل ان تقرضوا الله قرضا حسنا
يضاعفه لكم ويغفر لكم وكما قال تعالى ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله
وسادسها ان المعطي منا غيره شيئا والرازق سواه رزقا قد يكون له
ذلك فيكون فعله حسنا لا يسئل عنه ولا يؤاخذ به ولا يحاسب عليه
وربما لم يكن له ذلك فيكون فعله قبيحا يؤاخذ به ويحاسب عليه فنفى الله
تعالى عن نفسه ان يفعل من الرزق القبيح وما ليس له ان يفعل بنفي الحساب عنه
وانباء انه لا يرزق ولا يعطي الا على افضل الوجوه واحسنها وابعدها من الذم
وتجري الاية مجرى قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وانما اراد
انه تعالى من حيث وقعت افعاله كلها حسنة غير قبيحة لم يجز ان الله تعالى يسال عنها
وان سال العباد عن افعالهم لانهم يفعلون الحسن والقبيح معا وسابعها ان الله تعالى
اذا رزق العبد واعطاه من فضله كان الحساب عن العبد ساقطا من جهة الناس
فليس لاحد ان يقول له لم رزقته ولا يساله ربه تعالى عن الرزق وتملكه وانما — رزقت ولا ان يقول لو تبرلم
يساله عن انفاقه في الوجوه التي ينفقه فيها فسقط الحساب من هذه الوجوه عما
يرزقه جل وعز فلذلك قال تعالى بغير حساب وثامنها ان يكون المراد لمن يشاء
ان يرزقه اهل الجنة لانه تعالى يرزقهم رزقا لا يصح ان يتناول جميعه الحساب
ولا العدد والاحصاء من حيث لا نهاية له ولا انقطاع للمستحق منه ويطابق
هذه الاية قوله تعالى في موضع اخر فاولئك يدخلون الجنة يرزقون
فيها بغير حساب تاويل خبر ان سال سائل عن الخبر الذي رواه زيد بن ثابت
عن النبي صلى الله عليه وسلم من انه قال توضؤا مما غيرت النار فقال ما المراد بالوضوء ههنا
ومذهبكم ان ما غيرته النار لا يوجب وضوءا الجواب ان معنى توضؤا

اي نظفوا

اي نظفوا ايديكم من الزهومة لانه روى ان جماعة من الاعراب كانوا لا يغسلون
ايديهم من الزهومة ويقولون فقدها اشد علينا من ريحها فامر عليه السلام
بتنظيف الايدي لذلك فان قيل كيف يصح ان تحمل الخبر على اللفظ اللغوي
مع انتقاله بالعرف الشرعي الى الافعال المخصوصة بدلالة ان من غسل يده
او وجهه لا يقول بالاطلاق توضات فمتى سلم لكم ان الوضوء اصله من النظافة
لم ينفعكم مع الانتقال الذي ذكرناه وكلامه عليه السلام اخص بالعرف الشرعي وحمله
عليه اولى من حمله على اللغة قلنا ليس ينكر ان يكون اطلاق الوضوء هو المنتقل
من اللغة الى عرف الشرع والمختص بالافعال المعينة وكذلك المضاف منه الى
الحدث والصلوة وما اشبههما فاما المضاف الى الطعام وما جرى مجراه فباق
على اصله الا ترى انهم اذا قالوا توضات من الطعام او من الغمر او توضات
للطعام لم يفهم منه الا الغسل او التنظيف فاذا قالوا توضات اطلاقا
او توضات من الحدث او الصلوة فهم منه الافعال الشرعية وليس ينكر
ما ذكرناه من اختصاص النقل لانه كما يجوز انتقال اللفظة من فايدة في اللغة
الى فايدة في الشرع على كل وجه كذلك يجوز ان ينتقل على وجه دون وجه
ويبقى من الوجه الذي لم ينتقل منه على ما كان عليه في اللغة وقد ذهب
كثير من الناس الى ان اطلاق لفظة مؤمن منتقل من اللغة الى عرف الدين ويختص
باستحقاق الثواب وان كان مقيدها باقيا على ما كان عليه في اللغة ويبين ذلك ايضا
ما روى عن الحسن من انه قال الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم
وانما اراد غسل اليدين بغير شك وروى عن قتادة انه قال غسل اليد وضوء
وروى عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكل وغسل يديه ومسح ببلل يديه وجهه
وذراعيه وراسه وقال عليه السلام هكذا الوضوء مما مسته النار على انه لو كانت
هذه اللفظة منتقلة على كل حال الى الافعال الشرعية المخصوصة لصح ان نحملها
في الخبر على خلاف ذلك ونردها الى اصلها بالادلة وان كان الاولى لولا

الادلة ان تحمل على مقتضى الشرع من الادلة على ما ذكرناه ما رواه ابن عباس عن النبي ان
اكل كتف شاة وقام وصلى ولم يتوضا وروى عطا عن ام سلمة قالت قربت جنبا
مشويا الى النبي م فاكل منه وصلى ولم يتوضا وروى محمد بن المنكدر عن جابر
انه قال كان اخر الامرين من رسول الله م ترك الوضوء مما مسته النار وكل
هذه الاخبار توجب العدول عن ظاهر الخبر الاول لو كان له ظاهر يكشف وقد بينا انه
لا ظاهر له فاما اشتقاق الوضوء فهو من الوضاءة التي هي الحسن فلما كان من
غسل يده ونظفها فقد حسنها قيل وضاها ويقال فلان وضيّ الوجه وقوم
وضاء قال الشاعر. مساميح الفعال ذوو اناة. مراجيح واوجههم وضاء.
والوضوء بضم الواو المصدر وكذلك التوضؤ والوَضوء بفتح الواو اسم لما يتوضا به
وكذلك الوقود اسم لما توقد به النار والوُقود بالضم المصدر ومثله التوقد
وقد يجوز ان يكون ايضا بفتح الواو مصدرا وكذلك الوضوء بفتح الواو كما قالوا
احسن القبول فجعلوا القبول مصدرا وهو مفتوح الاول ولا يجوز في الوقود
والوضوء بالضم الا معنى المصدر وحده قال جرير. اهوى اراك برامتين وقودا.
ام بالجنينة من مدافع اودا. وقال اخر. اذا سهيل لاح كالوقود. فردا
كشاة البقر المطرود. وقال اخر. واجنا بلكا بكل بقاع ارض. وقود النار
للمتنور بينا. واخبرنا ابو عبد الله المرزباني قال اخبرنا ابرهيم قال حدثنا
احمد بن يحيى قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا ابرهيم المنذر قال حدثني ابرهيم
بن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه عن ابن شهاب
قال اتيت عبيد الله بن عتبة بن مسعود يوما في منزله فاذا هو مغيظ ينفخ
مالي اراك هكذا فقال دخلت على عاملكم هذا يعني عمر بن عبد العزيز
ومعي عبد الله بن عمرو بن عثمن فسلمت فلم يرد علي السلام فقلت. الا ابلغا
عني عراك بن مالك. فان انت لم تفعل فابلغ ابا بكر. لقد جعلت تبدو
شواكل منكما كانكما بي موقرات من الصخر. وطاوعتما بي غادرا اذا امعاكة

وقوله اذا امعاكة

لعمري لقد اوري وما مثله يوري. يقال معك به وسدك به اذا تعرض به
للشر فلولا اتقاء الله بقياي فيكما. للمتكما لوما احر من الجمر. فمسا تراب الارض منها
خلقتما. وفيها المعاد والمقام الى الحشر. ولا تانفا ان تفشيا فتكلما. فما حشي
الاقوام شرا من الكبر. ولو شيت ادلي فيكما غير واحد. علانية او قال عندي
في الستر. معناه لو شئت لاغتبالكما عندي غير واحد. فان انا لم امر ولم انه عنكما.
ضحكت له حتى يلج ويستشري. وكيف تريدان بن سبعين حجة. على ما اتى وهو ابن
عشرين او عشر. لقد علقت دلوا كما دلو حوّل. من القوم لا رخو اليدين المراس
ولا نزر. قال ابن شهاب فقلت له مثلك يرحمك الله مع نسكك وتفقهك
يقول الشعر فقال ان المصدور اذا نفث برا وانما نذكر عراك بن مالك وابا
بكر بن عمرو بن حزم وكان صديقه كناية يذكرهما عن غيرهما وقد جات رواية
اخرى بان ابا بكر بن عمرو بن حزم وعراك بن مالك كانا يجتازان على عبيد الله
فلا يسلمان عليه فقال الابيات يخاطبهما وروى محمد بن سلام لعبيد الله بن
عتبة. اذا كان لي سر فحدثته العدى. وضاق به صدري فللناس اعذر
هو السر ما استودعته فكتمته. وليس بسر حين تفشوا ويظهر. وانشد مصعب
بن الزبير لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود. اواخي رجالا لست
مطلع بعضهم. على سر بعض ان صدري واسعه. اذا هي حلت وسط
عوذ بن غالب. فذلك ود نازح لا اطالعه. تلاقت حيازيمي على قلب
حازم. كتوم لما ضمت عليه اظالعه. بني لي عبد الله في سورة العلى
وعتبة مجدا لا تنال مصانعه. والبيت الاول يشبه قول مسكين الدارمي. وفتيان
صدق لست مطلع بعضهم. على سر بعض كان عندي جماعها. ومما
يستحسن لعبيد الله. تغلغل حب عثمة في فوادي. فباديه مع الخافي يسير.
تغلغل حيث لم يبلغ شراب. ولا حزن ولم يبلغ سرور. شققت القلب
ثم ذررت فيه. هواك فليم فالتام الفطور. اكاد اذا ذكرت العهد منها

اطير لو ان انسانا يطير. غنى النفس ان ازداد حبا. ولكنى الى وصل فقير. واخذ
هذا المعنى ابو نواس فقال احللت من قلبى هواك محلة. ما حلها المشروب والمأكول.
واخذه المتنبى فى قوله. وللسر منى موضع لا يناله. نديم ولا يفضى اليه شراب.
وكان العباس بن الاحنف الم به فى قوله. لو شق عن قلبى قرى وسطه. اسمك
والتوحيد فى سطر. وقول عبيد الله بن عتبة احسن من الجميع وبعده بيت المتنبى
ولعبيد الله بن عتبة. لعمر ابى المحصين ايام نلتقى. لما لا نلاقيها من الدهر اكثر.
يعدون يوما واحدا ان اتيتها. وينسون ما كانت على الدهر تهجر. فان يكن الواشون
اولغوا بهجرنا. فانا بتجديد المودة اجدر. ويروى على الناس من يستحسن غزله وهو
لعمرى لئن شطت بعثمة دارها. لقد كنت من وشك الفراق اليح اروح بهم ثم اغدو
بمثله. ويحسب انى فى الثياب صحيح. اخذ هذا المعنى بشار فقصر عنه فى قوله
يصبح محزونا ويمسى به. وليس يدرى ما له عندك. المجلس التاسع والعشرون
فى تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى حاكيا عن شعيب عليه السلم قد
افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا
ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا. فقال اليس هذا تصريحا بان الله تعالى
يجوز ان يشاء الكفر والقبيح لان ملة قومه كانت كفرا وضلالا وقد اخبر انه
لا يعود فيها الا ان يشاء الله الجواب قيل له فى هذه الاية وجوه اولها
ان تكون الملة التى عناها الله انما هى العبادات الشرعيات التى كان قوم شعيب متمسكين
بها وهى منسوخة عنهم ولم يعن بها ما يرجع الى الاعتقادات فى الله تعالى وصفاته
مما لا يجوز ان تختلف العبادة فيه والشرعيات يجوز فيها اختلاف العبادة
من حيث تبع المصالح والالطاف والمعلوم من احوال المكلفين فكانه قال تعالى
ان ملتكم لا نعود فيها مع علمنا ان الله تعالى قد نسخها وازال حكمها الا
ان يشاء الله ان يتعبدنا بمثلها فنعود اليها وتلك الافعال التى كانوا متمسكين
بها مع نسخها عنهم ونهيهم عنها وان كانت ضلالا وكفرا فقد كان يجوز فيما هو

مثلها

مثلها ان يكون ايمانا وهدى بل فيها انفسها قد كان يجوز ذلك وليس تجرى هذه
الافعال مجرى الجهل بالله تعالى الذى لا يجوز ان يكون الا قبيحا وقد طعن بعضهم
على هذا الجواب فقال وكيف يجوز ان يتعبدهم الله تعالى بتلك الملة مع قوله تعالى
قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فيقال له لم ينف
عودهم اليها على كل حال وانما نفى العود اليها مع كونها منسوخة منهيا عنها والذى
علقه بمشية الله تعالى من العود اليها هو بشرط ان يامر بها ويتعبد بمثلها فالجواب
مستقيم لا خلل فيه وثانيها انه تعالى اراد ان ذلك لا يكون ابدا من حيث علقه
بمشية الله تعالى لما كان معلوما انه لا يشاء. وكل امر علق بما لا يكون فقد نفى كونه
على ابعد الوجوه ويجرى الاية مجرى قوله تعالى لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل
فى سم الخياط وكما يقول القايل انا لا افعل كذا حتى يبيض القار او يشيب الغراب.
كما قال الشاعر. وحتى يؤب القارظان كلاهما. وينشر فى القتلى كليب لوايل
والقارظان لا يؤبان ابدا وكليب لا ينشر ابدا فكانه تعالى قال ان هذا لا يكون ابدا
وثالثها ما ذكره قطرب بن المستنير فى الكلام تقديما وتاخيرا وان الاستثناء من الانفاذ
من الكفار وقع لا من شعيب عليه السلم فكانه تعالى قال حاكيا عن الكفار لنخرجنك
يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا الا ان يشاء الله ان تعود فى ملتنا ثم قال تعالى
حاكيا عن شعيب م وما يكون لنا ان نعود فيها على كل حال ورابعها ان تعود
الها التى فى قوله تعالى فيها الى القرية لا الى الملة لان ذكر القرية قد تقدم كما
تقدم ذكر الملة ويكون تلخيص الكلام انا سنخرج من قريتكم ولا نعود فيها
الا ان يشاء الله بما ينجزه لنا من الوعد فى الاظهار عليكم والظفر بكم فنعود اليها
وخامسها ان يكون المعنى الا ان يشاء الله ان يردكم الى الحق فتكون جميعا على ملة
واحدة غير مختلفة لانه تعالى لما قال حاكيا عنهم. او لتعودن فى ملتنا كان
معناه او لتكونن على ملة واحدة غير مختلفة فحسن ان يقول تعالى من بعد الا ان
يشاء الله ان يجمعكم معنا على ملة واحدة فان قيل الاستثناء بالمشية انما كان

بعد قوله وما يكون لنا ان نعود فيها فكانه تعالى قال ليس نعود فيها الا ان يشاء الله
فكيف يصح هذا الجواب قلنا هو كذلك الا انه لما كان معنى ان نعود فيها هو
ان تصير ملتنا واحدة غير مختلفة جاز ان يوقع تعالى الاستثناء على المعنى فيقول
الا ان يشاء الله ان نتفق في الملة بان ترجعوا انتم الى الحق فان قيل فكان الله تعالى
ما يشاء ان يرجع الكفار الى الحق قلنا بلى قد يشاء ذلك الا انه ما شاءه على كل حال
لما جاز ان لا يقع منهم فكان شعيبا عليه السلام قال ان ملتنا لا تكون واحدة ابدا الا
بان يشاء الله ان يلجئكم الى الاجتماع معنا على ديننا وموافقتنا في ملتنا
والفايدة في ذلك واضحة لانه تعالى لو اطلق انا لا نتفق ابدا ولا تصير ملتنا واحدة
لتوهم متوهم ان ذلك مما لا يمكن على كل حال من الاحوال فافاد بتعليقه له بالمشية
هذا الوجه ويجري قوله الا ان يشاء الله مجرى قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن
من في الارض كلهم جميعا وسادسها ان يكون المعنى الا ان يشاء الله
ان يمكنكم من اكراهنا ويخلي بينكم وبينه فنعود الى اظهارها مكرهين
ويقوي هذا الوجه قوله تعالى او لو كنا كارهين وسابعها ان يكون المعنى
الا ان يشاء الله ان يتعبدنا باظهار ملتكم مع الاكراه ولان الاظهار لكلمة
الكفر قد يحسن في بعض الاحوال اذا تعبد الله تعالى باظهارها وقوله تعالى او لو كنا كارهين
يقوي هذا الوجه ايضا فان قيل كيف يجوز من نبي من انبياء الله تعالى ان يتعبده
باظهار الكفر وخلاف ما جاء به من الشرع قلنا يجوز ان يكون لم يرد بالاستثناء
نفسه بل قومه فكانه قال وما يكون لي ولامتي ان نعود فيها الا ان
يشاء الله بان يتعبد امتي باظهار ملتكم على سبيل الاكراه وهذا جائز غير ممتنع
تاويل خبر روى ابو هريره عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال
خير الصدقة ما ابقت غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدا بمن تعول
وقد قيل في قوله عليه السلام خير الصدقة ما ابقت غنى قولان احدهما ان خير
ما تصدقت به ما فضل عن قوت عيالك وكفايتهم فاذا اخرجت صدقتك

بل من وجه دون وجه وهو ان يؤمنوا ويصيروا الى الحق مختارين ليستحقوا الثواب الذي اجرى بالتكليف اليه ولو شاء على كل حال

عنك الى من اعطيت خرجت عن استغناء منك ومن عيالك عنها ومثله في الحديث
الآخر انما الصدقة عن ظهر غنى وقال ابن عباس في قوله تعالى ويسئلونك
ماذا ينفقون قل العفو قال ما فضل عن اهلك والجواب الآخر ان يكون اراد
خير الصدقة ما اغنيت به من اعطيت عن المسئلة اي تجزل له في العطية فيستغني
بها وذلك مثل ان يريد الرجل ان يتصدق بمائة درهم فدفعها الى رجل واحد
محتاج فيستغني بها ويكفه عن المسئلة فذلك افضل من ان يدفعها الى مائة رجل
لا تبين عليهم والتاويل الاول يشهد له آخر الخبر وهو قوله عليه السلام وابدا بمن
تعول ويشهد له الحديث الآخر ايضا انما الصدقة عن ظهر غنى وقوله عليه السلام
واليد العليا خير من اليد السفلى قال قوم يريد ان اليد المعطية خير من اليد
الآخذة وقال آخرون ان العليا هي الآخذة والسفلى هي المعطية قال ابن قتيبه
ولا ارى هؤلاء الا قوما استطابوا السؤال فهم يحتاجون للدناءة ولو كان
هذا يجوز لقيل ان المولى من فوق هو الذي اعتق والمولى من اسفل هو الذي
اعتق والناس انما يعلون بالعطاء والنوال قال المرتضى رضي الله عنه
وعندي ان معنى قوله عليه السلام واليد العليا خير من اليد السفلى غير ما ذكر
من الوجهين جميعا وهو ان تكون ههنا هي العطية والنعمة لان النعمة قد تسمى يدا
في مذهب اهل اللسان بغير شك فكانه عليه السلام اراد ان العطية الجزيلة خير من
العطية القليلة وهذا حث منه عليه السلام على المكارم وتحضيض على اصطناع
المعروف باوجز الكلام واحسنه مخرجا ويشهد لهذا التاويل احد الخبرين
المتقدمين في قوله عليه السلام ما ابقت غنى وهذا اشبه واولى من ان تحمل اليد على
الجارحة لان من ذهب الى ذلك وجعل المعطية خيرا من الآخذة لا يستمر قوله
لان فيمن ياخذ من هو عند الله تعالى خير ممن يعطي ولفظة خير لا تحمل الا على
الفضل في الدين واستحقاق الثواب واما من جعل الآخذة خيرا من العطية
فيدخل عليه هذا الطعن ايضا مع انه قد قال قولا شنيعا وعكس الامر

ويكفه عن المسئلة

لا بالسؤال

اصطناع

التاويلين

على ما ذكره ابن قتيبه فان قيل كيف يصح تاويلكم مع قوله عليه السلم خير الصدقة ما
ابقت غنى وهي لا تبقى غنى والتي تبقي غنى ليست الجزيلة وهذا تناقض قلنا
اما تاويلنا فمطابق للوجهين المذكورين في قوله عليه السلم ما ابقت غنى لان من تاول
ذلك على ان المراد بها المعطي وان خير العطية ما اغنته عن المسئلة فالمطابقة ظاهرة
ومن تاوله على الوجه الاخر وحمل ابقاء الغنى على المعطي واهله واقاربه فتاويلنا
ايضا مطابق له لانه قد يكون في العطايا التي يبقى بعدها الغنى خير من القليل فمدح
عليه السلم بعد ابقاء الغنى جزيل العطية وحث على الكرم والفضل اخبرنا ابو القاسم عبيد الله
بن عثمان بن يحيى قال اخبرنا ابو عبد الله الحكيمي قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى
النحوي قال انشدنا ابن الاعرابي لثابت قطنة العتكي. يا هند كيف بنصب بات يكنفني
وعاير في سواد الليل يوذيني. كان ليلي والاصداء هاجدة. ليلي السليم واعيا من
او بيبة. لما حنى الدهر من قوسي وعذرني. شيبي وقاسيت امر الغلظ واللين. اذا
ذكرت بلغنا ارقني. هم اذا اغرض السارون يشجيني كان المفضل عزا في ذوي يمن
وعصمة وثمالا للمساكين. غيثا الذي ازمة غبر اشاتيه. من السنين وماوى كل
مسكين. اني تذكرت قتلي لو شهدتهم في حومة الحرب لم يصلوا بها دوني. لا خير في
العيش اذ لم نجن بعدهم. حربا تبيئهم قتلى فتشفيني. لا خير في طمع يدني الى طبع.
وعفة من قوام العيش تكفيني. كم من عدو رماني لو قصدت له. لم ياخذ النصف
مني حين يرميني. انظر في الامر يعنيني الجواب به. ولست انظر فيما ليس يعنيني. لا
اركب الامر تزري بي عواقبه. ولا يعاب به عرضي ولا ديني. لا يغلب الجهل حلمي
عند مقدرة. ولا العضيهة من ذي الظغن تكبيني. قال المرتضى رضي الله عنه
وهذه الابيات يروى بعضها لعروة بن اذينة ويداخل ابياتا له على هذا الوزن
وهي التي يقول فيها. لقد علمت وما الاشراف من خلقي. ان الذي هو رزقي
سوف ياتيني. اسعى له فيعنيني تطلبه. ولو قعدت اتاني لا يعنيني. كم قد اذقت
وكم اتلفت من نشب. ومن معاريض رزق غير ممنون. فما اشرت على دبر

ولا ضرعت. نفسي لخلق عسى جاء يبلوني. حسبي كريم ونفسي لا تحدثني. ان
الاله بلا رزق يخليني. وما اشرت بمالي قط محمدة. الا تيقنت اني غير مغبون
ولا دعيت الى مجد ولا كرم. الا اجبت اليه من يناديني. لا ابتغي وصل من
يبغي مفارقتي. ولا الين لمن لا يبتغي ليني. اني سيعرفني من لست اعرفه.
ولو كرهت وايد وحين يخفيني. فنظن جاهدا واجهد على اذا. لا قيت قومك
فانظر هل يعطيني. وقوم يخطون فيردون قوم يخطون فيرمون بقوله لقد علمت
وما الاشراف من خلقي بالسين غير معجمة وذلك خطا وانما اراد بالاشراف اني
لا استشرف ولا اتطلع الى ما فاتني من امور الدنيا ومكاسبها فلا تتبعها نفسي
قال المرتضى رضي الله عنه ولي ابيات في معنى بعض ابيات ثابت قطنة وعروة بن
اذينة التي تقدمت وهي من جملة قصيدة طويلة خرجت عني منذ اثنتي عشرة سنة والا
يعاقبني بؤس الزمان وخفضه. وادبني حرب الزمان وسلمه. وقد علم المغرور بالدهر
انه. وراء سرور المرء في الدهر غمه. وما المرء الا نهب يوم وليلة. تحث به
شهب الفناء ودهمه. يعلله برد الحياة بمسه. ويغتره روح النسيم بنمه
وكان بعيدا عن منازعة الردى. فالقته في كف المنية امه. على اننا نبغي النجاة
وكلنا. نلاقيه من ام المنية حتمه. الا ان خير الزاد ما سد فاقة. وخير تلاد
الذي لا اجمه. وان الطوى بالعز احسن بالفتى. اذا كان من كسب المذلة طعمه
واني لانهى النفس عن كل لذة. اذا ما ارتقى منها الى الارض واصمه. واعرض عن
نيل الثراء اذا بدى. وفي نيله سوء المقال وذمه. اعف وما الفحشاء عني بعيدة
وحسبي في صد عن الامر اثمه. وما العف من ولى عن الضرب سيفه. ولكن من
ولي عن السوء حزمه. ولي في معنى قوله. وما الاشراف من خلقي. ما خامر الرزق
قلبي قبل مجائه. ولا بسطت له في النائبات يدي. كم قد تراد ف لم اجفل بزيادته
ولو تجاوزني ما فت في عضدي. ان اسخط الامر ادرك عنه مضطربا. وان ارد
بدلا من مذهب اجد. ومعنى ما خامر الرزق قلبي قبل مجائه. اي لم اتمنه

الا بعد ان تنفق غيرها واذا كانت العطية التي هي الجزيلة وافضل تلك لا تبقى غنى ح

على الاهل والاتباع بجزيل وغير جزيل فقال عليه السلام خير الصدقة ما ابقت غنى بعد الهبة والعطية الجزيلة التي يبقى بعدها غنى ح

عثمان بن يحيى

عاذلي

مكرمة

يناديني

ولا تطلعت الى حضوره ولا خطر لى ببالى تنزها وتعففا والوجه فى تخصيص
نفى بسط اليد فى النوايب لان النوايب يضرع عندها فى الاكثر المتنزه وطلب
المتعفف فمن لزم النزاهة مع الحاجة وشدة الضرورة فهو الكامل المروة
ومعنى البيت الثانى ظاهر فاما الثالث فالمراد به اننى ممن اذا كره شيئا تمكن
من مفارقته والنزوع عنه ولست ممن تضيق حيلته وتقصر قدرته عن استبدال
ما يحب بما يكره وفيه فايدة اخرى وهى اننى ممن لا تملكه العادات ويتعاده
الاهوا بل متى اردت مفارقة خلق الى غيره وعادة الى سواها لم يكن ذلك
على متعذرا من حيث كان الرايى على هواى السلطان والرجحان اخبرنا ابو عبد الله
المرزبانى قال حدثنا محمد بن ابرهيم قال حدثنا احمد بن يحيى النحوى قال حدثنا
الزبير بن بكار قال حدثنا عروة بن عبيد الله بن عروة بن الزبير قال كان
عروة بن اذينة نازلا مع ابى فى قصر عروة بالعقيق فسمعته ينشد لنفسه.
ان التى زعمت فؤادك ملها. خلقت هواك كما خلقت هوى لها. بيضاء باكرها
النعيم فصاغها. بلباقة فادقها واجلها. فبك الذى زعمت بها وكلاكما.
ابدى لصاحبه الصبابة كلها. ولعمرها لو كان حبك فوقها. يوما وقد ضحيت
اذا لاظلها. فاذا وجدت لها وساوس سلوة. شفع الضمير الى الفواد فسلها.
لما عرضت مسلما فى حاجة. اخشى صعوبتها وارجوا ذلها. منعت تحيتها
فقلت لصاحبى ما كان اكثرها لنا واقلها. فدنا فقال لعلها معذورة.
فى بعض رقبتها فقلت لعلها. قال عروة بن عبيد الله فجاءنى ابو السايب المخزومى
يوما فسلم على ثم جلس الى فقلت له بعد الترحيب بك الك حاجة يا ابا السايب.
فقال او كما تكون الحاجة ابيات لعروة بن اذينة بلغنى انك سمعتها منها
فقلت اى ابيات فقال وهل يخفى القمر ان التى زعمت فؤادك ملها وانشدته
اياها فقال ما يروى هذا الا اهل المعرفة والفضل هذا والله الصادق الود
الدائم العهد لا الهذلى الذى يقول . ان كان اهلك يمنعونك رغبة

عنى فاهلى بى اضن وارغب. لقد عدا الاعرابى طوره وانى لارجوان يغفر الله تعالى
لابن اذينة فى حسن الظن بها وطلب العذر لها فدعوت له بطعام فقال لا والله
حتى اروى هذه الابيات فلما رواها وثب فقلت كلا انت يغفر الله لك حتى
تاكل فقال ما كنت لاخلط بحبى لها واخذى لها غيرها وانصرف قال المرتضى رضى
والهذلى الذى عناه هو عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلى وقول عروة باكرها
النعيم اراد انها لم تعش الا فى النعيم ولم تعرف الا الخفض وانها لم تلاق بوسا
فتخشع وتخضع وتضرع ويوثر ذلك فى جمالها وتمامها والبكور هو التقديم فى
كل وقت وكان عروة بن اذينة مع تغزله يوصف بالعفاف والنزاهة وروى
ان سكينة بنت الحسين ع مرت به فقالت له يا ابا عامر انت الذى تقول . اذا وجدت
اوار الحب فى كبدى. اقبلت نحو سقاء القوم ابترد. هبنى بردت ببرد الماء
ظاهره. فمن لنار على الاحشاء تتقد. وانت القايل قالت وابثثتها وجدى فبحت به
قد كنت عندى تحب الستر فاستتر. الست تبصر من حولى فقلت لها. غطى
هواك وما القى على بصرى. قال نعم قالت هن حراير واشارت الى جواريها
ان كان هذا خرج من قلب سليم وانشدنى ابو الحسن على بن احمد عن احمد بن يحيى
لعروة. كان خزامى طلة طاب بها الندى. وفارة مسك ضمنتها ثيابها. فكدت
لذكراها اطير صبابة. وغالبت نفسا زاد شوقا غلابها. اذا اقتربت سلمى لجت
بهجرها. وان تغترب يوما يرعك اغترابها. ففى اى هذا راحة لك عندها.
سواء لعمرى نايها واغترابها. وعاد الهوى منها كظل سحابة. الاح ببرق
ثم مر سحابها. قال المرتضى رضى الله عنه وهيهات هذا البيت الاخير من قول
كثير. وانى وهيماى بعزة بعدما. تخليت مما بيننا وتخلت. لكالمرتجى
ظل الغمامة كلما. تبوا منها للمقيل اضمحلت. كانى واياها سحابة ممحل.
رجاها فلما جاوزته استهلت وروى يحيى بن على قال حدثنا ابو هفان
قال اشعر ابيات قيلت فى الحسد والدعاء لهم بالكثرة قول الكميتين معروف

وانشد له هذا البيت م

الا وار حرارة النار والشمس وحرارة العطش

اربعة ناولهام

الاسدى . ان يحسدونى فانى غير لائمهم . قبلى من الناس اهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم مابى ومابهم . ومات اكثرنا غيظا بما يجد . انا الذى يجدونى فى صدورهم
لاارتقى منها صدرا ولاارد . لاينقص الله حسادى فانهم . اسر عندى من اللائى
له الودد . وقال عروة بن اذينه . لاابعد الله حسادى وزادهم . حتى يموتوا
بداء فى مكنون . انى رايتهم فى كل منزلة . اجل قدرا من اللائى يحبونى
وقال نصر بن سيار . ان يحسدونى على مابى ومابهم . فمثل مابى لعمرى جر لى الحسدا .
وقال معن بن زايدة . انى حسدت فزاد الله فى حسدى . لاعاش من عاش يوما غير محسود
مايحسد المرء الامن فضائله . بالعلم والظرف وبالباس والجود . قال المرتضى رضه
وقد لحظ البحترى هذا المعنى فى قوله . محسد بخلال فيه فاضلة . وليس
تفترق النعماء والحسد . واظن ابا العتاهية اخذ قوله . كم عايب لك لم يسمع
مقالته . ولم يزدك لدنيا غير تزيين . كان عايبكم يبدى محاسنكم . وصفا
فيمدحكم عندى ويغرينى . مافوق حبك حب لست اعلمه . فلا يضرك ان لاتنس تدنى
من قول عروة بن اذينه لايبعد سعدى ربحى من جوى سقمى . يوما ولا قربها ان جم
اذا الوشاة لحوافيها عصيتهم . وخلت ان بعض اللوم يغرينى . وقد اخذ
ابونواس هذا المعنى فى قوله . ماحطك الواشون عن رتبة عندى ولا ضرك
مغتاب . كانهم اثنوا ولم يعلموا . عليك عندى بالذى عابوا . ولعروة بن اذينه
تروعنا الجنائز مقبلات . ونلهو حين تخفى ذاهبات . كروعة ثلة لمغار ذيب
فلما غاب عادت راتعات . الثلة القطعة من الضان وهذا المعنى قد سبق اليه
بعض الاعراب فقال . ونحدث روعات لدى كل فزعة . ويسرع نسيانا وما جاءنا امن
وانا ولا كفران لله ربنا . لكالبدن لاندرى متى يومها البدن . فاخذه
ابو العتاهية فى قوله . اذا ما رايتم ميتين جزعتم . وان غيبوا عنكم الى صبواتها .
واخذ عروة قوله . ان الفتى مثل الهلال له . ضوء يلالى تم ينمحق . يبلى ويفنيه
الدهور كما . يبلى وينضو الجدة الخلق . من قول بعض شعراء طى . مهما يكن ريب

الزمان

الزمان فاننى . ارى قمر الليل المعذب كالفتى يهل صغيرا ثم يعظم ضوءه . وصورته
حتى اذا ما هو استوى . تقارب يخبو ضوءه وشعاعه . ويمصح حتى يستتر ولايرى
كذلك زيد المرء ثم انتقاصه . يعود الى مثل الذى كان قد بدا . واخذه محمد بن يزيد
الكاتب . المرء مثل هلال عند مطلعه . يبدو ضئيلا ضعيفا ثم يتسق . يزداد
حتى اذا ما تم اعقبه . كر الجديدين نقصانا فينمحق . تاويل اخر ان سال سائل
عن قوله تعالى وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ
وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ
بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ
فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ
بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا
لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا
يَعْلَمُونَ فقال كيف ينزل الله تعالى السحر على الملائكة ام كيف تعلم الملائكة الناس
السحر والتفريق بين المرء وزوجه وكيف نسب تعالى الضرر الواقع عند ذلك
الى انه باذنه وهو تعالى قد نهى عنه وحذر من فعله وكيف اثبت العلم لهم
ونفاه عنهم بقوله تعالى ولقد علموا لمن اشتراه ثم بقوله لو كانوا يعلمون
الجواب قلنا فى الاية وجوه كل واحد منها يزيل الشبهة الداخلة على من لم
يمعن النظر فيها اولها ان يكون ما فى قوله تعالى وما انزل على الملكين
بمعنى الذى فكانه تعالى خبر عن طايفة من اهل الكتاب بانهم اتبعوا ما تكذب
فيه الشياطين على ملك سليمن وتضيفه اليه من السحر فبراه الله تعالى من قرفهم
واكذبهم فى قولهم فقال الله تعالى وما كفر سليمن ولكن الشياطين كفروا
باستعمال السحر والتمويه على الناس ثم قال تعالى يعلمون الناس السحر وما انزل
على الملكين واراد تعالى انهم يعلمونهم السحر والذى انزل على الملكين
وانما انزل على الملكين وصف السحر وماهيته وكيفية الاحتيال فيه ليعرفا ذلك ويعرفا

الناس فيجتنبوه ويحذروا منه كما انه تعالى اعلمنا ضروب المعاصي ووصف لنا
احوال القبائح ليجتنبها لا لنواقعها غير ان الشياطين كانوا اذا علموا ذلك
وعرفوه استعملوه واقدموا على فعله وان كان غيرهم من المؤمنين لما عرفه
اجتنبه وحاذره وانتفع باطلاعه على كيفيته ثم قال تعالى وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ
يعني الملكين ومعنى يعلمان يُعْلِمان والعرب تستعمل لفظة علّمه بمعنى اعلمه
قال القطامي. تعلّم ان بعد الغيّ رشدًا. وان لهذا الغمّ انقشاعا. وقال كعب
ابن زهير. تعلّم رسول الله انك مدركي. وانّ وعيدًا منك كالاخذ
باليد. ومعنى تعلّم في البيتين بمعنى اعلم والذي يدل على ان هيهنا الاعلام
قوله تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر اي انهما لا يعرّفان
السحر وكيفيته الا بعد ان يقولا انا نحن محنة لان الفتنة بمعنى المحنة وانما
كان محنة من حيث القيا الى المكلفين امرا لينزجروا عنه وليمتنعوا من مواقعته
وهم اذا عرفوه امكن ان يستعملوه ويرتكبوه فقالا لمن يطلعانه على ذلك لا
تكفر باستعماله ولا تعدل عن الغرض في القاء هذا اليك فانه انما القي اليك
واطّلعت عليه لتجتنبه لا لتفعله ثم قال تعالى فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين
المرء وزوجه اي فيعرفون من جهتهما ما يستعملونه في هذا الباب وان كان
الملكان ما القياه اليهم لذلك ولهذا قال تعالى ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم
لانهم لما قصدوا بتعلمه ان يفعلوه ويرتكبوه لا ان يجتنبوه صار ذلك
بسوء اختيارهم ضررًا عليهم وثانيها ان يكون ما انزل موضعه موضع جرّ
ويكون معطوفا على ما انزل على الملكين اي معهما وعلى السنتهما كما قال تعالى
رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ اي على السنتهم ومعهم وليس بمنكر
ان يكون ما انزل معطوفا على ملك سليمن وان اعترض بينهما ومثله وَيَسْأَلُونَكَ
عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ
وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فالمسجد الحرام هيهنا معطوف على الشهر الحرام اي يسئلونك عن

لا التعليم

على ملك سليمن والمعنى واتبعوا ما كذب
به الشياطين على ملك سليمن و

الشهر الحرام
من الكلام ما عرفت لان ذروا الذي ...
الى نظره وعطفه على ما هو اوله ...
وان يعترض بينهما ما ليس منهما ولهذا نظاير
في القران وكلام العرب كثيرة قال الله تعالى
الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم
يجعل له عوجا قيما ... من صفات الكتاب
حال فلا من صفة عوج وان تباعدا ما بينهما

الشهر الحرام وحكي عن بعض العلماء الاهل اللغة انه قال العرب تلفّ الخبرين
المختلفين ثم ترمي بتفسيرهما جملة ثقة بان السامع يردّ الى كلٍّ خبره كقوله تعالى وَمِنْ
رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وهذا واضح
في مذهب العرب كثير النظاير ثم قال تعالى وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ
فِتْنَةٌ والمعنى انهما لا يعلمان احدا بل ينهيان عنه ويبلغ من نهيهما عنه وصدّهما
عن فعله واستعماله ان يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر باستعمال السحر والاقدام
على فعله وهذا كما يقول الرجل ما امرت فلانا بكذا ولقد بالغت في نهيه حتى قلت له
انك ان فعلته اصابك كذا وكذا وهذا هو نهاية البلاغة في الكلام والاختصار
الدالّ مع اللفظ القليل على المعاني الكثيرة لانه استغنى بقوله تعالى وما يعلمان
من احد حتى يقولا انما نحن فتنة عن بسط الكلام الذي ذكرناه ولهذا نظاير في القرآن
قال الله تعالى مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ
وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فلولا الاختصار لكان معنى شرح الكلام ان يقول ما اتخذ الله من
ولد وما كان معه من اله ولو كان معه اله اذا لذهب كل اله بما خلق ومثله قوله تعالى
يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ
إِيمَانِكُمْ وامثاله اكثر من ان تورد ثم قال تعالى فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ
بين المرء وزوجه وليس يجوز ان يرجع الضمير على هذا الجواب الى الملكين
وكيف يرجع اليهما وقد نفى تعالى عنهما التعليم بل يرجع الى الكفر والسحر وقد تقدّم
ذكر السحر وتقدّم ايضا ذكر ما يدل على الكفر والعطف عليه مع السحر جايز وان
كان التصريح وقع بذكر السحر دونه ومثل ذلك قوله تعالى سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَىٰ
وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ اي يتجنب الذكرى الاشقى
ولم يتقدم تصريح بالذكرى لكن دلّ عليها قوله تعالى سيذكّر ويجوز ايضا ان
يكون المعنى فيتعلمون منهما اي بدلا مما علّمهم الملكان ويكون المعنى انهم يعدلون
عما علّمهم ووقفهم عليه الملكان من النهي عن السحر الى تعلّمه واستعماله كما يقول

وغير المسجد الحرام

تذوقوا العذاب اي فيقال للذين اسودت وجوههم
اكفرتم بعد ايمانكم

يتعقبه في قوله ولكن الشياطين كفروا بذلك كفروا

الوطب زق اللبن وبعضه بالكتب فيه والقرشة القرع والاصدقع ضعف والمرغه الفرق التي علقت الدابة عليها وابراهيم ابرل ... المدار الكبر والمدلع

القايل ليت لنا من كذا وكذا ابد لامنه كما قال الشاعر. جمعت من الخيرات وطبا وعلبة
وصرّا لاخلاف المزنمة البزّل. ومن كل اخلاق الكرام نميمة. وسعيا على
الجار المجاور بالمحل. يريد جمعت مكان الخيرات ومكان اخلاق الكرام هذه
الخصال الذميمة وقوله تعالى ما يفرقون به بين المرء وزوجه فيه وجهان احدهما
ان يكونوا يغوون احد الزوجين ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى فيكون
بذلك قد فارق زوجه الاخر المؤمن المقيم على دينه فيفرق بينهما اختلاف
النحلة والملة والوجه الاخر ان يسعوا بين الزوجين بالنميمة والوشاية والاغراء
والتمويه بالباطل حتى يؤل امرهما الى الفرقة والمباينة وثالث الوجوه في الاية
ان يحمل على ما في قوله تعالى وما انزل على الملكين على الجحد والنفي فكانه تعالى
قال واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن وما كفر سليمن ولا
انزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر
ببابل هاروت وماروت ويكون قوله تعالى ببابل هاروت من المؤخر الذي
معناه التقديم فيكون على هذا التاويل هاروت وماروت رجلين من جملة الناس
هذان اسماؤهما وانما ذكرا بعد ذكر الناس تمييزا وتبيينا ويكون الملكان المذكوران
اللذان نفى الله تعالى عنهما السحر جبرئيل وميكائيل لان سحرة اليهود فيما ذكر
كانت تدعى ان الله تعالى انزل السحر على لسان جبرئيل وميكائيل الى سليمان
فاكذبها الله تعالى بذلك ويجوز ان يكون هاروت وماروت يرجعان الى الشياطين
فكانه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا ويسوغ ذلك كما ساغ
في قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين يعنى تعالى حكم داود وسليمن ويكون قوله
على هذا التاويل وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة راجعا الى
هاروت وماروت اللذين هما من الشياطين او من الانس المتعلمين للسحر من الشياطين
والعاملين به ومعنا قولهما انما نحن فتنة فلا تكفر يكون على طريق الاستهزاء
والتماجن والتخالع كما يقول الماجن من الناس اذا فعل قبيحا او قال باطلا هذا

فمن

١٠

فعل من لا يفلح وقول من لا ينجب ووالله ما حصلت الا على الخسران وليس ذلك
منه على سبيل النصيحة للناس وتحذيرهم من مثل فعله بل على جهة المجون
والتهالك ويجوز ايضا على هذا التاويل الذي يتضمن الجحد والنفي ان يكون هاروت
وماروت اسمين للملكين ونفى عنهما انزال السحر بقوله تعالى وما انزل على الملكين
ويكون قوله تعالى وما يعلمان من احد يرجع الى قبيلتين من الجن او الى شياطين
الجن والانس فحسن التثنية لهذا وقد روى ان هذا التاويل الاخير
في حمل ما على النفي عن ابن عباس وغيره من المفسرين وحكى عنه ايضا انه
كان يقرأ على الملكين بكسر اللام ويقول متى كان العلجان ملكين انما كانا ملكين
وعلى هذه القراءة في الاية وجه اخر وهو ان يحمل قوله تعالى وما انزل على الملكين
على الجحد والنفي وهو ان يكون هولاء الذين اخبر عنهم اتبعوا ما تتلوا الشياطين
وتدعيه على ملك سليمان واتبعوا ما انزل على هذين الملكين من السحر ولا يكون
الانزال مضافا الى الله تعالى وان اطلق لانه جل وعز لا ينزل السحر بل يكون
منزله اليهما بعض الضلال والعصاة ويكون معنى انزل وان كان من الارض حمل
اليهما لا من السماء انه اتى به من نجود الارض والبلاد واعاليها فان من هبط من نجد
من البلاد الى غورها يقال نزل وهبط وما جرى هذا المجرى فاما قوله تعالى وما هم
بضارين به من احد الا باذن الله فيحتمل وجوها منها ان يريد تعالى بالاذن
العلم من قولهم اذنت فلانا بكذا وكذا اذا اعلمته واذنت بكذا وكذا اذا استمعته
وعلمته وقال الشاعر. في سماع باذن الشيخ له. وحديث مثل ماذي مشار.
ومنها ان تكون الا زايدة ويكون المعنى وما هم بضارين به من احد باذن الله
ويجري مجرى قول احدنا لقيت زيدا الا اني اكرمته اي لقيت زيدا فاكرمته و
ومنها ان يكون اراد تعالى باذن التخلية وترك المنع فكانه تعالى افاد بذلك
ان العباد لو يعجزوه وما هم بضارين احدا الا بان يخلي الله تعالى بينهم وبينه ولو شاء
لمنعهم بالقهر والقسر زايدا على منعهم بالنهي والزجر ومنها ان يكون الضرر الذي

القرآات لا ينكر ان يرجع قوله وما يعلمان من احد اليهما ويمكن ... ٢

عنى انه لايكون الا باذنه تعالى واضافه اليه ما هو ملحق المسحور من الادوية
والاغذية التى يطعمه اياها السحرة ويدعون انها موجبة لما يقصدونه فيه
من الامور ومعلوم ان الضرر الحاصل عن ذلك من فعل الله تعالى بالعادة لان
الاغذيه لاتوجب ضررا ولانفعا وان كان المعرض للضرر من حيث كان الفاعل
له هو المستحق للذم وعليه يجب العوض ومنها ان يكون الضرر المذكور انما هو
ما يحصل عن التفريق بين الازواج لانه اقرب اليه فى ترتيب الكلام والمعنى
انهم اذا اغووا احد الزوجين فكفر فبانت منه زوجته فاستضر بذلك كانوا
ضارين له بما حسنوا له من الكفر الا ان الفرقة لا تكن الا باذن الله وحكمه
لانه تعالى هو الذى حكم وامر بالتفريق بين المختلفى الاديان فلهذا قال تعالى
وما هم بضارين به من احد الا باذن الله والمعنى انه لولا حكم الله واذنه فى
الفرقة بين هذين الزوجين باختلاف الملة لم يكونوا بضارين له هذا الضرب
من الضرر الحاصل عند الفرقة ويقوى هذا الوجه ما روى انه كان من دين
سليمن م ان من سحر بانت منه امرأته فاما قوله تعالى لو كانوا يعلمون ففيه
وجوه اولها ان يكون اللذين علموا غير الذين لم يعلموا ويكون الذين علموا الشياطين
او الذين خبر عنهم بانهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لايعلمون
واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن والذين لم يعلموهم الذين
علموا السحر وشروا به انفسهم وثانيها ان يكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا
الا انهم علموا شيئا ولم يعلموا غيره فكانه تعالى وصفهم بانهم عالمون بانه
لانصيب لمن اشترى ذلك ورضيه لنفسه على الجملة ولم يعلموا كنه ما يصير
اليه من العقاب الذى لانفاد له ولا انقطاع وثالثها ان يكون الفايدة فى نفى العلم
بعد اثباته انهم لم يعلموا بما علموا فكانهم لم يعلموا وهذا كما يقول احدنا
لغيره ما ادعوك اليه خير لك واعود عليك لو كنت تعقل وتنظر فى العواقب
[illegible] وهو يعقل وينظر فى العواقب الا انه لم يعمل بموجب علمه فحسن

انيقول

ان يقال له مثل هذا القول وقال كعب بن زهير يصف ذئبا وغرابا تبعاه ليصيبا
من زاده . اذا حضرانى قلت لو تعلمانه . الم تعلما انى من الزاد مرمل . فنفى عنهما
العلم ثم اثبته بقوله الم تعلما انى من الزاد مرمل وانما المعنى فى نفيه العلم
عنهما انهما لم يعملا بما علما فكانهما لم يعلما ورابعها ان يكون المعنى ان هؤلاء
القوم الذين قد علموا ان الاخرة لاحظ لهم فيها مع علمهم القبيح الا انهم
ارتكبوه طمعا فى حطام الدنيا وزخرفها فقال الله تعالى ولبئس ما شروا به
انفسهم لو كانوا يعلمون ان الذى اتوه وجعلوه عوضا من الاخرة لا
يتم لهم ولا يبقى عليهم وانه منقطع زائل ومضمحل باطل وان المآل الى
المستحق فى الاخرة وكل ذلك واضح بحمد الله المجلس الثلثون فى تاويل خبر
روى عقبة بن عامر عن النبى ص انه قال لو كان هذا القران فى اهاب ما مسته
النار وقد ذكر متاولوا حديث النبى ص فى هذا الخبر وجوها كلها غير صحيح
ولا شاف وانا اذكر ما ذكروه وابين ما فيه ثم اذكر الوجه الصحيح قال ابن قتيبه
ذهب الاصمعى الى ان من تعلم القران من المسلمين ثم القى فى النار فلم تحرقه
فكنى عليه السلم بالاهاب وهو الجلد عن الشخص والجسم واحتج على تاويله هذا
بالحديث بما روى عن سليمن بن محمد قال سمعت ابا امامه يقول اقرؤا القران
ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقه فان الله تعالى لايعذب قلبا وعى القران
قال ابن قتيبه وفى الحديث تاويل اخر وهو ان يكون القران لو كتب فى جلد
ثم القى فى النار على عهد رسول الله صلم لم تحرقه النار على جهة الدلالة على صحة
امر النبى ص ثم انقطع ذلك بعده قال وجرى هذا مجرى كلام الذيب وشكاية
البعير وغير ذلك من اياته عليه السلم قال وفيه تاويل ثالث وهو ان يكون
الاحراق انما نفى عن القران لا عن الاهاب ويكون معنى الحديث لو جعل
القران فى اهاب ثم القى فى النار ما احترق القران وكان النار تحرق الجلد ولا تحرق
القران لان الله تعالى ينسخه ويرفعه من الجلد صيانة له عن الاحراق وقال

ابو بكر محمد بن القاسم الانبارى رادّا على ابن قتيبه ومعترضا عليه اعتبرت
ما قال ابن قتيبه من ذلك كله فما وجدت فيه شيئا صحيحا اما قوله الاول
فيردّه ما روى عليه السلم من قوله يخرج قوم من النار بعد ما يحترقون فيها
فيقال هؤلاء الجهنميّون طلقاء الله تعالى قال وقد روى ابو سعيد الخدرى عن النبى ع
انه قال اذا دخل اهل الجنّة الجنّة واهل النّار النّار قال الله تعالى انظروا
من كان فى قلبه مثقال ذرّة من خردل من ايمان فاخرجوه منها قال ابو بكر
وكيف يصحّ قول ابن قتيبه فى زعمه انّ النار لا تحرق من قرأ القران ولا خلاف
بين المسلمين فى انّ الخوارج وغيرهم ممّن يلحد فى دين الله ويقرأ القران تحرقهم
النّار بغير شك واحتجاجه بخبر ابى امامه انّ الله لا يعذّب قلبا وعى القران
فمعناه قرأ القران وعمل به فامّا من حفظ الفاظه وضيّع حدوده فانّه غير واع له
قال فامّا قوله انه من دلايل النبوة التى انقطعت بعده فما روى هذا الحديث
احد انّه كان فى دلايله ولو كان ذلك دليلا لكان عليه السلم يجعل القران
فى اهاب ثم يلقيه فى النّار فلا يحترق قال وقول ابن قتيبه الثّالث لا احرق
الجلد والمداد ولم يحترق القران غير صحيح ايضا لانّ الذى يصحّح هذا القول
يوجب انّ القران غير المكتوب وهذا محال ايضا لانّ المكتوب فى المصحف
هو القران والدّليل على هذا قوله تعالى إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ
مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ومنه الحديث لا تسافروا بالقران الى
ارض العدوّ وانّما يريد المصحف قال ابو بكر القول عندنا فى تاويل هذا الخبر
انه عليه السلم اراد لو كان القران فى جلد ثمّ القى فى النّار ما ابطلته لانها وان
احرقته فانها لا تدرسه اذ كان الله عزّ وجلّ قد ضمّنه قلوب الاخيار من عباده
والدّليل على هذا قول الله تعالى للنبى صلعم فيما يروى انّى منزل عليك كتابا
لا يغسله الماء تقراه نايما ويقظانا فلم يرد تعالى انّ القران لو كتب فى شىء
ثم غسل بالماء لم يغتسل وانّما اراد تعالى انّ الماء لا يبطله ولا يدرسه اذا

كانت

كانت القلوب تعيه وتحفظه قال ومثل هذا كثير فى كتاب الله تعالى وفى لغة العرب
قال الله عزّ وجلّ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا
يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا فهم قد كتموا الله لمّا قالوا والله ربّنا ما كنّا مشركين
وانّما اراد الله تعالى ولا يكتمون الله حديثا فى حقيقة الامر لانّهم وان كتموه فى
الظاهر فالذى كتموه غير مستتر عنه قال المرتضى رضى الله عنه والوجه الصحيح
فى تاويل الخبر غير ما توهّمه ابن قتيبه وابن الانبارى جميعا وهو انّ هذا من كلامه
على طريق المثل والمبالغة فى تعظيم شان القران والاخبار عن جلالة قدره وعظم
خطره والمعنى انه لو كتب فى اهاب والقى فى النّار وكانت النّار ممّا لا يحرق شيئا
لجلالته وعلوّ شانه لم تحرقه النّار ولهذا نظاير فى القران وكلام العرب وامثالهم
ظاهرة كثيرة لا تخفى على من له ادنى انس بمذاهبهم وتصرّف كلامهم فمن ذلك
قوله تعالى لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ
خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ومعنى الكلام
انا لو انزلنا القران على جبل وكان الجبل ممّا يتصدّع اشفاقا من شىء او
خشية لامر لتصدّع مع صلابته وقوّته فكيف بكم يا معاشر المكلّفين مع
ضعفكم وقلّتكم فانتم اولى بالخشية والاشفاق وقد صرّح الله تعالى بانّ الكلام
خرج مخرج المثل بقوله تعالى وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
ومثله قوله تعالى تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ
هَدًّا . ومثله قول الشاعر . اما وجلال الله لو تذكرينى كذكراك ما انهنهت
للعين مدمعا . فقالت بلى والله ذكرا لو انّه . تضمّنه صمّ الصفا لتصدّعا
ومثله . فلو انّ ما بى بالحصا فلق الحصا . وبالرّيح لم يسمع لهنّ هبوب . ومثله
وقفت على ربع لميّة ناقتى . فما زلت ابكى عنده واخاطبه . واسقيه حتى كاد
ممّا ابثّه . تكلّمنى احجاره وملاعبه . وهذه طريقة للعرب مشهورة فى المبالغة
يقولون هذا كلام يفلق الصخر ويهدّ الجبال ويصرع الطير ويستنزل الوعول

وليس ذلك بكذب منهم بل المعنى انه لحسنه وحلاوته وبلاغته يفعل مثل
هذه الامور لو تاتت ولو كانت مما يتسهل ويتيسر بشي من الاشيا لتسهلت
به ومن اجله فاما الجواب الاول المحكي عن ابن قتيبة وحكاه عن الاصمعي
فالذي يبطله زايدا على ما رده ابن الانباري انه لو كان الامر على ما ذكره ابن قتيبة م
لكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اغرانا بالذنوب لانه اذا امن حافظ القران ومتعلمه من
دخول النار والعذاب فيها ركن المكلفون الى تعلم القران والاقدام على القبايح
غير خايفين وهذا لا يجوز عليه والمعنى في قول ابي امامة ان الله عز وجل لا يعذب
قلبا وعى القران على نحو ما ذكره ابن الانباري فاما جواب ابن قتيبة الثاني فمن اين له
ان ذلك يختص بزمانه عليه السلم وليس في اللفظ ولا في غيره دلالة عليه واقوى
ما يبطله انه لو كان هذا كما ذكره لما جاز ان يخفى ذلك على جماعة المسلمين اللذين رووا
جميع معجزاته عليه السلم وضبطوها وفي وجداننا من روى ذلك وجمعه وعني به غير عارف
بهذه الدلالة والاية ابطال لما توهم فاما جوابه الثالث فباطل لان القران
في الحقيقة ليس يحل الجلد ولا يكون فيه حتى ينسب الاحتراق الى الجلد دونه
واذا كان الامر على هذا لم يكن في قوله ان الاهاب هو المحترق دون القران
فايدة لان هذه سبيل كل كلام كتب في اهاب او في غيره لانه اذا احترق الاهاب
لم يضف الاحتراق الى الكلام لاستحالة هذه الصفة عليه ومن عجيب الامور
قول ابن الانباري وهذا يوجب ان القران غير المكتوب لان كلام ابن قتيبة ليس
ولهذا علق الاحتراق بالكتابة والجلد دون المكتوب الذي هو القران م
يوجب ما ظنه بل يوجب ضده من ان المكتوب هو القران واذا كان المكتوب
في المصحف هو القران على ما اقترح ابن الانباري فما المانع من قول ابن قتيبة
ان الجلد يحترق دونه لان احدا لا يقول ان الجلد هو القران وانما يقول قوم
انه مكتوب فيه واذا كان غيره لم يمتنع اضافة الاحتراق الى احدهما دون
الاخر وهذا كله تخليط من الرجلين لان القران غير حال في الجلد على الحقيقة
وليست الكتابة غير المكتوب وانما الكتابة امارة للحروف فاما ان تكون هي
الكلام على الحقيقة او يوجد معها الكلام مكتوبا فمحال فاما استشهاده على ذلك

بالاية وبقوله لا تسافروا بالقران فذلك تجوز وتوسع وليس يجب ان يجعل اطلاق
الالفاظ المحتملة دليلا على اثبات الاحكام والمعاني ومعترضة على ادلة العقول
وقد تجوز القوم م
ويجوز القران باكثر من هذا فقالوا في هذا الكتاب شعر امرئ القيس وعلم الشافعي
وفقه فلان ولم يقتض ذلك ان يكون العلم والكلام على الحقيقة موجودين في
الدفتر وقد بين الكلام في هذا الباب في مواضع هي اولى به فاما جواب
ابن الانباري الذي ارتضاه لنفسه فلا طايل ايضا فيه لانه لا مزية للقران
فيما ذكره على كل كلام وشعر في العالم لانا نعلم ان الشعر والكلام المحفوظ في صدور
الرجال اذا كتب في جلد ثم احترق او غسل لم يذهب ما في الصدور منه بل يكون
ثابتا بحاله فاي مزية للقران في هذا على غيره واي تفضيلة فان قال وجه المزية
ان غير القران من الشعر وغيره يمكن ان يندرس ويبطل باحتراق النار والقران
اذا كان تعالى هو المتولي لابداعه الصدور ولا يتم ذلك فيه قلنا الكل سواء
لان غير القران انما يبطل باحتراق الاهاب المكتوب فيه متى لم يكن محفوظا
مودعا للصدور ومتى كان بهذه الصفة لم يبطل بالاحتراق وهكذا القران
باحتراق الجلد م
لو لم يحفظ في الصدور لبطل بالاحتراق ولكنه لا يبطل لهذا الشرط فصار الشرط
في بطلان القران فيما خص به من ان النار لا تمسه وهذا يبين انه لا وجه غير
وثباته كالشرط في بطلان القران وثباته
ما ذكرناه في الخبر وهو اشبه بمذاهب العرب واولى بتفضيل القران
فلا مزية على هذا الجواب للقران م
وتعظيمه حدثنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثنا ابن دريد قال انشدنا
ابو حاتم قال ابن دريد وانشدنا عبد الرحمن يعني ابن اخي الاصمعي عن عمه
الحسين بن مطير الاسدي وقال عبد الرحمن قال عمي لو كان شعر العرب هكذا
ما اتهم منشده . الا حب بالبيت الذي انت هاجره . وانت بتلماح من الطرف
زايره . فانك من بيت لعيني معجب . واملح في عيني من البيت عامره . اصد
حياء ان يلج بي الهوى . وفيك المنى لولا عدو احاذره . وفيك حبيب النفس
لو نستطيعه . لمات الهوى والشوق حين تجاوره . فان انه لم ابخ الا بظنة

١٣٧

كل اعتبار لمن قد ظل ياويها . لاتكذبن فما قلبي لها وطنا . وقد رايت طلولًا لامن مغانيها
واخبرنا ابو عبدالله المرزباني قال انشدني علي بن سليمن الاخفش قال انشدني
احمد بن يحيى ثعلب للحسين بن مطير . لقد كنت جلدا قبل ان توقد الهوى .
على كبدي نارا بطيئًا خمودها . ولو تركت نار الهوى لتضرمت . ولكن شوقا كل يوم
يزيدها . وقد كنت ارجو ان تموت صبابتي . اذا قدمت ايامها وعهودها . ايامها
فقد جعلت في حبة القلب والحشا . عهاد الهوى تولى بشوق تعيدها . بمرتجة
الارداف هيف خصورها . عذاب ثناياها عجاف قيودها . يعني انها عجاف
اللثات واصول الاسنان هي قيودها قال ابو العباس ثعلب عجاف بالخفض
لحن لانه ليس من صفة النسآء وسبيله ان يكون نصبًا لانه حال من الثنايا
مخصرة الاوساط زانت عقودها . باحسن مما زينتها عقودها . وصفر تراقيها
وحمر اكفها . وسود نواصيها وبيض خدودها . وصف التراقي بالصفرة من الطيب
وحمرة اكفها من الخضاب . تمنينا حتى ترق قلوبنا . رفيف الخزامي بات طل يجودها
اخذ قوله مخصرة الاوساط زانت عقودها من قول مالك بن اسما ابن خارجة
وتزيدين طيب الطيب ان تمسيه طيبا . ان مسك اينا . واذا الدر زان حسن وجوه
كان للدر حسن وجهك زينا . وقد روى ابو تمام الطاى في الحماسة بعض
الابيات الذي ذكرناها للحسين بن مطير وروى له ايضا وتشبه ان يكون الجميع
من قصيدة واحدة . وكنت ازود العين ان ترد البكا . فقد وردت ما كنت
عنه اذودها . خليلي ما بالعيش عتب لو اننا . وجدنا الايام الصبى من يعيدها . وروى ابو تمام
ايضا لغيره وبعض الرواة يرويها لابن مطير . ولي نظرة بعد الصد ومن الجوى
كنظرة ثكلى قد اصيب وليدها . هل الله عاف عن ذنوب تسلفت . ام الله
ان لم يعف عنها يعيدها . وانشد ابو محلم لابن مطير . قضى الله يا اسما
ان لست بارحا . احبك حتى يغمض العين مغمض . وحبك بلوى غير ان لا
يسرني . وان كان بلوى انني لك مبغض . واذا نازعتني النفس في حب غيرها .

وان بانه غيري تنطي جرائم . وكان حبيبا للنفس للقلب واترا . وكيف يحب القلب
من هو واتره . فان تكن الاعدآء احموا كلامه . علينا فلن تحمى علينا مناظره .
احبك يا سلمى على غير ريبة . ولا باس في حب تعف سرائره . ويا عاذلي
لولا نفاسة حبها . عليك لما باليت انك خابره . بنفسي من لا بد اني هاجره
ومن انا في الميسور والعسر ذاكره . ومن قد لحاه الناس حتى اتقاهم . ببغضى
الا ما تجن ضمائره . احبك حبًا لن اعنف بعده . محبا ولكني اذا ليم عاذره .
لقد مات قبلي اول الحب فانقضى . ولو مت اضحى الحب قد مات آخره . كلامك يا سلمى
وان قل نافع . فلا تحسبي اني وان قل حاقر . الا لا ابالي اي حي تحملوا . اذا غد
البرقاء لم تحل حاضر . وانشد ابن الاعرابي لابن مطير . لعمرك للبيت الذي لا
نطوره . احب الينا من بلاد نطورها . تقلبت في الاخوان حتى عرفتهم .
ولا يعرف الاخوان الا خبيرها . فلا اصرم الاخوان حتى يصارموا . وحتى
يسير واسيرة لا اسيرها . فانك بعد الشر ما انت واجد . خليلا مديما
شيمة لا يديرها . معنى يديرها اي يقلبها مرة ههنا ومرة ههنا . وانك في بعض
عين الاخلآء عالم . ببيان التي يخفى عليك ضميرها . فلا تك مغرورا بمسحة صاحب
من الود لا تدري علام مصيرها . وما الجود عن فقر الرجال ولا الغنى .
ولكنه خيم الرجال وخيرها . وقد تغدر الدنيا فيضحى غنيها . فقيرا ويغنى
بعد بؤس فقيرها . وكاين ترى من حال دنيا تغيرت . وحال صفا بعد اكدرار
غديرها . ومن طامع في حاجة لن ينالها . ومن يائس منها اتاه بشيرها . ومن
يتبع ما يعجب النفس لم يزل . مطيعًا لها في فعل شيء يضيرها . فنفسك اكرم
عن امور كثيرة . فما لك نفس بعدها تستعيرها . قال المرتضى رضي الله عنه
ولي في معنى قول ابن مطير وقد تغدر الدنيا والبيت الذي بعده من جملة قصيدة
وكيف انس بالدنيا ولست ارى . الا امرءًا قد تعرى من عوارها . وكنت ممن
باامال بحبه . كاننا ما نرى عقبا امانيها : في وحشة الدار ممن كان يسكنها

لهم

اتى حبها من دونها يتعرض . فيا ليتني اقرضت جلد صبابتي . واقرضني صبرا
على الشوق مقرض . ويشبه ان يكون اخذ قوله اذا انا رضت النفس من قول
رجل من فزاره . واعرض حتى يحسب الناس انما . بي الهجر لاها الله ما بي لك الهجر
ولكن اروض النفس انظر هل لها . اذا فارقت يوما احبتها صبر . او من قول نصيب
واني لاستحيي كثيرا واتقي . عيونا واستبقي المودة بالهجر . وانظر بالهجران نفسي
اروضها . لتعلم عند الهجر هل لي من صبر . ويشبه ان يكون اخذ قوله فيا ليتني
اقرضت جلدا صبابتي البيت المذكور من قول بعض العرب . رمى قلبه البرق الملالي
رمية . بجنب الحمى وهنا فكاد يهيم . فهل من معير طرف عين خلية . فانسان
عين العامري كليم . وللحسين في هذا المعنى مما رواه المبرد . ولي كبد مقروحة
من يبيعني . بها كبدا ليست بذات قروح . ابى الناس ويب الناس لا يشترونها
ومن يشتري ذا علة بصحيح . واخذ العباس بن الاحنف هذا المعنى فقال . من ذا
يعيرك عينيه تبكي بها . ارايت عينا للبكاء تعار . اخبرنا المرزباني قال اخبرنا
ابو عبد الله الحكيمي قال حدثني محمد بن احمد قال كنا عند الاصمعي فانشده
رجل ابيات دعبل . اين الشباب واية سلكا . لا اين يطلب ضل بل هلكا . لا تعجبي
يا سلم من رجل . ضحك المشيب براسه فبكى . يا سلم ما بالشيب منقصة . لا
سوقة يبقى ولا ملكا . قصر الغواية عن هوى قمر . وجد السبيل اليه مشتركا
يا ليت شعري كيف نومكما . يا صاحبي اذا دمي سفكا . لا تاخذا بظلامتي احدا
قلبي وطرفي في دمي اشتركا . قال فاستحسنها كل من كان بالمجلس واكثروا
واكثروا التعجب من جودة قوله ضحك المشيب براسه فبكى فقال الاصمعي
انما اخذ قوله هذا من ابن مطير الاسدي حيث يقول . اين اهل القباب بالدهناء
اين جيراننا على الاحساء . جاورونا والارض ملبسة . نور الاقاحي تجاد بالانواء . كل يوم عن اقحوان جديد . تضحك الارض من بكاء السماء . وقد اخذ
مسلم صريع الغواني في قوله . مستعبر يبكي على دمنة . وراسه يضحك فيه المشيب

قال المرتضى

قال المرتضى رضي الله عنه ولابي الحسن نصيب الاصغر مثل هذا وهو قوله
فبكا الغمام فيه فاصبح روضه . جذلان يضحك بالجميم وبزهره . ولابن المعتز مثله
لحت عليه كل طخياء ديمة . اذا ما بكت اجفانها ضحك الزهر . ولابن عربية مثله
تبسم المزن وانهلت مدامعه . فاضحك الروض دمع الضاحك الباكي . وغازل الشمس
نور ظل يلحظها . بعين مستعبر بالدمع ضحاك . وروي عن ابي العباس المبرد
انه قال اخذ ابن مطير قوله تضحك الارض من بكاء السماء من قول دكين الراجز
جن النبات في ذراها وزكا . وضحك المزن به حتى بكى . المجلس الثاني والستون
ان سال سائل عن قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون
ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والرا
سخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الا
لباب قلنا قد ذكر في هذه الاية وجهان مطابقان للحق احدهما ان يكون
الراسخون في العلم معطوفين على اسم الله تعالى فكانه قال وما يعلم تاويله الا الله
والا الراسخون في العلم وانهم مع علمهم به يقولون امنا به فوقع قوله يقولون
امنا به في موقع الحال والمعنى انهم يعلمونه قائلين امنا به كل من عند ربنا
وهذا غاية المدحة لهم لانهم اذا علموا ذلك بقلوبهم واظهروا التصديق
به على السنتهم فقد تكاملت مدحتهم ووصفهم باداء الواجب عليهم
والحجة لمن ذهب الى ما بيناه والرد على من استبعد عطفه على الاول وتقدير
ان يكون قوله تعالى يقولون امنا به على هذا التاويل لا ابتداء له مثل قوله ما افاء الله
على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول الى قوله شديد العقاب فذكر
جملة ثم تلاها بالتفصيل وتسمية من يستحق هذا الفيء فقال للفقراء المهاجرين
الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا الى قوله
انك رءوف رحيم وقال في الذين تبوءو الدار والايمان وهم الانصار
يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون

ولو كان بهم خصاصة

على انفسهم وقال فيمن جاء من بعدهم يقولون ربنا [غفر لنا] ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان فهذه الايات تدل على انه لا ينكر في اية الراسخين في العلم ان يكون قوله تعالى يقولون امنا به حالا لهم مع العلم بتاويل المتشابه ولو اشكل شيء من ذلك لما اشكل قوله والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا في انه موافق لقوله والراسخون في العلم يقولون امنا به وان الصورتين واحدة ومما يستشهد به على ذلك من الشعر قول يزيد بن مفرغ في عبد الله كان يسمى بردا باعه ثم ندم على بيعه وشريت بردا ليتني . من بعد برد كنت هامه . او هامة تدعو صدى . بين المشقر فاليمامه . الريح تبكي شجوه . والبرق يلمع في الغمامه . فعطف البرق على الريح ثم اتبعه بقوله يلمع كانه قال والبرق ايضا يبكيه لامعا في غمامة اي في حال لمعانه ولو لم يكن البرق معطوفا على الريح في البكاء لم يكن للكلام معنى ولا فائدة ويمكن ايضا على هذا الوجه مع عطف الراسخين على ما تقدم واثبات العلم بالمتشابه لهم ان يكون قوله استينافا فجملة واستغنى فيه عن حرف العطف كما استغنى في قوله تعالى سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم ونحو ذلك مما للجملة الثانية فيه التباس بالجملة الاولى فيستغنى به عن حرف العطف ولو عطف بحرف العطف كان حسنا ينزل الملتبس منزلة غير الملتبس والوجه الثاني في الاية ان يكون قوله والراسخون في العلم مستانفا غير معطوف على ما تقدم ثم اخبر عنهم بانهم يقولون امنا به ويكون المراد بالتاويل على هذا الجواب المتاول لانه قد يسمى تاويلا قال تعالى هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي تاويله والمراد بذلك المتاول والمتاول الذي لا يعلمه العلماء وان كان الله عز وجل عالما به كنحو وقت قيام الساعة ومقادير الثواب والعقاب وصفة الحساب وتعيين الصغائر الى غير ذلك فكانه قال وما يعلم تاويل جميعه على المعنى الذي ذكرناه الا الله والعلماء يقولون امنا به وقد اختار ابو علي الجبائي هذا الوجه وقواه وضعف

يقولون آمنا به

كهف

الاول

الاول بان قال قول الراسخين في العلم امنا به كل من عند ربنا دلالة على استسلامهم لانهم لا يعرفون تاويل المتشابه كما يعرفون تاويل العلم [المحكم] ولان ما ذكره من وقت القيمة ومن التمييز بين الصغاير والكباير هو من تاويل القران اذا كان داخلا في خبر الله والراسخون في العلم لا يعلمون ذلك وليس الذي ذكره بشيء لانه لا يمتنع ان يقول العلماء مع علمهم بالمتشابه امنا به على الوجه الذي قدمنا ذكره فكيف يظن انهم لا يقولون ذلك مع فقد العلم به وما المنكر من ان يظهر الانسان بلسانه الايمان مما يعلمه ويتحققه فاما قوله ولان ما ذكرناه من تاويل القران فذلك انما يكون تاويلا للقران اذا حملت هذه اللفظة على المتاول لا على الفائدة والمعنى فاما اذا حملت على انه وما يعلم معنى المتشابه وفايدته الا الله فلابد من دخول العلماء فيه وليس يمكنه ان يقول ان حمل التاويل على المتاول اظهر من حمله على المعنى والفايدة لان الامر بالعكس من ذلك بل حمله على المعنى اظهر واكثر في الاستعمال واشبه في الحقيقة على انه لو قيل ان الجواب الاول اقوى من الثاني لكان اقوى من قوله من قبل انه لو كان المراد بالتاويل المتاول المحكم كاخباره عن الثواب والعقاب والحساب مما لا شبهة في كونه محكما ما لا يعرف تفصيله ولا كنهه الا الله فاي معنى لتخصيص المتشابه والكلام يقتضي توجهه نحو المتشابه الا ترى الى قوله فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله فخص المتشابه بالذكر وايضا الاولى ان يكون المراد بلفظة تاويله الثانية هو المراد بلفظة تاويله الاولى وقد علمنا ان الذين في قلوبهم زيغ انما اتبعوا تاويله على خلاف معناه ولم يطلبوا تاويله الذي هو متاوله فالوجه الاول اقوى وارجح ويمكن في الاية وجه ثالث لم نجدهم ذكروه على ان يكون قوله والراسخون في العلم مستانفا غير معطوف ويكون المعنى وما يعلم تاويل المتشابه بعينه وعلى سبيل التفصيل الا الله وهذا صحيح

لا الفايدة والمعنى لم يكن لتخصيص المتشابه بذلك دون المحكم معنى لان في متاوله

الاول

لان اكثر المتشابه قد يحتمل الوجوه الكثيرة المطابقة للحق الموافقة لادلة
العقول فيذكر المتأول جميعها ولا يقطع على مراد الله تعالى منها بعينه لان الذي
يلزم في مثل ذلك ان يعلم في الجملة انه لم يرد من المعنى ما يخالف الادلة وانه قد اراد
بعض الوجوه المذكورة المتساوية في الجواز والموافقة للحق وليس من تكليفنا
ان نعلم المراد بعينه وهذا مثل الضلال والهدى الذين بينّا احتمالهما الوجوه
كثيرة منها ما يخالف الحق فيقطع على انه تعالى لم يرده ومنها وجوه تطابق الحق
فيعلم في الجملة انه قد اراد احدها ولا نعلم المراد منها بعينه وغير هذا من الايات
المتشابه فان اكثرها يحتمل وجوها والقليل منها يختص بوجه واحد صحيح
لا يحتمل سواه ويكون قوله تعالى من بعد في العلم يقولون امنا به اي صدقنا
بما نعلمه مفصلا ومجملا من المحكم والمتشابه وان الكل من عند ربنا وهذا
ايضا وجه صحيح واضح واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا محمد بن ابي الازهر
قال انشدنا محمد بن يزيد لابي حية النميري وهي ابيات مختارة . وخبّرك
الواشون الا احبكم . بلى وستور الله ذات المحارم . اصدّ وما الصدّ
الذي تعرفينه . عزاءً بنا الا اجتراع العلاقم . حياء وبقيا ان تشيع نميمة
بنا وبكم اف لهذا النمايم . وان دما لو تعلمين جنيته على الحي جاني مثله
غير سالم . اما انه لو كان غيرك ارقلت . صعاد القنا بالراعفات اللهازم
ولكنه والله ما ظل مسلما . كبيض الثنايا واضحات الملاغم . اذا هن ساقطن
الحديث حسبته . سقوط حصى المرجان من كف ناظم . رمين فاقصدن القلوب
فلا ترى . دما مايرى الا جوا في الحيازم . وقال من مستحسن ما مضى في هذه
القصيدة قد كان لو ابرح بالغيور واقتل . بتغشير ابطار الصحاح السقايم
ولم ار بالحدثان الا الف الذي له . غداير لم يحجر من قال بالطايم . اذا اللهو يطبيه
واذا استملته . يجلولك الفودين واحفل المقادم . واذا نامنقاد لكل مقوّد
الى اللهو حلاف البطالات ثم روى ابن حبيب مقود ومعنى حلاف البطالات اي

اي حلاف في الباطلات . مهين المطايا متلف غير انني على هلك ما اتلفته غير
نادم . ارى خير يوم الخسيس وان غلا . بي اللوم لم احفل ملامة لائم .
معنى خير يوم الخسيس اي احب يومي الي الذي هو اخس عندها اهل الراي
والعقل وانشد ابو اسحق ابرهيم بن سفيان الزيادي لابي حية واسمه هثيم بن ربيع
ترحل بالشباب الشيب عنا . فليت الشيب كان به الرحيل . وقد كان الشباب
لنا خليلا . فقد قضى مآربه الخليل . لعمر ابي الشباب لقد تولى . حميدا لا يراد
به بديل . اذ الايام مقبلة علينا . وظل اراكة الدنيا ظليل . وانشد المبرد
قال انشدنا ابو عثمن المازني لابي حية . زمان الصبا ليت ايامنا . رجعن
لنا الصالحات القصارا . زمان علي غراب غداف . فطيّره الدهر عني فطارا
فلا يبعد الله ذاك الغراب . وان هو لم يبق الا ادكارا . كان الشباب ولذاته
وريق الصبي كان ثوبا معارا . وريق الصبا وريقه ورونقه اوله . وهاربت
اذ رأت لمتي تلفع شيبا بها فاستدارا . وقلدني منه بعد الخطام . عذارا فما
استطيع اعتذارا . اجارتنا ان ريب الزمان . قبلي نال الرجال الخيارا . فاما
ترى لمتي هكذا . فاسرعت منها الشيب النفارا . فقد ازتدي وخفة طلة . وقد
ابز الفتيات الخفارا . اما قوله وكان علي غراب غداف فاراد به الشباب
والشعر الاسود ويشبه ان يكون ماخوذا من قول الاعشى . وما طلابك شيبا
لست مدركه . ان كان عنك غراب الجهل قد وقعا . ولابي حية من قصيدة
اولها . الا يا اسلمي اطلال خنساء وانعمي . وحمصا مخاص الوشاحين ميسما .
الى الروح افتار خطى المتجشم . الما باسلمي قبل ان ترمي النوى . بنافذة نبض الفواد
المتيم . يقف عاشق لم يبق من روح نفسه . ولا عقله المسلوب غير التوهم .
فقلن لها سرا فديناك لا يرح . صحيحا وان لم تقتليه فالممي . فالقت قناعا دونه
الشمس واتقت . باحسن موصولين كف ومعصم . وهذا البيت الاخير ماخوذ
من قول النابغة . سقط النصيف ولم ترد اسقاطه . فتناولته واتقتنا باليد

وقوله فقلن لها سرا فديناك البيت خبر وهو ما اخبرنا به ابو الحسن علي بن محمد
الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الباقطاي قال اتصل بعبيد الله
بن سليمن بن وهب اذى علي بن عباس الرومي وكثرة مجالسته لابي الحسين القاسم
ابنه وسمع شيئا من اهاجيه فقال لابي الحسين قد احببت ان ارى ابن الرومي
هذا فدخل يوما عبيد الله الى ابي الحسين وابن الرومي عنده فاستنشده عنده
من شعره فانشده وخاطبه فرآه مضطرب العقل جاهلا فقال لابي الحسين بيني وبينك
ان لسان هذا اطول من عقله ومن هذه صورته لا تؤمن عقاربه عند اول
عتب ولا يفكر في عاقبته فاخرجه عنك فقال اخاف حينئذ ان يعلن ما يكتمه
في دولتنا ويذيعه في تمكننا فقال يا بني لم ارد باخراجك اطرده فاستعمل فيه
بيت ابي حية النميري. فقلن لها سرا فديناك لا يرح. صحيحا وان لم تقتليه فالمم
فحدث القاسم بن فراس بما جرى وكان اعدى الناس لابن الرومي وقد هجاه باهاج
قبيحة فقال له الوزير اعزه الله اشار بان يقال حتى يستراح منه وانا الكفيل بذلك
فسمه في الخشكنانج قال الباقطاي والناس يقولون ان قاتله ابن فراس وانما قتله
عبيد الله وذكر محمد بن يزيد المبرد قال مما يفضل لتخلصه من التكلف وسلامته
من الترديد وبعده من الاستعانة قول ابي حية. رمتني وستر الله بيني وبينها.
عشية آرام الكناس رميم. الا رب يوم لو رمتني رميتها. ولكن عهدي بالنضال
قديم. قال المرتضى رضي الله عنه وقد روي هذان البيتان لنصيب في غير رواية
المبرد قال المبرد. رمتني اصابتني بمحاسنها. ولو كنت شابا لرميت كما رميت
وفتنت كما فتنت. ولكن عهدي قد تطاول بالشباب. وهذا كلام واضح واما
الاستعانة فهو ان يدخل في الكلام ما لا حاجة بالمستمع اليه ليصحح نظما
او وزنا فاما ومما يختار من قول ابي حية. الا حي من اجل الحبيب المغانيا
لبسن البلى مما لبسن اللياليا. اذا ما تقاضى المرء يوما وليلة. تقاضاه شيء
لا يمل التقاضيا. ويقال ان احسن ما وصف به المسواك قول ابي حية

لقد

لقد طال ما عنيت راحلة الصبى. وعللت شيطان الغوي المشوق. وداويت
قرح القلب منهن بالمنى. وباللحظ لو يبذلنه المتسرق. وساقينني كاس الهوى
وسقينها. رقاق الثنايا عذبة المترشق. وخمصانة تفتر عن متنضد. كنور الاقاحي
لطيب المتذوق وتستاك عن متنسق يعني ثغرا على نسق واحد لا اختلاف فيه
اذا اهتضعت بعد امتناع من الضحى. انابيب من عود الاراك المخلق. الامتناع
الارتفاع يقال متع النهار وامتع اذا طال والمخلق الذي علق به الخلوق
والطيب من يدها وقال بعضهم عني بالمخلق المملس. سقت شعث المسواك ماء غمامة
فضيضا بخرطوم المدام المروق. الفضيض الذي حين سال من الغمام اي كانه فض
والخرطوم سلاف الخمر وهو اول ما يخرج من غير عصر ولا دوس. واذ ان ذقتها
بعد ما سقط الندى بعطفي بخنداة رداح المنطق. البخنداة الضخمة والرداح
العظيمة الارداف. شممت العرار الطل غب هميمة. ونور الخزامى
في الندى المترقرق. العرار بهار البر والطل الغض المطري. والهميمة مطر لين
واخبرنا المرزباني قال حدثني علي بن هرون بن علي قال سمعت ابي وقد ذكر لي
ابي حية. نظرت كاني من وراء زجاجة. الى الدار من فرط الصبابة انظر
بعينين طورا تغرقان من البكا. فاعشي وطورا تحسران فابصر. فقال لو ان
مملك يجب طاعته ويلزم الانقياد لامره فقال اي شعر اجود واولى بان
يستحسن ولم يفسح لي في ان اميز المدح من الفخر والهجاء من التشبيب وساير اصناف
الشعر ومذاهب الشعراء فيه لما عدلت عن هذين البيتين ويقال ان ابا احمد
عبيد الله بن عبد الله بن طاهر اجاز بيتي ابي حية هذين بقوله. فلا مقلتي من غامر الماء تنجلي
ولا دمعتي من مكمد الوجد تقطر ولابي حية. من المبكيات الحلد حتى كانما.
يسح بعينيه الدموع شعيب. ليالي اهلانا جميعا وحولنا. سوايح مقفار ايع وغريب
واذا يجنين الذنوب وما لنا. اليهن الا ود هن ذنوب. ولابي حية. اصد
عن البيت الحبيب وانني لاصغي الى البيت الذي اتجنب. ازور بيوتا غيره ولاهله

المخلق المملس
ابن عبيد الله
اي تنفشان وتنكشفان
الشعيب مزادة من اديمين ليشعب احدهما بالآخر

على ما عداهم اعزّ واقرب . وقطّع اسباب المودة معشر . غضابى ومن ذي احسن القول
مغضب . واني لاتني يا ام عمرو ذميمة . تدبّ بها وبينك عقرب . وما بيننا لو انّه
كان عالما . بذاك الاولى يولون ما يترتّب . حديثا اذا لم تخش عينا كانّه . اذا
ساقطته الشهد بل هو اطيب . لو انّك تستشفي به بعد سكرة . من الموت كانت
سكرة الموت مذهب . وقلت لها ما تامرين فانني . ارى البين ادنى روعة يترقّب
قال محمد بن يحيى الصولي ولا احسبه في قوله لو انك تستشفي به بعد سكرة
من الموت الا تبع قول توبة بن الحميّر ولو انّ ليلى الاخيلية سلمت . عليّ
ودوني تربة وصفايح . لسلّمت تسليم البشاشة او زقا . اليها صدى من جانب القبر
صائح . قال المرتضى رضي الله عنه واول من سبق الى هذا المعنى واحسن الاعشى
في قوله . عهدي بها في الحي قد دُرّعت . صفراء مثل المهرة الضامر . لو اسندت
ميتا الى نحرها . عاش ولم ينقل الى قابر . حتى يقول الناس مما راوا . يا
عجبا للميت الناشر . ومعنى الناشر المنشور . يقال انشر الله الميت فنشر وهو
ناشر بمعنى منشور مثل ماء دافق بمعنى مدفوق وقال بعض اصحاب المعاني
انّ الجارية التي وصفها ايضا ميّتة بمعنى انها ستموت كما قال الله تعالى انّك ميّت
وانّهم ميّتون اي ستموت فيكون المعنى ان الناس عجبوا من ان يكون
من يموت ينشر الموتى ومن قال هذا الجار نشر الله الموتى بمعنى انشر والقول
الاول اظهر وما نظن الاعشى عنى غيره المجلس لب في تاويل آية ان سأل
سائل عن قوله تعالى لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم
الراحمين حاكيا عن يوسف ع فقال لم خصّ اليوم بالقول وانما اراد العفو
عنهم في جميع مستقبل اوقاتهم الجواب قلنا في هذه الآية وجوه اربعة اولها
انّه لمّا كان هذا الوقت الذي اشار اليه هو اول الاوقات التي كشف فيها لهم
واطلعهم على ما كان يستره عنهم من امره اشار الى الوقت الذي لو اراد الانتقام
لابتدأه فيه والذي متى عفا فيه لم يراجع الانتقام وثانيها ان يوسف عليه السلم

لما قدم عليهم توبيخهم وعدّد عليهم من قبيح ما فعلوه وعظيم ما ارتكبوه وهو
مع ذلك يستر عنهم نفسه ولا يفصح لهم بحاله قال لهم عند تبيّن امرهم لا
تثريب عليكم اليوم اي قد انقطع عنكم توبيخي ومضى عذلي ولا تعتبي عند اعترافكم
بالذنب فكان ذكر اليوم دلالة على انقطاع المعاتبة والتوبيخ وعلى ان الاوقات
المتصلة باليوم تجري مجراه في زوال الغضب وتمام العفو وسقوط المواخذة لهم
على ما سلف منهم وثالثها ان ذكر اليوم المراد به الزمان والحين فوضع اليوم
موضع الزمان كله المشتمل على الليالي والايام والشهور والسنين كما يقول
العربي لغيره قد كنت تستحسن شرب الخمر فاليوم قد وُفّقت لتركها ومقتها
يريد في هذا الزمان ولا يريد يوما واحدا بعينه ومثله قد كنت تقصر عن الجواب
في فنون العلم فاليوم ما تعجزك مسئلة ولا تتوقف عن مشكلة يريد باليوم باقي
الزمان كله وقال امرؤ القيس . حلّت لي الخمر وكنت امرأ . عن شربها في شغل شاغل .
فاليوم فاشرب غير مستحقب . اثما من الله ولا واغل . ولم يقصد يوما بعينه ومثله
اليوم يرحمنا من كان يغبطنا . واليوم نتبع من كانوا لنا تبعا . وقال لبيد . وما الناس
الا كالديار واهلها . بها يوم حلّوها وغدوا بلاقع . كل ذلك لا يراد بذكر اليوم
والغد فيه الا جميع الاوقات المستقبلة ورابعها ان يكون المراد لا تثريب عليكم
البتّة ثم قال اليوم يغفر الله لكم فتعلق اليوم بالغفران وكان المعنى غفر الله
لكم اليوم وقد ضعّف قوم هذا الجواب من جهة ان الدعاء لا ينصب ما قبله فاما معنى
التثريب فان ابا عبيد قال معناه لا تشعيب ولا معاقبة ولا افساد وقال الشاعر .
فعفوت عنهم عفو غير مثرّب . وتركتهم لعقاب يوم سرمد . وقال ابو العباس ثعلب يقال
ثرّب فلان على فلان اذا عدّد عليه ذنوبه . وقال بعضهم وهو ابن مسلم التثريب
ماخوذ من لفظ الثرب وهو شحم الجوف فكانه موضوع للمبالغة في اللوم والتعنيف
والتقصي الى ابعد غاياتها تاويل خبر روى ابو عبيد القاسم بن سلام عن حجاج
عن حماد بن سلمة عن هشام بن حسان وحبيب بن الشهيد عن ابن سيرين عن ابي هريرة

ان النبي صلى الله عليه وآله نهى عن كسب الزمارة وقال ابو عبيدة قال غير حجاج هو
الرمازه بتقديم الراء قال وقول حجاج اثبت عندنا لانهم كانوا يكرهون اماءهم
على البغاء فانزل الله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا
عرض الحيوة الدنيا قال فالعرض هو كسب البغي الذي نهى النبي ص عنه قال ابو
عبيد الله ولا اعلم مما اخذت الزمارة غير اني وجدتها مفسرة في الحديث وقال
ابن قتيبة الامر على ما ذكر ابو عبيد الا انما انكر على من زعم انها الزمارة هي الفاجرة
سميت بذلك لانها ترمز اي تومي بعينيها وحاجبيها وشفتيها قال الفراء واكثر الرمز
بالشفتين ومنه قوله تعالى ايتك الا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا فالرمازة صفة من صفة
الفاجرة ثم صار اسما لها او كالاسم ولذلك قيل لها هلوك لانها تتهالك على
الفراش او على الرجل ثم صار اسما لها دون غيرها من النساء وانها الكت على زوجها
وقيل لها خريع للينها وتثنيها ثم صار ذلك اسما لها دون غيرها من النساء وان لا
تتثنت ونحوه قولهم للبعير اعلم للشق في مشفره الاعلى ثم صار كالاسم له وكذلك
قولهم للذئب ازل للمرسح ثم صار كالاسم له وكذلك قولهم للذئب والمريب لا
تكاد تعلن الكلام انما تومض او ترمز او تصفر قال الشاعر . رمزت الي مخافة
من بعلها . من غير ان يبدو هناك كلامها . وقال الاخطل . احاديث سداها
ابن جدراء فرقد ورمازة مالت لمن يستميلها . وقال الراجز . يومين بالاعين والحواجب
ايما برق في غماء ناصب . والغماء السحاب والناصب البعيد وقال بعضهم انما قيل
للفاجرة قحبة من القحاب وهو السعال قال واحسبه اراد انها تتنحنح او تسعل
ترمز بذلك قال وبلغني عن المفضل انه كان يقول في قول الناس اجبن
من صافر انه الرجل يصفر للفاجرة فهو يخاف من كل شيء فاما الاصمعي
فانه كان يقول الصافر ما يصفر من الطير وانما وصف بالجبن لانه ليس من الجوارح
قال ابن قتيبة ولا ارى القول الا قول المفضل والدليل على ذلك قول الكميت
بن زيد الاسدي . ارجو لكم ان تكونوا في اخائكم . كلبا كورها ألقى كل صفار

لما اجابت

لما اجابت صفيرا كان آتيها . من قابس شيط الوجعاء بالنار . وهذه امراة كان
يصفر لها رجل فتجيبه فتمثل زوجها به وصفر لها فاتته فشيطها بميسم فلما اعاد
الصفير قالت قد قلينا كل صفار تريدا انا قد عففنا واطرحنا كل فاجر وقال ابو بكر
محمد بن القاسم الانباري والاختيار عندي الزمارة معجمة الزاي على ما قاله
ابو عبيدة لحجج ثلث احدهن اجماع اصحاب الحديث على الزمارة والحجة الثانية
ان الفاجرة سميت زمارة لانها تحسن نفسها وكلامها والزمر عند العرب الحسن
قال عمرو بن احمر الباهلي . يصف شرابا وغناء . دنا حنان بينهما . زجل الجش غناؤه زمر
قال الاصمعي معناه غناء حسن كانه من مزامير داود والحجة الثالثة انهم سموا
الفاجرة زمارة لمهانتها وقلة ما فيها من الخير من قول العرب نعجة زمرة اذا كانت
قليلة الصوف ويقال رجل زمر المروة اذا كان قليلها قال ابن احمر . مطلنفئا
لون الحصى لونه . يحجر عنه الذر ريش زمر . المطلنفئ اللاصق بالارض والذر
النمل والزمر القليل فسميت البغي زمارة على وجه الذم لها والتصغير لشانها
كما قيل لها فاجرة لميلها عن القصد يقال فجر الرجل اذا مال قال لبيد . فان تتقدم
تغش منها مقدما . غليظا وان اخرت فالكفل فاجر اي مائل والكفل كساء يوضع
على ظهر البعير يوقى من العرق قال المرتضى رضي الله عنه ولا ارى لاحد الروايتين
على الاخرى رجحانا لان كل واحدة منهما قد اتت من جهة من يسكن الى مثله و
لكل منهما مخرج في اللغة وتاويل يرجع الى معنى واحد لان الرمازة بالراء غير معجمة
يرجع معناها على ما ذكر ابن قتيبة الى معنى الفجور ومن رواها بالزاء المعجمة فالمرجع
في معناها الى ذلك ايضا على الوجهين اللذين ذكرهما ابن الانباري والاولى ان يكونا
متساويين ويكون الراوي مخيرا فيهما واخبرنا ابو عبيد الله محمد بن عبد الله المرزباني
قال انشدني محمد بن احمد الكاتب قال انشدنا احمد بن يحيى قال انشدنا ابن الاعرابي
للمضرب وهو عقبة بن كعب بن زهير بن ابي سلمى . وما زلت ارجو نفع سلمى
وودها . وتبعد حتى ابيض مني المسايح . وحتى رايت الشخص يزداد مثله . اليرجح

نصف راسى واضح. على حاجبى الشيب حتى كانه. ضباء جرت منها سنيح وبارح.
وهزة اظعان عليهن بهجة. طلبت وريعان الصبا جامح. فلما قضينا من منا كل
حاجة. ومسح بالاركان من هو ماسح. فقلنا على الخوص المراسل وارتمت.
بهن الصحارى والصفاح الصحاصح. اخذنا باطراف الاحاديث بيننا. وسالت
باعناق المطى الاباطح. وشدت على حدب المهارى رحالها. ولا ينظر الغادى الذى
هو رايح. وانشد ابن الاعرابي. قصدت بعينى شادن وتبسمت. لجما عن غر لهن عرو
جرى الاسحل الاحوى عليهن اوجرى. عليهن من فرع الاراك قضيب اخبرنا
ابو الحسن على بن محمد الكاتب قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولى قال حدثنا محمد بن الحسن
البلعى قال حدثنا ابو حاتم قال سمعت الاصمعى يقول سمعت الرشيد يقول قلب
العاشق عليه مع معشوقه فقلت له هذا والله يا امير المؤمنين احسن من قول عروة
بن حزام العذرى. ارانى بعرنى لذكراك هزة. لها بين جلدى والعظام دبيب.
وما هو الا ان اراها فجاءة. فابهت حتى لا اكاد اجيب. واصرف عن راى الذى كنت
ارتاى. ويعزب عنى علمه ويغيب. ويضمر قلبى عذرها ويعينها. على فما لى فى الفواد
نصيب. فقال الرشيد هذا وهما فانى قوله علما ولله درك يا اصمعى فانى اجد
عندك ما يضل عنه العلماء قال فاخذه العباس ابن الاحنف فقال. بهيم بجران
الجزيرة قلبه. وفيها غزال فاتر الطرف ساحر. يوازره قلبى وليس لى. بدان
بمن قلبى على يوازره. واشار اليه فى قوله. قلبى اذا لم ماضرنى داعى يكثر احزانى و
اوجاعى كيف احتراسى من عدوى اذا. كان عدوى بين اضلاعى. واخذه سهل
بن هرون الكاتب فقال. اعان طرفى على جسمى واعضائى. بنظرة وقفت جسمى
على داى. وكنت غرا بما تجنى على يدى. لا علم لى ان بعضى بعض اعدائى. وقال
البحترى. ولست اعجب من عصيان قلبك لى. يوما اذا كان قلبى فيك يعصينى
وروى ابو عكرمة الضبى عن ابن مسعود بن بشر المازنى قال قال لنا الاصمعى
يوما ما احسن ما قيل فى صفة امراة عجزا خميصة وانشد قول الاعشى. صفر الوشاح

ملأ الدرع

ملأ الدرع خرعبة. كالهار شا فى البيت ملزوم. وانشد قول ذى الرمة. ترى خلقها
نصفا قناة قويمة. ونصفا نقا يرتج اويتمرمر. فقال احسن ما قيل فيه ابى وجزة السعدى
ادماء فى وضح يكاد ازارها. يقوى ويشبع ما احتاز ازارها. قال عكرمة ومثله قول
الحارث بن خالد المخزومى. غرثان سمط وشاحها قلق. ريان من اردافها المرط.
واخبرنا المرزبانى قال حدثنا محمد بن ابرهيم قال حدثنا ابو العينا قال حدثنا الاصمعى
قال لما مات محمد بن سليمن بن على الهاشمى دخلت على اخيه جعفر بن سليمن
وقد حزن عليه حزنا شديدا ولم يطعم ثلاثا فانشدته لابن اراكة الثقفى. لعمرى لقد نعت
طرفك ما مضى. من الدهر او ساق الحمام الى القبر. لتستنفدن ماء الشوون باسره.
ولو كنت تمريهن من ثبج البحر. فقلت لعبد الله اذ حن باكيا. تعز وماء العين
منهمر يجرى. تبين فان كان البكا رد هالكا. على احد فاجهد بكاك على عمرو
ولا تبك ميتا بعد ميت احبة. على وعباس وال ابى بكر. قال فامر فجئ
بالطعام فاكل من ساعته قوله حن باكيا يعنى رفع صوته بالبكاء وقال قوم الخنين
بالخاء معجمة من الانف والحنين من الصدر وهو صوت يخرج من كل واحد
منهما واخبرنا المرزبانى قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد النحوى
قال سمعت الثورى يقول دخلت مع الاصمعى الى اسمعيل بن جعفر ليلة فى حاجة
فانشده الاصمعى ابيات ابن هرمة. ابيناك نرجو حاجة ووسيلة. اليك وقد تخطى
لديك الوسائل. ونذكر ودا شده الله بيننا. على الدهر لم تدبب اليه الغوائل
فاقسم ما اكبى زنادك قادح. ولا اكذبت فيك الرجاء القوائل. ولا راجعت
ذا حاجة عنك علة. ولا عاق خيرا عاجلا منك آجل. ولا لام فيك الباذل
الوجه نفسه. ولا احتكمت فى الجود منك المباخل. ثم يزد على هذه الابيات
فقضى حاجته واجاب مسئلته قال المرتضى رضى الله عنه ويشبه ان يكون
ابن هرمة اخذ قوله ولا اكذبت فيك الرجاء القوابل من قول الحزين الكنانى فى
زيد بن على بن الحسين عليهما السلم. فلما تردى بالحمايل وانثنى يصول باطراف

الفنا الذوابل . تبكينا الاعدا ان تبنت سنانه . يطيل حنين الامهات التواكل . تبين

فيه ميسم العز والتقى . وليدا يغدى بين ايدى القوابل واخبرنا على بن محمد الكاتب

قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولى قال حدثنا محمد بن الحسن البلعى قال حدثنا ابو حاتم

عن الاصمعى قال قال لى الرشيد يوما يا اصمعى اتعرف للعرب اعتذارا اوندما ودع

النابغة فانه يحج ويعتذر فقلت ما اعرف ذلك الا لبشر بن ابى حازم الاسدى

فانه هجا اوس بن حارثة بن لام فاسره بعد ذلك واراد قتله فقالت له ابنته وكانت

ذات راى والله لا تهجاه لك الا مدحه اياك فعفا عنه فقال بشر . انى على ما كان

منى لنادم . وانى الى اوس بن لام لتائب . وانى الى اوس ليقبل توبتى . ويعرف

ودى ما حييت لراغب . فهب لى حياتى فالحياة لقائم . يسرك فيها خير ما انت

واهب . سامحو بمدحى فيك اذ انا صادق . كتاب هجاء سار اذ انا كاذب .

فقال الرشيد للاصمعى ان دولتى لتحسن ببقائك فيها واخبرنا على بن محمد

الكاتب قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا عبد الرحمن يعنى ابن اخى الاصمعى

عن عمه قال سمعت ببيتين لم احفل بهما ثم قلتهما على حال خير من موضعهما من الكتاب

قال فانى عند الرشيد يوما وعنده عيسى بن جعفر فاقبل على مسرور الكبير

فقال يا مسرور كم فى بيت مال السرور قال ما فيه شى فقال عيسى هذا بيت مال

الحزن فاغتم لذلك الرشيد فاقبل على عيسى فقال والله لتعطين الاصمعى

سلفا على بيت مال السرور الف دينار فوجم عيسى وانكسر فقلت فى نفسى جاء

موضع البيتين وانشدت الرشيد . اذا شئت ان تلقى اخاك معبسا .

وجداه فى الماضين كعب وحاتم . فكشفه عما فى يديه فانما . تكشف اخبار

الرجال الدراهم . قال فتجلى عن الرشيد وقال لمسرور اعطه من بيت مال

السرور الفى دينار فاخذت بالبيتين الفى دينار وما كانا يساويان عندى

درهمين المجلس [illegible] تاويل اية ان سال سايل عن قوله تعالى خلق الانسان من

عجل سأريكم اياتى فلا تستعجلون الجواب قيل له قد ذكر فى هذه الاوجوه

من التاويل نحن نذكرها ونرجح الارجح منها واولها ان يكون المعنى القول المبالغة

فى وصف الانسان بكثرة العجلة وانه شديد الاستعجال لما يؤثره من الامور

لج باستدنا ما يجلب اليه نفعا او يدفع عنه ضررا ولهم عادة فى استعمال مثل هذا

اللفظ عند المبالغة كقولهم لمن يصفونه بكثرة النوم ما خلقت الا من النوم

وما خلق فلان الا من شر اذا اراد واكثرة وقوع الشر منه وربما قالوا انما انت

الخنساء — الا اكل وشرب وما اشبه ذلك قال الشاعر يصف بقرة . ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت . فانما هى اقبال وادبار . وانما اراد ما ذكرناه من كثرة وقوع

الاقبال والادبار منها ويشهد لهذا التاويل قوله تعالى فى موضع آخر وكان

الانسان عجولا ويطابقه ايضا قوله تعالى فلا تستعجلون لانه وصفهم بكثرة

العجلة وان من شانهم فعلها توبيخا لهم وتقريعا ثم نهاهم عن الاستعجال با

ستدعاء الايات من حيث كانوا متمكنين من مفارقة طريقتهم فى الاستعجال

وقادرين على التثبيت والتاييد وثانيها ما اجاب به ابو عبيد وقطرب

بن المستنير وغيرهما من ان فى الكلام قلبا والمعنى خلق العجل من الانسان

اى قد بلغت الكبر — واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى وقد بلغنى الكبر وبقوله تعالى ما ان

مفاتحه لتنوء بالعصبة والمعنى ان العصبة تنوء بها وبقول العرب عرضت

الناقة على الحوض وانما هو عرضت الحوض على الناقة وقولهم اذا طلعت

الشعرى استوى العود على الحرباء يريدون استوى الحرباء على العود وبقول

الاعشى . لمحقوقة ان تستجيبى لصوته . وان تعلمى ان المعان موفق . يريد

ان الموفق معان وبقول الاخر . على العباد اهداجون قد بلغت . نجران

او بلغت سواتهم هجر . والمعنى ان السوات هى التى بلغت هجر وبقول خداش

بن زهير . وتركب خيلا لا هوادة بينها . وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر

يريد تشقى الضياطرة بالرماح وبقول الاخر . تمشى به عود النعاج كانها . عذارى

ملوك فى بياض ثياب . يريد فى ثياب بياض وبقول الاخر . حسرت كفى

من الناوس

عن التربال آخذه. فرد ايخر على ايدى المفيد بنا. ويقول ابن الاحمر. وجرد طار
باطلها تسيلا. واحدت قمؤها شعر اقصارا. يريد حسرت التربال عن كفي
اراد طار تسيلها باطلا ويقول الآخر. وقسورة اكتافهم فى قيهم. اذا ما مشوا
لا يغمزون من النسا. اراد قيهم فى اكتافهم ويقول الآخر. وهو من الاخلاف
والولعان. اى الاخلاف والولعان منهن ويبقى على صاحب هذا الجواب معها
التغاضى له عن حمل كلامه تعالى على القلب ان يقال له وما المعنى الفايدة فى قوله تعالى
خلق فى الانسان العجلة وهذا لا يجوز لان العجلة فعل من افعال الانسان فكيف
تكون مخلوقة فيه لغيره ولو كان كذلك ما جاز ان ينهاهم عن الاستعجال فى الاية
فيقول سأريكم آياتي فلا تستعجلون لانه لا ينهاهم عن الاستعجال فى الاية
عما خلقه فيهم فان قالوا لم يرد انه تعالى خلقها لكنه اراد كثرة فعل الانسان لها
وانه لا يزال يستعملها قيل لهم هذا هو الجواب الذى قدمناه من غير حاجة الى القلب
والتقديم والتاخير واذا كان هذا المعنى يتم وينتظم على ما ذكرناه من غير
قلب فلا حاجة بنا اليه وقد ذكر ابو القاسم البلخى هذا الجواب فى تفسيره واختاره
وقواه وسأل نفسه عليه فقال كيف جاز ان يقول فلا تستعجلون وهو خلق العجلة
فيهم واجاب بانه قد اعطاهم قدرة على مغالبة طبايعهم وكفها وقد يكون الا
نسان مطبوعا عليها وهو مع ذلك مامور بالتثبت قادر على ان يجانب العجلة وذلك
كخلقه فى البشر الشهوة والنكاح امرهم فى كثير من الاوقات بالامتناع منه
وهذا الذى ذكره البلخى تصريح بان المراد بالعجل غيره وهو الطبع الداعى اليه
والشهوة المتناولة له ويجب ايضا ان يكون المراد بمن ههنا فى لان شهوة العجل لا
تكون مخلوقة من الانسان وانما تكون فيه وهذا تجوز وتوسع على توسع لان القلب
ان لا مجاز ثم هو من بعيد المجاز ذكر العجل والمراد به غيره مجاز اخر واقامة من مقام
فى كذلك على انه تعالى اذا نهاهم عن العجلة بقوله عز وجل فلا تستعجلون اى معنى
لتقديم قوله انى خلقت شهوة العجلة فيهم والطبع الداعى اليها على ما عبر به البلخى

الولعان الكذب

على التجوز

وهذا الى ان يكون عذرا ولا احتجاجا فلا يكون لتقديمه معنى وفى الجواب الاول
اوضح واصح وثالثها جواب روى عن الحسن قال يعنى بقوله من عجل اى من ضعف
وهى النطفة المهينة الضعيفة وهذا قريب ان كان فى اللغة شاهد على ان العجل
يكون عبارة عن الضعف او معناه ورابعها ما حكى عن ابى الحسن الاخفش قال انما
امرنا الشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فان قيل كيف يطابق هذا الجواب
قوله من بعد فلا تستعجلون قلنا يمكن ان يكون وجه المطابقة انهم لما استعجلوا
بالايات واستبطؤها اعلمهم الله تعالى انه ممن لا يعجزه شيء اذا اراده ولا يمتنع
عليه وان من خلق الانسان بلا كلفة ولا مؤنة بان قال له كن فكان مع ما فيه
من بدايع الصنعة وعجايب الحكمة التى يعجز عنها كل قادر ويحار فيها كل ناظر لا يعجزه
اظهار ما استعجلوه من الايات وخامسها ما اجاب به بعضهم من ان العجل الطين
فكانه تعالى قال خلق الانسان من طين كما قال فى موضع اخر وبدا خلق الانسان
من طين واستشهد بقول الشاعر. والنبع بين الصخر صاحية. والنخل
ينبت بين الماء والعجل ووجدنا قوما يطعنون فى هذا الجواب ويقولون
ليس بمعروف ان العجل هو الطين وقد حكى صاحب كتاب العين عن بعضهم
ان العجل الحماة ولم يستشهد عليه الا ان البيت الذى انشدناه يمكن ان يكون
شاهدا له وقد رواه ثعلب عن ابن الاعرابى وخالف فى شيء من الفاظه فرواه
والنبع فى الصخرة الصماء منبتة. والنخل ينبت بين الماء والعجل. واذا صح هذا
الجواب فوجه المطابقة بين ذلك وبين قوله تعالى فلا تستعجلون على نحو ما ذكرنا
وهو ان من خلق الانسان مع الحكمة الظاهرة فيه من الطين لا يعجزه اظهار
ما استعجلوه من الايات ويكون المعنى انه لا يجب لمن خلق من الطين المهين
وكان اصله هذا الاصل الحقير الضعيف ان يهزا برسل الله تعالى واياته وشرايعه
لانه تعالى قال قبل هذه الاية واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا
هزوا اهذا الذى يذكر الهتكم وسادسها ان يكون المراد بالانسان

لهم اقرب منه الى ان يكون تحجة عليهم ولا يدل الاحوال ان لا يكون عذرا

ادم عليه السلم ومعنى من عجل اى فى سرعة من خلقه لانه لم يخلقه من نطفة
ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق غيره وانما ابتدأه الله تعالى ابتدا وانشاه انشا
فكانه تعالى نبه بذلك على الاية العجيبة فى خلقه له وانه عز وجل يرى عباده من اياته
وبيناته اولا ما تقتضيه مصالحهم وتستدعيه احوالهم وسادسها ما روى
عن مجاهد وغيره ان الله تعالى خلق ادم بعد ما خلق كل شى آخر نهار الجمعة
على سرعة معاجلا به غروب الشمس وروى ان ادم عليه السلم لما نفخت فيه الروح
وبلغت اعالى جسده ولم تبلغ اسافله قال يا رب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس
وسابعها ما روى عن ابن عباس والسدى ان ادم عليه السلم لما خلق وجعلت
الروح فى اكثر جسده وثب عجلان مبادرا الى ثمار الجنة وقال قوم بل هم
بالوثوب فهذا معنى قوله خلق الانسان من عجل وهذه الاجوبة الثلثة المتاخرة
مبنية على ان المراد بالانسان فيها ادم قال المرتضى رضى الله عنه وانى لاستحيى لمسكين
الدارى قوله . ربما مور قد بريت لحاءها . وقومت من اصلاحها ثم رعتها .
اقيم بدار الحزم ما لم اهنها . فان خفت من دار هوانا تركتها . واصلح جل المال
حتى تخالنى شحيحا وانحو عن اذى اهنتها . ولست بولاج البيوت لفاقه .
ولكن اذا استغنيت عنها ولجتها . ابيت عن الادلاج فى الحى نائما . وارض
بادلاج وهم قطعتها . الا ايها الجارى سنيحا وبارحا . تعرض نفسا لو اشا قتلتها .
تعرض فخر الفاخر بن نعصبة . ولو وضعت لى فى اناء اكلتها . وان لنا بقية المجد
كلها . موارثنا باء كرام ورثتها . اذا قصرت ايدى الرجال عن العلى . مددت
يدى باعا عليهم فنلتها . وداع دعانى للعلى فاجبته . ودعوة باغ فى الصديق
خذلتها . ومكرمة كانت رعاية والدى . فعلمنيها والدى فعلمتها . وعوراء
من قبل امرئ ذى قرابة . تصاممت عنها بعد ما قد سمعتها . رجاء غدا ان تعطف
الرحم بيننا . ومظلمة منه بجنبى عركتها . وانى سالقى الله لم ارم حرة . ولم تلتمسنى
بؤس تحننها . الا قاذف نفسى ونفسى بريئة . وكيف اعتذارى بعد ما قد قذفتها .

اخبرنا ابو عبيد الله المرزبانى قال اخبرنا ابو ذر القراطيسى قال حدثنا عبد الله
بن محمد بن ابى الدنيا قال حدثنا عبد الرحمن بن صالح الازدى ان رجلا من الانصار
حدثه قال قال مسكين الدارى . ولست اذا ما سرنى الدهر ضاحكا . ولا خاشعا
ماعشت من حادث الدهر . ولا جاعلا عرضى لمالى وقاية . ولكن اقى عرضى فيحرز
وفرى . اعف لدى عسرى وابدى تجملا . ولا خير فيمن لا يعف لدى العسر .
وانى لاستحيى اذا كنت معسرا . صديقى واخوانى بان يعلموا فقرى . واقطع
اخوانى وما حال عهدهم . حياء واعراضا ومابى من كبر . ومن يفتقر يعلم
مكان صديقه . ومن يحيى لا يعدم بلاء من الدهر . ومن مستحسن قوله
ان ادع مسكينا فما قصرت قدرى . بيوت الحى والجدر بهم . قيل ان مسكينا ليس باسمه
وانما اسمه ربيعة وانما سمى بذلك لقوله . وسميت مسكينا وكانت لجاجة
وانى لمسكين الى الله راغب . ومعنى قصرت قدرى اى سترت يريد انها بارزة
لا يحجبها الستائر والحيطان . ما مس جلدى العنكبوت ولا . جدباته من وضعه غبر
هذه كناية مليحة عن مواصلة السير وهجر الوطن لان العنكبوت انما تنسج على
ما لا تناله الايدى ولا يكثر استعماله والجدبات جمع جديه وهى باطن دفة
الرجل . لا اخذ الصبيان النهم . والامر قد يعرض به الامر . يقول لا اقبل الصبى
وانا اريد التعريض بامه ومثله لغيره . ولا القى لذى الود عاسوطى . الاعبه
وربته اريد . وانشد ابن الاعرابى مثله . اذا ابتصبى القوم يلثمه . صخم المثنا
لا عم ولا خال . فاحفظ صبيك منه ان يدنسه . ولا يغرنك يوما قلة المال .
رجع الى تمام القصيدة . ولرب امر قد تركت وما . بينى وبين لقائه ستر . ومخاصم
قاومت فى كبد . مثل الدهان فكان لى العذر . ما علنى قوى بنو غدس . وهم
الملوك وخالى البشر . عمى زرارة غير منتحل . وابى الذى حدثته عمرو فى
المجد غرتنا مبينة . للناظرين كانها البدر . لا يرهب الجيران غدرتنا .
حتى يوارى ذكرنا القبر . لسنا كاقوام اذا كحلت . احدى السنين فجارهم تمر .

فان يك عارضا ما اتيت فربما
اتى المرء يوم السوء من حيث لا يدرى

دحلى بى

اجز

اى يستحلى الغدية كما يستحلى التمر. اموالاهم لحم على وضم. تنتابه العقبان
والقشر. نارى ونار الجار واحدة. واليه قبلى تنزل القدر. يقال انه كانت
له امراة تماضنه فلما قال ذلك قالت له اجل انما ناره ونارك واحدة لانه
اوقد ولم توقد والقدر تنزل اليه قبلك لانه طبخ ولم تطبخ وانت تستطعمه
ما ضر جارى ان اجاوره. ان لا يكون لبيته ستر. قال ويقال انها قالت له فى
هذا البيت ايضا اجل ان كان له ستر هتكته. اعمى اذا ما جارتى خرجت. حتى
يوارى جارتى الخدر. ويصم عما كان بينهما. سمعى ومابى غيره وقر. وانشد
عمرو بن شبة لمسكين ايضا. لا تجعلنى كاقوام علمتهم لم يظلموا البيت يوما
ولا وجا. انى لاعلاهم باللحم قد علموا. نيا وارخصهم باللحم ان نضجا.
انا ابن قائل جوع القوم قد علموا. اذا السماء كست افاقها رهجا. يا رب ابرين
قد مزجت بينهما. اذا هما نشبا فى الصدر واعتلجا. اديم خلقى لمن دامت
خليقته. وامزج الحلو احيانا لمن مزجا. واقطع الخرق بالخرقاء لاهية.
اذ الكواكب كانت فى الدجا سرجا. ما انزل الله من امر فاكرهه. الا سيجعل
لى من بعده فرجا. ما مد قوم بايديهم الى شرف. الا رأونا قيا ما فوقهم درجا.
وانشد ابو العباس ثعلب له. اضاحك ضيفى قبل انزال رحله. ولم يلهنى عنه
غزال مقنع. احدثه ان الحديث من القرى. وتعلم نفسى انه سوف يهجع
ومثله لغيره. اضاحك ضيفى قبل انزال رحله. ويخصب عندى والمكان جديب
وما الخصب للاضياف ان يكثر القرى. ولكنما وجه الكريم خصيب. وروى ثعلب
لحاف لحاف الضيف والبيت بيته. ولم يلهنى عنه غزال مقنع. احدثه ان الحديث
من القرى. وتعلم نفسى انه سوف يهجع. ومعنى احدثه ان الحديث من القرى
اى اصبر على حديثه واعلم انه سوف ينام ولا اعرض بمحادثته فاكون
قد نغصت قراى والحديث الحسن من تمام القرى وقال الاصمعى واحسن
ماقيل فى الغيرة قول مسكين الدارمى الا ايها الغائر المستشيط. علام تغار اذا لم تغر.

فما خير عرس اذا خفتها. وما خير بيت اذا لم يزر. تغار على الناس ان ينظروا. وهل
يفتن الصالحات النظر. فانى ساخلى لها بيتها. فتحفظ لى نفسها او تذر. اذا الله
لم يعطه ودها. فلن يعطه الود سوط ممر. ومن ذا يراعى له عرسه. اذا ضمه
والمطى السفر. قال المرتضى رضى الله عنه وكان مسكين كثير اللهج بالقول فى هذا
المعنى فمن ذلك قوله. وانى امرء لا الف البيت قاعدا. الى جنب عرسى لا افرطها شبرا
ولا مقسم لا ابرح الدهر بيتها. لاجعله قبل الممات لها قبرا. اذا هى لم تحصن امام
فنائها. فليس بمنجيها بنائى لها قصرا. ولا حاملى ظنى ولا قيل قائل. على غيرة
حتى احيط بها خبرا. فهبنى امرء راعيت ما دمت شاهدا. فكيف اذا ما سرت
من بيتها شهرا. وانشد ابو العيناء عن ابى العالية لمسكين. ما احسن الغيرة
فى حينها. واقبح الغيرة فى كل حين. من لم يزل متهما عرسه. مناصبا فيها لرجم
الظنون. يوشك ان يغريها بالذى يخاف وينصبها للعيون. حسبك من
تحصينها ضمها. منك الى خلق كريم ودين. لا تظهرن منك على عورة. فيتبع
المقرون حبل القرين. المجلس الثلثون تاويل آية. ان سأل سائل عن قوله تعالى
فى قصة يوسف ع ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك
لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فقال هل يسوغ
ما تأول بعضهم هذه الآية عليه من ان يوسف ع عزم على المعصية واردها
وانه جلس مجلس الرجل من المرأة ثم انصرف عن ذلك بان راى صورة ابيه
يعقوب ع عاضا على اصبعه متوعدا له على مواقعة المعصية او بان نودى
بالنهى والزجر والحال على ما ورد به الحديث الجواب قلنا اذا ثبت بادلة العقول
التى لا يدخلها الاحتمال والمجاز ووجوه التاويلات ان المعاصى لا تجوز على الانبياء
صرفنا كل ما ورد ظاهره بخلاف ذلك من كتاب او سنة الى ما يطابق الادلة
ويوافقها كما نفعل مثل ذلك فيما يرد ظاهره مخالفا لما تدل عليه العقول من صفاته
وما يجوز عليه او لا يجوز ولهذه الآية وجوه من التاويل كل واحد منها يقتضى

براءة نبي الله انا من العزم على الفاحشة وارادة المعصية اولها ان الهمّ في ظاهر الاية متعلق بها لا يصحّ ان يتعلق به العزم او الارادة على الحقيقة لانه قد قال تعالى ولقد همت به وهم بها فعلق الهمّ بها وذاتاهما لا يجوز ان تراد او يعزم عليهما لان الموجود الباقي لا يصح ذلك فيه فلا بدّ من تقدير محذوف يتعلق العزم به وقد يمكن ان يكون ما تعلق به همّه انما هو ضربها او دفعها عن نفسه كما يقول القايل قد كنت هممت بفلان وقد همّ فلان بفلان اي بان يوقع به ضررا او مكروها فان قيل فايّ معنى لقوله تعالى لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ والدفع لها عن نفسه طاعة لا يصرف البرهان عنها قلنا يمكن ان يكون الوجه في ذلك انه لما همّ بدفعها وضربها اراه الله تعالى برهانا انه ان قدم على ما همّ به اهلكه اهلها او قتلوه او انها تدعي عليه المراودة على القبيح وتعرفه بانه دعاها اليه وان ضربه لها كان لامتناعها فيظن به ذلك بعض من لا تامل له ولا علم بان مثله لا يجوز عليه فاخبر الله تعالى بانه صرف بالبرهان عنه السوء والفحشاء ويعني بذلك القتل والمكروه اللذين كانا يوقعان به لانهما يستحقان الوصف بذلك من حيث القبح او يعني بالسوء والفحشاء ظنهم به ذلك فان قيل هذا الجواب يقتضي ان جواب لولا يتقدمها ويكون التقدير لولا ان رآى برهان ربه لم يضربها ودفعها وتقدم جواب لولا قبيح غير مستعمل او يقتضي ان يكون لولا بغير جواب قلنا اما تقدم جواب لولا فجايز وسنذكر ما فيه عند الجواب المختص بذلك غير انا لا نحتاج اليه في هذا الجواب لان الهم بالضرب قد وقع الا انه انصرف عنه بالبرهان والتقدير ولقد همت به وهم بدفعها لولا ان رآى برهان ربه لفعل ذلك فالجواب في الحقيقة محذوف والكلام يقتضيه كما حذف الجواب في قوله تعالى وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ معناه ولولا فضل الله عليكم لهلكتم ومثله كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ معناه لو تعلمون علم اليقين لم تنافسوا في الدنيا وتفاخروا بها وقال امرا القيس

فلو انها نفس تموت سوية. ولكنها نفس تساقط انفسا. اراد فلو انها نفس تموت سويه. لانقضت وفنيت فحذف الجواب على ان من تاول هذه الاية على الوجه الذي لا يليق بنبي الله تعالى واضاف العزم على المعصية اليه لا بدّ له من تقدير جواب محذوف ويكون التقدير عنه ولقد همت بالزنا لولا ان راى برهان به لفعله فان قيل قوله وهمّ بها كقوله همت به فلم جعلتم همها به متعلقا بالقبيح وهمّه بها متعلق بما ذكرتم من الضرب وغيره قلنا اما الظاهر فلا يدل على ما تعلق به الهمّ والعزم فيهما جميعا وانما اثبتنا همها به متعلقا بالقبيح لشهادة الكتاب والاثار به وهي ممن لا يجوز عليه فعل القبيح ولم يؤمن دليل من جوازه عليها كما امن ذلك فيه عليه السلم والموضع الذي يشهد لذلك من الكتاب قوله تعالى وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ الى قوله إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وقوله تعالى وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ وفي موضع اخر قالت فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ والاثار واردة باطباق مفسري القران ومتاوليه على انها همت بالفاحشة والمعصية الوجه الثاني في تاويل الاية ان يحمل الكلام على التقديم والتاخير ويكون تلخيصه ولقد همت به ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها ويجري ذلك مجرى قولهم قد كنت هلكت لولا اني تداركتك وقتلت لولا اني خلصتك والمعنى لولا تداركي لهلكت ولولا تخليصي لقتلت وان لم يكن وقع هلاك ولا قتل قال الشاعر. فلا يدعني قومي ليوم كريهة لئن لم اعجل طعنة او اعجل. وقال اخر. فلا يدعني قومي صريحا لحرة لئن كنت مقتولا ويسلم عامر. فقدم الجواب في البيتين جميعا واستشهد عليه ايضا بقوله تعالى وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ والهمّ لم يقع لمكان فضل الله تعالى ورحمته ومما يشهد لهذا التاويل ان في الكلام شرطا وهو قوله تعالى لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ فكيف يحمل على الاطلاق مع حصول

دهم به

وقوله تعالى حاكيا عنها الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه

الشرط وليس لهم ان يجعلوا جواب لولا محذوفا مقدرا الا ان جعل جوابها
موجودا اولى وقد استبعد قوم تقديم جواب لولا عليها قالوا ولو جاز
ذلك لجاز قام زيد لولا عمرو وقصدتك لولا بكر وقد بيّنا بما اوردناه
من الامثلة والشواهد جواز تقديم جواب لولا والذى ذكروه لا يشبه ما
اخبرناه وقد يجوز ان يقول القايل قد كان زيد قام لولا كذا وكذا وقد كنت قصدتك
لولا ان صدّنى فلان وان لم يقع قيام ولا قصد وهذا هو الذى يشبه الاية
وليس تقديم الجواب لولا جملة من الكلام واذا جاز عندهم الحذف لان لا يلزم
تقديم الجواب جاز لغيرهم تقديم الجواب حتى لا يلزم الحذف والجواب الثالث
ما اختاره ابو على الجبائى وان كان غيره قد تقدمه الى معناه وهو ان يكون
معنى همّ بها اشتهاها ومال طبعه الى ما دعته اليه وقد يجوز تسمى الشهوة
فى مجاز اللغة همّا كما يقول القايل فيما لا يشتهيه ليس هذا من همّى وهذا اهمّ
الاشياء الىّ ولا قبح فى الشهوة لانها من فعل الله تعالى فيه وانما يتعلق
القبيح بتناول المشتهى وقد روى هذا التاويل عن الحسن البصرى قال اما همها فكان
اخبث الهمّ واما همه فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء ويجب على هذا الوجه
ان يكون قوله تعالى لولا ان راى برهان ربه متعلقا بمحذوف كانه قال لولا
ان راى برهان ربه لعزم او فعل والجواب الرابع ان من عادة العرب
ان يسموا الشى باسم ما يقع فى الاكثر عنده وعلى هذا لا ينكر ان يكون المراد
بهمّ بها ما خطر بباله امرها ووسوس اليه الشيطان بالدعاء اليها من غير ان
يكون هناك او عزم فسمى المخطور بالبال همّا من حيث كان الهمّ يقع فى الاكثر
عنده والعزم فى الاغلب يتبعه وانما انكرنا ما ادّعاه جهلة المفسرين وحرّفوا القصص
وقد قذفوا به نبى الله عليه السلم لما فى العقول من الادلة على ان مثل ذلك لا يجوز
على الانبياء من حيث كان منفرا عنهم وقادحا فى الغرض المجرى اليه بارسالهم
والقصة تشهد بذلك لانه قال كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء

باب بيان حذف جواب لولا حذف

ومن كلمة السوء والفحشاء

العزم على الزنا ثم الاخذ فيه والشروع فى مقدماته وقوله تعالى ايضا انه من عبادنا
المخلصين يقتضى تنزيهه عن الهمّ بالزنا والعزم عليه وحكايته عن النسوة قولهن
حاش لله ما علمنا عليه من سوء تدل ايضا على براءته من القبيح فاما البرهان
الذى رآه فيحتمل ان يكون لطفا لطف الله له به فى تلك الحال او قبلها اختار عنده
الانصراف عن المعاصى والتنزه عنها ويحتمل ايضا ما ذكره ابو على وهو ان يكون
البرهان دلالة الله تعالى له على تحريم ذلك عليه وعلى ان من فعله يستحق
العقاب وليس يجوز ان يكون البرهان ما ظنه الجهال من رؤية صورة
ابيه يعقوب عليه السلم متوعدا له والنداء له بالزجر والتخويف لان ذلك ينافى
المحنة وينقض الغرض بالتكليف ويقتضى ان لا يستحق على امتناعه وانزجاره
مدحا ولا ثوابا وهذا سوء ثناء على الانبياء واقدام على قذفهم بما لم يكن منهم
ونحمد الله على حسن التوفيق وروى احمد بن عبد الله بن العباس الصولى المعروف
بطماس قال كنت يوما عند عمى ابراهيم بن العباس فدخل اليه رجل فرفعه حتى
جلس الى جانبه او قريبا من ذلك ثم حادثه الى ان قال له عمى يا ابا تمام ومن بقى
ممن يعتصم به ويلجا اليه فقال انت لا عدمت وكان ابرهيم طويلا انت والله
كما قيل . يمدّ نجاد السيف حتى كانه . باعلى سنامى فالج يتطوح . ويدلج
فى حاجات من هو نايم . ويورى كريمات الندى حين يقدح . اذا اعتمّ
بالبرد اليمانى خلته . هلالا بدا فى جانب الافق يلمح . يزيد على فضل الرجال
فضيلة . ويقصر عنه مدح من يتمدّح . فقال له ابرهيم انت تحسن قائلا
وراويا ومتمثلا فلما خرج تبعته وقلت له اكتبنى الابيات فقال هى لابى
الجويرية العبدى يمدح بها من شعره وروى عن يحيى بن البحترى قال رايت ابى
يذاكر جماعة من امراء اهل الشام بمعان من الشعر فرّ فيها ذكر قلة نوم العاشق
وما قيل فيه وانشدوا انشادات كثيرة فقال لهم ابى وقد فرغ من هذا كاتب
كان لى بالعراق فقال . احسب النوم حكاكا . اذ راى مثل جفاكا . منى الصبر

ومثلك الهجر . فابلغ فى مداكا . بعدت همة عين . طمعت فى ان تراكا . اوما
خطّ
لحظا العينى ان . ترى من قد راكا . ليت خطى منك ان . تعلم مابى من هواكا .
فقال ابى انه تصرّف فى معان من الشعر فى هذه الابيات قال فكتبها عنه
جماعة من حضر والابيات لابرهيم بن العبّاس الصّولى واخبرنا على بن محمد
الكاتب قال اخبرنا محمد بن يحيى الصّولى قال لما بايع المامون لعلى بن موسى
الرضا عليه السلم بالعهد وامر الناس بلبس الخضرة صار اليه دعبل بن على
وابرهيم بن العبّاس الصّولى وكانا صديقين لا يفترقان فانشد دعبل مدارس
ايات خلت من تلاوة . ومنزل وحى مقفر العرصات . وانشده ابراهيم بن العباس
على مذهبها قصيدة اولها . ازال التعزّى القلب بعد التجلّد . مصارع اولاد
النّبى محمد . قال فوهب لهما عشرين الف درهم من الدّراهم التى عليها اسمه
وكان المامون امر بضربها فى ذلك الوقت فامّا دعبل فسار بالشّطر منها الى قم
فاشترى اهلها منه كلّ درهم بعشرة دراهم فباع حصّته بمائة الف درهم
وامّا ابرهيم فلم يزل عنده بعضها الى ان مات قال الصّولى ولم اقف على قصيدة
ابرهيم على اكثر من هذا البيت قال لو كان السّبب فى ذهاب هذا الفنّ من شعره
ماحدّثنى به ابو العبّاس احمد بن محمد الفرات والحسين بن على الباقطانى
قالا كان ابرهيم بن العبّاس صديقا لاسحق بن ابرهيم اخى زيدان الكاتب
المعروف بالزمن فانسخه شعره فى على بن موسى الرضا عليه السلم وقد انصرف
من خراسان ودفع اليه شيئا بخطّه منه وكانت النسخة عنده الى ان ولى ابرهيم
بن العبّاس ديوان الضياع وقد كان تباعد ما بينه وبين اخى زيدان فعزله
عن ضياع وقد كان متباعد كانت فى يده بحلوان وغيرها وطالبه بمال الحق
واساء مطالبته فدعا اسحق بعض من يثق به من اخوانه وقال له امض
الى ابرهيم بن العبّاس فاعلمه انّ شعره فى على بن موسى الرضا عليه السلم
بخطه عندى وبغير خطه والله لئن استمر على ظلمه ولم يزل عنى المطالبة

وان المتوكل ...

ووصل

لاوصلنّ الشعر الى المتوكل قال فصار الرّجل الى ابرهيم بن عباس فاخبره بذلك
فاضطرب اضطرابا شديدا وجعل الامر فى ذلك الى الواسطة حتى اسقط جميع
ماكان طالبه واخذ الشعر منه واحلفه انه لم يبق عنده منه شيء فلما حصل
عنده احرقه بحضرته . وذكر ابو احمد يحيى بن على المنجم ان اباه على بن يحيى
كان الواسطة بينهما فقال الصولى وما عرفت من شعر ابرهيم فى هذه المعنى شيئا الا
ابياتا وجدتها بخط ابى قال انشدنى اخى لعمه فى على بن موسى الرضا عليه السلم
من قصيدة . كفى بفعال امرئ عالم . على اهله عادلا شاهدا . ارى لهم طارفا
مونقا . ولا يشبه الطارف التالدا . يمن عليكم باموالكم . وتعطون من مائة
واحدا . فلا احمد الله مستبصرا . يكون لاعدائكم حامدا . فضلت قسيمك فى قعدد
كما فضل الوالد الوالدا . قال الصولى فنظرت فى قوله فضلت قسيمك فى قعدد
التاسع
فوجدت على بن موسى والمامون متساويين فى قعدد النسب وهاشم
من اباءهما جميعا وروى ربما تكره النفوس من الامر . له فرجة كحل العقال
قال فنكت بقلمه ساعة ثم قال . ولرب نازلة يضيق بها الفتى . ذرعا وعند الله
منها مخرج . كملت فلما استحكمت حلقاتها . فرجت وكان الظن ان لا تفرج .
فعجب من جودة بديهته واخبرنا ابو الحسن على بن محمد قال اخبرنا محمد بن
يحيى الصولى قال حدثنى القاسم بن اسمعيل ابو ذكوان قال كنت بالاهواز
ايام الواثق وابرهيم بن العباس يلى معونتها وخراجها فوصفت له بالادب
فامر باحضارى فلما دخلت عليه قرب مجلسى وقال نسلفك لنا المطاولة
فان الاستماع لا يتم الا به فانبسطت وتناشدنا الاشعار فما رايت
قط احدا اعلم بالشعر منه فقال لى ما عندك فى قول النابغة . الم تر ان الله
اعطاك سورة . ترى كل ملك دونها يتذبذب . فانك شمس والملوك
كواكب . اذا طلعت لم يبد منهن كوكب . فطن اراد تفضيله على الملوك فقال
صدقت ولكن فى الشعر خبث وهو انه اعتذر الى النعمان من ذهابه الى آل جفنة

فى قعدد ... نقصك ... الله ... قرب الى الله
وفى ... اقعد ... اذا كان اقرب الى الله
الصولى ان منشد انشد ابرهيم العباس وهو فى مجلسه
فى ديوان الضياع ...

يظنها لا تفرج ...

الورقة ...

الى الشام ومدحه لهم وقال انما فعلت هذا الجفا آنك بى فاذا اصلحت لحلم ارد
غيرك كما ان من اضاءت له الشمس لم يحتج الى ضوء الكواكب فانى بعينين هذا
وبتفضيله قال فاستحسنت ذلك منه وكان ابرهيم بن العباس من اصدق
الناس لاحمد بن ابى داود فعتب على ابنه ابى الوليد من شىء فذمه ومدح اباه و
فى التخلص كل الاحسان فقال. عفت مساو تبدت منك واضحة. على محاسن
بقاها ابوك لكا. لئن تقدمت ابناء الكرام به. لقد تقدم ابناء اللئام بكا.
ولابرهيم ايضا تمر الصبا صفحا بساكن ذى الغضا. ويصدع قلبى ان يهب هبوبها.
قريبة عهد بالحبيب وانما. هوى كل نفس حيث كان حبيبها. تطلع من نفسى
اليك نوازع. عوارف ان الياس منك نصيبها. واخذها من قول ذى الرمه
اذا هبت الارواح من نحو جانب. به آل مى هاج شوقى هبوبها. هوى تذرف
العينان منه وانما. هوى كل نفس حيث كان حبيبها. ولابراهيم ايضا دنت
باناس عن تناء زيارة. وشط بليلى عن دنو مزارها. وان مقيما بمنقطع اللوى
لاقرب من ليلى وهاتيك دارها. واخذ ذلك من قول النظار الفقعسى يقول
هذى ام عمرو وقريبة. دنت بك ارضها وسماء. الا انما بعد الحبيب وقربه
اذا هو لم يوصل اليه سواء. ووجدت بعض اهل الادب يظن ان ابرهيم بن العباس
سبق الى هذا المعنى فى قوله. كم كيف شئت وانى تشا. وابرق يمينا وارعد
شمالا. نجابك لوملت منجا الذباب. حمته مقاذير ان ينالا. حتى رايت
مسلم بن الوليد قد سبق الى هذا المعنى واحسن غاية الاحسان. اما الهجاء
فدق عرضك دونه. والمدح عنك كما علمت جليل. فاذهب فانت طليق عرضك انه
عرض عززت به وانت ذليل المجلس له تاويل ابة ان سال سائل عن قوله تعالى
حاكيا عن يوسف م قال رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه والا تصرف
عنى كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين. فقال اذا كانت المحبة عندكم
هى الارادة فهذا تصريح من يوسف عليه السلم بارادة المعصية لان حبسه فى السجن

وقطعه

دون البيتان لمحمد بن عبد الملك الزيات

وقطعه عن التصرف معصية من فاعله وقبيح من المقدم عليه وهو فى
القبح يجرى مجرى ما دعى اليه من الزنا وقوله من بعد والا تصرف عنى
كيدهن اصب اليهن يدل على ان امتناعه من القبيح مشروط بمنعهم وصرفهم
عن كيده وهذا بخلاف مذهبكم لانكم تذهبون الى ان ذلك لا يقع منه
صرف النسوة عن كيده او لم يصرف فهن الجواب قلنا اما قوله رب السجن احب
الى مما يدعوننى اليه ففيه وجهان من التاويل اولهما ان المحبة متعلقة
فى ظاهر الكلام بما لا يصح على الحقيقة ان يكون محبوبا مرادا لان السجن
انما هو الجسم نفسه والاجسام لا يجوز ان يريدها وانما يريد الفعل فيها او التعلق
بها والسجن نفسه ليس بطاعة ولا معصية وانما الافعال فيه قد تكون
طاعات ومعاصى بحسب الوجوه التى تقع عليها فادخال القوم يوسف
الحبس او اكراههم له على دخوله معصية منهم وكونه فيه وصبره على
ملازمته والمشاق التى تناله باستيطانه طاعة منه وقربة وقد علمنا ان
ظالما لو اكره مومنا على ملازمة بعض المواضع وترك التصرف فى غيره لكان فعل المكره حسنا وان كان
فعل المكره قبيحا وهذه الجملة تبين انه لا ظاهر فى الاية يقتضى ما ظنوه
وانه لابد من تقدير محذوف يتعلق بالسجن وليس لهم ان يقدروا ما يرجع
الى الحابس من الافعال الا ولنا ان نقدر ما يرجع الى المحبوس واذا احتمل
الكلام الامرين ودل الدليل على ان النبى لا يجوز ان يريد المعاصى والقبائح
اختص المقدر المحذوف بما يرجع اليه مما ذكرناه وذلك طاعة لا لوم
على مريده ومحبه فان قيل كيف يجوز ان يقول السجن احب الى مما يدعوننى
اليه وهو لا يحب ما دعوه اليه جملة ومن شان هذه اللفظة ان تدخل بين ما وقع
فيه اشتراك فى معناها وان فضل البعض الى البعض قلنا قد تستعمل هذه اللفظة
فى مثل هذا الموضع وان لم يكن فى معناها اشتراك على الحقيقة الا ترى ان
من خير بين ما يكرهه ويحبه جائز ان يقول هذا احب الى من هذا اذا كان

وان لم يحز مبتدا ان يقول من غير ان خير هذا احب الى من هذا ام

لا يحب احدهما جملة وانما يسوغ ذلك على احد الوجهين دون الاخر من حيث كان
المخير بين الشيين لا يخير بينهما الا وهما مرادان او مما يصح ان يريدهما فموضوع التخيير
يقتضي ذلك وان حصل فيما ليس هذه صورته والمجيب عن هذا ومتى قال كذا احب
الي من كذا كان مجيبا على ما يقتضيه موضوع التخيير وان لم يكن الامور على الحقيقة
يشتركان في تناول محبته ومما يقارب ذلك قوله تعالى قل اذلك خير ام جنة
الخلد التي وعد المتقون ونحن نعلم ان لا خير في العقاب وانما حسن ذلك
لوقوعه موقع التوبيخ والتقريع على اختيار المعاصي على الطاعات وانهم
ما ركبوا المعاصي واثروها على الطاعات الا لاعتقادهم ان فيها خيرا ونفعا
فقيل اذلك الخير على ما تظنونه وتعتقدونه ام كذا وكذا وقد قال قوم في قوله
اذلك خير ام جنة الخلد انما حسن ذلك لاشتراك الحالين في باب المنزلة
وان لم يشتركا في الخير والنفع كما قال تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن
مقيلا ومثل هذا قد يتاتى في قوله تعالى رب السجن احب الي لان الامرين معنى
المعصية ودخول السجن مشتركا في ان لكل منهما داعيا باعثا عليه وان لم يشتركا
في تناول المحبة فجعل اشتراكهما في داعي المحبة اشتراكا في المحبة نفسها واجرى
اللفظ على ذلك ومن قرا هذه الاية بفتح السين فالتاويل ايضا ما ذكرناه لان السجن
المصدر فيحتمل ان يريد ان سجنهم لي نفسي وصبري على حبسهم احب الي من مواقعة
المعصية ولا يرجع بالسجن الي والوجه الثاني ان يكون احب الي اهون عندي
واسهل علي وهذا كما يقال لاحدنا في الامرين يكرههما معا ان فعلت
كذا او الافعل بك كذا فيقول بل كذا احب الي بمعنى اسهل واخف وان كان لا
يريد واحدا منهما وعلى هذا الجواب لا يمتنع ان يكون انما عنى فعلهم دون فعله
لانه لم يخبر عن نفسه بالمحبة التي هي الارادة وانما وضع احب موضع اخف
والمعصية قد تكون اخف واهون من اخرى فاما قوله تعالى والا تصرف عني
كيدهن اصب اليهن فليس المعنى على ما ظنه السايل بل المراد متى لم تلطف

بما يدعوني الى مجانبة المعصية ويثنيني الى تركها ومفارقتها صبوت وهذا
منه عليه السلام على سبيل الانقطاع الى الله تعالى والتسليم لامره وانه لولا معونته
ولطفه ما نجا من كيدهن ولا شبهة في ان النبي عليه السلام انما يكون معصوما
من القبايح بعصمته تعالى ولطفه وتوفيقه فان قيل الظاهر خلاف ذلك
لانه قال تصرف عني كيدهن اصب اليهن فيجب ان يكون المراد ما يمنعهم الكيد
ويرفعه والذي ذكرتموه من انصرافه عن المعصية لا يقتضي ارتفاع الكيد والانصراف
عنه قلنا معنى الكلام والا تصرف عني ضرر كيدهن والغرض به لانهن
انما اجرين بكيدهن الى مساعدته لهن على المعصية فاذا عصم منها ولطف
له بالانصراف عنها فكان الكيد قد انصرف عنه ولم يقع به من حيث لم يقع
ضرره وما اجري به اليه ولهذا يقال لمن اجرى بكلامه الى غرض لم يقع ما قلت
شيئا ولمن فعل ما لا تاثير له وما فعلت شيئا وهذا بين بحمد الله ومنه المجلس
في تاويل خبر مسالة سايل عن الخبر الذي يرويه عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وآله
قال في خطبة طويلة خطبها من يتبع المشمعة يشمع الله به والجواب ان
الشمع هي الضحك والمزاح واللعب ويقال شمع الرجل يشمع شموعا وامراة شموعا
اذا كانت كثيرة المزاح والضحك قال ابو ذويب يصف الحمير بقرار قيعان
سقاها وابل. واه فاثجم برهة لا يقلع. فلبثن حينا يعتلجن بروضة.
فيجد حينا في العلاج ويشمع اراد ان هذا الحمار الذي وصفه حاله مع الاتن
وانه معهن في بعض القيعان يعارك بعض هذه الاتن ومعنى يعتلجن يعارض بعضها
بعضا ويتراحن من النشاط فيجد الفحل معهن مرة واخرى ياخذ معهن في اللعب
فيشمع وفي يجد لغتان يجد ويجد والمفتوح اول لغة هذيل ويقال فلان
جاد مجد على اللغتين معا وقيل ان معنى يشمع في الحمار انه يتشمم ثم يرفع راسه
فيكشر عن اسنانه فجعل له ذلك بمنزلة الضحك قال الشماخ. ولو اني اشاء
كننت نفسي الى لبات بهكنة شموع. وقال المتنخل الهذلي. ولا والله

نادى الحيّ ضيفي . هدوا بالمساءة والعلاط . سابداهم بشمعة واثني .
بجهدي من طعام او سماطي . اراد بقوله نادى الحي ضيفي اي لا ينادونه
من النداء بالسوء والمكروه ولا يتلقونه بما لا يؤثر والعلاط من اعلطه واعتلط
به اذا خاصمه وشاغبه ووسمه بالشر واصله من علاط البعير وهو وسم
في عنقه وقيل ان معنى نادى الحي من النادي اي لا يجالسونه بالسوء والمكروه
ومعنى سابداهم بشمعة اي بلعب وضحك لان ذلك من علامات الكرم
والسرور بالضيف والقصد الى ايناسه وبسطه ومنه قول الاخر . ورب
ضيف طرق الحي سرى . صادف زادا وحديثا ما اشتهى ان الحديث جانب
من القرى وروى الاصمعي عن خلف الاحمر قال سنة الاعراب انهم اذا
احدثوا الرجل الغريب وهشوا اليه ومازحوه الحقن بالقرى واذا اعرضوا
عنه عرف الحرمان ومعنى اثني بجهدي من طعام او بساط اي اتبع ذلك بهذا
ومعنى الخبر على هذا ان من كان شانه العبث بالناس والاستهزاء بهم والضحك
منهم اصاره الله تعالى الى حالة يعبث به فيها ويستهزا منه ويقارب هذا
الحديث من وجه حديث اخر وهو ما روي عنه صلى الله عليه وآله من يسمع
الناس بعمله يسمع الله به والمعنى من يرائي باعماله ويظهرها تقربا الى الناس
واتخاذا للمنازل عندهم ليشهره الله تعالى بالريا ويفضحه ويهتكه ويمكن ايضا في الخبر
الاول وجه اخر لم يذكر فيه وهو ان من عادة العرب ان يسموا الجزاء
على الشي باسمه ولذلك نظاير في القران واشعار العرب كثيرة مشهورة
فلا ينكر ان يكون المعنى من تتبع اللهو بالناس والاستهزاء بهم يعاقبه
الله على ذلك ويجازيه فسمى الجزاء على الفعل باسمه وهذا الوجه ايضا ممكن
في الخبر الثاني اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا
عبد الرحمن بن اخي الاصمعي عن عمه قال اني لفي سوق ضرية اذ اقبلت عجوز
على ناقة لها حسنة البزة فيها باقي جمال فاناخت وعقلت ناقتها واقبلت

تتوكا على محجن لها فجلست قريبا منا وقالت هل من منشد فقلت للكلابي
ايحضرك شي قال لا فانشدتها شعر البشر بن عبد الرحمن الانصاري . وقصيرة
الايام ود جليسها . لو باع مجلسها بفقد حميم . من محذيات اخي الهوى غصص
الجوى . بدلال غانية ومقلة ريم . صفراء من بقر الجواء كانما . خفر الحياء بها
مراع سقيم . قال فجثت على ركبتها واقبلت تخرش الارض بمحجنها وانشات
تقول تفي يا امي القلب نفر انحية . ونشكو الهوى ثم افعلي ما بدا لك . فلو قلت
طاي النار اعلم انه . هوى لك او مدن لنا من وصالك . لقدمت رجلي نحوها
فوطيتها . هدى منك لي او ضلة من ضلالك . على البانة العلياء من الاجرع
الذي . به البان هل حييت اطلال دارك . وهل قمت في اطلالهن عشية
مقام سقيم القلب واخترت ذلك . ليهنك امساكي بكفي على الحشا . ورقراق
دمعي رهبة من زيالك . قال الاصمعي فاظلمت والله على الدنيا بحلاوة
منطقها وفصاحة لهجتها فدنوت منها فقلت نشدتك الله لما زودتني
من هذا فرايت الضحك في عينيها وانشدت . ومستخفيات ليس يخفين زرننا .
يسحبن اذيال الصبابة والثكل . جمعنا الهوى حتى اذا ما ملكنه . نزعن
وقد اكثرن فينا من القتل . مريضات رجع القول خرس عن الخنا . تالفن
اهواء القلوب بلا بذل . موارق من ختل المحب عواطف . بختل ذوي
الالباب بالجد والهزل . تعطفني العذال فيهن والهوى . يحذرني من ان
اطيع ذوي العذل . اما قول الانصاري وقصيرة الايام فاراد بذلك ان
السرور يتكامل بحضورها لحسنها وطيب حديثها فتقصر ايام جليسها
لان ايام السرور موصوفة بالقصر ويمكن ان يريد بقصيرة الايام ايضا
حداثة سنها وقرب عهد مولدها وان كان الاول اشبه بما اتى في اخر البيت
ومعنى لو باع مجلسها بفقد حميم اي ابتاعه وهذا اللفظ من الاضداد لانه يستعمل
في البايع والمشتري معا قال الفرا سمعت اعرابيا يقول بع لي تمرا بدرهم اي اشتر

تمر ابدرهم وقال الشاعر. فيا ليت النائ اذ حال بيننا. وبينك باع الود لى منك تاجر. اى ابتاع وقوله من محذيات اخى الهوى اى من معطيات يقال احذيت الرجل من العطية والغنيمة احذيته احذاء اذا اعطيته والاسم الحذية والحذوة والحذيا كل ذلك العطية وقوله كانما حفر الحياء لها برداع سقيم فالرداع هو الوجع فى الجسد فاراد انها منقبضة منكسرة من الحياء كالسقيم او يريد تغير لونها وصفرته من الحياء كما يتغير لون السقيم. ويجرى ذلك مجرى قول ليلى الاخيلية. ويخرق عنه القميص تخاله. بين البيوت من الحياء سقيما.
اخبرنا المرزبانى قال حدثنا ابو عبد الله الحكيمى قال حدثنا ميمون بن هرون الكاتب قال حدثنى ابن اخى الاصمعى عن عمه قال لقيت اعرابيا بالبادية فاسترشدته الى مكان فارشدنى وانشدنى. ليس العمى طول السؤال وانما تمام العمى طول السكوت على الجهل. ثم رجعت الى البصرة فمكثت بها حينا ثم قدمت البادية فاذا انا بالاعرابى جالسا بين ظهرانى قومى وهو يقضى بينهم فما رايت قضية اخطا قضية الصالحين من قضيته فجلست اليه فقلت يرحمك الله اما من رشوة اما من هدية اما من صلة فقال لا اذا آجاهدا ذهب التوفيق فشكوت اليه ما القى من عذل الى فى طلب المعيشة فقال لست فيها باوحد وانى لشريكك ولقد قلت فى ذلك شعرا فقلت انشدنيه فانشدنى. باتت تعيرنى الاقتار والعدما. لما رات لاخيها المال والخدما. عنف لو ايلما الارزاق من خلد. ولا من العجز بل مقسوما قسما. يا امة الله انى لم ادع طلبا. للرزق قد تعلمين الشرق والشاما. وكل ذلك بالاجمال فى طلب. لم ارد عرضا ولم اسفك لذاك دما. لوكان من جلد ذا المال اوادب. لكنت اكثر من حمل القرى نعما. ارضى من العيش ما لم يحوجى معه. ان تقتحى لسؤال الاغنياء فما. واستشعرى الصبر على الله خالقنا. يوما سيكشف عنا الفقر والعدما. لا تحوجينى الى من لو بذلت له. يوما لاعقبك الشماتة والندما. تالله سرك ان الله خولنى ما كان خوله الاعراب والعجما. ما سرنى اننى خولت ذاك ولا

ان لا اقول لباغى حاجتى نعما. وانى لم احن اعقلا ولا ادبا. ولم ارث والدى مجدا ولا كرما. فعثرة المرء اجرى فى معاشك من. امر يجر عليك الهم والالما. قال فوالله ما انشدها حتى حلفت ان لا تعذلنى ابدا. حدثنا على بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا عبد الرحمن بن اخى الاصمعى عن عمه قال رايت بقباء شابا من بنى عامر ما رايت بدويا افصح منه ولا اظرف فوالله لكانه شواظ فاستنشدته فانشدنى. فلم انسكم يوم اللوى اذ تعرضت. لنا ام طفل خاذل لاتخلت وقالت سانسيك العشية ما مضى. واصرف عنك النفس عما اجنت. فما فعلت لا والذى انا عبده. على ما بدا لى من حسنها اذا دلت. ابت سابقات الحب الا مقرها اليك وما تثنى اذا ما استقرت. هواك الذى فى النفس امسى دخيلها. عليه انطوت احشاؤها واستمرت. وانشدنى ايضا. ديار اللتى طرقتك وهنا. بريا روضة وذكاء رند. يسائلنى واصحابى هجود. وتثنى عطفها من غير صد. فلما ان شكوت الحب قالت. فانى فوق وجدك كان وجدى ولكن حال دونك ذو رشاء. اسر بفقده ويسر فقد. وبهذا الاسناد عن الاصمعى قال قعدت الى اعرابى يقال له اسمعيل بن عماد واذا هو يفتل اصابعه. ويتلهف فقلت له علام تتلهف فانشا يقول. عيناى مشومتان ويحهما. والقلب حيران مبتلى بهما. عرفتاه الهوى بظلمهما. يا ليتنى قبلها عدمتهما. هما الى الحين قادتاه وهما. دلا على ما اجن دمعهما. ساعد الى القلب فى هواه فما. سبب هذا البلاء غيرهما. وبهذا الاسناد قال الاصمعى نزلت ذات ليلة فى وادى بنى العنبر وهو اذ ذاك معان باهله اى اهل واذا فتية يريدون البصرة فاحببت صحبتهم فاقمت ليلتى تلك عليهم وانى لوصب محموم اخاف ان لا استمسك على راحلتى فلما قاموا الى رحلوا ايقظونى فلما راونى على تلك الحال رحلوا لى وحملونى وركب احدهم وراى يمسكنى فلما امعن السير تنادوا الا فتى يحدو بنا او ينشدنا فاذا منشد فى سواد الليل بصوت ندى حزين ينشد. لعمرك انى يوم بانوا فلم امت. خفاتا على آثارهم لصبور

غداة المنقّى اذ رميت بنظرة . ونحن على متن الطريق بونسير . فقلت لقلبي حين خفّ به الهوى . وكان من الوجد المبرّح يطير . فهذا ولمّا تمض للبين ليلة . فكيف اذا مرّت عليه شهور . واصبح اعلام الاحبّة دونها . من الارض غول نازح ومسير . واصبحت نجدي القوم منهم الهوى . ارى بها شيئا فان نجّن بعيرى عسى الله بعد النائ ان يسعف النوى . ويجمع شمل بعدها وسرور . قال فسكت والله الحيّ عنّي حتى ما احسّ لها فقلت لو بقي انسان لم يرحمك الله الى راحلتك فاني متماسك وجزاك الله عن حسن الصحبة خيرا اخبرنا المرزباني قال حدّثنا محمد بن العباس قال حدّثنا محمد بن يزيد النحوي قال حدّثني بعض اصحابنا عن الاصمعي قال كان بالبصرة اعرابي من بني تميم يطفّل على الناس فعاتبته على ذلك فقال والله ما بنيت المنازل الا لتدخل ولا وضع الطعام الا ليؤكل وما قدّمت هدية فاتوقّع رسولا وما اكره ان اكون ثقيلا ثقيلا على من رآه شحيحا بخيلا اقتحم عليه مستأنسا واضحك ان رايته عابسا فاكل برغمه وادعه بغمّه وما احترق اللهوات بطعام اطيب من طعام لا ينفق فيه درهم ولا يعنّي اليه خادما ثم انشد . كلّ يوم ادور في الحيّ . اشتمّ القتار شمّ الذباب . فاذا ما رايت اثار عرس . او ختان او مجمع الاصحاب . لم اروّع دون التقحّم لا . ارهب دفعا ولكزة البوّاب . مستهينا بما هجمت عليه . غير مستاذن ولا هيّاب . فتراني الفّ بالرغم منهم . كلّما قدّموا مؤلّف العقاب . ذاك ادنى من التكلّف والعزم . وغيظ البقّال والقصّاب . عرضه

المجلس الثمانون تاويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى ونادى نوح ربّه فقال ربّ انّ ابني من اهلي وانّ وعدك الحقّ وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انّه ليس من اهلك انّه عمل غير صالح فلا تسئلني ما ليس لك به علم انّي اعظك ان تكون من الجاهلين فقال الظاهر قوله تعالى انّه ليس من اهلك يقتضي تكذيب قوله انّ ابني من اهلي والنبيّ لا يجوز عليه الكذب فما الوجه في ذلك وكيف يصحّ ان يخبر عن ابنه بانّه عمل غير صالح والمراد بذلك الجواب قلنا نص

في هذه

في هذه الآية وجوه اوّلها ان يكون نفيه لان يكون من اهله لم يتناول نفي النسب وانّما نفى ان يكون من اهله الذين وعده الله بنجاتهم لانه عزّ وجلّ كان وعد نوحا بان ينجّي اهله الا ترى الى قوله قلنا احمل فيها من كلّ زوجين اثنين واهلك الّا من سبق عليه القول فاستثنى من اهله من اراد اهلاكه بالغرق ويدلّ عليه ايضا قول نوح ع انّ ابني من اهلي وانّ وعدك الحقّ وعلى هذا الوجه يتطابق الخبران ولا يتنافيان وقد روى هذا التاويل بعينه عن ابن عباس وجماعة من المفسّرين والجواب الثاني ان يكون المراد بقوله تعالى ليس من اهلك اي انّه ليس على دينك واراد تعالى انّه كان كافرا مخالفا لابيه فكان كفره اخرجه عن ان يكون له احكام اهله ويشهد لهذا التاويل قوله عزّ وجلّ على طريق التعليل انّه عمل غير صالح فبيّن انّما خرج عن احكام اهله لكفره وسوء عمله وقد روى هذا الوجه ايضا عن جماعة من المفسّرين وحكى عن ابن جريج انه سئل عن ابن نوح فسبّح طويلا ثم قال لا اله الا الله يقول الله نادى نوح ابنه وتقول ليس منه ولكنّه خالفه في العمل فليس منه من لم يؤمن وروى عن عكرمة انّه قال كان ابنه ولكنّه كان مخالفا له في النيّة والعمل فمن ثمّ قيل انّه ليس من اهلك والجواب الثالث انّه لم يكن ابنه على الحقيقة وانّما ولد على فراشه فقال عليه السلم انّه ابني على الظاهر من الامر فاعلمه الله انّ الامر بخلاف الظاهر ونبّهه على خيانة امرأته وليس في ذلك تكذيب لخبره لانّه انّما خبر عن ظنّه وعمّا يقتضيه الحكم الشرعي واخبره الله تعالى بالغيب الذي لا يعلمه غيره وقد روى هذا الوجه عن الحسن وغيره وروى قتادة عن الحسن قال كنت عنده فقال ونادى نوح ابنه فقال لعمر الله ما هو ابنه قال فقلت يا ابا سعيد يقول الله تعالى ونادى نوح ابنه وتقول ليس بابنه قال افرايت قوله ليس من اهلك قال قلت معناه ليس من اهلك الذين وعدتك ان انجيهم معك ولا يختلف اهل الكتاب انّه ابنه فقال اهل الكتاب يكذبون وروى عن مجاهد وابن جريج

فيتبرى

انّه ابنه فقال اهل الكتاب

مثل ذلك وهذا الوجه يبعد اذ فيه منافاة للقران لانه تعالى قال ونادى
نوح ابنه فاطلق عليه اسم البنوة ولانه استثناه من جملة اهله بقوله تعالى
واهلك الا من سبق عليه القول منهم ولان الانبياء يجب ان ينزهوا عن مثل
هذا الحال لانها تعر وتشين وتنقص من القدر وقد جنب الله تعالى انبياءه عليهم
ما هو دون ذلك تعظيما لهم وتوقيرا ونفيا لما ينفر عن القبول منهم وقد حمل
ابن عباس ظهور ما ذكرناه من الدلالة على ان تاول قوله تعالى في امراة نوح
وامراة لوط فخانتاهما على ان الخيانة لم تكن منهما بالزنا بل كانت تخبر احدهما
الناس بانه مجنون والاخرى تدل على الاضياف والمعتمد في تاويل الاية
هو الوجهان المتقدمان فاما قوله تعالى انه عمل غير صالح فالقراءة المشهورة
بالرفع وقد روى عن جماعة من المتقدمين انهم قرؤوا انه عمل غير صالح
بنصب اللام وكسر الميم ونصب غير ولكل وجه فاما الوجه في الرفع فيكون
على تقدير ان ابنك ذو عمل غير صالح وصاحب عمل غير صالح فحذف المضاف
واقام المضاف اليه مقامه وقد استشهد على ذلك بقول الخنساء. ما ام سقب
على بو تطيف به. قد ساعدها على التحنان اظار. ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت
فانما هي اقبال وادبار. ارادت انها ذات اقبال وادبار وقد قال قوم ان
المعنى اصل ابنك هذا الذي ولد على فراشك ليس بابنك في الحقيقة عمل غير
صالح يعني الخيانة من امراته وهذا جواب من ذهب الى انه لم يكن ابنه
على الحقيقة والذي اخترناه خلاف ذلك وقال الاخرون ان الهاء بقوله تعالى
انه عمل غير صالح راجعة الى السوال والمعنى ان سؤالك اياي ما ليس لك به علم
عمل غير صالح لانه قد وقع من نوح دليل السؤال والرغبة في قوله رب ان
ابني من اهلي وان وعدك الحق ومعنى ذلك نجه كما نجيتهم ومن يجيب
بهذا الجواب يقول ان ذلك صغيرة منه لان الصغاير تجوز عليهم ومن منع
ان يقع من الانبياء شيء من القبايح يدفع هذا الجواب ولا يجعل الهاء

الى السؤال

راجعة الى السوال بل الى الابن ويكون تقدير الكلام ما تقدم فاذا قيل له فلم قال
فلا تسئلني ما ليس لك به علم وكيف قال نوح عليه السلم من بعد رب اني اعوذ
بك ان اسئلك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين
قال لا يمتنع ان يكون نهي عن سوال ما ليس له به علم وان لم يقع منه وان يكون
تعوذ من ذلك وان لم يواقعه الا ترى ان الله تعالى قد نهى نبيه عن الشرك والكفر
وان لم يكن ذلك قد وقع منه فقال لئن اشركت ليحبطن عملك كذلك لا يمتنع
ان يكون نهاه في هذا الموضع عما لم يقع منه ويكون عليه السلم انما ساله نجاة ابنه
باشتراط المصلحة لا على سبيل القطع وهكذا يجب في مثل هذا الدعاء فاما القراءة
بنصب اللام فقد ضعفها قوم وقالوا لو كان يجب ان يقال انه عمل عملا غير صالح لان العرب
لا تكاد تقول هو يعمل غير حسن وليس وجهها بضعيف في العربية لان من
مذهبهم الظاهر اقامة الصفة مقام الموصوف عند انكشاف المعنى وزوال اللبس
فيقول القايل قد فعلت صوابا وقلت حسنا بمعنى فعلت فعلا صوابا وقلت
قولا حسنا وقال عمر بن ابي ربيعة المخزومي ايها القايل غير الصواب. اخر النصح
واقلل عتابي. وقال ايضا. وكم من قتيل ما يباء به دم. ومن غلق رهن اذا لفه
ومن مالي عينيه من شيء غيره. اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى اراد كم من انسان
قتيل وانشد ابو عبيد لرجل من بجيلة. كم من ضعيف العقل منتكث القوى
ما ان له نقض ولا ابرام. مالت له الدنيا عليه باسرها. تغليه من رزق الاله
ركام. ومشيع جلد امين حازم. يرمى له فيها بروم مرام. اعمي عليه سبيله فكانما
فيما يحاوله عليه حرام. اراد كم من انسان ضعيف القوى اخبرنا ابو عبد الله
المرزباني قال اخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا ميمون بن هرون
قال حدثنا اسحق بن ابرهيم الموصلي قال كان محمد بن منصور بن زياد الملقب
بفتى العسكر يميل الى الاصمعي ويفضله ويقوم بامره قال فجئته يوما لعيادة
محمد وعنده عبد كان لمحمد اسود وقد ترك الناس واقبل عليه وسايله وتحفى به

وهو حادثه فلما خرج لمته على ذلك وقلت من هذا حتى افنيت عمرك به فقال
هذا غلام ابن منصور ثم انشدني . وقالوا يا جميل اتى اخوها . فقلت اتى الحبيب
اخو الحبيب . احبك والقريب بنا بعيد . لان ناسبت بثينة من قريب .
فقلت له وكنت افعل هذا كثيرا به لاستجر كلامه وعلمه يا ابا سعيد ذاك اخوها
وهذا غلامها فضحك وقال انشدنا ابو عمرو قال غيره . ا . رى كل دار
اوطانتها وان خلت . لها حج بندى بمسك ترابها . واقسم انى لوارى بتعا
ذياب الفضا حبا الى نيابها . قال فجعلنا نعجب من قرب لسانه من قلبه
واجابة حفظه له متى اراده وبهذا الاسناد عن اسحق الموصلي قال انشدني
الاصمعي شعر امرء القيس فلما بلغنا الى هذا البيت . امن اجل اعرابية حل اهلها
بروض الثرى عيناك تبتدران . فقال لي اتعرف في هذا البيت خبا باطنا
غير ظاهر قلت لا فسكت عني فقلت ان كان فيه شي فافدنيه فقال نعم
اما يدلك البيت على انه لفظ ملك مستهين ذو قدرة على ما يريد قال اسحق
وما رايت احدا قط مثل الاصمعي في العلم بالشعر وروى عن اسحق ايضا انه قال
قال لي الاصمعي ما يعني امرء القيس بقوله . فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع
فالهيتها عن ذي تمايم محول . فقلت تخبرني فقال كان مفركا فيقول الهيت هولاء
على كراهتهن للرجال فكيف وانا عند المحبات لهم وروى ان السبب الذي
هاج التنافر بين الاصمعي وابن الاعرابي ان الاصمعي دخل ذات يوم على سعيد
بن سلم وابن الاعرابي حينئذ يودب ولده فقال لبعضهم انشد ابا سعيد
فانشد نا ابا سعيد فانشد الغلام ابياتا لرجل من بني كلاب رواها ابن الاعرابي
وهي . رات نضو اسفار اميمة قاعدا . على نضو اسفار فجن جنونها . فقالت
من اي الناس انت ومن تكن . فانك راعي صرمة لا يزينها . فقلت لها ليس الشحوب
على الفتى . بعار ولا خير الرجال سمينها . عليك براعي ثلة مسلحبة . يروح
عليها محضها وحقينها . سمين الضواحي لم يورقه ليلة . وانعم ابكار الهموم وعونها .

ورفع ليلة فقال له الاصمعي من رواك هذا قال مودبي فاحضره فاستنشده
البيت فانشده ورفع ليلة فاخذ ذلك عليه وفسر البيت وقال انما اراد لم تورقه
ليلة ابكار الهموم وعونها وانعم اي زاد على هذه الصفة وقوله سمين الضواحي
اي ما ظهر منه وبدا سمين ثم قال الاصمعي لابن مسلم من لم يحسن هذا المقدار
فليس موضعا لتاديب ولد الملوك واخبرنا المرزباني قال حدثنا احمد بن محمد
المكي قال حدثنا ابو العينا قال حدثنا الاصمعي قال قال ولد بشار بن برد اكمه
لم ينظر الى الدنيا قط وكان ذا فطنة فقلت له يوما من اين لك هذا الذكا قال
من فقدم العمى وعدم المناظر يمنع من كثير من الخواطر الذاهلة فيكسب فراغ
الذهن وصحة الذكا وانشد يفخر بالعما . اذا ولد المولود اعمى وجدته . وجدك
اهدى من بصير واحولا . عميت جنينا والذكاء من العمى . فجئت عجيب الظن
للعلم موئلا . وغاض ضياء العين للعقل رافدا . بقلب اذا ما ضيع الناس حصلا
وشعر كنور الارض لامت بينه . يقول اذا ما احزن الشعر اسهلا واخبرنا المرزباني
قال اخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا ابو العينا قال حدثنا الاصمعي
قال انشد رجل وانا حاضر بشارا قول الشاعر . وقد جعل الاعداء ينتقصوننا
وتطمع فيها الس وعيون . الا انما ليلى عصا خيزرانة . اذا غمزوها بالاكف
تلين . فقال بشار والله لو جعلها عصا مخ او زبد لما كان الا مخطيا .
مع ذكر العصا الا كما قلت . وحوراء المدامع من معد . كان حديثها قطع
الجان . اذا قامت لسبحتها تثنت . كان قوامها من خيزران . ينسيك المنى
نظر اليها . ويصرف وجهها وجه الزمان . واخبرنا المرزباني قال حدثنا
على بن ابي عبد الله الفارسي قال حدثني عن عمر بن شبة قال قال لي ابو
عبيدة رحل بشار الى الشام فمدح سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان
مقيما بحران فقال فيه قصيدة طويلة اولها . نانك على طول التجاوب
زينب . وما علمنا ان النوى سوف تشعب . وكان سليمن بخيلا فاعطاه

خمسة الاف درهم لم يصب غيرها بعد ان طال مقامه فقال . ان امرءا منتبع
اليدين عن الندى . وعن العدو ومحبس الشيطان . فلقد اروح على اللئام مسلطا
ثلج المقيل منعم الندمان . في ظل عيش عشيرة محمودة . تندى يدي ويخاف
فرط لسان . ازمان سربال الشباب مذيل . والله الامير على من جيراني . ريم
باجوبة العراق اذا بدا . برقت عليه اكلة المرجان . فالحق بعيد مقيلك من القذاء
ويوشك رؤيتها من الهلان . فلقرب من تهوى وانت متيم . اشفى لدائك
من بني مروان . فلما رجع الى العراق بر بن هبيرة ووصله وكان ابن هبيرة
يقدمه ويوثره لمدحه قيسا وافتخاره بها فلما جاءت دولة اهل خراسان
عظم شانه واخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن احمد الكاتب قال حدثنا
احمد بن يحيى النحوي قال قال الاصمعي ما وصف احد الثغر الا احتاج الى قول
بشر بن ابي حازم . يفلجن الشفاه عن اقحوان . جلاه غب سارية قطار .
ولا وصف احد اللون باحسن من قول عمر بن ابي ربيعة المخزومي . وهي
مكنونة تحير منها . في اديم الخدين ماء الشباب . شف عنها محقق جندي
فهي كالشمس من خلال السحاب . ولا وصف احد عيني امرأة الا احتاج الى قول
عدي بن الرقاع . لولا الحياء وان راسي قد بدا . فيه المشيب لزرت ام القاسم
وكانها وسط النساء اعارها . عينيه احور من جاذر جاسم . وسنان
اقصده النعاس فرنقت . في عينه سنة وليس بنائم . ولا وصف احد نجيبا
الا احتاج الى قول حميد بن ثور . محلا باطواق عتاق يبينها . على الضرء
راعي الضان لو يتقوف . ولا وصف احد ظليما الا احتاج الى قول علقمة
بن عبدة . هيق كان جناحيه وجؤجؤه . بيت اطافت به خرقاء مهجوم
ولا اعتذر احد الا احتاج الى قول النابغة . فانك كالليل الذي هو مدركي
وان خلت ان المنتأى عنك واسع قال المرتضى رضي الله عنه اما قول حميد بن
ثور محلا باطواق عتاق فانه يريد ان عليه نجار الكرم والعتق فصارت

دلالتهما وسماتهما حلية له من حيث كان موسوما بهما ومعنى يبينها على الضرء
اي يبينها ويعرفها له الراعي فيعلم انه كريم معروفا والتقوف ضرب من القيافة
فاما قول علقمة هيق فالهيق ذكر النعام ومعنى اطافت به خرقاء اي عملته وابتنته
وقيل ان خرقاء ههنا هي الحاذقة وان هذه اللفظة تستعمل على طريق الاضداد
في الحاذقة وغير الحاذقة ومعنى مهجوم اي مهدوم وقال الاصمعي ومعنى
اطافت به اي عملته فخرقت في عمله يقول فلا رسا جناحيه كانه خباء امرأة
خرقاء كلما رفعت ناحية استرخت ناحية اخرى والوجه الثاني اشبه واملح
فاما قول بشر في وصف الثغر فاحسن منه واكثف واشد استيفاء للمعنى قول
النابغة . كالاقحوان غداة غب سمائه . جفت اعاليه واسفله ندى . فانما وصف
اعاليه بالجفوف ليكون متفرقا متنضدا غير متلبد ولا مجتمع فشبه حينئذ
الثغور ثم قال واسفله ندى حتى لا يكون قحلا يابسا بل يكون فيه الغضاضة و
الصقالة فيشبه غروب الاسنان التي تلمع وتبرق وروى الرياشي قال
سمعت الاصمعي يقول احسن ما قيل في وصف الثغر قول ذي الرمة
وتجلو بفرع من اراك كانه . من العنبر الهندي والمسك يصبح . ذرا الاقحوان
واجه الليل وارتقى . اليه الندى من رامة المتروح . هجان الثنايا مغربا لو تبسمت
لاخرس عنه كاد بالقول يفصح المجلس التاسع في تاويل اية اخرى ان سال سائل عن قوله تعالى
فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا
وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ . فقال كيف يعذبهم بالاموال والاولاد
ومعلوم ان لهم فيها سرورا ولذة وتاويل قوله وهم كافرون وظاهره يقتضي
انه اراد كفرهم من حيث اراد ان تزهق انفسهم في حال كفرهم لان القايل
اذا قال اريد ان يلقاني فلان وهو لابس او على صفة كذا وكذا فالظاهر انه اراد
كونه على تلك الصفة الجواب قلنا اما التعذيب بالاموال والاولاد
ففيه وجوه اولها ما روي عن ابن عباس رحمه الله وقتادة وهو ان يكون

فى الكلام تقديم وتاخير ويكون التقدير فلا تعجبك يا محمد ولا تعجب المؤمنين
معك اموال هولآء الكفار المنافقين ولا اولادهم فى الحيوة الدنيا انما يريد الله
ليعذبهم بها فى الاخرة عقوبة لهم على منعهم حقوقها واستشهد على ذلك بقوله تعالى
اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون
والمعنى فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم وانشد فى ذلك قول
الشاعر: عشية ادعو جيدا دما مغزل . وطرفا يريك الاثمد الجون احورا.
يريد وطرفا احور يريك الاثمد الجون وقد اعتمد هذا الوجه ايضا ابو على
قطرب وذكره ابو القاسم البلخى والزجاج وثانيها ان يكون معنى التعذيب با
الاموال والاولاد فى الدنيا هو ما جعله للمؤمنين من قتالهم وغنيمة
اموالهم وسبى اولادهم واسترقاقهم وفى ذلك لا محالة ايلام لهم واستخفاف
بهم وانما اراد تعالى بذلك تنبيه على انه لم يرزق الكفار
الاولاد والاموال ولم يبقها فى ايديهم كرامة لهم ورضى عنهم بل للمصلحة الداعية
الى ذلك وانهم مع هذه الحالة معذبون بهذه النعم من الوجه الذى ذكرناه
فلا يجب ان يغبطوا بها ويحسدوا عليها اذ كانت عاجلتهم والعقاب الاليم
فى النار اجلتهم وهذا جواب ابى على الجبائى وقد طعن عليه بعض من لا تامل
له فقال وكيف يصح هذا التاويل مع انا نجد كثيرا من الكفار لا تنالهم ايدى
المسلمين ولا يقدرون على غنيمة اموالهم ونجد ايضا اهل الكتاب خارجين
عن هذه الجملة لمكان الذمة والعهد وليس هذا الاعتراض بشئ لانه لا يمتنع ان
تختص الاية بالكفار الذين لا ذمة لهم ولا عهد ممن اوجب الله محاربته فاما الذين
هم بحيث لا تنالهم الايدى وهم من القوة على حد لا يتم معه غنيمة اموالهم فلا يقدح
الاعتراض بهم فى هذا الجواب لانهم ممن اراد الله تعالى ان يسبى ويغنم ويجاهد
ويغلب وان لم يقع ذلك وليس ارتفاعه بالتعذر دلالة على انه غير مراد وثالثها
ان يكون المراد بتعذيبهم بذلك كل ما يدخله فى الدنيا عليهم من الغموم والمصائب

باموالهم واولادهم التى هى لهولآء الكفار المنافقين عقاب وجزاء وللمؤمنين
محنة وجالبة للعوض ويجوز ايضا ان يراد به ما ينذر به الكافر قبل موته
وعند احتضاره وانقطاع التكليف عنه مع انه حى من العذاب الدائم الذى
قد اعد له واعلامه انه صائر اليه ومنتقل الى قراره وهذا الجواب قد روى
معنى اكثره عن قوم من متقدمى المفسرين وذكر ابو على الجبائى ايضا ورابعها
جواب يحكى عن الحسن البصرى واختاره ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى
وقدمه على غيره وهو ان يكون المراد بذلك ما الزمه هولآء الكفار من الفرايض
والحقوق فى اموالهم لان ذلك يوخذ منهم على كره وهم اذا انفقوا فيه انفقوا
بغير نية ولا عزيمة فتصير نفقتهم غراما وعذابا من حيث لا يستحقون
عليها اجرا وهذا وجه غير صحيح لان الوجه فى تكليف الكافر اخراج الحقوق من
ماله كالوجه فى تكليف المؤمن ذلك ومحال ان يكون انما كلف اخراج هذه الحقوق
على سبيل العذاب والجزاء لان ذلك لا يقتضى وجوبه عليه والوجه فى تكليف
الجميع هذه الامور هو المصلحة واللطف فى التكليف ولا يجرى ذلك مجرى
ما قلناه فى الجواب الذى قبل هذا من ان المصائب والغموم قد تكون للمؤمنين
محنة وللكافرين عقوبة لان تلك الامور مما يجوز ان يكون وجه حسنها العقوبة
والمحنة جميعا ولا يجوز فى هذه الفرايض ان يكون لوجوبها على المكلف الا
وجه واحد وهو المصلحة فى الدين فافترق الامران وليس لهم ان يقولوا
ليس التعذيب فى ايجاب الفرايض عليهم وانما هو فى اخراجهم لاموالهم
على التكره والاستثقال وذلك انه اذا كان الامر على ما ذكروه خرج
من ان يكون مرادا لله تعالى لانه عز وجل ما اراد منهم اخراج المال على
هذا الوجه الذى هو طاعة وقربة فاذا اخرجوها متكرهين مستثقلين
لم يرد ذلك فكيف يقول انما يريد الله ليعذبهم بها ويجب ان يكون
ما يعذبون به شيئا يصح ان يريده الله تعالى قال السيد المرتضى رضى الله عنه

وجميع هذه الامور التي حكيناها في الاية الاجواب [الوجوه] بالتقديم والتاخير مبنيه
على ان الحيوة الدنيا ظرف للعذاب فيحتمل كل متاول ضربا [من القديم] من التاويل يطابق
ذلك وما يحتاج عندنا الى جميع ما تكلفوه ولا الى التقديم والتاخير اذا لم نجعل
الحيوة ظرفا للعقاب [للعذاب] بل جعلناها ظرفا للفعل الواقع بالاموال والاولاد المتعلق
بهما الا انا قد علمنا اولا ان قوله ليعذبهم بها لا بد من الانصراف عن ظاهره
لان الاموال والاولاد انفسهما لا تكون عذابا والمراد على ساير وجوه التاويل
الفعل المتعلق بها والمضاف اليها سواء كان انفاقها والمصيبة بها والغم عليها
واباحة غنيمتها واخراجها عن ايدي مالكيها فكان تقدير الكلام انما يريد الله
ليعذبهم بكذا وكذا مما يتعلق باموالهم واولادهم ويتصل بها واذا صح هذا
جاز ان تكون الحيوة الدنيا ظرفا لافعالهم القبيحة في اموالهم واولادهم التي
تغضب الله تعالى وتسخطه كانفاقهم الاموال في وجوه المعاصي وحملهم الاولاد
على الكفر والزامهم الموافقة لهم في النحلة ويكون تقدير الكلام انما يريد الله ليعذبهم
بفعلهم في اموالهم واولادهم الواقع ذلك منهم في الحيوة الدنيا وهذا وجه
ظاهر يغني عن التقديم والتاخير وساير ما ذكروه من الوجوه فاما قوله تعالى
وتزهق انفسهم معناه تبطل وتخرج اي انهم يموتون على الكفر وليس يجب وهم كارهون
اذا كان مريدا لان تزهق انفسهم وهم على هذه الحال ان يكون مريدا للحال نفسها
على ما ظنوه لان الواحد منا قد يامر غيره ويريد منه ان يقاتل اهل البغي وهم
محاربون ولا يقاتلهم ~~اهل البغي وهم محاربون~~ ولا يقاتلهم وهم منهزمون
ولا يكون مريدا لحرب اهل البغي للمؤمنين وان اراد قتالهم على هذه الحال وكذلك
قد يقول لغلامه اريد ان تواضب على المصير الي في السجن وانا محبوس وللطبيب
صر الي ولازمني وانا مريض وهو لا يريد المرض ولا الحبس وان كان قد اراد
ما هو متعلق بهاتين الحالتين وقد ذكر ذلك وجه اخر على ان لا يكون قوله
وهم كافرون حالا لزهوق انفسهم بل يكون كانه كلام مستانف والتقدير

ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا
وتزهق انفسهم وهم مع ذلك كلهم كافرون صائرون الى النار وتكون الفائدة
انهم مع عذاب الدنيا قد اجتمع عليهم عذاب الاخرة ويكون معنى تزهق انفسهم
على هذا الجواب غير الموت وخروج النفس على الحقيقة بل المشقة الشديدة والكلفة
الصعبة كما يقال ضربت فلانا حتى مات وتلفت نفسه وخرجت روحه وما اشبه
ذلك قال المرتضى رضي الله عنه ذاكرني قوم من اهل الادب باشعار
المحدثين وطبقاتهم وانتهوا الى مروان بن يحيى بن ابي حفصه فافرط بعضهم
في وصفه وتقريظه وتفضيله واخرون في ذمه وتهجينه والازراء على
شعره وطريقته واستخبروا عما اعتقده فيه فقلت لهم كان مروان متساوي
الكلام متشابه الالفاظ غير متصرف في المعاني ولا غواص عليها ولا مدقق
لها فلذلك قلت النظاير في شعره ومدايحه مكررة الالفاظ والمعاني وهو غزير
الشعر قليل العيون الا انه مع ذلك شاعر له تجويد وحذق وهو اشعر من كثير
من اهل زمانه وطبقته وهو اشعر من شعراء اهله ويجب ان يكون دون
مسلم بن الوليد في تنقيح الالفاظ وتدقيق المعاني ووقوع التشبيهات ودون بشار بن
برد في الابيات النادرة السايرة فكانه طبقة بينهما وليس بمقصر دونهما
شديدا ولا منحط عنهما بعيدا وكان اسحق [بن ابرهيم] الموصلي يقدمه على بشار ومسلم
وكذلك ابو عمرو الشيباني وكان الاصمعي يقول مروان مولد وليس له علم باللغة
واختلاف الناس في اختيار الشعر بحسب اختلافهم في التنبه على معانيه
وبحسب ما يشترطونه من مذاهبه وطرايقه فسئلت عن ذلك ان اذكر نحتا [مختار]
ما وقع الي من شعره وانبه على سرقاته ونظاير شعره واتفق ان املي ذلك في خلال
المجالس واثنائها فمما يختار من شعره قصيدة يمدح بها المهدي اولها
اعادك من ذكر الاحبة عائد . اجل واستحمقتك [استحمقتك] الرسوم البوايد . ويقلقنا
تذكرت من تهوى فابكاك ذكرها . فلا الذكر منسي ولا الدمع جامد . نحن وماء

وحسن الالفاظ ورروي عن الاصمعي انه قال لم يقل احد في الفحج بالمغاني الى الاحسان والشيخ الى اهل الحفاظ والمحبة ورري الروايه والاخبار مثل قول بشار وانشدت على بعضها في حداثتي وخرجته من قرما اتجرع وبلاد من يشكو الذي حفظه اذا اصلبت اسانيد بنطع

دوبرا

بها ان يباعدك الهوى. وللموت خير من هوى لا يباعد. الاطلال ما اهنيت دمعك
طائعا. وجارت عليك الآنسات النواهد. تذكرنا ابصارها مقل المها. واعناقها
ادم الظباء العواقد. تساقط درٍّ اسلمته المعاقد. اليك امير المؤمنين تجاذبت
نبا الليل خوص كالقسي شوارد. يمانية يناى القريب محله. بهن ويدنو الشا
المتباعد. تجلى السرى عنها وللعيس اعين. سوام واعناق اليك قواصد.
الى ملك تندى اذا يبس الثرى. بنائل كفيه الاكف الجوامد. له فوق مجد النا
مجدان منهما. طريف وعادي الجراثيم تالد. واحواض غرجومة الموت دونها.
واحواض عرف ليس عنهن ذائد. ايادي بني العباس بيض سوابغ. على كل
قوم باديات بوائد. هم يعدلون السمك من قبة الهدى. كما تعدل البيت الحرام
القواعد. سواعد عز المسلمين وانما. تنوء بصولات الاكف السواعد. يكون
غرارا نومه من حذاره. على قبة الاسلام والخلق راقد. كان امير المؤمنين محمدا.
لرأفته بالناس للناس والد. اما قوله. تساقط منهن الاحاديث غضة. تساقط
در سلمته المعاقد. فكثير في الشعر واظن ان الاصل فيه ابو حية النميري في قوله
اذا هن ساقطن الاحاديث للفتى. سقوط حصى المرجان من كف ناظم. وانما
عنى بالمرجان من صغار اللؤلؤ وعلى هذا يتاول قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ
والمرجان. ومثله قول الآخر. هي الدر منثورا اذا ما تكلمت. وكالدر مجموعا
اذا المتكلم. من ثغرها الدر النظيم. ولفظها الدر النثير. ونظيره قول البحتري
واحسن غاية الاحسان. ولما التقينا والنقى موعد لنا. تعجب رائي الدر حسنا
ولاقطه. فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها. ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه.
ومثله قول الاخطل. خلوت بها وسجف الليل ملقى. وقد اصغت الى الغرب النجوم.
كان كلامها در نثير. ورونق ثغرها در نظيم. ولغيره. تبسمت فرايت
الدر منتظما. وحدثت فرايت الدر منتثرا. وللآخر. وتحفظ لا من ريبة
يحذرونها. ولكنها من اعين الناس تحفظ. وتلفظ درا في الحديث اذا جرى

ولم نر

تساقط منهن الاحاديث غضة

ولم نر درا قبل ذلك بلفظ. ولبعض من تاخر زمانه من الشعراء وقرنا من عصرنا هذا
اظهرن وصلا اذ رحمن متيما. وارين هجرا اذ خشين مراقبا. فنظمن من در
المباسم جامدا. ونثرن من در المدامع ذائبا. وليس قول ابي دهبل في وصف الحديث
كتساقط الرطب الجني من الافنان لا نثرا ولا نزرا. من هذا الباب في شيء لان
جميع ما تقدم انما هو في وصف الثغر وهذا في وصف حسن الحديث وانه
متوسط في القلة والكثرة لازم للقصد كانتثار الرطب من الافناء ويشبه
ان يكون اراد ايضا مع ذلك وصفه بالحلاوة والفصاحة لتشبيهه له بالرطب
ثم انه غض طري غير مكرر ولا معاد لقوله الرطب الجني فتجتمع له اغراض الوصفه
بالاقتصاد في القلة والكثرة ثم وصفه بالحلاوة ثم وصفه بالحلاوة ثم بالفصاحة
ونظير قول ابي دهبل قول ذي الرمة. لها بشر مثل الحرير ومنطق. رخيم الحواشي
لا هراء ولا نزر. فاما قوله مروان. الى ملك تندى اذا يبس الثرى. بنائل كفيه
الاكف الجوامد. فمثل قول ابي خنش النميري في يحيى بن خالد البرمكي. لا ترى
مصافحا كف يحيى. انني ان فعلت اتلفت مالي. لو يمس البخيل راحة يحيى
لسخت نفسه ببذل النوال. ومثله قول ابن الخليط المدني في المهدي. لمست بكفي
كفه ابتغي الندى. ولم ادر ان الجود من كفه يعدي. فلا انا منه ما افاد ذوو الغنى
افدت واعداني فاتلفت ما عندي. وقد قيل ان هذا الشاعر كان مصرحا بالهجاء
لانه زعم ان الذي لمس كفه لم يفده شيئا بل اعداه جوده فاتلف ماله ولم يرد
الشاعر الا المدح ولقوله وجه وهو ان ذوي الغنى هم الذين تستقر الاموال
في ايديهم وتثبت تحت ايمانهم ومن اخرج ما يملكه حالا بحال لا يوصف بانه
ذو غنى فاراد الشاعر انني لم افد منه ما بقي في يدي واستقر تحت ملكي فلهذا
قال لم افد ما افاد ذوو الغنى ومن هذا قول مسلم. الى ملك لو صافح الناس كلهم
لما كان حي في البرية يبخل. ومثله قول العكوك. لو لمس الناس راحتيه. ما بخل
الناس بالعطاء. واحسن من هذا كله واشبه بالمدح وادخل في طريقه قول البحتري

من شاكر عني الخليفة بالذي اولاه من طول ومن احسان . ملأت يداه يدي
وشرّد جوده . بخلي فافقرني كما اغنى . حتى لقد افضلت في افضاله . ورايت
نهج الجود حيث رانى . ورشقت بالخلف الجميل معجلا منه فاعطيت الذي اعطى
ومن هذا قول الاخر . رايت الندى في آل عوف خليقة . اذا كان في قوم سواهم
تخلقا . ولو جزت في ابياتهم لتعلمت . يداك الندى منهم فاصبحت مملقا .
ولابن الرومي . يجود البخيل اذا ما رآك . ويسطو الجبان اذا عاينك . فامّا
قوله . واحواض عن حومة الموت دونها . واحواض عرف ليس عنهن ذايد .
فيشبه ان يكون ابرهيم بن العباس الصولي اخذه في قوله . لنا ابل كوم
يضيق بها الفضا . وتفتر عنها ارضها وسماؤها . فمن دونها ان تستباح دماؤنا
ومن دوننا ان تستباح دماؤها . حمى وقرى فالموت دون مرامها . فايسر
خطب عند حق فناؤها . وقد احسن ابرهيم في ابياته كل الاحسان . يكون
غرار نومه من حذاره . على قبة الاسلام والخلق راقد . لكثير منها ولكن
حسنه قول محمد بن عبد الملك الزيات . نعم الخليفة للرعية من اذا .
رقدت وطاب لها الكرى لم يرقد . ومثله . ويظل يحفظنا ونحن بغفلة .
ويبيت يكلانا ونحن نيام . ومثله للبحتري . اربيعة الفرس اشكري يد منعم .
وهب الاساءة للمسيء الجاني . روعتم جاراته فبعثتم . منه حمية آنف غيران
لم تنكر عن قاصي الرعية عينه . فتنام عن وتر القريب الداني . واما قوله
كان امير المومنين محمدا . لرافته بالناس للناس والد . فنظير قول بعض الشعراء
في يحيى بن خالد . احيى لنا يحيى فعال خالد . فاصبح اليوم كثير الحامد . يحنوا
بكل طارف وتالد . على بعيد غائب وشاهد . الناس في احسانه كواحد .
وهو لهم اجمعهم كالوالد . ومن جيد قول مروان من قصيدة اولها
خلت بعدنا من آل ليلى المصانع . وهاجت لنا الشوق الديار البلاقع .
ويقول فيها . ومالي الى المهدي لو كنت مذنبا . سوى حلمه الصافح على الناس شافع

ولا هو عند السخط ولا الرضا . بغير التي يرضى بها الله تابع . تغض له الطرف العيون
وطرفه . على غيره من خشية الله خاشع . ولا هو عند السخط منه ولا الرضا .
البيت فمثل قول اشجع . ولست بخائف لابي علي . ومن خاف الاله فلن يخافا .
ومثله . امنني منه ومن خوفه . خيفته من خشية الباري . ولابي نواس
قد كنت خفتك ثم امنني . من ان اخافك خوفك الله . ويشبه هذا ما روى عن
امير المومنين عليه السلام انه دعا غلاما له مرارا فلم يجبه فخرج فوجده على باب
البيت فقال له ما حملك على ترك اجابتي قال كسلت عن اجابتك وامنت عقوبتك
فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلني ممن يامنه خلقه فاما قوله تغض له الطرف
العيون فيشبه ان يكون ماخوذا من قول الفرزدق او ممن ينسب اليه هذه الابيات
يغضي حياء ويغضى من مهابته فما يكلم الا حين يبتسم المجلس للطفي تاويل اية
ان سأل سائل عن قوله تعالى يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم
لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وهل يصح ما ذا وله قوم
من انه يحول بين الكافر وبين الايمان وما معنى قوله لما يحييكم وكيف تكون
الحيوة في اجابته الجواب قلنا اما قوله يحول بين المرء وقلبه ففيه وجوه اولها
ان يريد بذلك انه تعالى يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت وهذا
حث منه عز وجل على الطاعات والمبادرة لها قبل الفوت وانقطاع التكليف
وتعذر ما يسوف به المكلف نفسه من التوبة والاقلاع فكانه تعالى قال
بادروا الى الاستجابة لله وللرسول من قبل ان ياتيكم الموت فيحول بينكم
وبين الانتفاع بنفوسكم وقلوبكم ويتعذر عليكم ما تسوفون فيه نفوسكم
من التوبة بقلوبكم ويقوي ذلك قوله تعالى وانه اليه تحشرون وثانيها
انه يحول بين المرء وقلبه بازالة عقله وابطال تمييزه انه بغير عقل فال الله
ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال الشاعر . ولي الف باب قد عرفت
مكانه . ولكن بلا قلب الى اين اذهب . وهذا الجواب يقرب من الاول لانه تعالى

فقال ما معنى الحول بين المرء وقلبه

وان كان حيا وقد يقال لمن فقد عقله سلب عقله

اخرج هذا الكلام مخرج الانذار لهم والحث على الطاعة قبل فوتها لانه لا فرق
بين تعذر التوبة وانقطاع التكليف بالموت وبين تعذرها بازالة العقل
وثالثها ان يكون المعنى المبالغة فى الاخبار عن قربه من عباده وعلمه بما يبطنون
ويخفون وان الضمائر المكنونة له ظاهرة والخفايا المستورة لعلمه بادية
ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى ﴿ونحن اقرب اليه من حبل الوريد﴾ ونحن نعلم
انه تعالى لم يرد بذلك قرب المسافة بل المعنى الذى ذكرناه واذا كان جل وعز
هو اعلم بما فى قلوبنا منا وكان ما نعلمه ايضا يجوز ان ننساه ونسهو عنه ونضل
عن علمه وكل ذلك لا يجوز عليه جاز ان يقول انه يحول بيننا وبين قلوبنا
لانه معلوم فى الشاهد ان كل شىء يحول بين شيئين فهو اقرب اليهما
ولما اراد تعالى المبالغة فى وصف القرب خاطبنا بما نعرف ونالف وان كان
القرب الذى عناه جلت عظمته لم يرد به المسافة والعرب تضع كثيرا لفظة
القرب على غير معنى المسافة فيقولون فلان اقرب الى قلبى من فلان وزيد
منى قريب وعمرو منى بعيد ولا يريدون بذلك قرب المسافة ورابعها ما اجاب به
بعضهم من ان المومنين كانوا يفكرون فى كثرة عدوهم وقلة عددهم
فيدخل قلوبهم الخوف فاعلمهم الله تعالى انه يحول بين المرء وقلبه بان يبدله
بالخوف الامن ويبدل عدوهم بظنهم بانهم قادرون عليهم وغالبون لهم الجبن
والخوف ويمكن فى الاية وجه خامس وهو ان يكون المراد انه تعالى يحول بين
المرء وبين ما يدعوه اليه قلبه من القبايح بالامر والنهى والوعد والوعيد
لانا نعلم انه تعالى لو لم يكلف العاقل مع ما فيه من الشهوات والنفار لم يكن عن
القبيح مانع ولا عن مواقعته رادع فكان التكليف حائل بينه وبينه من حيث زجر
عن فعله وصرف عن مواقعته وليس يجب فى الحايل ان يكون فى كل موضع
مما تمنع معه الفعل لانا نعلم ان المشير منا على غيره عنه يصح ان يقال منعه
منه وحال بينه وبين فعله قال عبد الله بن قيس الرقيات. حال دون الهوى

فى امر كان تدهم به وعزم على فعله ان يجتنبه ويتنبه له الان لتحفظ الانطاف عنه

ودون

ودون السرى الليل مصعب. وسياط على كف الرجال تغلب. ونحن نعلم انه
لم يحل الا بالتخويف والترهيب دون غيرهما فان قيل كيف يطابق هذا الوجه
صدر الاية قلنا وجه المطابقة ظاهر لانه تعالى امرهم بالاستجابة لله تعالى
ولرسوله فيما يدعوان اليه من فعل الطاعات والامتناع عن القبيحات واعلمهم
انه بهذا الدعاء والانذار وما يجرى مجراهما يحول بين المرء وقلبه بين ما تدعو
اليه نفسه من المعاصى ثم ان الماب بعد هذا كله اليه والمنقلب الى ما عنده
فيجازى كلا باستحقاقه فاما قوله تعالى ﴿اذا دعاكم لما يحييكم﴾ ففيه وجوه
اولها ان يريد بذلك الحيوة فى النعيم والثواب لان تلك هى الحيوة الطيبة
الدائمة التى يومن تغيرها ولا يخاف انتقالها فكانه تعالى حث على اجابته التى
تكسب هذه الحال وثانيها ان يختص ذلك بالدعاء الى الجهاد وقتال العدو
فكانه تعالى امرهم بالاستجابة للرسول عليه السلام فيما يامرهم به من قتال عدوهم
ودفعهم عن حوزة الاسلام واعلمهم ان ذلك يحييهم من حيث كان فيه
قهر للمشركين وتقليل لعددهم وفل لحدهم وحسم لاطماعهم لانهم متى كثروا
وقووا استلانوا جانب المومنين واقدموا عليهم بالقتل وصنوف المكاره
فمن هيهنا كانت الاستجابة له عليه السلام فى القتال تقتضى الحيوة والبقاء
ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى ﴿ولكم فى القصاص حيوة يا اولى الالباب﴾ وثالثها
ما قاله قوم من ان كل طاعة حيوة ويوصف فاعلها بانه حى كما ان المعاصى
يوصف فاعلها بانه ميت والوجه فى ذلك ان الطايع لما كان منتفعا بحياته
وكانت تؤديه الى الثواب الدايم قيل ان الطاعة حياة ولما كان الكافر العاصى
لا ينتفع بحياته من حيث كان مصيره الى العقاب الدايم كان فى حكم الميت ولهذا
يقال لمن كان منغص الحيوة غير منتفع بها فلان بلا عيش ولا حيوة وما جرى
مجرى ذلك من حيث لا ينتفع بحيوته ويمكن فى الاية وجه آخر وهو
ان يكون المراد بالكلام الحيوة فى الحكم لا فى الفعل لانا قد علمنا انه عليه السلام

فوقهم اركم وحشم ولاهم ارتفعوا

كان مكلفا مامورا بجهاد المشركين المخالفين لملته وقتلهم وان كان فيما بعد
كلف ذلك فيمن عدا اهل الذمة على شرطها فكانه تعالى قال استجيبوا للرسول
ولا تخالفوه فانكم اذا خالفتم كنتم في الحكم غير احياء من حيث تعبد بقتالكم
وقتلكم فاذا اطعتم كنتم في الحكم احياء ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ومن دخله
كان امنا وانما اراد الله تعالى انه يجب ان يكون امنا وهذا حكمه ولم يخبر
بان ذلك لا محالة واقع فاما المجبرة فلا شبهة لهم في الاية ولا متعلق بها
لانه تعالى لم يقل انه يحول بين المرء وبين الايمان ولا ظاهر الاية يقتضي انه
يحول بينه وبين افعاله وانما يقتضي ظاهرها انه يحول بينه وبين قلبه وليس
للايمان ولا للكفر ذكر ولو كان للاية ظاهر يقتضي ما ظنوه وليس لها ذلك لانصر
فنا عنه بادلة العقل الموجبة انه تعالى لا يحول بين المرء وبين ما امر به واراده
منه وكلفه فعله لان ذلك قبيح والقبايح عنه منفية واخبرنا ابو عبد الله
محمد بن عمران المرزباني قال حدثني احمد بن محمد الجوهري قال حدثني الحسن بن علي
الغنوي قال حدثنا احمد بن عمر ابن اسمعيل بن عمر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عوف قال
حدثني محمد بن خالد بن عبد الله عن الحجاج السلمي قال لما اشتد بحصين بن حذيفة
بن بدر وجعله من طعنة كرز بن عامر اياه يوم بني عقيل دعا ولده فقال ان الموت
اهون مما اجد فايكم يطيعني قالوا كلنا نطيعك فبدأ باكبرهم قال قم فخذ سيفي
واطعن به حيث آمرك ولا تعجل قال يا ابتاه ايقتل المرء اباه فاتا على القوم كلهم
فاجابوه بجواب الاول حتى انتهى الى عيينة فقال يا ابتا اليس لك فيما تأتي
به راحة ولي بذلك طاعة وهو هواك قال بلى قال فمرني كيف اصنع قال قم
خذ سيفي فضعه حيث امرك ولا تعجل فقال فاخذ سيفه ووضعه على قلبه
ثم قال يا ابتاه مرني كيف اصنع قال الق السيف انما اردت ان اعلم ايكم امضى
لما امر به فانت خليفتي ورئيس قومك من بعدي فقال القوم انه سيقول
فيما كان بيننا فاحضروه فلما امسى قال ولو عيينة من بعدي امور كم

واستيقنوا انه بعدي لكم حام . اما هلكت فاني قد بنيت لكم . عز الحياة
بما قدمت قدامي . واستوسقوا بالتي فيها مروتكم . قود الجياد وضرب القوم
في الهام . والقرب من قومك والقرب ينفعكم . والبعد ان باعدوا والرتق للرأي
ولي حذيفة اذ ولى وخلفني . يوم الهباة يتيما وسط ايتام . لا ارفع الطرف
ذلا عند مهلكة . القى العدو بوجه خده دام . حتى اعتقدت لواقوى
فقمت به . ثم ارتحلت الى الجفني بالشام . لما قضى ما قضى من حق زائره .
عجت المطي الى النعمان من عام . اسمو لما كانت الاباء تطلبه . عند الملوك
فطرفي عندهم سامي . والدهر آخره شبه لاوله . قوم كقوم وايام كايام
فابنوا ولا تهدموا الناس كلهم . من بين بان للعليا وهدام . قال ثم اصبح
ودعا بني بدر فقال لواء ورياستي لعيينة اسمعوا مني ما اوصيكم ولا يتكل
اولكم على اخركم فانما يدرك الاخر ما ادرك الاول وانكحوا الكفي والغريب
فانه عز حادث واذا حضركم امران فخذوا بخيرهما صدرا فان كل مورد معروف
واصحبوا قومكم باجمل اخلاقكم ولا تخالفوا فيما اجتمعوا عليه فان الخلاف
يزري بالرئيس المطاع واذا حاربتم عدوكم فاوقعوا ثم قولوا اصدقا فانه لا خير
في الكذب وصونوا الخيول فانها حصون الرجال واطيلوا الرماح فانها قرون
الخيل واعزوا الكبير بالكبر فاني بذلك كنت اغلب الناس ولا تعتزوا الاباء
ولا تسرحوا حتى تامنوا الصباح واعطوا على حسب المال واعجلوا للضيف بالقرى
فان المال خيره اعجله واتقوا فضحات البغي وفلتات المزاح ولا تجترءوا
على الملوك فان ايديهم اطول من ايديكم واقتلوا كرز بن عامر ومات حصين
واخذ عيينة الرياسة وقال . اطعت باعيينة في هواه . فلم تخلج صريمتي الظنون
وقد عرض الرئيس على بنيه . فقال القوم هذا لا يكون . ستحييني اذا يموت
فطاولوه . وقتل المرء والده جنون . فلم اقتل بحمد الله حصينا . وكل فتى ستدركه
المنون . ولم انكل عليه وكل امر . اذا هونته يوما يهون . فان يك بدء

هذا الامر غشا. فاخر بني بدر سمين وحكى عمرو بن بحر الجاحظ ان اسم عيينه
بن حصين حذيفه وانما اصابته اللقوه فجحظت عينيه وزال فكه فسمى لذلك
عيينه واذا عظمت عين الانسان لقبوه عيينه واما عينا. وروى قيس بن
ابي حازم ان عيينه بن حصين دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال هذا
احمق مطاع وروى ايضا انه كان يدلع لسانه للحسين بن علي عليهما السلام وهو صبي
فيرى لسانه فيهش له فقال له عيينه الا ارك تصنع هذا بهذا فوالله انه ليكون
لي الابن رجلا قد خرج وجهه ما قبلته قط فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
انه من لا يرحم لا يرحم ونعود الى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعره وان فيما
يختار من شعره قوله من قصيدة اولها. صحا بعد جهل فاستراحت عواذله
واقصرن عنه حين انصرمن باطله. ومن مد ايامه فتاخرت. منيته فالشيب
لا شك شامله. يقول في المديح منها. هو المرء اما دينه فهو مانع. مصون واما ماله
فهو باذله. ابي لما يابى ذوو الحزم والتقى. فعول اذا ما جد بالامر فاعله. تروك
الهوى لا السخط منه ولا الرضى لدى موطن الا على الحق حامله. يرى ان من
الحق احلى مغبة. وانجى ولو كانت ذعافا مناهله. فان طليق الله من هو مطلق
وان قتيل الله من هو قاتله. وانك بعد الله للحكم الذي. تصاب به من كل
حق مفاصله. فاما قوله فمن مد في ايامه فتاخرت. منيته فالشيب لا شك شامله
فماخوذ من قول طريح بن اسمعيل الثقفي. والشيب غاية من تاخر حينه. لا يستطيع
دفاعه من يجزع. والاصل في هذا قول امية بن ابي الصلت. من لم يمت غبطة
يمت هرما. الموت كاس والمرء ذائقها. ويشبه ذلك قول الاخر. قل لعرسي ليس شيء
بعجب. من يعش يا ام عمار يشب. ومثله قول ابي العتاهية. من يعش يكبر ومن يكبر
يمت. والمنايا لا تبالي من اتت. ويشبه قول البحتري. ولا بد من ترك احدى اثنتين
اما الشباب واما العمر. ويقاربه قوله ايضا. والشيب مهرب من جارى منيته
ولا نجاء له من ذلك الهرب. وقريب منه قول ابن المعتز. وقالت كبرت وانضيت

اترو للحي ما بلي الناس طعمه
عقاب امير المومنين ونائله

من الصبي فقلت لها ما عشت الا لاكبر. ولبعضهم. ولا بد من موت
فاما شبيبة. واما مشيب والشبيبة اصلح. معنى قوله والشبيبة اصلح لان
الانسان اذا مات شابا كان اكثر للحزن عليه والاسف على مفارقته
واذا اسن واهرم برم به اهله وهان عليهم فقده فاما قوله هو المرء اما دينه
فهو مانع. مصون واما ماله فهو باذل. فمعناه متكرر في الشعر كثير جدا واحسن
شعر جمع بين وصف الممدوح بمنع ما يجب منعه وبذل ما يجب بذله قول مسلم
بن الوليد. يذكرنيك الجود والبخل والندى. وقول الخنا والحلم والعلم والجهل
فالقاك من مذمومها متنزها. والقاك من محمودها ولك الفضل. واحمد من
اخلاقك البخل انه. بعرضك لا بالمال حاشى لك البخل. وقد احسن البحتري في قوله
بلونا ضرايب من قد نرى. فما ان وجدنا لفتح ضريبا. تنقل في خلقي سودد.
سماحا مرجى وباسا مهيبا. وكالسيف ان جئته صارخا. وكالبحر ان جئته مستثيبا.
واما قوله تروك الهوى لا السخط منه ولا الرضا. لدى موطن الا على الحق حامله
فمعنى متداول مطروق في الشعر قد كرره هو في قوله. اذا اهن القين الرجال بهابه
حططن به ثقلا وادركن مغنما. الى طاهر الاخلاق ما نال في رضى. ولا غضب مالا
حراما ولا دما. واحسن من هذا قول البحتري في محمد بن عبد الملك الزيات ثبت الخطا اذا ذكر
بمظلمة. في رحله السن الاقوام والركب. لا المنطق اللغو يزكو في مقاومة. يوما
ولا حجة الملهوف تستلب. كانما هو في نادي قبيلته. لا القلب يهفو ولا الاحشاء
تضطرب. وتحت ذاك قضاء حز شفرته. كما يعض بظهر الغارب القتب.
لا سوقة تتقيه ولا ملك. ولا يخاف رضى منه ولا غضب. ومن قول البحتري
في ابن الزيات ايضا. وحبه الحق بين اخذ واعطاء. وقصد في الجمع والتبديد
واستوى الناس فالقريب قريب. عنده والبعيد غير بعيد. لا يميل الهوى
به حيث يمضي الامر بين المقلي والمودود. وسواء لديه ابناء ابرهيم في حكمه
وابناء هود. مستريح الاحشاء من كل ضغن. بارد الصدر من غليل الحقود

فامّا قوله وانّ قتيل الله من هو قاتله . فيشبه ان يكون ماخوذا من قول يزيد بن
مفرغ في عبيد الله ابن زياد لعنهما الله لعنا وبيلا . انّ الذي عاش ختّارا بذمّته .
ومات عبدا قتيل الله بالزّاب . فامّا قوله وانك تعبد الله للحكم الذي . تصاب
به من كل حيّ مفاصله . فيشبه قول ابي تمام يصف القلم من قصيدة يمدح بها
ابن الزيات واجمع العلماء انّ هذه الابيات احسن وافخم من جميع ما قيل في القلم
لك القلم الاعلى الذي بشباته . تصاب من الامر الكلى والمفاصل . له الخلوات
اللائى لولا نجيّها . لما احتفلت للملك تلك المحافل . لعاب الافاعى القاتلات
لعابه . وارى الجنا اشتارته ايدٍ عواسل . له ريقة طلّ ولكنّ وقعها . بآثار
في الشرق والغرب وابل . فصيح اذا استنطقته وهو راكب . واعجم ان خاطبته
وهو راجل . اذا ما امتطى الخمس اللطاف وافرغت . عليه شعاب الفكر وهي حوافل
اطاعته اطراف القنا وتقوّضت . لنجواه تقويض الخيام الجحافل . اذا استغزر
الذهن الذكى واقبلت . اعاليه في القرطاس وهي اسافل . وقد رفدته الخنصران
وسدّدت . ثلاث نواحيه الثلاث الانامل . رايت جليلا شانه وهو مرهف
ضنا وسمينا خطبه وهو ناحل . المجلس في تاويل ابن سئل سائل عن قوله تعالى
فاين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن
الا ان يشاء الله رب العالمين فقال ما تاويل هذه الاية او ليس ظاهرها يقتضى
انّنا لا نشاء شيئا الا والله شاء له ولم يخصّ ايمانا من كفر ولا طاعة من معصية
الجواب قلنا المذكور في هذه الاية انّ الكلام متعلق بما تقدّمه من ذكر
الاستقامة لانّه قال تعالى لمن شاء منكم ان يستقيم ثم قال وما تشاؤن الا
ان يشاء الله رب العالمين اى لا تشاؤن الاستقامة الا والله تعالى مريد لها ونحن
لا ننكر ان يريد الله تعالى الطاعات وانّما انكرنا ارادته المعاصى وليس لهم ان يقولوا
تقدّم ذكر الاستقامة لا يوجب قصر الكلام عليها ولا يمنع من عمومه كما انّ السبب
لا يوجب قصر ما يخرج من الكلام عليه حتى لا يتعدّاه وذلك انّ الذي ذكروه انّما

بجر

يجب فيما يستقل بنفسه من الكلام دون ما لا يستقل وقوله وما تشاؤن
الا ان يشاء الله لا ذكر للمراد فيه فهو غير مستقل بنفسه وان علق بما تقدّم
من ذكر الاستقامة استقل على انّه لو كان للاية ظاهر يقتضى ما ظنّوه وليس
لها ذلك لوجب الانصراف عنه بالادلة الثابتة على انّ الله تعالى لا يريد
المعاصى ولا القبائح على انّ مخالفينا في هذه المسئلة لا يمكنهم حمل الاية على
العموم لانّ العباد قد يشاؤن عندهم ما لا يشاءه الله تعالى بان يريدوا الشئ
ويعزموا عليه فلا يقع لمنع او غيره وكذلك قد يريد النبى صلى الله عليه واله
الكفار الايمان ويتعبّدنا بان نريد من المقدم على القبيح تركه وان كان الله تعالى
عندهم لا يريد ذلك اذا كان المعلوم انّه لا يقع فلا بدّ لهم من تخصيص الاية فاذا
جاز لهم ذلك بالشبهة جاز لنا مثله بالحجّة ويجرى هذه الاية مجرى قوله تعالى
انّ هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربّه سبيلا وما تشاؤن الا ان يشاء الله
قوله تعالى وما يذكرون الا ان يشاء الله في تعلّق الكلام بما قبله فان قالوا فالاية
تدل على مذهبنا وبطلان مذهبكم من وجه اخر وهو انّه جلّ وعزّ قال وما
تشاؤن الا ان يشاء الله وذلك يقتضى انّه يشاء الاستقامة في حال مشيّتنا لها
لانّ ان الخفيفة اذا دخلت على الفعل المضارع اقتضت الاستقبال وهذا يوجب
انّه يشاء افعال العباد في كل حال ويبطل ما تذهبون اليه من انّه يريد
الطاعات في حال الامر قلنا ليس في ظاهر الاية انّا لا نشاء الا ما شاء الله تعالى
في حال مشيّتنا كما ظننتم وانّما يقتضى حصول مشيّته لما نشاؤه من الاستقامة
من غير ذكر التقدّم ولا تاخّر ويجرى ذلك مجرى قول القائل ما يدخل زيد هذه
الدار الا ان يدخلها عمرو ونحن نعلم انّه غير واجب بهذا الكلام ان يكون دخولهما
في حال واحدة بل لا يمتنع ان يتقدّم دخول عمرو ويتلوه دخول زيد وانّ الخفيفة
وان كانت للاستقبال فيهما لانّ تقدير الكلام وما تشاؤن الطاعات الا بعد ان
يشاءها الله ومشيّته لها قد كانت لها حال الاستقبال وقد ذهب ابو محمد بن عبد

على ما ذكروه لم يبطل علينا ما بينا معنى الا

الجبائي الى انه لا يمتنع ان يريد الله الطاعات حالا بعد حال فان كان قد ارادها
في حال الامر كما يصح ان يامر بها امرا بعد امر لانه قد يصح ان يتعلق بارادته ذلك
منا بعد الامر وفي حال الفعل مصلحة ويعلم تعالى ان يكون متى علمنا ذلك الى فعل
الطاعات اقرب على هذا المذهب لا معترض بما ذكروه والجواب الاول واضح
اذا لم نذهب الى مذهب ابي علي في هذا الباب على ان اقتضاء الاية للاستقبال
من اوضح دليل على فساد قولهم لان الكلام اذا اقتضى حدوث المشية واستقبالها
بطل قول من قال منهم انه مريد لنفسه او مريد بارادة قديمة وصح ما نقوله
من ارادته متجددة محدثة ويمكن في تاويل الاية وجه اخر مع حملنا اياها على
العموم من غير ان نخصها بما تقدم ذكره من الاستقامة ويكون المعنى الاية
ما تشاؤن شيئا من افعالكم الا ان يشاء الله تمكينكم من مشيته واقداركم
عليها والتخلية بينكم وبينها وتكون الفايدة في ذلك الاخبار عن الافتقار
الى الله تعالى وانه لا قدرة للعبد على ما لم يقدره غير مذكور وليس لهم ان يعلقوا الله تعالى عليه وليس يجب ان يبتدى هذا الوجه لان ما يتعلق به المشية في الاية محذوف
قوله الا ان يشاء الله بالافعال دون ان نعلقه بالقدرة لان كل واحد من الامرين
غير مذكور وكل هذا واضح بين بحمد الله ونعود الى ما كنا عدنا من الكلام على شعر
مروان فمما يختار له قوله من قصيدة اولها . طرقتك زائرة فحي خيالها . بيضاء
تخلط بالحياء دلالها . يقول فيها . مالت بقلبك فاستقاد ومثلها . قاد
القلوب الى الصبي فامالها . وكانما طرقت بنفحة روضة . سحت بها ديم الربيع
ظلالها . باتت تسايل في المنام معرسا . بالبيد اشعث لا يمل سوالها . في فتية
هجعوا غرارا بعدما . سئموا مراعة السرى ومطالها . فكان خشو اثيابهم
هندية . نحلت واغفلت القيون صقالها . اما ما ذكره من اول القصيدة من
طروق الطيف فانه لم يات بمعنى قريب ولا لفظ مستعذب وقد قال الناس
في الطيف والخيال فاكثروا وقد سبق في ذلك قيس بن الخطيم الى معنى كل الناس
فيه عيال عليه وهو قوله . انى سريت وكنت غير سروب . وتقرب الاحلام كل قريب

ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه . في النوم غير مصرد محسوب . كان المنى بلقائها
فلقيتها . فلهوت من لهو امرئ مكذوب . وقد احسن جرير في قوله . اتنسى اذ تودعنا
سليمى . بفرع بشامة سقي البشام . بنفسي من تجنبه عزيز علي ومن زيارته
لمام . ومن امسي واصبح لا اراه . ويطرقني اذا هجع النيام . وهذه الابيات
وان خلت من معنى في ذكر الطيف غريب فلم تخل من لفظ مستعذب ولابي
عبادة البحتري في وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتاخر فانه تغلغل
في اوصافه واهتدى من معانيه الى ما لا يوجد لغيره وكان مشغوفا بتكرار
القول فيه لهجا بابدائه واعادته وان كان للابيات في ذلك مواضع لا يجهل
فضلها ومحاسن لا يبلغ شاوها فمما قيل للابيات قوله . زار الخيال لها لا بل
ازاركه . فكر اذا نام فكر الخلق لم ينم . ظبي تقنصته لما نصبت له . من اخر الليل
اشراكا من الحلم . ثم اغتدى وبنا من ذكره سقم . باق وان كان معسولا من السقم
ومنه . عادك الزور ليلة الرمل من رمله . بين الحمى وبين المطالي ثم ما زارك
الخيال ولكنك زرت بالفكر طيف الخيال . وقوله . الليالي اخفى بقلبي اذا ما .
جرحته النوى من الايام . يا لها لذة تنزهت الا . رواح فيها سرا من الاجسام .
مجلس لم يكن لنا فيه عيب . غير انا في دعوة الاحلام . فاما البحتري في قوله في هذا
المعنى اكثر من ان نذكر جميعه هيهنا غير انا نشير الى نادره فمن ذلك قوله . فلا
وصل الا ان يطيف خيالها . بنا تحت جوشن من الليل اسفع . المت بنا بعد
الهدو فسامحت . بوصل متى تطلبه في الجد تمنع . وما برحت حتى مضى الليل
فانقضى . واعجلها داعي الصباح الملمع . فولت كان البين يخلج شخصها .
اوان تولت من حشاي واضلعي . ورب لقاء لم يؤمل وفرقة . لاسماء لم تحذر
ولم تتوقع . اراني لا انفك في كل ليلة . تعاود فيها المالكية مضجعي .
اسر بقرب من ملم مسلم . واشجى ببين من حبيب مودع . فكاين لنا بعد النوى
من تفرق . ترجيه احلام الكرى وتجمع . وقوله . واني وان ظنت على بودها

الجوشن الصدر [illegible] في [illegible]
[illegible]

لا ارتاح منها بالخيال المورق . يعزّ على الواشين لو يعلمونها . ليال لنا نزداد
فيها ونلتقي فكم غلّة للشوق اطفا تحرّها . بطيف متى يطرق دجى الليل
يطرق . اضمّ عليه جفن عيني تعلقا . به عند اجلاء النعاس المرنّق . وقوله
بلى وخيال من اثيلة كلما . تاوّهت من وجد تعرّض يطمع . اذا زورة
منه تقضّت مع الكرى . تنبّهت من وجد له اتفزّع . ترى مقلتي ما لا ترى
في لقائه . وتسمع اذني رجع ما ليس تسمع . ويكفيك من حقّ تخيّل باطل .
تردّ به نفس اللهيف وترجع . وقوله . اذا ما الكرى اهدى الىّ خياله شفى
قربه التبريح او نقع الصدى . اذا انتزعته من يدىّ انتباهة . عددت حبيبا راح
منىّ او غدا . ولم ار مثلينا ولا مثل شاننا . نعذّب ايقاظا وننعم هجّدا . وقوله
فما نلتقى الّا على حلم هاجد . نحلّ لنا ناجد وان وهى حرام . اذا ما ابتاذلنا النفايس
خلتنا . من الجدّ ايقاظا ونحن نيام . وقوله . وليلة هومنا على العيس ارسلت
بطيف خيال يشبه الحقّ باطله . فلولا بياض الصبح طال تشبّثى . بعطفى غزال
بتّ وهنا اغازله . وقوله . امنك تاوّب الطيف الطروب . حبيب جاء يهدى
من حبيب . تخطّى رقبة الواشين كرها . وبعد مسافة الخرق المجوب . يكاذبنى
واصدقه ودادا . ومن كلف مصادقة الكذوب . وقوله . ما تقضى لبانة عند لبنى
والمعنّى بالغانيات معنّى . هجرتنا يقظى وكادت على مذهبها في الصدّ وتهجر وسنا .
بعد لاى وقد تعرّض منها . طارق يعتفى عرجت على الركب وهنا . قال المرتضى رض
ووجدت ابا القاسم الحسن بن بشر الآمدى مع ميله الى البحترى اخطا في قوله
هجرتنا يقظى وكادت على مذهبها في الصدّ وتهجر وسنا . قال لان خيالها
يتمثّل له في كل احوالها يقظى كانت او وسنى قال ولكن الجيد في هذا المعنى قوله
اردّ دونك يقظانا ويأذن لى . عليك شكر الكرى ان جئت وسنانا .
قال والذى اوقع البحترى في هذا الغلط قول قيس بن الخطيم . ما تمنعى يقظى
فقد تؤتينه . في النوم غير مصرّد محسوب . وكان الاجود ان يقول ما تمنعني

والخطا له في شعبه واجتهاده في ايراد ما اخذ
عليه من خطا وذلك انه زعم ان البحترى

في اليقظة فقد تؤتينه في النوم اى ما تمنعينه في يقظتي فقد تؤتينه في حال نومي
حتى يكون النوم واليقظة منسوبين اليه لان خيال المحبوب يتمثّل في حال نومه
ويقظته جميعا قال الا انه يتسع من التأويل في هذا القيس ما لا يتسع للبحترى لان قيسا
قال وسنى ولم يقل في الوسن قال المرتضى رضى الله عنه وقد يمكن من التأويل
للبحترى ما امكن مثله لقيس فيها في النوم بالعادة كما ان الحال المعهودة في اليقظة
حال مشتركة بالعادة فقوله وسنى ينبئ عن كونه هو ايضا نائما وانما اراد
المقابلة في زنة اللفظ بين يقظى ووسنى وقوله يقظى متى لم يحمل ايضا على هذا
المعنى لم يصح لانه لا بدّ ان يريد بذلك هجرتنا في احوال اليقظة ويكون معنى
يقظى متعدّى اليه الا ترى ان الآمدى حمل قول قيس بن الخطيم يقظى على معنى وانا يقظان
وانما لم يبيّن الوجه فكيف قيسا ذهب عليه مثل ذلك في قول البحترى وقوله
وسنى ويقظى مثل قول قيس يقظى ولو مكّن وزن الشعر من ان يقول وسنى في مقابلة يقظى
الا ما عليه في يقظى وما يتأوّل له في احد الامرين يتأوّل في الآخر قال المرتضى رض
ولى في الخيال وطروقه معنى ما علمت انه سبق اليه وهو من جملة قصيدة . وزور
تخطّى جنوب الملا . فناديت اهلا بذى الزائر . اتانى هدوّا وعين الرقيب . مطروفة
بالكرى الغامر . فاعجب به يسعف الهاجعين . ويحرم مقلة الساهر . وعهدى
بتمويه عين المحبّ . يتمّ على قلبه الطائر . فلما التقينا بزعم الرقاد . مودّة قلبى على ناظر
ومعنى البيت الاخير ان الاحلام انما هى اعتقادات تحصل في القلب لا حقيقة لها لاكثرها
لان الانسان يعتقد انه رأى لما لا يراه على الحقيقة ومدرك لما ليس يدركه على
الحقيقة فالقلب يخيّل في النوم للعين ما لا حقيقة له كما ان العين تخيّل في كثير من
الاحوال للقلب ما لا حقيقة له فاما قول مروان فكانما طرقت بنفحة روضة
البيت فيشبه ان يكون ماخوذا من قول نهشل بن حرى . طرقت اسماء الرجال ودونها
ثنيان من ليل التمام الاسود . ومفاوز وصل الفلاة جنوبها . بجنوب اخرى
غير ان لم تعقد . ربل اذا ايدى الركاب قطعته . قرعت مناسمها بقف قردد

قال فقد تؤتينه في النوم ولم يقل تؤتينه نائمة
وقد يجوز ان يحمل على انه اراد ما تمنعى يقظى وانا
يقظان فقد تؤتينه في النوم اى في نومى ولا يسوغ
مثل هذا في بيت البحترى لانه

لكن الآمدى ذهب عنه ذلك لان البحترى لما قال وسنى
دلّ على حال الوسن وان الحال المعهودة للوسن حال البحترى كذلك

لانه لم يمكن عليه في وسنى

في النعمة

وكان ريح لطيمة هندية. وذكى جادى بضع عجمة. وندى خزامى الجو جو سقته
طرق الخيال به بعيد المرقد. او من قول الاخر. طرقتك زينب والمزار بعيد
بمنى ونحن معرسون هجود. وكانما طرقتك بريا روضة. انف يسحّ مزنها
ويجود. وهذا المعنى كثير في الشعر المتقدم والمتاخر جدا فاما قوله باتت تسايل
في المنام معرسا البيت والبيتان اللذان بعده فقد قال الناس في وصف
قلة النوم ومواصلة السرى. وقدرنا ان خنا الدهر غفل قل ما عرس حتى
هجته. بالتباشير من الصبح الاول. يلبس الاحلاس في منزله. بيديه
كاليهودي المصل. يتمارى في الذي قلت له. ولقد يسمع قولى حى هل.
ومن ذلك قول ذى الرمة. وليل كاثناء الرويزى جبته. باربعة والشخص في العين
واحد. والرويزي هو الطيلسان وقد روى ايضا كجلباب العروس ادرعته
وكل ذلك وصف له بالسواد لان الطيلسان اسود وجلباب العروس اخضر
والعرب تجمع بين الخضرة والسواد. احم علافى وابيض صارم. واعيس مهرى
واشعث ماجد. اخو شقة جاب الفلاة بنفسه. على الهول حتى لوحته المطارد.
واشعث مثل السيف قد لاح جسمه. وجيف المهارى والهموم الاباعد.
سقاه الكرى كاس النعاس فراسه. لدين الكرى من اخر الليل ساجد. اقمت
له صدر المطى فما درى. اجايرة اعناقها ام قواصد. ترى الناشئ الغرّيد يضحى
كانه. على الرحل مما منه السير عاصد. ومن ذلك قول ابى حية النميرى. واغيد من
طول السرى برّحت به. افانين هاض ضهن على الاين مرجم. سريت به حتى اذا ما تمزقت
توالى الدجى عن واضح اللون معلم. انخنا فلما ان جرت في دماغه. وعينيه كاس
النوم قلت له قم. فما قام الا بين ايديهم تقيمه. كما عطفت ريح الصبا خوط سأسم
خطى الكره مغلوبا كان لسانه. كما رد من رجع لسان المبلسم. وود بوسط الخمس
منه لو اننا. رحلنا وقلنا في المناخ له نم. المجلس الاحدى والاربعون تاويل آية
ان سأل سائل عن تاويل قوله تعالى اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما

وبالادلاج وشعث السايرين فاكثر واقمن احسن
ما قيل في ذلك قول لبيد ومجود من صبابات
الكرى عاطف النمرق صدق المبتذل قال
هجنا فقد طال السرى

الشم بجرد

كان

دون
كان لهم من الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع
وما كانوا يبصرون فقال اى معنى لاختصاص الارض بالذكر وهم لا يفوتون
الله ولا يعجزونه ولا يخرجون عن قبضته على كل حال ومكان ولم نفى الاولياء عنهم
وقد نجد اهل الكفر يتولى بعضهم بعضا وينصرونهم ويحمونهم من المكاره وكيف
نفى استطاعتهم للسمع والابصار واكثرهم كان يسمع باذنه ويرى بعينه
الجواب قلنا اما في اختصاص الذكر بالارض فلان عادة العرب جارية بقولهم
للمتوعد لا مهرب لك منى ولا وزر ولا نفق والوزر الجبل والنفق السرب وكل
ذلك مما يلجا اليه الخائف المطلوب فكانه تعالى نفى ان يكون لهولاء الكفار عاصم
منه ومانع من عذابه وان جبال الارض وسهولها لا تحجز بينهم وبين ما يريد
ايقاعه بهم كما انها تحجز عن كثير من افعال البشر ولان معاقل الارض هي التي يهرب
اليها البشر من المكاره ويلجون الى الاعتصام بها من المخاوف فاذا نفى تعالى
ان يكون في الارض لهم معقل فقد نفى المعقل من كل وجه فاما قوله وما كان
لهم من دون الله من اولياء فمعناه انه لا ولى لهم ولا ناصر من عذاب الله تعالى
وعقابه لهم في الاخرة ولا مما يريد ايضا ايقاعه بهم في الدنيا وان كان لهم
من يحميهم من مكروه البشر وينصرهم ممن ارادهم بسوء فقد يجوز ان يكون ذلك ايضا
بمعنى الامر وان كان مخرجه مخرج الخبر ويكون التقدير وليس لهم ان يتخذوا اولياء
من دون الله بل الواجب ان يرجعوا اليه في معونتهم ونصرهم ولا يعولوا على
غيره فاما قوله عز وجل ما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون وبما كانوا
يستطيعون السمع فلا يسمعون وبما كانوا يستطيعون الابصار فلا يبصرون
عناد اللحق وذهابا عن سبيله فاسقطت الباء من الكلام وهذا جاير كما جاز
في قولهم لاجزينك بما عملت ولاحدثنك بما عملت وكما قال الشاعر نغالى
باللحم والوجه الثاني انهم لاستثقالهم استماع ايات الله تعالى وكراهيتهم تذكرها
وتدبرها جرى مجرى من لا يستطيع السمع كما يقول القايل ما يستطيع فلان
دنيهما

وما كانوا يبصرون ففيه وجوه احدها ان يكون المعنى
يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع

اللحم للاضياف نيا. ونبذله اذا
نضج القدور. فا ناد نغالى

ان ينظر الى فلان من شدة عداوته وما يقدر ان يكلمه وكما نقول لمن عهدنا
منه العناد والاستثقال لاستماع الحجج والبينات ما تستطيع ان تسمع الحق
وما تطيق ان يذكر لك وكما قال الاعشى . ودع هريرة ان الركب مرتحل . وهل
تطيق وداعا ايها الرجل . ونحن نعلم انه قادر على الوداع . وانما نفى قدرته
عليه من حيث الكراهية والاستثقال ومعنى ما كانوا يبصرون اى ان ابصارهم
لم يك نافعا لهم ولا مجديا عليهم مع الاعراض منه تامل ايات الله تعالى وتدبرها
فلما انتفت عنهم منفعة الابصار جاز ان ينفى عنهم الابصار نفسه كما يقال
للمعرض عن الحق العادل عن تامله ما لك لا تبصر ولا تسمع ولا تعقل وما اشبه
ذلك والوجه الثالث ان يكون معنى نفى السمع والبصر راجعا الى الهتهم لا اليهم
وتقدير الكلام اولئك والهتهم لم يكونوا معجزين فى الارض يضاعف لهم العذاب
ثم قال مخبرا عن الالهة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وهذا
الوجه يروى عن ابن عباس رحمه الله وفيه ادنى بعد ويمكن فى الاية وجه اخر
رابع هو ان تكون ما فى قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع ليست للنفى
بل تجرى مجرى قولهم لا واصلتك ما لاح نجم ولا قيمن على مودتك ما طلعت
شمس ويكون المعنى ان العذاب يضاعف لهم فى الاخرة ما كانوا يستطيعون
السمع وما كانوا يبصرون اى انهم معذبون ما كانوا احياء فان قيل كيف يعبر
عن كونهم احياء باستطاعة السمع والابصار وقد يكون حيا من لا يكون كذلك
قلنا للعرب فى مثل هذا عادة لانهم يقولون والله لا كلمت فلانا ما نظرت عينى
ومشت قدمى وهم يريدون ما بقيت وحييت لان الاغلب فى احوال الحى
ان تنظر عينه وتمشى قدمه فجعلوا الاغلب كالواجب ومن ذلك قول الشاعر
وما انس من شىء تقادم عهده . فلست بناس ما هدت قدمى نعلى . عشية قالت
والدموع بعينها . هنيئا لقلب عنك لم يسله مثلى . وانما اراد انى لا انسى ذلك
ما حييت وكذلك لا يمتنع ان يعلق على هذا المذهب دوام العذاب بكونهم

مستطيعين

مستطيعين للسمع والابصار ويعود المعنى الى تعلقه ببقائهم وكونهم احياء
والمرجع فى ذلك الى التابيد لانه اذا علق العذاب ببقائهم احياهم وعلمنا ان الاخرة
لا موت فيها ولا خروج عن الحبوة علمنا تابيد العذاب ونعود الى ما كنا شرعنا
فيه من الكلام على شعره وان مما يختار له قوله من القصيدة التى تقدم مضى اولها وتكلمنا
عليها . وضعوا الخد ودلدى سواهم جنح . تشكو الكلال صفاحها وكلالها . طلبت
امير المؤمنين فواصلت . بعد السرى بغدوها اصالها . نزعت اليك صواديا
فتقاذفت . تطوى الفلاة حزونها ورمالها . يتبعن ناحية يهز مراحها . بعد
النحول تليلها وقذالها . هوجاء تدرع الربا وتشقها . شق الشموس اذا تراد الها .
تنجو اذا رفع القطيع كما نجت . خرجا بادرت الظلام رئالها . كالقوس ساهم اتيك
وقد ترى . كالبرج تملا رحلها وحبالها . هذه الابيات فى وصف الرواحل
بالسرعة والنحول جيدة الالفاظ مطردة النسج وقد سبق الناس فى هذا المعنى
المضروب من الاحسان فمن ذلك قول الاخطل . بخوص كاعطال القسى
تقلقلت . اجنتها من شقة ودؤوب . اذا معجل غادرنه عند مبرك .
اتيح لجواب الفلاة كسوب . المعجل الملقى جنينه لغير تمام وجواب الفلا الذيب
وهن بنا عوج كان عيونها . بقايا قلات قلصت لنضوب . مسانيف نطويها مع
القيض والسرى . تكاليف طلاع النجاد ركوب . قديم ترى الاضواء فيه كانها .
رجال قيام عصبوا بسبوب . يعوم بنا عوم السفين اذا انجلت . سحابة وضاح السراب
خبوب . وقال مسلم بن الوليد الانصارى . الى الامام تهادانا باجلها . خلق من الريح
فى اشباه ظلمان . كان افلاءها والفجر ياخذها . افلات صادرة عن قوس حسبان .
وقال بشار . وانا المطى بحن فى اعطافه . فات المطى بكاهل وتليل . فكانه والناعجات
يردنه . قدح تطلع من قداح مجيل . ولبعض الحارثيين . هن الهجاير والظهاير نحمها
حتى تحدد لحمها المتظاهر . حرف تناهبها النجاء قلايص . مما تنخل شدقم او داعر .
صبر اذا عطفت سوالفها البرى . سمعت لهن كشاكش وجراجر . ويخلن من عز

من عز النفوس وحدها. جنا وهن اذا اختبرن اباعر الآذا اما اقبلت كانها .
.. كدر توردن النطاف صوادن. اما اذا اما ابركت فكانها. صرح مشيدة وهن
ضوامر. واني لاستحسن قول لبشامة بن الغدير في وصف الناقة بالسرعة.
كان يديها اذا ارقلت. وقد جرن ثم اهتدين السبيلا. يدا سابح خر في غمرة. وقد
شارف الموت الا قليلا. اذا اقبلت قلت مشحونة. اطاعت لها الريح قلعا جفولا.
وان ادبرت قلت مذعورة. من الربد تتبع هيقا ذمولا. ومعنى قوله وقد جرن
ثم اهتدين السبيلا يعني المطايا يقول كن نشيطات يمرحن فلا يلزمن لقم الطريق
بعد تنكبها وهذه كناية فصيحة مليحة ومثله قول الاخر. كان يديها حين جد نجاؤها.
يدا سابح في غمرة يتذرع. ومما يشاكل هذا المعنى ويقاربه قول الشماخ. كان ذراعيها
ذراعا مدلة بعيد السبا حاولت ان تعذرا. مجدة الاعراق قال ابن ضرة.
عليها كلاما جار فيه واهجرا. شبه ذراعيها وهي تتذرع في مشيها بذراعي
امراة مدلة على اهلها بريئة ساحتها وقد حكى عنها ابن ضرتها كلاما اهجر فيه
اي افحش فهي ترفع يديها وتضعهما تعتذر وتحلف وتفضح عن نفسها وقد قيل
ان معنى قوله مدلة انها تدل بحسن ذراعيها فهي تديم اظهارهما ليرى حسنهما
وقوله بعيد السبا اي في عقيب المشاتمة قامت تعتذر الى الناس وقوم يروونه
بعيد النثا ومعنى هذه الرواية انها نصف من النساء فهي اقوم بحجتها من الحدثة
الغرة ويشهد لهذه الرواية الاخيرة قول الاخر. كان يديها حين يقلق ضفرها.
يدا نصف غيرى تعذر من جرم. وقوله حين يقلق ضفرها فيه سر وفايدة لان
الضفر هو الانساع وانما تقلق اذا اجهدها السير فضمرت فكانه وصفها بالتذرع
والنشاط مع الجهد والكلال ومثله كان ذراعيها ذراعا بذية. مفجعة لاقت
ضرايرعن عفر. سمعن لها واستعجلت لكلامها. فلا شيء يفري باليدين
كما تفري. ويقاربه قول الاخر. الاهل تبلغنيهم على الاواء والظنه. واة لحمى
المعزا خفافها دمه. اذا اما عسفت قلت حاة فاضحت كنه. ومن شبه سرعة

ايدي الابل بايدي النوايح كعب بن زهير فقال. كان اوب ذراعيها اذا عرقت
وقد تلفع بالقور العساقيل. وقال للقوم حاديهم وقد جعلت. ورق الجنادب
يركضن الحصا قيلوا. شد النهار ذراعا عيطل نصف. قامت فجاوبها نكد مثاكيل
نواحة رخوة الضبعين ليس لها. لما نعى بكرها الناعون معقول. العساقيل اوايل
السراب ولا واحد لها من لفظها واخبر ان ناقته من شدة الحر والتقاد الظهيرة
تمرح في سيرها وتتذرع بيديها فشبه ذراعيها بذراعي امراة نصف تنوح على
ابنها وقد نعي اليها فهي تشير بيديها وتوالي تحريكهما والعيطل الطويلة العنق
وجعلها نصفا لانها قد كادت تيأس من الولد فهو اشد لحزنها على ابنها وتفجعها
عليه والقور جمع قارة وهي ما ارتفع واستدار من الرمل واراد ان يقول كان تلفعت
القور بالعساقيل فلم يمكنه فقلب ومثله وكانما رفعت يدي نواحة شمطاء
قامت غير ذات خمار. وانما خص الشمطا لما ذكرنا من الياس من الولد كما قال عمرو بن
كلثوم. ولا شمطاء لم يترك شقاها. لها من تسعة الا جنينا. وقد قيل بنت
عمرو بل شبه الناقة بشمطاء لما على راسها من اللغام ومثل ما تقدم من المعاني
قول الشاعر. ياليت شعري والمنى لا تنفع. هل اغدون يوما وامري مجمع
وتحت رحلي زفيان ميلع. كانها نائحة تفجع. تبكي لميت وسواها الموجع.
الزفيان الناقة الخفيفة والميلع السريعة وشبه رجع يديها في السير لنشاطها
بيدي ناحية تنوح القوم على ميتهم باجرة تزيد في الاشارة بيديها ليرى مكانها
ومثله بعينه قول ذي الرمة. مجانيق تضحي وهي عوج كانها. تجوز الفلا مستاجرات
نوايح. المجانيق اللواتي ضمرن بعد سمن وخص المستاجرات من النوايح
للمعنى الذي ذكرناه قال الشماخ فيما يقارب هذا المعنى من وصف السرعة. كان
اوب يديها حين اعجلها. اوب المراح وقد نادوا برحال. مقط الكرين على مكنو
زلف. في ظهر حنانة النيرين معوال. معنى اوب ذراعيها اي رجعها واوب المراح
اذا اراح القوم عازب لهم اموالهم ليرحلوا وقد روي اوب المراح بالكسر ومعناه

رجع المراح والنشاط والمقط اللعب بالكرة والكرين جمع كره والمكنوسة الارض
البراح التي لا شئ فيها والزلق المستوية من الارض والحنانة الريح والنيران
جانبا هذه الارض ومعقول قيل انه من صفات الريح وقيل من صفات الارض
فان كان للريح فمعناه ان الريح تغول الارض باسرها اى تملأها واذا كان للارض
فالمعنى انها تغول من سلكها اى تهلكه وتلخيص معنى البيت انه شبه يدى ناقته
بيدى ضارب بكرة فى الارض الواسعة فى يوم عاصف وهذا من دقيق المعانى
وحسن التشبيه والمبالغة ومثل بيتى الشماخ قول المسيب بن علس مرحت يداها
للنجاء كانها . تكرو بكفى لاعب فى قاع . فعل السريعة بادرت جدادها . قبل المساء
تهم بالاسراع . معنى تكرو اى كانها لاعب بكرة والسريعة يعنى ناسجة والجداد الغزل
الضعيف فاراد انها تسرع الضرب بالكف والنسج قبل المساء ومادامت تبصر فشبه
يدى ناقته فى ذرعها بيدى هذه الناسجة وقال الاصمعى الجداد هدب الثوب
يعنى ان هذه الناسجة قد قاربت الفراغ من الثوب وبلغت الى هدبه فهى تبادر
التفرغ منه قبل المساء وقريب منه قول الاخر . كانهن ايديهن بالقاع القرق .
ايدى جوار يتعاطين الورق . فالقرق الخشن الذى فيه الحصى وشبه خذف
مناسمهن له بخذف جوار يلعبن بدراهم وخص الجوارى لانهن اخف يدا
من النساء وقال اخرون القرق ههنا المستوى من الارض الواسع وانما خص
بالوصف لان ايدى الابل اذا اسرعت فى المستوى فهو احمد لها واذا ابطات
فى غيره فهو احمد لها ومن احسن ما قيل فى الاسراع قول المرار بن سعيد
فتناولوا شعب الرحال فقلصت . سود البطون كفضلة المتنمس . ذكر قوما
سفرا هبوا من رقدتهم الى رحالهم ليسيروا ويعنى بسود البطون الابل والمتنمس
الصايد الذى قد اتخذ ناموسا وهو ما يستتر به ليختل الصيد فشبه المطايا فى سرعتها
بقطا قد صاد الصياد بعضها وافلت بعضها فهن يطرن طيرانا شديدا ومثل هذا
وان كان فى صفة الخيل قول النابغة . كالطير تنجو من الشؤبوب ذى البرد .

فاما قول

فاما قول مروان يتبعن ناحية يمن مراحها . بعد النحول قليلها وقذالها .
فقد مضى فى وصف المطايا بالنشاط بعد السامة والجهد ما مضى واحسن
من قول مروان واشد افصاحا بالمعنى واعرابا عنه قول الهذلى . ومن سيرها
العنق المسبطر والعجرفية بعد الكلال . وانما كان هذا احسن لانه صرح
بنشاطها بعد كلالها وقول مروان لا يجرى هذا المجرى لان النحول قد يكون
من جهد السفر والتعب ويكون عن غيره . فاما قوله كالقوس ساهم انتك
فقد اكثرت العرب فى وصف المطايا بالنحول وتشبيهها بالقسى وغيرها وقد
احسن كثير فى قوله . نفى السير عنها كل داء اقامة . فهن رذايا بالطريق ترايك
وحملت الحاجات خوصا كانها . وقد ضمرت صفر القسى العواتك . وقال مسلم
بن عمرو الخاسر قيل له الخاسر لانه باع مصحفا واشترى طنبورا . وكانهن
من الكلال اهلة . او مثلهن عطايف الاقواس . قودطواها ماطوت من
ناى الصوى ومناهج ادراس . وقال ابو تمام فى وصف ناقته . اتينا القادسية
وهى ترنوا . الى بعين شيطان رجيم . فما بلغت بنا عسفان حتى رنت بلحاظ
لقمان الحكيم . وبدلها السرى بالجهل حلما . وقد اديمها قد الاديم . اذاب سنامها
قطع الفيافى . ومزق جلدها نضح العصيم . بدت كالبدر وافى ليل سعد . وابت
مثل عرجون قديم . وقال البحترى . وخذان القلاص حولا اذا . قابلن حولا من
انجم الاسحار . يترقرقن كالسراب وقد . خضن غمارا من السراب الجارى . كالقسى
المعطفات بل . الاسهم مبرية بل الاوتار . وله ايضا . وهى العيس دهرها فى ارتحال
من حلول او فرقة من جميع . رب ربت تجاذب قطريه سرابا كالمنهل المشروع
وسرى تنتحيه بالوخد حتى . تصدع الليل عن بياض الصديع . كالبرى فى البرى
وتحسر احيانا . فهنوعا بجد وله فى نوع . المجلس الثانى والاربعون تاويل اية
ان سال سائل عن قوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى الاية
فقال كيف اضاف الى نفسه اليد وهو ممن يتعالى عن الجوارح الجواب قلنا فى هذه

الاية وجوه اوّلها ان يكون قوله لما خلقت بيدىّ جار مجرى قوله لما خلقت انا وذلك مشهور فى لغة العرب يقول احدهم هذا ما كسبت يداك وما جرت عليك يداك واذا اراد وانفى الفعل عن الفاعل استعملوا فيه هذا الضرب من الكلام فيقولون فلان لا تمشى قدمه ولا ينطق لسانه ولا تكسب يده وكذلك فى الاثبات ولا يكون الفعل رجوع الى الجوارح فى الحقيقة بل الفايدة فى النفى عن الفاعل وثانيها ان يكون معنى اليد هيهنا النعمة ولا اشكال فى ان احد معانى لفظة اليد النعمة واما الوجه فى تثنيتها فقد قيل ان المراد به نعمة الدنيا ونعمة الاخرة فكانه تعالى قال ما منعك ان تسجد لما خلقت لنعمتى واراد بالباء اللام وثالثها ان يكون معنى اليد هيهنا القدرة وذلك ايضا من محتملات اللفظة معروف يقول القايل مالى بهذا الامر يدٌ ولا يدان وما يجرى مجرى ذلك المعنى اننى لا اقدر عليه ولا اطيقه وليس المراد بذلك اثبات قدرة على الحقيقة بل اثبات كون القادر قادرًا ونفى كونه قادرا فكانه تعالى قال ما منعك ان تسجد لما خلقتُ وانا قادر على خلقه فعبّر عن كونه قادرا بلفظ اليد هو عبارة عن القدرة وكلّ ذلك واضح فى تاويل الاية ونعود الى ما كنّا ابتدانا من الكلام على شعره وابيات من قصيدته التى تقدّم بعضها ووقع الكلام عليها قوله احيا امير المومنين محمّد سنن النبى حلالها وحرامها ملك تفرّع نبعه من هاشم مدّ الاله على الانام ظلالها جبل الاشمّ تلوذ بركنه رادى جبال عدوّها فازالها لم تغشها مما تخاف عظيمة الا اجال لها الامور مجالها حتى يفرّجها اغرّ مبارك الفى اباه مفرّجا امثالها ثبتت على زلل الحوادث راكب من صرفهنّ لكل حال حالها كلتا يديك جعلت فضل نوالها فى المسلمين وفى العدوّ وبالها وقعت مواقعها بعفوك انفس اذهبت بعد مخافة اوجالها امنت غير معاقب طرّادها وفككت من اسرائها اغلالها ونصبت نفسك خير نفس دونها وجعلت مالك واقيا اموالها اما قوله احيا امير المومنين محمّدا سنن النبى حرامها وحلالها فقد عابه عليه

بعض

بعض من لا معرفة له بنقد الشعر فقال كيف يكون فى سنن النبى صلى الله عليه وآله حرام وما ذلك بمعيب لانه اراد بقوله حلالها وحرامها التحريم والتحليل من سنته تحريم الحرام وتحليل الحلال وانما المعيب من هذا المعنى قول ابن الرقاع العاملى ولقد اراد الله اذ ولّاكها من امّة اصلاحها وفسادها ومثل قول مروان قول مسلم الخاسر ولما وليت لذكرت النبى بتحليله وتحريمه فاما قوله حتى يفرّجها اغرّ مبارك البيت فكثير جدا للمتقدمين والمحدّثين والاصل فيه قول زهير وما كان من خير اتوه وانما توارثه اباء اباءهم قبل وهل ينبت الخطى الا وشيجه وتغرس الا فى منابتها النخل ومثله الاخر وحمزة والعباس منهم ومنهم عقيل وما العود من حيث يعصر ومثله للربيع ابن ابى الحقيق اليهودى اذا مات منا سيد قام بعده له خلف يكفى السيادة بارع من ابنائه والعرق ينصر فرعه على اصله والعرق للعرق نازع ومثله ترجو الغلام وقد اعياك والده وفى ارومته ما ينبت العود واخذ هذا المعنى وبعض اللفظ الكميت فقال تجرى اصاغرهم مجرى اكابرهم وفى ارومته ما ينبت الشجر ومن هذا المعنى قول عبيد الله بن قيس الرقيات يخلفن البيض من نبيك كما يخلف عود النضار فى شعبه ومثل قول فضل بن جرير ارى كل عود نابت فى ارومة ابى نبت عيدان ان يتغيرا بنو الصالحين الصالحون ومن يكن لاباء صدق يلقهم حيث سيّرا لو الد سوء يلقه حيث سيّرا ومثله لمسلم بن الوليد الانصارى الحمد على الايام يعرى خطوبها على منهج الفى اباه به قبل ولبشار على اعراقها تجرى الجياد ومثله وما هى من خير وشرّ اتى فانها سجيّة ابائى وفعل جدودى هم القوم فرعى منهم متفرّع وعودهم عند الحوادث عودى وللبحترى واذا ابو الفضل استعار سجيّة للمكرمات فمن ابى يعقوب شرف تتابع كابر عن كابر كالرمح انبوبا على انبوب وارى النجابة لا يكون تمامها لنجيب قوم ليس بابن نجيب وله ايضا ما سعوا يخلفون غير ابيهم كل ساع منابر يد نضابه وله ايضا وما تابع فى المجد نهج عدوّه كمتبع فى المجد نهج ابيه ومن هله

العقبور الابطر

القصيد يقول مروا . هل تعلمون خليفة من قبله . اجرى لغايته التى اجرى لها
طلع الدروب مشمرا عن ساقه . بالخيل منصلتا بجد نبالها . فود اتربع الى الغر
لوجهه . نور يضى امامها وخلالها . قصرت حمائله عليه فقلصت . ولقد تحفظ
قينها فاطالها . حتى اذا وردت اوايل خيله . جيحان بث على العدو رعالها .
احمى بلاد المسلمين عليهم . واباح سهل بلادهم وجبالها . ادمت دوابر خيله
وشكيمها . غار القنى والحقت اطلالها . لم تو بعد معادها وطرادها . الا
نحائزها والا آلها . رفع الخليفة ناظرى وراشنى . بيد مباركة تشكرن نوالها .
وحسدت حتى قيل اصبح باغيا . فى الشى مترفا شيمة يختالها . ولقد حذوت
لمن اطاع ومن عصى . نعلا ورثت عن النبى مثالها . اما قوله قصرت حمائله
فالاصل فيه قول عنتره . بطل كان ثيابه فى سرحة . يحذى نعال السبت
ليس بتوام . او قول الاعشى . الى ماجد كهلال السما . ازكى وفاء ومجدا وخيرا
طويل النجاد رفيع العماد . يحمى المضاف ويغنى الفقيرا . ومثله . طويل نجاد
السيف عار جبينه . كنصل اليمانى اخلصته صياقله . اذا هم بالمعروف لم تجر طرفه
نحوسا ولم تسبق نداه عواذله . ومثله قول طريح بن اسمعيل الثقفى . وانت
طلاع الثنايا مبارك . يعول نجاد السيف وهو طويل . ولابى جوبر العبدى
يمد نجاد السيف حتى كانه . باعلى سنام فالج يتطوح . اذا اهتز فى البرد اليمانى
خلته . هلالا بدا فى جانب الافق يلمح . ولابى عطا السندى . وان هم من بنى عمرو
بن عمرو . حمائله وان طالت قصار . ولبعضهم فى ال المهلب . رايتكم اعز الناس جارا
وامنعهم اذا عدوا ازمارا . حمايلكم وان كانت طوالا . تراها عن شمائلكم
قصارا . ولبعض بنى العنبر فى معنى الطول . فجاءت به عبل العظام كانما . عمامته
بين الرجال لواء . وللاخر . اشم طويل الساعدين كانما . تناط الى جذع طويل حمائله
ولابن هرمة . تناط حمايل الهندى منه . بعاتق لا الف ولا ضئيل . ولكن تستقل
به قواه . على ماض بقايمه نبيل . ولمسلم الخاسر . يقوم مع الرمح الردينى قايما .

ويقصر

ويقصر عنه نجاد الحسام . وللوالبى . وطول وطول فترى كفه . تهلل بالطول
انهلال الغلام . وطوله يغتال يوم الوغى . وغيره فضل نجاد الحسام . فاما قوله
ولقد حذوت لمن اطاع ومن عصى . نعلا ورثت عن النبى مثالها . فقد ردد
مروان معناه فى موضعين من شعره فقال . شبيه ابيه منظرا وخليقة . كما حذيت
يوما على اختها النعل . وقال فى موضع اخر . احيا لنا سنن النبى بسمته . قد
الشراك به قرنت شراكا . وقال ايضا . تشابهتا حلما وعدلا ونائلا . وحزما اذا
امر قام واقعدا . تنازعتما نفسين هذى كهذه . على اصل عرق كان افخر متلدا .
كما قاس نعلا حضرمى فقدها . على اختها لم يال ان يتجودا . واخذ هذا المعنى
ابو نواس فقال . تنازع الاحمدان الشبه فاتفقا . خلقا وخلقا كما قد الشراكان
والاصل فى هذا المعنى قول ابن ربيعه . فلما توافقنا عرفت الذى بها . كمثل الذى
بى حذوك النعل بالنعل . ومثله للسيد محمد الحميرى . يتلوان افعال النبى وفعله
كالنعل يشبه فى المثال طرازها . وقد تقدم الى هذا المعنى يزيد بن المكسر بن ثعلبه
بن سيار العجلى بقوله . فى يوم ذى قار يحرض قومه . على القتال . من فر منكم
فر عن حريمه . وجاره وفر عن نديمه . انا ابن سيار على شكيمه . مثل الشراك
قدمن اديمه . وكلهم يجرى على قديمه . فاما قوله . وحسدت حتى قيل
اصبح باغيا . البيت معناه قول البحترى . الست لى الايام من بعد قسوة . وعاتبت
لى دهر المسى فاعتبا . والبستنى النعمى التى غيرت اخى . على فاضحى نازح الود اجنبا .
ومما يختار لمروان قوله . موفق لسبيل الرشد متبع . يزينه كل ما ياتى ويجتنب
تسمو العيون اليه كلما انفرجت . للناس عن وجهه الابواب والحجب .
له خلائق بيض لا يغيرها . صرف الزمان كما لا يصدا الذهب . ووجدت
بعض من ينقد الشعر يقول ليس فى شعر مروان . بيت يتمثل به غير هذا البيت
الاخير من الثلثة الابيات وكان ابن مناذر اياه اراد بقوله وقد سال وهو
مجاور بمكة عمن ببغداد من الشعرا فقيل له العباس بن الاحنف فقال لا انشد

والمستمى برائى الردينى فى طوله
ويقصر عنه نجاد الحمامى

وقد قال ابن صحيح الصدر ستره مثل جهره
قياس الشراك بالشراك تقابله

اخلاق سم

فانشدو. لوكنت عابته لسكن عبرتى. املى رضاك وزرت غير مراقب.
لكن مللت ولم تكن لى حيلة. صد الملول خلاف صد العاتب. فقال لى ابن
مناذر اخلق بمن ادام بحث التراب ان يصيب خرزة قال المرتضى رضى الله عنه
ولا شك فى قلة الامثال فى شعر مروان ولكن ليس الى هذا الحد وهذا المعنى
الذى تضمنه البيت قد سبق اليه ايضا قال طريح بن اسمعيل جواد اذا استشر
راجيا كفاك السؤال وان عدت عادا. خلايقه كسبيك النضار لا يعمل
الدهر فيه فسادا. ومثله للبحترى. رايتك يا زيد زيد الندى. وزيد الفخار
وزيد الكرم. تزيد على نايبات الخطوب بذلا وفى سابغات النعم. كذا الخمر والذهب
المعدنى. يجود هذا وذاك القدم. وفى قوله الذهب المعدنى فايدة لانه
اذا خلص الذهب وصفا لم يفسد واذا امتزج بغيره لم يكن هذا حكمه ومثله
للاموى. ياوى الى خلق لم يصده طبع. كان جوهره من جوهر الذهب.
التى لا تكلف. وقد اخذ الخوارزمى هذا المعنى فى قوله. فلا تعن لتحذيف
تكلفه. لصورة حسنها الاصلى يكفيها. ان الدنانير لا تجلى وان عتقت
ولا يزاد على النقش الذى فيها. والجحظة مثله. صديق له ادب. صداقة مثله
حسب. رعى لى فوق ما يرعى. واوجب فوق ما يجب. ولو نقدت خلايقه
لبهرج عنه الذهب المجلس الثالث والاربعون فى تاويل اية ان سال
سائل عن قوله تعالى بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم
نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا فقال لم وحد
نجوى وهو خبر عن جميع وما معنى مسحورا وما جرت عادة مشركى العرب
بوصف رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بذلك بل عادتهم جارية بقذفه
بانه ساحر الجواب قلنا اما قوله تعالى واذ هم نجوى فان نجوى فان نجوى مصدر
يوصف به الواحد والاثنان والجمع المونث والمذكر وهو مقر على لفظه
ويجرى ذلك مجرى قولهم الرجال صوم والمنازل حمد يعنى بصوم صائمون

ولمجرهم ملك له خلق حليتى بالعلم سبيكة الذهب

ويحمد محمودة وقد قال قوم ان معناه واذ هم اصحاب نجوى فحذف المضاف واقام
المضاف اليه مقامه ويقال القوم نجى والقوم انجية فمن وحد على مذهب المصدر
ومن جمع جعله منقولا عن المصادر ملحقا برغيف وارغفة وما اشبه ذلك وقد
قال الشاعر فى التوحيد. اتانى نجى بعد هدء ورقدة. ولم يك فيما بلوت بكاذب
وانشد الفراء فى الجمع. ظلت نساؤهم والقوم انجية. يعدى عليها كما يعدى على الغنم
واما قوله تعالى ان تتبعون الا رجلا مسحورا ففيه وجوه اولها ان يكون المراد
ان يتبعون الا رجلا متغير العقل لان المشركين كان من مذهبهم عيب النبى
وتضعيف امره وتوهين رايه فكانوا فى وقت ينسبونه الى انه ساحر وفى اخر
يرمونه بالجنون وانه مسحور متغير العقل وربما قذفوه بانه شاعر حوشى
من ذلك كله وقد جرت عادة الناس بان يصفوا من يضعفونه الى البله والغفلة لان
ذلك احد ما تستعمل فيه هذه اللفظة قال امرء القيس. ارانا موضعين لحتم غيب
ونسحر بالطعام وبالشراب. وقال امية ابن ابى الصلت. فان تسلينا فيم نحن فاننا.
عصافير من هذا الانام المسحر وثانيها ان السحر فى لغة العرب الرئة وما يتعلق
بها وفيها ثلاث لغات سحر وسحر وسحر وقيل السحر ما لصق بالحلقوم والمرى من اعلى
الجوف وقيل انه الكبد فكان المعنى على هذا ان تتبعون الا رجلا ذا سحر خلقه الله
بشرا كخلقكم ورابعها ان يكون مسحورا اى ساحرا وقد جاء لفظ مفعول بمعنى
فاعل قال الله تعالى واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالاخرة حجابا مستورا اى ساترا والعرب تقول للمعسر مفلج ومعناه ملفج
لان ماضيه الفج فجاؤا بلفظ مفعول وهو الفاعل ومن ذلك قولهم فلان مشؤم
على فلان وميمون وهم يريدون شايم له ويامن لانه من شامهم ويمنهم ورايت
بعض العلماء يطعن على هذا الاستشهاد الاخير فيقول العرب لا تعرف فلان مشوم
على فلان وانما هذا من كلام اهل الامصار وانما تسمى العرب من لحقه الشوم مشوما
قال علقمة بن عبدة. ومن تعرض للغربان يزجرها. على سلامته لا بد مشوم والجوع

وقوله الفصيل بانه مسحور وثانيها
ان يريد وابالمسحور المخدوع المعلل

قال السيد قدس الله روحه

الثلثة الاول اشبه واوضح ومما يختار لمروان بن ابى حفصة من القصيدة يمدح بها معن بن زايدة الشيبانى اولها . ارى القلب امسى بالاوانس مولعا . وان كان من عهد الصبا قد تمتعا . يقول فيها . ولما سرى الهم الغريب قريبه . قرى من ازال الشك عنه وازمعا . عزمت فعجلت الرحيل ولم اكن . كذى لوثة لا يطلع الهم مطلعا . فامت ركابى ارض معن ولم تزل . الى ارض معن حيث ماكان نزعا . نجايب لولا انها سخرت لنا . ابت عن من جهلها ان تورعا . كسونا رحال الميس منها غواربا . تدارك فيها النى صيفا وربعا . فما بلغت صنعا حتى تواضعت . ذراها وزال الجهل عنها واقلعا . تدارك معن قبة الدين بعد ما . خشينا على اوتادها ان تزعزعا . اقام على الثغر المخوف هاشم . تنافى سماما بالاسنة منقعا . مقام امرء يابى سوى الخطة التى . تكون لدى غب الاحاديث ارفعا . وما احجم الاعداء عنك بقية . عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا . راوا اخذرا قد جربوه وعاينوا . لدى غيلة منهم مجرا ومصرعا . وليس بثانيه اذا شد ان يرى . لدى نحره زرق الاسنة شرعا . له راحتان الحتف والغيث فيهما . ابى الله الا ان نضرا وتنفعا . لقد دوخ الاعداء معن فاصبحوا . وامنعهم لا يدفع الذل مدفعا . نجيب مناجيب وسيد سادة . ذرى المجد من فرعى نزار تفرعا . لبانت خصال الخير فيه واكملت . وماكملت خمسا سنوه واربعا . لقد اثبت فى كل شرق ومغرب . بسيفك اعناق المريبين خضعا . وطئت خدود الحضرميين وطاءة . لها هدركناء هم فتضعضعا . فاضحوا على الاذناب اقعاء معشر . يرون لزوم السلم ابقى واودعا . فلومدت الايدى الى الحرب كلها . لكفوا وما مدوا الى الحرب اصبعا . اما قوله فما بلغت صنعاء حتى تواضعت . ذراها وزال الجهل عنها واقلعا . فقد ردده فى موضع اخر فقال . فما بلغت حتى حماها كلالها . اذا اعريت اصلابها ان تقيدا . وهذا المعنى كثير فى الشعر القديم والمحدث فمنه قول جرير . اذا بلغوا المنازل لم تقيد . وفى طول الكلال لها قيود . ويروى انه قيل لنصيب لك بيت نازعك فيه جرير

يقول فيها وما الغيث اذ عم البلاد بصوبه
على الناس من معروف معن باوسعا

ايكما فيه اشعر فقال ما هو فقيل قولك . اضربها التهجير حتى كانها . بقايا سلال لم يدعها سلالها . وانشد بيت جرير الذى تقدم . قال قاتل الله بن الخطفى فقيل له قد فضلت عليك فقال هو ذاك واخذ هذا المعنى المؤمل ابن اميل المحاربى فقال . كانت تقيد حين تنزل منزلا . فاليوم صار لها الكلال قيودا . ولابى نخيلة . قيدها الجهل ولم تقيد . فهى سوام كالقنا المسند . وما لها من معلل من يزود . منها ولا من شاحط مستبعد . ومعنى قوله سوام اى اهى رووسها وشبهها بالقنا لان اذا ركز ما قليلا فيقول فى اعناقها ميل من الضعف كما قال الشماخ كانها رماح نحاها . وجهة الريح راكز . وقال حميد بن ثور الهلالى . بمثوى حرام والمطى كانه . قنا مسند هبت لهن خريق . والخريق ريح شديدة تخرق من كل جهة ومعنى قول ابى نخيلة من يزود اى من يمثله تجرها من الاجترار واراد انه لا شيء فى اجوافها فتعلل به والمستبعد ما بعد من المرعى وانشد ابو العباس ثعلب . اذا بلغوا المنازل لم تقيد . ركابهم ولم تشدد بعقل . فهن معقلات مطلقات . تقضم ما تشذب فى المحل والاصل فى هذا قول امرء القيس مطوت بهم حتى تكل مطيهم . وحتى الجياد ما يقدن بارسان . ولعباد بن انف الكلب الصيداوى . فتمشى لا اقيدها بحبل بها طول الفراق والكلال . ومن جيد هذا المعنى قول الفرزدق يصف الابل بدانا بها من سيف رمل كهيلة . وفيها نشاط من مراح وعجرف . فما بلغت حتى تقارب خطوها . وبادت ذراها والمناسم رعف . وحتى قتلنا الجهل فيها وعودرت . اذا ما انيخت والمدامع ذرف . وحتى مشى الحادى المطى يسوقها . لها نحض دام وادى محلف . النحض لحم الخف الذى تطا عليه والدأى فقار الظهر والمحلف المقشور . وحتى بعثناها وما فى يد لها . اذا حل عنها رمة وهى ترهف . الرمة الحبل واراد انها ترهف كما يرهف المقيد وان لم يكن فى يدها قيد . اذا ما نزلنا فانثلت عن ظهورها . جراجيح امثال الاهلة شسف . الجراجيح الطوال

ما فخمت تعالى بالتشادم

من الابل والشيف البابسه من الجهد والكلال ومعنى قتالها للغربان لانها اذا عريت
ظهورها تقع الغربان عليها لتاكل دبرها فالابل تدفع الغربان بافواهها عن ظهورها
وذلك قتالها . اذا ما رايتها الازمة اقبلت . البانجرات الخدود بصدف .
فافنى مراح الدلعرية خوضها . بنا الليل اذ نام الدثور الملفف . ومن احسن ما قيل
فى وصف الابل بالنحول من الكلال والجهد بعد السمن قول الشاعر
وذات مائين قد غيضت جمها . بحيث تستمسك الارواح بالحجر . وردت عوارى
غيطان الفلا ونحت . بمثل ايبالة من خايل العشر . قوله ذات مائين يعنى سمنا
على سمن وقيل بل انها رعت كلا عامين . وقوله قد غيضت جمها يعنى انه اتعبها
بالسير حتى ردها هزيلا بعد سمن فكانه غيض بذلك ماؤها ومعنى بحيث
تستمسك الارواح يعنى الفلاة حيث لا يكون الماء فيقسم الركب الماء الذى
معهم بالحجر الذى يقال له المقلة فيمسك ارماقهم وقوله وردت عوارى غيطان
الفلا اى بارعت من كلا هذا المكان وسمنت عنه كان كعارية عندها فردتها
حيث جهدها السير واهزلها فالايبالة الحزمة من الحطب اليابس واخذ
هذا المعنى بعينه ابو تمام فقال . رعته الفيافى بعد ما كان حقبة . رعاها
وماء المزن ينهل ساكبه . فكم جزع واجتب ذروة غارب . ومن قبل كانت
امكنته مذانبه . فاما قوله فما اجم الاعداء عنك بقية . عليك ولكن لم يروا
فيك مطمعا . فماخوذ من قول الآخر فما بقيا على تركمانى . ولكن خفتما
صرد النبال . وقريب منه قول الآخر لعمرك ما للناس اثنوا عليك . ولا
قرضوك ولا عظموا . ولو انهم وجدوا مطمعا . الى ان يعيبوك ما اجملوا .
فانت بفضلك الجاتهم . الى ان يجلوا وان يعظموا . ومثله قد طلب العاذل
عيبا فما . اصاب عيبا فانثنى عاذرا . ومثله اما لؤاء فيك العدو نقيصة
لخب بتصريف العيوب واوضعا . ولكنه لما رآك مبرءا . من العيب غطا
راسه وتقنعا . وللبحترى فى معنى قول مروان . فما اجم الاعداء عنك بقية

من قصيدة

من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ويصف لقاءه الاسد . غداة لقيت الليث والليث
حاذر . يحدد نابا للقاء ومخلبا . شهدت لقد انصفته يوم تبتري . له مصلتا
عضبا من البيض مقضبا . فلم ار ضرغامين اصدق منكما . عراكا اذا الهيابة النكس كذبا .
هزبرا مشى يبغى هزبرا واغلب . من القوم يغشى باسل الوجه اغلبا . ادل بشغب
ثم هالته صولة . رآك لها امضى جنانا واشغبا . فاحجم لما لم يجد فيك مطمعا .
واقدم لما لم يجد عنك مهربا . فلم يغنه ان كر نحوك مقبلا . ولم ينجه ان حاد عنك
منكبا . حملت عليه السيف لا عزمك انثنى . ولا يدك ارتدت ولا حده نبا .
وكنت متى تجمع يمينك تهتك . الضريبة او لا تبق للسيف مضربا . ومن
صافى كلام مروان ورايقه ومما اجتمع له فيه جودة المعنى واللفظ واطراد النسج
قوله بنو مطر يوم اللقاء كانهم . اسود لها فى غيل خفان اشبل . هم يمنعون
الجار حتى كانما . لجارهم بين السماكين منزل . لها ميم فى الاسلام سادوا ولم يكن
كاولهم فى الجاهلية اول . هم القوم ان قالوا اصابوا وان دعوا . اجابوا وان
اعطوا اطالوا واجزلوا . وما يستطيع الفاعلون فعالهم . وان احسنوا فى
النائبات واجملوا . ثلاث بامثال الجبال حباهم . واحلامهم منها لدى
الوزن اثقلوا . ومن جيد الكلام قوله من قصيدة يمدح بها معنا . مامن علق
يرى معنا بحضرته . الا يظن المنايا تسبق القدرا . يلقى اذا الخيل لم تقدم فوارسها
كالليث يزداد اقداما اذا زجرا . اغر يحسب يوم الروع ذا لبد . ويرداه يحسب
فوق المنبر القمرا . وله من قصيدة يصف يوما حارا . ويوم عسول الال حام كانما .
لظى شمسه مشبوب نار تلهب . نصبناله منا الوجوه وكنها . عصايب سمال
بها تتعصب . ويشبه ان يكون اخذ ذلك من قول الشنفرى . ويوم من الشعرى
يذوب لعابه . افاعيه فى رمضائه تتململ . نصبت له وجهى ولا كن دونه
ولا ستر الا الاتحمى المرعبل . ولمروان ابيات يصف فيها حديقة وبها له
المهدى ويذكر نخلها وشجرها اجادفيها . نواظر غلبا قد تدانت رؤسها . من النبت

حتى ما يطير غرابها. ترى الباسقات العم فيها كانها. ضعاين مضروب عليهن قبابها.
ترى بابها سهلا لكل مدفع. اذا انبعث نخل فاغلق بابها. يكون لنا ما يجتنى
من ثمارها. ربيعا اذا الآفاق قل سحابها. خطار لم يخلط باثمارها الربا.
ولم يك من اخذ الدنيا اكتسابها. ولكن عطاء الله من كل مدحة. جزيل
من المستخلفين ثوابها. ومن ركضنا بالخيل في كل غارة. حلال بارض المشركين
نهابها. حوت غنمها اباؤنا وجد ودنا. بصم العوالي والدماء خضابها. اما
قوله. خطار لم يخلط باثمارها الربا. ولم يك من اخذ الدنيا اكتسابها. فكان ابن المعتز
نظر اليه في قوله. لنا ابل لم وفرها دماؤنا. ولا ذعرها في الصباح الصوايح. وفي
هذا قول ابي تمام. كثرت فيهم المواشي الا. انها من مناكح وديات. ومثل الاول
قول حسان يهجو قوما من قريش. وما لكم لا من طراد فوارس. ولكن من الترتيح
بال ما لك. المجلس الرابع والاربعون في تاويل آية. ان سال سائل عن قوله تعالى
كل شيء هالك الا وجهه وقوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله وقوله تعالى
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وما شاكل ذلك من الاي المتضمنة
لذكر الوجه. الجواب قلنا الوجه في اللغة العربية ينقسم الى اقسام فالوجه المعروف
المركب فيه العينان من كل حيوان والوجه ايضا اول الشيء وصدره ومن ذلك
قوله تعالى وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين
آمنوا وجه النهار واكفروا آخره اي اول النهار ومنه قول الربيع بن زياد
من كان مسرورا بمقتل مالك. فليات نسوتنا بوجه نهار. اي غداة كل
يوم وقال قوم وجه نهار موضع والوجه القصد بالفعل من ذلك قوله تعالى
ومن يسلم وجهه لله وهو محسن معناه من قصد ساحتنا بامره وفعله الى الله
سبحانه وارادة بهما وكذلك قوله ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وقال
الفرزدق واسلمت وجهي حين شدت ركايبي. الى آل مروان بناة المكارم.
اي جعلت قصدي وارادتي لهم وانشد الفراء. استغفر الله ذنبا لست محصيه

رب العباد

رب العباد اليه الوجه والعمل. اي القصد ومنه قولهم في الصلوة وجهت
وجهي للذي فطر السموات والارض اي قصدت قصدي بصلاتي وعملي
وكذلك قوله تعالى. فاقم وجهك للدين. والوجه الاحتيال للامر من قولهم
كيف الوجه لهذا الامر وما الوجه فيه اي ما الحيلة فيه والوجه المذهب والجهة
والناحية قال حمزة بن بيض الحنفي اي الوجوه انتجعت قلت له. لاي وجه
الا الى الحكم. متى يقل صاحبا سرادقه. هذا ابن بيض بالباب يبتسم. والوجه القدر
والمنزلة ومنه قولهم لفلان وجه عريض وفلان اوجه من فلان اي اعظم قدرا
وجاها ويقال اوجهه السلطان اذا جعل له جاها قال امرئ القيس ونادمت
قيصر في ملكه. فاوجهني وركبت البريدا. والوجه الراس المنظور اليه يقال
فلان وجه القوم وهو وجه عشيرته ووجه النبي عليه السلام نفسه وذاته وقال الحمرز
جندل السعدي. ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة. فافلت منها وجهه عتد نهد
اراد افلته ونجاه. ومنه قولهم انما افعل ذلك لوجهك ويدل ايضا على
ان الوجه يعبر به عن الذات قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها
ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة وقوله تعالى وجوه
يومئذ ناعمة لسعيها راضية لان جميع ما اضيف الى الوجوه في ظاهر الاي
من النظر والظن والرضا لا يصح اضافته على الحقيقة اليها وانما يضاف الى الجملة
فمعنى قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه اي كل شيء هالك الا اياه وكذلك
قوله تعالى كل من عليها فان. ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام.
ومما يدل على ان المراد بوجهه نفسه قوله تعالى وجه ربك ذو الجلال والاكرام
لما كان المراد بالوجه نفسه ولم يقل ذي الجلال كما قال تعالى تبارك اسم ربك
ذي الجلال والاكرام. لما كان اسمه غيره ويمكن في قوله تعالى كل شيء هالك
الا وجهه وجه آخر وقد ذكر عن بعض المتقدمين وهو ان يكون المراد بالوجه
ما يقصد به الى الله تعالى ويوجه نحو القربة اليه جلت عظمته فيقول

لا تشرك بالله ولا تدع مع الله الها غيره فان كل فعل يتقرب به الى غيره ويقصد
به سواه فهو هالك باطل وكيف يجوز للمشبهة ان تحمل هذه الاية والتى
قبلها على الظاهر اوليس ذلك يوجب انه تعالى يفنى ويبقى وجهه وهذا كفر
وجهل من قائله فاما قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله وقوله الا ابتغاء وجه
ربه الاعلى وقوله تعالى وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله فمعلوم
ان هذه الافعال مفعولة له ومقصودها ثوابه والقربة اليه والزلفة عنده
فاما قوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله فيحتمل ان يراد به فثم وجه الله
لا على معنى الحلول لكن على معنى التدبير والعلم ويحتمل ايضا ان يراد به فثم
رضى الله تعالى وثوابه والقربة اليه ويحتمل ان يراد بالوجه الجهة وتكون الاضافة
بمعنى الملك والخلق والانشاء والاحداث لانه عز وجل قال ولله المشرق
والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله اى ان الجهات كلها لله تعالى وتحت
ملكه وهذا واضح بين بحمد الله واخبرني ابو الحسن على بن محمد الكاتب قال
حدثنى محمد بن يحيى الصولى قال انحدرنا مع المكتفى بالله فى اخر سفرة سافرها
للصيد من الموضع المعروف بحنه الى تكريت فى حراقة فكانت تجنح كثيرا فيشتد
فزع من الجلسا لذلك وكنت اشدهم فزعا وكان فى الحراقة سوى من الجلسا
يحيى بن على المنجم ومتوج بن محمود بن مروان والقاسم المعروف بابن حبابه
وكان يضحك لفزعنا ويقول لو قسم الله لكم حظا من الشجاعة جزيلا فقلت له
ان البحترى يقول شعرا يصف فيه مثل حالنا ويمدح به احمد بن دينار بن عبد الله
وقد غزا الروم فى مراكب اوله . الم تر تقليس الربيع المبكر . وما حاك من وشى
الرياض المنشر . فقال انشدنى الموضع الذى ذكر هذا فيه منها وكان جيد
العلم بالاشعار حافظا للاخبار فانشدته . غدوت على الميمون صبحا وانما .
غدا المركب الميمون تحت المظفر . اذا زمجر النوتى فوق علاته . رايت خطيبا
فى ذوابة منبر . يغضون دون الاشتيام عيونهم . وفوق السماط للعظيم المؤمر

اذا ما غلت فيه الجنوب اعتلا له . جناحا عقاب فى السماء مهجر . اذا ما انكفى
فى هبوة الماء خلته . تلفع فى اثناء برد محبر . وحولك ركابون للهول عاقروا
كؤوس الردى من دارعين وحسر . تميل المنايا حيث مالت اكفهم . اذا اصلتوا
حد الحديد المذكر . اذا رشقوا بالنار لم يك رشقهم . ليقلع الا عن شواء مقتر
صدمت بهم صهب العثانين دونهم . ضراب كايقاد اللظى المتسعر . يسوقون
اسطولا كان سفينه . سحايب صيف من جهام وممطر . كان ضجيج البحر بين رماحهم
اذا اختلفت ترجيع عود مجرجر . تقارب من زحفيهم فكانما . تولف من اعناق
وحش منفر . فما رمت حتى اجلت الحرب عن طلى . مقصصة فيهم وهام مطير
على حين لا نقع تطوحه الصبا . ولا ارض تلفى للصريع المقطر . وكنت ابن كسرى
قبل ذاك وبعده . مليا بان توهى صفاة ابن قيصر . جدحت له الموت الذعاف فعافه
وطار على الواح شطب مشمر . مضى وهو مولى الريح يشكر فضلها . عليه ومن
يول الصنيعة يشكر . قال فاستجاد المكتفى قوله على حين لا نقع تطوحه الصبا
فقال له ابن يحيى انشدنى ابن الرومى شعرا له فى هذا المعنى منه . ولم اتعلم قط من
ذى سباحة . سوى الغوص والمضعوف غير مغالب . ولولا ولو القيت فيها
وصخرة . لوافيت منها القعر اول راسب . وايسر اشفاقى من الماء اننى . امر به
فى الكوز مر المجانب . واخشى الردى منه على كل شارب . فكيف بامنيه على
نفس راكب . فقلت له انما اخذ ابن الرومى بيته الثالث من قول ابى نواس
فقال المكتفى وما قال فقلت حدثنى على بن سراج المصرى قال حدثنا ابو وايل اللخمى
قال حدثنى ابراهيم بن الخطيب قال وقف ابو نواس بمصر على النيل فراى رجلا
قد اخذه التمساح فقال . اضمرت للنيل هجرانا ومقلية . مذ قيل لى انما التمساح
فى النيل . فمن راى النيل راى العين من كثب . فما ارى النيل الا فى البواقيل
قال الصولى والبواقيل سفن صغار ثم اجرى المكتفى ذكر الشيب فقال العرب
تقول اظلم من شيب وقد شبت وظلمنى الشيب باصولى فقلت جواب

عبدك فى هذا جواب معن بن زايدة الشيبانى لجدك المنصور وقد قال له كبرت
يا معن فقال فى طاعتك يا امير المؤمنين قال وانك لتتجلد قال على اعدائك
قال وفيك بقية قال لخدمتك فنزع المكتفى عمامته فاذا شيبتان فى مقدم
راسه فقال لقد غمنى طلوع هاتين الشيبتين فقلت انما يعيش الناس فى الشيب
فاما السواد فلا يصحب الناس خالصًا اكثر من اربعين سنة الى الخمسين وقد يعاش
فى البياض الذى لا سواد فيه ثمانون سنة فانشد يحيى بن على بن يحيى فى معنى
طول العمر مع الشيب قول امرئ القيس. الا ان بعد العدم للمرء قنوة. وبعد المشيب
طول عمر وملبسا. وانشدته ايضا ابياتا انشدها ايضا ابياتا انشدها اسحق بن
ابراهيم الموصلى لبعض القيسيين. لم ينتقص منى المشيب قلامة. الان حين بدا التب
واكيس. والشيب ان يظهر فان وراءه. عمرا يكون خلاله متنفس قال المرتضى رضى
اما قول البحترى مضى وهو مولى الريح فقد كرر معناه فى قوله من قصيدة يمدح
بها ابا سعيد الثغرى. اثنى على منويل اطراف القنى. فنجا عتيق عتيقة جرداء.
ولو انه ابطا لهن هنيهة. لصدرن عن وهن وغير ظماء. فلئن تبقاه القضاء
لو قتر. فلقد عممت جنوده بفناء. واظنه اخذ هذا المعنى من ابى تمام من قوله
فى قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر فتح الخرمية. لولا الظلام وقلة علقوا بها.
بانت رقابهم بغير قذال. فليشكروا جنح الظلام ودروذا. فهم لدرود والظلام
موالى. ولقد اخطا الصولى فى تفسير بيت ابى نواس بان البواقيل جمع بوقال
وهو آلة على هيئة الكوز تعمل من الزجاج وغيره وهذا مثل قول ابن الرومى
اتربه فى الكوز مر المجانب وانما اراد اننى لا امر بماء النيل الا اذا اردت شربه
فى كوز او بوقال واظن الصولى استمر عليه الوهم من جهة قوله فارى النيل
وصرف ذلك الى انه اراد النيل بعينه على الحقيقة وانما اراد ماء النيل وما علمت
ان السفن الصغار تسمى بواقيل الا من قول الصولى هذا ولو كان ما ذكره
صحيحا من ان ذلك اسم لصغار السفن لكان بيت ابى نواس بما ذكرناه اشبه

سفن صغار لان البواقيل

والبق وادخل فى معنى الشعر وكيف تدخل الشبهة فى ذلك مع قوله فمن
راى النيل راى العين من كثب ومن راى النيل فى السفن فقد راه من كثب
ومن راى ما فى الآنية على بعد لا يكون رائيا له من كثب فاما مدح الشيب وتفضيله
على الشباب فقد قال فيه الناس فاكثروا فمما تقدم من ذلك قول روبة بن
العجاج ويقال ان روبة لم يقل من القصيد الا هذين البيتين. ايها الشامت
المعير بالشيب. اقلن بالشباب منك افتخارا. قد لبست الشباب غضا جديدا.
فوجدت الشباب ثوبا معارا. ولعلى بن جبلة. جفا طرب الفتيان وهو طروب.
واعقبه قرب الشباب مشيب. تجافت عيون البيض عنه وربما. مددن اليه
الوصل وهو حبيب. لعمرى لنعم الصاحب الشيب واعظا. وان كان عنه
للعيون نكوب. خليط نهى منتاب حلم وانه. على ذاك مكروه الخلاط مريب.
ولاخر. وتنكرت شيبى فقلت لها. ليس المشيب بناقص عمرى. سيان شيبى
والشباب اذا. ما كنت من عمرى على قدر. ولاخر. ان اكن قد زرت اسود
كالفحم. واعقبت مثل لون الثغامه. ولقد اسعف الكريم واحبوا. اهله بالندى
والى الظلامه. غير ان الشباب كان رداء. خاننا فيه كفى غمامه. ولاخر. ان المشيب
رداء الحلم والادب. كما الشباب رداء اللهو واللعب. تعجبت ان رات شيبى
فقلت لها. لا تعجبى من يطل عمر به يشب. ولابن الجهم. حسرت عنى القناع
ظلوم. وتولت ودمعها مسجوم. انكرت ما رات براسى فقالت. امشيب
ام لؤلؤ منظوم. قلت شيب وليس عيبا. فانه ليستثيرها الهموم.
شد ما انكرت تصرم عهد. لم يدم لى واى شئ يدوم. ولابى هفان
تعجبت در من شيبى فقلت لها. لا تعجبى فطلوع الشمس فى الصدف. وزادها
عجبا ان رات سلمى ومادرت دران الدر فى الصدف. وقد احسن ابو تمام
غاية الاحسان فى قوله. ابدت اسى ان راتنى مخلس القصب. وال ما كان من عجب
الى عجب. ست وعشرون تدعونى فاتبعها. الى المشيب ولم تظلم ولم تجب

فلا يورّقك بماض القتير به. فان ذاك ابتسام الرّاى والادب. وللبحترى
عيّرتنى والشيب وهى بدته في عذارى بالصدّ والاجتناب. لا تريه عارا
فما هو بالشيب. ولكنه جلاء الشباب. وبياض البازى اصدق حسنا. ان تاملت
من سواد الغراب. وله. ها هو الشّيب لائما فافيقى. واتركيه ان كان غير
مفيق. فلقد كف من عناء المعنّى. وتلافى من اشتياق المشوق المشوق. عد
لتنا فى عشقها ام عمرو. وهل سمعتم بالعاذل المعشوق. ورات لمّة الم بها
الشيب. فريعت من ظلمة فى شروق. ولعمرى لولا الاقاحى لابصر. ت انيق
الرياض غير انيق. وسواد العيون لو لم تكمّل. ببياض ما كان بالموموق
ومزاج الصهبا بالماء املى. بصبوح مستحسن وغبوق. اى ليل يبهى بغير نجوم
او سما تندى بغير بروق. ويشبه ان يكون اخذ قوله. اى ليل يبهى بغير نجوم
من قول الشاعر. اشيب ولم اقض الشباب حقوقه. ولم يمض من عهد الشباب نذ
رات وضحا فى مفرق الرّاس راعها. وشتّان مبيضّ لها وبهيم. تقاربو شيب فى الشباب
لوامع. وما حسن ليل ليس فيه نجوم. وللمحمود الورّاق. ما الدرّ منظوما باحسن من
شيب تجلّل هامة الكهل. وكانه فيه النجوم اذا. جدّ المسير بها على مهل.
لا تبكين على الشباب اذا. يبكى الجهول عليه للجهل. واشكر لشيبك حسن صحبته
فلقد كساك جلالة الفضل. ولآخر فى مدح الشيب لا يرعك المشيب يا ابنة عبد الله
فالشّيب حلية ووقار. انما تحسن الرياض اذا ما. ضحكت فى خلالها الانوار.
قال المرتضى رضى الله عنه ولى فى هذا المعنى من قصيدة. جزعت لوخطات المشيب وانما
بلغ الشبا مدى الكمال فنوّرا. والشيب ان فكّرت فيه مورد. لا بدّ يورده
الفتى ان عمّرا. يبيض بعد سواده الشعر الذى. ان لم يزره الشيب واراه.
الثرى. وممن عدل بين الشيب والشبا ومدح كل واحد منهما طريح بن اسمعيل
الثقفى فقال. والشيب غاية من تاخر حينه. لا يستطيع دفاعه من يجزع.
ان الشباب لذاذة جذل. والشيب منه فى المغبة انفع. لا يبعد الله الشباب وحبا.

والشيب للحكماء من سفه الصبى
بدل يكون له الفضيلة مقنع

بالشيب حين اوى اليه المرجع. ومثله لآخر. وكان الشباب الغض لى فيه
لذة. فوقّرنى عنه المشيب وادّبا. فسقيا ورعيا للشباب الذى مضى. و
اهلا وسهلا بالمشيب ومرحبا. المجلس الخامس والاربعون فى تاويل اية
ان سال سائل عن قوله تعالى واذا سالك عبادى عنى فانى قريب اجيب
دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون
فقال كيف ضمن الاجابة وتكفّل بها ونرى من يدعوا فلا يجاب الجواب قلنا فى ذلك
وجوه اولها ان يكون المراد بقوله اجيب دعوة الداع اذا دعان اى اسمع
دعوته ولهذا يقال دعوت من لا يجيب اى دعوت من لا يسمع وقد يكون
ايضا يسمع بمعنى يجيب كما كان يجيب بمعنى يسمع يقال سمع الله لمن حمده
يراد به اجاب الله لمن حمده وانشد ابن الاعرابى. دعوت الله حتى خفت ان لا
يكون الله يسمع ما اقول. اراد يجيب ما اقول وثانيها انه تعالى لم يرد بقوله
قريب من قرب المسافة بل اراد انى قريب باجابتى ومعونتى ونعمتى او لعلمى
بما ياتى العبد ويذر وما يسرّ ويجهر تشبيها بقرب المسافة لان من يقرب المسافة
لان من قرب من غيره عرف احواله ولم تخف عليه ويكون قوله اجيب على
هذا تاكيدا للقرب فكانه اراد انى اراد انى قريب قربا شديدا وانى
بحيث لا تخفى علىّ احوال العباد كما يقول القايل اذا وصف نفسه بالقرب
من صاحبه والعلم بحاله انا بحيث اسمع كلامك واجيب نداك وما جرى هذا
المجرى وقد روى ان قوما سالوا الرّسول صلى الله عليه واله فقالوا الله ربنا
قريب فنناجيه ام بعيد فنناديه فانزل الله تعالى هذه الاية وثالثها
ان يكون معنى الاية انى اجيب دعوة الداع اذا دعانى على الوجه الصحيح
وبالشرط الذى يجب ان يقارن الدعا وهو انه يدعوا باشتراط المصلحة ولا يطلب
وقوع ما يدعوا به على كل حال ومن دعا بهذا الشرط فهو ابضا مجاب الى دعائه ورابعها
ان يكون معنى دعانى اى عبدنى ويكون الاجابة هى الثواب والجزاء على ذلك فكانه

فهو مجاب على كل حال لانه ان كان صلاحا فعلها دعاه
وان لم يكن صلاحا لم يفعل لفقد شرط دعائه

قال انني اثيب العباد على دعائهم لى وهذا مما لا اختصاص فيه وخامسها

ماقاله قوم من ان معنى الاية ان العبد اذا سال الله تعالى شيئا فى اعطائه صلاح وخيرة لم يعطه ذلك فى الدنيا واعطاه اياه فى الاخرة فهو مجيب لدعائه على كل حال وسادسها انه تعالى اذا دعاه العبد لم يخل من احد امرين اما ان يجاب دعاؤه واما ان يختار له بصرفه عما ساله ودعا فحسن اختيار الله تعالى له يقوم مقام الاجابة فكانه مجاب على كل حال وهذا الجواب يضعف لان العبد ربما سال ربه ما فيه صلاح ومنفعة له فى الدنيا وان كان فيه فساد فى الدين لغيره فلا يعطى ذلك لا لامر يرجع اليه لكن لما فيه من فساد غيره فكيف يكون مجابا مع المنع الذى لا يرجع اليه منه شىء من الصلاح اللهم الا ان يقال انه دعاء مشروط بان يكون صلاحا ولا يكون فسادا وهذا مما قد تقدم ومعنى فليستجيبوا لى اى فليجيبونى وليصدقوا رسلى قال الشاعر وداع دعا يامن يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب اى لم يجبه قال المرتضى رضى الله عنه واذا كنا قد ذكرنا فى المجالس المتقدمة لهذا المجلس طرفا من الشعر فى تفضيل الشيب وتقديمه والتعزى عنه والتسلى عن نزوله فنحن متبعون بطرف مما قيل فى ذمه والتالم به والجزع منه فمن ذلك قول ابى حية النميرى. ترحل بالشباب الشيب عنا. فليت الشيب كان به الرحيل. وقد كان الشباب لنا خليلا. فقد قضى مآربه الخليل. لعمر ابى الشباب لقد تولى. حميدا ما يراد به بديل. اذ الايام مقبلة علينا. وظل اراكة الدنيا ظليل وقال الفرزدق. ارى الدهر ايام المشيب امرة. علينا وايام الشباب اطايبه وفى الشيب لذاة وقرة اعين. ومن قبله عيش تعلل جادبه. اذا نازل الشيب الشباب فاصلتا. بسيفيهما فالشيب لابد غالبه. فيا خير مهزوم ويا شر هازم اذا الشيب وافت للشباب كتايبه. وليس شباب بعد شيب براجع. يد الدهر حتى يرجع الدر حالبه. وما المرء منتفوعا بتجريب واعظ. اذا لم تعظه نفسه وتجاربه. وانشد اسحق الموصلى. لعمرى لئن حليت عن منهل الصبى لقد كنت

فعلم به واجابه اليه وان لم يكن فى اعطائه اياه فى الدنيا صلاح م

بسيفيهما ۽

وتاد

ورادا

وتادا المشربة العذب. ليالى امشى بين بردى لاهيا. اميس كغصن البانة الناعم الرطب. سلام على سير القلاص مع الركب. ووصل الغوانى والمدامة والشرب سلام امرئ لم تبق منه بقية. سوى نظر العينين او شهوة القلب. وللمنصور النمرى. ما تنقضى حسرة منى ولا جزع. اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع. بان الشباب وفاتتنى بشرته. صروف دهر وايام لها خدع. ما كنت اوفى شبابى كنه غرته. حتى مضى فاذا الدنيا له تبع. ولمحمد بن حازم. عهد الشباب لقد ابقيت لى حزنا. ما جد ذكرك الا جد لى ثكل. سقيا ورعيا لايام الشباب وان. لم يبق منك له رسم ولا طلل. جر الزمان ذيولا فى مفارقه. وللزمان على احسانه علل. وربما جر اذيال الصبا مرحا. وبين برديه غصن ناعم خضل. لا تكذبن فما الدنيا باجمعها من الشباب بيوم واحد بدل. كفاك بالشيب ذنبا عند غانية. وبالشباب شفيعا ايها الرجل. ولابى نواس. كان الشباب مطية الجهل. ومحسن الضحكات والهزل كان الجميل اذا ارتديت به. ومشيت اخطر صيت النعل. كان البليغ اذا انطقت به واصاخت الاذان للمطلى. كان المشفع فى مآربه. عند الحسان ومدرك التبل. والباعثى والناس قد رقدوا. حتى ابيت خليفة البعل. والامرى حتى اذا عزمت نفسى اعان يدى بالفعل. فالان صرت الى مقاربة. وحططت عن ظهر الصبا رحلى وعلى هذا الكلام طلاوة ومسحة من عربية ليست لغيره. ولبشار. الشيب كره وكره ان يفارقنى. اعجب بشىء على البغضاء مودود. يمضى الشباب ويأتى بعده خلف. والشيب يذهب مفقودا بمفقود. وهذا البيت الاخير يروى لمسلم بن الوليد الانصارى. ومما احسن فيه مسلم قوله فى هذا المعنى. طرقت عيون الغانيات وربما. املن الى الطرف كل مميل. وما الشيب الا شعرة غير انه. قليل فناء العين غير قليل. وله. اهلا بوافدة للشيب واحدة. وان ترآءت بشخص غير مودود. لا اجمع الحلم والصهباء قد سكنت. نفسى الى الماء عن ماء العناقيد. لم ينهنى كبر عنها ولا فند. لكن صحوت وغصنى غير مخضود. اوفى بى الحلم واقتاد النهى طلقا.

قال السيد قدس الله سره

الطلاوة الحسن [illegible]

شاوى وعفت الصبى من غير تفنيد. ولقد احسن دعبل فى قوله يصف الشباب
والشيب كان لحلا المأ الا فيها فقد. طار بالشيب لعينها قذى. ولغيره
رات طالعا للشيب اعقلتانى. ولم يتعاهده اكف الخواضب. فقالت الشيب
ما ارى قلت شامته فقالت لقد شانتك عند بين الحبائب. ولمحمود الوراق
ويروى لمحمد بن حازم. اليس عجيبا بان الفتى. يصاب ببعض الذى فى يديه
فمن بين باك له موجع. وبين معز مغذ اليه. ويسلبه الشيب شرخ الشباب
فليس يعزيه خلق عليه. ولابى دلف. فى كل يوم ارى بيضاء طالعة. كانما
طلعت فى اسود البصر. لئن قصصتك بالمقراض عن بصرى. لما قصصتك
عن همى وعن فكرى. وليحيى بن خالد البرمكى ويروى لغيره. الليل شيب والنهار كلاهما.
راسى بكثرة ما تدور رحاهما. يتناهيان نفوسنا وداماونا. والحومنا عمدا لمن
زاهما. الشيب احدى الميتين تقدمت. اولاهما وتاخرت اخراهما. وقد اتى
الفحلان المرزبانى ابا تمام وابا عباده فى هذا المعنى بكل غريب عجيب فمن ذلك
قول ابى تمام. غدا الهم مختطا بفودى خطة. طريق الردى فيها الى الموت
مهيع. هو الزور يجفى والمعاشر يجتوى. وذو الالف يقلى والجديد يرقع.
له منظر فى العين ابيض ناصع. ولكنه فى القلب اسود اسفع. ونحن نرجيه
على الكره والرضا. وانف الفتى من وجهه وهو اجدع. وله. شعلة فى المفا
رق استودعتنى. فى صميم الفؤاد ثكلا صميما. تستثير الهموم ما اكتن منها.
صعدا وتستثير الهموما. غرة مرة الا انما. كنت اغر ايام كنت بهيما.
دقة فى الحياة تدعى جلالا. مثل ما سمى اللديغ سليما. حلمتنى زعمتم وارانى
قبل هذا التحليم كنت حليما. لعب الشيب بالمفارق بل جد فابكى تماضرا ولعوبا.
خضبت خدها الى لؤلؤ العقد دما ان رات شوانى خضيبا. كل داء يرجى
الدواء له الا الفظيعين ميتة ومشيبا. يا نسيم الثغام ذنبك ابقى حسنا
عند الحسان ذنوبا. ولئن عبن ما راين لقد. انكرن مستنكرا وعبن معيبا.

النعام بن كون في الحديث يقال باالعادية

اوتصد

او تصدعن عن قلى لكفى. بالشيب بينى وبينهن حسيبا. لو راى الله ان فى
الشيب فضلا. جاورته الابرار فى الخلد شيبا. قال المرتضى رضى الله عنه
وجدت الامدى يذكر ان قوما ادعوا المناقضة على ابى تمام فى هذه الابيات
لقوله. فابكى تماضرا ولعوبا. وقوله. يا نسيم الثغام ذنبك ابقى حسنا
عند الحسان ذنوبا. ولئن عبن ما راين لقد. انكرن مستنكرا وعبن معيبا. قالوا كيف
يبكين دما على مشيبه ثم يعبنه قال الامدى وليس هذا بتناقض لان الشيب
انما ابكى تماضرا ولعوبا اسفا على شبابه والحسان اللواتى عبنه غيرهاتين المراتين
فيكون من اشفق عليه من الشيب منهن واسف على شبابه بكى كما قال الاخطل
لما رات بدل الشباب بكت له. ان المشيب لارذل الابدال. ولم تكن هذه حال من عابه
قال. هذا مستقيم صحيح قال المرتضى رضى الله عنه وليس يحتاج فى الاعتذار لابى تمام
الى ما تكلفه الامدى بل المناقضة زائلة عنه على كل حال وان كان من بكى
شبابه وتلهف عليه من النساء اللواتى هن انكرن شيبه وعبنه به وما المنكر
من ذلك وكيف يتناقض ان يبكين على شبابه ونزول شيبه منهن من راين
الشيب ذنبا وعيبا منكرا وفى هذا غاية المطابقة لانه لا يبكى الشيب ويجزع
من حلوله وفراق الشباب الا من راه منكرا ومعيبا وقال ابو تمام. راحت
غوانى الحى عنك غوانيا. يلبسن نايا تارة وصدودا. من كل سابغة الشبا
ب اذا بدت. تركت عميد القريتين عميدا. اربين بالمرد الغطارف بدنا. غيدا الفتهم
لدانا غيدا. احلى الرجال من النساء مواقعا. من كان اشبههن بهن خدودا.
قوله اربين بالمرد من ارب بالشيء اذا لزمه واقام عليه يقال ارب والب بالمكان
اذا لزمه يريد انهن لزمن هوى المرد واقمن عليهن ويروى اربين بالمرد من الربا
الذى معناه الزيادة يقال قد اربى الرجل اذا ازداد فيقول اربين بالمرد اى زدنه
علينا بهم وجعلن للمرد زيادة اخترنها علينا ويقال انه اخذ قوله احلى الرجال
من النساء مواقعا البيت من قول الاعشى. وارى الغوانى لا يواصلن امرءا.

وقوله خضبت خدها الى لؤلؤ العقد
دما ان رات شوانى خضيبا

فقد الشبا وقد يصلن الامردا. ولمنصور النمري مثله. كرهن من الشيب الذي
لو رايته. بهن رايت الطرف عنهن ازورا. ونحو قول الاخر. اري شيب
الرجال من الغواني. بموقع شيبهن من الرجال. وقال ابو تمام. شاب راسي
وما رايت مشيب الراس. الا من فضل شيب الفواد. وكذا القلوب في كل بؤس
ونعيم طلايع الاجساد. طال انكاري البياض وان. عمرت شيئا انكرت لون السواد
زارني شخصه بطلعة ضيم. عمرت مجلسي من العواد. نال راسي من ثغرة الهم
لما لم تنله من ثغرة الميلاد. ومعنى هذا البيت الاخير ان الثغرة هي الفرجة
والثلمة تكون في الشي ولذلك سمي كل بلد جاور عدوا ثغرا كان معناه
انه مكشوف للعدو ويجوز ان يكون اصله من ثغر الانسان لانه اول ما يقابلك
من اسنانه واول ما يظهر عند الكلام واول ما يسقط فيري مثلوما موضع
منفرج ومنه ثغرة النحر واراد بقوله نال راسي من ثغرة الهم. اي وجد الشيب
الهم فرجة دخل على راسي الهم منها لان الهم يشيب لا محالة وقوله لما لم
تنله من ثغرة الميلاد الوقت الذي يهجم عليه فيه الشيب من عمره لانه يجد السبيل
في ذلك الوقت الى الحلول براسه من جهة همومه واحزانه لما لم يبلغ السن
التي توجب حلوله من حيث كبره يطعن على قوله عمرت مجلسي من العواد ويقول
لا حقيقة لذلك ولا معنى لانا ما راينا ولا سمعنا احدا جاه عواد يعودونه
من الشيب ولا ان احدا امرضه الشيب ولا عزاه المعزون عن الشباب وهذا من
الامدي قلة نظر في نقد الشعر وضعف بصيرة بدقيق معانيه التي يغوص عليها حذاق
الشعرا ولم يرد ابو تمام بقوله عمرت مجلسي من العواد العيادة الحقيقة التي
يغشى فيها العواد مجالس المرضى وذوي الاوجاع وانما هذه استعارة
وتشبيه واشارة الى الغرض خفية وكانه اراد ان يخص الشيب لما زارني
كثر المتوجعون لي والمتاسفون على شبابي والمتوحشون من مفارقته
فكانهم في مجلسي عوادلي لان من شان العايد للمريض ان يتوجع ويتفجع

وكنى

فشبه الثغر الذي هو البلد به ويقال اثغر الصبي واثغر ويسمى تلك الفرجة في موضع الثنية ثغرة وفي كل ح

من ثغر الميلاد اراد ح

تخيلة ثغرة في هذا الوجه بان اراد ان الشيب حل براسه ح

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه ورايت الامدي

وكنى بقوله عمرت مجلسي من العواد عن كثرة من تفجع له وتوجع من مشيبه وهذا
من كلام ابي تمام في نهاية البلاغة والحسن وما المعيب الا من عابه وطعن عليه
ونحن نذكر في المجلس الاتي بمشية الله ما للبحتري في هذا المعنى انشا الله تعالى

المجلس السادس والاربعون في تاويل اية ان سال سايل عن قوله تعالى هو الذي

انزل لكم من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون فقال اذا
كان الشجر ليس ببعض الماء كما كان الشراب بعضا له فكيف جاز ان يقول ومنه
شجر بعد قوله منه شراب وما معنى تسيمون وهل الفايدة في هذه اللفظة
هي الفايدة في قوله تعالى والخيل المسومة والانعام وقوله وامطرنا عليها حجارة من سجيل
منضود مسومة عند ربك الجواب قلنا في قوله تعالى ومنه شجر وجهان
احدهما ان يكون المراد منه سقي شجر وشرب شجر فحذف المضاف واقام
المضاف اليه مقامه وذلك كثير في لغة العرب ومثل قوله تعالى واشربوا
في قلوبهم العجل اي حب العجل والوجه الاخر ان يكون المراد من جهة الماء شجر
ومن سقيه وانباته شجر فحذف الاول وخلفه الثاني كما قال عوف بن الخرع
امن ال ليلى عرفت الديارا. بجنب الشقيق خلاء قفارا. اراد من ناحية ال
ليلى وقال زهير. امن ام اوفى دمنة لم تكلم. بحومانة الدراج فالمتثلم.
اراد من ناحية ام اوفى وقال ذويب. امنك البرق ارقبه فهاجا. فبت اخاله
دهما خلاجا. وقال ايضا. امنك برق ابيت الليل ارقبه. كانه في عراض الشام
مصباح. وقال الجعدي. لمن الديار عفون بالتهطال. بقيت على حجج خلون
طوال. اراد بقيت على مر حجج ونكر ارحجج فاما قوله تعالى فيه تسيمون فمعناه
ترعون وترسلون انعامكم يقال اسام الابل يسيمها اسامة اذا ارعاها
واطلقها فرعت متصرفة حيث شاءت وسومها ايضا يسومها من ذلك
وسامت هي اذا رعت فهي تسوم وهي ابل سايمة ويقال سمتها اذا قصرتها
على مرعى بعينه وسمتها الخسف اذا تركتها على غير مرعى ومنه قيل لمن اذل واهتضم

سيم فلان الخسف وسم خطة الضيم قال الكميت بن زيد فى الاسامة التى هى
الاطلاق فى الرعى . راعيا كان مسجحا ففقدناه . وفقد المسيم هلك السوام
وقال اخر . واسكن ما سكنت ببطن واد . واظعن ان ظعنت فلا اسيم .
وذهب قوم الى ان السوم فى البيع من هذا لان كل واحد من المتبايعين
يذهب فيما يتبعه من زيادة ثمن او نقصانه الى ما يهواه كما تذهب سوايم
المواشى حيث شاءت وقد جاء فى الحديث لا سوم قبل طلوع الشمس فحمله قوم
على ان الابل وغيرها لا تسام قبل طلوع الشمس لئلا تنتشر وتفوت الراعى
وتخفى عليه مقاصدها وحمله اخرون على ان السوم قبل طلوع الشمس فى البيع
مكروه لان السلعة المبيعة تستر عيوبها او بعضها فيدخل فى ذلك فى نوع
الغرر المنهى عنها فاما الخيل المسومة قال انها المعلمة بعلامات ماخوذة من السماء
وهى العلامة وروى عن الحسن البصرى فى قوله تعالى والخيل المسومة قال سوم
نواصيها واذنابها بالصوف وقيل ايضا ان المسومة هى الحسان وروى عن مجاهد
فى قوله تعالى والخيل المسومة قال هى المطهمة الحسان وقال اخرون بل هى الراعية
روى ذلك عن سعيد بن جبير وكل يرجع الى اصل واحد وهو معنى العلامة
لان تحسين الخيل يجرى مجرى العلامة فيها التى تعرف بها وتميز لمكانها وقد قيل
ان السوم من الرعى يرجع الى هذا المعنى ايضا لان الراعى يجعل فى المواضع التى
يرعاها علامات وكالعلامات بما يزيله من نباتها ويمحو من اثارها وكان الاصل
فى الكل متفق غير مختلف وقال لبيد فى السوم الذى هو التعليم . وغداة
قاع القريتين اتينهم . رهوا يلوح خلالها التسويم . اراد التعليم فاما قوله تعالى
فى الملائكة مسومين فالمراد به معلمين وكذلك قوله تعالى حجارة من سجيل
منضود مسومة اى معلمة وقيل انه كان عليها كامثال الخواتيم قال المرتضى
ونعود الى ما كنا وعدنا به من ذكر ما للبحترى فى ذم الشيب والتالم من فقد الشباب
فمن ذلك قوله . مشيب كبث السر عى بحمله . عدنا او نا وصدر مذ يعن

وكن

وكنت ارجى فى الشباب شفاعة . فكيف لباغى حاجة بشفيعه . تلاحق حتى كاد
ياتى بطيئه . لحث الليالى قبل اتى سريعه . وما احسن هذا من كلام وابلغه
واطبعه وقال ايضا . ردى على الصبى ان كنت فاعلة . ان الصبى ليس من شانى
ولا اربى . جاوزت حد الشباب النضر ملتفتا . الى بنات الصبى يركضن فى طلبى
والشيب مهرب من جارى منيته . ولا نجاء له من ذلك الحرب . والمرء لو كانت
الشعرى له وطنا . صبت عليه صروف الدهر من كثب . وقال ايضا لا بابن
من شيبه ام ناض . ومليح من شيبه ام راض . واذا ما امتعضت من ولع الشيب
فراتنى لم يثن ذاك امتعاضى . ليس يرضى عن الزمان مرو . فيه الا عن غفلة
او تغاض . والبواقى من الليالى وان . خالفت شيئا المشبهات المواضى . ناكرت
لمتى وناكرت منها . سوء هذا الابدال والاعواض . شعرات اقصهن
ويرجعن . رجوع السهام فى الاغراض . وابت تركى العذيات والاصال
حتى خضبت بالمقراض . غير نفع الا التعلل من . شخص عدو لم يعد ابغاض
ورآء المشيب كالنحص فى . عينى فهل فيه فى العيون المراض . طبت نفسا
من المراض وما . سود من صبغ برده الفضفاض . فهل الحادثات يا بن عوف
تاركاتى ولبس هذا البياض وقال ايضا . تعيب الغانيات على شيبى . ومالى
ان امتع بالمعيب . ووجدى بالشباب وان تولى . حميد دون وجدى بالمشيب
وقال ايضا . ارايته من بعد جثل فاحم . جون للفارق بالنهار خضيبا
فعجبت من حالين خالف منهما . صرف الزمان وما رايت عجيبا . ان الزمان
اذا تتابع خطوه . سبق الطلوب وادرك المطلوبا . وقال ايضا . رات فلتات
الشيب فابتسمت لها . فقالت نجوم لو طلعن باسعد . اعايبك ما كان
الشباب مغزلى . اليك فالحى الشيب اذ كان مبعدى . وقال ايضا . عيب كبدى
قسوة منك ما . ان تزال تجدد فيها ندوبا . وحملت عندك ذنب المشيب
حتى كانى ابتدعت المشيبا . ومن يطلع شرف الاربعين . يحيى من الشيب شخصا عجيبا .

البحتري

وقال ايضا. خليلاه وجدت اللهو ما. دام ردا الشباب غضا جديدا. ان اياما من البيض بيض. ما رايتا المفارق السود سودا. تركوا السواد للابسيه وبيضا. وتضا من السنين عنه ما نضا. وشاه اغيد في تصرف لحظ. مرض اعلى به القلوب وامرضا. وكانه وجد الصبي وجديده. دنيا دنا ميقاته ان يقتضا. اسيان اثري من جوى وصبابة. واساف من وصل الحسان وانفضا. وقال ايضا هل انت صارف شيبة ان غلست. في الوقت او عجلت عن الميعاد. جاءت مقدمة امام طوالع. هذي تراوحني وتلك تغادي. واخو الغيبة تجري يسري جديد بياضها بسواد. وارى الشباب على غضارة حسنه. وجماله عدا من الاعداد. وقال ايضا. اينى الشباب ام ما تولى منه. في الدهر دولة ما تعود. لا ارى العيش والمفارق بيض. اسوة العيش والمفارق سود. واعد الشيخ جدا ولو. اعطى غنما حتى يقال سعيد. من عدته العيون وانصرفت. عنه التفاتا الى سواد الخدود. وقال ايضا. قد متي فناجوي السقم الا. في طلوع على جوى الحب تحنا. لو برانا حادث الخضاب لاثنت. وارتنا من احمرار البرنا. كلف البيض بالعمر قدرا. حين يكلفن والمصغر سنا. يتشاغفن بالعزيز المسمى من نصاد ون الجليل المكنا. وقال ايضا اخي ان الصبي استمر به. سر الليالي فانهجت برده. تصد عني الحسان مبعدة. اذا انا قربه ولا صده. شيب على المفرقين بارضه. يكثر في ان ابينه عده. نطلب مني الشباب ظالمة. بعيد خمسين حين لا يجده. لا عجب ان ملكن حاشا. فافتقد الوصل منك مفتقده. من يتطاول على مطاولة. العيش تقعقع من ملة عمده. قال المرتضى رضي الله عنه رايت الآمدي قد اخطا في معنى هذا البيت الاخير لانه قال معنى تقعقع من ملة عمده اي عظامه يجيء لها صوت اذا قام او قعد من كبره وضعفه قال وقوله من ملة اي من تملي العيش يريد طوله ودوامه ومنه تمليت حبيبك والامر بخلاف ما توهمه ومعنى تقعقع من ملة عمده اي من تطاول عمره تعجل

رحله

رحله وانتقاله عن الدنيا فكنى عن ذلك بتقعقع العمد وهذا مثل معروف يقولون من يتجمع تتقعقع عمده يريدون ان التجمع داعي التفرق وان الاجتماع يعقب ويورث ما يدعو الى الانتقال الذي تتقعقع معه العمد والآمدي على كثرة ما يدعيه من التنقيب والتنقير على علوم العرب ان كان لم يعرف هذا المثل ومعناه فهو اظرف فاما قوله من ملة فانما اراد به من ملل وملة فعلة من الملل وكيف يكون من تملي العيش ولم يسمع في نحو تمليت ملة وهذا خطاء على خطاء

وقال البحتري. ماكان شوقي ببدع يوم ذاك ولا. دمعي باول دمع في الهوى سفحا. ولت كنت مشغوفا بجدتها. فما عفا الشيب لي عنها ولا صفحا. وقال ايضا. وما انس لا انس عهد الشباب. وعلوة اذ غيرتني الكبر. كواكب شيب علقن الصبي فقللن من حسنه ما كثر. واني وجدت فلا تكذبن. سواد الهوى في بياض الشعر. ولا بد من ترك احدى اثنتين. اما الشباب واما العمر. قال الآمدي وعلى قوله ولا بد من ترك احدى اثنتين معارضة وهو ان يقال ان من مات شابا فقد فارق الشباب وفاته العمر ايضا فهو تارك لهما معا ومن شاب فقد فارق الشباب وهو مفارقه للعمر لا محالة فهو ايضا تارك لهما جميعا وقوله اما واما لا يكون الا لاحدهما قال والعذر للبحتري ان يقال ان من مات شابا فقد فارق الشباب وحده لانه لم يعمر فيكون مفارقا للعمر الا ترى انهم يقولون عمر فلان اذا اسن وفلان لم يعمر اذا مات شابا ومن شاب وعمر ثم مات لم يكن مفارقا للشباب في حال موته لانه قد قطع ايام الشباب وتقدمت مفارقته له وانما يكون في حال موته مفارقا للعمر وحده فالى هذا ذهب البحتري وهو صحيح ولم يرد بالعمر المدة القصيرة التي يعمرها الانسان وانما اراد بالعمر ههنا الكبر كما قال زهير. رايت المنايا خبط عشواء من تصب. تمته ومن تخطى يعمر فيهرم. وما رايت اشد تنها فتا في الخطأ منه فيما يفسره ويتكلم عليه من شعر هذين الرجلين ومعنى البيت غير ما توهمه وهو اظهر من ان يخفى حتى يحتاج

فيه الى هذا التغلغل والتعسف وانما اراد البحتري ان الانسان بين حالين اما ان يفارق الشباب بالشيب ويفارق العمر بالموت فمن مات شابا وان كان قد خرج بخروجه على ساير احوال الحيوة من شباب وشيب وغيرهما فانه لم يفارق الشباب وحده وانما فارق العمر الذي فارق بمفارقته الشباب وغيره وقسمة الرجل تناولت احد الامرين اما مفارقة الشباب وحده بلا واسطة ولن يكون ذلك الا بالشيب او مفارقة العمر بالموت وتلخيص كلامه انه لا بد للحي من شيب او موت فكان الشيب والموت متعاقبان والبحتري انما جعل قوله العمر مقام قوله الحياة والبقا وانما قال العمر لاجل القافية مع انه مبني عن مراده ولو قال ولا بد من ترك الشباب او ترك الحيوة لقام مقام قوله العمر اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن محمد الكاتب قال حدثنا احمد بن عبيد الله قال من معاني ابن الرومي التي فتقها قوله يذم الزمان من جعل مصيبة غيره منسية له مصيبته وعاب من تعلل بالتاسي بما نال غيره وهو يرثي شبابه يا شبابي واين مني شبابي. اذكرتنيه ايامه بانقضاء لهف نفسي على نعيمي وهوي تحت افنانه اللدان الرطاب. ومعني عن الشباب موسي بمشيب اللدات والاصحاب قلت لما انتحى يعد اساه. من مصاب شبابه مصاب. ليس تاسوا كلوم غيري كلومي ما به ما به وما بي ما بي. ولابن الرومي. لهفي على الدنيا وهل لهفة. تنصف منها ان تلهفتها. فيحا لها قبحا على انها. اقبح شي حين كشفتها. وقد يعزيني شباب مضى ومدة للعيش اسلفتها. فكرت في خمسين عاما مضت. كانت امامي ثم خلفتها. اجهلتها اذ هي موفورة. ثم مضت عني فعرفتها. ففرحة الموهوب اعددتها. وترحة المسلوب الحفتها. لو ان عمري مائة هدني. تذكري اني تنصفتها. وله في هذا المعنى وقد تقدمت هذه الابيات في الامالي المتقدمة وقد احسن في معناها كل الاحسان. كفى بسراج الشيب في الراس هاديا. لمن قد اضلته المنايا لياليا. امن بعد ابداء المشيب مقاتلي. لرامي المنايا تحسبني ناجيا. غدا الدهر يرميني فقد نوب هامه. لتخصي اخلو ان يصبن سواديا. وكان كرامي الليل يرمي ولا يرى. فلما اضاء الشيب شخصي رمانيا.

عن العمر وخرج

المجلس الرابع والاربعون

في تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون. فقال كيف جاءت او بعد ما لا يجوز ان يعطف عليه وما الناصب لقوله او يتوب عليهم وليس في الكلام ما يقتضي نصبه الجواب قلنا قد ذكر في ذلك وجوه اولها ان يكون قوله او يتوب معطوفا على قوله تعالى ليقطع طرفا والمعنى انه تعالى عجل لكم هذا النصر ونحكم ليقطع طرفا من الذين كفروا اي قطعة منهم وطائفة من جميعهم او يكبتهم اي يغلبهم ويهزمهم بكم فيخيب سعيهم وتكذب فيكم ظنونهم او يعظهم ما يرون من تظاهر ايات الله تعالى الموجبة لتصديق نبيه صلى الله عليه واله فيتوبوا ويؤمنوا فيقبل الله ذلك منهم ويتوب عليهم او يكفروا بعد قيام الحجج وتاكد البينات والدلايل فيموتوا او يقتلوا كافرين فيعذبهم الله باستحقاقهم في النار ويكون على هذا الجواب قوله تعالى ليس لك من الامر شيء معطوفا على قوله تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم. اي ليس لك ولا لغيرك من هذا النصر شيء وانما هو من عند الله تعالى والوجه الثاني ان يكون او بمعنى حتى والا ان والتقدير ليس لك من الامر شيء حتى يتوب عليهم والا ان يتوب عليهم وكما قال امرؤ القيس. بكى صاحبي لما راى الدرب دونه وايقن انا لاحقان بقيصرا. فقلت له لا تبك عينك انما. نحاول ملكا او نموت فنعذرا. اراد الا ان نموت وهذا الجواب يضعف من طريق المعنى لان لقايل ان يقول ان امر الخلق ليس الى احد سوى الله تعالى قبل توبة العباد وعقابهم وبعد ذلك فكيف يصح ان يقول ليس لك من الامر شيء الا ان يتوب عليهم او يعذبهم حتى كانه اذا كان احد الامرين كان اليه من الامر شيء ويمكن ان ينصر ذلك بان يقال قد يصح الكلام اذا حمل على المعنى وذلك ان قوله تعالى ليس

لك من الامر شيء معناه ليس يقع ما تريده وتوثره من ايمانهم وتوبتهم او ما تريده
من استيصالهم وعذابهم على اختلاف الرواية بمعنى الاية وسبب نزولها بان
يلطف الله لهم في التوبة فيتوب عليهم او يعذبهم وتقدير الكلام ليس يكون
ما تريده من توبتهم او عذابهم بك وانما يكون ذلك بان الله تعالى والجواب الثاني
ان يكون المعنى ليس لك من الامر شيء او من ان يتوب عليهم فاضمر ان اكتفاء
بالاول واضمر ان بعدها لدلالة الكلام عليها واقتضائه لها وهي مع الفعل
الذي بعدها بمنزلة المصدر وتقدير الكلام ليس لك من الامر شيء ومن توبتهم
وعذابهم قال المرتضى رضي الله عنه ووجدت ابا بكر محمد بن القاسم الانباري
يطعن على هذا الجواب ويستبعده قال لان الفعل لا يكون محمولا على الاعراب
الاسم الجامد الذي لا تصرف فيه على اضمار ان مع الفعل لانه ليس من كلام
العرب عجبت من اخيك ومن ان يقوم لان اخاك اسم جامد محض لا يعطف
عليه الا ما شاكله قال وهذا اذا يستقيم ويصلح في رد الفعل على المصدر
كقولهم كرهت غضبك وبغضك ابوك على معنى كرهت غضبك وان يغضب
ابوك فيطرد هذا في المصادر لانها تتاول بان فيقول النحويون يعجبني قيامك
وتاويله يعجبني ان تقوم قال والاسم الجامد لا يمكن هذا فيه وليس الذي
ذكره ابن الانباري مستبعدا وان لم يضعف هذا الجواب الا من حيث
ذكر فليس بضعيف وذلك ان فيما امتنع منه مثل الذي اجازه لانه قد اجاز
ذلك في المصادر وان لم يجزه في غيرها وقوله تعالى ليس لك من الامر شيء فيه
دلالة على الفعل لان الامر مصدر امرت امرا فكانه تعالى قال ليس لك من امرهم
او من تامرهم شيء ولا من ان يتوبوا وجرى ذلك مجرى قولهم كرهت غضبك ويغضب ابوك
في رد الفعل على المصدر والوجه الاول اقوى الوجوه والله اعلم بمراده تاويل خبر
ان سال سائل عن معنى الحديث الذي يرويه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه واله
انه قال لا تناجشوا ولا تدابروا وكل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه

قال السيد قدس الله روحه

الجواب قيل له اما النجش فهو المدح والاطراء قال نابغة بني شيبان يذكر الخمر
ترخى بال من ينشرها ويغدي بكرىٍّ بها عند النجش اي عند مدحها ومنه النجش
في البيع وهو مدح السلعة والزيادة في ثمنها من غير ارادة لشرائها بل ليقتدي بالزائد
الزايد في الزيادة غيره واصل النجش استخراج الشيء والتنفير عنه قال بعض الفقعسيين
اجرس لها يا ابن ابي كباش فما لها الليلة من انفاش غير السرى وسابق نجاش
اسم مثل الحية الخشخاش فالنجاش هو المستثير لسيرها المستخرج لما عندها
ومعنى اجرس لها احد لها اي لتسمع الحدا فتسير وهو ماخوذ من الجرس وهو الصوت
ومعنى الانفاش اراد انها لا تترك ترعى ليلا والنفش ان ترعى الابل ليلا وقد
انفشتها اذا ارسلتها بالليل ترعى والخشخاش الخفيف الحركة السريع التقلب
والنجش في البيوع يرجع معناه الى هذا لان الناجش يثير بزيادته في الثمن ومدحه
للسلعة الزيادة في ثمنها فيكون معنى الخبر على هذا لا تناجشوا اي لا يمدح احدكم
السلعة فيزيد في ثمنها وهو لا يريد شراءها ليسمعه غيره فيزيد وقد يجوز ايضا
ان يريد بذلك لا يمدح احدكم صاحبه من غير استحقاق ليستدعي منفعته
ويستثير فايدته وهذا المعنى اشبه بان يكون مراده لان قوله ولا تدابروا اشد
مطابقة له ومعنى لا تدابروا الا تهاجروا ويولي كل واحد صاحبه دبره ووجهه
قال الشاعر. واوصى ابو قيس بان تتواصلوا. واوصى ابوكم ويحكم ان لا تدابروا
فكانه قال ولا تتمادحوا وتتواصلوا بالمدح الذي ليس بمستحق ولا تتهاجروا
وتتقاطعوا فاما قوله كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه فقد ذهب قوم
الى ان عرض الرجل انما هو سلفه من ابائه وامهاته ومن جرى مجراهم وذهب ابن
قتيبة الى ان عرض الرجل نفسه واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر اهل الجنة
فقال لا يبولون ولا يتغوطون وانما هو عرق يجري من اعراضهم كالمسك
اي من ابدانهم قال ومنه قول ابي الدرداء اقرض من عرضك ليوم فقرك
اراد من شتمك فلا تشتمه ومن ذكرك بسوء فلا تذكره ودع ذلك قرضا لك

عليهم ليوم الجزا او القصاص واحتج بحديث الحسن عن رسول الله صلعم انه قال ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم اذا خرج من منزله قال اللهم اني قد تصدقت بعرضي على عبادك قال فمعناه قد تصدقت بنفسي واحللت من يغتابني فلو كان العرض الاسلاف ان يحل من السب الموتى لان ذلك اليهم لا اليه قال ويدل على ذلك ايضا حديث سفيان ابن عيينه لو ان رجلا اصاب من عرض رجل شيئا ثم تورع من بعد فجاء الى ورثته بعد موته فاحلوه لم يكن ذلك كفارة له

ولو اصاب من ماله شيئا ثم دفعه الى ورثته لكنا نرى ان ذلك كفارة له قال ح

ويدل على ان عرض الرجل نفسه قول حسان هجوت محمدا فاجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء. فان ابي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء. اراد ان ابي وجدي ونفسي وقاء لنفس محمد صلعم وقال اخرون وهو الصحيح العرض موضع للمدح والذم من الانسان فاذا قيل ذكر عرض فلان فمعناه ذكر ما يرتفع او يسقط بذكره ويمدح او يذم به وقد يدخل في ذلك ذكر الرجل لنفسه وذكر اباءه واسلافه لان كل ذلك مما يمدح ويذم والذي يدل على هذا ان اهل اللغة لا يفرقون في قولهم شتم فلان عرض فلان بين ان يكون ذكره في نفسه بقبيح الافعال وشتم سلفه واباه ويدل عليه قول مسكين الدارمي. رب مهزول سمين عرضه. وسمين الجسم مهزول الحسب. فلو كان العرض نفس الانسان لكان الكلام متناقضا لان السمن والهزال يرجعان الى شيء واحد وانما اراد رب مهزول كريمة افعاله او كريم اباؤه واسلافه وقال ابن عبدل. واني لا نما ابطر الغنى. وابذل ميسوري لمن يبتغي قرضي. واعسر احيانا فتشتد عسرتي وادرك ميسور الغنى ومعي عرضي. ولا يليق ذلك الا بما ذكرناه قال المرتضى رضي ووجدت ابا بكر الانباري قد رد على ابن قتيبه قوله هذا وطعن على ما احتج به فقال في الحديث المروي عنه عليه السلم في وصف اهل الجنة ان المراد بالاعراض مغابن الجسد وحكى عن الاموي انه قال الاعراض المغابن التي تعرق من الجسد نحو الابطين وغيرهما وقال في حديث ابي الدردا معناه من عابك وذكر اسلافك

فلا يجازه

فلا يجازه ليكون الله تعالى هو المثيب لك وقال في ضمضم معناه انه احل من اوصل اليه اذى بذكره وذكر اباءه فلم يحل الامر اليه وقال في قول حسان المراد بعرضه ايضا اسلافه كانه قال وان ابي ووالده وجميع اسلافي الذين امدح واذم من جهتهم وقال عليه السلم فاتى بالعموم من بعد الخصوص كما قال الله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم فاتى بالعموم بعد الخصوص ولم اجده ذكر في خبر سفيان بن عيينه شيئا وتاويله يقرب من تاويل ابي ضمضم لان من اذى رجلا بسبه في نفسه او بسب سلفه وادخل عليه بذلك وضعا ونقصا لم يكن الى ورثته بعد موته الاحلال الا من ذلك لان الاذى لم يدخل عليهم ولو كان داخلا عليهم ايضا مع دخوله على المسبوب لكان احلالهم مما يرجع الى غيرهم لا يصح على ان في الاحلال من الضرر وسقوط العوض المستحق عليه وهل يسقط باسقاط مستحقه او لا كلاما ليس هذا موضعه وقد ذكرناه في مواضع وبعد فلو سلم لابن قتيبه ان المراد بالعرض في كل المواضع التي ذكرها النفس دون السلف او سلم له ذلك في بيت حسان خاصة فانه اقرب الى ان يكون المراد به ما ذكره لم يقدح فيما ذكرناه لانا لم نقل ان العرض مقصور على سلف الانسان بل ذكرنا انه موضع الذم والمدح من الانسان ولا فرق بين نفسه وسلفه فكيف يكون الاحتجاج بما المراد بالعرض فيه النفس طعنا علينا وانما ينفع ابن قتيبه ان ياتي بما يدل على ان العرض لا يستعمل الا في النفس دون السلف وكل شيء ورد مما المراد بالعرض فيه النفس او المراد به السلف فهو تاكيد لقولنا في ان هذه اللفظة مستعملة في موضع الذم والمدح من الانسان وانما يكون ما استشهدنا به وما جرى مجراه مما يدل على استعمال لفظة العرض في السلف حجة على ابن قتيبه لانه قصر معناه على النفس والذات دون السلف وهذا واضح بين بحمد الله واخبرنا ابو عبد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسين بن دريد قال اخبرنا ابو حاتم

قال كان ابو عبيدة معمر بن المثنى صفريا وكان يكتم ذلك فانشدني لعمران بن حطان
انكرت بعدك من قد كنت اعرفه . ما الناس بعدك يا مرداس بالناس . اما لكن
ذقت كاسا دار اولها . على القرون فذاقوا اهله الكاس . فقد كنت ابكيك
حينا ثم قد يئست . نفسي فما ردّ عني عبرتي ياسي اخبرنا ابو عبد الله المرزباني
قال اخبرنا ابن دريد قال حدثنا الاشناندانی قال قال التوزي كنت اذا
اردت ان انشط ابا عبيدة سالته عن اخبار الخوارج وابغ منه بثّ بجر
فجئته يوما وهو مطرق ينكت الارض في صحن المسجد وقد قرب من الشمس
فسلمت عليه فلم يرد على السلام فتمثلت . وما للمرء خير في حياة . اذا ما عدّ من سقط
المتاع . والبيت لقطري بن الفجاءة فقال ويحك اتدري من يقول قلت قطري
قال اسكت فض الله فاك فالا قلت امير المومنين ابو نعامة ثم انتبه فقال اكتمها
على يا توزي فقلت هي ابنة الارض فانشدني . اقول لها اذا طارت شعاعا .
من الابطال ويحك لن تراعي . فانك لو طلبت حياة يوم على الاجل الذي
لك لم تطاع . فصبرا في مجال الموت صبرا . فما نيل الحيوة بمستطاع . وما طول
الحيوة بثوب مجد . فيطوى عن اخي الخنع اليراع . سبيل الموت غاية كل حي .
وداعيه لاهل الارض داع . ومن لا يعتبط يسام ويهرم . ويفض به المنون
الى انقطاع . وما للمرء خير في حيوة . اذا ما عدّ من سقط المتاع . فكتبتها وقمت
لانصرف فقال اقعد ثم انشدني . الى كم تعاريني السيوف ولا ارى .
معارها تدعوا الى حماميا . اقارع عن دار الخلود ولا ارى . بقاء على حال
لما ليس باقيا . ولو قرب الموت القراع لقد اتى . لموتي ان زيد نو الطول قارعيا .
اغادي جلاد المعلمين كانني . على العسل الماذي اصبح غاديا . وادعو الكماة للنزال
اذ القنا . تحطم فيما بيننا من طعانيا . ولست ارى نفسا تموت وان دنت .
من الموت حتى يبعث الله داعيا . قال ابن دريد هذا الشعر لقطري بن الفجاءه
اخبرني ابو الحسن على بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم

قال جئت

قال جئت ابا عبيدة يوما ومعي شعر عروة بن الورد فقال فارغ حمل شعر فقير
ليقراه على فقير ليقر فقلت له ما معي غيره فانشد انت ما شئت فانشدني
يا رب ظل عقاب قد وقيت به . مهوى من الشمس والابطال تجتلد . ورب يوم
رعيت عقوته . خيلي اقتسارا واطراف القنا قصد . ويوم لهو لاهل الخفض
ظل به . لهوي اصطلاء الوغى اذ ناره تقد . مشهرا موقفي والحرب كاشفة
عنها القناع وبحر الموت يطرد . ورب هاجرة تغلي مراجلها . تجد بها بمطايا غادة
تجتاب اودية الافزاع امنة . كانها اسد تقتادها اسد . فان امت حتف انفي
لا امت كمدا . على الطعان وقصر العاجز الكمد . ولم اقل لم اساق القتل شاربه .
في كاسه والمنايا شرع ورد . ثم قال لي هذا الشعر لا ما تعللون به انفسكم من
اشعار المخانيث والشعر لقطري بن الفجاءه واخبرنا على بن محمد الكاتب قال اخبرنا
ابو حاتم قال كان ابو عبيدة يانس الي في اول ما اختلفت اليه ويسالني عن خوارج
سجستان لانه كان يظنني على رايهم فنالني منه لذلك عناية خاصة فكان كثيرا
ما ينشدني اشعارهم ثم يتمثل اولئك قوم ان بنوا احسن البنا . وان عاهدوا
اوفوا وان عقدوا اشدّوا . او كابن علقمة المنهد الشاري قال وانشدني يوما لرجل
من طي من الخوارج لا كابن ملحان من شاد اخي ثقة . من صادق كنت اصفيه مخالصتي
فباع داري باعلى صفقة الدار . اخوان صدق ارجيهم واحذرهم . اشكو الى الله
اخواني واخداري . فصرت صاحب دنيا لست املكها . وصار صاحب جنات
وانهار المجلس الثامن الاربعون تاويل اية اسئل بسائل عن قوله تعالى
وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ
يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ فقال ما اليد التي اضافتها اليهود الى الله تعالى وادعوا انها مغلولة
وما نرى عاقلا من اليهود ولا غيرهم يزعم ان لربه يدا مغلولة تبرأ من ان يكون فيها
قائل لذلك وما معنى الدعاء عليهم بغلّ ايديهم وهو تعالى ممن لا يصح ان يدعوا
على غيره لانه قادر على ان يفعل ما يشاء وانما يدعو الداعي بما لا يتمكن من فعله

طلبا له الجواب قلنا يحتمل ان يكون قوم من اليهود وصفوا الله تعالى بما يقتضي تناهي
مقدوره فجرى ذلك مجرى ان يقولوا ان يده مغلولة لان عادة الناس جارية
بان يعبّروا بهذه العبارة عن هذا المعنى فيقولون يد فلان منقبضة عن كذا ويده
لا تنبسط الى كذا اذا ارادوا وصفه بالفقر والقصور ويشهد لذلك قوله تعالى
في موضع اخر لَقَدْ سَمِعَ اللّٰهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللّٰهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ
ثم قال تعالى مكذبا لهم بل يداه مبسوطتان اي انه ممن لا يعجزه شيء وثنى اليدين
تاكيدا للامر وتفخيما له ولانه ابلغ في المعنى المقصود من ان يقول يده مبسوطة
وقد قيل ان اليهود وصفوا الله تعالى بالبخل واستبطؤا فضله ورزقه وقيل انهم
قالوا على سبيل الاستهزاء ان اله محمد الذي ارسل يداه الى عنقه اذ ليس
يوسع عليه وعلى اصحابه فرد الله تعالى عليهم قولهم واكذبهم بقوله تعالى بل يداه
مبسوطتان واليد هيهنا النعمة والفضل وذلك معروف في اللغة متظاهر في كلام
العرب واشعارهم ويشهد له من الكتاب قوله تعالى وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ
عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ولا معنى لذلك الا الامر بترك امساك اليد عن النفقة
في الحقوق وترك الاسراف الى القصد والتوسط ويمكن ان يكون الوجه في تثنية
النعمة من حيث اريد بها نعم الدنيا ونعم الاخرة لان الكل وان كانت نعم الله من حيث
اختص كل واحد من الامرين بصفة تخالف صفة الاخرى صار كانهما جنسان او قبيلان
ويمكن ايضا ان يكون تثنية النعمة انه اريد بها النعم الظاهرة والباطنة فاما قوله تعالى غلت ايديهم
ففيه وجوه اولها ان يكون ذلك على سبيل الدعا بل على جهة الاخبار منه جل وعز
عن نزول ذلك بهم وفي الكلام ضمير قد قيل قوله غلت موضع غلت نصب على
الحال كانه تعالى قال وقالت اليهود كذا وكذا في حال ما غل الله ايديهم ولعنهم وحكم بذلك
فيهم ويسوغ قد هيهنا اضمار كما ساغ في قوله تعالى إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ
وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ
والمعنى فقد صدقت وقد كذبت وثانيها ان يكون معنى الكلام وقالت اليهود يد الله

مغلولة

مغلولة غلت ايديهم او وغلت ايديهم واضمر الالف والواو لان كلامهم تم واستؤنف بعده
كلام اخر ومن عادة العرب ان تحذف فيما يجري مجرى هذا الموضع من ذلك قوله تعالى
وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا
فاضمر الفاء لتمام كلام موسى عليه السلم ومنه قول الشاعر . لما رايت نبطا انصارا .
شمرت عن ركبتي الازارا . كنت له من النصارى جارا . اراد وكنت فاضمر الواو
وثالثها ان يكون القول خرج مخرج الدعا الا ان معناه التعليم من الله تعالى
والتاديب فكانه جلت عظمته وقفنا على الدعا عليهم وعلمنا ما ينبغي ان نقوله
فيهم كما علمنا الاستثنا في غير هذا الموضع في قوله تعالى لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
إِن شَاءَ اللّٰهُ آمِنِينَ وكل ذلك جلي واضح والمنة لله تأويل خبر ان سأل سائل
عن الخبر الذي يروى عن النبي صلى الله عليه واله انه قال لعن الله السارق
يسرق بيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده الجواب قلنا قد تعلق بهذا الخبر
صنفان من الناس فالخوارج تتعلق به وتدعي ان القطع يجب في الكثير والقليل
ويستشهد على ذلك بظاهر قوله وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ويتعلق
بهذا الخبر ايضا الملحدة والشكاك ويدعون انه مناقض للرواية المتضمنة انه لا
يقطع الا في ربع دينار ونحن نذكر ما فيه واول ما نقوله ان الخبر مطعون على سنده
عند اصحاب الحديث وقد حكى ابن قتيبة في تاويله وجها عن يحيى بن اكثم
طعن عليه وضعفه وذكر عن نفسه وجها اخر ونذكرهما وما فيهما ونتبعهما
بما نختاره قال ابن قتيبة كنت حضرت يوما مجلس يحيى بن اكثم بمكة فرايته يذهب
الى ان البيضة في هذا الحديث بيضة الحديد التي تغفر للراس في الحرب وان
الحبل من حبال السفن قال وكل واحد من هذين يبلغ دنانير كثيرة قال فرايته يعجب
بهذا التاويل ويبدئ فيه ويعيد ويرى انه قطع به حجة الخصم قال ابن قتيبة وهذا
انما يجوز على من لا معرفة له باللغة ومخارج الكلام وليس هذا موضع تكثير لما ياخذه
السارق فيصرف الى بيضة تساوي دنانير وحبل لا يقدر على حمل السارق ولا

من عادة العرب والعجم ان يقولوا قبح الله فلانا عرّض نفسه للضرب في عقد جوهر وتعرض لعقوبة الغلول في جراب مسك وانما العادة في مثل هذا ان يقال لعن الله تعرّض للقطع في حبل رثّ او اداوة خلق او كبّة شعر وكلما كان من ذلك احقر كان ابلغ قال والوجه في الحديث ان الله عزّ وجلّ لما نزل على رسوله صلى الله عليه وسلم والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله قال رسول الله لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده على ظاهر ما نزل عليه في ذلك الوقت ثم اعلمه الله تعالى بعد ان القطع لا يكون الا في ربع دينار فما فوقه ولم يكن رسول الله يعلم من حكم الله تعالى الا ما علمه الله وما كان الله عزّ وجلّ يعرّفه ذلك جملة بل تبيّن له شيئا بعد شيء قال المرتضى رضي الله عنه وجدت ابا بكر بن الانباري يقول ليس الذي طعن فيه ابن قتيبة على تاويل الخبر بشيء لان البيضة من السلاح ليست علما في كثرة الثمن ونهاية في علو القيمة فتجري مجرى العقد من الجوهر والجراب من المسك اللذين ربما ساويا الالوف من الدنانير والبيضة من السلاح الحديد ربما اشتريت باقل مما يجب فيه القطع وانما اراد عليه السلام انه يكتسب قطع يده بما لا غنى له به لان البيضة من السلاح لا يستغني بها احد والجوهر والمسك في يسير منهما غنى قال المرتضى رضي الله عنه والذي نقوله ان ما طعن به ابن الانباري على كلام ابن قتيبة متوجه وليس في ذكر البيضة والحبل تكثير كما ظن ابن قتيبة ولا تشبيه العقد والجراب من المسك غير انه يبقى في ذلك ان يقال اي وجه لتخصيص البيضة والحبل بالذكر وليساهما النهاية في التقليل فان كان لما ذكره بن الانباري من ان المعنى انه يسرق ما لا يستغني به فليس ذكره ذلك باولى من ذكر غيره ولا بد من ذكر وجه في ذلك واما تاويل ابن قتيبة فباطل لان النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز ان يقول ما حكاه عند سماع قوله تعالى والسارق والسارقة لان الآية مجملة مفتقرة الى بيان ولا يجوز ان يصرفها الى بعض محتملاتها دون بعض بلا دلالة على ان اكثر من قال ان الآية غير محتملة وان ظاهر القول يقتضي العموم يذهب الى ان ما اقتضى تخصيصها بسارق

دون سارق لم يتاخر عن حال الخطاب فكيف يصح ما قال من الآية تقدمت ثم تاخر تخصيص السارق ولو كان ذلك كما ظن لكان المتاخر ناسخا للآية وعلى تاويله هذا يقتضي ان يكون كل الخبر منسوخا واذا امكن تاول اخباره على ما يقتضي رفع احكامها ونسخها كان اولى وبالاشبه ان يكون المراد بهذا الخبر ان السارق يسرق الكثير الجليل فتقطع يده ويسرق الحقير القليل فتقطع يده فكانه تعجيز له وتضعيف لاختياره من حيث باع يده بقليل الثمن كما باعها بكثيره وقد حكى اهل اللغة ان بيضة القوم وسطهم وبيضة الدار وسطها وبيضة السنام شحمته وبيضة السيف معظمه وبيضة البلد الذي لا نظير له وان كان قد يستعمل ذلك في المدح والذم على سبيل الاضداد واذا استعمل في الذم فمعناه ان الموصوف بذلك حقير مهين كالبيضة التي تفسدها النعامة فتتركها ملقاة لا تلتفت اليها فمما جاء من ذلك في المدح قول اخت عمرو بن عبد ودّ ترثيه وتذكر قتل امير المؤمنين له

وقيل ان الابيات لامراة من العرب غيرها. لو كان قاتل عمرو غير قاتله. لكنت ابكي عليه دايم الابد. لكنّ قاتل عمرو لا يعاب به. من كان يدعى قديما بيضة البلد

وقال الاخر في المدح. كانت قريش بيضة فتفلقت. فالمحّ خالصه لعبد مناف

وقال الاخر في الذم. تابى قضاعة ان تعرف لكم نسبا. وابنا نزار فانتم بيضة البلد

اراد ان تعرف فاسكن وقال الاخر في ذلك. لكنه حوض من اودى باخوته. ريب الزمان فامسى بيضة البلد. فكان معنى البيضة كله يعود الى التفخيم والتعظيم واما الحبل فذكر على سبيل المثل والمراد به المبالغة في التحقير والتقليل كما يقول القايل ما اعطاني فلان عقالا وما ذهب من فلان عقال ولا يساوي كذا فتيلا كل ذلك على سبيل المثل والمبالغة في التحقير والتقليل وليس الغرض بذلك الحبل الواحد من الحبال على الحقيقة واذا كان هذا تاويل الخبر زالت المناقضة وبطلت شبهة الخوارج في ان القطع يجب في القليل والكثير اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني ابو عبد الله الحكيمي قال حدثني يموت بن المزرع قال حدثني ابو زينب

علي بن ثابت قال قال الاصمعي تصرفت بي الاسباب على باب الرشيد مؤملا الظفر
به والوصول اليه حتى انى صرت لبعض احرسه خدنيا فانى في ليلة قد نثرت
السعادة والتوفيق فيها الارق بين اجفان الرشيد اذ خرج خادم فقال اما يحسن
احد ينشد الشعر فقلت الله اكبر رب قيد مضيقة قد حله التيسير فقال لى الخادم
ادخل فلعلها ان تكون ليلة تعرس في صباحها بالغنى ان فزت بالحظوة عند امير
المؤمنين فدخلت فواجهت الرشيد في بهو والفضل بن يحيى الى جانبه فوقف
الخادم حيث يسمع التسليم فسلمت فرد السلم ثم قال يا غلام ارحه قليلا ليفرج روعه
ان كان قد وجد للروعة حسا فدنوت قليلا ثم قلت يا امير المؤمنين اضاءة مجدك
وبهاء كرمك مجيران لمن نظر اليك عن اعتراض اذية فقال ادن فدنوت فقال اشاعر
ام راويه فقلت راوية لكل ذي جد وهزل بعد ان يكون محسنا قال تالله
ما رايت ادعاء اعم فقلت انا على الميدان فاطلق من عناني يا امير المؤمنين فقال
قد انصف القارة من راماها ثم قال ما معنى هذه الكلمة بديها فقلت فيها قولان
القاره هي الحرة من الارض وزعمت الرواة ان القارة كانت رماة للتبابعة والملك
اذ ذاك ابو حسان فواقف عسكره عسكر السغد فخرج فارس من السغد قد
وضع سهمه في كبد قوسه وقال اين رماة العرب فقالت العرب قد انصف القارة
من راماها فقال لى الرشيد اصبت ثم قال اتروى لرؤبة بن العجاج والعجاج
شيا فقلت هما شاهدان لك بالقوافي وان غيبا عن بصرك بالاشخاص فاخرج
من ثني فرشه رقعة ثم قال انشدني ارقني طارق هم ارقا فمضيت فيها مضي الجواد
في سنن ميدانه تهدرني اشداقي وبها ابتدا تاي ثم فلما صرت الى مديحه لبني امية ثنيت لساني
الى امتداحه للمنصور في قوله . قلت لزير لم تصله مريمه . فلما راني عدلت من ارجوزة
الى غيرها فقال لى اعن حيرة ام عن عمد تركت كذبه وعدلت الى صدقه فيما وصف
به المنصور من مجده فقال الفضل احسنت بارك الله عليك مثلك يؤهل لمثل
هذا المجلس فلما اتيت على اخرها قال لى الرشيد اتروى كلمة عدي بن الرقاع

من هدام

قلت عن عمد

عرف الديار

عرف الديار توهما فاعتادها قلت نعم قال هات فمضيت حتى اذا صرت الى
وصفه الجمل قال لى الفضل نشدتك الله ان تقطع علينا ما امتعنا به السهر في ليلتنا
هذه بصفة جمل اجرب فقال له الرشيد اسكت فالابل هي التي اخرجتك عن دارك
واستلبت تاج ملك ملككم ثم ماتت وعملت جلودها سياطا ضربتم بها انت وقومك
فقال الفضل لقد عوقبت على غير ذنب والحمد لله فقال الرشيد اخطات الحمد لله
على النعم ولو قلت استغفر الله لكنت مصيبا ثم قال لى امض في امرك فانشدته
حتى اذا بلغت الى قوله . تزجي اغن كان ابرة روقه . استوى جالسا وقال اتحفظ
في هذا ذكرا قلت نعم ذكرت الرواة ان الفرزدق قال كنت في المجلس وجرير الى جانبي
فلما ابتدا عدي في قصيدته قلت لجرير مسرا اليه هلم نسخر من هذا الشامي فلما
ذقنا كلامه يئسنا منه فلما قال تزجي اغن كان ابرة روقه وعدي كالمستريح
قال جرير اما تراه يستلب بها مثلا فقال الفرزدق يا لكع انه يقول قلم اصاب
من الدوات مدادها فقال عدي قلم اصاب من الدواة مدادها فقلت لجرير اكان
سمعك مخبوا في صدره فقال لى اسكت شغلني سبك عن جيد الكلام فلما
بلغ الى قوله . ولقد اراد الله اذ ولاكها . من امة اصلاحها ورشادها .
قال الاصمعي فقال لى ما تراه قال اذا انشده الشاعر هذا البيت فقلت كذا اراد الله
فقال الرشيد ما كان في جلالته ليقول هذا احسبه قال ما شاء الله قال وكذا
جاءت الرواية فلما اتيت على اخرها قال لى تروي لذي الرمة شيئا فقلت الاكثر
قال فما اذا اراد بقوله . تمر امرت متلئبا اسدية . ذراعيه حلالة بالمصانع
قلت وصف حمار وحش اسمنه بقل روضة تواشجت اصوله وتشابكت فروعه
عن مطر سحابة كانت بنوء الاسد في الذراع من ذلك فقال الرشيد ارح
فقد وجدناك ممتعا وعرفناك محسنا ثم قال اوجد ملالة ونهض فاخذ
الخادم يصلح عقب النعل في رجله وكانت عربية فقال الرشيد عقرتني يا غلام
فقال الفضل قاتل الله الاعاجم اما انها لو كانت سندية لما احتجت الى هذه الكلفة

فقال الرشيد هذه نعلي ونعل ابائي كم تعارض فلا نترك من جواب ممض ثم قال يا غلام
يومر صالح الخادم بتعجيل ثلثين الف درهم على هذا الرجل في ليلته ولا يحجب
في المستانف فقال الفضل لولا انه مجلس امير المؤمنين ولا يامر فيه غيره لامرت
لك بمثل ما امر لك به الا الف درهم فتلقى الخادم صباحا قال الاصمعي فما صليت
من غد الا وفي منزلي تسعة وخمسون الف درهم **المجلس التاسع الاربعون**

في تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى اللّٰه وليّ الذين امنوا يخرجهم من
الظلمات الى النور فقال ليس ظاهر هذه الاية يقتضي انه هو الفاعل للايمان
فيهم لان النور ههنا كناية عن الايمان والطاعات والظلمة كناية عن الكفر و
المعاصي ولا معنى لذلك غير ما ذكرناه واذا كان مضيفا للاخراج اليه فهو الفاعل
لما كانوا به خارجين وهذا خلاف مذهبكم **الجواب** قلنا اما النور والظلمة المذكوران
في الاية فجايز ان يكون المراد بهما الايمان والكفر وجايز ايضا ان يراد بهما الجنة
والنار والثواب والعقاب وقد تصح الكناية عن الثواب والنعيم في الجنة بانه نور
وعن العقاب في النار بانه ظلمة واذا كان المراد بهما الجنة والنار ساغ اضافة
اخراجهم من الظلمات الى النور اليه تعالى لانه لا شبهة في انه جل وعز هو المدخل
للمؤمن الجنة والعادل به عن طريق النار والظاهر بما ذكرناه اشبه لانه يقتضي
ان المؤمن الذي يثبت كونه مؤمنا يخرج من الظلمات الى النور فلو حمل على الايمان
والكفر لتناقض المعنى ولصار تقدير الكلام انه يخرج المؤمن الذي تقدم كونه
مؤمنا من الكفر الى الايمان وذلك لا يصح فاذا كان الكلام يقتضي الاستقبال
في اخراج من قد ثبت كونه مؤمنا كان حمله على دخول الجنة والعدول بهم عن طريق
النار اشبه بالظاهر على انا لو حملنا الكلام على الايمان والكفر لصح ولم يكن مقتضيا
لما توهموه ويكون وجه اضافة الاخراج اليه وان لم يكن الايمان من فعله من حيث بيّن ودلّ
وارشد ولطف وسهّل وقد علمنا انه لولا هذه الامور لم يخرج المكلف من
الكفر الى الايمان فتصح اضافة الاخراج اليه لكون ما عددناه من جهته وعلى

هذا يصح من احدنا اذا اشار على غيره بدخول بلد من البلدان ورغبه في ذلك
وعرفه ما فيه من الاصلاح او بمجانبة فعل من الافعال ان يقول انا ادخلت فلانا
البلد الفلاني وانا اخرجته من كذا وكذا وانتشته منه ويكون وجه الاضافة ما ذكرنا
من الترغيب وتقوية الداعي الا ترى انه تعالى قد اضاف اخراجهم من النور الى
الظلمات الى الطواغيت وان لم يدل ذلك على ان الطاغوت هو الفاعل
للكفر في الكفار بل وجه الاضافة ما تقدم لان الشياطين يغوون ويدعون
الى الكفر ويزينونه فعله فتصح اضافته اليهم من هذا الوجه والطاغوت هو
الشيطان وحزبه وكل عدو للّٰه تعالى صد عن طاعته واغرى بمعصيته يصح
اجراء هذه التسمية عليه فكيف تقتضي الاضافة الاولى ان الايمان من فعل اللّٰه
في المؤمن ولم تقتض الاضافة الثانية ان الكفر من فعل الشياطين في الكفار
لولا بله المخالفين وغفلتهم وبعدهم فلو كان الامر على ما ظنوه لم صار اللّٰه تعالى
وليا للمؤمنين وناصرا لهم على ما اقتضته الاية والايمان من فعله لا من فعلهم
ولكان خاذلا للكفار ومضيفا لولايتهم الى الطاغوت والكفر من فعله فيهم
ولم يكن فصل بين الكافر والمؤمن في باب الولاية وهو المتولي لفعل الامرين فيهما
ومثل هذا لا يذهب على احد ولا يعرض عنه الا معاند مغالط لنفسه **اخبرنا**
ابو عبد اللّٰه المرزباني قال ابو بكر محمد بن القاسم الانباري حدثنا احمد بن حيان
قال حدثنا ابو عبد اللّٰه بن النطاح قال اخبرنا ابو عبيدة قال قال عبد اللّٰه بن مسلم
كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج انه ليس شيء من لذة الدنيا الا وقد اصبت
به ولم يبق لي من لذة الدنيا الا مناقلة الاخوان الاحاديث وقبلك عامر الشعبي فابعث
به الي يحدثني فدعا الحجاج الشعبي فجهزه وبعث به اليه وقرظه واطراه في كتابه
فخرج الشعبي حتى اذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب استاذن لي قال من انت
قال عامر الشعبي قال حياك اللّٰه ثم نهض فاجلسني على كرسيه فلم يلبث ان خرج
اليه الحاجب فقال ادخل فدخل قال فدخلت فاذا عبد الملك جالس على كرسي

البقرة

وبين يديه رجل ابيض الراس واللحية جالس على كرسي فسلمت فرد على السلام ثم اوي
الي بقضيبه فقعدت عن يساره ثم اقبل على الذي بين يديه فقال ويحك من اشعر الناس
قال انا يا امير المومنين قال الشعبي فاظلم على ما بيني وبين عبد الملك ولم اصبر ان قلت
ومن هذا يا امير المومنين الذي يزعم انه اشعر الناس فعجب عبد الملك من عجلتي
قبل ان يسئلني عن حالي ثم قال لي هذا الاخطل قلت يا اخطل اشعر منك الذي يقول
هذا غلام حسن وجهه. مستقبل الخير سريع التمام. للحارث الاكبر والحارث الاصغر
والحارث خير الانام. خمسة اباوهم ماهم. هم خير من يشرب صوب الغمام. فقال عبد الملك
ردها على فرددتها حتى حفظها فقال الاخطل من هذا يا امير المومنين قال هذا الشعبي
قال صدق قال والله النابغة اشعر مني ثم اقبل على عبد الملك فقال كيف انت
فقلت بخير لا زلت به ثم ذهبت لاصنع معاذيري لما كان من خلافي على الحجاج مع عبد
الرحمن بن محمد بن الاشعث فقال مه فانا لا نحتاج الى هذا المنطق ولا تراه
منا في قول ولا فعل حتى تفارقنا ثم اقبل على فقال ما تقول في النابغة قلت يا امير عبدالملك
المومنين قد فضله عمر بن الخطاب في غير موطن على جميع الشعراء وذلك انه خرج يوما
وبابه وفد غطفان فقال يا معشر غطفان اي شعرائكم الذي يقول. حلفت فلم
اترك لنفسك ريبة. وليس وراء الله للمرء مذهب. لئن كنت قد بلغت عني جناية.
لمبلغك الواشي اغش واكذب. ولست بمستبق اخا لا تلمه على. شعث اي الرجال
المهذب. قالوا النابغة قال فايكم الذي يقول. فانك كالليل الذي هو مدركي. وان
خلت ان المنتاي عنك واسع. خطاطيف حجن في جبال متينة. تمد بها ايد اليك نوازع.
قالوا النابغة قال فايكم الذي يقول. الى ابن محرق اعملت نفسي. وراحلتي وقد هدت
العيون. اتيتك عاريا خلقا ثيابي. على خوف تظن بي الظنون. فالفيت الامانة
لم تخنها. كذلك كان نوح لا يخون. قالوا النابغة قال هذا اشعر شعرائكم ثم اقبل بهم
عبد الملك على الاخطل وقال اتحب ان لك قياضا بشعرك شعر احد من العرب ام تحب انك
قلته فقال لا والله الا اني وددت اني كنت قلت ابياتا قالها رجل منا كان والله مغدف

القناع قليل السماع قصير الذراع قال وما قال فانشده. انا محيوك فاسلم ايها
الطلل. وان بليت وان طالت بك الطيل. ليس الجديد به تبقى بشاشته الا قليلا
ولا ذو خلة يصل. والعيش لا عيش الا ما تقربه. عين ولا حال الا سوف ينتقل
ان ترجعي من ابي عثمان منجحة. فقد يهون على المستنجح العمل. والناس من يلق
خيرا قائلون له. ما يشتهي ولام المخطي الهبل. قد يدرك المتاني بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزلل. قال الشعبي فقلت قد قال القطامي افضل من
هذا قال وما قال قلت قال. طرقت جنوب رحالنا من مطرق. ما كنت احسبها
قريبة المعنق. حتى اتيت على اخر القصيدة. وقال عبد الملك ثكلت القطامي
امه هذا والله الشعر قال فالتفت الى الاخطل فقال يا شعبي ان لك فنونا في
الاحاديث وانما لنا فن واحد فان رايت ان لا تحملني على اكتافك فن قومك فادعهم حرضا
قلت لا اعرض لك في شيء من الشعر ابدا فاقلني هذه المرة قال من يكفل بك قلت
امير المومنين فقال عبد الملك هو علي ان لا يعرض لك ابدا ثم قال يا شعبي اشعر شعراء الجاهلية م
كان اشعر من النساء قلت الخنساء قال ولم فضلتها على غيرها قلت لقولها
وقائلة والنعش قد فات خطوها. لتدركه يا لهف نفسي على صخر. الا ثكلت
ام الذين غدوا به. الى القبر ماذا يحملون الى القبر. فقال عبد الملك اشعر منها
والله ليلى الاخيلية حيث تقول. مهفهف الكشح والسربال منخرق. عنه
القميص لسير الليل محتقر. لا يامن الناس ممساه ومصبحه. في كل فج وان لم يغز ينتظر
ثم قال يا شعبي لعله شق عليك ما سمعت قلت اي والله يا امير المومنين اشد
المشقة اني لمحدثك منذ شهرين لم افدك الا ابيات النابغة في الغلام قال يا شعبي
انما اعلمناك هذا لانه بلغني ان اهل العراق يتطاولون على اهل الشام ويقولون
ان كانوا غلبونا على الدولة فليس يغلبونا على العلم والرواية واهل الشام اعلم بعلم
اهل العراق من اهل العراق ثم رد على ابيات ليلى حتى حفظتها واذن لي وكتب
فكنت اول داخل واخر خارج قال المرتضى رضي الله عنه الصحيح في الرواية ان

ان البيتين اللذين رواهما عبد الملك ونسبهما الى ليلى الاخيلية لاعشى باهلة
يرثى المنتشر بن وهب الرابحى فى هذه القصيدة من المراثى المفضلة المشهورة بالبراعة والبلاغة
وهى . انى اتتنى لسان لا اسر بها . من علو لا عجب منها ولا سخر . فظلت مكتئبا حيران
اندبه . وكنت احذره لو ينفع الحذر . فجاشت النفس لما جاء جمعهم . وراكب جاء
من تثليث معتمر . ياتى على الناس لا يلوى على احد . حتى التقينا وكانت دوننا
مضر . ان الذى جئت من تثليث تندبه . منه السماح ومنه النهى والغير .
نعى امرا لا تغب الحى جفنته . اذ الكواكب لخوى نوءها المطر . وراحت الشول
مغبرا مناكبها . شعثا تغير منها النى والوبر . والجاء الكلب موقوع الصقيع به .
والجاء الحى من تنفاحها الحجر . عليه اول زاد القوم قد علموا . ثم المطى اذا ما
ارملوا جزر . قد تكظم البزل منه حين تبصره . حتى تقطع فى اعناقها الجرر .
اخو رغايب يعطيها ويسلبها . يابى الظلامة منه النوفل الزفر . لم ترد ارضا
ولم تتمع بساكنها . الا بها من بوادى وقعه اثر . وليس فيه اذا استنظرته
عجل . وليس فيه اذا ياسرته العسر . فان يصبك عدو فى مناوات . يوما
فقد كنت تستعلى وتنتصر . من ليس فى خيره من يكدره . على الصديق ولا
فى صفوه كدر . اخو شروب ومكساب اذا عدموا . وفى المخافة منه الجد
والحذر . مردى حروب ونور يستضاء به . كما اضاء سواد الظلمة القمر .
مهفهف اهضم الكشحين منخرق . عنه القميص لسير الليل محتقر . طاوى المصير
على العزاء منجرد . بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر . لا يصعب الامر الا ريث القرآء
يركبه . وكل امر سوى الفحشاء ياتمر . معنى لا يصعب اى لا يجده صعبا
لا يتارى لما فى القدر يرقبه . ولا يعض على شرسوفه الصفر . لا يغمز الساق
من اين ولا نصب . ولا يزال امام القوم يقتفر . لا يامن الناس ممساه ومصبحه
فى كل فج وان لم يغز ينتظر . تكفيه حزة فلذان الم بها . من الشواء ويروى شربه الغمر
لا تامن البازل الكوماء عدوته . ولا الامون اذا ما اخرو السفر . كانه بعد صدق

الناس انفسهم . بالباس تلمع من قدامه البشر . قال المبرد لا نعلم بيتا فى يمن النقيبة
وبركة الطلعة ابرع من هذا البيت . لا يعجل القوم ان تغلى مراجلهم . ويدلج الليل
حتى يفسح البصر . عشنا به حقبة حيا ففارقنا . كذلك الرمح ذو النصلين ينكسر
اصبت فى حرم منا اخا ثقة . هند بن اسما لا يهنى لك الظفر . لو لم تخنه نفيل وهى
خائنة . لصبح القوم وردا ماله صدر . واقبل الخيل من تثليث مصغية . وضم
اعينها رغوان او حضر . اما سلكت سبيلا كنت سالكها . فاذهب فلا يبعدنك
الله منتشر . وقد رويت هذه القصيدة للدعجا اخت المنتشر وقيل لليلى اخته
ولعل الشبهة الواقعة فى نسبتها الى ليلى الاخيلية من هيهنا والصحيح ما ذكرناه
واخبرنا ابو الحسن على بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم
عن ابى عبيدة عليه السلم قال وفد الاخطل على معوية فقال انى قد مدحتك
بابيات فاسمعها فقال ان كنت شبهتنى بالحية او الاسد او الصقر فلا
حاجة لى فيها وان كنت قلت فى كما قالت الخنسا . وما بلغت كف امرئ متناول
بها المجد الا حيث ما نلت اطول . وما بلغ المهدون فى القول مدحة . وان
صدقوا الا الذى فيك افضل . فهات فقال الاخطل والله لقد احسنت
وقلت بيتين ما هما بدون ما سمعته وانشدته . وردت كفا الراغبين وامسكوا   اذا امت مات العرف وانقطع التى
من الدين والدنيا بخلف مجدد . فاحسن صلته واخبرنا المرزبانى قال اخبرنا   لم يبق الا من قليل مصرد
ابرهيم النحوى قال اخبرنا احمد بن يحيى بن الاعرابى الشدهم . مررنا عليه وهو يكعم
كلبه . دع الكلب ينبح انما الكلب نابح . قوله يكعم كلبه اى يسد فاه خوفا
ان ينبح فيدل عليه وقال اخر . ونكعم كلب الحى من خشية القرى . ونارك كا
لعذرا من دونها ستر . قال وقد قال الاخطل . قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم   نضغت فرجها بخلا بسولتها
قالوا لامهم بولى على النار . وقال ابو عبيد الله وسمعت محمد بن يزيد   ولا تبول لها الا بمقدار
الازدى يقول هذا من اهجى ما هجى به جرير لانه جعل نارهم تطفيها البولة
وجعلهم يامرون امهم بالبول استخفافا بها المجلس الخمسون انا فى بل ابنة

ان سئل سائل فقال ما تاويل هذه الاية . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب . اوليس ظاهر هذه الاية يقتضى انه تعالى يجوز ان يزيغ القلوب عن الايمان حتى تصح مسئلته ان لا يزيغها ويكون هذا الدعاء مفيدًا الجواب قلنا فى هذه الاية وجوه اولها ان يكون المراد بالاية ربنا لا تشدد علينا المحنة فى التكليف ولا تشق علينا فيه فيفضى بنا ذلك الى زيغ قلوبنا بعد الهداية وليس يمتنع ان يضيفوا ما يقع من زيغ قلوبهم عند تشديده تعالى المحنة عليهم اليه كما قال تعالى فى السورة انها زادتهم رجسا الى رجسهم وكما قال تعالى مخبرا عن نوح عليه السلم فلم يزدهم دعائى الا فرارا فان قيل كيف يشدد عليهم فى المحنة قلنا بان يقوى شهواتهم لما قبح فى عقولهم ونفورهم عن الواجب عليهم فيكون التكليف عليهم بذلك شاقا والثواب المستحق عليه عظيما متضاعفا وانما يحسن ان يجعله شاقا تعريضا لهذه المنزلة وثانيها ان يكون ذلك دعاء بالتثبيت على الهداية وامدادهم بالالطاف التى معها يستمرون على الايمان فان قيل وكيف يكون مزيغا القلوبهم بانه لا يفعل اللطف قلنا من حيث كان المعلوم انه متى قطع امدادهم بالطافه وتوفيقاته زاغوا وانصرفوا عن الايمان ويجرى هذا مجرى قولهم اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا معناه لا تخل بيننا وبين من لا يرحمنا فيتسلط علينا ومثله قول الشاعر . اتانى ورحلى بالمدينة وقعة . لال تميم اقعدت كل قايم . اراد قعد لها كل قايم فكانهم قالوا لا تخل بيننا وبين نفوسنا وتمنعنا الطافك فنزيغ ونضل وثالثها ما اجاب بها ابو على محمد بن عبد الوهاب الجبائى لانه قال المراد بالاية ربنا لا تزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك ومعنى هذا السؤال انهم سئلوا الله تعالى ان يلطف لهم فى فعل الايمان حتى يقيموا عليه ولا يتركوه فى مستقبل عمرهم فيستحقوا بترك الايمان ان تزيغ قلوبهم عنه واجاب بان من الثواب الذى فى قلوب المؤمنين ما ذكره الله تعالى من الشرح والسعة بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام

عن الثواب وان نفعل بهم بدلا منه العقاب فان قال قايل فما هذا الثواب الذى فى قلوب المومنين حتى عمتم انهم سالوا الله تعالى ان لا يزيغ قلوبهم عنه

وقوله لرسوله عليه السلم الم نشرح لك صدرك . وذكر ان ضد هذا الشرح هو الضيق والحرج اللذان يفعلان بالكفار عقوبة قال ومن ذلك ايضا التطهير الذى يفعله فى قلوب المومنين كما قال تعالى . اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه وضد هذه الكتابة هى سمات الكفر التى فى قلوب الكافرين فكانهم سئلوا الله تعالى ان لا يزيغ قلوبهم عن هذا الثواب الى ضده من العقاب ورابعها ان تكون الاية محمولة على الدعا بان لا تزيغ القلوب عن اليقين والايمان ولا يقتضى ذلك انه تعالى سئل عما كان لا يجب ان يفعله وما لولا المسئلة لجاز فعله لانه غير ممتنع ان ندعوه على سبيل الانقطاع اليه والافتقار الى ما عنده بان يفعل ما نعلم انه لا بد من ان يفعله وبان لا يفعل ما نعلم انه واجب ان لا يفعله اذا تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال تعالى حاكيا عن ابرهيم عليه السلم ولا تخزنى يوم يبعثون وكما قال تعالى فى تعليمنا ما ندعوا به قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن وكقوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به على احد الاجوبة وكل ما ذكرناه واضح بين بحمد الله قال المرتضى رضى الله عنه وانى لاستحسن قول الراعى فى وصف الاثافى والرماد فلقد طبق وصف المفصل مع جزالة الكلام وقوته واستوائه واطراده . واورق من عهد ابن عفان حوله . حواضن الاف على غير مشرب . وراد الاعالى اقبلت بنحورها على راشح ذى شامة متقوب . كان بقايا لونه فى متونها . بقايا هناء فى قلائص جرب . الاورق الرماد وجعل الاثافى له كالحواضن لاحتضانها واستدارتها حوله واراد بوراد الاعالى ان الوانها تضرب الى الحمرة وخص الاعالى لانها مواضع القدر فلا تكاد تسود والراشح هو الراضع وانما شبه الرماد بينهن بفصيل بين اضاء والتقوب الذى قد انحسر اعلاه وشبه ما سودت النار منهن باثر قطران على قلايص جرب والمجرب الذى قد جرب ابله ونظير هذا المعنى بعينه اعنى تشبيه تسويد النار بالهناء قول ذى الرمة . عفا الزرق من اطلال مية فالدحل فاجماد حوضى حيث زاحمها الحبل . سرى اثرى سوداء من غير خلقة . تخطاها

وهو الذى منه الكافرين فقال تعالى اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم قال ومن ذلك ايضا كتابته الايمان فى قلوبهم المومنين كما

وارتث جاراتها النقل. من الرضم البيض غير لونها. نبات فراض المرخ واليابس الجزل
كجربا دثت بالهناء فاقضيت. بارض خلاء ان تقاربها الابل قوله سوداء
من غير خلقة لان السواد ليس بخلقة بها وانما سودتها النار وقوله تخطاها
النقل اى تجاوزها فلم تحمل من مكان الى مكان بل بقيت مفردة وارتث جاراتها
الاثافى اللواتى كن معها والمرتث هو المنقول من مكان الى مكان واصل ذلك
فى الجريح والعليل يقال ارتث الرجل ارتثاثا اذا حمل من المعركة وبه رمق
قال النضر بن شميل معنى ارتث صرع وقال ابو زيد هو ماخوذ من قولهم
ارتثنا رثة القوم اذا جمعوا ردئ متاعهم بعد ان يتحملوا من موضعهم و
كلا المعنيين يليق ببيت ذى الرمة لانه قد يجوز ان يريد صرعن وبقيت ثابتة
قايمة والرضم حجارة بيض بعضها على بعض والفراض جمع فرض وهو الحز الذى
يكون فى الزند وعنى ببنات فراض المرخ شرر النار الخارجة من ذلك الفرض
والمرخ شجر يتخذ منه الزند ومن امثالهم فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وهذا
المثل يضرب للرجل الكريم يفضل القوم ويزيد عليهم فكان المعنى كل القوم كرام
واكرمهم فلان ومعنى كجربا دثت بالهناء انه شبه الاثفية المنفردة بناقة جربا قد اديت
وابعدت عن الابل حتى لا تجرها ولا تعديها ومعنى دثت بالهناء طليت به وفى قول
الراعى مثل قول الشماخ بن ضرار. اقامت على ربعيهما جارتا صفا. كميت الاعالى
جونتا مصطلاهما. يعنى بربعيهما منزلى الامرأتين اللتين ذكرهما ويعنى بجارتا
صفا الاثفيتين لانهما مقطوعتان من الصفا الذى هو الصخر ويمكن فى قوله جارتا صفا
وجه اخر وهو احسن من هذا وهو ان الاثفيتين توصفان قريبا من الجبل
لتكون حجارة الجبل ثالثة لهما وممسكة للقدر معهما ولهذا تقول العرب
رماه بثالثة الاثافى اى بالصخرة والجبل وشبه اعلاهما بلون الكميت وهو لون
الحجر نفسه لان النار لم تصل اليه فتسوده ومصطلاهما جونان اى اسود لان النار
قد سفعته وسودته وقال الراعى فى وصف الاثافى ايضا. اذاع باعلاه وابقى

شريد

بقوله وارتث جاراتها اى نقلن عنها ويجوز ان يريد

وراد الاعالى شبه ص

شريد. ذرا مجنحات بينهن فروج. كان بجرع الدار لما تحملوا. سلايب ورق بينهن
خديج. اذاع باعلاه يعنى الرماد لان السافى يطير ظاهره وما علا منه وابقى شريد
اى بقى ما شرد على السافى فلم يطر وذرا مجنحات يعنى الاثافى وذرا كل شى جانبه
وما استذريت به منه والمجنحات المسبلات والسلايب جمع سلوب وهى الناقة
التى قد سلبت ولدها بموت او نحر فقد عطفت على حوار اخر والخديج الذى قد سقط
لغير تمام والورق اللواتى الوانهن كلون الرماد وفى معنى قول الراعى وابقى شريد
ذرا مجنحات قول المخبل السعدى. دارى لها دارا باعذرة. السيدان لم يدرس لها
الا رمادا هامدا دفعت. عنه الرياح خوالد سحم. الا ههنا بمعنى الواو فكانه
قال وارى رمادا هامدا ولولا ان الا ههنا بمعنى الواو لفسد الكلام ونقض
اخره اوله لانه قال فى اخر البيت ان الخوالد السحم دفعت عنه الرياح فلم يتشعث
اذا من جملة ما لم يدرس بل هو داخل فى جملته وللراعى ايضا فى الاثافى. اثخن
وهن اغفال عليها. فقد ترك الصلاء بهن نارا. شبه الاثافى بنوق اثخن
اغفالا ليست عليهن سمة ثم اخبر ان الوقود اثر فيهن اثرا كالسمة والنار السمة
تقول العرب ما نار بعيرك اى ما سمته وفى امثالهم نجارها نارها اى سمتها تدل على كرمها
يضرب ذلك للرجل ترى له ظاهرا حسنا يدل على باطن خير وقال عدى
ابن الرقاع العاملى. الا رواكد كلهن قد اصطلى. حمرا اشعل اهلها ايقادها.
كانت رواحل للقدور فعريت. منهن واستلب الزمان رمادها. وقال
الاشعر بجعفى. الا رواكد بينهن خصاصة. سفع المناكب كلهن قد اصطلى.
وقال حميد بن ثور. فتغيرت الا ملاعبها. ومعرسا من جونة ظهر. عرش الثقاب
لها بدار مقامة. للحى بين نظاير وتر. الجون القدر ويقال قدر ظهر وقدور
ظهور اذا كانت قديمة وعرش اى جعل مثل العريش يعنى الوقود والثقاب
ما ثقبت من الوقود والنظاير هى الاثافى والوتر الفرد واراد انها ثلاث وقال
الكميت بن زيد. ولن يجيبك الا ظار معطفة. بالقاع لا تملك فيها ولا ميل

ليست بعوذ ولم تعطف على رُبَع. ولا يهيب بها ذو التنية لا ابل. يعني الاثافي
وشبه تعطفها على الرماد بنوق أظار قد عُطفن على فصيل والتمُوك انتصاب
السنام والمبل من صفة السنام والعايذ من النوق التي يتبعها ولدها والرُبع الذي
نُتج في اول الربيع والاهابة الدعاء اهاب بابله اذا دعاها وذو التنية الذي قد نوى
الرحيل والاصاحب الابل وقال ذو الرمة. فلم يبق الا ان ترى في محلة. رمادا نحت
عنه السيول جنادله. كان الحمام الورق في الدار وقعت على حرق الظؤر جوازله
شبه الاثافي بالحمام الورق وجعلها ظؤرا لتعطفها على الرماد وشبه الرماد
بفرخ حرق قد سقط ريشه والجوازل الفراخ واحدها جوزل وقال البعيث
الاحيا الربع القواء وسلما. ورسما كجثمان الحمامة ادهما. قيل الحمامة ههنا القطا
وانه شبه الوسوم من الرماد وموقد نار ودمنة وتحرطب وما اشبه هذه
الاشيا بالوان ريش القطا ومثله لجرير. كان رسوم الدار ريش حمامة. محاها
البلى واستعجمت ان تكلما. ولقد احسن كل الاحسان كثير في قوله امن آل ليلة
بالدخول رسوم. وبحومل طلل يلوح قديم. لعب الرياح بربعه فاجده. جون
عواكف في الرماد جثوم. سفع الخدود كانهن وقد مضت. حجج عوايد بينهن
سقيم. قيل في قوله فاجده جون عواكف يعني الاثافي لان الريح لما كشفت عنها
وظهرت صارت كانها احدثت الرسم ويحتمل وجها اخر وهو ان يكون معنى جلت
انها حمت الرماد التي حالت به عن لعب الرياح فبقي بحاله يستدل به المترسم
فكان الرياح درست الرسم ومحته والا ما احدته هذه الاثافي من الرماد.
ومنعت الريح منه ويجري ذلك مجرى قول المخبل الا رمادا هامدا البيت وقال المرار
الفقعيسي في الاثافي. اثر الوقود على جوانبها. بخدودهن كانه لطم. ويقال
ان ابا تمام الطائي اخذ ذلك في قوله. ففوا نعط المنازل من عيون. لها في الشوق
احشاء غزار. عفت آياتهن واي ربع. يكون له على الزمن الخيار. اثافٍ كالخدود
لُطمن حزنا. ونوي مثل ما انفصم السوار. وقد عاب عليه قوله لطمن حزنا بعض

من لامعرفة له وقال لا فايدة في قوله حزنا ولذلك فاته وذلك ان اللطم للحزن
يكون اوجع واغلب واتم فتاثيره ابين واظهر وقد يكون اللطم لغير الحزن فاما
قوله ونوي مثل ما انفصم السوار المعصم وقد شبه الناس النوي بالسوار والخلخال
كثيرا وبغير ذلك قال كثير. عرفت لسعدى بعد عشرين حجة. لها درس نوي
في المحلة ممحن. قديم كوقف العاج ثبت حوله. مغار زاوتاد بوضم موضن.
الوقف السوار من الذبل ومن العاج والوضم صخور عظام والموضن الذي
بعضه فوق بعض وقال بشار. ونوي كخلخال الفتاة وصايم. اشج على ريب الزمان
رقوب. الصايم الاشج يعني الوتد وانما وصفه بانه صايم لقيامه وثباته وجعله
رقوبا لانفراده والمراة الرقوب والشيخ الرقوب الذي لا يعيش له ولد ومن مستحسن
ما وصف به النوي قول ابي تمام. والنوي اهمد شطره فكانه. تحت الحوادث
حاجب مقرون. وقال المتنبي في ذلك. قف على الدمنتين بالدو من ريا كخال
في وجنة جنب خال. بطلول كانهن نجوم. في عراص كانهن ليالي. ونوي كانهن
عليهن. خدام خرس بسوق خدال. الخدام جمع خدمة وهي الخلخال وجعلها
خرسا لانها غير قلقة وشبهها احدق به النوي من الارض وامتلائها
بامتلاء الخلخال من الساق الجدلة وهي الممتلية المجلس الخمسون تاويل آية
ان سال سائل عن قوله تعالى ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا
هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين. قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا
ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها
بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي
ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة
لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الان جئت
بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون فقال ما تاويل هذه الايات وهل

ماخوذ من قول الشاعر نوي كما نقص الهلال تبه
ارضها ما فصم السوار

البقرة التي نعتت بجميع النعوت هي البقرة المرادة باللفظ الاول والتكليف واحد
والمراد مختلف والتكليف متغاير الجواب قلنا اهل العلم في تاويل هذه الاية — واحد او المراد م
مختلفون بحسب اختلاف اصولهم فمن جوز تاخير البيان عن وقت الخطاب
يذهب الى ان التكليف واحد وان الاوصاف المتاخرة هي للبقرة المتقدمة
وانما تاخر البيان ولما سال القوم عن الصفات ورد البيان شيئا بعد
شيء ومن لم يجوز تاخير البيان يقول ان التكليف متغاير وانهم لما قيل لهم
اذبحوا بقرة لم يكن المراد منهم الا ذبح اي بقرة شاءوا من غير تعيين بصفة
ولو انهم ذبحوا اي بقرة اتفقت لهم كانوا قد امتثلوا الامر فلما لم يفعلوا كلفوا
ذبح بقرة لا فارض ولا بكر ولو ذبحوا ما اختص بهذه الصفة من اي لون كان
لاجزاء عنهم فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة اصفر ولو ذبحوا ما اختص بهذه
الصفة من اي لون كان لاجزاء عنهم فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح ما اختص
بالصفات الاخيرة ثم اختلف هؤلاء من وجه اخر فمنهم من قال في التكليف
الاخير انه يجب ان يكون مستوفيا لكل صفة تقدمت حتى تكون البقرة
مع انها غير ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها صفراء
فاقع لونها ولا فارض ولا بكر ومنهم من قال انما يجب ان تكون بالصفة
الاخيرة فقط دون ما تقدم وظاهر الكتاب بالقول الاول المبني على جواز
تاخير البيان اشبه وذلك انه تعالى لما كلفهم ذبح بقرة قالوا للرسول ادع
لنا ربك يبين لنا ما هي فلا يخلوا قولهم ما هي من ان تكون كناية عن البقرة
المتقدم ذكرها او عن غير التي امروا بها فابوا عن قول من يدعي ذلك وليس يجوز
ان يكونوا سئلوا عن صفة غير التي تقدم ذكرها لان الظاهر من قولهم ما هي
بعد قوله لهم اذبحوا بقرة يقتضي ان يكون السؤال عن صفة البقرة المامور بذبحها
وانه لا علم لهم بتكليف ذبح بقرة اخرى فيستفهموا عنها واذا صح ان
السؤال انما كان عن صفة البقرة المنكرة التي امروا في الابتداء بذبحها فليس يخلوا

وذ

ل - ا

قوله انها بقرة لا فارض ولا بكر من ان يكون كناية عن البقرة الاولى او عن
عن غيرها وليس يجوز ان يكون ذلك كناية عن بقرة ثانية لان ظاهر قوله تعالى
انها بقرة من صفتها كذا بعد قولهم ما هي يقتضي ان يكون كناية متعلقة بما
تضمنه سؤالهم ولان الامر لو لم يكن على ما ذكرناه لم يكن ذلك جوابا لهم بل كان
يجب ان يكونوا سئلوا عن شيء فاجابهم عن غيره وهذا لا يليق بالنبي عليه السلام
على انه لو اراد ان يكلفهم تكليفا ثانيا عند تفريطهم في الاول على ما يدعيه من ذهب
الى هذا المذهب لكان يجب ان يجيب عن سؤالهم وينكر عليهم الاستفهام في
غير موضعه وتفريطهم فيما امروا به مما لا حاجة بهم الى الاستفهام عنه فيقول
في جواب قولهم ما هي انما كلفتم اي بقرة شئتم وما يستحق اسم بقرة وقد فرطتم
في ترك الامتثال واخطاتم في الاستفهام مع وضوح الكلام الا انكم قد كلفتم
ثانيا كذا وكذا لان هذا مما يجب عليه بيانه لازالة الابهام واللبس فلما لم يفعل
ذلك واجاب بالجواب الذي ظاهره يقتضي التعلق بالسؤال علم ان الامر على ما ذكرنا
وهو انه لم يفعل ذلك في اول سؤال كيف لم يفعله مع تكرار الاسولة والاستفهامات
التي لم تقع على هذا المذهب موقعها ومع تكرار المعصية والتفريط كيف يستحسن
ان يكون جميع اجوبته غير متعلقة باسولتهم لانهم يسئلون عن صفة شيء فيجيبهم
بصفة غيره من غير بيان بل على اقوى الوجوه الموجبة لتعلق الجواب بالسؤال لان
قول القايل في جواب من سئله ما كذا وكذا انه بالصفة الفلانية صريح في ان
الهاء كناية عما وقع السؤال عنه هذا مع قولهم ان البقر تشابه علينا لانهم
لم يقولوا ذلك الا وقد اعتقدوا ان خطابهم مجمل غير مبين فلم لم يقل لهم اي تشابه
عليكم وانما امرتم في الابتداء باي بقرة كانت وفي الثاني بما اختص باللون المخصوص — بالصفة المخصوصة وفي اي بقر كان وفي الثالث بما خص
من اي بقر كان فان قيل كيف يجوز ان يامرهم بذبح بقرة لها جميع الصفات المذكورة الى اخر
الكلام ولا يبين لهم ذلك وهل هذا الا تكليف ما لا يطاق قلنا لم يرد منهم ان
يذبحوا البقرة في الثاني من حال الخطاب ولو كانت حال الفعل حاضرة لما جاز

جاز ان يتاخر البيان لان تاخره عن وقت الحاجة هو القبيح الذى لا شبهة فى قبحه
وانما اراد ان يذبحوها فى المستقبل فلو لم يستفهموا ويطلبوا عن البيان لكان قد ورد
عليهم عند الحاجة اليه فان قيل اذا كان الخطاب غير متضمن لصفة ما امروا بذبحه
فوجوده كعدمه وهذا يخرجه من باب الفايدة ويوجب كونه عبثا قلنا ليس يجب
ما ظننتم لان القول وان لم يفد صفة البقرة بعينها فقد افاد تكليف ذبح بقرة
على سبيل الجملة ولم يكن ذلك معلوما قبل هذا الخطاب فصار مفيدا من حيث ذكرنا
وخرج من ان يكون وجوده كعدمه وفوايد الكلام لا يجب ان يدخلها الاقتراح
وليس يخرج الخطاب من تعلقه ببعض الفوايد كونه غير متعلق بغيرها ومما هو زايد
عليها فان قيل ظاهر قوله تعالى ﴿فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾ يدل على استبطاء
وذمهم على التقصير فى امتثال الامر قلنا ليس ذلك صريح ذم لان كادوا للمقاربة
وقد يجوز ان يكون التكليف صعب عليهم لغلاء ثمن البقرة التى تتكامل لها تلك
الصفات فقد روى انهم ابتاعوها بملء جلدها ذهبا على ان الذم يقتضى ظاهره
ان ينصرف الى تقصيرهم او تاخيرهم امتثال الامر بعد البيان التام لان قوله تعالى
﴿وما كادوا يفعلون﴾ انما ورد بعد تقدم البيان التام المكرر ولا يقتضى ذمهم
على ترك المبادرة فى الاول الى ذبح بقرة فليس فيه دلالة على ما يخالف ما ذكرناه
فان قيل لو ثبت تقدير ان التكليف فى البقرة متغاير اى القولين الذين حكيتموهما
عن اهل هذا المذهب اصح واشبه قلنا قول من ذهب الى ان البقرة يجب ان تكون
بالصفة الاخيرة فقط لان الظاهر به اشبه من حيث انه اذا ثبت تغاير التكليف
وليس فى قوله انها بقرة لا ذلول تثير الارض الى اخر الاوصاف ذكر لما تقدم
من الصفات وهذا التكليف غير الاول فالواجب اعتبار ما تضمنه لفظه والاقتصار
عليه فاما الفارض فهى المسنة وقيل هى العظيمة الضخمة يقال غرب فارض اى ضخم والغرب
الدلو ويقال ايضا لحية فارضة اذا كانت عظيمة والاشبه بالكلام ان يكون المراد
المسنة فاما البكر فهى الصغيرة التى لم تلد فكانه تعالى قال تكون غير مسنة ولا صغيرة

والعوان

والعوان دون المسنة وفوق الصغيرة وهى النصف التى ولدت بطنا او بطنين
ويقال حرب عوان اذا لم تكن اول حرب وكانت ثانية وانما جاز ان يقول بين ذلك
وبين لا يكون الا مع اثنين او اكثر لان لفظة ذلك تنوب عن الجمل تقول ظننت
زيدا قايما ويقول القايل قد ظننت ذلك ومعنى فاقع لونها اى خالص الصفرة
وقيل ان كل ناصع اللون بياضا كان او غيره فهو فاقع وقيل انه اراد بصفراء
ههنا سوداء ومعنى قوله تعالى ﴿لا ذلول تثير الارض﴾ اى تكون صعبة لا يذللها
العمل فى اثارة الارض وسقى الزرع ومعنى مسلمة مفعلة من السلامة من العيوب
وقال قوم مسلمة لا شية فيها اى لا شية فيها تخالف لونها وقيل لا شية فيها اى من الشية
لا عيب فيها وقيل لا وضح فيها وقيل لا لون يخالف لون جلدها والله اعلم
بما اراد واياه نسئل حسن التوفيق قال المرتضى رضى الله عنه كنت اظن ان المتنبى
تفرد بالسبق الى قوله فى مرثية لاخت سيف الدولة. طوى الجزيرة حتى جاءنى خبر
فزعت فيه بامالى الى الكذب. حتى اذا لم يدع لى صدقه املا. شرقت بالدمع
حتى كاد يشرق بى. حتى رايت هذا المعنى لمسلم بن الوليد الانصارى وللبحترى
اما الذى لمسلم فقوله من قصيدة يرثى بها سهل بن صباح. وقفت العفاة عليك
من متحير وله الرجاء ذى الغنى يسترجع. ويخادع السمع النعى ودونه. خطب الم
بصادق لا يخدع. وقال البحترى يصف ويرثى وصيفا التركى. اذا حدثنا عنه بتوهمنا انه
بكر من اخباره قول مازح. وكنت اظن ان المتنبى قد سبق الى قوله. يحل القنا يوم
الطعان بعقوتى. فاحرمه عرضى واطعمه جلدى. حتى رايت هذا المعنى واللفظ بعينه
لجهم بن شبل الكلابى من اهل اليمامة فى قوله. تبا قومه عن حد رجان وقد جنا
الى الموت داى الصفحتين كليم. اخو الحرب باجلده تجرح. كليم واما عرضه فسليم
وكنت اظن البحترى قد سبق الى معنى قوله فى الفتح بن خاقان. حملت عليه السيف
لا عزمك انثنى. ولا يدك ارتدت ولا حده نبا. حتى وجدت لشاعر متقدم.
طعنت ابن عمار بنجران طعنة. شققت بها عنه مضاعفة السرد. فلا الكف واهت

ولا الروح خانني. ولا الادهم المنعوت جاد عن القصد. قال محمد بن يحيى الصولى
وصف الناس صفرة اللون فى العلل فكل حكى ذلك بلا تفضيله الا البحترى قال
اعرابى من ابيات. جعلت وما بى من عِظَمٍ كانما. جرى بين جلدى والعظام خلوق
وقال ابو تمام. لم تُشِن وجهه المليح ولكن. جعلت ورد وجنتيه بهارا.
وقال غيره. ولم تشن شيئا ولكنها. بدلت التفاح بالياسمين. وقال بكر بن عيسى
علته زعفرت مورد خده. كادمن رقته ورى يفيض. ولاحمد بن يزيد المهلبى
وقالوا عرتها حمى شديدة فوجنتها منها شديد صفارها. فقلت لهم هيهات
ها تيك روضة. مضى ورد ها عنها وجاء بهارها. ولابى العتاهية وكانني
بما تطاول بى منك السقام طليت بالورس. وقال ابن المعتز. وصفرت علته
وجهه. فصار كالدينار من خوق. وقال البحترى. بدت صفرة فى لونه ان حمدهم.
من الدر ما اصفرت نواحيه فى العقد. وحرت على الايدى مجسه كفه. كذلك النجم
البحر ملتهب الوقد. وما الكلب محموما وان طال عمره. ولكنما الحمى على الاسد الورد.
قال المرتضى رضى الله عنه اما تشبيهه صفرة اللون بصفرة الدر فهو تشبيه مليح
موافق لغرضه الا انه اخطا فى قوله ان حمدهم من الدر ما اصفرت نواحيه
فى العقد لان ذلك ليس بمحمود بل مذموم ولو شبه وترك التعليل لكان اجود
وروى ابو العباس احمد بن فارس المنبجى قال حدثنى ابو احمد عبيد الله بن يحيى البحترى
قال حدثنى ابى قال حدثنى جدى البحترى قال كنت عند ابى العباس المبرد فتذاكرنا
شعر عمارة بن عقيل فى قوله لخالد بن يزيد لما وجه اليه بهذين البيتين. ولم استطع
سير المدحة خالد. فجعلت مدحته اليه رسولا. فليرحلن الى نائل خالد.
وليكفين رواحلى الترحيلا. قال البحترى فقلت له لمروان بن ابى حفص فى عبد الله
بن طاهر وقد اتاه نائله من الجزيرة ما هو احسن من هذا وانشدته. لعمرى لنعم
الغيث غيث اصابنا. ببغداد من ارض الجزيرة وابله. وكنا كحى صبح الغيث اهله
ولم ترتحل اظعانه ورواحله. فقال نعم هذا احسن فقلت ان لى فى بنى السمط

قال لى لقد احسن عمارة بن عقيل

وقد اتانى

١٧١

وقد اتانى برهم من حمص ما لا ينضع عن الجميع وانشدته. جزى الله خيرا والجزاء بكفه
بنى السمط اخدان السماحة والمجد. هم وصلونى والمهامه بيننا. كما ارفض غيث من تهامة
فى نجد. فقال هذا والله ارق مما قالا واحسن وروى احمد بن فارس المنبجى عن عبيد الله
بن يحيى بن البحترى قال حدثنى ابى عن جماعة من اهل العلم والادب منهم يموت بن
المزرع قال قلت لابى عثمان الجاحظ من انسب العرب قال الذى يقول. عجلت
الى فضل الخمار فاثرت. عذباته بمواضع التقبيل. وهذا للبحترى التى اولها. صب
يخاطب مفحمات طلول قال المرتضى رضى الله عنه وفى نسيب هذه القصيدة بيت
اخر ليس يقصر فى ملاحة الكلام ورشاقته واخذ بمجامع القلوب عن البيت الذى
فضله به الجاحظ وهو. الخيب عندك والصبى لى شافع. واردد ونك والشباب
رسولى. وفى مديح هذه القصيدة بيت معروف بفرط الحسن وهو. لا نطلبن
له الشبيه فانه. قمر التامل من منى التاميل. وبهذا الاسناد عن يحيى بن البحترى.
انى الذى اندت يومك هذا من ابى العباس فقلت املى على اخبارا حسنة وانشدنى ابياتا
للحسين بن الضحاك فقال ابى انشدنى الابيات فانشدته. كانى اذا فارقت شخصك
ساعة. لفقدك بين العالمين غريب. وقد رمت اسباب السلو فخاننى ضمير
عليه من هواك رقيب. اغرك صفحى عن ذنوب كثيرة. وغضى على الاشياء منك
تريب. كان لم يكن فى الناس قبلى متيم. ولم يك فى الدنيا سواك حبيب
الى الله اشكو ان شكوت فلم يكن. لشكواى من عطف الحبيب نصيب. فقال
ما احسن هذا الكلام ثم انشدنى لنفسه. حبيبى حبيب يكتم الناس انه
لنا حين تلقانا العيون حبيب. يباعدنى فى الملتقى وفؤاده. وان هو ابدى
لى البعاد قريب. ويعرض عنى والهوى منه مقبل. اذا خاف عينا او اشار رقيب
فتنطق منا اعين حين نلتقى. وتخرس منا السن وقلوب. ثم قال اروى يا بنى هذين
فانهما من احسن الشعر وظريفه وروى احمد بن فارس المنبجى عن ابى نصر محمد
بن اسحق النحوى قال سمعت بعض اهل الادب يقول للزجاج قد كنت تعرف ابا العباس

في قصيدته

قال انصرفت يوما من مجلس ابى العباس محمد بن يزيد المبرد. فقال لى ابى البحترى

المبرد وكبره وانه لم يكن يقوم لاحد ولا يتطاول له وينشد اذا اشرف عليه الرجل. فلان ذو الهضبات لا يتحلحل. ولقد رايته يوما وقد دخل عليه رجل مدنع فقام اليه ابو العباس فاعتنقه ونحى عن موضعه واجلسه فجعل الرجل يستعفيه من ذلك فلما اكثر عليه انشده ابو العباس. انكر ان اقوم وقد بدا لي تكرمة لاكرمه واعظمه هشام. فلا تنكر مبادرتي اليه. فان لمثله خلق القيام. فلما انصرف الرجل سالته عنه فقيل هذا البختري

المجلس الحادي والخمسون ومائتين تاويل آية

ان سال سائل عن قوله تعالى في قصة قابيل وهابيل حاكيا عن هابيل لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فقال كيف يجوز ان يخبر عن هابيل وقد وصفه بالتقوى والطاعة بانه يريد ان يبوء اخوه بالاثم وذلك ارادة لقبيح وليس قبحها مما يتغير [وارادة القبح قبيحة عندكم على كل حال ووجه قبحها كونها ارادة لقبيح] وكيف يصح ان يبوء القاتل باثمه واثم غيره وهل هذا الا ما تابونه من اخذ البري بجرم السقيم

الجواب قلنا جواب اهل الحق عن هذه الاية معروف وهو ان هابيل لم يرد من اخيه قبيحا ولا اراد ان يقتله وانما اراد ما خبر الله تعالى عنه من قوله اني اريد ان تبوء باثمي واثمك اي اريد ان تبوء بجزاء ما قدمت عليه من القبيح وعقابه وليس بقبيح ان يريد نزول العقاب على المستحق بمستحقه ونظير قوله اثمي مع ان المراد به عقوبة اثمي الذي هو قتلي قول القايل لمن يعاقب على ذنب جزاؤه هذا ما كسبت يداك والمعنى هذا جزاء ما كسبت يداك وكذلك قولهم لمن يدعون عليه لقاك الله عملك يوم القيمة معناه ما ذكرناه فان قيل كيف يجوز ان يحسن ارادة عقاب غير مستحق لم يقع سببه لان القتل على هذا القول لم يكن واقعا قلنا ذلك جايز بشرط وقوع الامر الذي يستحق به العقاب فهابيل لما راى من اخيه التصميم على قتله والعزم على امضائه القبيح فيه وغلب على ظنه وقوع ذلك جاز ان يريد عقابه بشرط ان يفعل ما هم به وعزم عليه فاما قوله باثمي واثمك

فالمعنى

فالمعنى فيه واضح لانه اراد باثمي عقاب قتلك لي واثمك اي عقاب المعصية التي اقدمت عليها من قبل فلم يتقبل قربانك بسببها لان الله تعالى اخبر عنهما انهما قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر وان العلة في ان قربان احدهما لم يتقبل لانه غير متق وليس يمتنع ان يريد باثمي ما اردناه [ذكرناه] لان الاثم مصدر والمصادر قد تضاف الى الفاعل والمفعول جميعا وذلك مستعمل مطرد في القران والشعر والكلام فمثال ما اضيف الى الفاعل قوله تعالى ولولا دفع الله الناس [بعضهم ببعض] ومن اضافته الى المفعول قوله تعالى لا يسام الانسان من دعاء الخير ولقد ظلمك بسؤال نعجتك [الى نعاجه] ومما جاء في الشعر من اضافته الى المفعول ومعه الفاعل قول الشاعر امن رسم دار مربع ومصيف. لعينيك من ماء الشؤون وكيف. وفي الكلام يقول القائل اعجبني ضرب عمرو وخالدا اذا كان عمرو فاعلا وضرب عمرو وخالد اذا كان عمرو مفعولا وقد ذكر قوم في الاية وجها اخر وهو ان يكون المراد اني اريد زوال ان تبوء باثمي واثمك لانه لم يرد له الا الرشد والخير فحذف قوله الزوال واقام ان وما اتصل به مقامه كما قال تعالى واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم اراد حب العجل فحذف الحب واقام العجل مقامه وكما قال تعالى واسال القرية وهذا قول بعيد لانه لا دلالة في الكلام على محذوف وانما يحسن الحذف في بعض المواضع لاقتضاء الكلام المحذوف ودلالته عليه وذكر ايضا وجه اخر وهو ان يكون المعنى اني اريد ان لا تبوء باثمي واثمك اي اريد ان لا تقتلني ولا اقتلك فحذف لا فاكتفى بما في الكلام كما قال الله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا معناه لئن لا تضلوا وكقوله تعالى والقى في الارض رواسي ان تميد بكم معناه لئلا تميد بكم وكقول الخنساء. فاقسمت اساهى على هالك واسال نايحة مالها. اراد لا اسى وقال امرؤ القيس. فقلت يمين الله ابرح قاعدا. ولو قطعوا راسي لديك واوصالي. اراد لا ابرح وقال عمرو بن كلثوم. نزلتم منزل الاضياف منا. فعجلنا القرى ان تشتمونا. اراد ان لا تشتمونا والشواهد في هذا كثيرة جدا وهذا الجواب يضعفه كثير من العربية لانهم لا يستحسنون

اضمار لا فى مثل هذا الموضع فاما قوله تعالى حاكيا عنه لئن بسطت الى يدك لتقتلنى
ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك فقال قوم من المفسرين ان القتل على سبيل
الانتصار والمدافعة لم يكن مباحا فى ذلك الوقت وان الله تعالى امر بالصبر عليه
وامتحن بذلك ليكون هو المتولى للانتصاف وقال اخرون بل المعنى انك لئن بسطت
الى يدك مبتديا ظالما لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك على وجه الظلم والابتداء
فكانه نفى عن نفسه القتل القبيح وهو الواقع على سبيل الظلم والظاهر من الكلام
بغير ما ذكر من الوجهين اشبه لانه تعالى خبر عنه انه وان بسط اليه اخوه يده ليقتله
لا يبسط يده ليقتله وهو مريد لقتله وتحرجا اليه لان هذه اللام بمعنى كى وهى مبنية
عن الارادة والغرض والاشبه فى خطر ذلك وقبحه لان المدافع انما يحسن منه
المدافعة للظالم طلبا للتخلص من غير ان يقصد الى قتله والاضرار به ومتى قصد ذلك
كان فى حكم المبتدا بالقتل لانه فاعل القبيح والعقل شاهد بوجوب التخلص
من المضرة باى وجه يمكن بعد ان يكون غير قبيح فان قيل وكانكم تمنعون من حسن
امتحان الله تعالى بالصبر على ترك الانتصار والمدافعة وتوجيبونها على كل حال
قلنا لا نمنع من ذلك وانما بينا ان الاية غير مقتضية لتحريم المدافعة والانتصار
على ما ذهب اليه قوم لان قوله لاقتلك تقتضى ان يكون البسط لهذا الضرب والمدافعة
لا تقتضى ذلك ولا يحسن من المدافع ان يجرى بها الى الضرر فلا دلالة فى الاية
على تحريم المدافعة ووجب ان يكون ما ذكرناه اولى لشهادة الظاهر تاويل خبر ان
سأل سائل عن معنى الخبر الذى يرويه ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه واله
انه قال لا يموت لمؤمن ثلثة من الاولاد فتمسه النار الا تحلة القسم
الجواب قيل له اما ابو عبيدة القاسم بن سلام فانه قال يعنى بتحلة القسم قوله تعالى
وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا . فكانه قال عليه السلام
لا يردها الا بقدر ما يبر الله قسمه واما ابن قتيبة فانه قال فى تاويل ابى عبيد
هذا مذهب حسن من الاستخراج ان كان هذا قسما قال وفيه مذهب اخر اشبه

بكلام

بكلام العرب ومعانيهم وهو ان العرب اذا ارادوا تقليل مكث الشئ وتقصير
مدته شبهوه بتحليل القسم وذلك ان يقول الرجل بعد حلفه ان شاء الله فيقول
ما يقيم فلان عندنا الا تحلة القسم وما ينام العليل الا كتحليل الالية وهو
كثير مشهور وقال ابو الاخزر الحمانى وذكر الريح . اذا عصفت رسما فليس بدائم . به
وتد الا تحلة مقسم . يقول لا يثبت الوتد الا قليلا كتحلة القسم لان هبوب الريح
يقلعه وقال اخر يذكر ثورا . يخفى التراب باظلاف ثمانية . فى اربع مسهن الارض
تحليل . يقول هو خفيف سريع فقوايمه لا يثبت فى الارض الا كتحليل اليمين
وقال ذو الرمة . طوى طيه فوق الكرى جفن عينه . على رهبات من جنان المحاذر
قليلا كتحليل الالى ثم قلصت . به شيمة روعاء تقليص طائر . الالى جمع الوة
وهى اليمين وقال معنى الحديث على هذا التاويل ان النار لا تمسه الا قليلا
كتحليل اليمين ثم ينجيه الله منها وقال ابو بكر محمد بن القاسم الانبارى الصواب
قول ابى عبيد لحجج ثلاث منها ان جماعة من كبار اهل العلم فسروا على تفسير ابى عبيد
ومنها انه ادعى ان النار تمس الذى وقعت منزلته جليلة عند الله لكن مسا قليلا
والقليل لا يقع به الالم العظيم وليس صفة الابرار فى الاخرة صفة من تمسه
النار لا قليلا ولا كثيرا ومنها ان ابا عبيد لم يحكم على هذا المصاب بولده بمس النار
وانما حكم عليه بالورود والورود لا يوجب ان يكون من الابرار الا ان معناه
الاستثناء المنقطع كانه قال فتمسه النار لكن تحلة اليمين اى لكن ورود النار
لا بد منه فجرى مجرى قول العرب سار الناس الا الاثقال وارتحل العسكر الا
اهل الخيام وانشد الفراء ايضا . وسمحة المشى شملال قطعت بها . ارضا يحار بها
الهادون ديموما . مهامها دحزونا لا انيس بها . الا الصوايح والاصداء والبوما
وانشد الفراء ايضا . ليس عليك عطش ولا جوع . الا الرقاد والرقاد ممنوع
فمعنى الحديث لا يموت للمسلم ثلثة من الولد فتمسه النار البتة لكن تحلة اليمين
لا بد منها فتحلة اليمين الورود والورود لا يقع فيه مس قال ابو بكر وقد سنح لى

فيه قول اخر وهو ان يكون الا زايدة دخلت على التوكيد وتحلة اليمين منصوب على الوقت والزمان ومعنى الخبر فتمسه النار ووقت تحلة القسم والا زايدة قال الفرزدق شاهد لهذا . هم القوم الا حيث سلوا سيوفهم . وضحوا بلحم من محل ومحرم . معناه هم القوم حيث سلوا سيوفهم والا موكدة وقال الاخطل يقطعن الا من فروع يردنها . بمدحة يحمود نثاه ونائله . معناه يقطعن الابل من فروع يردنها والفروع الواسعة من الارض قال المرتضى رضى الله عنه والوجوه المذكورة فى تاويل الخبر كالمتقاربة الا ان الوجه الذى اختص به ابن الانبارى فيه ادنى تعسف وبعد من حيث جعل الا زايدة وذلك كالمستضعف عند جماعة من اهل العربية وقد بقى فى الخبر مسئلة التشاغل بالجواب عنها اولى مما تكلفه القوم وهى متوجهة على كل الوجوه التى ذكروها فى تاويل وهو ان يقال كيف يجوز ان يخبر عليه السلم بان من مات له ثلثة من الولد لا تمسه النار اما جملة او بمقدار تحلة القسم وهو النهاية فى القلة اوليس ذلك يوجب ان يكون اغراء بالذنوب لمن هذه حاله واذا كان من يموت له هذا العدد من الاولاد غير خارج عن التكليف فكيف يصح ان يومن من العقاب والجواب عن ذلك انا قد علمنا ان لا خروج المدحة لمن هذه صفته والتخصيص له والتميز والا مدحة فى مجرد موت الاولاد لان ذلك لا يرجع الى فعله فلا بد من ان يكون تقدير الكلام ان النار لا تمس المسلم الذى يموت له ثلثة اولاد اذا احسن صبره واحتسابه وعزاه ورضاه بما يجرى به القضاء عليه لانه بذلك يستحق الثواب والمدح واذا كان اضمار الصبر والاحتساب لا بد منه لم يكن فى القول اغراء الا ان كيفية وقوع الصبر والوجه الذى اذا وقع عليه تفضل الله سبحانه بغفران ما لعله ان يستحقه من العقاب فى المستقبل اذا لم يكن معلوما متميزا فلا وجه للاغراء واكثر ما فى هذا ان يكون القول مرغبا فى حسن الصبر وحاثا عليه رغبة فى الثواب ورجاء الغفران ما لعله ان يستحق من العقاب فى المستقبل وهذا واضح لمن تامله المجلس الثانى والخمسون تاويل اية ان سال سايل عن قوله تعالى

عندجماعة

هذا بعيد

البقرة

ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة فقال ما معنى او هيهنا وظاهرها يفيد الشك الذى لا يجوز عليه تعالى الجواب قلنا فى ذلك وجوه من التاويل اولها ان يكون او هيهنا للاباحة كقولهم جالس الحسن او ابن سيرين والقى الفقهاء او المحدثين ولم يريد والشك بل كانهم قالوا هذان الرجلان اهلا للمجالسة وهذان القبيلان اهل للقاء فان جالست الحسن فانت مصيب وان جالست ابن سيرين فانت مصيب وان جمعت بينهما فكذلك فيكون معنى الاية على هذا ان قلوب هولاء قاسية متجافية عن الخير والرشد فان شبهتم قسوتها بالحجارة اصبتم وان شبهتموها بما هو اشد اصبتم وان شبهتموها بالجميع فكذلك وعلى هذا قوله تعالى او كصيب من السماء لان او لم يرد بها الشك بل على النحو الذى ذكرناه من انكم ان شبهتموهم بالذى استوقد نارا فجايز وان شبهتموهم باصحاب الصيب فجايز وان شبهتموهم بالجميع فكذلك وثانيها ان تكون او دخلت للتفصيل والتميز ويكون معنى الاية ان قلوبهم قست فبعضها ما هو كالحجارة فى القسوة ومنها ما هو اشد قسوة منها ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا معناه وقال بعضهم كونوا هودا وهم اليهود وقال بعضهم كونوا نصارى وهم النصارى فدخلت او للتفصيل وكذلك قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون معناه فجاء بعض اهلها باسنا بياتا . وجاء بعض اهلها باسنا فى وقت القيلولة وقد يحتمل قوله تعالى او كصيب من السماء هذا الوجه ايضا ويكون المعنى ان بعضهم يشبه الذى استوقد نارا وبعضهم يشبه اصحاب الصيب وثالثها ان تكون او دخلت على سبيل الابهام فيما يرجع الى المخاطب وان كان تعالى عالما بذلك غير شاك فيه لانه تعالى لم يقصد فى اخبارهم عن ذلك الا التفصيل بل علم ان خطابهم بالاجمال ابلغ فى مصلحتهم فاخبر ان قسوة قلوب هولاء الذين ذمهم كالحجارة او اشد قسوة والمعنى انها كاحد هذين لا تخرج عنهما ويجرى ذلك مجرى قولهم ما اطعمتك الا حلوا او حامضا فيبهمون على المخاطب ما يعلمون انه لا فايدة فى تفصيله والمعنى ما اطعمتك الا احدهما

بتاويل

هذين الضربين وكذلك يقول احدهم اكلت بسرةً او تمرةً وهو قد علم ما اكل
على التفصيل الا انه ابهمه على المخاطب وقال لبيد . تمنى ابنتاى ان يعيش ابوهما .
وهل انا الا من ربيعة او مضر . اراد هل انا الا من احد هذين الحيين فسبيلي ان افنى
كما فنيا وانما حسن ذلك لان قصده الذى اجرى اليه وغرضه الذى نحاه وهو يخبر
بكونه ممن يموت ويفنى ولا يخل به اجمال ما اجمل من كلامه فاضرب عن التفصيل
لانه لا فايدة فيه لان سواء كان من ربيعة او مضر فموته واجب وكذلك الاية
لان الغرض فيها ان يخبر تعالى عن شدة قسوة قلوبهم وانها مما لا ينثني لوعظ ولا تنقاد
الى حق فسوا كانت فى القسوة كالحجارة او اشد منها فقد تم ما اجرى اليه من الغرض
فى وصفها وذمها وصار تفصيل تشبيهها بالحجارة او بما هو اشد قسوة
منها كتفصيل كونه من ربيعة او مضر فى انه غير محتاج اليه ولا يقتضيه الغرض
فى الكلام **ورابعها** ان تكون او بمعنى بل كما قال تعالى وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ
أَوْ يَزِيدُونَ معناه بل يزيدون ويروى عن ابن عباس فى قوله تعالى
وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ . قال كانوا مائة الف وبضعا واربعين
الفا وانشد الفراء . بدت مثل قرن الشمس فى رونق الضحى . وصورتها
او انت فى العين املح . وقد يكون ام الاستفهام ايضا بمعنى بل كقول القايل
اضربت عبد الله ام انت رجل متعنت معناه بل انت وقال الشاعر . فوالله
ما ادرى اسلمى تغولت . ام النوم ام كل الى حبيب . معناه بل كل وقد طعن بعضهم
على هذا الجواب وقال كيف يجوز ان يخاطبنا تعالى بلفظ بل وهى تقتضى الاستدراك
والنقض للكلام الماضى والاضراب عنه وليس ذلك بشىء اما الاستدراك
فان اريد به الاستفادة او التذكر لما لم يكن معلوما فليس بصحيح لان احدنا قد يقول
اعطيته الفا بل الفين وقصده دفعه بل دفعتين وهو عالم فى ابتداء كلامه
بما اخبر به فى الثانى ولم يتجدد له به علم وان اريد به الاخذ فى كلام غير الماضى
فليس بواجب فى كل موضع تستعمل فيه لفظة بل لان القايل اذا قال اعطيته

واستيناف زيادة عليه فهو صحيح ومثله جايز عليه
واما النقض للكلام الماضى ح

الفين

الفا بل الفين لم ينقض الاول وكيف ينقضه والاول داخل فى الثانى وانما زاد
عليه وانما يكون ناقضا للماضى اذا قال رايت رجلا بل حمارا او اعطيته درهما
بل ثوبا لان الاول لم يدخل فى الثانى على وجه وقوله تعالى او اشد قسوة غير
ناقض للاول لانها لا تزيد فى القسوة على الحجارة الا بعد ان تساويها وانما تزيد
عليها بعد المساواة **وخامسها** ان تكون او بمعنى الواو كقوله تعالى ان تاكلوا
من بيوتكم او بيوت ابائكم معناه وبيوت ابائكم قال جرير . نال الخلافة او كانت
له قدرا . كما اتى ربه موسى على قدر . وقال جرير ايضا . اثعلبة الفوارس او رياحا
عدلت بهم طهية والخشابا . اراد ورياحا وقال توبة بن الحمير . وقد زعمت ليلى بانى
فاجر . لنفسى تقاها او عليها فجورها . وقال اخر فلو ان البكا يرد شيئا .
بكيت على بجير او عناق . على المرأين اذ هلكا جميعا . لشانهما بشجو واشتياق
اراد على بجير وعناق وقد حكى المفضل بن سلمة هذا الوجه عن قطرب وطعن
عليه بان قال ليس شىء يعلم انه اشد قسوة عند المخاطبين من الحجارة فيتفق عليها
وانما يصح ذلك فى قولهم اطعمتك تمرا او احلى منه لان احلى منه معلوم واختار
المفضل الوجه الذى يتضمن ان او بمعنى بل وهذا الذى طعن به المفضل ليس بشىء
لانهم وان لم يشاهدوا او يعرفوا ما هو اشد قسوة من الحجارة فصورة قسوة الحجارة
معلومة لهم ويصح ان يتصوروا ما هو اشد قسوة منها وما له الزيادة عليها لان
قدرها اذا عرف صح ان يعرف ما هو ازيد منه او انقص لان الزيادة والنقصان انما
يضافان الى معلوم معروف على ان الاية خرجت مخرج المثل واراد تعالى
بوصف قلوبهم بالزيادة فى القسوة على الحجارة انها قد انتهت الى حد لا تلين
معه للخير على وجه من الوجوه وان كانت الحجارة ربما لانت وانتفع بها فصارت
من هذا الوجه كانها اشد قسوة منها تمثيلا وتشبيها فقول المفضل ليس يعرفون
ما هو اقسى من الحجارة ولا معنى له اذا كان القول على طريق المثل وبعد فان
الذى طعن به على هذا الجواب يعترض على الوجه الذى اختاره لانه اذا اختار ان

سبوبر ولم بن مالك بن حنظلة يقال لهم الخشاب

او في الاية بمعنى بل فكيف جاز ان يخبرهم بان قلوبهم اشد قسوة من الحجارة وهم لا يعرفون ما هو اقسى من الحجارة واذا
جاز ان يقول بل قلوبهم اقسى مما تعرفون من الحجارة جاز ان يخبر عن مثل ذلك
بالواو فيقول قلوبهم كالحجارة التي تعرفون في القسوة وهي مع ذلك تزيد
عليها فان قيل كيف تكون او في الاية بمعنى الواو والواو للجمع وليس يجوز
ان تكون قلوبهم كالحجارة او اشد من الحجارة في حال واحدة لان الشي اذا
كان على صفة لم يجز ان يكون على خلافها قلنا قد اجاب بعضهم عن هذا الاعتراض
بان قال ليس يمتنع ان تكون قلوبهم كالحجارة في حال واشد من الحجارة في حال اخرى
فيصح المعنى ولا يتنافى وهذا قريب وتكون فايدة هذا الجواب ان قلوب هولاء
في بعض الاحوال مع القسوة والعدول عن قبول الحق والفكر فيه ربما لانت
بعض اللين وهمت بالانعطاف وكادت تصغي الى الحق فتكون في هذه الحال
كالحجارة التي ربما لانت في حال اخرى تكون في نهاية البعد عن الخير والنفور عنه
وتكون في هذه الحال اشد قسوة من الحجارة على انه يمكن في هذا الجواب عن هذا
الاعتراض وجه اخر وقد تقدم معناه في بعض كلامنا وهو ان قلوبهم
لا تكون اشد من الحجارة الا بعد ان تكون فيها قسوة الحجارة لان القايل اذا قال
فلان اعلم من فلان فقد اخبر بانه زايد عليه في العلم الذي اشتركا فيه فلا بد من
الاشتراك ثم الزيادة فليس ههنا تناف على ما ظن المعترض ولا اثبات لصفة
ونفيها وكل هذا واضح بحمد الله تعالى قال المرتضى رضي الله عنه واني لاستحسن
من الشعر قول الاحوص بن محمد الانصاري . ومولى سخيف الراي رخو تزيده
اناتي وعفوي جهله عندي ذما . وكلت ولولا غيره لاصبته . بشنعا باق عارها
تقرة العظما . طوى حسدا ضغنا علي كانما . اداوي به في كل مجمعة كلما .
ويجهل احيانا فلا يستخفني . ولا اجهل العتبى اذا رجع الحلما . نصد وتابى
في الرخاء مودة . ويدنوا ويدعوني اذا خشي الهضما . فيفرج عنه ازبة الخصم مشهدي
وادفع عنه عند عثرته الظلما . الازبة الدهاء والازبة العقدة وكلا المعنيين يحتمل

لفظ البيت . وكنت امرءا اعود الفعال تهزني . مآثر مجد تالد لم تكن زعما . عوى
الفعال جليله . ولست بلاق سيدا ساد مالكا . فتنسبه الا بالى او عما . وكنت
وشتمي في ارومة مالك . بسبي له كالكلب اذ ينبح النجما . ستعلم ان عاديتني
فقع قرقر . اما الا قدت لا ابا لك او غرما . لقد ابقت الايام مني وحرسها
لاعدائنا نكلا وحسادنا رغما . وكانت عروق السوء ازرت وقصرت . به
ان ينال الحمد فالتمس الذما . ومن مختار قوله . انى اذا اخفى اللئام رايتني .
كالشمس لا تخفى بكل مكان . ما من مصيبة نكبة امنى بها . الا تشرفني وتعظم شاني
وتزول حين تزول عن متخمط . تخشى بوادره لذى الاقران . ومن جيد كلامه
خليلان باحا بالهوى فتشاحنت . اقاربها في وصلها واقاربه . الا ان اهوى الناس قربا
ورؤية . ومحيا اذا ما الليل غارت كواكبه . ضجيع دنا مني جذلت بقربه
فبات يمنيني وبت اعاتبه . واخبره في السر بيني وبينه . بان ليس شي
عند نفسي يقاربه . وقد عبر في وجه كل من وصف المضاجعة امرء القيس بقوله
تقول وقد جردتها من ثيابها . كما رعت مكحولا من العين اتلعا . وجدك لو شي
اتانا رسوله سواك ولكن لم نجد عنك مدفعا . فبتنا تذود الوحش عنا
كاننا . قتيلان لم يعلم لنا الناس مصرعا . اذا اخذتها هزة الروع امسكت
بمنكب مقدام على الهول اروعا . وقال علي بن الجهم في شدة الالتزام
سقى الله ليلا ضمنا بعد هجعة . وادنى فوادا من فواد معذب . فبتنا جميعا
لو تراق زجاجة . من الراح فيما بيننا لم تسرب . ولعبد الصمد بن المعذل في
المعنى . كانني عانقت ريحانة . تنفست في ليلها البارد . فلو ترانا في قميص
الدجا . حسبتنا في جسد واحد . ولبشار بن برد . انني اشتهي لقاك والله
فماذا عليك ان تلقاني . وقد تلف الرياح غصنا من . البان الى مثله فيلتقيان
ومثل هذا للبحتري . ولم انس ليلتنا في العناق . لف الصبا بقضيب قضيبا .
كما افتتل الزنج في نزها . فطورا خفوقا وطورا هبوبا . ولاخر مثله في هذا المعنى

ولسنا ندري هل تسبق البحتري او تاخر عنه . وضمّ لا ينهنه واعتناق . كما التفّ
القضيب على القضيب . ولعلي بن الجهم . وبتنا على رغم الحسود كاننا . خليطان
من ماء الغمامة والخمر . وهذا وان جعله في العناق فهو ماخوذ من قول بشار . واذ نلتقي
خلف الغيور كاننا . سلاف عقار بالتفاح مشوب . والاصل في هذا قول الاول (والناس من نسبه الى)
من الجاذبات الحور مطلب سرها . كبيض الانوق المستكنة في الوكر . واني واياها
اذا ما لقيتها . لكالماء من صوب الغمامة والخمر . وقد اخذه ابن عيينة ايضا فقال
ما انس لا انس يمناها معطفة على فوادي ويسراها على راسي . وقولها ليته (ذاك اذ روحها وروحي جميعا كان صفو خمر بعذب ماء / واخذه العباس بن الاحنف فقال)
جسدي . اوليتني كنت سربالا للعباس . اوليته كان لي خمرا وكنت له .
من ماء مزن فكنا الدهر في الكاس . ومثل هذا للبحتري . وجدت نفسك من نفسي
بمنزلة . هي المصافاة بين الماء والراح . ولقد احسن بشار في قوله . لقد كان
ما بيني زمانا وبينها . كما بين ريح المسك والعنبر الورد . واخبرنا ابو عبد الله المرزباني
قال حدثنا احمد بن محمد المكي قال حدثنا ابو العينا قال حدثنا العتبي عن ابيه قال
سير الوليد بن عبد الملك الاحوص الى دهلك فكتب الاحوص الى عمر بن عبد العزيز
حين استخلف . وكيف ترى للنوم طعما ولذة . وخالك امسى موثقا في الحبائل
فمن يك امسى سائلا عن شماتة . ليشمت بي او شامتا غير سائل . فقد عجمت مني
الحوادث ماجدا . صبورا على عماء تلك التلاتل . اذا سر لم يفرح وليس لنكبة (البلابل)
الم به بالخاشع المتضائل . فبعث عمر بن عبد العزيز الى عراك بن مالك الذي
كان نبهه عليه وقال ما ترى في هذا البائس فقال عراك مكانه خير له فتركه في موضعه
فلما ولي يزيد بن عبد الملك حل عن الاحوص وسيره اليه قال المرتضى رضي الله عنه
وانما كان الاحوص خال عمر بن عبد العزيز من جهة ان ام عمر هي ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن
الخطاب وامها انصارية قوله اذا سر لم يفرح البيت فماخوذ من قول لقيط بن زرارة
لا مترفا ان رخا العيش ساعده . وليس ان عض مكروه به خشعا . وللاحوص . ويبطن
مكة لا ابوح به . قرشية غلبت على قلبي . ولو انها اذ مر موكبها . يوم الكديد

اطاعني

اطاعني صحبي . قلنا لها حييت من سجن . ولو كنها حييت من ركب . والشوق
اقتله برويتها . قتل الظما بالبارد العذب والناس ان حلوا جميعهم . شعبا
سلام وكنت في شعب . لحللت شعبك دون شعبهم . ولكان قربك منهم
حسبي . قوله والشوق اقتله برويتها نظير قول جرير . فلما التقى الحيان القيت
العصا وماتت الهوى لما اصيبت مقاتله المجلس الثالث والخمسون تاويل اية
ان سال سائل عن قوله تعالى وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ
فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فقال كيف يامرهم
ان يخبروا بما لا يعلمون اوليس ذلك اقبح من تكليف ما لا يطاق الذي تابونه
والذي جوزه ان يكلف تعالى مع ارتفاع القدرة لا يجوزونه الجواب قد ذكر في هذه
الاية وجهان احدهما ان ظاهر الاية وان كان امرا يقتضي التعلق بشرط وهو
كونهم صادقين عالمين بانهم اذا اخبروا عن ذلك صدقوا فكانه قال لهم خبروا
بذلك ان علمتموه ومتى رجعوا الى انفسهم فلم يعلموا فلا تكليف عليهم وهذا
بمنزلة ان يقول القايل لغيره خبرني بكذا وكذا ان كنت تعلمه او ان كنت تعلم انك صادق
فيما تخبر به فان قيل اليس قد قال المفسرون في قوله تعالى ان كنتم صادقين (ان المراد به ان كنتم تعلمون بالعلة التي من اجلها جعلت خليفة في الارض او ان كنتم صادقين)
في اعتقادكم انكم تقومون بما انصب الخليفة وتضطلعون به وتصلحون له قلنا
قد قيل كل ذلك وقيل ايضا ما ذكرناه وانما كان القول يحتمل الامرين جاز
ان يبني الكلام على كل واحد منهما وهذا الجواب لا يتم الا لمن يذهب الى ان الله
يصح ان يامر العبد بشرط قد علم انه لا يحصل ولا يحسن ان يريد منه الفعل على هذا
الوجه ومن ذهب الى جواز ذلك صح ان يعتمد على هذا الجواب فان قيل فاي فائدة
في ان يامرهم بان يخبروا عن ذلك بشرط ان يكونوا صادقين وهو عالم بانهم
لا يتمكنون من ذلك لفقد علمهم به قلنا لمن ذهب الى الاصل الذي ذكرناه
ان يقول لا يمتنع ان يكون الغرض في ذلك هو انه يكشف باقرارهم وامتناعهم
من الاخبار بالاسماء ما اراد الله تعالى بيانه من استيثاره بعلم الغيب وانفراده بالاطلاع

على وجوه المصالح في الدين فان قيل هذا يرجع الى الجواب الذي تذكرونه من بعد
قلنا هو وان رجع الى هذا المعنى فبينهما بون من حيث كان هذا الجواب على تسليم
ان الاية تضمنت الامر والتكليف الحقيقيين والجواب الثاني لا يسلم فيه ان القول
امر على الحقيقة فمن ههنا افترقا والجواب الثاني ان يكون الامر وان كان ظاهره
ظاهر امر فغير امر على الحقيقة بل المراد به التقرير والتنبيه على مكان الحجة وقد يرد
بصورة الامر ما ليس بامر والقران والشعر واخبار العرب مملوءة بذلك وتلخيص
هذا الجواب ان الله تعالى لما قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا
اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس
لك فقال لهم اني اعلم ما لا تعلمون اي اني مطلع من مصالحكم وما هو انفع
لكم في دينكم على ما لا تطلعون عليه ثم اراد التنبيه على انه لا يمتنع ان يكون غير الملائكة
مع انها تسبح وتقدس وتطيع ولا تعصي اولى بالاستخلاف في الارض
وان كان في ذريته من يفسد ويسفك الدماء فعلم ادم عليه السلام اسماء جميع
الاجناس واكثرها ثم قال للملائكة انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين
مقررا لهم ومنبها على ما ذكرناه ودالا على اختصاص ادم بما لم يخصوا به فلما
اجابوا بالاعتراف والتسليم اليه علم الغيب الذي لا يعلمونه فقال لهم الم اقل
لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما تكتمون منبها
على انه تعالى هو المنفرد بعلم المصالح في الدين وان الواجب على كل مكلف ان يسلم
لامره ويعلم انه لا يختار لعباده الا ما هو الاصلح لهم في دينهم علموا وجه ذلك
ام جهلوه وعلى هذا الجواب يكون قوله تعالى ان كنتم صادقين محمولا
على كونهم صادقين في العلم بوجه المصلحة في نصب الخليفة او في ظنهم انهم
يقومون بما يقوم به هذا الخليفة ويكملون له فلو ان الامر على ما ذكرناه
وان القول لا يقتضي التكليف المحض لقوله تعالى بعد اعترافهم واقرارهم الم اقل
لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون

معنى لانه

معنى لان التكليف الاول لا يتغير حاله بان يخبرهم ادم عليه السلم بالاسماء
ولا يكون قوله اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم
تكتمون الا مطابقا لما ذكرناه من المعنى دون معنى التكليف فكانه قال تعالى
اذا كنتم لا تعلمون هذه الاسماء فانتم عن علم الغيب اعجز وبان تسلموا الامر
لمن يعلمه ويدبر امركم بحسبه اولى فان قيل فكيف علمت الملائكة ان في
ذرية ادم من يفسد في الارض ويسفك الدماء وما طريق علمها بذلك
وان كانت غير عالمة فكيف يحسن ان تخبر عنهم بغير علم قلنا قد قيل انها لم
تخبر وانما استفهمت فكانها قالت متعرفة اتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وقيل
ان الله تعالى اخبرها بانه سيكون من ذرية هذا المستخلف من يعصي ويفسد
في الارض فقالت على وجه التعرف لما في هذا التدبير من المصلحة والاستفادة
لوجه الحكمة فيها اتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وهذا الجواب الاخير يقتضي ان يكون
في اول الكلام حذف ويكون التقدير واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في
الارض خليفة واني عالم بانه سيكون من ذريته من يفسد فيها ويسفك
الدماء فاكتفى عن ايراد هذا المحذوف بقوله تعالى اتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدماء لان في ذلك دلالة على الاول وانما حذف اختصارا وفي جملة
جميع الكلام اختصار شديد لانه تعالى لما حكى عنهم قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك كان في ضمن هذا الكلام فنحن
على ما ظننته ويظهر لنا من الامر اولى بذلك لانا نطيع وغيرنا يعصي وقوله تعالى
اني اعلم ما لا تعلمون يتضمن ايضا اني اعلم من مصالح المكلفين ما لا تعلمونه
وما يكون مخالفا لما يظنونه على ظواهر الامور وفي القران من المحذوفات
العجيبة والاختصارات الفصيحة ما لا يوجد في شيء من الكلام فمن ذلك قوله تعالى
في قصة يوسف عم والناجي من صاحبه في السجن عند رؤيا الملك البقر السمان
والعجاف انا انبئكم بتاويله فارسلون يوسف ايها الصديق افتنا ولو بسط الكلام ففعلوا فاتى يوسف فقال له

فاورد حذفه لقال انا انبئكم بتاويله فارسلون يوسف ايها الصديق
فقال له يوسف ايها الصديق ونبئنا ومثله قوله تعالى في الانعام قل اني امرت ان اكون اول من
اسلم ولا تكونن من المشركين وقيل غدوها شهر ورواحها شهر واسلنا له عين القطر
ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من
عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الى قوله اعملوا آل
داود شكرا اي وقيل لهم اعملوا آل داود شكرا. وقال جرير. ورديتم على
قيس بخور مجاشع. فبؤتم على ساق بطيء جبورها. اراد فبؤتم على ساق
مكسورة بطيء جبورها الكسرة كانه لما كان في قوله بطيء جبورها دليل على الكسر
اقتصر عليه وقال عنترة. هل تبلغني دارها شدنية. لعنت بمحروم الشراب مصرم
يعني ناقته ومعنى لعنت انه دعا عليها بانقطاع لبنها وجفاف ضرعها فصار
كذلك فحذف هذا كله والناقة اذا كانت لا تنتج كانت اقوى لها على السير
وقال تابط شرا ويروى للشنفرى. فلا تدفنوني ان دفني محرم. عليكم و
لكن خامري ام عامر. لانه اراد فلا تدفنوني بل دعوني تاكلني التي يقال لها
ام عامر وهي الضبع وقال اوس بن حجر. حتى اذا الكلاب قال لها كاليوم مطلوبا
ولا طلبا. اراد لم ار كاليوم فحذف وقال ابو داود الايادي ان من شيمتي
لبذل تلادي. دون عرضي فان رضيت فكوني. اراد فكوني معي على ما انت
عليه وان سخطت فبيني فحذف هذا كله وقال آخر. اذا قيل سيروا ان ليلى
لعلها. جرى دون ليلى مائل القرن اعضب. اراد لعلها قريب وهذا ما
يتسع واكثر من ان يضبط والحذف غير الاختصار وقوم يظنون انهما واحد
وليسا كذلك لان الحذف يتعلق بالالفاظ وهو ان تاتي بلفظ يقتضي غيره
ويتعلق به ولا يستقل بنفسه ويكون في الموجود دلالة على المحذوف فيقتصر
عليه طلبا للاختصار والاختصار يرجع الى المعاني وهو ان تاتي بلفظ مفيد لمعان
كثيرة لو عبر عنها بغيره لاحتيج الى اكثر من ذلك اللفظ فلا حذف اذا وهو اختصار

وليس

وليس كل اختصار حذفا فمثال الحذف قوله ولكن خامري ام عامر ونظائره
ومما انشدناه لان القول غير مستغن بنفسه بل يقتضي كلاما آخر غير انه
لما كان فيه دلالة على ما حذف حسن استعماله ومثال الاختصار الذي ليس
بحذف قول الشاعر. او لا جفنة حول قبر ابيهم. قبر ابن مارية الكريم المفضل
اراد انهم اعزة مقيمون بدار مملكتهم لا ينتجعون كالاعراب فاختصر هذا المعنى
في قوله حول قبر ابيهم ومثله قول عدي بن زيد. عالم بالذي يريد نقي الصدر
عف على جاشه نحور كثير النحر وفي معنى الاختصار قول اوس بن حجر. وفينا صلة
لا نحم لحومهم. اذا اشبه النجم الصوار النوافر. فقوله لا نحم لحومهم لفظ مختصر
ولو بسط لقال انهم لا يدخرون اللحم ولا يستبقونه فيحم بل يطعمونه الاضياف
والطراق ومعنى قوله اذا اشبه النجم الصوار النوافر يعني في شدة البرد وكلب
الشتاء والثريا تطلع في هذا الزمان عشاء كانها صوار متفرق وهذا ايضا اكثر
من ان يحصى وانما فضل الكلام الفصيح بعضه على بعض لقوة حظه من افادة المعاني
الكثيرة بالالفاظ المختصرة فاما قوله تعالى ثم عرضهم على الملائكة بعد ذكر التي
لها هذه الكناية فالمراد به انه عرض المسميات لان الكناية لا تليق بالاسماء ولا بد
من ان تكون تلك المسميات او فيها ما يجوز ان يكنى عنه بهذه الكناية لانها لا تستعمل
الا في العقلاء ومن جرى مجراهم وقيل انه في قراءة عبد الله بن مسعود ثم عرضهن
وعلى هاتين القراءتين يصلح ان تكون عبارة عن الاسماء وقد بقي في هذه الاية
سؤال لم نجد احدا ممن تكلم في تفسير القرآن ولا في متشابهه ومشكله تعرض له
وهو من مهم ما يسئل عنه وفي ذلك ان يقال من اين علمت الملائكة لما اخبرها
آدم عليه السلام بتلك الاسماء صحة قوله ومطابقة الاسماء للمسميات وهي لم تكن
عالمة بذلك من قبل اذ لو كانت الملائكة عالمة من قبل لاخبرت بالاسماء ولم تعترف
بفقد العلم والكلام يقتضي انهم لما انباهم آدم عليه السلام بالاسماء علموا صحتها
ومطابقتها للمسميات ولولا ذلك لم يكن لقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات

الاسماء التي لا يليق

في قراءة ابي ثم عرضها

والارض ولا كانوا مستفيدين بذلك بنوته وتميزه واختصاصه بما ليس لهم
لان كل ذلك انما يتم مع العلم دون غيره الجواب انه غير ممتنع ان يكون الملائكة
في الاول غير عارفين بتلك الاسماء فلما انباهم ادم عليه السلم بها فعل الله تعالى
لهم في الحال العلم الضروري بصحتها ومطابقتها للمسميات اما عن طريق وابتداء بلا
طريق فعلموا بذلك تميزه واختصاصه وليس لاحد ان يقول ان ذلك يودي
الى انهم علموا نبوته اضطرارا وفي هذا منافاة طريقة التكليف وذلك انه
ليس في علمهم بصحة ما اخبر به ضرورة ما يقتضي العلم بالنبوة ضرورة بل بعد
درجات ومراتب لا بد من الاستدلال عليها ويجري هذا مجرى عالما بصدق خبره
ضرورة لا بد له من الاستدلال فيما بعد على نبوته لان علمه بصدق خبره
ضرورة لا بد له من الاستدلال فيما بعد على نبوته لان علمه بصدق خبره
ليس هو العلم بنبوته لكنه طريق يوصل اليها على ترتيب ووجه اخر وهو انه
لا يمتنع ان تكون للملائكة لغات مختلفة وكل قبيل منهم يعرف اسماء الاجناس
في لغته دون لغة غيره الا ان تكون احاطة عالم واحد لاسماء الاجناس في جميع
لغاتهم خارقة للعادة فلما اراد الله تعالى التنبيه على نبوة ادم علمه جميع تلك
الاسماء فلما اخبرهم بها علم كل فريق مطابقة ما خبر به من الاسماء للغته وهذا
لا يحتاج فيه الى الرجوع الى غيره وعلم مطابقة ذلك لما في اللغات بخبر كل قبيل
ولا شك في ان كل قبيل اذا كانوا كثيرة وخبروا الناس بشيء يجري هذا المجرى
علم بخبرهم فاذا اخبر كل قبيل صاحبهم علم من ذلك في لغة غيره ما علمه في لغته
وهذا الجواب يقتضي ان يكون قوله انبئوني باسماء هؤلاء اي ليخبرني كل قبيل منكم
بجميع هذه الاسماء وهذان الجوابان جميعا مبنيان على ان ادم عليه السلم لم يتقدم
لهم العلم بنبوته وان اخباره بالاسماء كان افتتاحا بمعجزاته لانه لو كان نبيا قبل
ذلك وكانوا قد علموا تقدم ظهور معجزات على يده لم يحتج الى هذين الجوابين معا
لانهم يعلمون اذا كانت الحال هذه مطابقة الاسماء للمسميات بعد ان لم يعلموا ذلك

ان يخبر احدا نبي بما يفعل على سبيل التفصيل على وجه يخرق العادة وهو ان كان

بقوله

بقوله الذي قد امنوا لنيه غير الصدق وهذا بين لمن تامله قال المرتضى رضي الله عنه
رايت قوما ممن تكلم على معاني الشعر يذكرون في بيت حسان بن ثابت. لم تفتها
شمس النهار بشيء. غير ان الشباب ليس بدوم. ان المراد به الاعتذار من كبرها
وعلو سنها فكانه قال لم تفتها شمس النهار بشيء غير انها كبيرة طاعنة في السن وعذرها
في ذلك ان الشباب ليس بدوم تماما لامثالها وهذا الذي ذكره ليس بشيء والاشبه
والاولى ان يكون مراد حسان ان شمس النهار لم تفتها بشيء غير ان شبابها تماما
لا يدوم ولا بد من ان يلحقها الهرم الذي لا يلحق الشمس ولم يرد انها في الحال كذلك
وكيف يريد ما توهموه مع قوله. يال قومي هل يقتل المرء مثلي. واهن البطش
والعظام سوم. شانها العطر والفراش ويعلو. ها لجين ولؤلؤ منظوم. لو يدب
الحولي من ولد الذر. عليها لاندبتها الكلوم. وهذه الاوصاف لا تليق بمن
طعن في السن من النساء. ولا يوصف بمثلها الا الصبيان والاحداث ومن العجب
ان هذا الاستخراج على ركاكته مستند الى الاصمعي وما اولى من ان تكون نتيجة
تغلغله وثمرة توصله مثل هذه الثمرة بالاضراب عن استخراج المعاني والبحث عنها
ومما فسره اصحاب المعاني على وجه وهو بغيره اشبه واقل الاحوال ان يكون محتملا
للامرين فلا يقصر عن احدهما قول الخنساء. يا صخر وراد ماء قد تناذره. اهل الموارد
ما في ورده عار. لانهم يقولون مرادها بالبيت ما في ترك ورده عار يظنون
انه متى لم يحمل على ذلك لم يكن له فايدة ولا فيه مدح ويجرونه مجرى قول المرقش
ليس على طول الحيوة ندم. ومن وراء المرء ما يعلم. وليس الامر كما ظنوا لانه
يحتمل ان يريد انه لا عار في وروده على ظاهر الكلام والفايدة فيه ظاهرة لان
البيت وان تضمن ذكر ورود الماء فهو كناية عن ركوب الامور الصعاب التي
من جملتها ايراد الماء غلبة وقهرا فكانها قالت انك تورد ماء قد تناذره الناس
وتركب امرا صعبا قد تكل عنه الخلق ولك بذلك حظ في الشجاعة والبسالة
ومع ذلك فلا عار عليك في ركوبه لانه ربما فعل الانسان فعلا يجوز به اكثر الحظ

من الشجاعة وان لحقه بعض العار من قطيعة رحم او نكث عهدا وما جرى هذا المجرى
فكانها نفت عن فعله وجوه العار وليس يجرى ذلك مجرى قول المرقش ليس على
طول الحيا ندم لان البيت صح لم يحمل على ان المراد به ليس على فوت طول الحيا
ندم لم يفد شيئا وقد بينا فائدة بيت الخنسا اذا كان المراد ما ذكرنا **المجلس الرابع**
والخمسون تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى واسئل من ارسلنا قبلك
من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون **الجواب** قلنا قد ذكر
فى هذه الاية وجوه **اولها** ان يكون المعنى واسئل اتباع من ارسلنا قبلك
من رسلنا ويجرى هذا مجرى قولهم السخا حاتم والشعر زهير وهم يريدون
السخا سخا حاتم والشعر شعر زهير فاقاموا حاتم مقام السخا المضاف اليه
ومثل قوله تعالى ولكن البر من امن بالله ومثله قول الشاعر لهم مجلس صهب
السبال اذلة . سواسية احرارها وعبيدها والمراد بالسوال فى ظاهر
الكلام النبى صلعم وهو فى المعنى لامته لانه عليه السلم لا يحتاج الى السوال لكنه
خوطب بخطاب امته كما قال تعالى المص كتاب انزل اليك فلا يكن فى صدرك
حرج منه لتنذر به فافرده بالمخاطبة ثم رجع الى خطاب امته فقال اتبعوا
ما انزل اليكم من ربكم وفى موضع اخر يا ايها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين
نخاطبه عليه السلم والمعنى لامته بين ذلك بقوله ان الله كان بما تعملون خبيرا
وقال تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء فوحد وجمع فى موضع واحد للمعنى الذى
ذكرناه وقال الكميت . الى السراج المنير احمد لا . تعدلنى رغبة ولا رهب .
عنه الى غيره ولو رفع الناس . الى العيون وارتقبوا . وقيل افرطت بل قصدت ولو
عنفنى القائلون او ثلبوا . لج بتفضيلك اللسان ولو . اكثر فيك الضجاج واللجب
انت المصفى المحض المهذب فى . النسبة ان نص قومك النسب . فظاهر الخطاب
للنبى عليه السلم والمقصود به اهل بيته لان احدا من المسلمين لا يمنع من تفضيله
والاطناب فى وصف فضايله ومناقبه ولا يعنف فى ذلك احد وانما اراد الكميت

وان كثر

وان كثروا فى مدح اهل بيته اوذوه بالضجاج واللجب والتقريع والتعنيف
فوجه القول اليه والمراد به غيره ولذلك وجه صحيح وهو ان المراد بهوالا بهم
والانحياز اليهم والانقطاع الى جهتهم لما كان رسول الله صلعم هو المقصود بذلك
اجمع جاز ان يخرج الكميت الكلام هذا المخرج ويضعه هذا الموضع وقيل ان المراد بنا
الانبياء الذين امر بمسئلتهم هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام ونظائره و
ليس يمتنع ان يكون عليه السلم هو المامور بالمسئلة على الحقيقة كما يقتضيه ظاهر الخطاب
وان لم يكن شاكا فى ذلك ولا مرتابا به ويكون الوجه فيه تقرير اهل الكتاب واقامة
الحجة عليهم بما يقرون اولان بعض مشركى العرب انكر ان تكون كتب الله تعالى المتقدمة و
انبياؤه الاتون بها دعت الى التوحيد فامر عليه السلم بتقرير اهل الكتاب
بذلك لتزول الشبهة عمن اعترضته **والجواب الثانى** ان يكون السوال متوجها اليه
عليه السلم دون امته والمعنى اذا لقيت النبيين فى السماء فاسئلهم عن ذلك
لان الرواية قد وردت بانه صلعم لقى النبيين فى السماء فسلم عليهم وامهم ولا
يكون امره بالسوال لانه كان شاكا لان مثل ذلك لا يجوز عليه الشك فيه
لكن لبعض المصالح الراجعة الى الدين اما الشى يخصه عليه السلم او يتعلق ببعض
الملئكة الذين يستمعون ما يجرى بينه وبين النبيين من سوال وجواب
والجواب الثالث ما اجاب به ابن قتيبة وهو ان يكون المعنى واسئل من ارسلنا
اليه قبلك رسلا من رسلنا يعنى اهل الكتاب وهذا الجواب وان كان يوافق
فى المعنى الجواب الاول فبينهما خلاف فى تقدير الكلام وكيفية تاويله فلهذا
صارا مفترقين وقد رد على ابن قتيبة هذا الجواب وقيل انه اخطأ فى الاعراب
لان لفظة اليه لا يصح اضمارها فى هذا الموضع لانهم لا يجيزون الذى جلست
عبد الله على معنى الذى جلست اليه لان اليه حرف منفصل عن الفعل والمنفصل
لا يضمر فلما كان القائل اذا قال الذى اكرمت اباه وعبد الله لم يجز ان يضمر
اباه لانفصاله عن الفعل كانت لفظة اليه بمنزلته وكذلك لا يجوز الذى رغبت عنه

بمعنى الذى رغبت فيه محمد لان الاضمار انما يحسن فى الهاء المتصلة بالفعل
كقولك الذى اكلت طعامك والذى لقيت صديقك معناهما اكلته ولقيته
وقال الفرا انما حذفت الهاء لدلالة الذى عليها وقال غيره فى حذفها غير ذلك
وكل هذا ليس مما تقدم فى شىء فصح ان جواب ابن قتيبة مستضعف والمعتمد على
ما تقدم **تاويل لمسئلة سائل عن معنى الخبر الذى رواه** ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قوله كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه يهودانه او ينصرانه **الجواب**
قلنا اما ابو عبيد القاسم بن سلام فانه قال فى تاويل هذا الخبر سالت محمد بن الحسن
عن تفسيره فقال كان هذا فى اول الاسلام قبل ان تنزل الفرائض ويؤمر المسلمون بالجهاد
وقال ابو عبيد كانه يذهب الى انه لو كان يولد على الفطرة ثم مات قبل ان ينصره
ابواه ما ورثاه وكذلك لو مات قبله ما ورثهما لانه مسلم وهما كافران وما كان
ايضا يجوز ان يسبى فلما نزلت الفرائض وجرت السنن بخلاف ذلك علم انه يولد
على دين ابويه قال ابو عبيد واما عبد الله ابن المبارك فانه قال هو بمنزلة الحديث
الاخر الذى يتضمن انه عليه السلام سئل عن اطفال المشركين فقال الله اعلم بما
كانوا عاملين يذهب الى انهم يولدون على ما يصيرون اليه من اسلام او كفر
فمن كان فى علمه تعالى انه يصير مسلما فانه يولد على الفطرة ومن كان فى علمه انه
يموت كافرا ولد على ذلك قال ابو عبيد ومما يشبه هذا الحديث حديثه الاخر
انه قال يقول الله عز وجل انى خلقت عبادى جميعا حنفاء فاجتالتهم الشياطين
عن دينهم وجعلت ما احللت لهم حراما قال ابو عبيد يريد بذلك البحائر
والسيب وغير ذلك مما احله الله تعالى فجعلوه حراما واما ابن قتيبة فقال وقد
حكى ما ذكرناه عن ابى عبيد لست ارى ما حكاه ابو عبيد عن عبد الله بن المبارك
ومحمد بن الحسن مقنعا لمن اراد ان يعرف معنى الحديث لانهما لم يزيدا
على ان ردا على ما قاله اهل القدر وتفسير محمد بن الحسن يدل على ان الحديث
عنده منسوخ والنسخ لا يكون فى الاخبار وانما يكون فى الامر والنهى قال

ولا

ولا يجوز ان يراد على تاويل ابن المبارك بعض المولودين دون بعض لان مخرجه مخرج
العموم قال ولا ارى معنى الحديث الا ما ذهب اليه حماد بن سلمة فانه قال فيه هذا
عندنا حيث اخذ العهد عليهم فى اصلاب آبائهم يريد حين مسح الله تعالى ظهر ادم
فاخرج منه ذريته الى يوم القيمة امثال الذر واشهدهم الست بربكم قالوا بلى على انفسهم
فاراد عليه السلام ان كل مولود يولد فى العالم على ذلك العهد وعلى ذلك الاقرار
الاول وهو الفطرة قال المرتضى رضى الله عنه وهذا كله تخليط وبعد عن الجواب
الصحيح والصحيح فى تاويله ان قوله يولد على الفطرة يحتمل الامرين **احدهما** ان يكون
الفطرة ههنا الدين ويكون على بمعنى اللام فكانه قال كل مولود يولد للدين ومن
اجل الدين لان الله تعالى لم يخلق من بلغه مبلغ المكلفين الا ليعبده فينتفع بعبادته
يشهد بذلك قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والدليل على
ان على يقوم مقام اللام ما حكاه يعقوب بن السكيت عن ابى زيد عن العرب انهم
يقولون صف على كذا وكذا حتى اعرفه بمعنى صف لى ويقولون ما اغيظك على يريدون ما اغيظك لى
والعرب تقيم بعض الصفات مقام بعض فيقولون سقط الرجل لوجهه يريدون
على وجهه وقال الطرماح كان مخواها على ثفناتها معرس خمس وقعت للجناجن
اراد على الجناجن وقال عنترة شربت بماء الدحرضين فاصبحت زوراء تنفر عن
حياض الديلم معناه شربت الناقة من ماء الدحرضين وهما ماءان يقال لاحدهما
وسيع والاخر دحرض فغلب الاشهر وهو الدحرض وانما ساغ ان يريد بالفطرة التى
هى الخلقة فى اللغة الدين من حيث كان هو المقصود بها وقد يجرى على الشىء اسم ما له
به هذا الضرب من التعلق والاختصاص وعلى هذا يتاول قوله تعالى فاقم وجهك
للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها اراد دين الله الذى خلق الخلق
له وقوله تعالى لا تبديل لخلق الله المراد به ان ما خلق الله العباد له من العبادة
والطاعة ليس مما يتغير ويختلف حتى يخلق قوما للطاعة وآخرين للمعصية ويجوز
ان يريد بذلك الامر وان كان ظاهره ظاهر الخبر فكانه تعالى قال لا تبدلوا ما خلقكم الله

له من الدين والطاعة بان يعصوا ويخالفوا او الوجه الثاني في تاويل قوله عليه السلم
الفطرة ان يكون المراد به الخلقة ويكون لفظة على على ظاهرها لم يرد بها غيرها ويكون
ويكون المعنى كل مولود يولد على الخلقة الدالة على وحدانية الله تعالى وعبادته
والايمان لانه جل وعز قد صور الخلق وخلقهم على وجه يقتضي النظر فيه معرفته
والايمان به وان لم ينظروا ويعرفوا فكانه عليه السلم قال كل مخلوق ومولود فهو
يدل بخلقه وصورته على عبادة الله تعالى وان عدل بعضهم فصار يهوديا
او نصرانيا وهذا الوجه ايضا يحتمل قوله تعالى فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا
واذا ثبت ما ذكرناه في معنى الفطرة فقوله حتى يكون ابواه يهودانه وينصرانه
يحتمل وجهين احدهما ان من كان يهوديا ونصرانيا ممن خلقته لعبادتي ودينى
فانما جعله ابواه كذلك ومن جرى مجراهما ممن اوقع له الشبهة وقلده الضلال
عن الدين وانما خص الابوين لان الاولاد في الاكثر ينشاون على مذهب ابائهم
ويالفون اديانهم ونحلهم ويكون الغرض بالكلام تنزيه الله تعالى عن ضلال العباد
وكفرهم وانه انما خلقهم للايمان فصدهم عنه اباؤهم ومن جرى مجراهم والوجه
الاخر ان يكون معنى يهودانه وينصرانه اى يلحقانه باحكامهما لان اطفال
اهل الذمة قد الحق الشرع احكامهم باحكامهم فكانه عليه السلم قال لا تتوهموا
من حيث لحقت احكام اليهود والنصارى اطفالهم انهم خلقوا لدينهم بل
لم يخلقوا الا للايمان والدين الصحيح لكن اباءهم هم الذين ادخلوهم في احكامهم
وعبر عن ادخالهم في احكامهم بقوله يهودانه وينصرانه وهذا واضح واما جواب
ابي عبيد الذي حكاه عن محمد بن الحسن فانا اذا تمكنا من حمل الخبر على وجه يسلم
معه من النسخ لم نحتج الى غيره وانما توهم النسخ لاعتقاده ان خلقهم على الفطرة
يمنع من الحاقهم بحكم ابائهم وذلك غير ممتنع واما الجواب الذي حكاه عن ابن
المبارك ففاسد لان الله تعالى لا يجوز ان يخلق احدا للكفر وكيف يخلقه للكفر
وهو يامره بالايمان ويريده منه ويعاقبه يذمه على خلافه فاما ما روى عنه عليه السلم

دونه

وقد سئل عن اطفال المشركين كيف تكون صورته والى اى شئ ينتهى عاقبته فقال
فقال الله اعلم بما كانوا عاملين فانه يحتمل ان يكون عليه السلم انما سئل عمن يبلغ من اطفال المشركين
الله اعلم بما كانوا عاملين فاراد ان ذلك مستور عنى ولو كانت المسئلة عمن
اخترم طفلا لم يجز ان يكون الجواب ذلك واما ابن قتيبة فانه رد على ابي عبيد
من غير وجه يقتضى الرد واعترض جواب ابن المبارك باعتبار العموم والخصوص
وترك ان يفسده من الوجه الذي يفسد به وهو الذي ذكرناه وكيف تنبه على
فساده من هذه الجهة وقد اختار في تاويل الخبر ما يجرى في الفساد والاختلال
مجرى تاويل ابن المبارك فاما النسخ في الاخبار فجائز اذا تضمنت معنى الامر
والنهى ويكون ما دل على جواز النسخ في الاوامر دالا على ذلك وهذا مثل ان يقول نبينا
عليه السلم الصلوة واجبة عليكم ثم يقول بعد زمان ليست واجبة فيستدل
بالثاني على نسخ الحكم الاول كما لو قال صلوا ثم قال لا تصلوا كان النهى الثاني ناسخا
للاول واما الجواب الذي ذكره ابن قتيبة فقد بينا فساده فيما تقدم من الامالى
عند تاويلنا لقوله تعالى وَاِذْ اَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي اٰدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ واشهدهم على انفسهم
وافسدنا قول من اعتقد انه مسح ظهر ادم واستخرج منه الذرية واشهدها
على نفوسها واخذ اقرارها بمعرفته بوجوه من الكلام فلا طائل في اعادة ذلك

المجلس الخامس والخمسون تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى فَاَمَّا الَّذِينَ شَقُوا
فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمٰوَاتُ وَالْاَرْضُ اِلَّا
مَا شَاءَ رَبُّكَ اِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ وَاَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ
فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمٰوَاتُ وَالْاَرْضُ اِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ فقال
ما معنى الاستثناء ههنا والمراد التابيد والدوام ثم ما معنى التمثيل بمدة
السموات والارض التي تفنى وتنقطع الجواب قلنا قد ذكر في هذه الاية وجوه
اولها ان تكون الا وان كان ظاهرها الاستثناء فالمراد بها الزيادة فكانه تعالى
قال خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك من الزيادة لهم
على هذا المقدار كما يقول الرجل لغيره لى عليك الف دينار الا الفين اللذين اقرضتكهما

وقت كذا وكذا والالفان زيادة على الالف بغير شك لان الكثير لا يستثنى من القليل
وهذا الجواب يختاره الفرا وغيره من المفسرين والوجه الثاني ان يكون المعنى الا
ماشاء ربك من كونهم قبل دخول الجنة والنار في الدنيا وفي البرزخ الذي هو
ما بين الحيوة والموت واحوال المحاسبة والعرض وغير ذلك لانه تعالى لو قال
خالدين فيها ابدا ولم يستثن لتوهم متوهم انهم يكونون في الجنة والنار من لدن
نزول الاية او من بعد انقطاع التكليف فصار للاستثنا وجه وفايدة معقولة
والوجه الثالث ان تكون الا بمعنى الواو والتاويل خالدين فيها ما دامت السموات
والارض وماشاء ربك من الزيادة واستشهد على ذلك بقول الشاعر وكل
اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان معناه والفرقدان وبقول الاخر
واري لها دارا باغدرة السيدان لم يدرس لها رسم الا رمادا هامدا دفعت عنه
الرياح خوالد سحم والمراد بالا ههنا الواو والا لكان الكلام متناقضا والوجه الرابع
ان يكون الاستثنا الاول متصلا بقوله لهم فيها زفير وشهيق وتقدير الكلام
لهم في النار زفير وشهيق الا ماشاء ربك من اجناس العذاب الخارجة عن هذين
الضربين ولا يتعلق الاستثنا بالخلود فان قيل فهبوا ان هذا امكن في الاستثناء
الاول كيف يمكن في الثاني قلنا نحمل الثاني على استثناء المكث في المحاسبة والموقف وغير ذلك
مما تقدم ذكره والوجه الخامس ان يكون الاستثناء غير موثر في النقصان من الخلود وانما
الغرض فيه انه لو شاء ان يخرجهم وان لا يخلدهم لفعل وان التخليد انما يكون
بمشيته وارادته كما يقول القائل لغيره والله لاضربنك الا ان ارى غير ذلك وهو
لا ينوي الا ضربه ومعنى استثنائه اني لو شئت ان لا اضربك لفعلت وتمكنت
غير اني مجمع على ضربك والوجه السادس ان يكون تعليق ذلك بالمشية على سبيل
التاكيد للخلود والتبعيد للخروج لان الله تعالى لا يشاء الا تخليدهم على ما حكم
به ودل عليه ويجري ذلك مجرى قول العرب والله لا هجرتك الا ان يشيب الغراب
ويبيض القار ومعنى ذلك اني لا اهجرك ابدا من حيث علقه بشرط معلوم انه لا يحصل

وكذلك

وكذلك معنى الاستثنائين والمراد بهما انهم خالدون ابدا الا ان الله تعالى لا يشاء
ان يقطع خلودهم والوجه السابع ان يكون المراد بالذين شقوا من ادخل النار
من اهل الايمان الذين ضموا الى ايمانهم وطاعاتهم المعاصي فقال تعالى انهم
معاقبون في النار الا ماشاء ربك من اخراجهم الى الجنة وايصال ثواب طاعاتهم
اليهم ويجوز ايضا ان يريد باهل الشقا جميع الداخلين الى جهنم ثم استثنى بقوله
الا ماشاء ربك اهل الطاعات منهم ومن يستحق ثوابا لابد ان يوصل اليه فقال الا
ماشاء ربك من اخراج بعضهم وهم اهل الثواب واما الذين سعدوا فانما
استثنى من خلودهم ايضا لما ذكرناه لان من نقل من النار الى الجنة وخلد فيها
لابد في الاخبار عنه بتابيد خلوده من استثناء ما تقدم فكانه تعالى قال
انهم خالدون في الجنة ما دامت السموات والارض الا ماشاء ربك من الوقت
الذي ادخلهم فيه النار قبل ان ينقلهم الى الجنة والذين شقوا على هذا الجواب
هم الذين سعدوا وانما اجرى عليهم كل لفظ في الحال التي تليق بهم اذا دخلوا النار
وعوقبوا فيها من اهل الشقاوة واذا نقلوا الى الجنة من اهل الجنة والسعادة
وقد ذهب الى هذا الوجه جماعة من المفسرين كابن عباس وقتادة والضحاك وغيرهم وروى بشر بن عمارة عن ابي روق عن الضحاك
عن ابن عباس قال الذين شقوا ليس فيهم كافر وانما هم قوم من اهل التوحيد
يدخلون النار بذنوبهم ثم يتفضل الله سبحانه عليهم فيخرجهم من النار الى الجنة
فيكونوا اشقيا في حال سعدا في حال اخرى فاما تعليق الخلود بدوام السموات
والارض فقد قيل فيه ان ذلك لم يجعل شرطا في الدوام وانما علق به
على طريق التبعيد وتاكيد الدوام لان للعرب في مثل هذا عادة معروفة
خاطبهم الله تعالى عليها لانهم يقولون لا افعل كذا ما لاح كوكب وما اضاء
الفجر وما اختلف الليل والنهار وما بل بحر صوفة وما تغنت حمامة ونحو ذلك مرادهم
التابيد والدوام ويجري كل ما ذكرناه مجرى قولهم لا افعل كذا ابدا
لانهم لا يعتقدون في جميع ما ذكرناه انه لا يزول ولا يتغير وعباراتهم

انما يجزونها بحسب اعتقاداتهم لا بحسب ما يجري عليه الشي في نفسه الا ترى
ان بعضهم لما اعتقد وانى الاصنام ان العبادة تحق لها سماها الهة بحسب اعتقادهم
وان لم يكن في الحقيقة كذلك ومما يشهد لمذهبهم الذي حكيناه قول ابي الجويرية
العبدي. ذهب الجود والجنيد جميعا. فعلى الجود والجنيد السلام. اصبحا ثاويين
في قعر مرو. ما تغنى على الغصون الحمام. وقال الاعشى. الست منتهيا عن نحت اثلتنا.
ولست ضايرها ما اطت الابل. وقال الاخر. لا افناء الدهر ابكيكم باربعة.
ما اجترت النيب وحنت الى بلد. وقال زهير منبئا عن اعتقاده دوام الجبال وانها
لا تفنى ولا تتغير. الا لا ارى على الحوادث باقيا. ولا خالدا الا الجبال الرواسيا.
فهذا وجه وقيل ايضا في ذلك انه اراد به الشرط وعنى بالاية دوام السموات
والارض المبدلتين لانه قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
فاعلمنا انها تبدل لان وقد يجوز ان يديمهما بعد التغيير ابدا بلا انقطاع وانما
المنقطع هو دوام السموات والارض قبل التبديل والفناء ويمكن ان يكون
المراد انهم خالدون بمقدار مدة السموات والارض التي يعلم الله انقطاعهما
ثم يزيدهم الله على ذلك ويخلدهم ويؤبد مقامهم وهذا الوجه يليق بالاجوبة التي
تتضمن الاستثناء اريد به الزيادة على المقدار المتقدم لا النقصان قال المرتضى رضي
وجدت الامدي قد ظلم البحتري في تفسير بيت مضافا الى ظلمه له في اشياء كثيرة
تاولها على خلاف مراد البحتري حكى قوله كالبدر الا انها لا تجتلى. والشمس الا انها
لا تغرب. ثم قال وهذا فيه سوال لانه قال كالبدر الا انها لا تجتلى فالمعنى
ان عيون الناس كلهم ترى البدر وتجتليه وهي لا تراها العيون ولا
تجتلى ثم قال والشمس الا انها لا تغرب وانما قال لا تجتلى لانها محجوبة واذا
كانت في حجاب وهي في غروب لان الشمس اذا غربت فانما تدخل تحت حجاب
وظاهر المعنى كالبدر الا ان العيون لا تراها والشمس الا ان العيون لا تفقدها
قال وهذا القول متناقض كما تراه واظنه اراد انها وان كانت في حجاب

فانه

فانها لا يقال لها غربت تغرب كما يقال للشمس وانما يقال لها اذا سافرت
بعدت وغربت اذا توجهت نحو الغرب وقد يقال للرجل اغرب عنا اي ابعد عنا
ولو استعار لها اسم الغروب عن الارض التي تكون فيها اذا ظعنت عنها الى
ارض اخرى كان ذلك حسنا جدا لا سيما وقد جعلها شمسا كما قال ابراهيم بن
العباس الصولي. وزالت زوال الشمس عن مستقرها. فمن مخبري في اي ارض
غروبها. قال ويجوز ان يقول قائل انه اراد لا تغرب تحت الارض كما تغرب
الشمس وهذه معاذير ضيقة لابي عبادة فان لم يكن اخطا فقد اساء قال
المرتضى رضي الله عنه وما المخطي غير الامدي ومراد البحتري بقوله اوضح من ان
يذهب على متامل لانه اراد بقوله والشمس الا انها لا تغرب انها لا تصير
بحيث تتعذر رؤيتها وتمتنع كما تتعذر رؤية الشمس على من غربت عن افق
بلده والمراة ان احتجبت باختيارها فان ذلك ليس بغروب كغروب الشمس
لانها اذا شاءت ظهرت وبرزت للعيون والشمس اذا غربت غير فرؤيتها
ممكنة ولهذا لا يصح ان يقال لمن استظل بدار او جدار عن الشمس انها قد
غربت عنه وان كان غير راء لها لان رؤيتها ممكنة بزوال ذلك المانع فكذلك
القول في احتجاب المراة فلا تناقض في بيت البحتري كما ظنه الامدي ولبعضهم
في مثل هذا المعنى قد قلت لبدر واستعبرت حين بدا. ما فيك يا بدر لي عن
وجهها خلف. تبدى لنا كلما شئنا محاسنها. وانت تنقص احيانا وتنكسف
بمعنى قوله. وانت تنقص احيانا وتنكسف جار مجرى غروب الشمس لانه فضلها
على البدر من حيث كان بروزها للمبصر موقوفا على اختيارها والبدر ينقص
وينكسف ويغيب على وجه لا يمكن رؤيته كما فضلها البحتري بانها لا تغرب
حتى تصير رؤيتها مستحيلة والشمس كذلك وقد ظلم الامدي البحتري في قوله
لا العذر يردعه ولا التعنيف عن كرم يصده ان هذا بالهجو اولى منه بالمدح
وللبحتري في هذا عذر من وجهين احدهما ان يكون الكلام خرج مخرج التقدير

واغتربت

قال الامدي وهذا عندي من اهجا بيت مدح به
خليفة واقبحه ومن انصف الخليفة على الكرم ان صدّه

فكانه قال لو عنف وعذل لماصدّه ذلك عن الكرم وان كان من حق العذل
والتعنيف ان يصدّا ويحجزا عن الشيء وهذا نظاير في القران وفي كلام العرب
وقد مضى فيما امليناه شيء من ذلك والوجه الاخر ان العذل والتعنيف
وان لم يتوجها اليه في نفسه فهما موجودان في الجملة على الاسراف في البذل
والجود بنفايس الاموال ولم يقل البحتري ان عذله يردعه او تعنيفه يصده وانما
قال لا العذل يردعه ولا التعنيف يصده فكانه اخبر بان ما يسمعه من عذل
العذال على الكرم وتعنيفهم على الجود وان كان متوجها الى غيره فهو غير صادّ له
لقوة عزيمته وشدة بصيرته ومما اخطا الامدي فيه على البحتري وان كان له فيه عذر
صحيح لم يهتد اليه قوله ذنب كما سحب الرداء يذب عن . عرف وعرف كالقناع
المسبل . قال الامدي وهذا خطأ من الوصف لان ذنب الفرس اذا مس الارض
كان عيبا فكيف ان يسحبه وانما الممدوح من الاذناب ما قرب من الارض
ولم يمسها كما قال امرء القيس . كميت اذا استدبرته سدّ فرجه . بضاف فويق
الارض ليس باعزل . وقد عيب امرء القيس بقوله لها ذنب مثل ذيل العروس
تسدّ به فرجها من دبر . وما ارى العيب لامرء القيس لان العروس وان كانت تسحب
اذيالها . وكان ذنب الفرس اذا مس الارض عيبا فليس بمنكر ان يشبه به الذنب
وان لم يبلغ الى ان يمس الارض لان الشيء انما يشبه به الشيء اذا قاربه او دنا
من معناه فاذا اشبهه في اكثر احواله فقد صح التشبيه ولاق به وامرء القيس
لم يقصد ان يشبه طول الذنب بطول ذيل العروس فقط وانما اراد السبوغ
والكثرة والكثافة الا ترى انه قال تسدّ به فرجها من دبر وقد يكون الذنب
طويلا يكاد يمس الارض ولا يكون كثيفا فلا يسدّ فرج الفرس فلما قال تسدّ به
فرجها علمنا انه اراد الكثافة والسبوغ مع الطول فاذا اشبه الذنب الذيل
من هذه الجهة وكان في الطول قريبا منه فالتشبيه صحيح وليس ذلك بموجب للعيب
وانما العيب في قول البحتري ذنب كما سحب الرداء فصح بان الفرس يسحب ذنبه ومثل قول

امرء القيس

امرء القيس قول خداش ابن زهير . لها ذنب مثل ذيل الهدى . الى جوجوء ايد الزافر
والهدى العروس التي تهدى الى زوجها والايد الشديد والزافر الصدر لانها تزفر
منه قال فشبه الذنب الطويل السابغ بذيل الهدى وان لم يبلغ في الطول الى ان
يمس الارض قال المرتضى رضي الله عنه وللبحتري وجه في العذر يقرب من عذر امرء القيس
في قوله مثل ذيل العروس غير ان الامدي لم يفطن له واول ما نقول ان الشاعر لا يجب
ان يؤخذ عليه في كلامه التحقيق والتحديد فان ذلك متى اعتبر في الشعر بطل
جميعه وكلام القوم مبني على التوسع والتجوز والاشارة الخفية والايماء الى المعاني
تارة من بعد واخرى من قرب لانهم لم يخاطبوا بشعرهم الفلاسفة واصحاب المنطق
وانما خاطبوا من يعرف اوضاعهم ويفهم اغراضهم وانما اراد البحتري بقوله ذنب
كما سحب الرداء المبالغة في وصفه بالطول والسبوغ وانه قد قارب ان يسحب ويكاد
يمس الارض ومن شان العرب ان لا يجري على الشيء الوصف الذي قد كاد يستحقه
وقرب منه القرب الشديد فيقولون قد قتل فلانا هوى فلانة وذهب بعقله ولم
وان الغيرة واخرج نفسه وكل ذلك لم يقع وانما ارادوا المبالغة وافادة المقاربة
والمشارفة ونظاير ذلك اكثر من ان تحصى ومن شانهم ايضا اذا ارادوا المبالغة
التامة ان يستعملوا مثل هذا فيشبهون الكفل بالكثيب وبالدعص وبالتل
ويشبهون الخصر بوسط الزنبور وبمقدار حلقة الخاتم ويعدون هذا غاية
المدح واحسن الوصف ونحن نعلم انا لو راينا من خصره بمقدار وسط الزنبور
وكفله كالكثيب العظيم لاستبعدنا واستهجنا صورته لتفاوتها وقبحها (لكان تمامه)
وانما اتوا بالفاظ المبالغة صنعة وتانقا لا لتحمل على ظاهرها تحديدا وتحقيقا
بل لتفهم منها الغاية المحمودة والنهاية المستحسنة ويترك ما وراء ذلك
فكانا نفهم من قولهم ان خصرها كخصر الزنبور انه في نهاية الدقة المستحسنة
في البشر من قولهم كفلها كالكثيب انها في نهاية الوثارة المطلوبة المحمودة لا انه
كالتل على الحقيقة وهكذا لا ينكر ان يريد البحتري بقوله كما سحب الرداء انه

في غاية الطول الممدوح المحمود لانه يجر على الارض في الحقيقة وكلنا في تلخيص معناه
وتفضيله الى العادة الجارية لنظرائه من الشعراء في استعمال مثل هذا اللفظ الذي استعمله
وقد قال بعضهم في ثقل العجيزة . تمشي فتثقلها روادفها . فكانها تمشي الى خلف
وقال المؤمل . من راى مثل حبتي . تشبه البدر اذ بدا . تدخل اليوم ثم . تدخل
اردافها غدا . وقال ذو الرمة ورمل كاوراك العذارى قطعته . وقد جللته المظلمات
الحنادس . وهذا كلام لو حمل على ظاهره وحقيقته لكان الموصوف به في نهاية القبح
لان من يمشي الى خلف ومن يدخل كفله بعده لا يكون مستحسنا وقال بكر بن النطاح
فرعاء تسحب من قيام شعرها . وتغيب فيه وهو جثل اسحم . فكانها فيه نهار مشرق
وكانه ليل عليها مظلم . فوصف شعرها بانه ينسحب مع قيامها ونحن نعلم ان طول
الشعر وان كان مستحسنا فليس الى هذا الحد وانما اراد بقوله تسحب شعرها
ما اراده البحتري بقوله كما سحب الرداء من المبالغة في الوصف بالطول المحمود دون
المذموم **المجلس السادس والخمسون تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى**
اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين فقال
ما تاويل هذه الاية وان كان المراد بها التعجب من قوة اسماعهم ونفاذ ابصارهم
واسماعهم عنها وقر وما معنى قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين واي يوم
هو اليوم المشار اليه وما المراد بالضلال المذكور الجواب قلنا اما قوله تعالى اسمع
بهم وابصر فهو على مذهب العرب في التعجب يجري مجرى قولهم في التعجب ما اسمعه
وما ابصره والمراد بذلك الاخبار عن قوة علومهم بالله تعالى في تلك الحال وانهم
عارفون به على وجه لا اعتراض للشبهة عليه وهذا يدل على ان اهل الاخرة
عارفون بالله تعالى ضرورة ولا تنافي بين هذه الاية وبين الايات التي اخبر
عنهم فيها بانهم لا يسمعون ولا يبصرون وبان على الابصار غشاوة ولان
تلك الايات تناولت احوال التكليف وهي الاحوال التي كان الكفار فيها
ضلالا عن الدين جاهلين بالله تعالى وصفاته وهذه الاية تناولت يوم القيمة

كيف يطابق ما خبر به عنهم في مواضع كثيرة من الكتاب
بانهم لا يبصرون ولا يسمعون وان على ابصارهم

وهو المعنى بقوله تعالى يوم ياتوننا واحوال القيمة لا بد فيها من المعرفة الضرورية
وتجري هذه الاية مجرى قوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك
غطاءك فبصرك اليوم حديد . اما قوله تعالى لكن الظالمون اليوم في ضلال
مبين . فيحتمل ان يريد بقوله اليوم الدنيا واحوال التكليف ويكون الضلال
المذكور انما هو الذهاب عن الدين والعدول عن الحق واراد تعالى انهم في الدنيا
جاهلون وفي الاخرة عارفون بحيث لا تنفعهم المعرفة ويحتمل ان يريد باليوم
يوم القيمة ويعني بالضلال العدول عن طريق الجنة ودار الثواب الى دار
العقاب فكانه تعالى قال اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا غير انهم مع معرفتهم هذه وعلمهم
يصيرون في هذا اليوم الى العقاب ويعدل بهم عن طريق الثواب وقد روي
معنى هذا التاويل عن جماعة من المفسرين فروي عن الحسن في قوله تعالى اسمع
بهم وابصر يوم ياتوننا قال يقول الله تعالى هم يوم القيمة سمعاء بصراء لكن
الظالمون اليوم في الدنيا ليسوا سمعاء ولا بصراء ولكنهم في ضلال عن الدين
مبين وقال قتادة وابن زيد ذلك والله يوم القيمة سمعوا حين لم ينفعهم
السمع وابصروا حين لم ينفعهم البصر وقال ابو مسلم بن بحر في تاويل هذه الاية
كلاما جيدا قال معنى اسمع بهم وابصر ما اسمعهم وما ابصرهم وهذا على
طريق المبالغة في الوصف يقول فهم يوم ياتوننا اي يوم القيمة بصراء سمعاء
اي عالمون وهم اليوم في دار الدنيا في ضلال مبين اي جهل واضح قال وهذا
تدل على ان قوله تعالى صم بكم عمي فهم لا يعقلون ليس معناه الافة في الاذن
والعين والجوارح بل هو انهم لا يسمعون عن قدرة ولا يتدبرون ما يسمعون
ولا يعتبرون بما يرون بل هم عن ذلك غافلون فقد ترى انه جعل قوله تعالى
لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين مقابلا لقوله اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا
اي ما اسمعهم وابصرهم فاقام السمع والبصر مقام الهدى اذ جعله بازاء الضلال
المبين فاما ابو علي محمد بن عبد الوهاب فانه اختار في تاويل هذه الاية

غير هذا الوجه ونحن نحكي كلامه على وجهه قال وعنى بقوله تعالى اسمع بهم
وابصر اي اسمعهم وبصّرهم وبيّنهم انّهم اذا اتوا مع الناس الى موضع الجزاء
سيكونون في ضلال عن الجنّة وعن الثواب الذي يناله المومنون والظالمون
الذين ذكرهم الله تعالى هم هولاء الذين توعّدهم الله بالعذاب في ذلك اليوم ويجوز
ايضا ان يكون عنى بقوله اسمع بهم وابصر اي اسمع الناس بهولاء الانبياء وبصّرهم
بهم ليعرفوهم ويعرفوا اخبارهم فيومنوا بهم ويقتدوا باعمالهم واراد بقوله
لكن الظالمون لكن من كفر بهم من الظالمين اليوم وهو يوم القيمة في ضلال
عن الجنّة وعن نيل الثواب مبين وهذا الموضع من جملة المواضع التي استدركت
على ابي علي ونسب فيها الى الزلل لانّ الكلام وان كان محتملا لما ذكره بعض
الاحتمال من بعد فانّ الاولى والاظهر في معناه ما تقدّم ذكره من المبالغة
في وصفهم وقوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين بعد ما تقدّم لا يليق
الّا بالمعنى الذي ذكرناه لاسيّما اذا حمل اليوم على انّ المشار به الى يوم القيمة
على انّ ابا علي جعل قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين من صلة قوله اسمع
بهم وابصر وتاوّله على انّ المعنى به اعلمهم وبصّرهم بانّهم يوم القيمة في ضلال
عن الجنّة والكلام يشهد بانّ ذلك لا يكون من صلة الاول وانّ قوله
لكن استيناف لكلام ثان وما يحتاج ابو علي الى هذا بل لو قال على ما اختاره
من التاويل انّه اراد اسمعهم وابصرهم يوم ياتوننا اي ذكّرهم بما هو الحق واعلمهم
بما فيه ثمّ قال مستانفا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين لم يحتج الى ما
ذكره وكان هذا اشبه بالصواب فامّا الوجه الثاني الذي ذكره فباطل لانّ
قولهم اسمع بهم وابصر اذا تعلق بالانبياء الذين ذكرهم بقي قوله يوم ياتوننا
بلا عامل ومحال ان يكون ظرفا لا تعلّق له بذلك فالاقرب ان يكون على الوجه
الاول مفعولا ووجدت بعض من اعترض على ابي علي يقول لو اراد اعلمهم
لو كان الامر على ما ذهب اليه ابو علي لوجب ان يقول اسمعهم وابصرهم بغير با

وهذا الرد غير صحيح لانّ البا في مثل هذا الموضع غير منكر زيادتها وذلك موجود
كثير في القران والشعر قال الله تعالى اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ وعينا يشرب
بها المقرّبون وهزّي اليك بجذع النخلة وتلقون اليهم بالمودّة وقال الاعشى
ضمنت برزق عيالنا ارماحنا . وقال امرؤ القيس . هصرت بغصن ذي شماريخ
ميال . واظنّ انّ ابا علي انّما انسه هذا الجواب انّه وجد تاليا للاية لفظا وهو
قوله تعالى وانذرهم يوم الحسرة فحمل الاول على الثاني والكلام لا تشتبه معانيه
من حيث المجاورة بل الواجب ان يوضع كل منه حيث يقتضيه معناه قال المرتضى
وجدت جماعة من اهل الادب يستبعدون ان يرتج على انسان في خطبة او كلام
قصد له فينبعث منه في تلك الحال كلام هو احسن مما قصد وابلغ مما ارتج عليه دونه
ويقولون انّ النسيان لا يكون الّا عن حيرة وضلال فكيف معها البراعة
الثاقبة والبلاغة المانورة مع حاجتهما الى اجتماع الفكر وحضور الذكر
وينسبون جميع ما يحكى من كلام مستحسن ولفظ مستعذب عمن حصر في خطبة
او منطق الى انّه موضوع او مصنوع وليس الذي استبعدوه ببعيد ولا منكر
لانّ النسيان قد يخص شيئا دون شيء ويتعلق بجهة دون جهة وهذا امر
متعارف فلا ينكر ان ينسى الانسان شيئا قصده وعزم عليه الكلام فيه ويكون
مع ذلك ذاكرا لغيره متكلما فيه بابلغ الكلام واحسنه وربّما كان الحصر
والذهاب عن المقصد بحيان القريحة ويوقدان الفكرة فيبعثان على احسن الكلام
وابرعه ليكون ذلك هربا من العيّ وانتفاء من اللكنة ومن ما روي من بديع الكلام
في حال الحصر والانقطاع عن المقصود من الكلام ما اخبرنا به ابو عبد الله
المرزباني قال حدّثنا ابن دريد مرّة اخرى قال حدّثنا السكن بن سعد عن محمد
بن عباد عن ابن الكلبي قال صعد خالد بن عبد الله القسري يوما المنبر بالبصرة فارتج
عليه فقال ايّها الناس انّ الكلام وقال ابو حاتم انّ هذا القول يجيء احيانا
ويذهب احيانا فيتسبب عند مجيئه سببه ويتعذر عند عزوبه طلبه وربما كوبر

فابى وعولج فابطا، وقال ابن الكلبى ربما طلب فابى وعولج فقسا فالثانى لمجيئه
اصوب من التعاطى لابيه ثم نزل فاروى حصر ابلغ منه وقال ابو حاتم والترك
لابيه افضل من التعاطى لمجيئه وتجاوزه عند تعززه اولى من طلبه عند تبرجه
وقد يختلج من الجرى جنانه ويرتج على البليغ لسانه ثم نزل واخبرنا بهذا الخبر
ابو عبد الله على وجه اخر قال اخبرنا ابرهيم بن محمد بن عرفه الوسطى قال كان خالد بن
عبد الله القسرى حين ولاه هشام بن عبد الملك يكثر الخطب والتبالغ فقدم
واسطا فصعد المنبر يحاول الخطبه فارتج عليه فقال ايها الناس ان هذا الكلام يجى احيانا
ويعزب احيانا فيعز عند عزوبه طلبه ويتسبب عند مجيئه سببه وربما
كوبر فابى وعوسر فقسى والتانى لمجيئه اسهل من التعاطى لابيه وتركه عند تعذره
احمد من طلبه عند تذكره فقد يرتج على البسيط لسانه فلا ينظره القول اذا اتسع
ولا ينشؤ اذا امتنع ومن لم تمكن له الخطوة فخليق ان تعزله النبوة واخبرنا المرزبانى
قال اخبرنا ابو عبد الله ابرهيم بن محمد بن عرفه قال حدثنا ابو العباس المنصورى
قال صعد ابو العباس السفاح المنبر فارتج عليه فقال ايها الناس انما اللسان
بضعة من الانسان تكل اذا كل وتنفسح بانفساحه اذا انفسح نحن امراء الكلام
منا تفرعت فروعه وعلينا تهدلت غصونه الا وانا لا نتكلم هذرا ولا نسكت
الا معتبرين ثم نزل فبلغ ذلك ابا جعفر فقال لله هو لو خطب بمثل ما اعتذر
لكان من اخطب الناس وهذا الكلام يروى لداود بن على وبهذا الاسناد
عن محمد بن الصباح عن قاسم بن جعفر بن سليمان عن ابيه قال اراد ابو العباس
السفاح ان يتكلم فى امر من الامور بعد ما افضت الخلافة اليه وكان فيه حياء
مفرط فارتج عليه فقال داود بن على بعد ان حمد الله واثنى عليه ان امير المؤمنين
الذى قلده الله سياسة رعيته عقل من لسانه عند ما تعهد من بيانه
ولكل مرتق بهر حتى تنفتق العادات فابشروا بنعمة الله فى صلاح دينكم
ورغد معيشتكم واخبرنا ابو عبيد الله قال اخبرنا ابرهيم بن محمد بن عرفه قال

حدثنا عبد الله بن اسحق بن سلام قال صعد عثمان بن عفان المنبر فارتج عليه
فقال ايها الناس سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عى نطقا وانكم الى امام
فعال احوج منكم الى امام قوال وروى محمد بن يزيد النحوى هذا الكلام بعينه عن
يزيد بن ابى سفيان وقد خطب على بعض منابر الشام وان عمرو بن العاص لما بلغه
كلامه قال هن مخرجاتى من الشام استحسانا الكلام وروى محمد بن يزيد النحوى
قال بلغنى ان رجلا صعد المنبر ايام يزيد وكان واليا على قوم فقال ايها الناس
انى الا اكن فارسا طبا بهذا القران فان معى من اشعار العرب ما ارجو ان تكون
خلفا منه وما اساء اخو البراجيم حيث يقول . وما عاجلات الطير يدنين للفتى
رشادا ولا من ريثهن نجيب . ورب امور لا يضيرك ضيرها . وللقلب من مخشاتهن
وجيب . ولا خير فى من لا يوطن نفسه . على حادثات الدهر حين تنوب . وفى
الشك تفريط وفى الحزم قوة . ويخطى الفتى فى حدسه ويصيب فقال له رجل
من كلب ان هذا المنبر لم ينصب من الشعر بل يحمد الله عليه ويصلى على نبيه
وللقران فقال ام لو انشدتكم شعر رجل من كلب لسركم فكتب الى يزيد بذلك
فعزله وقال كنت ارى انك جاهل ولم احسب ان الحمق بلغ بك هذا كله فقال له
احمق منى من ولانى وكان يزيد بن المهلب ولى ثابت قطنه بعض قرى خراسان
فصعد المنبر فحصر فنزل وهو يقول . فان لا اكن فيكم خطيبا فاننى بسيفى
اذا جد الوغى لخطيب . فقيل له لو قلت هذا على المنبر لكنت اخطب الناس
فبلغ ذلك حاجب الفيل فقال . ابا العلاء لقد لاقيت معضلة . يوما العروبة
من كرب وتخنيق . اما القران فلا تهدى لمحكمه . ولم تسدد من الدنيا بتوفيق
لما رمتك عيون الناس هبتهم . وكدت تشرق لما قمت بالريق . تلوى اللسان
اذا رمت الكلام به . كما هوى زلق من جانب النيق وروى ان بعض خلفاء بنى
بنى العباس واظنه الرشيد صعد المنبر ليخطب فسقطت ذبابة على وجهه
فطردها فعادت فحصر وارتج عليه فقال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين يدعون من دون الله
لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه
منه ضعف الطالب والمطلوب ثم نزل فاستحسن ذلك منه ومما
يشاكل هذه الحكاية ما حكاه عمرو بن بحر الجاحظ قال كان لنا بالبصرة قاض يقال
له عبيد الله بن سوار لم ير الناس حاكما قط ولا زكينا ولا وقورا اضبط من نفسه
وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك وكان يصلي الغداة في منزله وهو قريب
الدار من المسجد فياتي مجلسه فيحتبي فلا يتكي ولا يزال منتصبا لا يتحرك له عضو
ولا يلتفت ولا يحل حبوته ولا يحول رجلا عن رجل ولا يعتمد على احد شقيه
كانه مبني او صخرة منصوبة فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلوة الظهر ثم يرجع
الى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلوة العصر ثم يرجع لمجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلوة المغرب ثم ربما عاد الى مجلسه
بل كثيرا ما يكون ذلك اذا بقي عليه من قراءة العهد والشروط والوثايق
ثم يصلي العشاء وينصرف ولم يقم في طول تلك الولاية مرة واحدة الى الوضوء
ولا احتاج اليه ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب وكذلك كان شانه
في طول الايام وفي قصارها وفي صيفها وفي شتائها وكان مع ذلك لا يحرك يدا
ولا يشير براسه وليس الا ان يتكلم ثم يوجز ويبلغ بالكلام اليسير المعاني الكثيرة
فبينا هو كذلك ذات يوم واصحابه حوله وفي السماطين بين يديه اذ سقط على انفه
ذباب فاطال السقوط والمكث ثم تحول الى موق عينه فرام الصبر في سقوطه على
الموق وعلى عضه ونفاذ خرطومه كما رام من الصبر على سقوطه على انفه من غير ان يحرك
ارنبته او يغضن وجهه او يذب باصبعه فلما طال ذلك عليه من الذباب واوجعه
واحرقه وقصد الى مكان لا يحتمل التغافل عنه اطبق جفنه الاعلى على جفنه الاسفل
فلم ينهض فدعاه ذلك الى ان والى بين الاطباق والفتح فتنحى ريث ما سكن جفنه
ثم عاد الى موقه اشد من مرة الاولى فغمس خرطومه في مكان قد كان اوهاه
قبل ذلك فكان احتماله اضعف وعجزه عن الصبر في الثانية اقوى فحرك اجفانه

وزاد في شدة الحركة وفي تتابع الفتح والاطباق فتنحى عنه بقدر ما سكنت
حركته ثم عاد الى موضعه فما زال يلح عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده
فالجاه الى ان يذب عن عينيه بيده ففعل ذلك وعيون القوم ترونه يرمقونه
كانهم لا يرونه فتنحى عنه بقدر ما رد يده وسكنت حركته ثم عاد الى موضعه
فالجاه الى ان ذب عن وجهه بطرف كمه ثم الجاه الى ان تابع بين ذلك وعلم ان
ذلك كله بعين من حضر من امنائه وجلسائه فلما نظروا اليه قال واشهد ان
الذباب الح من الخنفساء وازهى من الغراب واستغفر الله فما اكثر من اعجبته
من نفسه فاراد الله ان يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستورا وقد علمت اني
عند الناس من ازمت الناس وقد غلبني وفضحني اضعف خلق الله ثم تلى قوله تعالى
ضعف الطالب والمطلوب المجلس السابع والخمسون في تاويل آية سائل
سائل عن قوله تعالى واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب
يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم
فقال ما تنكرون ان تكون في هذه الآية دلالة على اضافة الافعال التي تظهر
من العباد اليه تعالى من وجهين احدهما انه قال بعد ذكر ما تقدم من افعالهم
ومعاصيهم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم فاضافها الى نفسه والثاني انه
اضاف نجاتهم من آل فرعون اليه فقال واذ انجيناكم من آل فرعون
ومعلوم انهم هم الذين ساروا حتى نجوا فيجب ان ذلك السير فعله على
الحقيقة حتى تصح الاضافة الجواب قلنا اما قوله تعالى وفي ذلكم فهو اشارة
الى ما تقدم ذكره من انجائه لهم من المكروه والعذاب وقد قال قوم
انه معطوف على ما تقدم من قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي
انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين والبلاء ههنا الاحسان والنعمة
ولا شك ان تخليصه لهم من ضروب المكروه التي عددها نعمة عليهم واحسان
اليهم والبلاء عند العرب قد يكون حسنا ويكون سيئا قال الله تعالى وليبلي

المؤمنين بلاء حسنا. ويقول الناس في الرجل اذا احسن القتال والبلاء
في الحرب قد ابلى فلان ولفلان بلاء والبلوى ايضا قد تستعمل في الخير والشر
الا ان اكثر ما يستعملون البلاء الممدود في الجميل والخير والبلوى المقصورة
في السوء والشر وقال قوم اصل البلاء في كلام العرب الاختبار والامتحان
ثم يستعمل في الخير والشر كما قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات يعني
اختبرناهم وكما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة فالخير يسمى بلاء والشر يسمى بلاء
غير ان الاكثر في الشر ان يقال بلوته ابلوه بلاء وفي الخير ابليته ابليه ابلاء وبلاء وقال زهير
في البلاء الذي هو الخير. جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم. فابلاهما خير البلاء الذي
يبلوا. فجمع بين اللغتين لانه اراد فانعم الله عليهما خير النعمة التي يختبر بها
عباده وكيف يجوز ان يضيف ما ذكره عن ال فرعون من ذبح الابناء وغيره
الى نفسه وهو قد ذمهم عليه ووبخهم وكيف يكون ذلك من فعله وهو تعالى
قد عد تخليصهم منه نعمة عليهم وكان يجب على هذا ان يكون انما نجاهم
من فعله بفعله وهذا مستحيل لا يعقل ولا يحصل على انه يمكن ان يرد قوله
ذلكم الى ما حكاه عن ال فرعون من الافعال القبيحة ويكون المعنى في تخليته
بين هولاء وبينكم وتركه منعهم عن ايقاع هذه الافعال بكم بلاء من ربكم
عظيم قال نعمة عظيمة اذ انجاكم من ذلك وقد روى مثل ذلك عن ابن عباس
والسدي ومجاهد وغيرهم فاما اضافة النجاة اليه وان كانت واقعة
بسيرهم وفعلهم فلو دل على ما ظنوه لوجب اذا قلنا ان الرسول عليه السلم
انقذنا من الشرك واخرجنا من الضلال الى الهدى ونجانا من الكفر ان يكون
فاعلا لافعالنا وكذلك قد يقول احدنا لغيره انا نجيتك من كذا او كذا
وانتشلتك وخلصتك ولا يريد انه فعل فعله والمعنى في ذلك ظاهر لان
ما وقع بتوفيق الله سبحانه ودلالته وهدايته ومعونته والطافه فقد تصح
اضافته اليه تعالى فعلى هذا صحت اضافة النجاة اليه تعالى ويمكن ان يكون مضيفا

اي نعمة واختبار لكم والوجه الاول اقوى واولى وعليه جماعة المفسرين وروى ابو بكر الهذلي عن الحسن في قوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم

اي رفعتك

لها ايضا من حيث ثبط عنهم الاعداء وشغلهم عن طلبهم وكل هذا يرجع
الى المعونة فتارة تكون بامر يرجع اليهم وتارة يكون بامر يرجع الى اعدائهم
فان قيل كيف يجوز ان يقول واذ نجيناكم فيخاطب بذلك من لم يدرك فرعون ولا
نجا من شره قلنا ذلك معروف ومشهور في كلام العرب وله نظاير كثيرة
لان العرب قد يقول مفتخرا على غيره قتلناكم يوم عكاظ وهزمناكم وانما يريد
ان قومي فعلوا ذلك بقومك قال الاخطل يهجوا جرير بن عطية. ولقد سما لكم
الهذيل فنالكم. باراب حيث تقسم الانفالا. في فيلق يدعوا الاراقم لم تكن
فرسانه عزلا ولا اكفالا. ولم يلحق جرير الهذيل ولا ادرك اليوم الذي ذكره
غير انه لما كان يوم من ايام قوم الاخطل على قوم جرير اضاف الخطاب اليه
والى قومه وكذلك خطاب الله تعالى بالاية انما توجه الى ابناء من نجي من ال فرعون
واخلافهم والمعنى واذ نجينا اباءكم واسلافكم والنعمة على السلف نعمة على
الخلف قال المرتضى رضي الله عنه ومن حسن الشعر في تعود الضيافة والانس بها
والاستمرار عليها قول حاتم بن عبد الله الطائي. اذا ما بخيل الناس هرت كلابه
وشق على الضيف الغريب عقورها. فاني جبان الكلب بيتي موطا. جواد اذا
ما النفس شح ضميرها. وان كلابي قد اقرت وعودت. قليل على من يعتريها هريرها.
اراد بقوله على من يعتريها هريرها. انها لا تهر جملة ولذلك نظاير كثيرة ومثله
قوله تعالى فقليلا ما تؤمنون. ومثل قوله جبان الكلب معنى ولفظا قول الثاني
وما يك في من عيب فاني جبان الكلب مهزول الفصيل وانما اراد اني اقري
الضيف بالالبان فقصالي مهازيل ومثل اللفظ والمعنى ايضا قول ابي وجزة
وال الزبير بنو حرة. مروا بالسيوف الصدور الجيافا. يموتون والقتل من دابهم
ويغشون يوم السيوف السيافا. واجبن من صافر كلبهم. وان قذفته حصاة
اضافا. يقول ادركوا بسيوفهم ثاراتهم فكانهم شفوا وغر قلوبهم وازالوا
ما كان فيها من الاحقاد ومعنى مروا اي استخرجوا كما تمر الناقة اذا اردت

اداب اسم موضع
والاراقم قبايل مرودة

القوم

قوله مروا اي استخرجوا

ان تحلبها التدرّ والجانف المايل ثم قال وان نات بعضهم على فراشه فان اكثرهم
يموت مقتولا لشجاعتهم واقدامهم فلذلك قال والقتل من دابهم وجعل كلبهم
جبانا لكثرة من يغشاهم ويطرقهم من النزال والاضياف فقد الفتهم كلابهم
وانست بهم فهي لا تنبحهم وقيل ايضا انما لا تهر عليهم لا تصيب مما ينحر لهم
وتشاركهم فيه ومعنى وان قذفته حصاة اضافا اي اشفق وهذا تاكيد لجبنه
يقال اضاف الرجل من الامر اذا اشفق منه ومعنى اجبن من صافر قد تقدم ذكره
في الامالي ومثله في المعنى . يغشون حتى ما تهر كلابهم . لا يسالون عن السواد
المقبل . وقال المرار بن المنقذ العدوي . اعرف الحق ولا انكره . وكلابي انس
غير عقر . لا ترى كلبي الا انسا . ان اتى خابط ليل لم يهر . كثر الناس فما ينكرهم
من اسيف يبتغي الخير وحر . الاسيف العبد ههنا وقال اخر . الى ماجد لا ينبح
الكلب ضيفه . ولا يتاداه احتمال المغارم . معناه يتاداه يثقله واراد
ان يقول يتاوده فغلبه وقال ابن هرمة . واذا اتانا طارق متنور . نبحت
فدلته على كلابي . وفرحن اذ ابصرنه فلقينه . يضربنه بشر اشر الاذناب .
وانما تفرح به لانها قد تعودت اذا نزلت الضيوف ان ينحر لهم فتصيب
من قراهم ومثله . ومستنبح تستكشط الريح ثوبه . ليسقط عنه وهو بالثوب
معصم . عوى في سواد الليل بعد اعتسافه . لينبح كلب او ليفزع نوّم . فجاوبه
مستمع الصوت للقرى . له مع اتيان المهبين مطعم . يكاد اذا ما ابصر
الضيف مقبلا . يكلمه من حبه وهو اعجم . اراد بقوله فجاوبه مستمع
انه جاوبه كلب والمهبون الموقظون له ولاهله وهم الاضياف وانما كان له
معهم مطعم لانه ينحر لهم ما يصيب منه واراد بقوله يكلمه من حبه وهو
اعجم بصيصته وتحريكه ذنبه فاما قوله ليفزع نوم فانما اراد ليغيث قوما يقال
فزعت لفلان اذا اغثته ومعنى عوى في سواد الليل ان العرب تزعم ان الساري
الليل اذا اظلم عليه وادلهم فلم يستبين محجة ولم يدر اين الحلة وضع وجهه مع

وعوى عواء الكلب ليسمع ذلك الصوت الكلاب وان كان الحي قريبا منه فيجيبه
فيقصد الابيات وهذا معنى قوله ايضا مستنبح اي ينبح نباح الكلب وقال
الفرزدق في مثله . وداع بلحن الكلب يدعو ودونه . من الليل سجفا ظلمة وغيومها
دعا وهو يرجو ان ينبّه اذ دعا . فتى كابن ليلى حين غارت نجومها . بعثت له
دهماء ليست بلقحة . تدر اذا ما هب نحسا عقيمها . معنى بعثت اي رفعتها
على اثافيها ويعني بالدهماء قدرا واللقحة الناقة واراد ان قدره تدر اذا هبت
الريح عقيما لا مطر فيها . كان المحال الغر في حجراتها . عذارى بدت لما اصيب حميمها .
اراد ان قطع اللحم لا تستتر منها بشيء كما لا تستتر العذارى اللواتي حميمهن فيظهرن
حواسرا . غضوب بحيزوم النعام احمشت . باجواز خشب زال عنها هشيمها .
الاجواز الاوساط الخشب صلب واو قد بها نارا . تخضرة لا يجعل الستر دونها .
اذا المرضع العوجاء حال بريمها . البريم الحقاب وانما يحول من الهزال والجهد
والطوى والعوجاء التي قد اعوججت من الطوى وقال الاخطل في الضيف
دعاني بصوتي واحد فاجابه . مناد بلا صوت واخر صيّت وذكر ضيفا عوى
بالليل والصدى من الجبل يجيبه فذلك معنى قوله بصوتي واحد وقوله
فاجابه مناد بلا صوت يعني نارا رفعها له فراى سناها فقصدها والاخر الصيت
الكلب لانه اجاب عواءه ومثله . وسار غظلام متفعّل وهبوة . دعوت
بضوء ساطع فاهتدى ليا . يعني رفع نارا رفعها ليقصده طراق الليل والمقفعل
المتقبض من شدة البرد وانشد محمد بن يزيد . ومستنبح تهوي مساقط راسه
الى كل شخص فهو للصوت اصور . حبيب الى كلب الكرام مناخه .
بغيض الى الكوماء والكلب ابصره . دعته بغير اسم هلم الى القرى . فاسرى
يبوع الارض شقراء تزهر . معنى اصور اي مايل اراد انه يميل براسه الى
كل شخص يتخيل له بظنه انسانا وحبيب الى الكلب المعنى الذي تقدم ومعنى بغيض
الى الناقة انها تنحر له وقوله دعته شقراء بغير اسم يعني نارا راى ضوءها فقصدها

فكانها دعته وقال ابن هرمه وقد نزل به ضيف. فقلت لقينتي ارفعاها وحرقا
لعل سني نار باخر هيتف. وفي معنى قوله يفيض الى الكوما قول بعض الشعراء
يمدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وابيك خير ان ابل محمد. عزل تناوح
ان هبت شمال. واذا راين لدى الفناء غريبة. ذرفت لهن من الدموع سجال
وترى لها من الشتاء على الثرى رخما وما تحيي لهن فصال. اراد وابيك الخير
فلما طرح الالف واللام نصب والعزل التي لا سلاح معها وسلاح الابل سمنها
واولادها وانما جعلوا ذلك كالسلاح لها من حيث كان صاحبها اذا راى سمنها
وحسن اجسامها وراى اولادها تتبعها نفس بها على الاضياف فامتنع
من نحرها فلما كان ذلك صادا عن الذبح ومانعا منه جرى مجرى السلاح لها فكانه
يقول هذه الابل وان كانت ذات سلاح من حيث كانت شحيمة سمينة فهي كا
لعزل اذا كان سلاحها لا يغني عنها شيئا ولا يمنع من عقرها ومعنى تناوح
يقابل بعضها بعضا اي هن قد ملئت باسنمتها واوبارها لا تبالي هبوب الريح
ولا يدخل بعضها في بعض من البرد وقوله واذا راين لدى الفناء غريبة اي اذا
نزل ضيف فعقل ناقته التي جاء عليها وهي الغريبة علمن انه سينحر بعضهن لا محالة
ولذلك تذرف دموعهن وقوله وترى لها من الشتاء على الثرى رخما فقد قيل
اراد به انه يهب فصالهن فتبقى البانها على الارض كهيئة الرخم وحكي عن ابي
العباس ثعلب انه قال الرخم قطع العلق من الدم وعندي ان المعنى غير هذين جميعا
وانه انما اراد انها تنحر وتعقر فتسقط الرخم على موضع عقرها وبقايا دمها
واسلائها فهذا معنى قوله لاما تقدم وقال اخر في معنى سلاح الابل يمدح بني
عوذ بن غالب بن عبس جزى الله عني غالبا خير ما جزى. اذا حدثان الدهر
نابت نوايبه. اذا اخذت بزل المخاض سلاحها. تجرد فيهم متلف المال كاسبه
اراد ان شحمها وحسنها وتمامها لا يمنعني من عقرها للاضياف ومثله
اذا البقل في اصلاب شول بن مسهر. نمى لم يرزه البقل الا تكرما. اذا اخذت شول

البخيل

البخيل رماحها. دحى برماح الشول حتى تحطما. وقوله اخذت رماحها من المعنى المتقدم
وقال مسكين الدارمي. فقمت ولم تاخذ الى رماحها. عشاري ولم ارجع اقبها دما. عقرا به
لما رجب لم اكبر ذلك ولم تعظم علي وسمي رجب رجبا من ذلك لانه شهر يعظم وقال ليلى
الاخيلية. ولا تاخذ الكوم الجياد سلاحها لتوبة في قر الشتاء الصنابر. ومثله
لا احوز الصديق ما احفظ العهد. ولا تاخذ السلاح لقاحي وقال عمر بن تولب
ان نمان لم تاخذ الى سلاحها. ابلي بجلتها ولا ابكارها. ابترها البانها ولحومها. فاهين
ذاك لضيفها ولجارها. وقال مضرس بن ربعي الاسدي. وما نلعن الاضياف ان نزلوا بنا.
ولا يمنع الكوما منا نصبرها. ومعنى لا نلعنهم اي لا نبعدهم واللعين البعيد ونصبرها
هنا ما يمنع من عقرها من حسن تمام وولد وما جرى مجرى ذلك والنصير والسلاح
في المعنى واحد المجلس الثامن والخمسون تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى
وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ فقال ما تنكرون ان يكون
ظاهر هذه الاية يقتضي ان يكون جميع ما نفعله بمشيته وبريه انه لم يخص شيئا
من شيء وهذا بخلاف مذهبكم وليس لكم ان تقولوا هذا خطاب للرسول عليه السلام
خاصة وهو لا يفعل الا ما يشاء الله لانه قد يفعل المباح بلا خلاف ويفعل
الصغاير عند اكثركم فلا بد من ان يكون في افعاله ما لا يشاء عندكم ولان الله تعالى اذا
ايضا النا كما انه تعليم له عليه السلام ولذلك يحسن منا ان نقول ذلك فيما نفعله
الجواب قلنا تاويل هذه الاية مبني على وجهين احدهما ان نجعل حرف الشرط
الذي هو ان متعلقا بما يليه وبما هو متعلق به في الظاهر من غير تقدير ولا محذوف ويكون التقدير
تقولن انك تفعل الا ما يريد الله وهذا الجواب ذكره الفراء وما رايته الا له
ومن العجب تغلغله الى مثل هذا مع انه لم يكن متظاهرا بالقول بالعدل وعلى
هذا الجواب لا شبهة في الاية ولا سؤال للقوم علينا وفي هذا الوجه ترجيح
ليس لغيره من حيث اتبعنا فيه الظاهر ولم نقدر محذوفا فكل جواب طابق الظاهر
ولم يبن على محذوف كان اولى والجواب الاخر انه يجعل ان متعلقة بمحذوف ويكون

التقدير ولا تقولن لشئ اني فاعل ذلك غدا الا ان تقول ان شاء الله لان من
عادتهم اضمار القول في مثل هذا الموضع والاختصار الكلام اذا طال وكان
في الموجود منه دلالة على المفقود وعلى هذا الوجه يحتاج الى الجواب عما سألنا
عنه فنقول هذا من تاديب الله تعالى لعباده وتعليمه لهم ان يعلقوا ما يخبرون
عنه بهذه اللفظة حتى يخرج من حد القطع ولا شبهة في ان ذلك يختص بالطاعات
وان الافعال القبيحة خارجة عنه لان احدا من المسلمين لا يستجيز ان يقول اني
ازني غدا ان شاء الله وكلهم يمنع من ذلك اشد المنع فعلم سقوط شبهة من ظن
ان الاية عامة في جميع الافعال واما ابو علي محمد بن عبد الوهاب فانه ذكر في تاويل
هذه الاية ما نحن ذاكروه بعينه قال انما عنى بذلك ان من كان لا يعلم انه
يبقى الى غد حيا فلا يجوز ان يقول اني سافعل غدا كذا وكذا فيطلق الخبر بذلك
وهو لا يدري لعله سيموت فلا يفعل ما خبر به لان هذا الخبر اذا لم يوجد مخبره
على ما اخبر به فهو كذب واذا كان المخبر لا يامن ان لا يوجد مخبره لحدوث امر
من فعل الله تعالى نحو الموت او العجز او بعض الامراض ولا يحدث ذلك بان يبدله
هو في ذلك فلا يامن من ان يكون خبره كذبا في معلوم الله عز وجل فاذا لم يامن
ذلك لم يجز ان يخبر ولا يسلم خبره وهذا من الكذب الا بالاستثناء الذي
ذكره الله تعالى فاذا قال اني صاير غدا الى المسجد ان شاء الله فاستثنى في مصيره
مشية الله تعالى امن ان يكون خبره في هذا كذبا لان لم يكن خبره هذا كذبا
وان لم يوجد منه المصير الى المسجد لانه لم يوجد ما استثناه في ذلك
من مشية الله تعالى قال ولا يامن ان يكون خبره كذبا الا ان الانسان قد يترك
كثيرا مما نياه من الله تعالى منه ويتعبد به ولو كان استثنى مشية الله تعالى
لان يبقيه ولا يقدره ويرفع عنه الموانع ايضا لا يامن ان يكون خبره كذبا
لانه قد يجوز ان لا يصير الى المسجد مع تبقية الله تعالى اياه قادرا عليه فلا يامن الكذب
في هذا الخبر دون ان يستثنى المشية العامة التي ذكرناها فاذا دخلت هذه

المشية

الله ان شاء ان يلجئه الى المصير الى المسجد غدا
الجاه الى .. لكان المصير منه لا محالة فاذا كان
ذلك على ما وصفناه

ذا هذه المشية
المشية في الاستثنا فقد امن ان يكون خبره كذبا لان كانت متى وجدت وجب
ان يدخل المسجد لا محالة قال ويمثل هذا الاستثنا يزول الحنث عمن حلف فقال
والله لاصيرن غدا الى المسجد ان شاء الله لانه اذا استثنى على ما بيناه سبيل لم يجز
ان يحنث في يمينه ولو خص استثناه بمشية الله تعالى بعينها ثم كانت ولم
يدخل معها المسجد لحنث في يمينه وقال غير ابي علي ان المشية المستثناه هاهنا هي
مشية المنع والحيلولة فكانه قال ان شاء الله خليتي ولم يمنعني وفي الناس من قال
المقصد بذلك ان يوقف الكلام الا عن جهة القطع وان لا يلزم به ما كان يلزم
لولا الاستثنا ولا ينوي في ذلك الجا ولا غيره وهذا الوجه يحكى عن الحسن
البصري واعلم ان الاستثناء الداخل على الكلام وجوها مختلفة فقد يدخل
في الايمان والطلاق والعتاق وساير العقود وما يجري مجراها من الاخبار
فاذا دخل في ذلك اقتضى التوقف عن امضاء الكلام والمنع من لزوم ما يلزم به
وازالته عن الوجه الذي وضع له ولذلك يصير ما تكلم به كانه لا حكم له ولذلك
يصح على هذا الوجه ان يستثنى في الماضي فيقول قد دخلت الدار ان شاء الله تعالى
ليخرج بهذا الاستثناء من ان يكون كلامه خبرا قاطعا او يلزم به حكم وانما لم يصح
دخوله في المعاصي على هذا الوجه لان فيه اظهار الانقطاع الى الله تعالى والمعاصي
لا يصح ذلك فيها وهذا الوجه اجود ما يحتمل تاويل الاية وقد يدخل الاستثناء
في الكلام ويراد به اللطف والتسهيل وهذا الوجه يخص الطاعات ولهذا يجري
قول القايل لاقضين غدا ما علي من الدين ولاصلين غدا ان شاء الله تعالى مجرى
ان يقول اني افعل ذلك ان لطف الله تعالى فيه وسهله فعلم ان المقصد واحد
ومتى قصد الحالف فيه هذا الوجه لم يجب اذا لم يقع منه الفعل ان يكون حانثا
او كاذبا لانه بان لم يقع علمنا انه لم يلطف فيه لانه لا لطف له وليس لاحد ان
يعترض هذا بان يقول الطاعات لا بد فيها من لطف وذلك لان فيها ما لا لطف

فيه جملة فارتفاع ما هذه سبيله يكشف عن انه لا لطف فيه وهذا الوجه لا يصح
ان يقال في الآية لانها تخص الطاعات والآية تتناول كلما لم يكن قبيحا بدلالة اجماع
المسلمين على حسن استثناء ما تضمنته في كل ما لم يكن قبيحا وقد يدخل الاستثناء
في الكلام ويراد به التسهيل والاقدار والتخلية والبقاء على ما هو عليه من الاحوال وهذا
هو المراد به اذا دخل في المباحات وهذا الوجه يمكن في الآية الا انه يعترض ما ذكره
ابو علي الجبائي فيما حكيناه من كلامه وقد يذكر استثناء المشية ايضا في الكلام وان
لم يرد به شيء مما تقدم بل يكون الغرض اظهار الانقطاع الى الله تعالى من غير ان يقصد
به الى شيء من الوجوه المتقدمة ويكون هذا الاستثناء غير معتد به في كونه كاذبا
او صادقا لانه في الحكم كانه قال لا افعلن كذا اذا وصلنا الى مرادي مع انقطاعي
الى الله عز وجل واظهاري الحاجة اليه وهذا الوجه ايضا مما يمكن في تاويل الآية
ومتى تأمل جملة ما ذكرناه من الكلام عرف منه الجواب عن المسئلة التي لا يزال
يسال عنها المخالفون من قولهم لو كان الله تعالى انما يريد العبادات من الافعال
دون المعاصي لوجب اذا قال من لغيره عليه دين طالبه به والله لاعطينك حقك
غدا ان شاء الله تعالى ان يكون كاذبا او حانثا اذا لم يفعل لان الله تعالى قد شاء
منه ذلك عندكم وان كان لم يقع وكان يجب ان تلزمه الكفارة ولا يؤثر هذا
الاستثناء في يمينه ولا يخرجه عن كونه حانثا كما انه لو قال والله لاعطينك حقك
غدا ان قدم زيد فقدم ولم يعطه فيكون حانثا وفي الزام هذا الحنث خروج عن
اجماع المسلمين فصار ما اوردناه جامعا لبيان تاويل الآية والجواب عن هذه المسئلة
ونظايرها والحمد لله قال المرتضى رضي الله عنه تاملت ما اشتملت عليه تشبيهات
الشعرا فوجدت اكثر ما شبهوا فيه الشيء بالشيء الواحد او الشيئين بالشيئين
وقد تجاوز ذلك الى تشبيه ثلثة بثلثة واربعة باربعة وهو قليل ولم اجد ما تجاوز
هذا القدر الا قطعة رويت لابن المعتز فانها تضمنت تشبيه ستة اشياء امثاله ستة اشياء
الواحد بالواحد فمثل قول عنترة في وصف الذباب . هزجا يحك ذراعه بذراعه

قدح المكب على الزناد الاجذم . ومثله قول عدي بن الرقاع . تزجي اغن كان ابرة
روقه . قلم اصاب من الدوات مدادها . ومثله قول امرء القيس . كان عيون الوحش
حول قبابنا . وارحلنا الجزع الذي لم يثقب . وقوله . اذا ما الثريا في السماء تعرضت
تعرض اثنا الوشاح المفصل . وقول ذي الرمة . ووردت اعتسافا والثريا كانها
على قمة الراس ابن ماء محلق . وهذا الباب اكثر من ان يحصى واما تشبيه شيئين بشيئين
فمثل قول امرء القيس . كان قلوب الطير رطبا ويابسا . لدى وكرها العناب والحشف البالي
وقوله . وكشح لطيف كالجديل مخصر . وساق كانبوب السقي المذلل . وقول بشار
كان مثار النقع فوق روسهم . واسيافنا ليل تهاوى كواكبه . وقول الآخر
كان سمو النقع والبيض حولنا . سماوة ليل اسفرت عن كواكب . وقول ابي نواس
كان صغرى وكبرى من فواقعها . حصباء در على ارض من الذهب . وللآخر ان
الشمول هي التي جمعت لاهل الود شملا . شبهتها وحبابها بشقايق يحملن طلا .
وللآخر ابصرته والكاس بين فم منه . وبين انامل خمس فكانها وكان شاربها .
قمر يقبل عارض الشمس وللآخر . حتى اذا جليت في الكاس خلت بها . عقيقة
جليت في قشر بلور . تملي اذا مزجت في كاسها حببا . كانه عرق في خد مخمور
وقال البحتري . شقايق يحملن الندى فكانه . دموع التصابي في خدود الخرايد
وقال الآخر فكان الربيع يجلو عروسا . وكانا من قطرة في نثار ولابي العباس الناشي
كان الدموع على خدها . بقية طل على جلنار . وقال ابن الرومي فاحسن لو كنت
يوم الفراق حاضرنا . وهن يطفين غلة الوجد . لم تر الا الدموع سافحة .
تسفح من مقلة على خد . كان تلك الدموع قطر ندى . تقطر من نرجس على ورد
وقال جران العود . ابيت كان الليل افنان سدرة . عليها سقيط من ندى الطل ينطف
ولابن المعتز . سقتني في ليل شبيه بشعرها . شبيهة خديها بغير رقيب . فامسيت
في ليلين بالشعر والدجى . وشمسين من خمر ووجه حبيب . وقال المتنبي
نشرت ثلاث ذوائب من شعرها . في ليلة فارت ليالي اربعا . واستقبلت قمر السماء

بوجهها. فارتني القمرين في وقت معا. فاما تشبيه ثلثة بثلثة فمثل قول
ماني الموسوس. نشرت غداير شعرها لتظلني. خوف العيون من الوشاة الرمق
فكانه وكانها وكانني. صبحان باتا تحت ليل مطبق. ولبعضهم. روض
ورد خلاله نرجس. غصن بجفان اتحونا نضيرا. ذا يباهي لنا خدودا.
وذاك يحكي عيونا. وذا يضاهي ثغورا. ولابن المعتز في النرجس. مداهن تبر بين
اوراق فضة. لها عمد مخروطة من زبرجد. وللبحتري يصف ضمر المطايا وعوجها
كالقسي المعطفات بل. الاسهم مبرية بل الاوتاد. ولبعض الطالبيين.
وانا ابن معتلج البطاح اذا غدى. غيري وراح على متون ضوامر. يفتر عني ركنها
وحطيمها. كالجفن يفتح عن سواد الناظر. لجبالها شرفي ومثل سهولها.
خلقي ومثل ضبايهن مجاوري. فاما تشبيه اربعة باربعة فمثل قول امرء القيس
له ايطلا ضبي وساقا نعامة. وارخاء سرحان وتقريب تتفل. ولاخر. كف تناول
راحها بزجاجة. خضرا تقذف بالحباب وتزبد. فالكف عاج والحباب لالي.
والراح تبر والاناء زبرجد. ولبعضهم وقد اهدى اليه نرجس والاقحوان وشقايق
واس فكتب الى المهدي. لله ما اظرف اخلاقك يا بدر الكرم. اهديت ما ناسبها حسنا
وظرفا وشمم. وما راينا مهديا قبلك في كل الامم. اهدى العيون والخدود.
والثغور واللمم. وللمتنبي. بدت قمرا وماست خوط بان. وفاحت عنبرا ورنت
غزالا. ومثله. سفرن بدورا وانتقبن اهلة. ومسن غصونا والتفتن جاذرا.
واما تشبيه خمسة بخمسة فقول الواوا الدمشقي. واسبلت لؤلؤا من نرجس وسقت. وردا
وعضت على العناب بالبرد. واما تشبيه ستة بستة فلم اجد الا لابن المعتز في قوله
بدر وليل. وغصن وجه. وشعر وقد. خمر ودر. وورد ريق. وثغر وخد.

المجلس التاسع والخمسون في تاويل اية سايل سائل عن قوله تعالى

ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا فقال كيف يجوز ان يامرنا على
سبيل العبادة. لنا بالدعا بذلك وعندكم ان النسيان من فعله تعالى

ولا تكليف

ولاخر اهدى حبيا له بدايع اوصاف تعالت عن كل
ما اصف كالشمس والبدر يبدو تشرق دايما وانزال
يطلع والغصن ينعطف

ولا تكليف على الناسي في حال نسيانه وهذا يقتضي احد امرين اما ان يكون النسيان
من فعل العباد على ما يقوله كثير من الناس او يكون متعبدين بمسئلته تعالى ما نعلم
انه واقع حاصل لان مواخذة الناس مامونه منه تعالى وقوله في الخطا اذا اريد به
ما وقع سهوا او عن غير تعمد يجري هذا المجرى الجواب قلنا قد قيل في هذه الاية وجوه
ان المراد بنسينا تركنا قال ابو علي قطرب بن المستنير معنى النسيان ههنا الترك
كما قال تعالى نسوا الله فنسيهم اي تركوا طاعته فتركهم من ثوابه ورحمته
وقد يقول الرجل لصاحبه لا تنسني من عطيتك اي لا تتركني منها وانشد قطرب
ولم اك عند الجود للجود قاليا. ولا كنت يوم الروع للطعن ناسيا. اي تاركا
ومما يمكن ان يكون شاهدا على ذلك قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم
اي تتركون انفسكم ويمكن في الاية وجه اخر على ان يحمل النسيان على
السهو وفقد العلوم وقد يكون وجه الدعاء بذلك ما بيناه فيما تقدم
من الامال على سبيل الانقطاع الى الله تعالى واظهار الفقر الى مسئلته والاستعانة به وان كان مامونا منه المواخذة بمثله ويجري مجرى قوله تعالى في
تعليمنا وتاديبنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ويجري مجرى قوله
رب احكم بالحق وقوله ولا تخزني يوم يبعثون وقوله تعالى حاكيا
عن الملائكة فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم
وهذا الوجه يمكن ايضا في قوله او اخطانا اذا كان الخطا ما وقع سهوا او من
غير عمد فاما على ما يطابق الوجه الاول فقد يجوز ان يريد بالخطا ما يفعل
من المعاصي بالتاويل السي وعن جهل بانها معاص لان من قصد شيئا
على اعتقاد انه بصفة فوقع ما هو بخلافها يقال قد اخطا فكانه امرهم
بان يستغفروا مما تركوه متعمدين من غير سهو ولا تاويل ومما اقدموا عليه
مخطئين متاولين ويمكن ايضا ان يريد باخطانا ههنا اذنبنا وفعلنا قبيحا
وان كانوا متعمدين وبه عالمين لان جميع معاصينا لله تعالى قد توصف كلها بانها

ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي اي ترك ولولا
ذلك لم يكن فعله معصية كقوله تعالى

خطا من حيث فارقت الصواب وان كان فاعلها متعمدا فكانه امرهم بان يستغفروا
بما تركوه من الواجبات وبما فعلوه من القبيحات ليشتمل الكلام على جهتي الذنوب والله
اعلم بمراده واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن العباس قال قال رجل
يوما لابي العباس محمد بن يزيد النحوي ما اعرف ضادية احسن من ضادية ابي الشيص
فقال كم ضادية حسنة لا تعرفها ثم انشد لبشار . غمض الجديد بصاحبيك فغمضا .
وبقيت تطلب في الجهالة منهضا . وكان قلبي عند كل مصيبة . عظما تكسر هيضه
فتهيضا . واخ سلوت له فاذكر اخ . مضى وتذكرك الحوادث ما مضى .
فاشرب على تلف الاحبة اننا . جزر المنية ظاعنين وخفضا . ولقد جريت مع الصبى
طلق الصبى . ثم ارعويت فلم اجد لي مركضا . وعلمت ما علم امرؤ في دهره . فاطعت
عذالي واعطيت الرضا . وصحوت من سكر وكنت موكلا . ارعى الحمامة والغراب
الابيضا . الحمامة المرأة والغراب الابيض الشعر الشايب يقول كنت مكثرا تعهد
نفسي بالنظر في المرآة وترجيل الشعر وقوله الغراب الابيض لان الشعر كان
غربيبا اسود من حيث كان شابا ثم ابيض بالشيب . ما كل بارقة تجود بمايها .
وكذلك لو صدق الربيع لروضا . هكذا انشده المبرد ويحيى بن علي وانشده
علي بن الاعرابي . ما كل بارقة تجود بمايها . ولربما صدق الربيع فروضا .
قد ذقت الفته وذقت فراقه . فوجدت ذا عسلا وذا جمر الغضا . يا ليت
شعري فيم كان صدوده . اانا تلم بعد التجاوز ومضا . وغير ما ذكرناه من
ام اجم الحلال فاحمضا . وبلي عليه وويلتي من بينه . كان الذي قد كان حلما
فانقضى . سبحان من كتب الشقاء لذي الهوى . ما كان الا كالخضاب فقد نضا .
قال المبرد وهي طويلة وذكر يوسف بن يحيى بن علي عن ابيه ان ابا نواس
اخذ قوله جريت مع الصبى طلق الجموح من قول بشار ولقد جريت مع الصبى
طلق الصبى قال المرتضى رضي الله عنه ولابي تمام وللبحتري على هذا الوزن والقافية
قصيدتان ان لم تزد على ضادية بشار التي استحسنها المبرد لم تقصر عنها فاول قصيدة

ابي تمام

ابي تمام . اهلوك اضحوا شاخصا ومقوضا . ومزمما يصف النوى ومغرضا .
ان يدج عيشك ثم اموا اللوى . فبما اضاء وهم على ذات الاضا . بدلت من برق
الثغور وبردها . برقا اذا ظعن الاحبة اومضا . ويقول فيها . ما انصف الشرخ
الذي بعث الهوى . فقضى عليك بلوعة ثم انقضى . عندي من الايام ما لو انه
اضحى بشارب مرقد ما غمضا . لا تطلبن الرزق بعد شماسه . فترومه سبعا اذا
ما غيضا . ما عوض الصبر امرؤ الا راى . ما فاته دون الذي قد عوضا . يا احمد
بن ابي دواد عوض . ذلك بذكرك لي وكانت ربضا . لما انتضيتك للخطوب كفيتها
والسيف لا يرضيك حتى ينتضى . قد كان صوح نبت كل قرارة . حتى تروح في
نداك فروضا . اوردتني العد الخسيف وقد ارى . ابرد الثمد البكي برضا . واما
قصيدة البحتري فهي . ترك السواد للابسيه وبيضا . ونضا من الستين عنه ما نضا .
وشاه اغيد في تصرف لحظه . مرض اعل به القلوب وامرضا . وكانه جدد الصبى
وجديده . دينا دني ميقاته ان يقتضى . اسيان اثري من جوى وصبابة واسان
من وصل الحسان وانقضى . كلف بكفكف عبرة مهراقة . اسفي على عهد الشباب
وما انقضى . عدد تكامل للشباب مجيئه . واذا مضى الشيء انقضى فقد مضى . ويقول فيها
قعقعت للبخلاء ازعر جاشهم . وندبت من فاصل ان ينتضى . وكفاك من حنش
الصريم تهددا . ان مد فضل لسانه او نضنضا . وفيها . لا تنكرن من جاز بيتك
اذ طوى . اطناب جانب بيته او قوضا . فالارض واسعة لنقلة راغب . عمن
تنقل وده وتنقضا . لا تهتبل اغضاءي ان كنت قد . اغضيت مشتملا على جمر الغضا .
لست الذي ان عارضته ملمة . اصغى الى حكم الزمان وفوضا . لا يستفز في الطيف
ولا ارى . تبعا لبارق خلب ان اومضا . انا من احب تحريا وكانني فيما اعاين
منك ممن ابغضا . اعيت بسيلك ان تجم وانما . غمد الحسام المشرفي لينتضى
وسكنت الا ان اعرض قائلا . نزرا وصرح جهله من عرضا . واخبرنا ابو عبيد الله
المرزباني قال حدثني يوسف بن يحيى بن علي عن ابيه قال من مختار شعر بشار

الثره الماء الدائم الذي لا ينقطع ... الخيف ما انحدر عن ... حجارة فيه ... كثير

المنس الكريم ... الراهد

قوله في وصف الرمان. عتبت على الرمان واي حي. من الاحياء اعتبه الزمان
وامنة من الحدثان ترزى. علي وليس من حدثان امان. وليس بزايل ترمي
معان برة او مستعان. متى تاتها الكواكب من كريم. فمالك عنده الا
الهوان. وله في نحو. ياخليلي اصيبا او ذرى. ليس كل البرق يهدي المطرا.
لاتكونا كامرئ صاحبته. يترك العين ويبغي الاثرا. ذهب المعروف الا ذكره
وبما ابكى الفتى ياذكرا. وبقينا في زمان معضل. يشرب الصفو ويبقي الكدرا.
قال وله. قد ادرك الحاجة ممنوعة. ولو لع النفس بها الاتنال. والهم ما استكن
في الحشا. داء وبعض الداء لا يستقال. فاحتمل الهم على عاتق. ايهم يا عفك
العلندى الجلال. قال يحيى قوله على عاتق يعني الخمر وهذا مثل قوله رحلت
عنسيا من شراب بابل. فبت من عقله على راحل قال المرتضى رضي الله عنه
وهذا الذي ذكره يحتمله البيت على استكراه ويحتمل ايضا ان يريد بالعاتق العضو
ويكون المعنى ان لم تجد من يحمل عنك وهمومك ويقوم باثقالك ويخفف عنك
فتحمل انت ذلك بنفسك واصبر عليه كانه يامر نفسه بالتجلد والتصبر عند الباس
وهذا البيت له نظاير في الشعر واخبرنا المرزباني قال حدثني علي بن هرون قال
حدثني ابي قال من بارع شعر بشار قوله يصف جارته مغنية قال علي وما
في الدنيا شي لقديم ولا محدث من منثور ولا منظوم في صفة الغنا واستحسانه
مثل هذه الابيات. ورايحة للعين فيها مخيلة. اذا برقت لم تسق بطن صعيد
من المستهلات الهموم على الفتى. خفا برقها في عصفر وعقود. حسدت عليها
كل شي يمسها. وما كنت لولا حبها بحسود. واصفر مثل الزعفران شربته
على صوت صفر الترايب رود. كان امير جالسا في ثيابها. تومل رؤياه عيون
وفود. من البيض لم تسرح على اهل ثلة. سواما ولم ترفع حداج قعود.
تميت به البابنا وقلوبنا. مرارا وتحييهن بعد همود. اذا نطقت صحنا وصاح
لنا الصدى. صياح جنود وجهت لجنود. ظللنا بذاك الديدن اليوم كله

كانا من الفردوس تحت خلود. ولا باس الا اننا عند اهلها. شهود وما البابنا
بشهود. قال وانشدنا في وصف مغنية. لعمر ابي زوارها الصيد انهم
لفي منظر منها وحسن سماع. تصلي له اذاننا وعيوننا. اذا ما التقينا والقلوب
دواعي. وصفراء مثل الخيزرانة لم تعش. ببوس ولم تركب مطية راع.
جرى اللؤلؤ المكنون فوق لسانها. لزوارها من مزهر ويراع. اذا قلدت
اطرافها العود زلزلت. قلوبا دعاها للوساوس داع. كانهم في جنة قد تلاقت
محاسنها من روضة ويفاع. يروحون من تغريدها وحديثها. نشاوى
وما تسقيهم بصواع. لعوب بالباب الرجال وان دنت. اطيع التقى والغي
غير مطاع. قال علي بن هرون الصواع المكيال يقول اذا غنت شربوا جزافا
بلا كيل ولا مقدار من حسن ما يسمعون قال المرتضى رضي الله عنه وهذا
خطاء منه وانما المراد ان غناها لفرط حسنها وشدة اطرابها يبيتان نشوى
الخمر ان لم يكن هناك شرب بصواع وهذا يجري مجرى قول الشاعر
ويوم ظللنا عند ام محلم. نشاوى ولم نشرب طلاء ولا خمرا. وما كان عندي
ان احدا يتوهم في معنى هذا البيت ما ظنه هذا الرجل فاما قوله في القطعة الاولى
واصفر مثل الزعفران شربته. على صوت صفراء الترايب رود. فيحتمل وجوها ثلثة
اولها ان يكون اراد بصفرة ترايبها الكناية عن كثرة تطيبها وتضمخها
وان ترايبها تصفر لذلك كما قال الاعشى. بيضاء ضحوتها. وصفراء العشية كالعرار
والعرار بهار البر وانما اراد انها تتضمخ بالعشي بالطيب فيصفرها ومثله للرمة
بيضاء في دعج كحلاء في برج. كانها فضة قد مسها ذهب. وقيل في بيت قيس
ابن الخطيم. فرايت مثل الشمس عند طلوعها. في الحسن او كدنوها لغيوب
وجهان احدهما انه اراد انها تطيب بالعشي فتصفر لان الشمس تغيب صفراء
والوجه الاخر انه اراد المبالغة في الحسن لان الشمس احسن ما يكون في وقتيها
هذين ومن ذلك ايضا قول قيس. صفراء اعجلها الشباب لذاتها. ومثله

للاعشى. اذا جرّدت يوما حسبت خميصةً. عليها وجريال النضير الدلامصا.
الخميص ثوب ناعم لين تشبه به نعمة جسمها والنضير الذهب والجريال كل صبغ
احمر وانما عنى لون الطيب عليها والدلامص البراق فهذا وجه والوجه الثاني
ان يكون اراد بوصفها بالصفرة دقة لونها فعندهم ان المراة اذا كانت صافية
اللون رقيقة يضرب لونها بالعشى الى صفرة وقال مهدى بن على بن مهدى
الاصبهانى قال لى الحلبى قال لى الجاحظ زعموا ان المراة اذا كانت صافية اللون
رقيقة يضرب لونها بالغداة الى البياض وبالعشى الى الصفرة واحتج فى ذلك
بقول الراجز. قد علمت بيضاء صفراء الاصل. وزعم ان بيت ذى الرمة الذى
انشدناه والابيات محتملة للامرين فاما الذى لا يحتمل الا وجها واحدا فهو قول
الشاعر. وقد خنقتها عبرة فدموعها. على خدها حمر وفى نحرها صفر. لانها لا تكون
صفرا فى نحرها الا لاجل الطيب فاما قوله على خدها حمر فانما اراد انها تصبغ
بلون خدها والوجه الثالث ان تكون المراة صفراء على الحقيقة فان بشارا كثيرا
يشبب بامراة صفراء كقوله اصفراء لا انسى هواك ولا ودّى ولا ما مضى بينى
وبينك من عهد. لقد كان ما بينى زمانا وبينها. كما كان بين المسك والعنبر الوردى
وكقوله. اصفراء كان الود منك مباحا. ليالى كان الهجر منك مزاحا. وكان
جوارى الحى اذ كنت فيهم. قباحا فلما غبت صرن ملاحا. وقد روى ملاحا
فلما غبت صرن قباحا وقوله قباحا فلما غبت صرن ملاحا يشبه قول السيد محمد الحميرى
واذا حضرن مع الملاح بمجلس ابصرتهن وما قبحن قباحا. فاما قوله من
البيض لم تسرح سواما. فانه لا يكون مناقضا لقوله صفراء وان اراد بالصفرة
لونها لان البياض ههنا ليس بعبارة عن اللون وانما هو عبارة عن نقاء العرض
وسلامته من الادناس والعرب لا تكاد تستعمل البيض الا فى هذا المعنى دون اللون
لان البياض عندهم البرص ويقولون فى الابيض الاحمر ومنه قول الشاعر
جاءت به بيضاء مخلة من عبد شمس صلتة الخد. ومثله بيض الوجوه كريمة

من هذا المعنى وكذلك بيت الاعشى الذى انشدناه

احسابهم

احسابهم فاما قول بشار فى القطعة الثانية وصفراء مثل الخيزرانة فانه يحتمل
ما تقدم من الوجوه وان كان باللون الحقيقى اخص لقوله كالخيزرانة لان
الخيزران يضرب الى الصفرة ويحتمل ايضا ان يريد بصفراء غير اللون الثابت
ويكون قوله كالخيزرانة انها مثلها فى التثنى والتعطف ولقد احسن جران العود
فى قوله فى المعنى الذى تقدم. كان سبيكة صفراء صبت. عليها ثم ليث بها الازار
برود العارضين كان فاها. بعيد النوم مسك ستثار المجلس التاسع والخمسون تاويل اية
ان سال سائل عن قوله تعالى الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم
يعمهون فقال كيف اضاف الاستهزاء اليه وهو مما لا يجوز فى الحقيقة
عليه وكيف خبر بانه يمدهم فى الطغيان والعمه وذلك بخلاف مذهبكم الجواب
قلنا فى قوله تعالى الله يستهزئ بهم وجوه اولها ان يكون معنى الاستهزاء الذى
اضافه تعالى الى نفسه تجهيله لهم وتخطئته اياهم فى اقامتهم على الكفر واصرارهم
على الضلال وسمى الله تعالى ذلك استهزاء مجازا وتشبيها كما يقول القايل ان
فلانا ليستهزئ به منذ اليوم اذا فعل فعلا عابه الناس به وخطؤه فيه فاقيم عيب
الناس على ذلك الفعل وازراؤهم على فاعله مقام الاستهزاء به وانما اقيم
مقامه لتقارب ما بينهما فى المعنى لان الاستهزاء الحقيقى هو ما يقصد به الى
عيب المستهزا به والازراء عليه واذا تضمنت التخطيه والتجهيل والتبكيت
هذا المعنى جاز ان يجرى عليه اسم الاستهزاء ويشهد بذلك قوله تعالى
وقد نزل عليكم فى الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزأ بها
ونحن نعلم ان الايات لا يصح عليها الاستهزاء على الحقيقة ولا السخرية وانما
المعنى اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويزرا عليها والعرب قد تقيم الشى مقام
ما قاربه فى معناه فيجرى عليه اسمه قال الشاعر. كم اناس فى نعيم عمروا. فى
ذرى ملك تعالى فبسق. سكت الدهر زمانا عنهم. ثم ابكاهم دما حين نطق
والسكوت والنطق على الدهر لا يجوز وانما شبه تركه الحال على ما هى عليه بالسكوت

الحقيقة لا

البقرة

وشبه تغييره لها بالنطق وانشد الفرآ . ان الدهر يلف شملي بجملي لزمان يهم بالاحسان . ومثل ذلك في الاستعارة . لتقارب المعنى قوله . سألتني باناس هلكوا . شرب الدهر عليهم واكل . وانما اراد بالاكل والشرب الافنا لهم والتغيير لاحوالهم ومنه قول الاخر . يقربعيني ان ارى باب دارها . وان كان باب الدار يحسبني جلدا . الجواب الثاني ان يكون معنى الاستهزاء المضاف اليه عز وجل ان يستدرجهم ويهلكهم من حيث لا يعلمون ولا يشعرون ويروى عن ابن عباس قال في معنى استدراجه اياهم انهم كلما احدثوا خطيئة جدد لهم نعمة وانما سمي هذا الفعل استهزاء من حيث غيب تعالى عنهم من الاستدراج الى الهلاك غير ما اظهر لهم من النعم كان المستهزي منا المخادع لغيره يظهر امرا ويضمر غيره فان قيل على هذا الجواب فالمسألة قايمة واي وجه لان يستدرجهم بالنعم الى الهلاك قلنا ليس الهلاك هيهنا هو الكفر وما اشبهه من المعاصي التي يستحق بها العقاب وانما يستدرجهم الى الضرر والعقاب الذي استحقوه بما تقدم من كفرهم ولله تعالى ان يعاقب المستحق بما يشاء الى وقت شاء فكانه تعالى لما كفروا وبدلوا نعمه وعاندوا رسله لم يغير عليهم نعمه في الدنيا بل بقاها لتكون متى نزعها عنهم وابدلهم بها نقما الحسرة منهم اعظم والضرر عليهم اكبر فان قيل فهذا يودي الى تجويز ان يكون بعض ما ظاهره النعمة على الكفار مما لا يستحق الله تعالى به الشكر عليهم قلنا ليس يمتنع هذا فيمن استحق العقاب وانما المنكر ان تكون النعم المبتداة بهذه الصفة على ما تلزمه مخالفنا الا ترى ان الحيوة وما جرى مجراها من حفظ التركيب والصحة لا تعد على اهل النار نعمة وان كان على اهل الجنة نعما من حيث كان الغرض فيه ايصال العذاب اليهم والجواب الثالث معنى الاستهزاء بهم ان جعل لهم بما اظهروه من موافقة اهل الايمان ظاهر احكامهم من نصرة ومناكحة وموارثة وملاقاة وغير ذلك من الاحكام وان كان تعالى معدا لهم في الاخرة اليم العقاب لما ابطنوه من النفاق واسروا من الكفر فكانه تعالى قال ان كنتم ايها المنافقون بما تظهرونه للمومنين من المتابعة والموافقة وتبطنونه من النفاق وتطلعون عليه شياطينكم اذا خلوتم بها تظنون انكم مستهزون فالله تعالى هو المستهزي بكم من حيث جعل لكم احكام المومنين ظاهرا حتى ظننتم ان ما لكم ما لهم ثم ميز بينكم في الاخرة ودار الجزاء من حيث اثاب المخلصين الذين توافق ظواهرهم بواطنهم وعاقب المنافقين وهذا الجواب يقرب معناه من الجواب الثاني وان كان بينهما خلاف من بعض الوجوه والجواب الرابع ان يكون معنى ذلك ان الله تعالى هو الذي يرد استهزاكم ومكركم عليكم وان ضرر ما فعلتموه لم يتعدكم ولم يحط بسواكم ونظير ذلك قول القايل ان فلانا اراد ان يخدعني فخدعته وقصد الى ان يمكر بي فمكرت به والمعنى ان ضرر خداعه ومكره عاد اليه ولم يضرني والجواب الخامس ان يكون المعنى انه يجازيهم على استهزآئهم فسمى الجزاء على الذنب باسم الذنب والعرب تسمي الجزاء على الفعل باسمه قال الله تعالى وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا وقال فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وقال تعالى وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ والمبتدا ليس بعقوبة وقال الشاعر . الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا . ومن شان العرب ان تسمي الشي باسم ما يقاربه ويصاحبه ويشتد اختصاصه وتعلقه به اذا انكشف المعنى وامن الابهام وربما غلبوا ايضا اسم احد الشيين على الاخر لقوة التعلق بينهما وشدة الاختصاص فيهما فمثال الاول قولهم للبعير الذي يحمل المزادة راوية وللمزادة المحمولة على البعير راوية فسموا البعير باسم ما يحمل عليه قال الشاعر . مشي الروايا بالمزاد الاثقل . اراد بالروايا الابل ومن ذلك انهم يقولون صرعته الكاس واستلبت عقله وقال الشاعر . وما زالت الكاس تغتالنا . وتذهب بالاول الاول . والكاس هي ظرف الشراب الذي يحل الكاس الا ان الفرا يقول الكاس الاناء بما فيه من الشراب وكان الاناء الفارغ لا يسمى كاسا وعلى هذا القول يكون اختلاس العقل اضافة

والفعل الذي اضافوه اليها انما هو مضاف الى الشراب الذي

والتصريع وماجرى مجرى ذلك الى الكاس على وجه الحقيقة لان الحقيقة على هذا [الكاس]
القول اسم للاناء وما حله من الشراب ومثال الوجه الثانى ما ذكرناه عنهم
من التغليب تغليبهم اسم القمر على الشمس قال الشاعر. اخذنا بافاق السماء عليكم
لنا قمراها والنجوم الطوالع. يقول ان لنا شمسها وقمرها. ومنه قول الاخر
فقولا لاهل المكتين تحاشدوا. وسيروا الى اطعام يثرب والنخل. اراد
المكتين مكة والمدينة فغلب وقال الاخر. فبصرة الازد منا والعراق لنا.
والموصلان ومنا مصر والحرم. اراد بالموصلين الموصل والجزيرة وقال الاخر
نحن سبينا امكم مقربا. يوم صبحنا الحيرتين المنون. اراد الحيرة والكوفة وقال
الاخر. اذا اجتمع العمران عمرو بن عامر. وبدر بن عمرو خلت ذبيان تبعا. والقوا
مقاليد الامور اليهم. جميعا قماء كارهين وطوعا. اراد بالعمرين رجلين يقال
لاحدهما عمرو والاخر بدر وقد فسره الشاعر فى البيت ومثله جزانى الزهدمان جزاء
سوء. وكنت المرء يجزى بالكرامة. اراد بالزهدمين رجلين يقال لاحدهما زهدم
والاخر كردم فغلب وكل الذى ذكرناه يقوى هذا الجواب من جواز التسمية للجزاء
على الذنب باسمه وتغليبه عليه للمقاربة والاختصاص التام بين الذنب
والجزاء والجواب السادس وهو ما روى عن ابن عباس قال يفتح لهم وهم فى النار
باب من الجنة فيقبلون عليه مسرعين حتى اذا انتهوا اليه سد عليهم وفتح
لهم باب اخر فى موضع اخر فيقبلون فى النار مسرعين اليه حتى اذا انتهوا اليه
سد عليهم فيضحك المومنون منهم اذا راوا الابواب وقد اغلقت دونهم فلذلك
قال عز وجل فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون
فان قيل واى فائدة فى هذا الفعل وما وجه الحكمة فيه ظاهر لان ذلك اغلظ
على نفوسهم واعظم فى مكروههم وهو ضرب من العقاب الذى يستحقونه
بافعالهم القبيحة لان من طمع فى النجاة والخلاص من المكروه واشتد حرصه على ذلك
ثم حيل بينه وبين الفرج ورد على المكروه يكون عذابه اصعب واغلظ من عذاب

من لا طريق

من لا طريق للطمع عليه فان قيل فعلى هذا الجواب ما الفعل الذى هو الاستهزاء
قلنا فى ترددهم من باب اخر على سبيل التعذيب معنى الاستهزاء من حيث كان
اظهار لما المراد بخلافه وان لم يكن فيه من معنى الاستهزاء ما يقتضى قبحه
من اللهو والعبث وما جرى مجرى ذلك والجواب السابع ان يكون ما وقع منه تعالى
ليس باستهزاء على الحقيقة لكنه سماه بذلك ليزدوج اللفظ ويخف على اللسان
وللعرب فى ذلك عادة معروفة فى كلامها والشواهد عليه مذكورة مشهورة وهذه
الوجوه التى ذكرناها فى الاية يمكن ان يذكر فى قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله
والله خير الماكرين وفى قوله ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم
فليتامل ذلك فاما قوله تعالى ويمدهم فى طغيانهم يعمهون فيحتمل وجهين
احدهما ان يريد انى املى لهم فى العمر وامهلهم ليومنوا ويطيعوا وهم مع ذلك
متمسكون بطغيانهم وعميهم والاخر ان يريد انى اتركهم من فوايده ومنحه التى يوتيها
المومنين ثوابا لهم ويمنعها الكافرين عقابا كشرحه لصدورهم وتنويره لقلوبهم
وكل هذا واضح بحمد الله قال المرتضى رضى الله عنه وانى لاستحسن لبعض الاعراب
قوله. خليلى هل يشفى من الشوق والجوى. بذى الاوطان لا بل يشوقها. وتزداد
فى قرب اليها صبابة. ويبعد من كل اشتياق طريقها. وما ينفع الحران ذا اللوح
ان يرى. حياض القرى مملوة لا يذوقها. ولاخر فى تذكر الاوطان والحنين اليها
الا قل لدار بين اكثبة الحمى. وذات الغضا جادت عليك الهواضب. احبك لا
انا ان الا انفلتت. دموع اضاعت ما حفظت سواكب. ديار تناسمت الهواء
بجوها. وطاوعنى فيها الهوى والحبايب. ليالى لا الهجران يحتكم بها. على وصل من
اهوى ولا الظن كاذب. وانشد ابو نصر صاحب الاصمعى لاعرابى. الا ليت شعرى هل
ابيتن ليلة. باسناد نجد وهى خضر متونها. وهل اشربن الدهر من ماء مزنة.
بحرة ليلى حيث فاض معينها. بلاد بها كنا نحل فاصبحت. خلاء ترعاها مع
الادم عينها. تغنيت فيها بالشباب وبالصبى. يميل بها اهوى على غصونها.

تحزن بي

وانشد الاصمعي لصدقة بن نافع الغنوي. الا ليت شعري هل تحزن ناقتي. بنا ابدا ابحيث كان مسيرها. فتلك بلاد حبب الله اهلها. اليك وان لم يعط نصفا اميرها. بلاد بها انضيت راحلة الصبي. ولانت لنا ايامها وشهورها. فقد نابها الدهر المكدر شرب ودار عليها بالنعيم سرورها. وانشد ابو علم السوار بن المضرب. سقى الله اليمامة من بلاد نوافحها كارواح الغواني. وجوزاهر اللريح فيه. نسيم لا يروع الترب وان بها سفت الشبا لي مشيب. يقبح عند ناحسن الزمان. ولاخر. الا ياحبذا احنك سفحي وجاد بارضها جون السحاب. خلعت بها العذار ونلت فيها. منا بطاعة وبا اعتصاب اسوم بباطلي طلبات لهوي. ويعذرني بها عصر الشباب. فكل هولاء على ماترى قد افصحوا بان سبب حنينهم الى الاوطان ما البسوه فيها من ثوب الشباب فاستظلوه من ظله من رواحله وان كان يعذ رهم ويحسن قبايحهم فعلى اي شي يعلو الناس في قول ابن الرومي. وحبب اوطان الرجال اليهم. مارب قضاها الشباب هنالكا. اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم. عهود الصبا فيها فحنوا لذالكا. ويزعمون انه سبق الى مالم يسبق اليه وكشف عن هذا المعنى مستورا ووسم غفلا وان كان جيد المعنى سليم اللفظ فلم يزد فيه على ما تقدم ولا ابدع بل اتبع ولكن المجيد اذا ورد ممن يعهد منه الردي كثر استحسانه وزاد استطرافه ولقد احسن البحتري في قوله في هذا المعنى. فسقى الغضا والنازليه وان هم. شبوه بين جوانحي وقلوب. وقصار ايام به سرقت لنا. حسناتها من كاشح ورقيب. خضر تساقطها الصبي فكانها. ورق تساقط اهتزاز قضيب. كانت فنون بطالة فتقطعت عن هجر غانية ووصل حبيب. واحسن في قوله. سقى الله اخلاقا من الدهر رطبة. سقتنا الجوى اذ ابرق الجون اذ برق ليال سرقناها من الدهر بعدما. اضاء باصباح من الشيب مفرق. تداويت من ليلى بليلى فما اشتفى. بماء الزني من بات بالماء يشرق. ولابي تمام في هذا المعنى ما لا يقصر عن احسان وهو. سلام ترجف الاحشاء منه. على الحسن بن وهب والعراق على البلد الحبيب الى غورا. ونجد الاخ العذب المذاق. ليال نحن في وسنات عيش

كان الدهر

كان الدهر عنا في وسنا. وايام له ولنا لذاذ. غنينا في حواشيها الرقاق. كان العهد عفر لدنيا. وان كان التلاقي عن تلاق

المجلس الاخر تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين فقال كيف خاطب ادم وحوى عليهما السلام بخطاب الجمع وهما اثنان وكيف نسب اليهما العداوة واي عداوة كانت بينهما الجواب قلنا قد ذكر في هذه الاية وجوه اولها ان يكون الخطاب متوجها الى ادم وحوى ع وذريتهما لان الوالدين يدلان على الذرية وتتعلق بهما ويقوي ذلك قوله تعالى حاكيا عن ابرهيم واسمعيل ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم وثانيها ان يكون الخطاب لادم وحوى عليهما السلم ولابليس اللعين وان يكون الجميع مشتركين في الامر بالهبوط وليس لاحد ان يستبعد هذا الجواب من حيث لم يتقدم لابليس ذكر في قوله تعالى يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة وان لم يخاطب بذلك فقد جرى ذكره في قوله تعالى فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه فجاز ان يعود الخطاب الى الجميع وثالثها ان يكون الخطاب الى ادم وحوى عليهما السلم والحية التي كانت معهما على ما روي عن كثير من المفسرين وفي هذا الوجه بعد من قبل ان الخطاب لا يحسن فلا بد من ان يكون قبيحا اللهم الا ان يقال انه لم يكن هناك قول في الحقيقة ولا خطاب وانما كنى عن اهباطه لهم بالقول كما يقول احدنا قلت فلقيت الامير وقلت فضربت زيدا وانما يخبر عن الفعل دون القول وهذا خلاف الظاهر وان كان مستعملا وفي هذا الوجه بعد من وجه آخر وهو انه لم يتقدم للحية ذكر في نص القران والكناية عن غير مذكور ولا تحسن الا بحيث لا يقع لبس ولا يسبق وهم الى تعليق الكناية بغير مكنى عنه حتى يكون ذكره كترك ذكره في البيان عن المعنى المقصود مثل قوله تعالى حتى توارت بالحجاب وكل من عليها فان وقول الشاعر اماو

خطاب من لا يفهم

ما يغني الثراء عن الفتى . اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر . فاما بحيث لا يكون الحال
على هذا فالكناية عن غير مذكور قبيحة ورابعها ان يكون الخطاب لادم وحوى عليهما السلام
وخاطب الاثنين بالجمع على عادة العرب في ذلك ولان التثنية اول الجمع قال الله تعالى
اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين اراد لحكم داود وسليمن
وكان بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يتاول قوله تعالى فان كان له اخوة
على معنى فان كان له اخوان وقال الراعي . اخليد ان اباك ضاف وساده
همان باتا جنبة ودخيلا . طرقا فتلك هماهمي اقريها . قلصا لواقح كالقسي وحولا
فعبر بالهماهم وهي جمع عن الهمين وهما اثنان فان قيل فما معنى الهبوط الذي امروا به
قلنا اكثر المفسرين على ان الهبوط هو النزول من السماء الى الارض وليس
في ظاهر القران ما يوجب ذلك لان الهبوط كما يكون النزول من علو الى اسفل
فقد يراد به الحلول في المكان والنزول به قال الله تعالى اهبطوا مصرا فان لكم
ما سالتم ويقول القايل من العرب هبطنا بلد كذا وكذا اي حللنا قال زهير
ما زلت ارمقهم حتى اذا هبطت ايدي المطي بهم من راكس فلقا . فقد يجوز على
هذا ان يريد بالهبوط الخروج من المكان وحلول غيره ويحتمل ايضا ان يريد با
الهبوط معنى غير المسافة بل الانحطاط من منزلة الى دونها كما يقول قد هبط فلان
عن منزلته ونزل عن مكانه اذا كان على رتبة فانحط الى دونها فان قيل فما معنى
بعضكم لبعض عدو قلنا اما عداوة ابليس لادم عليه السلام وذريته فمعروفة
مشهورة واما عداوة ادم عليه السلام والمومنين من ذريته لابليس فهي واجبة
لما يجب على المومنين من معاداة الكفار المارقين من طاعة الله تعالى المستحقين
لمقته وعداوته وعداوة الحية على الوجه الذي تضمن الخطاب اختص ادم وحوى
دون غيرهما فيجب ان يحمل قوله بعضكم لبعض عدو على ان المراد به الذرية
كانه قال اهبطوا وقد علمت من حال ذريتكم ان بعضهم يعادي بعضا على
الخطاب بهما عن الاختصاص بهن بين الذرية وبين اصلها فان قيل اليس امره بالهبوط

وهذا يوجب ان يكون تعالى امرا بالقبيح على وجه لان معاداة ابليس لادم عليه السلام
قبيحة ومعاداة الكفار من ذريته للمؤمنين منهم كذلك قلنا ليس يقتضي الظاهر
ما ظننتموه وانما يقتضي انه امرهما بالهبوط في حال عداوة بعضهم لبعض فالامر يختص
بالهبوط والعداوة تجري مجرى الحال وهذا له نظاير كثيرة في كلام العرب ويجري
مجرى هذه الاية في ان المراد به الحال قوله تعالى انما يريد الله ليعذبهم بها
في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون وليس معنى ذلك انه اراد كفرهم
كما اراد تعذيبهم وازهاق نفوسهم بل اراد ان تزهق انفسهم في حال كفرهم
وكذلك القول في الامر بالهبوط وهذا بين واضح قال المرتضى رضي الله عنه
ومن مستحسن مدح السادة الكرام قول الشاعر . ويل ام قوم غدوا عنكم لطيتهم
لا يكتنون غداة العل والنهل . صدا السرابيل لا تو كا مقابنهم . عجز البطون ولا
تطوى على الفضل قوله ويل ام قوم من الزجر المحمود الذي لا يقصد به الشر مثل
قولهم قاتل الله فلانا ما اشجعه . وترحه الله ما اسخاه . وقد قيل في قول جميل
رمى الله في عيني بثينة بالقذى . وفي الغر من انيابها بالقوادح انه اراد هذا المعنى بعينه
وقيل ايضا انه دعا لها بالهرم وعلو السن لان الكبير يكثر قذى عينيه وتتهتم اسنانه
وقيل انه اراد بعينها رقيبها وبغر انيابها سادات قومها ووجوههم والاول
اشبه بطريقة القوم وان كان القول محتملا للكل فاما قوله لا يكتنون غداة
غداة العل والنهل فانما اراد انهم ليسوا برعاء يسقون الابل بل لهم من يخدمهم
ويكفيهم ويرعى ابلهم وانما يكتني ويرتجز على الدلو السقاة والرعاة وفيه
وجه اخر قيل انهم يبيعون شربهم ويوثرون بالسقي قبل اموالهم لا يصولون
عليه ولا يكتنون وهذا من الكرم والتفضيل لا من الضعف وقيل ايضا بل عنى انهم
اعزاء ذوو منعة اذا وردت ابلهم ماء فرج الناس لها عنه لانها قد عرفت فليس
يحتاج اربابها الى الاكتناء والتعرف وقد قال قوم في قوله يكتنون انه من قولهم
كنبت يده وتكنبت اذا اخشنت من العمل فيقولوا ليسوا باهل مهنة فتكنب ايديهم

وتخش من العمل بل لهم عبيد تكفيهم ذلك وقوله صدأ التراب فانما اراد به طول
حملهم السلاح ولبسهم له والمقانب هي الاوعية التي يكون فيها الزاد فكانه يقول
اذا سافروا لم يشدوا الاوعية على ما فيها واطعموا اهل الرفقة وهذه كناية
عن الاطعام وبذل الزاد مليحة وعجر البطون من صفات المقانب وانما لا يوكا
عجر البطون ولا تطوى على فضل الزاد ولبعض شعراء بني اسد واحسن غابر الاحسا
رات صرمة لابني عبيد تمنعت. من الحق لم توزل بحق افالها. فقالت الا تغدو افيصاله
هكذا. فقلت ابت ضيفانها وعيالها. فلا حلبت الا الثلثة والثنى. ولا قيلت الا قريبا مقالها
حدابير من كل العيال كانها. اناضي شقر حل عنها جلالها. شكى هذا الشاعر امراته
وحكى عنها انها رات بالا بجيرانهم لم يعط منها في حمالة ولم تعقر في حق ولم تحلب الضيف
ولا جار فهي سمان وقوله لم توزل بحق افالها. الافال الصغار وتوزل من الازل
وهو الضيق في العيش والشدة فيقول هؤلا سمان لم تلق بوسا لان البان امهاتها
موفورة عليها وحكى عن امراته انها تقول له غدات فصالك هكذا فقال لها تابى ذلك
الحقوق وعيالها وهم الجيران والضيفان ثم اخبر انه لم يلتفت الى لومها وان
الابل ما حلبت بعد مقالتها الا مرتين او ثلث ولا قيلت من القائلة الا بقرب البيوت
حتى نحرها ووهبها والحدابير المهازيل وانما يعني فصالها من هزالها بانضاد
خيل شقر وقوله حدابير من كل العيال فيه معنى حسن لانه اراد انها من بين جميع
العيال والعيال ههنا هم الجيران والضيفان وانما جعلهم عيالا لكرمه وان جوده
قد الزمه مونتهم فصاروا كاخص عياله ومثل ذلك قول الشاعر. تعيرني الخطلان
ام علم. فقلت لها لا تقذفيني بدائيا. فاني رايت الضامرين متاعهم. يذم ويفنى
يذم ويفنى فارضخي من وعائيا. فلم تجديني في المعيشة عاجزا. ولا حصرا ملخبا ئه بر
وكابيا. الخطلان المهسكون البخلا والخطل الامساك وام علم امراته ومعنى قوله
تعيرني الخطلان اي الخطلان تقول مالك لا تكون مثل هولاء الذين يحفظون
اموالهم والضامرون ايضا البخلاء فقال لها رايت البخلاء يظنون بما عندهم

وهزالها الاصل انها لا تسقى الالبان وتعقر امهاتها وانا شبهها بنضو فتشبه فصالها

مهازيل وهذا تاكيد لان سبب هزالها هو الايثار بالبانها واختصت بالهزال من بين كل العيال

الملوك

ويفني

وهو يفنى ويبقى الذم فارضخي من وعائي وهذا مثل اي اعطي الناس مما عندي
وهو من قولك رضخ له شيء من عطيته الحصرم البخيل تقول العرب حصرم قوسك
اي شد وترها قوله فلم تجديني في المعيشة عاجزا اي انا صاحب غارات افيد
واستفيد واتلف واخلف فلا تخافي الفقر وقال مسكين الدارمي اصبحت عاذلتي
معتلة. قرما ام هي وحمى للصخب. اصبحت تتفل في شحم الذرى وتظن اللوم در ينتهب
لا تلمها انها من نسوة. ملحها موضوعة فوق الركب. يقول انها تكثر لومي فكانها
قرمة في اللوم كقرم الاشبال الى اللحم وهي وحمى شهوة على الصخب والوحم شهوة
الطعام وشحم الذرى الاسمنة وانتقل فيها اي تعوذ ابلي لتزينها في عيني وتعظم
قدرها فلا اهب منها ولا انحر ثم اخبر ان اصلها من الزنج والملح الشحم وشحم
الزنج يكون على ادراكهم واكفالهم وانشد ابو العباس محمد بن يزيد. يا ابنة
عبد الله وابنة مالك. ويا ابنة ذي البردين والفرس والورد. اذا ما صنعت
الزاد فالتمسي له. اكيلا فاني لست اكله وحدي. قصيا كريما او قريبا فانني
اخاف مذمات الاحاديث من بعدي. واني لعبد الضيف ما دام نازلا. وما
من صفاتي غيرها شيمة العبد. قال ابو العباس استثنى الكرم في القصي البعيد
ولم يستثنه في القريب لان اهله جميعا عنده كرام واراد بقوله عبد الضيف
انه يخدم الضيف هو بنفسه ولا يرضى ان يخدمه عبده قال المرتضى رضي الله عنه
ويشبه ذلك قول المقنع الكندي. واني لعبد الضيف ما دام نازلا. وما بي
سواها خلة تشبه العبدا. وانما اشترط في كونه عبدا للضيف في البيت الاول
والثاني ثواءه ونزوله ليعلم ان الخدمة له لم تكن لضعة وصغر قدر بل لما توجبه
الكرم من حق الاضياف وانه يخرج من ان يكون عبدا وما يجري مجراه من ان يكون
ضيفا ولو قال واني لعبد الضيف ولم يشترط لم يحصل هذا المعنى الجليل
مجلس اخر [المجلس الثاني والثمانون]. تاويل مسالة ان سال سائل فقال بم تدفعون من خالفكم
في الاستطاعة وزعم ان المكلف يؤمر بما لا يقدر عليه ولا يستطيعه اذا تعلق

عند الجمل

بقوله تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا
فان الظاهر من هذه الاية يوجب انهم غير مستطيعين للامر الذي هم غير
فاعلين له وان القدرة مع الفعل واذا تعلق بقوله تعالى في قصة موسى عليه السلم
انك لن تستطيع معي صبرا وانه نفى كونه قادرا على الصبر في حال هو فيها غير
صابر وهذا يوجب ان القدرة مع الفعل وبقوله تعالى ما كانوا يستطيعون
السمع وما كانوا يبصرون الجواب يقال له اول ما نقوله ان المخالف لنا
في هذا الباب من الاستطاعة لا يصح له فيه التعليق بالسمع لان مذهبه
لا يسلم معه صحة السمع ولا يتمكن مع المقام عليه من معرفة السمع بادلته وانما
قلنا ذلك لان من جوز تكليف الله تعالى الكافر الايمان وهو لا يقدر عليه لا يمكنه
العلم بنفي القبايح عن الله عز وجل واذا لم يمكنه ذلك فلا بد من ان يلزمه تجويز
القبايح في افعاله واخباره ولا يامن ان يرسل كذابا وان يخبر هو بالكذب تعالى على الله
عن ذلك فالسمع ان كان كلامه قدح في حجته تجويز الكذب عليه وان كان كلام
رسوله قدح فيه ما يلزمه من تجويز تصديق الكذاب وانما طرق ذلك تجويز بعض
بعض القبايح عليه وليس لهم ان يقولوا ان امر الله تعالى الكافر بالايمان وان لم يقدر
عليه يحسن من حيث اتى الكافر فيه من قبل نفسه لاشتغاله بالكفر وترك الايمان
وانما كان يبطل تعلقنا بالسمع لو اضفنا ذلك اليه تعالى على وجه يقبح وذلك
لان ما قالوه اذا لم يؤثر في كون ما ذكرناه تكليفا لما لا يطاق لم يؤثر في نفي
ما الزمناه عنهم لانه يلزم على ذلك ان يفعل الكذب وساير القبايح وتكون
حسنة منه بان يفعلها من وجه لا يقبح منه وليس قولهم انما لم نضفه اليه
من وجه يقبح بشيء يعتمد بل يجري قول من جوز عليه ان يكذب ويكون الكذب
منه حسنا ويدعي مع ذلك صحة معرفة السمع بان يقول انني لم اضفه اليه
قبيحا فيلزمني افساد طريقة السمع فلما كان من ذكرناه لا عذر له في هذا الكلام
لم يكن للمخالف في الاستطاعة عذر بمثله ونعود الى تاويل الاية اما قوله تعالى

انظر

انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا فليس فيه ذكر
للشيء الذي لا يقدرون عليه ولا بيان له وانما يصح ما قالوه لو بين لهم انهم لا يستطيعون
سبيلا الى امر معين فاما ولم يذكر ذلك فلا متعلق لهم فان قيل فقد ذكر تعالى من قبل
ضلالهم فيجب ان يكون المراد بقوله فلا يستطيعون سبيلا الى مفارقة الضلال
قلنا انه تعالى كما ذكر الضلال فقد ذكر ضرب المثل فيجوز ان يريد انهم لا يستطيعون
سبيلا الى تحقيق ما ضربوه من الامثال وذلك غير مقدور على الحقيقة ولا مستطاع
والظاهر بهذا الوجه اولى لانه تعالى حكى عنهم انهم ضربوا له الامثال وجعل ضلالهم
وانهم لا يستطيعون السبيل متعلقا بما تقدم ذكره وظاهر ذلك يوجب رجوع
الامرين اليه جميعا وانهم ضلوا بضرب المثل وانهم لا يستطيعون سبيلا الى
تحقيق ما ضربوه من المثل على انه تعالى قد اخبر عنهم بانهم ضلوا وظاهر ذلك
الاخبار عن ماضي فعلهم فان كان قوله فلا يستطيعون سبيلا يرجع اليه فيجب
ان يدل على انهم لا يقدرون على ترك الماضي ما لا يخالف فيه وليس فيه ما ياباه وهذا مما
من انهم لا يقدرون في المستقبل او في الحال على مفارقة الضلال والخروج عنه وتعذر
تركه وبعد فاذا لم يكن للاية ظاهر فلم صاروا بان يحملوا نفي الاستطاعة على امر
كلفوه باولى منا اذا حملنا ذلك على امر لم يكلفوه او على انه اراد الاستثقال
و[illegible] الخبر عن عظم المشقة عليهم وقد جرت عادة اهل اللغة بان يقولوا لمن
يستثقل شيئا انه لا يستطيعه ولا يقدر عليه ولا يتمكن منه الا ترى انهم
يقولون فلان لا يستطيع ان يكلم فلانا ولا ينظر اليه وما اشبه ذلك وانما غرضهم
الاستثقال وشدة الكلفة والمشقة فان قيل فان كان لا ظاهر للاية يشهد
بمذهب المخالف فما المراد بها عندكم قلنا قد ذكر ابو علي ان المراد انهم لا يستطيعون
الى بيان تكذيبهم سبيلا لانهم ضربوا الامثال ظنا منهم بان ذلك يبين كذبه
فاخبر تعالى ان ذلك غير مستطاع لان تكذيب صادق وابطال حق مما لا يتعلق
به قدرة ولا يتناوله استطاعة وقد ذكر ابو هاشم ان المراد بالاية انهم

لاجل ضلالهم بضرب المثل وكفرهم لا يستطيعون سبيلا الى الخير الذي
هو النجاة من العقاب والوصول الى الثواب وليس يمكنكم هذا ان يقال كيف لا
يستطيعون سبيلا الى الخير والهدى وهم قادرون عندكم على الايمان
والتوبه ومتى فعلوا ذلك استحقوا الثواب لان المراد انهم مع التمسك بالضلال
والمقام على الكفر لا سبيل لهم الى خير وهدى وانما يكون لهم سبيلا الى
ذلك بان يفارقوا ما هم عليه وقد يمكن ايضا في معنى الاية ما تقدم ذكره
من المراد بنفي الاستطاعة عنهم انهم مستثقلون للايمان فقد يخبر عمن يستثقل شيئا بانه
لا يستطيعه على ما تقدم ذكره فاما قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام انك لن تستطيع
معي صبرا فظاهره يقتضي انك لا تستطيع ذلك في المستقبل ولا يدل على
انه غير مستطيع للصبر في الحال ان يفعله في الثاني وقد يجوز ان يخرج في المستقبل
من ان يستطيع ما هو في الحال مستطيع له غير ان الاية تقتضي خلاف ذلك لانه
قد صبر عن المسئلة اوقاتا وان لم يصبر عنها في جميع الاحوال المستقبلة فلن
تنتفي الاستطاعة للصبر عنه في جميع الاحوال المستقبلة على ان المراد بذلك
واضح فانه تعالى خبر عن استثقاله الصبر عن المسئلة عما لا يعرف فلا يقف
عليه لان مثل ذلك يصعب على النفس ولهذا نجد احدنا اذا جرى بين يديه
ما ينكره ويستبدعه تنازعه نفسه الى المسئلة عنه والبحث عن حقيقته
ويثقل عليه الكف عن الفحص عن امره فلما حدث من صاحب موسى عليه السلام
ما يستنكر ظاهره استثقل الصبر عن المسئلة عن ذلك وينبه هذا الوجه
قوله تعالى وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا فبين ان العلة في قلة
صبره ما ذكرناه دون غيره ولو كان على ما ظنوا لوجب ان يقول وكيف
تصبر وانت غير مطيق للصبر فاما قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع
فلا تعلق لهم بظاهره لان السمع ليس بمعنى فيكون مقدورا لان الادراك
على المذهب الصحيح ليس بمعنى ولو ثبت انه معنى على ما يقوله ابو علي لكان

الاوقات م

وما كانوا مبصرون

ايضا

ايضا غير مقدور للعبد من حيث يختص القديم تعالى بالقدرة عليه هذا ان اريد
بالسمع الادراك وان يريد به نفس الحاسة وهي ايضا غير مقدور للعباد لان الجواهر
وما يختص به الحواس من البنية والمعاني ليصح به الادراك مما ينفرد القديم تعالى
بالقدرة عليه فالظاهر لا حجة لهم فيه فان قالوا فلعل المراد بالسمع كونهم سامعين
كانه نفى عنهم استطاعة ان يسمعوا قلنا هذا خلاف الظاهر ولو ثبت ان المراد
ذلك لحملنا نفي الاستطاعة ههنا على ما تقدم ذكره في الاستثقال وشدة
المشقة كما يقول القائل فلان لا يستطيع ان يراني ولا يقدر على ان يكلمني
وما اشبه ذلك وهذا بين لمن تامله تاويل خبر ان سال سائل فقال ما تاويل
ما رواه عن معوية بن الحكم قال قلت يا رسول الله كان لي جارية ترعى غنما
لي قبل احد فذهب الذيب بشاة من غنمها وانا رجل من بني ادم اسف كما يأسفون
لكني غضبت فصككتها صكة قال فعظم ذلك على النبي صلى الله عليه واله وسلم
قلت يا رسول الله افلا اعتقها قال ائتني بها فاتيته فقال لها اين الله فقالت
في السماء قال من انا قالت انت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام فاعتقها فانها مؤمنة
فالجواب اما قوله انا رجل من بني ادم اسف كما يأسفون فمعناه اني اغضب كما
يغضبون قال محمد بن حبيب الاسف الغضب وانشد الراعي فما لحقتني
العيس حتى وجدتني اسيفا على حاديهم المتجرد والاسف ايضا الحزن قال ابن
الاعرابي الاسف الحزن والاسف الغضب قال كعب بن زهير في كل يوم
ارى فيه مبينة تكاد تسقط مني منة اسفا قوله لكني غضبت فصككتها
اراد لطمتها يقال صك جبهته اذا لطمها بيده قال الله تعالى فاقبلت امراته
في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قال بشر بن ابي حازم يصف حمار وحش
واتانا فصك محجره اذا ما سافها وجنبه بحوافر لم تنكب سافها شمها
وقولها في السماء فالسماء هو الارتفاع والعلو فمعنى ذلك انه تعالى عال في قدرته
عزيز في سلطانه لا يبلغ ولا يدرك يقال سما فلان يسمو سموا اذا ارتفع

شانه وعلا امره قال الله تعالى ءامنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض
فاذا هي تمور ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا . فاخبر بقدرته
وسلطانه وعلو شانه ونفاذ امره وقد قيل امنتم من في السماء امره واياته
ورزقه وما جرى مجرى ذلك وقال امية بن الصلت شاهد المانقدم .
واشهد ان الله لا شي فوقه . عليا وامسى ذكره متعاليا . وقال سليمان بن يزيد العدوي
لك الحمد يا ذا الطول والملك والغنى . تعاليت محمودا كريما وجازيا . علوت
على قرب بعز وقدرة . وكنت قريبا من دنوك عاليا . والسماء ايضا سقف
البيت ومنه قوله تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة
فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ وقال
ابن الاعرابي يقال لاعلى البيت سماء البيت وسماوته وسراته وصهوته
والسماء ايضا المطر قال الله تعالى وارسلنا السماء عليكم مدرارا ومنه
الحديث الذي رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله انه مر على صبرة
طعام فادخل عليه السلام يده فيها فاصابت اصابعه بللا فقال له ما هذا
يا صاحب البر قال اصابته السماء يا رسول الله قال عليه السلام ولم لا جعلته فوق
الطعام يراه الناس من غش فليس منا وقال المثقب العبدي . فلما اتاني والسماء
تبله : فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا . ويقال ايضا لظهر الفرس سماء كما يقال
لحوافره انها ارض ولبعضهم في فرس . واحمر كالدينار اما سماؤه .
فخصب واما ارضه فمحول . اراد انه سمين الاعلى عريان القوايم ممشوقها
وكل معاني السماء التي تتصرف وتتنوع ترجع الى معنى الارتفاع والعلو والسمو
وان اختلفت المواضع التي اجريت هذه اللفظة فيها واولى المعاني بالخبر الذي
سئلنا عنه ما قدمناه من معنى العزة وعلو الشان والسلطان وما عدا ذلك
من المعاني لا يليق به تعالى لان العلو بالمسافة لا يجوز على القديم تعالى الذي ليس بجوهر ولا جسم
ولا حال فيهما ولان الخبر والاية التي تضمنت ذكر السماء خرجت مخرج المدح

ولا يمدح في العلو بالمسافة وانما التمدح بالعلو في الشان والسلطان ونفاذ
الامر ولهذا لا نجد احدا من العرب مدح غيره في شعر او نثر بمثل هذه اللفظة
واراد به علو المسافة لا بل يريدون الا ما ذكرناه من معنى العلو وانما يظن في هذه
المواضع خلاف هذا من لا فطنة له ولا بصيرة له والحمد لله رب العالمين المجلس
الثالث والستون تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا
وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق
عليه القول ومن امن وما امن معه الا قليل الجواب قلنا اما التنور فقد
ذكر في معناه وجوه اولها انه اراد بالتنور وجه الارض وان الماء نبع وظهر
على وجه الارض وهذا قول ابن عكرمة وقال ابن عباس مثله والعرب تسمي وجه الارض
تنورا وثانيها ان يكون المعنى ان الماء نبع من اعالي الارض وفار من الاماكن المرتفعة
منها وهذا قول قتادة يروى عنه في قوله وفار التنور قال ذكر لنا انه ارفع
الارض واشرفها وثالثها ان يكون المراد بفار التنور اي برز النور وظهر الضوء
وتكاثفت امارات دخول النهار وتقضي الليل وهذا القول يروى عن امير المؤمنين عليه السلام
ورابعها ان يكون المراد بالتنور الذي يختبز فيه على الحقيقة وانه كان تنورا لادم عليه السلام
وقال قوم ان التنور كان في دار نوح ع بعين وردة من ارض الشام وقال
اخرون بل كان التنور من ناحية الكوفة والذي روى عنهم ان التنور تنور
الخبز الحقيقي ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم وخامسها ان يكون معنى
ذلك واشتد غضب الله عليهم وحل وقوع نقمته بهم فذكر التنور مثلا لحضور
العذاب كما تقول العرب قد حمي الوطيس اذا اشتدت الحرب وعظم الخطب
والوطيس هو التنور وتقول العرب ايضا قد فارت قدر القوم اذا اشتد
حربهم وقال الشاعر . تفور علينا قدرهم فنديمها . ونفثاها عنا اذا حميها
غلى . اراد بقدرهم حربهم ومعنى نديمها نسكنها ومن ذلك الحديث المروي
عن النبي ص انه نهى عن البول في الماء الدايم يعني الساكن ويقال قد دوم الطاير

في الهوى اذ ابسط جناحيه وسكنهما ولم يخفق بهما معناه تسكنها يقال قد فثأ
غضبه عني وفثأت الحار بالبارد اذا اكسرته وسادسها ان يكون التنور
الباب الذي يجتمع فيه ماء السفينة فجعل فوران الماء منه والسفينة
على الارض علما على ما انذر به من اهلاك قومه وهذا القول يروى عن
الحسن واولى القول بالصواب قول من حمل الكلام على التنور الحقيقي لانه الحقيقة
وما سواه مجاز ولان الروايات الظاهرة تشهد له واضعفها وابعدها من شبهة
الاثر قول من حمل ذلك على شدة الغضب واحتداد الامر تمثيلا وتشبيها لان حمل
الكلام على الحقيقة التي تعضدها الرواية اولى من حمله على المجاز والتوسع
مع فقد الرواية واي المعاني اريد بالتنور فان الله تعالى جعل فوران الماء منه
علما للنبي عليه السلم وانه يدل على نزول العذاب بقومه لينجو بنفسه وبالمؤمنين
فاما قوله تعالى مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ. فقد قيل المراد احمل من كل ذكر
وانثى اثنين وانه يقال لكل واحد من الذكر والانثى زوج وقال اخرون الزوجان
ههنا الضربان وقال اخرون الزوج اللون وان كل ضرب يسمى زوجا واستشهد
ببيت الاعشى. وكل زوج من الديباج يلبسه. ابو قدامة محبور بذاك معا.
ومعنى مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ منهم اي من اخبر الله تعالى بعذابه وحلول الهلاك به
والله اعلم بمراده تاويل خبر ان سأل سائل عن تاويل الخبر الذي يرويه
شريك بن عمار الدهني عن ابي صالح الحنفي عن امير المؤمنين عليه السلم انه قال
رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وانا اشكو اليه ما لقيت من الاود واللدد الجواب
يقال اما الاود فهو الميل تقول العرب لاقيمن ميلك وجنفك واودك
ودرءك وضلعك وصعرك وصدعك وظلعك بالظاء وصعولك وصفوك
وصددك كل هذا بمعنى واحد وقال ثعلب الاود اذا كان من الانسان في كلامه
ورايه فهو عوج واذا كان من المنتصب في الشخص مثل عصى وما اشبهها فهو عوج
هذا قول الناس كلهم الا ابا عمرو الشيباني فانه قال العِوج بالكسر الاسم

والعوج

دهر حي من العرب

والعوج بالفتح المصدر وقال ثعلب كانه في كلامهم معوج واما اللدد فقيل
هو الخصومات وقال ثعلب يقال رجل الد وقوم لد اذا كانوا اشداء في
الخصومة ومنه قوله تعالى وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وقال الاموي اللدد والاجابة
في الخصومة الذي ليس بمستقيم اي هو اعوج الخصومة يميل فلا يقوى عليه ولا
يتمكن منه ومن ذلك قولهم لد الصبي وانما يلد في شق فيه وليس مستقيما فهو
يرجع الى معنى الميل والاعوجاج وقال قد فسر لنا الحكم بن ظهير فقال الد
الخصام اي اعوج الخصام وانشد ابو النجم لابن مقبل. لقد دل عن دهمي الد
وعذرتي. وكتمانها اكني بام فلان. جعلت لجهال الرجال مخاضة. ولو شئت
قد بينتها بلساني. اللدد الجدال والخصومة وقال ابو عمرو الالد الذي لا يقبل الحق
ويطلب الظلم وقوله مخاضة يقول انهم يخوضون في شعري فيطلبون منها
فلا يقفون عليه وانشد ابو النجم. لا تفتري الكذب القبيح فانه. للمرء مغيبة وبا لسان
واصدق وبقول النجين تنطق انه. للصدق فضل فوق كل كلام. فاذا اصدقت على الرجال
خصمتهم. والصدق مقطعة على الظلام. واذا رمال عشوم قوم فارمه.
بالالد مُسْتَفِرِ المدى غشام. لا تعرضن على العدو وسيلة. واحذر عدوك عند
كل مقام. اعلم بانه ليس يوما ناصحا. عند اللئيم وسائر الارحام. ما لم يخفك
ويلق عندك جانبا. حسنا وتحسبه بكاس سمام. واذا احلبت بمازق فاكرم به.
حتى يفرج حلبة الاظلام. واصبر على كرب البلاء فانه. ليس البلاء على الفتى بلزام.
واعلم بانك ميت ومحدث. عما فعلت معاشر الاقوام. معنى قوله مستفر المدى
اي بعيد المدى قوله لا تعرض على العدو وسيلة اي لا تقاربه ولا تصانعه
ولا يكن بينك وبينه الا صدق العداوة وانشد ايضا شاهدا لما تقدم
يا وهب انه باطلي وجدي. اشبهت اخلاقي فانا شبه جدي. وجدلي عند الخصوم
الدي قال المرتضى رضي الله عنه ومن احسن ما وصف به الثغر قول فضالة
بن وكيع البكري. تبسم عن جم اللثات كانها. حصى برد او اقحوان كثيب

كلمة مصدر عوج يعوج عوجا ويقال سوجه
وعود معوج وليس
والالد

اذا ارتفعت عن مرقد عللت به . من اليانع الغورى فرع قضيب . قضيب
نحاه الركب ايام عرّفوا . لها من ذرى مال النبات خضيب . يعنى من يانع الاراك
ومعنى نحاه اى قطعه ومثله استنحاه ايضا ومال النبات اى ناعمه وحسنه ويقال
عشب مال ومادسوآء اى ميادٍ ناعم ومعنى ايام عرّفوا اى اجتنبوه من عرفات
وذكر انه خضيب بالطيب الذى يبديها لادمانها استعماله وقال الاخطل
يصف ثغرا . شتيتا يروى الظمآن منه . اذا الجوزآء اجرت الضبابا . فيه
وجهان احدهما انه اراد عند سقوط الجوزآء وذلك فى شدة البرد وطول
الليل اذا انجرت الضباب من البرد وتغير الافواه لطول الليل الشتا يقول
فثغرها حينئذ عذب غير متغير والوجه الاخر انه اراد عند طلوع الجوزا فى شدة
الحر اذا انجرت الضبا من شدة الحر والقيظ والظمآن حينئذ اشد عطشا واحر
غلة فريقها يرويه ويبرد غلته وقال اخر فويل امها من تكون ضجيعه . اذا
ما الثريا ذبذبت كل كوكب . قوله فويل امها من الزجر المحمود مثل قولهم ويل
امه ما اشجعه فكانه يقول نعم الضجيع هى عند السحر اذا تحادرت النجوم للمغيب
كما قال ذو الرمة . وايدى الثريا جنح فى المغارب . ومثل قول الاخر . نعم شعار الفتى
اذا برد الليل سحرا . وقفقف الصرد وانما يعنى انها فى ذلك الوقت التى تتغير فيه
الافواه طيبة الريق عذبته وانشد ابو العباس المبرد لام الهيثم . وعارض كجانب
العراق . انبت برّاقا من البرّاق . بلّا مثل العسل المذاق قال ابو العباس
فى هذا قولان احدهما انه وصف ثغرا وعارض جانباه والعراق ما يثنى ثم يخرز
كعراق القربة فاخبرت انه ليس فيه اعوجاج ولا تراكب ولا نقص وقوله
انبت برّاقا من البرّاق يعنى الثغر نفسه اى له بريق من صفايه ورقته وشبهت
الريق بالعسل لعذوبته والقول الاخر قال بعضهم العارض هيهنا هو الغيم
وقولها كجانب العراق يعنى هذه البلاد اى هو ضخم متكاثف قد سد الافق
وقولها انبت براقا من البراق اى ما تنبت الارض اذا امطرت من النور قال

المبرد

المبرد والقول الاول عندنا اصح لذكرها و انشدنا احمد بن يحيى لتابط شرا
وشعب كشك الثوب شكس طريقه . مجامع صوحيه نطاف مخاصر . تعسفته
بالليل لم يهدنى له . دليل ولم يحسن له النعت خابر . قال يعنى بالشعب فم جارية
كشك الثوب يعنى كف الثوب اذا خاطه الخياط والشكس الضيق يصفها بصغر
الفم ورقة الشفتين وصوحا جانباه وصوح الوادى جانبه يعنى بالنطاف
الريق والمخاصر البارد من الخصر وقوله لم يهدنى له دليل اى لم يصل اليه غيرى
كما قال الشاعر . الا ربّ يوم قد شربت بمشرب . شفى الغيم لم يشرب به احد قبلى
الغيم والغين العطش وانما يعنى ريق جارية قال المبرد والاخرون
بل يعنى شعبا من الشعاب مخوفا ضيقا سلكه وحده قال ابو العباس انما
كنى بالشعب عن فم جارية ثم اخذ فى وصف الشعب ليكون الامر اشد التباسا
قال المرتضى رضى الله عنه والاشبه ان يكون اراد بالشعب شعبا حقيقيا لان تابط شرا
كان لصا وصافا للاهوال التى يمضى به وتعاينهم فى تلصصه وكان كثيرا ما يصف
تدليه من الجبال وتخلصه من المضايق وقطعه المفاوز واشباه ذلك و
والقطعة التى فيها البيتان كلها تشهد بان الوصف لشعب لا لفم جارية لانه
يقول بعد قوله كشك الثوب . لدن مطلع الشمس قليل انيسه . كان الضحى فى جانبيه
معاجر . به من نجاء الدلو بيض اقرها . جبار لصم الصخر فيه قراقر . وقدر حتى
صرن للماء منتهى . وغادرهن السيل فيما يغادر . به نطف تملا قليل تراها .
جلى الماء عن ارجائها وهو جائر . وهذه الاوصاف كلها لا يليق الا بالشعب
دون غيره وتاول ذلك على الفم تعسف بعيد ولقد احسن كثير فى قوله يصف
الثغر . ويوم الخيل قد سفرت وكفت . رداء العصب عن رتل براد . و
عن نجلاء تدمع فى بياض . اذا دمعت وتنظر فى سواد . وعن متكاوس
فى العقص جثل . اثيث النبت ذى عذر جعاد . وقال ابو تمام فى هذا المعنى
وعلى العيس خرد يتبسمن . عن الاشنب الشتيت البراد . كان الشول السبال

فاضحى دونه للفراق شوك القتاد . وقال البحترى . وارتنا خدا يراح به الورد
ويثمه جنا التفاح . وشتيتا يعض من لؤلؤ النظم . ويذرى على شتيت الاقاحى
فاضات تحت الدجنة للشرب . وكادت تضىء للصباح . وقال ايضا
سفرت كما سفر الربيع الطلق . عن وردبرقه الضحى مصقول . وقد جمع
كل ما يوصف به الثغر فى قوله . كانما يضحك من لؤلؤ . منظم او برد او اقاح .

المجلس الرابع والثمانون [تاويل] آية . ان سال سائل عن قوله تعالى قل هل انبئكم
بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل
منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل
عن سواء السبيل فقال ما انكرتم ان تكون هذه الاية دالة على انه تعالى
جعل الكافر كافرا لانه اخبر بانه جعل منهم من عبد الطاغوت كما جعل القردة
والخنازير وليس يجعله كافرا الا بان يخلق كفره الجواب يقال لهم قبل
ان تتكلم فى تاويل هذه الاية وما يحتمله من المعانى كيف يجوز ان يخبر الله تعالى
بانه جعلهم كفارا وخلق كفرهم والكلام خرج مخرج الذم لهم والتوبيخ
على كفرهم والمبالغة فى الازراء عليهم واى مدخل لكونه خالقا لكفرهم فى باب
ذمهم واى نسبة بينه وبين ذلك بل الاشىء ابلغ فى عذرهم وبراءتهم من ان يكون
خالقا لما ذممهم من اجله وهذا يقتضى ان يكون الكلام متناقضا مستحيل
المعنى ونحن نعلم ان احدنا اذا اراد ذم غيره وتوبيخه وتهجينه بمثل هذا الضرب
من الكلام انما نقول الا اخبركم بشر الناس واحقهم للذم واللوم من فعل كذا
وصنع كذا او كان على كذا فيعد من الافعال والاحوال قبائحها ولا يجوز
ان يدخل فى جملتها ما ليس بقبيح ولا هو من فعل الذام ومن جهته حتى يقول
فى جملة ذلك ومن تشاغل بالصنعة الفلانية التى هو اسلمه اليها وحمله عليها
وان عقلا يقبل هذه الشبهة لعقل ضعيف سخيف فان قيل اليس قد ذمهم فى الكلام
بان جعل منهم القردة والخنازير ولا صنع لهم فى ذلك فكذلك يجوز ان يذمهم

بفعلهم عابدين للطاغوت وان كان من فعله قلنا انما جعلهم قردة وخنازير
عقوبة لهم على افعالهم وباستحقاقهم فجرى ذلك مجرى افعالهم كما ذمهم
بان لعنهم وغضب عليهم من حيث استحقوا ذلك منه بافعالهم وعبادتهم
للطاغوت وان كان هو خلقها فلا وجه لذمهم بها لان ذلك مما لا يستحق
بفعل متقدم كاللعن والمسخ ثم نعود الى تاويل الاية فنقول لا ظاهر للاية
يقتضى ما ظنوه واكثر ما تضمنته الاخبار بانه خلق وجعل من يعبد الطاغوت
كما جعل منهم القردة والخنازير ولا شبهة فى انه تعالى هو خلق الكافر وانه
لا خالق له سواه غير ان ذلك لا يوجب انه خلق كفره وجعله كافرا
وليس لهم ان يقولوا كما نستفيد من قوله جعل منهم القردة وانه جعل   والخنازير
ما به كانوا كذلك هكذا نستفيد من قوله جعل منهم من عبد الطاغوت انه
خلق ما به كان عابدا للطاغوت وذلك انا انما استفدنا ما ذكروه من الاول
لان الدليل قد دل على ان ما به يكون القرد قردا والخنزير خنزيرا لا يكون
الا من فعله وليس ما به يكون الكافر كافرا مقصورا على فعله تعالى بل قد دل
الدليل على انه تعالى ما فعل ذلك وخلقه فافترق الامران وفى الاية وجوه
اخر وهو ان لا يكون قوله تعالى وعبد الطاغوت معطوفا على القردة والخنازير
بل معطوفا على من لعنه الله وغضب عليه ومن عبد الطاغوت ومن جعل الله
منهم القردة والخنازير وهذا هو الواجب لان عبد فعل والفعل لا يعطف
على الاسم فلو عطفنا على القردة والخنازير لكنا قد عطفنا فعلا على اسم
والاولى عطفه على ما تقدم من الافعال وقال قوم يجوز ان يكون عبد الطاغوت
معطوفا على الهاء والميم فى منهم فكانه جعل منهم ومن عبد الطاغوت القردة
والخنازير وقد يحذف من الكلام قال الشاعر . امن يهجو رسول الله منكم . ويمدحه
وينصره سواء . اراد من يمدحه وينصره فان قيل فهبوا هذا التاويل
ساغ فى قراءة وعبد بالفتح اين انتم عن قراءة من قرا وعبد الطاغوت بضم العين

تقدير الكلام من لعنه ومن غضب عليه

بفتح العين وضم الباء وكسر التاء من الطاغوت
ومن قرا عبد الطاغوت

والبآء ومن قرا عُبّد الطاغوت بالضم والتشديد ومن قراه عباد الطاغوت
قلنا المختار من هذه القراآت عند اهل العربية كلهم القراة بالفتح وعليها جميع
القرآء السبعة الا حمزة فانه قرا عَبُدَ بفتح العين وضم البآء وباقي القراءة
الشاذة غير ماخوذ بها قال ابو اسحق الزجاج في كتابه في معاني القران عبد
الطاغوت نسق على من لعنه الله وقد قرئت وعَبُدَ الطاغوت والذي اختار
وعَبَدَ الطاغوت ومن قال وعَبُدَ الطاغوت بضم البآء وخفض الطاغوت
فانه عند بعض اهل العربية ليس بالوجه من جهتين احدهما ان عبد على فعل
وليس على هذا من امثلة الجمع لانهم فسروه خدم الطاغوت ثم خرج لمن
قرا عُبُد وجها فقال ان الاسم بني على فعل كما يقول رجل حذر اي مبالغ في الحذر
فتاويل عبد انه بلغ الغاية في طاعة الشيطان هذا كلام الزجاج وقال ابو علي
الحسن بن عبد الغفار الفارسي محتجا للقرآءة حمزة ليس عبد لفظ جمع الا ترى انه
ليس في ابنية الجموع شي على هذا البنى ولكنه واحد يراد به الكثرة الا ترى
ان في الاسمآء المفردة المضافة الى المعارف ما لفظه لفظ الافراد ومعناه
الجمع كقوله تعالى وَاِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللّٰهِ لَا تُحْصُوهَا وكذلك قوله عَبُدَ الطاغوت
جآء على فعل لان هذا البنا يراد به الكثرة والمبالغة وذلك نحو يقظ وندس
فهذا كان تقديره انه قد ذهب في عبادة الشيطان والتذلل له كل مذهب
قال وجآء على هذا لان عَبْدًا في الاصل صفة وان كان قد استعمل استعمال الاسمآء
واستعمالهم اياه استعمالها لا يزيل عنه كونه صفة الا ترى ان الابرق والابطح
وان كانا قد استعملا استعمال الاسمآء حتى كسر هذا النحو عندهم من التكسير
في قولنا بارق واباطح لم يزل عنه حكم الصفة ويدل على ذلك تركهم صرفه كتركهم
صرف احمر ولم يجعلوا ذلك كافكل وايدع وكذلك عَبُدَ وان كان قد استعمل
استعمال الاسمآء لم يخرجه ذلك عن ان يكون صفة واذا لم يخرج عن ان يكون صفة
لم يمتنع ان يبني بنآء الصفات على فعل وهذا كلام مفيد في الاحتجاج لحمزة فاذا صحت

وعَبَد الطاغوت

وروي عن ابن مسعود وعبد الطاغوت فهذا يقوي وعبد الطاغوت

والثاني ان يكون محمولا على وجعل منهم عبد الطاغوت

الافكل الرعدة والايدع صبغ احمر بهذه الاوزان

قراءة حمزة

قراءة حمزة وعادلت قراءة الباقين المختارة وصح ايضا ساير ما روي من القراآت
التي حكاها السائل كان الوجه الاول الذي ذكرناه في الاية يزيل الشبهة فيها
ويمكن في الاية وجه اخر على جميع القراءات المختلفة في عبد الطاغوت وهو ان يكون
المراد بجعل عبد الطاغوت اي نسبه اليهم وشهد عليهم بكونه في جملتهم
ولجعلوا مواضع قد تكون بمعنى الخلق والفعل كقوله تعالى وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ
وَالنُّورَ وكقوله وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ اَكْنَانًا . وهي ههنا تتعدى الى
مفعول واحد وقد تكون ايضا بمعنى التسمية والشهادة كقوله تعالى وَجَعَلُوا
الْمَلٰئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمٰنِ اِنَاثًا . وكقول القايل جعلت البصرة بغداد
وجعلتني كافرا وجعلت حسني قبيحا وما اشبه ذلك فهي ههنا تتعدى
الى مفعولين ولجعل مواضع اخر لا حاجة بنا الى ذكرها فكانه قال بقال
وعبد قال ونسب عبد الطاغوت اليه وشهد انه من جملتهم فان قيل لو
كانت جعل ههنا على ما ذكرتم لوجب ان تكون متعدية الى مفعولين لانها
اذا لم تتعدى الا الى مفعول واحد فلا معنى لها الا الخلق قلنا هذا غلط من توهم
لان جعل ههنا متعدية الى مفعولين وقوله منهم يقوم مقام المفعول
الثاني عند جميع اهل العربية لان كل جملة تقع في خبر المبتدا فهي تحسن ان تقع
في موضع المفعول الثاني لجعلت وظننت وما اشبه ذلك وقال الشاعر
ابا لا الاراجيز يا ابن اللوم توعدني . وفي الاراجيز خلت اللوم والخور وقد فسر
هذا على وجهين احدهما على الغآء خلت من حيث توسطت الكلام
فيكون في الاراجيز على هذا في موضع رفع بانه خبر المبتدا والاخر
على اعمال خلت فيكون في الاراجيز في موضع نصب من حيث وقع موقع
المفعول الثاني وهذا بين لمن تدبر قال المرتضى رضي الله عنه انشد ثعلب
عن ابن الاعرابي . ابا وابي للصبر في كل خلة . اقر لعيني من غنى رهن ذلة
واني لاختار الظما في مواطن . على بارد عذب واغلى بغلة . واستر ذنب الدهر حتى كانه

صديق ولا اغتابه عند زلة . ولست كمن كان ابن امى مقترا . فلما افاد
المال عاد ابن علة . فدابرته حتى انقضى الود بيننا . ولم اتمطق من نداه ببلة
وكنت له عند الملمات عدة . اسد بما لى دونه كل خلة . قال المرتضى رضى الله عنه
الاولى فى هذه القطعة اطلاقها الخلة الحاجة والخلة ايضا الخصلة والخلة بالضم المودة
والخلة بالضم ايضا ما كان خلوا من المرعى والخلة بالكسر ما يخرج من الانسان بالخلال
والخليل الحبيب من المودة والمحبة والخليل ايضا الفقير وكلا الوجهين قد ذكر
فى قوله تعالى واتخذ الله ابرهيم خليلا . ومن حديث بن مسعود تعلموا العلم فانه
لا يدرى احدكم متى يختل اليه قال ابو العباس ثعلب يكون من شيئين احدهما
من الخلة التى هى الحاجة اى متى يحتاج اليه ويكون من الخلة وهى النبات الحلو
ويكون معناه متى يشتهى ما عنده مشبه بالابل لانها ترعى عن الخلة فاذا ملتها
عدلوا بها الى الحمض فاذا ملت الحمض اشتهت الخلة ومن امثالهم جاؤا مخلين فلاقوا حمضا
اى جاؤا مشتهين لقتالنا فلاقوا ما كرهوا والخلة ايضا بنت المخاض والذكر الخل
ويقال جسم خل اذا كان مهزولا قال الشاعر . اسقنيها يا سواد بن عمرو . ان جسمى
بعد خالى لخل . ويقال ايضا فصيل مخلول اذا شد لسانه حتى لا يرضع ويقال خلله
فهو خليل ومخلول ومثله اجرزته قال الشاعر . على ان قومى انطقتنى رماحهم
نطقت ولكن الرماح اجرت . اى لم يبلوا فى الحرب شيئا كانا فتحر بهم وقوله اقر
لعينى من غنى رهن ذلة يقول اختيار الصيانة مع الفقر احب الى من الغنى مع الذل
ومثله اذا كان باب الذل من جانب الغنى . سموت الى العلياء من جانب الفقر
صبرت وكان الصبر منى سجية . وحسبك ان الله اثنى على الصبر وقوله واستر
ذنب الدهر حتى كانه . صديق واراد انى لا اشكو ما يمسنى به الدهر من خصاصة
بل استر ذلك واظهر التجمل حتى لا اسوء الصديق واسر العدو وهذا المعنى اراد
بقوله ولا اعتاب به عند زلة وقوله فلما افاد المال عاد بن علة فالعرب تقول
بنو عيان اذا كان ابوهم واحدا وامهم واحدة فاذا كان ابوهم واحدا وامهاتهم شتى

قيل اولاد علات ومنه الحديث المأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال النبيون اولاد
علات اى امهاتهم شتى وابوهم واحد وكنى الشاعر بذلك عن التباعد
والتغالى والتقاطع لان الاكثر فى بنى العلات ما ذكرناه وقوله دابرته اى
قاطعته وقوله لم اتمطق من نداه فالتمطق يكون بالشفتين والتلمظ باللسان
فكنى بذلك عن انه لم يصب من خيره شيئا وصان نفسه عنه المجلس
الخامس والثمانون بيان ان سئل سائل عن قوله تعالى فقال ما تاويل قوله تعالى
الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج
به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون وما الذى
اثبت لهم العلم به وكيف يطابق وصفهم ههنا بالعلم لوصفهم بالجهل فى
قوله تعالى قل افغير الله تامرونى اعبد ايها الجاهلون الجواب قلنا هذه الاية
معناها متعلق بما قبلها لانه تعالى امرهم بعبادته والاعتراف بنعمته ثم عدد عليهم
صنوف النعم التى ليست الا من جهته ليستدلوا بذلك على وجوب عبادته وان
العبادة انما تجب لاجل النعم المخصوصة فقال جل من قائل يا ايها الناس اعبدوا
ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تعقلون الذى جعل لكم
الارض فراشا الى اخر الاية ونبه فى اخرها على وجوب توحيده والاخلاص
له وان لا يشرك به شئ بقوله فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون ومعنى قوله
جعل لكم الارض فراشا اى يمكن ان تستقروا عليها وتفترشوها وتتصرفوا
فيها وذلك لا يمكن الا بان تكون مبسوطة ساكنة دائمة السكون وقد استدل
ابو على بذلك وبقوله تعالى جعل لكم الارض بساطا على بطلان ما يقوله المنجمون
من ان الارض كرية الشكل وهذا القدر لا يدل لانه يكفى فى النعمة علينا ان
تكون فيها بسائط ومواضع مسطوحة يمكن التصرف عليها وليس يجب ان يكون
جميعها كذلك ومعلوم ضرورة ان جميع الارض ليس مسطوحة مبسوطا وان
كان مواضع التصرف منها بهذه الصفة والمنجمون لا يدفعون ان يكون

التلمظ

بغ

في الارض بسايط وسطوح يتصرف عليها ويستقر فيها وانما يذهبون الى ان
بجملتها شكل الكرة وليس له ان يقول قوله جعل لكم الارض فراشا يقتضي الاشارة
الى جميع الارض وجملتها لا الى مواضع منها لان ذلك تدفعه الضرورة من حيث
انا نعلم بالمشاهدة ان فيها ما ليس ببساط ولا فراش ولا شبهة في ان جعله
السماء على ما هي عليه من الصفة مما له تعلق بمنافعنا ومصالحنا وكذلك انزال
منها الماء الذي هو المطر الذي هو تظهر به الثمرات فينتفع بنيلها والاغتذاء
فاما قوله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا فان الند هو المثل والعدل قال حسان
اتهجوه ولست له بند. فشركما لخيركما الفداء. فاما قوله تعالى وانتم تعلمون فيحتمل
وجوها اولها ان يريد انكم تعلمون ان الانداد التي هي الاصنام وما جرى مجراها
التي تعبدونها من دون الله لم تنعم عليكم بهذه النعم التي عددها ولا امثالها
وانها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر معلوم ان المشركين الذين كانوا
يعبدون الاصنام ما كانوا يدعون ولا يعتقدون ان الاصنام خلقت
السماء والارض من دون الله تعالى ولا معه تعالى فالوصف لهم هيهنا بالعلم
انما هو لتاكيد الحجة عليهم وبصح لزومها لهم لانهم مع العلم بما ذكرناه يكونون
اضيق عذرا والوجه الثاني ان يكون المراد بقوله تعالى وانتم تعلمون اي تعقلون
وتميزون وتعلمون ما تقولون وتفعلون وتاتون وتذرون لان من كان
بهذه الصفة فقد استوفى شروط التكليف ولزمته الحجة وضاق عذره في
التخلف عن النظر واصابة الحق ونظير ذلك قوله عز وجل انما يتذكر اولوا
الالباب وانما يخشى الله من عباده العلماء والوجه الثالث ما قاله بعض
المفسرين لمجاهد وغيره ان المراد بذلك اهل الكتاب بين التوراة والانجيل
فعلى الوجهين الاولين لا تنافي بين هذه الاية وبين قوله تعالى قل افغير الله
تامروني اعبد ايها الجاهلون لان علمهم تعلق بشيء وجهلهم بغيره وعلى
الوجه الاخر اذا جعل الاية التي وصفوا فيها بالجهل تتناول غيرها ولا يمن

لم يكن ذا كتاب يجد فيه بيان التوحيد وكل هذا واضح بحمد الله قال المرتضى
ومما يفسر من الشعر تفاسير مختلفة والقول للكل قول امرء القيس وقد اغتدي
ومعي القانصان. وكل بمرباة مقتفر. فيدركنا فغم داجن. سميع بصير طلوب نكر.
الص الضروس حني الضلوع. تبوع اريب نشيط اشر. فانشب اظفاره في النسا.
فقلت هبلت الا تنتصر. فكر اليه بمبراته. كما خل ظهر اللسان المجر. فظل يرنح.
في غيطل. كما يستدير الحمار النعر. قال ابن السكيت القانصان الصايدان والمرباة
الموضع المرتفع يرباء فيه المقتفر الذي يقتفر اثار الوحش ويتبعها وقال غيره
القانصان البازي والصقر والفغم الكلب الحريص على الصيد يقال ما اشد فغمه
اي ما اشد حرصه قال الاعشى تاؤم ديار بني عامر. وانت بال عقيل فغم.
اي مولع والداجن الذي يالف الصيد والسميع الذي اذا سمع حسا لم يفته
والبصير الذي اذا راى شيئا من بعد لم يكذبه بصره والتبوع الذي اذا اتبع
الصيد ادركه ولم يعجز عن لحوقه والنكر المنكر الحاذق بالصيد ويروى نكر بالضم
وقال ابن السكيت وغيره في قوله فانشب اظفاره في النسا اي فانشب الكلب اظفاره
في نساء الثور والنساء عرق في الفخذ معروف فقلت هبلت اي قلت للثور هبلت
الا تنتصر من الكلب قال وهذا تهكم النبت اذا وقع بعضه على بعض ومعنى
فكر بمبراته قال ابن السكيت وغيره معناه فكر الثور الى الكلب بمبراته اي بقرنه
ومعنى كما خل ظهر اللسان المجر اي طعنه به كما يجر الرجل لسان الفصيل وهو ان يقطع
طرف لسانه او يشقه حتى لا يقدر على الشرب ومعنى فظل يرنح في غيطل اي ظل
الكلب يرنح اي يميد ويتمايل كالسكران والغيطل الشجر الملتف ويكون ايضا
الجلبة والصياح وقوله كما يستدير الحمار النعر فالنعر الذي يدخل في راسه ذباب
ازرق واخضر فيطمح براسه وينزو فشبه الكلب في اضطرابه ونزوه بالحمار
النعر قال ابن مقبل. ترى النعرات الزرق تحت لبانه. احاد ومثنى اصعقتها
صواهله. وقال احمد بن عبيد القانصان الفرس وصاحبه والحجة في ان الفرس تسمى

منه بالثور واستهزاء به والاصل في التهكم الوقوع على الشيء يقال تهكم

من خلف امه وذلك اذا كبر واستغنى عن الشرب

ويقال الاشعص

نقلت لصاحب الفرس او عادى الممسك للفرس
هبلت الا تدنو الى الثور

قانصا قول عدى بن يزيد تقتضلنا الخيل وتصطادك الطير ولا تنكع لهو القنيص
اى لا تمنع منه قال وقوله فانشب اظفاره فى النساء معناه فانشب الكلب اظفاره
فى نساء الثور فطعنه فقد امسك الكلب قال ويحال ان يكون امرء القيس اغرى
الثور بقتل كلبه لان امرء القيس يفخر بالصيد ويصف فى اكثر شعره انه مرزوق منه
مظفر فيه كقوله. اذا ما خرجنا قال ولدان اهلنا. تعالوا الى ان ياتنا الصيد نحطب
وكقوله. مطعم للصيد ليس اهله. غيره كسب على كبره. فحال على هذا ان يغرى
الثور بقتل كلبه. قال وتاويل الا تنتصر الا تدنوا من الثور والدليل على ان تنتصر
بمعنى تدنوا قول الراعى. وافزعن فى وادى جلاميد بعدما. على البيد ساقه
النقيصة المتناصر اى المتدانى وقال مضرس بن ربعى. وانك لا تعطى امرأ حظ غيره
ولا تملك الشق الذى الغيث ناصر اى دان منه ومعنى اللص الضروس اى بعض اسنانا
ملتصق ببعض وجنى الضلوع اى مشرف الضلوع عاليها ويروى حنى الضلوع
بالنون اى محنيها ويقال ان الضلوع اذا تقوست كان اوسع لجوفه واقوى له
ويروى خفى الضلوع اى ضلوعه خفية داخل فى جنبه ومعنى فظل يرنح
اى ظل الثور يرنح فى غيطل لما طعنه صاحب الفرس وقد يجوز ان يكون رنح
بظفر الكلب به ولانه انشب اظفاره فيه وكل ذلك محتمل ومما يحمل من ذلك ايضا
على وجوه مختلفة قول امرء القيس. فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها. لما نسجتها
من جنوب وشمال. قال قوم معناه لم يدرس رسمها لنسج هاتين الريحين
فقط بل درست لتتابع الرياح والامطار والدليل على هذا قوله فى البيت الاخر
فهل عند رسم دارس من معول وقال اخرون معنى لم يعف اى لم يدرس فالرسم على هذا
القول هو باق غير دارس ومعنى قوله فى البيت الاخر فهل عند رسم دارس
من معول اى فهل عند رسم سيدرس فى المستقبل وان كان الساعة موجودا
غير دارس وقال اخرون فى معنى قوله لم يعف رسمها مثل الوجه الثانى اى انه لم يدرس
اثرها لما نسجتها بل هى بواق ثوابت فنحن نحزن لها ونجزع عند رؤيتها ولو عفت

وامحت لاسترحنا ومثل هذا قول ابن احمر. الا ليت المنازل قد بلينا. فلا يبكين
ذا شجو حزينا. ومثل قول الاخر. ليت الديار التى تبقى لتحزننا. كانت تبين اذا ما اهلها بانوا.
وليس قوله فهل عند رسم دارس من معول نقضا لهذا انما هو كقولك درس
كتابك اى ذهب بعضه وبقى بعض وقال ابو بكر العبدى معناه لم يعف رسمها
من قلبى وهو دارس الموضع فلم يتناول قوله لم يعف رسمها ما تناوله قوله فهل
عند رسم دارس من جميع وجوهه فيتناقض الكلام وقال اخرون اراد بقوله
لم يعف رسمها لم يدرس ثم اكذب نفسه بقوله فهل عند رسم دارس من معول
كما قال زهير. قف بالديار التى لم يعفها القدم. بلى وغيرها الارواح والديم.
وكما قال الاخر. فلا تبعدن يا خير عمرو بن مالك. بلى ان من زار القبور ليبعدا.
اراد ليبعدن فابدل الالف من النون الخفيفة وهذا وجه ضعيف وبيت
زهير ليس يجب فيه ما توهم من المناقضة والتكذيب لانه يمكن ان يحمل
على ما ذكرناه فى احد الوجوه المتقدمة من انه اراد ان رسمها لم يعف ولم يبطل
كله وان كان قد غيرت الديم والارواح بعضه واثرت فى بعض فاما البيت الثانى
فلا حجة فيه لانه لم يتضمن اثباتا ونفيا وانما دعا له ان لا يبعد ثم رجع الى قوله
بلى انه ليبعد من زار القبور وما يدعى به واجب ولا ثابت فكيف ينافى الاثبات
الثانى ويمكن فى البيت وجه اخر وهو ان يكون معنى لم يعف رسمها اى لم يدرس
ويكثر فيظهر حتى يعرف المترسم ويتبينه المتامل بل هو خاف غير لايح ولا
ظاهر ثم قال من بعد فهل عند رسم دارس فلم يناقض الاول لانه قد اثبت
الدروس له فى كلا الموضعين ولا شبهة فى ان عفا من حروف الاضداد
التى تستعمل تارة فى الدروس واخرى فى الزيادة والكثرة قال الله تعالى حتى عفوا
اى كثروا ويقال قد عفى الشعر اذا كثر قال الشاعر. ولكنا نعض السيف منها.
باسوق عافيات اللحم كوم. اراد كثيرات اللحم ويقال قد عفى وبر البعير اذا زاد
ويقال اعفيت الشعر وعفوته اذا كثرته وزدت فيه وامر رسول الله صلى الله عليه

بان تحفى الشوارب وان تعفى اللحى اى توفر وهذا الوجه اشبه عندى مما تقدم

المجلس السادس والستون تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى يا اخت

هرون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا فاشارت اليه قالوا
كيف نكلم من كان فى المهد صبيا فقال من هرون الذى نسبت مريم الى
انها اخته ومعلوم انها لم تكن اختا لهرون اخى موسى عليهما السلام وما معنى من كان فى
المهد صبيا ولفظة كان تدل على ماض وعيسى عليه السلام فى حال قولهم ذلك
كان فى المهد الجواب قلنا هرون الذى نسبت اليه مريم قد قيل فيه اقوال
منها ان هرون المذكور فى الاية كان رجلا فاسقا مشهورا بالعهر والشر
وفساد الطريقة فلما انكروا ما جاءت به من الولد وظنوا بها ما هى عليه بريئة منه
من الشر نسبوها الى هذا الرجل تشبيها وتمثيلا وكان تقدير الكلام يا شبيهة هرون
فى فسقه وقبيح فعله وهذا القول يروى عن سعيد بن جبير ومنها ان هرون
هذا كان اخاها لابيها دون امها وقيل انه كان اخاها لابيها وامها وكان
رجلا معروفا بالصلاح وحسن الطريقة والعبادة والتأله وقيل انه لم يكن اخاها
على الحقيقة بل كان رجلا صالحا من قومها وانه لما مات شيع جنازته اربعون
الفا كلهم سمى هرون من بنى اسرائيل فلما انكروا ما ظهر من امرها قالوا يا اخت
هرون اى يا شبيهة فى الصلاح ما كان هذا معروفا منك ولا كان والدك ممن
يفعل القبيح ويتطرق عليه الريب وعلى قول من قال انه كان اخاها يكون
معنى قولهم انك من اهل بيت الصلاح والسداد لان اباك لم يكن امرأ سوء
ولا كانت امك بغيا وانت مع ذلك اخت هرون المعروف بالصلاح والعفة
فكيف اتيت بما لا يشبه نسبك ولا يعرف من مثلك ويقوى هذا القول
ما رواه المغيرة بن شعبة قال لما ارسلنى رسول الله صلى الله عليه وآله
الى اهل نجران قال لى اهلها اليس نبيكم يزعم ان هرون اخو موسى وقد علم
ما كان بين عيسى وموسى من السنين فلم ادر ما ارد حتى رجعت الى النبى صلى الله عليه وآله

فذكرت

فذكرت ذلك فقال فهلا قلت انهم كانوا يدعون بانبيائهم والصالحين من
قبلهم ومنها قوله تعالى يا اخت هرون يا من هى من نسل هرون اخى موسى كما
يقال للرجل يا اخا بنى تميم ويا اخا بنى فلان وذكر مقاتل بن سليمان فى قوله تعالى
يا اخت هرون قال روى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال هرون هذا الذى ذكره هو
هرون اخو موسى عليه السلام قال مقاتل وتأويل اخت هرون هذا الذى ذكره هو
هرون اخو موسى عليه السلام قال مقاتل تأويل يا اخت هرون يا من هى من نسل
هرون كما قال الله تعالى والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا
يعنى باخيهم انه من نسلهم وجنسهم وكل قول من هذه الاقوال قد اختاره
قوم من المفسرين فاما قوله تعالى من كان فى المهد صبيا فهو كلام مبنى
على الشرط والجزاء مقصود به اليهما والمعنى من يكون فى المهد صبيا فكيف
نكلمه ووضع فى ظاهر اللفظ الماضى موضع المستقبل لان الشارط لا يشرط الا فيما
يستقبل فيقول القائل ان زرتنى زرتك يريد ان تزرنى ازرك قال الله تعالى
ان شاء جعل لك خيرا من ذلك يعنى ان يشاء يجعل قال قطرب معنى كان
ههنا معنى صار فكان المعنى كيف نكلم من صار فى المهد صبيا ولينشد لذلك
قول زهير. اجزت اليه حرة رجبية. وقد كان لون الليل مثل الارندج
وقال غيره كان ههنا بمعنى خلق ووجد كما قال العرب كان الحر وكان البرد بمعنى وجدا
وحدثا وقال قوم لفظة كان وان اريد بها الماضى فقد يراد به الحال والاستقبال
كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس اى انتم كذلك وقوله عز وجل
هل كنت الا بشرا رسولا وقوله تعالى وكان الله عليما حكيما وان كان
قد قيل فى هذه الاية الاخيرة غير ذلك قيل ان القوم شاهدوا من آثار علمه تعالى
وحكمته ما شاهدوا فاخبرهم انه لم يزل حكيما عليما اى فلا تظنوا انه
استفاد علما وحكمة لم يكن عليها ومما يقوى مذهب من وضع لفظة
الماضى موضع الحال والاستقبال قوله تعالى واذ قال الله يا عيسى ابن مريم

وقوله تعالى وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ وقولهم في الدعاء غفر الله لك
واطال بقاك وماجرى مجرى ذلك ومعنى الكل يفعل الله ذلك بك الا انه لما أمن من
اللبس وضع لفظة الماضي في موضع المستقبل قال الشاعر. فادركت من قبلي قد كان
ولم ادع. لمن كان بعدي في القصايد مصعدا. اراد لمن يكون بعدي ومما جعلوا
فيه المستقبل في موضع الماضي قول الصلتان العبدي يرثي المغيرة بن المهلب
قل للقوافل والغزاة اذا غزوا. والباكرين وللمجد الرائح. ان الشجاعة والسماحة
ضمنا. قبرا بمرو على الطريق الواضح. فاذا مررت بقبره فاعقر به. كوم الجلاد
وكل طرف سابح. وانضح جوانب قبره بدمائها. فلقد يكون اخا دم وذبائح.
معناه فلقد كان كذلك تاويل اخبار سأل سائل فقال كيف يطابق ما روى
عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال لا عدوى ولا هامة ولا طيرة
وانه قيل له ان النقبة تقع بمشفر البعير فتجرب لذلك الابل فقال عليه السلم فما اعدى
الاول لما روى عنه عليه السلم من قوله لا يوردن ذو عاهة على مصح
وقوله فر من المجذوم فرارك من الاسد وان رجلا مجذوما اتاه ليبايعه بيعة
الاسلام فارسل اليه بالبيعة وامره بالانصراف ولم ياذن له عليه السلم
وروى عنه عليه السلم انه قال الشوم في المرأة والدار والدابة وظواهر
هذه الاخبار متناقضة متنافية فبينوا وجه الجمع بينها الجواب قلنا ان ابن قتيبة سأل نفسه
عن اختلاف هذه الاخبار واجاب عن ذلك بما نذكره على وجهه ونذكر ما عندنا
فيه فانه خلط واتى بما ليس بمرضي قال ان لكل من هذه الاخبار معنى وموضعا
فاذا وضع موضعه زال الاختلاف قال والعدوى جنسان احدهما عدوى
الجذام فان المجذوم تشتد رايحته حتى يسقم في الحال مجالسيه ومواكليه وكذلك
المراة تكون تحت المجذوم فتضاجعه في ازار واحد فيوصل اليها الاذى وربما
جذمت وكذلك ولده ينزعون في الكبر اليه وكذلك من كان به سل ودق
والاطبا تامر بان لا يجالس المسلول والمجذوم ولا يريدون بذلك معنى العدوى

وانما يريدون بذلك تغير الرايحة وانها يسقم من اطال اشتمامها والاطبا ابعد
الناس من الايمان بيمن او شوم وكذلك النقبة تكون بالبعير وهو جرب رطب
فاذا خالط الابل وحاكها او وصل اليها بالماء الذي يسيل منه نحو ما نالها به
فهذا هو المعنى الذي قال فيه رسول الله ص لا يوردن ذو عاهة على مصح قال
وذهب قوم الى انه اراد بذلك ان لا يظن الذي نال ابله من ذوات العاهة
فيأثم قال وليس لهذا عندي وجه لانا نجد الذي خبرتك به عيانا قال واما الجنس الآخر
من العدوى فهو الطاعون ينزل ببلد فيخرج منه خوفا من الطاعون وحكى
عن الاصمعي عن بعض البصريين انه هرب من الطاعون فركب حمارا ومضى
باهله نحو سفوان فسمع حاديا يحدو خلفه وهو يقول لن يسبق الله على حمار
ولا على ذي ميعة مطار. او ياتي الحتف على مقدار. قد يصبح الله امام الساري
وقد قال رسول الله ص اذا كان بالبلد الذي انتم فيه الطاعون فلا تخرجوا منه وقال ايضا
اذا كان ببلد فلا تدخلوه يريد بقوله اذا كان ببلد فلا تدخلوه ان مقامكم بالبلد
الذي لا طاعون فيه اسكن لانفسكم واطيب لعيشكم قال ومن ذلك تعرف المراة
بالشوم والدار فينال الرجل مكروه او جايحة فيقال اعدتني بشومها فقال وهذا هو
العدوى الذي قال النبي ص لا عدوى فاما الحديث الذي روى ابو هريرة عن النبي ص
انه قال الشوم في المراة والدار والدابة فان هذا يتوهم فيه الغلط على ابي هريرة
وانه سمع فيه شيئا من الرسول ص فلم يعه وروى ابن قتيبة خبرا رفعه الى ابي حسان الاعرج
الاعرج ان رجلين دخلا على عايشة فقالا ان ابا هريرة يحدث عن النبي ص انه
قال انما الطيرة في المرأة والدار والدابة فطارت شقا ثم قالت كذب والذي
انزل الفرقان على ابي القاسم من حدث هذا عن رسول الله ص وانما قال رسول الله ص
كان اهل الجاهلية يقولون الطيرة في المرأة والدار والدابة ثم قرأت مَا أَصَابَ
مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا وروى
خبر ابن رفعه الى انس بن مالك قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله

لا تخرجوا من البلد اذا كان فيه كانكم تظنون
ان الفرار من قدر الله تعالى ينجيكم ويريد بقوله ع

انا نزلنا دارًا فكثر فيها عددنا وكثرت فيها اموالنا ثم تحولنا منها الى اخرى فقلت
فيها اموالنا وقل عددنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذروها وهي ذميمة قال ابن قتيبة
ليس هذا ينقض الحديث الاول وانما امرهم بالتحول منها لانهم كانوا مقيمين
فيها على استثقال ظلها واستيحاش لما نالهم فيها فامرهم بالتحول وقد جعل الله
في غرائز الناس وتركيبهم استثقال ما نالهم السوء فيه وان كان لا سبب له
في ذلك وحب من جرى على يده الخير لهم وان لم يردهم به وبغض من جرى على
يده الشر لهم وان لم يردهم به قال المرتضى رضي الله عنه ما وجدنا ابن قتيبة
عمل شيئا اكثر من انه لما اعجزه تاويل الاخبار التي سال نفسه عنها والمطابقة
بينها وبين قوله عليه السلام لا عدوى ولا طيرة ادعى الخصوص فيما ظاهره العموم
وخص العدوى بشيء دون آخر وكلاهما سواء واورد تاويلا يدفع نص
قول النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن النقبة تقع بمشفر البعير فتجرب لذلك الابل
قال فما اعدى الاول تكذيبا بعدوى هذه النقبة وتاثيرها فاطرح ابن قتيبة
ذلك وزعم ان الجرب يعدي ويؤثر في المخالط والمواكل وعول في ذلك
على قول الاطبا وترك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن طريف امره انه قال ان الاطبا
ينهون عن مجالسة المسلول والمجذوم ولا يريدون بذلك معنى العدوى
وانما يريدون تغير الرايحة وانها تسقم من اطال اشتمامها وهذا غلط منه
لان الاطبا انما تنهى عن ذلك خوفا من العدوى وسبب العدوى عندهم
هو اشتمام الرايحة وانفصال اجزا من السقيم الى الصحيح وليس اذا كان غير هذا
عدوى عند قوم ما يوجب الا يكون هذا ايضا من العدوى ولما حكى عن غيره
تاويلا صحيحا في قوله لا يوردن ذو عاهة على مصح ادعى ان العيان يدفعه
واي عيان معه ونحن نجد كثيرا من يخالط الجربى فلا يجرب ونجد بلاصحاحا
تخالط ذوات العاهات فلا يصيبها شيء من ادوائها وكان انما يدعي ان العيان
يدفع قول النبي صلى الله عليه وسلم فمن اعدى الاول والوجه عندنا في قوله عليه السلام لا يوردن

ذو عاهة

ذو عاهة على مصح انه عليه السلام انما نهى عن ذلك وان لم يكن موثرا على الحقيقة
لان فاعله كالمدخل الضرر على غيره لان من اعتقد ان ذلك يعدي ويؤثر
فاورد على ابله فلا بد من ان يلحقه لما تقدم من اعتقاده ضرر وغم ولا بد
من ان يذم من عامله بذلك فكانه عليه السلام نهى عن اذى الناس والتعرض لذمهم
وقد يجوز ايضا فيه ما حكاه ابن قتيبة عن غيره مما لم يرتضه من انهم متى ظنوا
ذلك اثموا فنهى عليه السلام عن التعرض لما يوثم ولو نقل ابن قتيبة ما قال عليه السلام
في الطاعون اذا كان ببلد فلا تدخلوه وامره لمن شكا اليه ما لحقه في الدار بالتحول
عنها الى مكان قد اضنا لانه حمل ذلك على ان تجنب البلد اسكن للنفس واطيب
للعيش وكذلك في الدار وهذا يمكن في قوله لا يوردن ذو عاهة على مصح بعينه
فاما قوله فر من المجذوم فرارك من الاسد فليس فيه ان ذلك لاجل العدوى
وقد يمكن ان يكون لاجل نتن ريحه واستقذاره ونفور النفس عنه ولان ذلك
ربما دعا الى تعييره والازرا عليه وامتناعه عليه السلام من ادخال المجذوم عليه
ليبايعه يجوز ان يكون الغرض فيه غير العدوى بل بعض الاسباب المانعة التي
ذكرنا بعضها واما حديث الطاعون فالقول فيه على ما قاله وقد كان سبيله
لما عول في عدوى الجذام والجرب على قول الاطبا ان يرجع ايضا الى قولهم
في الطاعون لانهم يقولون ان الطاعون الذي يعرض من تغير الاهوية
وما جرى مجراها يعدي كعدوى الجرب والجذام والعيان الذي ادعاه ليس هو
اكثر من وجوده من يجرب او يجذم بمخالطة من كان بهذه الصفة وهذا العيان
موجود في الطاعون فانا نرى عمومه لمن يسكن البلد الذي يكون فيه ويطرا
اليه فاما الخبر الذي يتضمن ان الشوم في المراة والدار والدابة فالذي ذكره المرتضى معناه يزيل
الشبهة به على انه لو لم يكن ههنا رواية في تاويله جاز ان يحمل على ان الذي
يتطير به المتطيرون ويدعون ان الشوم في هذه الاشيا بل على طريق الاخبار
بان الطيرة الثابتة انما هي فيها لقوة امرها عند اصحاب الطيرة وما ذكر بعد ذلك

فيه هو المراة والدار والدابة والشوم ولا يكون ذلك اثباتا للطيرة

فى الدار وانّ عليه السلام بانتقاله عنها ناوبل قريب وكان يجب ان يهتدى اليه فيما تقدم
وما التوفيق الا من عند الله تعالى **المجلس السابع والثلثون فى تاويل آية سائل سائل**
عن قوله تعالى فقال ما تاويل قوله تعالى ﴿وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء انه علىّ حكيم﴾
اوليس ظاهر هذا الكلام يقتضى جواز الحجاب عليه وانتم تمنعون من ذلك
الجواب قلنا ليس فى الاية اكثر من ذكر الحجاب وليس فيها انه حجاب له تعالى او لمحل
كلامه او لمن يكلمه اذا لم يكن فى الظاهر شىء من ذلك جاز صرف الحجاب الى غيره عز وجل
مما يجوز ان يكون محجوبا وقد يجوز ان يريد بقوله او من وراء حجاب انه يفعل كلاما
فى جسم محتجب عن المكلَّم غير معلوم على سبيل التفصيل فيسمع المخاطب الكلام
ولا يعرف محله الكلام على سبيل التفصيل فيقال على هذا هو مكلّم من وراء حجاب
وروى عن مجاهد فى قوله تعالى ﴿وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا﴾ قال هو
داود عليه السلام اوحى فى صدره فزبر الزبور او من وراء حجاب وهو موسى عليه السلام او يرسل
رسولا وهو جبرائيل وارسل الى محمد صلى الله عليه وآله فاما الجبائى فانه ذكر
ان المراد بالاية وما كان لبشر ان يكلمه الله الا مثل ما يكلم به عباده من الامر
بطاعته والنهى لهم عن معصيته وتنبيهه اياهم على ذلك من جهة الخاطر او المنام
وما اشبه ذلك على سبيل الوحى قال وانما سمى الله تعالى ذلك وحيا لانه خاطر
وتنبيه وليس هو كلام لهم على سبيل الافصاح كما يفصح الرجل منا لصاحبه اذا
خاطبه والوحى فى اللغة انما هو ما جرى مجرى الايماء والتنبيه على شىء من غير ان يفصح
به فهذا هو ما ذكره الله تعالى فى الاية قال وعنى بقوله او من وراء حجاب ان يحجب
ذلك الكلام عن جميع خلقه الا من يريد ان يكلمه به نحو كلامه تعالى لموسى عليه السلام
لانه حجب ذلك عن جميع الخلق الا عن موسى عليه السلام وحده فى كلامه اياه اولا
واما كلامه له فى المرة الثانية فانه انما سمع ذلك موسى عليه السلام والسبعين الذين
كانوا معه وحجب عن جميع الخلق سواهم فهذا هو معنى قوله او من وراء حجاب

لان الكلام هو الذى كان محجوبا عن الناس وقد يقال انه حجب عنهم موضع الكلام
الذى اقام الكلام فيه فلم يكونوا يدرون من اين يسمعونه لان الكلام عرض
لا يقوم الا فى جسم ولا يجوز ان يكون اراد بقوله او من وراء حجاب ان الله تعالى
كان من وراء حجاب يكلم عباده لان الحجاب لا يجوز الا على الاجسام المحدودة
قال وعنى بقوله او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء ارساله ملائكته بكتبه
وبكلامه الى انبيائه عليهم السلام ليبلغوا ذلك عنه على عباده على سبيل انزال القرآن
على محمد صلى الله عليه وآله وانزال ساير الكتب على انبيائه فهو ايضا ضرب من الكلام
الذى يكلم الله تعالى به عباده ويامرهم فيه بطاعته وينهاهم عن معصيته من غير
ان يكلمهم على سبيل ما كلم موسى عليه السلام وهذا الكلام هو خلاف الوحى الذى ذكره فى اول
الاية انه قد افصح لهم فى هذا الكلام بما امرهم به ونهاهم عنه والوحى الذى ذكره
فى اول هذه الاية انما هو تنبيه وخاطر وليس فيه افصاح وهذا ذكره ابو على ايضا
سديد والكلام يحتمل لما ذكره ويمكن فى الاية وجوه اخر وهو ان يكون المراد
بالحجاب البعد والخفى ونفى الظهور وقد تستعمل العرب لفظة الحجاب فيما
ذكرناه يقول احدهم لغيره اذا استبعد واستصعب طريقه بينى وبين
هذا الامر حجب وموانع وسواتر وما جرى مجرى ذلك فيكون معنى الاية انه تعالى
لا يكلم البشر الا وحيا بان يخطر فى قلوبهم او بان ينصب لهم ادلة تدلهم على ما يريده
او يكرهه منهم فيكون من حيث نصبها للدلالة على ذلك والارشاد اليه مخاطبا
او مكلما للعباد بما يدل عليه وجعل هذا الخطاب من وراء حجاب من حيث
لم يكن مسموعا كما يسمع الخاطر وقول الرسول ولا ظاهرا معلوما لكل من
ادركه كما ان اقوال الرسل المؤدين عنه تعالى من الملائكة بهذه الصفة فصار الحجاب
ههنا كناية عن الخفاء وعبارة عما تدل عليه الدلالة وليس لاحد ان يقول
ان الذى يدل عليه الاجسام من صفاته تعالى واحواله ومراده لا يقال انه تعالى
مكلم لنا به وذلك انه غير ممتنع على سبيل التجوز ان يقال فيما يدل عليه الدليل

الذي نصبه ليدل على مراده ويرشد اليه انه مكلم لنا ومخاطب به ولهذا
لايمتنع المسلمون ان يقولوا انه تعالى خاطبنا بما دلت عليه الدلالة العقلية
وامرنا بعبادته واجتناب ما كرهه منا وفعل ما اراده وهكذا يقولون فيمن فعل فعلا
يدل على امر من الامور قد خاطبنا فلان بما فعل من كذا وكذا وقال لنا وامرنا
وزجرنا وما اشبه ذلك من الالفاظ التي يجرونها على الكلام الحقيقي وهذا الاستعمال
اكثر واظهر من ان نورد امثلته ونظايره قال المرتضى رضي الله عنه ومن مستحسن ما قيل
في الذيب قول اسماء بن خارجة بن حصين الفزاري . وقد المّ بنا لنقربه . بادي
الشقا محارف الكسب . يدعو الغنى ان نال علقته . من مطعم غبا الى غب . وطوى ثميلته
والحقها . بالصلب بعد لدونة الصلب . يا ضل سعيك ما صنعت بما . جمعت من شب
الى دب . لو كنت ذا لب تعيش به . لفعلت فعل المرء ذي اللب . وجمعت صالح
ما اجترحت وما . جمعت من نهب الى نهب . واظنه شغبا تدل به . فلقد منيت
بغاية الشغب . او كان غيرمنا ماصل تعصى . بها مشحوذه ورکایب الرکب . فاعمد الى
اهل الوقير فما . يختال غير مقرمص الزرب . احسبتنا ممن تطيف به . فاخترتنا
للامن والخصب . وبغير معرفة ولا سبب . اني وشعبك ليس من شعبي
لما راى ان ليس نافعه . جد تهاون صادق الاذب . والح الحاحا بحاجته .
شكوى الضرير ومزجر الكلب . بادي التكلح يشتكي سغبا . وانا ابن قاتل شدة السغب
فرايت ان قد نلته باذى . من عذم مثلبة ومن سب . ورايت حقا ان اضيفه
اذ رام سلمي واتقى حربي . فوقفت معتاما ازاولها . بمهند ذي رونق عضب .
فعرضته في ساق اسمنها . فاجتاز بين الحاذ والكعب . فتركته لعياله جزرا .
عمدا وعلق رحلها صحبي . وذكر ذيبا طرقه ليلا وقوله محارف الكسب مثل ضرير
اي لا يبقى له نشب الا يكتسب شيء وقوله يدعو الغنى ان نال علقته اي ان وجد ما يتعلق
به من مطعم غبا اي بين يومين فذلك عنده الغنى والثميلة ما يبقى في البطن من طعام
او علف ومعنى طوى ثميلته ذهب بها اراد انه لم يبق في بطنه ما يمسكه واللدونة

اللين

اللين فاراد انه الحوبقية طعامه بصلبه بعد ان لان ما صلب منها ثم اقبل على
الذيب كالعاذل له فقال له ما صنعت بما جمعت من شب الى دب وهذان اسمان
للشباب والهرم لا يفردان ولا يلفظ بهما الا هكذا والمعنى فيهما مذ كنت شابا
حتى دببت على العصا ثم قال لو كنت ذا لب لجمعت ما تصيبه ومعنى اجترحت
اكتسبت ومعنى من نهب الى نهب اي من عدوتك على الغنم الى عدوتك الاخرى
ثم قال ان كان تعرضك لنا شغبا علينا فقد منيت بغاية الشغب اي هو
بنا زرك ويقابلك وليس ههنا ما تغير عليه وانما معنا مناصل اي سيوف مشحوذة
وركايبنا الذي نمتطيها فاعمد الى اهل الوقير والوقير القطيع من الغنم ولا يسمى
وقيرا الا اذا كان فيه حمار يقول فعليك بمواضع الغنم فانما يختشيك الراعي
وللقرمص الذي يتخذ القرموصة واصله المكان الضيق وهو ههنا حفرة يحفرها
الراعي في الرمل في شدة الحر للشاة الكريمة الصفية حتى اذا بركت كان ضرعها في
القرموصة ومعنى شعبك ليس من شعبي اي لست من جنسي ولا من شكلي
والاذب الخديعة عند الحاجة وشكوى الضرير الذي قد مسه الضر ومزجر الكلب
اي هو منا قريب المكان مزجر الكلب اذا اخسأته والسغب الجوع واراد بقوله
وانا ابن قاتل شدة السغب اي انا ابن من كان يقري ويطعم ثم رجع الى كرمه فقال
وانا رايت بعد ان سببته وعضضته بالاذى والعدم ان اضيفه واقريه لانه ضيف
وان كان ذيبا فوقفت انظر في ركابي واختار اسمنها والاعتيام الاختيار وازاولها
اي امسها والحاذان الفخذان حد الفخذين اللذان يليان الذنب وخبر ان رجل
المطية التي عقرها علقه بعض اصحابه على مطية اخرى وقال النجاشي يذكر ذيبا
وماء كلون الغسل قد عاد اجنا . قليل به الاصوات في بلد محل . وجدت عليه الذيب
يعوي كانه . خليع خلا من كل مال ومن اهل . فقلت له يا ذيب هل لك
من فتى . يواسي بلا من عليك ولا بخل . فقال هداك الله للرشد انما دعوت
دعوت لما لم ياته سبع قبلي . فلست بآتيه ولا استطيعه . ولا لي ناسقي ان كان

ذا فضل
ماؤك فاضل. فقلت عليك الحوض انى تركته. وفى صفوه فضل القلوص
من التجل. فطرب يستعوى ذيابا كثيرة. وعديت كل من هواه على شغل.
وروى ان الفرزدق نزل بالغريين نعواه باعلى ناره ذيب فابصره مقعيا فى
الفرزدق مسلوخة فرمى اليه بيد فاكلها فرمى اليه بما بقى فاكله فلما شبع ولى
عنه فقال. وليلة تمنا بالغريين ضافنا. على الزاد ممشوق الذراعين اطلس
تلمسنا حتى اتانا ولم يزل. لدن فطمته امه يتلمس. ولكن تنحى جنبة بعدما دنا
فكان كقاب القوس او هو انفس. فقاسمته نصفين بينى وبينه. بقية زادى
والركايب نعس. وكان ابن ليلى اذ قرى الذيب زاده. على طارق الظلما الايعبس
ولابن عنقا الفزارى واسمه قيس بن بجره بالضم الابيات المشهورة فى الذيب . واعوج من
آل الصريح كانه. بذى الشث سيد آب الليل جايع. يغى كسبه اطراف ليل كانه
وليس به ظلع من الخمص ظالع. فلما اتاه الرزق من كل وجهه. جنوب الملا وايئسته
منها المطامع. طوى نفسه طى الحرير كانه. حوى حية فى ربوة فهو هاجع.
فلما اصابت متنه الشمس حله. باعضل فى انيابه السم ناقع. وفك لحيين
فلما تعادبا. صاى ثم اقعى والبلاد بلاقع. وهم بامر ثم ازمع غيره. وان ضاق
رزق مرة فهو واسع. وعارض اطراف الصبا كانه. رجاع غدير هزه الريح رايع
ولاخر فى الذيب. فقلت تعلم اننى غير نايم. الى مستقل بالخيانة انيبا.
بعيد المطاف لايفيد على الغنا. ولا يأتلى ما اسطاع ان يتكسبا. معنى انيب
اى غليظ الناب لاانام اليه اى لااثق به ومن ذلك استنمت الى فلان اى
اطمأننت اليه ومعنى لايفيد على الغنى اى لا اطعمه وهو شبعان ولحميد بن ثور
فى الذيب وظل يراعى الجيش حتى تغيبت. حباش وحالت دونهن الاجارع.
اذا ما غدا يوما رايت غيابة. من الطير ينظرن الذى هو صانع. خفيف المعا
الامصير ابله. دم الجوف او سود من الحوض ناقع. هو البعل الدانى من الناس كالذى
له صحبة وهو العدو المنازع. ينام باحدى مقلتيه ويتقى. باخرى المنايا وهو يقظان

هاجع

هاجع. وصف ذيبا يتبع الجيش طمعا فى ان يتخلف رجل يثب عليه لانه من
بين الضباع لايرغب فى القتلى ولايكاد ياكل الا ما فرسه وحباش اسم هضبة
وقال بعضهم وليس بمعروف ان اسم حباش اسم من اسماء الشمس واخبر ان
الطير يتبعه ليصيب مما يقتل والمصير المعا والبعل الدهش المجلس الثامن والثمانون
فى تاويل اية تأويل مسئلة سائل عن قوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه
قال رب ارنى انظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه
فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق
قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين قال ما تنكرون ان تكون هذه
الاية دالة على جواز الرؤية عليه عز وجل لانها لولم تجز لم يجز ان يسالها موسى عليه السلم
كما لا يجوز ان يسال اتخاذ الولد والصاحبة ولو كانت ايضا الرؤية مستحيلة لم يعلقها
بامر يصح ان يقع وهو استقرار الجبل فاذا علمنا صحة استقرار الجبل فى موضعه
فيجب ان يكون الرؤية ايضا صحيحة وفى حكم ما علقت به قوله تعالى فلما تجلى
ربه للجبل يقتضى جواز الحجاب عليه لان التجلى والظهور لايكونان الا بعد
احتجاب واستتار الجواب قلنا اول ما نقوله انه ليس فى مثل هذا الشىء دلالة
فى ظاهر مسئلة الرؤية على جوازها ولاصحابنا عن هذه المسئلة اجوبة اولها
وهو الاولى والاقوى ان يكون موسى عليه السلم لم يسئل الرؤية لنفسه
وانما سالها لقومه فقد روى انهم طلبوا ذلك منه والتمسوا واجابهم بانه
لايجوز عليه تعالى فلم يقنعوا بجوابه وآثروا ان يرد الجواب من قبل ربه تعالى
فوعدهم بذلك وغلب فى ظنه ان الجواب اذا ورد من جهته عز وجل كان
احسم للشبهة وابلغ فى دفعها عنهم فاختار السبعين الذين حضروا الميقات
ليكون السؤال بمحضر منهم فيعرفوا ما يرد من الجواب فسئل واجيب بما يدل على
ان الرؤية لاتجوز عليه تعالى ويقوى هذا الجواب اشياء منها قوله تعالى يسئلك
اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سئلوا موسى اكبر

من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ومنها
قوله تعالى فلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة
وانتم تنظرون ومنها قوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت
اهلكتهم واياى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا لان اضافة ذلك الى السفهاء
تدل على انه كان بسببهم ومن اجلهم وانما سألوا ما لا يجوز عليه ومنها ذكر الجهر
فى الرؤية لانه لا يليق الا برؤية البصر دون العلم وهذا يقوى ان الطلب لم يكن للعلم
الضرورى على ما سنذكره فى الجواب الثانى ومنه قوله انظر اليك لانا اذا حملنا الاية
على طلب الرؤية لقومه امكن ان يحمل قوله انظر اليك على حقيقته واذا حملت الاية على
طلب العلم الضرورى احتيج الى حذف فى الكلام ويصير تقديره ارنى انظر الى الايات التى عندها
اعرفك ضرورة ويمكن فى هذا الوجه الاخير خاصة ان يقال اذا كان المذهب الصحيح عندكم
هو ان النظر فى الحقيقة غير الرؤية فكيف يكون قوله انظر اليك على حقيقته فى جواب من حمل
الاية على الرؤية لانه التمسوا الرؤية التى معها يكون النظر والتحديق الى الجهة
فسال على حسب ما التمسوا قيل لكم هذا ينقض فرقكم فى هذا الجواب بين سؤال
الرؤية وبين سؤال جميع ما يستحيل عليه من الصاحبة والولد وما يقتضى الجسمية
بان يقولوا الشك فى الرؤية التى لا يكون معها نظر ولا تقتضى التشبيه فان قلتم نحمل
ذكر النظر على ان المراد به نفس الرؤية على سبيل المجاز لانه من عادة العرب
ان يسموا الشيء باسم الطريق اليه وما قاربه وداناه قلنا فكانكم عدلتم عن مجاز الى مجاز
فلا قوة فى هذا الوجه والوجوه التى ذكرناها فى تقوية هذا الجواب المتقدم اولى
وليس لاحد ان يقول لو كان عليه السلام انما سال الرؤية لقومه لم يضف السؤال الى نفسه
فيقول ارنى انظر اليك ولا كان الجواب مختصا به وهو قوله تعالى لن ترانى وذلك
انه غير ممتنع وقوع الاضافة على هذا الوجه مع ان المسئلة كانت من اجل الغير اذا كان
هناك دلالة تؤمن من اللبس وتزيل الشبهة فلهذا يقول احدنا اذا شفع فى حاجة
غيره للمشفوع اليه قد اجبتك وشفعتك وما جرى مجرى ذلك وانما حسن هذا

من قبل م

لقومه فان قلتم لا يمتنع ان يكونوا

لا يمنع من صحة معرفة السمع والشك فى جميع ما ذكر يمنع من ذلك لان الشك الذى لا يمنع من معرفة السمع انما هو فى الرؤية م

اسئلك ان تفضل على كذا وتجيبنى الى كذا والحسن ان يقول المشفوع اليه م

لان السايل

لان للسايل فى المسئلة غرضا وان رجعت الى الغير فتحققه بها وتكلفه كتكلفه اذا
اختصه ولم يتعده فان قيل كيف يجوز منه عليه السلام مع علمه باستحالة الرؤية عليه تعالى
ان يسال فيها لقومه ولئن جاز ذلك ليجوزن ان يسئل لقومه سائر ما يستحيل عليه من كونه
جسما وما اشبهه متى شكوا فيه قلنا انما صح ما ذكرناه فى الرؤية ولم يصح فيما سئلت
عنه لان مع الشك فى جواز الرؤية التى لا تقتضى كونه جسما يمكن معرفة السمع
وانه تعالى حكيم صادق فى اخباره فيصح ان يعرفوا بالجواب الوارد من جهته تعالى
استحالة ما شكوا فى صحته وجوازه ومع الشك لا يصح معرفة السمع فلا يقع بجواب
انتفاع ولا علم وقد قال بعض من تكلم فى هذه الاية قد كان جائزا ان يسال موسى
لقومه ما يعلم استحالته وان كانت دلالة السمع لا تثبت قبل معرفته متى كان المعلوم
ان فى ذلك صلاحا للمكلفين فى الدين وان ورد الجواب يكون لطفا لهم فى النظر فى الادلة
واصابة الحق منها غير ان من اجاب بذلك شرط ان يبين النبى فى مسئلته علمه باستحالة
ما سأل عنه فان غرضه فى السؤال ورود الجواب ليكون لطفا والجواب الثانى
فى الاية بان يكون موسى عليه السلام انما سال ربه ان يعلمه نفسه ضرورة باظهار
بعض اعلام الاخرة التى تضطر الى المعرفة فتزول عنه الدواعى والشكوك والشبهات و
يستغنى عن الاستدلال فتخف المحنة عليه بذلك وانما كان قد عرف ذلك
قبل ان يراه والسؤل وان وقع بلفظ الرؤية فان الرؤية تفيد العلم كما تفيد الادراك
بالبصر وذلك اظهر من ان يدل عليه او يستشهد عليه فقال له عز وجل لن ترانى
اى لن تعلمنى على هذا الوجه الذى التمسته منى ثم اكد ذلك بان اظهر فى الجبل من اياته
وعجايبه ما دل به على ان اظهار ما تقع به المعرفة الضرورية فى الدنيا مع التكليف
ومنافاته لا يجوز وان الحكمة تمنع منه والوجه الاول اولى لما ذكرناه من الوجوه
لانه لا يخلوا موسى ع من ان يكون شاكا فى ان المعرفة الضرورية لا يصح حصولها
فى الدنيا او عالما بذلك فان كان شاكا فهذا مما لا يجوز على النبى لان الشك
فيما يرجع الى اصول الديانات وقواعد التكليف لا يجوز عليهم لا سيما وقد يجوز

وكونه جسما

كما سأل ابرهيم عليه السلام ربه ان يريه كيف يحيى الموتى
طلبا لتخفيف المحنة

ان يعلم الله ذلك على الحقيقة بعض امتهم فيزيد عليهم في المعرفة وهذا ابلغ في التنفير
عنهم من كل شي يمنع منه فيهم وان كان عالما فلا وجه لسواله الا ان يقال
انه سئل لقومه فيعود الى معنى الجواب الاول الجواب الثالث في اية ما حكى
عن بعض من تكلم في هذه الاية من اهل التوحيد وهو ان قال يجوز ان يكون
موسى عليه السلم في وقت مسئلته ذلك كان شاكا في جواز الرؤية على الله تعالى فسئل عن ذلك
ليعلم هل يجوز عليه او لا قال وليس شكه في ذلك بما يمنع من ان يعرف الله تعالى
بصفاته بل يجري مجرى شكه في جواز الرؤية على بعض ما لا يرى من الاعراض
في انه غير مخل بما يحتاج اليه في معرفته تعالى فلا يمتنع ان يكون غلط في ذلك ذنبا
صغيرا ويكون التوبة الواقعة منه لاجل ذلك وهذا الجواب يبعد من قبل
ان الشك في جواز الرؤية التي لا يقتضي تشبيها وان كان لا يمنع من معرفته تعالى
بصفاته لا يجوز على الانبياء عليهم السلم من حيث يجوز من بعض من بعثوا اليه ان يعرف
ذلك على حقيقته فيكون النبي شاكا فيه وغيره عارفا به مع رجوعه الى المعرفة
بالله تعالى وما يجوز علينا ... لا يجوز عليهم وهذا اقوى في التنفير وزايد على كل ما يجب ان يجنبه
الانبياء عليهم السلم فان قيل ففي اي شي كانت توبة موسى عليه السلم على الجوابين المتقدمين
قلنا اما من ذهب الى ان المسئلة كانت لقومه فانه يقول انما تاب لانه قدم
على ان سئل على لسان قومه ما لم يوذن له فيه وليس للانبياء عليهم السلم ذلك
لانه لا يومن ان يكون الصلاح في المنع منه فيكون ترك اجابتهم اليه منفرا عنهم
ومن ذهب الى انه سال المعرفة الضرورية يقول انه تاب من حيث سال
معرفة لا يقتضيها التكليف وعلى جميع الاحوال تكون التوبة من ذنب صغير لا يستحق
عليه العقاب ولا الذم والاولى ان يقال في توبته عليه السلم انه ليس في الاية ما يقتضي
ان يكون التوبة وقعت من المسئلة او من امر يرجع اليها وقد يجوز ان يكون ذلك
اما لذنب صغير تقدم تلك الحال وتقدم النبوة فلا يرجع التوبة الى المسئلة
وقد يجوز ان يكون ما اظهره من التوبة على سبيل الرجوع الى الله تعالى واظهار الانقطاع

اليه

ثابت الشك في ذلك

اليه والتقرب منه وان لم يكن هناك ذنب معروف وقد يجوز ان يكون الغرض
في ذلك مضافا الى ما قلناه لتعليمنا وتوقيفنا على ما نستعمله وندعو به عند
الشدايد ونزول الاهوال وتنبيه القوم المخطئين خاصة على التوبة مما
التمسوه من الرؤية المستحيلة عليه تعالى فان الانبياء وان لم يقع منهم القبيح
عندنا فقد يقع من غيرهم ويحتاج من وقع ذلك منه الى التوبة والاستقالة فاما
قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل فالتجلي هيهنا هو التعريف والاعلام والاظهار
لما يقتضي المعرفة كقولهم هذا كلام جلي اي واضح ظاهر وكقول الشاعر .
تجلى لنا بالمشرفية والقنا . وقد كان من وقع الاسنة نائيا . اراد ان تدبيره
دل عليه حتى علم انه المدبر له وان كان نائيا عن وقع الاسنة فاقام ما ظهر من دلالة تدبيره
عليه مقام مشاهدته وعبر عنه بانه تجلى منه وفي قوله للجبل وجهان احدهما
ان يكون لاهل الجبل ومن كان عند الجبل فحذف كما قال تعالى واسئل القرية وقوله
فما بكت عليهم السماء والارض وقد علمنا انه بما اظهره من الايات انه انما
دل من كان عند الجبل على ان رؤيته غير جايز والوجه الاخر ان يكون معنى للجبل
اي بالجبل فاقام اللام مقام الباء كما قال تعالى آمنتم له قبل ان اذن لكم اي به
وكما يقولون اخذتك بجرمك وبجرمك ولما كانت الاية الدالة على منع ما سالوه
عنه وانما حلت الجبل وظهرت فيه جاز ان يضاف التجلي اليه وقد استدل بهذه
الاية كثير من علماء الموحدين على انه تعالى لا يرى بالابصار من حيث نفى الروية
نفيا عاما بقوله لن تراني ثم اكد ذلك بان علق الروية باستقرار الجبل الذي
علمنا انه لم يستقر وهذه طريقة للعرب في تبعيد الشي لانهم يعلقونه بما
يعلم انه لا يكون كقولهم لا كلمتك ما اضاء الفجر وما طلعت الشمس وكقول الشاعر
اذا شاب الغراب اتيت اهلي . وصار القار كاللبن الحليب ومما يجري هذا المجرى
قوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وليس لاحد ان يقول
اذا علق الروية باستقرار الجبل وكان ذلك في مقدوره فيجب ان يكون

الرؤية المعلق به ايضا في مقدورة ولانه لو كان الغرض بذلك التبعيد لعلقه بامر
مستحيل كما علق دخولهم الجنة بامر مستحيل من ولوج الجمل في سم الخياط وذلك
ان تشبيه الشي بغيره لايجب ان يكون من جميع الوجوه ولما علق وقوع الرؤية
باستقرار الجبل وقد علم انه لا يستقر علم نفي الرؤية وما عدا ذلك من كون الرؤية
وما عدا ذلك من كون الرؤية مستحيلة وغير مقدورة واستقرار الجبل بخلافها
خارج عما هو الغرض في التشبيه على انه انما علق جواز الرؤية باستقرار الجبل
في تلك الحال التي جعله فيها دكا وذلك محال لما فيه من اجتماع الضدين فجرى مجرى
جواز الرؤية في الاستحالة وليس يجب في كل ما علق بغيره ان يجري مجراه في سائر
وجوهه حتى اذا كان احدهما مع انتفائه مستحيلا كان الاخر بمثابته لان تعلق
دخول الكفار الجنة لما علق بولوج الجمل في سم الخياط لم يكن مستحيلا بل معلوم   وولوج الجمل في سم الخياط
ان الاول في المقدور وان كان لا يحسن والثاني ليس في المقدور وهذه جملة كافية
في تاويل هذه الاية وبياننا فيها والحمد لله قال المرتضى رضي الله عنه واني لاستجيد
قول ابي العيص بن حزام بن عبد الله بن قتادة المازني. وكم من صاحب قد بان
رميت بفقده وهو الحبيب. فلم ابد الذي تحنو اضلوعي عليه وانني لا نا الكئيب
مخافة ان يراني مستكينا. عدو او يساء به قريب. فيشمت حاسد ويظن اني.
جزوع عند نائبة تنوب. فبعدك شدة الاعداء طرفا. الي ورابني دهر مريب.
معنى شدة الاعداء طرفا اي نظرت الي تحديدا وظهر الغضب في عيونها. وانكرت
الزمان وكل اهلي. وهرت لي لغيبتك الكليب. يقال كلب وكليب مثل عبد وعبيد.
وكنت تقطع الابصار دوني. وان وغرت من الغيظ القلوب. وتمنعني من الاعداء اني
وان رغموا لمخشي مهيب. فلم ار مثل يومك كان يوما. بدت فيه النجوم فما تغيب
وليل ما انام به طويل. كان للنجوم به رقيب. وما يك جائيا لا بد منه. اليك فرب
مجلبه الجلوب المجلس التاسع والستون تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى
وَاِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللّٰهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ

ببعضها

بِبَعْضِهَا كَذٰلِكَ يُحْيِي اللّٰهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ فقال كيف
ذكر هذا بعد ذكره البقرة لينكشف امر القاتل فكيف اخر ذكر البقرة التي هي السبب عن المسبب   والامر بذبحها وقد كان ينبغي ان يقدمه لانه انما امر بذبح البقرة
وبنى الكلام بناء يقتضي انه كان بعده ولم قال واذ قتلتم نفسا والروايات وردت
بان القاتل كان واحدا فكيف يجوز ان يخاطب الجماعة بالقتل والقاتل من بينها
واحد والى اي شي وقعت الاشارة بقوله كذلك يحيي الله الموتى الجواب قيل اما قوله
وَاِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فيه وجهان احدهما ان تكون هذه الاية وان تاخرت فهي مقدمة
في المعنى على الاية التي ذكرت فيها البقرة ويكون التاويل واذ قتلتم نفسا فادارأتم
فيها فسالتم موسى فقال لكم اِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ اَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً فاخر المقدم وقدم
المؤخر ومثل هذا في القران وكلام العرب كثير ومثله اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي اَنْزَلَ عَلَىٰ
عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا قال الشاعر. ان الفرزدق صخرة ملمومة
طالت فليس تنالها الاوعالا. اي طالت الاوعال فليس تنالها. ومثله طاف
الخيال واين منك لماما. فارجع لزورك بالسلام سلاما. اراد طاف الخيال
لماما واين هو منك والوجه الثاني ان يكون وجه تاخير قوله واذ قتلتم نفسا
انه علق بما هو متاخر في الحقيقة وواقع بعد ذبح البقرة وهو قوله تعالى فَقُلْنَا
اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذٰلِكَ يُحْيِي اللّٰهُ الْمَوْتَىٰ لان الامر بضرب المقتول ببعض البقرة
انما هو بعد الذبح فكانه قال فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ولانكم قتلتم
نفسا فادارأتم فيها امرناكم ان تضربوه ببعضها لينكشف امره فاما اخراج الخطاب
مخرج ما يتوجه الى الجميع مع ان القاتل واحد فعلى عادة العرب في خطاب الابناء
بخطاب الاباء والاجداد وخطاب العشيرة بما يكون من احدها فيقول لاحدهم
احدهم فعلت بنو تميم كذا وقتل بنو فلان فلانا وان كان الفاعل والقاتل واحدا
من بين الجماعة ومنه قراءة من قرأ يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون
بتقديم المفعولين على الفاعلين وهو اختيار الكسائي وابي العباس ثعلب
والمعنى فيقتل بعضهم ويقتلون وهو ابلغ في وصفهم وامدح لهم لانهم اذا قاتلوا

وقتلوا بعد ان قتل بعضهم كان ذلك ادل على شجاعتهم وقلة خوفهم وحسن
صبرهم وقد قيل انه كان القاتلان اثنين قتلا ابن عم لهما وان الخطاب جرى عليهما
بلفظ الجمع كما قال تعالى وكنا لحكمهم شاهدين يريد داود وسليمان عليهما السلام والوجه
الاول اولى واقوى لشهادة الاستعمال الظاهر له ولان اكثر اهل العلم على ان القاتل
كان واحدا ومعنى فادارأتم اى تدافعتم والقى بعضكم القتل على بعض يقال دارأت
فلانا اذا دفعته وداريته اذا لاينته ودريته اذا ختلته ويقال ادّارء القوم
اذا تدافعوا والهاء فى فادارأتم فيها تعود على النفس وقيل انها تعود على القتلة
اى اختلفتم فى القتلة لان قتلتم يدل على المصدر والقتلة من المصادر التى
تدل عليها الافعال ورجوع الهاء الى النفس اولى واشبه بالظاهر فاما
قوله تعالى كذلك يحيى الله الموتى فالاشارة وقعت به الى قيام المقتول
عند ضربه ببعض اعضاء البقرة لانه روى انه قام حيا واوداجه تشخب
دما فقال قتلنى فلان ونبه تعالى بهذا الكلام وبذكر هذه القصة على جواز ما انكره
مشركو قريش واستبعدوه من البعث وقيام الاموات لانهم قالوا ائذا
كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا فاخبرهم الله تعالى بان الذى
انكروه واستبعدوه هين عليه غير متعذر فى اتساع قدرته وكان مما ضرب
لهم من الامثال ونبههم عليه من الادلة ذكر المقتول الذى ضرب ببعض البقرة
فقام حيا واراد تعالى انى اذا كنت قد احييت هذا المقتول بعد خروجه عن الحيوة ويأس
قومه من عوده وانطوا خبر كيفية قتله عنهم ورددته حيا يخاطب باسم قاتله
فكذلك فاعلموا ان احياء جميع الاموات عند البعث لا يعجزنى ولا يتعذر
علىّ وهذا بيّن لمن تامله قال المرتضى رضى الله عنه ومن الشعر المشهور بالجودة
فى ذم الدنيا والتذكير بمصائبها ونوائبها قول نهشل بن حرى يرثى اخاه مالكا.
ذكرت اخى المعول بعد ياس . فهاج على ذكراه اشتياقى . فلا انسى اخى ما دمت حيا .
واخوانا له قربوا العتاق . يجرون الفضال الى الندامى . بروض الحزن من كنفى اباق

ويغلون السباء اذا انوه . بضم الخيل والشول الحقاق . اذا اتصلوا وقالوا يال عوف
وراحوا فى المحبرة الرقاق . اجابك كل اروع شمرى . رخى البال منطلق الخناق .
اناس صالحون نشأت فيهم . فاودوا بعد الف واتساق . مضوا لسبيلهم ولبثت عنهم .
ولكن لا اعالة من لحاق . فقد اغدوا بداجية ادانى . بها المتطلعات من الرواق
كذا الالف الذى ادلجن عنه . نحن ولا يتوق الى متاق . ارى الدنيا ونحن نعيب فيها .
مولية تهيا لانطلاق . اعاذل قد بقيت بقاء قيس . وما حى على الدنيا بباق
وقد طوفت فى افاق حتى . سممت النص بالقلص العتاق . هبطت السيلحين وذات عرق
واوردت المطى على حذاق . كان الشيب والاحداث تجرى . الى نفس الفتى
فرسا سباق . فاما الشيب يدركه واما . يلاقى حتفه فيما يلاقى . فان تك لمتى بالشيب امست
شميط اللون واضحة المشاق . الداجية اللمة السوداء وانى افاعل غرا لمن نساه
الى كاهن ظباء قفر . برهبى اوبنا عجى فناق . برامض الجبال لغير وصل .
وليس حبال صلى بالرماق . وعهد الغانيات كعهد قين . ونت عنه الجعايل مستذاق
القين الحداد والجعايل جمع جعالة وهى اجرته واراد ان القين اذا عدم الجعالة
رحل ولم يستقر فى مكان . كجلب السؤ يعجب من رآه . ولا يشفى الحوايم من لماق .
الجلب الغيم الذى لا مطر معه والحوايم العطاش ولماق شيئ قليل . فلا يبعد مصابى
فى الموالى . واشراق الملاءة وانصلاق . وعزاء القتام جلوت عنى . بمجلى
الطرف سالمة المساق . وكم قاسيت من سنة جماد . تعض اللحم ما دون العراق
اذا افنيتها بدلت اخرى . اعد شهورها عد الاواق . فافنتنى الشهور وليس تفنى
وتعداد الاهلة والمحاق . وما سبق الحوادث ليث غاب . يجر لعرسه جزر الرفاق
ولا بطل تفادى الخيل منه . فرار الطير من برد بعاق . واحسن ما قيل فى هذا المعنى
لعدى فى قوله . يا كعب ما راح من قوم ولا ابتكروا . الا وللموت فى اثارهم حادى
يا كعب ما طلعت شمس ولا غربت . الا تقرب اجالا لميعاد . ولابى العتاهية
فى هذا المعنى . اذا انقطعت عنى من العيش مدتى . فان بكاء الباكيات قليل

سيعرض عن ذكرى وتنسى الموثق . ويحدث بعدى للخليل خليل . اجلك قوم
حين صرت الى الغنى . وكل غنى فى العيون جليل . وليس الغنى الا غنى زين الفتى
عشية يقرى او غداة ينيل . ولم يفتقر يوما وان كان معدما . جواد ولم يستغن قط
بخيل . اذا مالت الدنيا الى المرء رغبت . اليه ومال الناس حيث يميل .
ارى علل الدنيا على كثيرة . فصاحبها حتى الممات عليل . وانى وان اصبحت بالموت موقنا .
فلى امل دون اليقين طويل . وقد احسن البحترى فى قوله فى هذا المعنى . اخى متى خاصمت
نفسك فاحشد لها . ومتى حدثت نفسك فاصدق . ارى علل الاشياء شتى ولا ارى
التجمع الا علة للتفرق . ارى العيش ظلا يوشك الشمس نقله . فكن فى ابتغاء العيش كيسا ارفق [قوله ارفق اى ارمق]
ارى الدهر غولا للنفوس وانما . يقى الله فى بعض المواطن من يقى . فلا تتبع الماضى
سؤالك لم مضى . وعرج على الباقى فسائله لم بقى . ولم ار كالدنيا حليلة صاحب
محب متى يحسن بعينيه تعلق . تراها عيانا وهى صنعة واحد . فتحسبها صنعى لطيف
واخرق . وقد قيل ان السبب فى خروج البحترى من بغداد فى اخر ايامه كان هذه
الابيات لان بعض اعدائه شنع عليه بانه ثنوى من حيث قال فتحسبها صنعى
لطيف واخرق وكانت العامة حينئذ غالبة على البلد فخاف على نفسه وقال لابنه
ابى الغوث قم يا بنى حتى نطفى عنا هذه النائرة بخرجة نلم فيها ببلدنا ونعود فخرج
ولم يعد واحسن ايضا غاية الاحسان فى قوله . اعاتب الخطوب فاما حين ادنى
فيما اسير واحكم تاديبى . وان تلتمس تمر اخلاف الخطوب وان . تلبث مع الدهر تسمع
بالاعاجيب . وفى قوله . متى تستزد فضلا من العمر تغترف . بسجليك من شهد الخطوب
وصابها . تشذ بنا الدنيا باخفض سعيها . وتغول الافاعى بلة من لعابها .
يسر بعمران الديار مضلل . وعمرانها مستانف من خرابها . ولم ارتض الدنيا اوان
مجيئها . فكيف ارتضى فيها اوان ذهابها . اقول لمكذوب عن الدهر زاغ عن
تخير آراء الحجا وانتخابها . سيرديك او يثويك انك مخلس . الى شقة يا ميك بعد مآبها
وهل انت فى مرسومة طال اخذها . من الارض الا حفنة من ترابها . ووجد الاذى

يروى هذا البيت انك محبس بالباء وتفسير ذلك [ان المعنى انك] موقوف الى ان تصير الى هذا
من قولك احبست فرسا فى سبيل الله واحبست دارا اى وقفتها والرواية المشهورة
انك محلس باللام والمعنى انك متهيئ للرحيل متخذ حلسا والحلس هو الكساء الذى
يوضع تحت الرحل وهذا اشبه بالمعنى الذى قصده البحترى واولى بان يختاره مع
رقة طبعه وسلاسة لفظه المجلس التسعون تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى
هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما
تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا
صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما
فتعالى الله عما يشركون فقال اليس ظاهر هذه الآية يقتضى جواز الشرك على
الانبياء لانه لم يتقدم الا ذكر آدم وحوى عليهما السلام فيجب ان يكون قوله
جعلا له شركاء فيما آتاهما يرجع اليهما الجواب قلنا كما ان ذكر آدم وحوى [عليهما السلام قد تقدم]
فقد تقدم ذكر غيرهما فى قوله تعالى هو الذى خلقكم ومعلوم ان المراد بذلك
جميع ولد آدم وقد تقدم ايضا فى قوله ذكر ولد آدم فى قوله فلما آتاهما صالحا
والمعنى فلما آتاهما ولدا صالحا والمراد بهذا الجنس دون الواحد وان كان اللفظ
لفظ واحد والمعنى فلما آتاهما جنسا من الاولاد الصالحين واذا كان الامر
على ما ذكرناه جاز ان يرجع قوله جعلا له شركاء الى ولدهما وقد تقدم ذكرهم
فان قيل انما وجب رده الى آدم وحوى لاجل التثنية فى الكلام ولم يتقدم
ذكر اثنين الا ذكرهما قلنا ان جعل هذا ترجيحا فى رجوعه اليهما جاز ايضا
ان نجعل قوله فى آخر الآية فتعالى الله عما يشركون وجها مقويا لرجوع الكلام الى
جملة الاولاد ويجوز ان يكون اشير فى التثنية الى الذكور والاناث من ولد
آدم او الى جنسين منهم فحسنت التثنية لذلك على انه اذا تقدم فى الكلام
امران ثم تلاهما حكم من الاحكام علم بالدليل استحالة تعلقه باحد الامرين
وجب رده الى الآخر واذا علمنا ان آدم عليه السلام لا يجوز عليه الشرك لم يجز عود

الكلام اليه فوجب عوده الى المذكورين من ولده وذكر ابو علي الجبائي في هذا
ما نحن نورده على وجهه قال انما عنى بها ان الله تعالى خلق بني آدم من نفس واحدة
لان الاضمار في قوله تعالى خلقكم انما عنى به بني ادم والنفس الواحدة التي خلقهم
منها هي ادم لانه خلق حوا من ادم ويقال انه خلقها من ضلع من اضلاعه فرجعوا
جميعا الى انهم خلقوا من ادم وبين ذلك بقوله تعالى وخلق منها زوجها
لانه عنى به انه خلق من هذه النفس زوجها وزوجها هو حوى وعنى بقوله
فلما تغشيها حملت حملا خفيفا انه حملها هو حبلها منه في ابتداء الحمل لانه
في ذلك الوقت خفيف عليها وعنى بقوله فمرت به ان مرورها بهذا الحمل و
تصرفها به كان عليها سهلا لخفته فلما كبر الولد في بطنها ثقل ذلك عليها
فهو معنى قوله اثقلت وثقل عليها عند ذلك المشي والحركة وعنى بقوله
دعوا الله ربهما انهما دعوا عند كبر الولد في بطنها فقالا لئن اتيتنا يا رب نسلا
صالحا لنكونن من الشاكرين لنعمك علينا لانهما ارادا ان يكون لهما ولد يؤنسونهما
في الموضع الذي كانا فيه لانهما كانا فردين مستوحشين فكان اذا غاب احدهما
عن الاخر بقي الاخر مستوحشا بلا مونس فلما اتاهما نسلا صالحا معافا وهم
الاولاد الذين كانوا يولدون لهما لان حوى كانت تلد في كل بطن ذكر وانثى
فيقال انها ولدت خمسمائة بطن الف ولد وعنى بقوله فلما اتاهما صالحا جعلا له
شركاء فيما اتاهما اي ان هذا النسل الصالح الذين هم ذكر وانثى جعلا له شركاء
فيما اتيهما من نعمه واضافا تلك النعمه الى الذين اتخذوهم الهة مع الله عز وجل
من الاصنام والاوثان ولم يعن بقوله جعلا ادم وحوى عليهما السلام
لان ادم لا يجوز عليه الشرك بالله لانه نبي من انبيائه ولو جاز الشرك بالله
والكفر على الانبياء لما جاز ان نثق احدنا بما تؤديه الانبياء اليه من الله عز وجل لان
من جاز عليه الكفر جاز عليه الكذب لا يوخذ باخباره فصح بهذا ان الاضمار ومن جاز عليه الكذب
في قوله جعلا له انما يعني النسل وانما ذكر ذلك على سبيل التثنية لانهم كانوا ذكرا

انثى

انثى فلما كانوا صنفين جاز ان يجعل اخباره عنهما كالاخبار عن الاثنين اذا
كانا صنفين وقد دل على صحة تاويلنا هذا قوله تعالى في اخر الاية فتعالى الله
عما يشركون فبين ان الذين جعلوا لله شركاءهم جماعة فلذلك جعل اضمارهم
اضمار الجماعة فقال يشركون مضى كلام ابي علي وقد قيل في قوله فلما اتاهما
صالحا مضافا الى الوجه المتقدم الذي هو انه اراد بالصلاح الاستواء
في الخلقة والاعتدال في الاعضاء وجه اخر وهو انه لو كان اراد الصلاح في الدين
لكان الكلام ايضا مستقيما لان الصالح في الدين قد يجوز ان يكفر بعد صلاحه فيكون
في حال صالحا وفي الاخر مشركا وهذا لا ينافي وقد استشهد في جواز الانتقال
من خطاب الى غيره ومن كناية عن مذكور الى مذكور سواه ليصح ما قلناه من الانتقال
من الكناية عن ادم وحوى الى ولدهما بقوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله فانصرف عن مخاطبة الرسول عليه السلام
الى مخاطبة المرسل اليهم ثم قال وتعزروه وتوقروه يعني الرسول ثم قال
وتسبحوه وهو يعني مرسل الرسول فالكلام واحد متصل بعضه ببعض
والخطاب منتقل من واحد الى غيره وبقول الهذلي. يالهف نفسي كان جدة
خالد. وبياض وجهك للتراب الاعفر. ولم يقل بياض وجهه وقال كثير اسيئي بنا
او احسني لا ملومة. لدينا ولا مقلية ان تقلت. فخاطب ثم ترك الخطاب
وقال اخر. فدى لك ناقتي وجميع اهلي. ومالي انه منه اتاني. ولم يقل منك
اتاني قال المرتضى رضي الله عنه ووجدنا ابا مسلم محمد بن بحر يحمل هذه الاية على
ان الخطاب في جميعها غير متعلق بادم وحوى ويجعل الهاء في تغشيها والكناية
في دعوا الله ربهما وانيهما صالحا راجعين الى من اشرك ولم يتعلق بادم
وحوى من الخطاب الا قوله خلقكم من نفس واحدة لان الاشارة في قوله
خلقكم من نفس واحدة الى الخلق عامة وكذلك في قوله تعالى وجعل منها زوجها
ثم خص منها بعضهم كما قال تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم

في الفلك وجرين بهم بريح طيبة فخاطب الجماعة بالسير في البر والبحر حتى اذا كنتم
وجرين بهم بريح طيبة فخاطب الجماعة كذلك هذه الاية اخبرت عن جملة اهل
امر البشر وانهم مخلوقون من نفس واحدة وخلق منها زوجها وهما ادم وحوى عليهما
ثم عاد الذكر الى الذي سال الله تعالى ما سأل فلما اعطاه اياه ادعى الشركاء
في عطيته قال وجايز ان يكون عنى بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة
وزوجها ويجوز ان يكون المعنى في قوله خلقكم من نفس واحدة خلق كل
واحد منكم من نفس واحدة وهذا قد يجي كثيرا في القران وفي كلام العرب
قال الله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء
فاجلدوهم ثمانين جلدة وقال عز وجل ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم
ازواجا لتسكنوا اليها فلكل نفس زوج وهو منها اي من جنسها فلما
تغشاها اي تغشى كل نفس زوجها حملت حملا خفيفا وهو ماء الفحل فمرت به
اي مارت به والمور التردد والمراد تردد هذا الماء في رحم هذه الحامل فلما
اثقلت اي ثقل حملها بمصير ذلك الماء لحما ودما وعظما دعوا الله ربهما اي الرجل
والمراة لما استبان حمل المرأة فقالا لئن اتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين
فلما اتيهما صالحا اي اعطاهما ما سالا من الولد الصالح نسبا ذلك الى شركاء معه
فتعالى الله عما يشركون وقال قوم معنى جعلا له شركاء اي طلبا من الله امثالا
للولد الصالح فشركا بين الطلبتين وتكون الهاء في قوله راجعة الى الصالح لا
الى الله تعالى ويجري مجرى قول القايل طلبت مني درهما فلما اعطيتك شركته
باخرى اي طلبت اخر مضافا اليها وعلى هذا الوجه لا يمتنع ان يكون قوله جعلا والخطاب
كله متوجها الى ادم وحوى عليهما السلم المجلس الحادي والسبعون وفي تاويل اية ان
سأل سائل عن قوله تعالى قل اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون
فقال اليس ظاهر هذا القول يقتضي انه خالق لاعمال العباد لان ما ههنا
بمعنى الذي فكانه قال خلقكم وخلق اعمالكم الجواب قلنا قد حمل اهل الحق هذه الاية

ثم خص راكب البحر بقوله

المشركين خصوصا اذ كان كل بني ادم مخلوقا من نفس واحدة

اي فاجلدوا كل واحد منهم ثمانين جلدة

على ان

على ان المراد بقوله وما تعملون اي ما تعملون فيه من الحجارة والخشب وغيرهما
مما كانوا يتخذونه اصناما ويعبدونها قالوا وغير منكر ان يريد بقوله تعالى
وما تعملون ذلك كما انه قد اراد ما ذكرناه بقوله اتعبدون ما تنحتون
لانه لم يرد انكم تعبدون نحتكم الذي هو فعلكم بل اراد ما تفعلون فيه النحت
كما قال تعالى في عصى موسى تلقف ما يافكون وتلقف ما يافكون وتلقف ما صنعوا
وانما اراد ان العصا تلقفت الحبال التي اظهروا سحرهم فيها وهي التي حلتها صنعتهم
وافكهم فقال ما صنعوا وما يافكون واراد ما صنعوا فيه وما يافكون فيه ومثله
قوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان وانما اراد المعمول فيه دون
العمل وهذا الاستعمال سايغ شايع لانهم يقولون هذا الباب عمل النجار وفي
الخلخال هذا من عمل الصايغ وان كانت الاجسام التي اشير اليها ليست عملا لهم
وانما عملوا فيها فحسن اجراء هذه العبارة فان قيل كل الذي ذكرتموه وان استعمل
فعلى وجه المجاز والاتساع لان العمل في الحقيقة لا يجري الا على فعل الفاعل
دون ما يفعل فيه وان استعير في بعض المواضع قلنا ليس نسلم لكم ان الاستعمال
الذي ذكرناه على سبيل المجاز بل نقول هو المفهوم الذي لا يستفاد سواه
لان القائل اذا قال هذا الثوب عمل فلان لم يفهم منه الا انه عمل فيه وما راينا
احدا قط يقول في الثوب بدلا من قوله هذا من عمل فلان هذا مما حل عمل فلان
فالاول اولى بان يكون حقيقة وليس ينكر ان يكون الاصل في الحقيقة ما ذكروه
ثم انتقل بعرف الاستعمال الى ما ذكرناه وصار اخص به ومما لا يستفاد من الكلام
سواه كما انتقلت الفاظ كثيرة على هذا الحد ولا اعتبار بالمفهوم من الالفاظ
الا ما استقر اليه استعمالها دون ما كانت عليه في الاصل فوجب ان يكون المفهوم
والظاهر من الاية ما ذكرناه على انا لو سلمنا ان ذلك مجاز وجب المصير اليه
من وجوه فيها ما يشهد به ظاهر الاية ويقتضيه ولا يسوغ في سواه وفيها ما تقتضيه
الادلة القاطعة الخارجة عن الاية فمن ذلك انه تعالى اخرج الكلام مخرج التوبيخ

لهم والتوبيخ لافعالهم والازراء على مذاهبهم فقال اتعبدون ما تنحتون والله
خلقكم وما تعملون ومتى لم يكن قوله وما تعملون المراد به تعملون فيه ليصير
تقدير الكلام اتعبدون الاصنام التي تنحتونها والله خلقكم وخلق هذه الاصنام
التي تفعلون فيها التخطيط والتصوير لم يكن للكلام معنى ولا مدخل في باب التوبيخ
ويصير على ما يذكره المخالف كانه قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وخلق عبادتكم
فاي وجه للتقريع وهذا الى ان يكون عذرا اقرب من ان يكون لوما وتوبيخا
واذا خلق عبادتهم للاصنام فاي وجه للومهم عليها وتقريعهم على ان
قوله عز وجل والله خلقكم وما تعملون بعد قوله اتعبدون ما تنحتون انما خرج
مخرج التعليل للمنع من عبادة غيره فلا بد من ان يكون متعلقا بما تقدم من قوله
اتعبدون ما تنحتون ومؤثرا في المنع من عبادة غير الله فلو افاد لما تقدم من قوله تعالى
ما تعملون نفس العمل الذي هو النحت دون المعمول فيه لكان لا فائدة في الكلام لان
القوم لم يكونوا يعبدون النحت وانما كانوا يعبدون محل النحت ولانه كان
لا حظ في الكلام للمنع من عبادة الاصنام وكذلك ان حمل قوله ما تعملون على اعمال
اخر ليست نحتهم ولا هي ما عملوا فيه لكان اظهر في باب اللغو والعبث والبعد عن التعلق
بما تقدم فلم يبق الا انه اراد انه خلقكم وما تعملون فيه النحت فكيف تعبدون مخلوقا
مثلكم فان قيل لم زعمتم انه لو كان الامر على ما ذكرناه لم يكن للقول الثاني حظ
في باب المنع من عبادة الاصنام وما تنكرون ان يكون لما ذكرناه وجه في المنع
من ذلك فان كان كما ذكرتموه ايضا لو اريد لكان وجها وهو ان من خلقنا وخلق
الافعال فينا لا يكون الا الاله القديم الذي تحق له العبادة وغير القديم تعالى
كما يستحيل ان يخلقنا يستحيل ان يخلق فينا الافعال على الوجه الذي يخلقها القديم عليه
فصار لما ذكرناه تاثير قلنا معلوم ان الثاني اذا كان كالتعليل للاول والمؤثر في المنع
من العبادة فلا بد ان يتضمن انكم مخلوقون وما تعبدونه اولى من ان ينصرف الى ما
ذكرتموه مما لا يقتضي اكثر من خلقهم دون خلق ما عبدوه وانه لا شيء ادل على المنع

من عبادة

من عبادة الاصنام من كونها مخلوقة كما ان عابدها مخلوق ويشهد بما ذكرناه
قوله تعالى في موضع اخر أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ
لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ فاحتج تعالى عليهم في المنع من عبادة
الالهة دونه بانها مخلوقة لا تخلق شيئا ولا تدفع عن انفسها ضررا ولا عنهم
وهذا واضح على انهم لو ساوى ما ذكروه ما ذكرناه في التعلق بالاول لم يسغ حمله
على ما ادعوه لان فيه عذرا لهم في الفعل الذي عنفوا به وفرعوا من اجله
وقبيح ان يوبخهم بما يعذرهم ويذمهم بما نزههم على ما تقدم على انا لا نسلم ان
من يفعل افعال العباد ويخلقها يستحق العبادة لان من جملة افعالهم القبائح ومن فعل القبائح
لا يكون الها ولا يستحق العبادة لم يخرج ما ذكروه من ان يكون مؤثرا في انفراده بالعبادة
على ان اضافته العمل اليهم بقوله تعملون يبطل تاويلهم هذه الاية لانه
لو كان خالقا له لم يكن عملا لهم لان العمل انما يكون عملا لمن يحدثه ويوجده
فكيف يكون عملا لهم والله خلقه وهذه مناقضة لهم فثبت بهذا ان الظاهر
شاهد لنا ايضا على ان قوله تعالى وما تعملون يقتضي الاستقبال وكل فعل
لم يوجد فهو معدوم ومحال ان يقول تعالى اني خالق للمعدوم فان قالوا اللفظ
وان كان للاستقبال فالمراد به الماضي فكانه قال والله خلقكم وما عملتم قلنا
هذا عدول منكم عن الظاهر الذي ادعيتم انكم متمسكون به وليس انتم
بان تعدلوا عنه باولى منا بل نحن احق لانا نعدل عنه لدلالة وانتم تعدلون
بغير حجة فان قالوا فانتم تعدلون عن هذا الظاهر بعينه على تاويلكم وتحملون
لفظ الاستقبال على لفظ الماضي قلنا لا نحتاج نحن في تاويلنا الى ذلك لانا
اذا حملنا قوله تعالى وما تعملون على الاصنام المعمول فيها ومعلوم على ان
الاصنام موجودة قبل عملهم فيها فجاز ان يقول تعالى اني خلقتها ولا يجوز
ان يقول اني خلقت ما سيقع من العمل في المستقبل على انه لو اراد بذلك اعمالهم
لا ما عملوا فيه على ما ادعوه لم يكن في الظاهر حجة على ما يريدون لان الخلق

هو التقدير والتدبير وليس يمتنع في اللغة ان يكون الخالق لفعل غيره اذا قدّره ودبّره الا ترى انهم يقولون خلقت الاديم وان لم يكن الاديم فعلا لمن يقال ذلك فيه ويكون معنى خلقه لافعال العباد انه مقدّر لها ومعرّف لنا مقاديرها ومراتبها وما به يستحق عليه من الجزاء وليس يمتنع ان يقال انه خالق للاعمال على هذا المعنى اذا ارتفع الايهام وفهم المراد وهذا كله ما يقتضيه الاية ولو لم يكن في الاية شي مما ذكرنا مما يوجب العدول عن حمل قوله وما تعملون على خلق نفس الاعمال لوجب ان نعدل بها عن ذلك ونحملها على ما ذكرناه للادلة العقلية الدالة على انه تعالى لا يجوز ان يكون خالقا لاعمالنا وان تصرّفنا يحدث بنا ولا فاعل له سوانا وكل هذا واضح بيّن. قال المرتضى

واني لاستحسن لبعض نساء بني اسد قولها. الم ترنا زمانا فظلتنا نكدّ البيار. فلما علا الماء اوطانه. وجفّ الثماد فصار تحارا. وضحت الى ربها في السماء روس العضاة تناجي السرارا. وفتحت الارض افواهها. عجيج الجمال وردن الجفار لبنا لذي عطن ليلة. على الياس اتانا بناو الحمارا. وقلنا اعيروا الندى حقه. وصبر الحفاظ وموتوا احرارا. فان الندى العسى مرّة. يرد الى اهله ما استعارا. فبينا نوطن احسانا. اضا لنا عارض فاستطارا. واقبل يزحف زحف الكسير سياق الرعاء البطاء العشارا. تغني وتضحك حافاته خلال الغمام وتبكي مرارا. كانا تضي لنا حرّة. تشد ازارا وتلقي ازارا. فلما خشينا بان لا نجاء وان لا يكون قرار فرارا. اشار له آمر فوقه. هلم فام الى ما اشارا. وانشد ابو هفان لو لادة المهزمية. لولا اتقاء الله قمت بمفخر. لا يبلغ الثقلان فيه مقامي. بابوّة في الجاهلية سادة. بذوا العلى امراء في الاسلام. جادوا فسادوا وامانعين اذاهم. لسناهم بذل لذي الاقوام. قد انجبوا في السود دين وانجبوا بنجابة الاخوال والاعمام. قوم اذا سكتوا تكلم مجدهم. عنهم فاخرس دونه كل كلام. وقالت امراة من بني سعد بن بكر. ايا اخوي الملزمي ملامة. اعيذكما

غبنا ماء ونا

بالله

بالله من مثل ما بيا. سالتكما بالله الا جعلتما. مكان الاذى واللوم ان تاويا ليا. ايا امتا صاحب الهلالي قاتلي. شطون النوى يحتل غرضا يمانيا. انتم كغصن البان جعد مرجّل. شغفت به لو كان شيأ مدانيا. فان لم اوسّد ساعدا بعد هجعة. غلاما هلاليا فشلّ بنانيا. ثكلت ابي ان كنت ذقت كريقه. لشي ولا ماء الغمامة غاديا. ولصاحبة الهلالية. الم كثير المرء ثم شمرت. بعجلة يطلبن برقا يمانيا. الا ليتنا والنفس تسكن للمنى. يمانون ان امسى الحبيب يمانيا. ولها. واني لاهوى القصد ثم يردني عن القصد ميلات الهوى فاميل. وما وجد مسجون بصنعاء موثق باقيه من حبس الامير كبول. وما ليل مولى مسلم بجريرة. له بعدما نام العيون عويل. باكثر مني لوعة يوم راعني فراق حبيب ما اليه سبيل

ولعمرة بنت العجلان اخت عمرو ذي الكلب بن العجلان الكاهلي ترثي اخاها عمرا وكان في بعض غاراته نائما فوثب عليه نمران فاكلاه فوجدت فهم سلاحه عليه فادعت قتله. سالت بعمرو اخي صحبه. فافظعني حين ردّ السوالا. فقالوا اتيح له نائما. اعز السباع عليك حالا. اتيح له نمرا اجبل فنالا. لعمرك منه منالا. فاقسمت يا عمرو لو نبهاك. اذا نبها منك امرا عضالا. اذا نبها ليث عريسة مفيتا مفيدا نفوسا ومالا. هزبرا فروسا لاعدائه. هصورا اذا لقي القرن صالا. هما مع تصرّف ريب المنون. من الارض ركنا بذيئا امالا. هما من حمّ له يومه. وقال اخوفهم بطلا وقالا. وقالوا اقتلناه في غارة. باية ما ان ورثنا النبالا. كانها نهزاه بهم وتكذبهم اي بعلامة ان ورثتم النبال. فهلا من قبل ريب المنون. فقد كان رجلا وكنتم رجالا. وقد علمت فهم يوم اللقا. بانهم للكانوا انفلالا. كانهم لم يحسوا به. فيخلوا النساء والحجالا. ولم ينزلوا بمحول السنين به فيكونوا عليه عيالا. وقد علم الضيف والمجتدون. اذا اغبر افق وهبت شمالا. وخلت عن اولادها المرضعات. ولم ترعين لمزن بلالا. بانك كنت الربيع المغيث لمن يعتريك وكنت الثمالا. وخرق تجاوزت مجهوله. بوجناء حرف تشكى الكلالا.

معنى تال الخطاء يقال رجل بايل الرأي

يقال رجُل ورجِل

فكنت النهار به شمسه . وكنت دجى الليل فيه الهلالا . وخيل لك فرسانها .
تولوا ولا يستقبلوا اقبالا . وكل قبيل وان لم تكن . اردتهم منك باتوا وبالا .
المجلس الثاني والثمانون في تأويل آية اعلم ان سائلا سأل عن قوله تعالى ولا ينفعكم
نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم
واليه ترجعون فقال او ليس ظاهر هذه الآية يقتضي ان نصح النبي عليه السلام لم ينفع
الكفار الذين اراد الله بهم الكفر والغواية وهذا بخلاف مذهبكم الجواب قلنا
ليس في ظاهر الآية ما يقتضي خلاف مذهبنا لانه تعالى لم يقل انه فعل الغواية
او ارادها وانما اخبرنا بان نصح النبي لا ينفع ان كان الله يريد غوايتهم
ووقوع الارادة لذلك او جواز وقوعها لا دلالة عليه في الظاهر على ان
الغواية ههنا الخيبة وحرمان الثواب ويشهد بصحة ما ذكرناه في هذه اللفظة
قول الشاعر فمن يلق خيرا يحمد الناس امره . ومن يغو لا يعدم على الغي لائما .
فكانه تعالى قال ان كان الله يريد ان يخيبكم ويعاقبكم بسوء عملكم وكفركم
ويحرمكم ثوابه فليس ينفعكم نصحي ما دمتم مقيمين على ما انتم عليه الا ان تقلعوا
وتتوبوا وقد سمى الله تعالى العقاب غيا فقال فسوف يلقون غيا وما قبل
هذه الآية يشهد لما ذكرناه وان القوم استعجلوا عقاب الله تعالى فقالوا
يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين
فقال انما ياتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي ان
اردت ان انصح لكم ان الآية فاخبر ان نصحه لا ينفع من يريد الله ان
ينزل به العذاب ولا يغني عنه شيئا وقال جعفر بن حرب ان الآية تتعلق
بانه كان في قوم نوح طائفة تقول بالجبر فنبههم الله تعالى بهذا القول على فساد
مذاهبهم وقال لهم على طريق الانكار عليهم والتعجب من قولهم ان كان
القول كما تقولون من ان الله تعالى يفعل فيهم الكفر والفساد فما ينفعكم نصحي
عند نزول العذاب وهذا كله واضح في زوال الشبهة في الآية وقال المرتضى رضي الله عنه

فلا تطلبوا مني نصحا فانتم على قولكم لا تنتفعون به
وهذا جيد وروي عن الحسن في هذه الآية وجه صالح
وهو انه قال المعنى فيها ان كان الله يريد ان يهلكم
فليس ينفعكم نصحي عند نزول العذاب بكم وان قبلتموه
وامنتم به لان من حكم الله تعالى ان لا يقبل الايمان عند
نزول العذاب

ومن مستحسن ما قيل في صفة المصلوب قول ابي تمام الطائي من قصيدة يمدح بها
المعتصم ويذكر قتل الافشين وصلبه وحرقه . ما زال سر الكفر بين ضلوعه
حتى اصطلى سر الزناد الواري . نارا يساور جسمه من حرها . لهب كما عصفرت شق
ازار . طارت لها شعل يهدم لفحها . اركانه هدما بغير غبار . فصلن منه كل مجمع
مفصل . وفعلن فاقرة بكل فقار . مشبوبة رفعت لاعظم مشرك . ما كان يرفع
ضوءها للساري . صلى لها حيا وكان وقودها . ميتا ويدخلها مع الكفار . وكذاك
اهل النار في الدنيا هم . يوم القيمة جل اهل النار . يا مشهدا صدرت بفرحته
امصارها القصوى بنو الامصار . رمقوا اعالي جذعه فكانما . رمقوا الهلال عشية
الافطار . واستنشقوا منه قتارا نشره . من عنبر ذفر ومسك داري . وتحدثوا
عن هلكه لحديث من . بالبدو عن متتابع الامطار . قد كان بواه الخليفة جانبا
من قلبه حرما على الاقدار . فسقاه ماء الخفض غير مصرد . وانامه في الامن غير غرار
ولقد شفا الاحشاء من برحائها . ان صار بابك جار مازيار . ثانيه في كبد السماء ولم يكن
لاثنين ثان اذ هما في الغار . وكانما انتبذا لكيما يطويا . عن ناطس خبرا من الاخبار
سود اللباس كانما نسجت لهم . ايدي السموم مدارعا من قار . بكروا واسروا
في متون ضوامر . قيدت لهم من مربط النجار . لا يبرحون ومن رآهم خالهم
ابدا على سفر من الاسفار . كادوا النبوة والهدى فتقطعت . اعناقهم في ذلك
المضمار . وله ايضا يذكر صلب بابك . لما قضى رمضان منه قضاءه . ثالت به
الايام في شوال . ما زال مغلول العزيمة سادرا . حتى غدا في القيد والاغلال
مستبسلا للباس طوقا من دم . لما استبان فظاظة الخلخال . اهدى لمتن الجذع
متنيه كذا . من عاف متن الاسمر العسال . لا كعب اسفل موضعا من كعبه
مع انه عن كل كعب عال . سام كان العز يجذب ضبعه . وسموه من ذلة
وسفال . متفرغ ابدا وليس بفارغ . من لا سبيل له الى الاشغال وقال
المرتضى رضي الله عنه ومن عجيب الامور ان ابا العباس احمد بن عبد الله بن عمار ينشد

هذه الابيات المفرط في الحسن في جملة مقابح ابي تمام وما خرج به عنه من غلط وسقط
ويقول في عقبها ولم يسمع بشعرٍ وصف فيه مصلوب ابلغ من هذا الوصف
وان كان عن مثل قول ابرهيم بن المهدي يصف بابك في قصيدة يمدح بها المعتصم
ازال يعنف بالنعما فنفرها . عن الغموط وواقية الارصيد . حتى علا جثة لا ينحط
بجثمانا . كما علا ابدا ما اورق العود . يا بقعة ضربت فيها علاوته . وعينه وذو
اغصانه الميد . بوركت ارضا واوطانا مباركة . ما عنك في الارض للتقديس تعريد
لم تقدر الارض جثة البلاد فلا . يبقى على الارض الا جلمود . لم يبك ابليس
الا حين ابصره . في زيه وهو فوق الفيل مصفود . كناقة ترتهي تحت زينتها .
وحلتها شقرتها للنحر محدود . ما كان احسن قول الناس يومئذ . ايوم بابك هذا
ام هو العيد . صيرت جثته جيد الباسقة . جرداء الراس منه ما له جيد
فان تكعب موج العاصفا به . على الطريق صليبا طرفه عود . كانه شلو كبش والهواء له
تنور شاوية والجذع مسفود . وهكذا ينبغي ان يطعن على ابيات ابي تمام من يحمد
هذه الابيات ويفرط في تقريظها وليت من جهل شيئا عدل عن الخوض فيه والكلام
عليه فكان ذلك اولى به وابيات ابي تمام في نهاية القوة وجودة المعاني والالفاظ
وسلامة السبك واطراد النسج وابيات ابن المهدي مضطربة الالفاظ مختلفة
النسج متفاوتة الكلام وما فيها شي يجوز ان يوضع عليه اليد الا قوله حتى علا
حيث لا ينحط مجتمعا . كما علا ابدا ما اورق العود . وبعده البيت الاخير
وان كان بارد الالفاظ وقد احسن مسلم بن الوليد في قوله . ما زال يعنف
بالنعما ويغمطها . حتى استقل بها عود على عود . نصبته حيث ترتاب
الرياح به . وتحسد الطير فيه اضبع البيد . وللبحتري في هذا المعنى من قصيدة
يمدح فيها ابا سعيد . لا دمنة بلوى خبت ولا طلل . يرد قولا على ذي لوعة
يسل . ان غردت معلنا في اي الرسوم فلم . تصب عليها فتغدي ادمع ذلل .
هل انت يوما معيري نظرة فترى . في رمل يبرين عيرا سيرها رمل . حث النوى

عجبا

بجداثمالها وطن . غير النوى وجمال ماله عقل . يقول فيها . تحمل البرد من اقصى
الثغور اليه . داني العراق بيراعاريها عجل . بسر من راء منكوسا تجاذبه .
ايدي الشمال فضول كلها فضل . سماله حايل الاسادني لمة . من المنايا فامسى وهو
امسى يرتحي نوالشمس جانبه . عن بابك وهو في الباقين تشتعل . تفاوتوا بين مرفوع
ومنخفض على مراتب ما قالوا وما فعلوا . رد الحجيج لحامهم بعد شملتها . سودا فعادوا
شبابا بعد ما اكتهلوا . خالي الذراعين والساقين لو قصدت . له المنية
لتمنى انها عطل . من تحت مطبق باب الشام في نفر . اسرى يودون ودا انهم قتلوا .
غابوا عن الارض انا غيبوهم . فيها فلا وصل الا الكتب والرسل . وله في هذا المعنى
ما زلت تقرع باب بابك بالقنا . وتزوره في غارة شعواء . حتى اخذت بنصل سيفك
عنوة . منه الذي اعيا على الاعداء . اخليت منه البذ وهي قراره . ونصبته علما
بسامراء . لم يبق فيه خوف باسك مطمعا . للطير في عود ولا ابداء . فتراه
مطرا على اعواده . مثل اطراد كواكب الجوزاء . مستشرفا للشمس منتصبا لها
في الحربيات الجذع كالحرباء . **المجلس الثالث وثلاثون تأويل آية ان سأل سائل عن قوله**
شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى
وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ فقال كيف اخبر الله تعالى بانه انزل
فيه القران وقد انزله في غيره من الشهور على ما جاءت به الرواية الظاهرة
يقتضي انه انزل الجميع فيه وما المعنى في قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه
وهل اراد الاقامة والحضور اللذين هما ضد الغيبة او اراد المشاهدة والادراك
الجواب قلنا اما قوله تعالى انزل فيه القران فقد قال قوم ان المراد به انه تعالى
انزل القران جملة واحدة الى السماء الدنيا في شهر رمضان ثم فرق انزاله بعد
ذلك على نبيه صلى الله عليه واله بحسب ما تدعو الحاجة اليه وقال اخرون
المراد بقوله انزل فيه القران انه انزل في فرضه وايجاب صومه على الخلق القران
فيكون فيه بمعنى في فرضه كما يقول القايل انزل الله في الزكوة كذا وكذا يريد

فى فرضها وانزل الله فى الخمر كذا وكذا يريد فى تحريمها وهذا الجواب انما متكلفه من شىء
وظن انه قد اعتصم بجوابه عنه وهو بعد ثابت على ما كان عليه لان قوله القران
اذا كان يقتضى ظاهره انزال جميع القران فيجب على هذا الجواب ان يكون قد انزل
فى فرض الصيام جميع القران ونحن نعلم ان قليلا من القران يتضمن ايجاب صوم
شهر رمضان وان اكثره خال من ذلك فان قيل المراد بذلك انه انزل فى فرضه
شيئا من القران فى شهر رمضان ولم يحتج الى ان يجعل لفظة فيه بمعنى فى فرضه
وايجابه قلنا والجواب الصحيح ان قوله تعالى القران فى هذا الموضع لا يفيد العموم ولا
الاستغراق وانما يفيد الجنس من غير معنى الاستغراق فكانه قال تعالى شهر رمضان
الذى انزل فيه هذا الجنس من الكلام فاى شىء نزل منه فى الشهر فقد طابق الظاهر
وليس لاحد ان يقول ان الالف واللام هيهنا لا يكونان الا للعموم والاستغراق
لانا لو سلمنا ان الالف واللام صيغة العموم والصورة المقتضية لاستغراق الجنس
لم يجب ان يكون هيهنا بهذه الصفة لان هذه اللفظة قد تستعمل فى مواضع كثيرة من الكلام ولا
يفاد بها اكثر من الاشارة الى الجنس والطبقة من غير استغراق وعموم حتى
يكون حمل الكلام المتكلم بها على خصوص او عموم كالناقض لغرضه او المنافى لمراده
الا ترى ان القايل اذا قال فلان ياكل اللحم ويشرب الخمر وضرب الامير اليوم
اللصوص وخاطب الجند لم يفهم من كلامه الا محض الجنس والطبقة من غير
معنى خصوص ولا عموم حتى لو قيل له فلان ياكل جميع اللحم او يشرب
جميع الخمر او بعضها لكان جوابه انى لم ارد عموما ولا خصوصا وانما اردت انه
ياكل هذا الجنس من الطعام ويشرب هذا الجنس من الشراب فمن فهم من كلامى العموم والخصوص فهو بعيد
من فهم مرادى وارى كثيرا من الناس يغلطون فى هذا الموضع فيظنون ان
الاشارة الى الجنس من غير ارادة العموم والاستغراق ليست مفهومة حتى
يحملوا قول من قال اردت الجنس فى كل موضع على العموم وهذا بعيد ممن يظنه
لانه كما ان العموم والخصوص مفهومان فى بعض المواضع بهذه الالفاظ فكذلك

وبعضا منه قيل فهلا اقتصر على هذا وحمل الكلام على انه تعالى انزل شيئا من القرآن

الاشارة

الاشارة الى الجنس والطبقة من غير ارادة عموم ولا خصوص مفهومة متميزة
وقد ذكرنا امثلة ذلك فاما قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه
فاكثر المفسرين حملوه على ان المراد بمن شهد من كان مقيما غير مسافر عنه
وابو على حمله على ان المراد به فمن ادرك الشهر وشاهده وبلغ اليه وهو متكامل
الشروط فليصمه ذهب فى معنى شهد الى الادراك والمشاهدة وقد طعن قوم على
تاويل ابى على وقالوا ليس يحتمل الكلام الا الوجه الاول وليس الامر على ما
ظنوه لان الكلام يحتمل الوجهين معا وان كان للقول الاول فيه ترجيح
ومزية على الثانى من حيث يحتاج فى الثانى من الاضمار الى اكثر مما يحتاج اليه فى الاول لان على القول الاول لا يحتاج الى اضمار الاقامة وارتفاع
السفر لان قوله فمن شهد يقتضى الاقامة وانما يحتاج الى الاضمار باقى الشروط
من الامكان والبلوغ وغير ذلك وفى القول الثانى يحتاج مع كل ما اضمرناه
فى القول الاول الى اضمار الاقامة ويكون التقدير فمن شاهد منكم الشهر وهو مقيم
مطيق بالغ الى ساير الشروط فمن هذا الوجه كان الاول اقوى وليس لاحد
ان يقول ان شهد بنفسه من غير محذوف لا يدل على اقامة وذلك ان الظاهر
من قولهم فى اللغة فلان شاهد اذا اطلق ولم يضف افادة الاقامة فى البلد
وهو عندهم ضد الغايب والمسافر وان كانوا ربما اضافوا فقالوا فلان شاهد
لكذا وشهد فلان كذا ولا يريدون هذا المعنى ففى اطلاق شهد دلالة على
الاقامة من غير تقدير محذوف وهذه جملة كافية بحمد الله قال المرتضى رضى الله عنه
وجدت ابا العباس بن عمار يعيب على ابى تمام قوله. لما استحر الوداع المحض وانصرمت
اواخر الصبر الا كاظما وجما. رايت احسن مرئى واقبحه مستجمعين لى التوديع والعنما
قال ابو العباس وهذا قد ذم مثله من شاعر متقدم وهو ان جمع بين كلمتين
احدهما لا تناسب الاخرى وهو قول الكميت. وقد رأينا بها حورا منعمة بيضا
تكامل فيها الدل والشنب فقيل اخطات وباعدت بقولك الدل والشنب الا قلت
كما قال ذو الرمة. بيضا فى شفتيها حوة لعس. وفى اللثات وفى انيابها شنب

شهد الى

الى الكثر مما يحتاج اليه فى الاول لان على القول الاول لا يحتاج الى اضمار

قال فقال الطائي مستجمعين لي التوديع والعنم فجعل المنظر القبيح للتوديع والتوديع
لا يستقبح وانما تستقبح عاقبته وهي الفراق وجعل المنظر الحسن الخضاب وشبهه
بالعنم ولم يذكر الانامل المخضبة وانما قول المجنون . ويبدي الحصى منها اذا قذفت به
من البرد اطراف البنان المخضب - قال وهذا هو الاصل استعاره الناس من بعد فقال
الشاعر . النشر مسك والوجوه دنا . نير واطراف الاكف عنم . واغرب ابو نواس
في قوله . تبكي فتذري الدر من نرجس . وتلطم الورد بعناب قال المرتضى رضي الله عنه

قال لم يحسن هذا البلح ان يستعير شيئا من محاسن المتقدمين

وهذا غلط من ابن عمار وسفه على ابي تمام لان الكميت جمع بين شيئين متباعدين
وهما الدل وهو الشكل والحلاوة وحسن الهيئة والشنب هو برد الاسنان وتطرق
عليه بذلك بعض العيب وابو تمام جمع بين شيئين غير متفرقين لان التوديع
انما اشار اليه باشارتاليه باصبعها من وداعه عند الفراق وشبه مع ذلك اصابعها
بالعنم والعنم نبت اغصانه غضة دقاق تشبه الاصابع وقيل ان العنم واحدته
عنمة وهي العضاية الصغيرة البيضا وهي اشبه شيء بالاصبع البيضاء الغضة وهذا حكاه
صاحب كتاب العين وقيل ان العنم نبت له نور احمر تشبه بالاصابع المخضوبة
فوجه حسن قوله التوديع والعنم ان التوديع كان بالاصبع التي تشبه العنم فجمع بينهما
لذلك ولا حاجة به الى ذكر الانامل المخضبة على ما ظن ابو العباس بل ذكر المشبه به
احسن وافصح من ان يقول التوديع والانامل التي تشبه العنم فاما قوله التوديع
لا يستقبح وانما تستقبح عاقبته فخطا ومطالبة للشاعر بما لا يطالب بمثله الشعراء
لان التوديع اذا كان منذرا بالفراق وبعد الدار وغيبة المحبوب فلا محالة انه
مكروه مستقبح وقوله تستقبح عاقبته صحيح الا ان ما يعقبه ويثمره لما كان
عند حضوره متيقنا مذكورا عاد الاستكراه والاستقباح اليه ونحن نعلم
ان الناس يتكرهون ويستقبحون تناول الاشياء الملذة من الاغذية وغيرها
اذا علموا ما في عواقبها من المكروه فان من قدم اليه طعام مسموم واعلم بذلك
يتكرهه ويستقبح تناوله لما يتوقعه من سوء عاقبته وان كان ملذا في الحال

ولم تزل الشعراء تذكر كراهتها للوداع وهربها منه لما يتصور فيه من الم
الفراق وغصص الاستيحاش وهذا معروف مشهور وقد قال ابو تمام
الالفة النخيب كم افتراق . اظل فكان داعية اجتماع . وليست فرحة الاوبات الا
لموقوف على ترح الوداع . فجعل للوداع ترحا يقابل روح الاياب وهذا
صحيح فاما قول جرير اتنسى ان تودعنا سليمى . بفرع بشامة سقي البشام . كانه
دعا للبشام وهو شجر بالسقيا لانها ودعته عنده فسر بتوديعها من يكن يكره
الفراق فاني اشتهيه لموضع التسليم ان فيه اعتناقة لوداع . وانتظار اعتناقة
لقدوم . فمن شان الشعراء ان يتصرفوا في المعاني بحسب اغراضهم وقصودهم فاذا ارادوا

وقول الشاعر

مدح شيء قصد الى احسن اوصافه فذكرها واشارها حتى كانه لا وصف له غير ذلك
الوصف الحسن واذا اراد ذمه قصد الى اقبح احواله فذكره حتى كانه لا شيء فيه
غير ذلك وكل مصيب بحسب قصده ولهذا ترى احدهم يقصد الى مدح الشيب
فيذكر ما فيه من وقار وخشوع وان العمر معه اطول وما اشبه ذلك ويقصد الى
ويقصد الى ذمه فيصف ما فيه من الادنا الى الاجل وانه اخر الالوان وابغضها
الى النسا وما اشبه ذلك وهذا سبيلهم في كل شيء وصفوه ولمدحهم موضع
ولذمهم موضع فمن ذم الوداع لما فيه من الانذار بالفراق وبعد الدار وقد ذهب
مذهبا صحيحا كما ان من مدحه لما فيه من القرب من المحبوب والسرور بالنظر اليه
وان كان يسيرا قد ذهب ايضا مذهبا صحيحا ومن غلط ابن عمار القبيح قوله بعد ان انشد
شعر المجنون قال وهذا هو الاصل ثم استعاره الناس من بعد فقال الشاعر
النشر مسك والوجوه دنا . نير واطراف الاكف عنم . وهذا البيت للمرقش الاكبر
وهو والمرقش الاصغر جميعا كانا على عهد مهلهل بن ربيعة وشهدا حرب بكر بن وائل
فكيف يكون قول المرقش الاكبر بعد قول المجنون لولا الغفلة المجلس الرابع
والسبعون في تاويل الاية سائل عن قوله تعالى وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ فقال كيف يكون ذلك والفرقان هو القران

ولم يؤت موسى القران . وانما اختص به محمد صلى الله عليه وآله اجمعين قلنا قد ذكر
في ذلك وجوه اولها ان يكون الفرقان بعض الكتاب المتقدم ذكره وهو التوراة
فلا يكون هيهنا اسما للفرقان المنزل على محمد صلى الله عليه وآله وتحسن نسقه على الكتاب لمخالفته
للفظه كما قال تعالى بين الحق والباطل والحلال والحرام ويستشهد على هذا الوجه
بقول طرفة . فما لي اراني وابن عمي مالكا . متى ادن منه ينا عني ويبعد . فنسق يبعد
على ينا وهو بعينه وحسن ذلك اختلاف اللفظين . وقال عدى بن زيد .
وقدمت الاديم لراهشيه . والفى قولها كذبا ومينا . والكذب المين وثانيها
ان يكون الكتاب عبارة عن التوراة والفرقان انفراق البحر الذي اوتيه موسى عليه السلم
وثالثها ان يراد بالفرقان الفرق بين الحلال والحرام او الفرق بين موسى واصحابه
المومنين وبين فرعون واصحابه الكافرين لان الله تعالى قد فرق بينهم في
امور كثيرة منها انه نجا هولاء واغرق اولئك ورابعها ان يكون الفرقان المراد به
القران المنزل على نبينا ويكون المعنى في ذلك واتينا موسى التورية
والتصديق والايمان بالفرقان الذي هو القران لان موسى عليه السلم
كان مومنا بمحمد صلى الله عليه وآله وبما جاء به ومبشرا ببعثته وساغ حذف القبول والايمان
والتصديق وما جرى مجراه واقامة الفرقان مقامه كما ساغ في قوله تعالى واسئل
القرية وهو يريد اهل القرية خامسها ان يكون المراد بالفرقان القران ويكون
تقدير الكلام واذ اتينا موسى الكتاب الذي هو التوراة واتينا محمدا الفرقان
فحذف ما حذف مما يقتضيه الكلام كما حذف الشاعر في قوله . تراه كان الله يجدع انفه
وعينيه ان مولاه كان له وفر . اراد ويفقأ عينيه لان الجدع لا يكون الا
بالعينين فاكتفى بيجدع من يفقأ وقال الآخر . تسمع للاحشاء منه لغطا . و
لليد بن خباة وبدا . اى وترى لليدين لان الجباة والبدد لا يسمعان وانما
يريان وقال الآخر . علفتها تبنا وماء باردا . حتى غدت همالة عيناها . اراد وسقيتها
ماء باردا لان العلف على سقيت وقال الآخر . يا ليت بعلك قد غدا .

متقلد

الكتاب والحكمة وان كانت الحكمة مما
يتضمنها الكتاب وكتب الله تعالى كلها
فرقان يفرق ح

متقلدا سيفا ورمحا . اراد وحاملا رمحا قال المرتضى رضي الله عنه وجدت
ابا بكر بن الانبارى يقول ان الاستشهاد بهذه الابيات على هذا الوجه لا يجوز
لان الابيات اكتفى فيها بذكر فعل عن ذكر غيره مثل والاية اكتفى فيها باسم دون اسم
والامر وان كان على ما قاله في الاسم والفعل فان موضع الاستشهاد صحيح لان
الاكتفاء في الابيات بفعل عن فعل انما احسن من حيث دل الكلام على المحذوف
والمضمر واقتضاؤه فحذف تعويلا على ان المراد مفهوم غير ملتبس ولا مشتبه
وهذا المعنى قايم في الاية وان كان المحذوف اسما لان اللبس قد زال والشبهة
قد امنت فالمراد بها فحسن الحذف لان الفرقان اذا كان اسما للقران وكان
من المعلوم ان القران انما انزل على نبينا محمد صلى الله عليه وآله دون موسى عليه السلام
استغنى عن ان يقال واتينا محمدا الفرقان كما استغنى الشاعر عن ان يقول ويفقأ عينيه
وترى لليدين جباة وبددا وما شاكل ذلك الا انه يمكن ان يقال فيما
استشهد به في جميع الابيات ما لا يمكن ان يقال مثله في الاية وهو ان يقال انه
لا محذوف فيها ولا تقدير لفعل مضمر بل الكلام في كل بيت منها محمول على
المعنى ومعطوف عليه لانه لما قال تراه كان الله يجدع انفه وكان معنى
الجدع هو الافساد للعضو والتشويه به عطف على المعنى فقال وعينيه فكانه
قال تراه كان الله يفسد انفه ويشوهه ثم قال وعينيه وكذلك لما كان السمع
للغط من الاحشاء عالما به عطف على المعنى فقال ولليدين جباة وبددا
اى اتعلم هذا وذاك معا وكذلك لما كان المتقلد للسيف حاملا له جاز
ان يعطف عليه الرمح المحمول وهذا اولى في الطعن على الاستشهاد بهذه الابيات
مما ذكره ابن الانبارى اخبرنا ابو الحسن على بن محمد الكاتب قال اخبرنا
محمد بن يحيى الصولي قال اخبرنا يحيى بن على بن يحيى المنجم قال اخبرنا احمد بن يحيى بن
جابر البلاذرى عن الهيثم بن عدى قال لما دخل خالد بن صفوان الاهتمي على هشام
بن عبد الملك وذلك بعد عزل خالد بن عبد الله القسرى قال فالفيته جالسا

في علفت مني غذيت عطف عليه الماء لانه مما
يغتذى به وكذلك الماكان

على كرسيه في بركة ماؤها الى الكعبين فدعا لي بكرسي فجلست عليه فقال
يا خالد رب خالد جلس مجلسك كان اوطأ بقلبي واحب الي منك فقلت يا امير
المؤمنين ان حلمك لا يضيق عنه فلو صفحت عن جرمه فقال يا خالد ان خالدا ادل
فامل واوجف فاعجف ولم يدع لراجع رجعا ولا لعودة موضعا ثم قال
الا اخبرك عنه يا ابن صفوان قلت نعم قال اما انه ما بدأني بسؤال حاجة مذ قدم
العراق حتى اكون انا الذي ابدأه بها قال خالد فقلت لذلك احرى ان ترجع له
فقال متمثلا. اذا انصرفت نفسي عن الشي لم تكد. اليه بوجه اخر الدهر تقبل.
ثم قال لي حاجتك يا ابن صفوان فقلت تزايدني في عطائي عشرة دنانير فاطرق
ثم قال ولم وفيم العبادة احدثتها فنعينك عليها او لبلاء حسن ابليته امير المؤمنين
ام لماذا يا ابن صفوان اذن تكثر السؤال فلا يحتمل ذلك بيت المال فقلت يا امير
المؤمنين وفقك الله وسددك انشد كما قال اخو خزاعة اذا المال لم توجب عليك
عطاءه. قرابة قربى او صديق توامقه. منعت وبعض المنع حزم وقوة. ولم
تتسلطك المال الا حقايقه. فلما جاء خالد البصرة قيل له ما الذي حملك على
تزيين الامساك قال احببت ان يمنع غيري فيكثر من يلومه قال المرتضى رضي الله عنه
وكان خالد مشهورا بالبلاغة وحسن العبارة وبالاسناد المتقدم عن المدايني قال
قال حفص بن معوية بن عمرو العلاي قلت لخالد يا ابا صفوان اني لاكره ان تموت
وانت من ايسر اهل البصرة فلا يبكيك الا الاماء فقال ابغني امراة فقلت صفها لي
اطلبها لك قال اريد بكرا كثيب او ثيبا كبكر لا ضرعا صغيرة ولا مستركبيرة
لم تقرا فتحنن ولم تفت فتجحن قد نشات في نعمة وادركتها خصاصة فادبها
الغنى واذلها الفقر حسبي من جمالها ان تكون فخمة من بعيد مليحة من قريب
وحسبي من حسبها ان تكون واسطة في قومها ترضى مني بالستر ان عشت اكرمتها
وان مت ورثتها لا ترفع راسها الى السماء بطرا ولا تضعه الى الارض سقوطا
فقلت يا ابا صفوان ان الناس في طلب هذه منذ زمان طويل فما يقدرون

فما يقدرون عليها وكان يقول ان المرؤة لو خف محملها وقلت مؤنتها لما تركها
اللئام فيها للكرام بيتة ليلة ولكن ثقل محملها وعظمت مؤنتها فاجتباها الكرام
وحاد عنها اللئام وكان خالد من اشح الناس وابخلهم كان اذا اخذ جايزة او غيرها
قال للدرهم اما والله لطال ما اغربت في البلاد وانجدت والله لاطيلن ضجعتك
ولاديمن صرعتك وسال رجل من بني تميم فاعطاه دانقا فقال انه لو اعطانا
كل رجل من بني تميم مثل ما اعطيتك لرحت ذا مال عظيم وساله رجل فاعطاه
درهما فاستقله فقال يا احمق اما علمت ان الدرهم عشر العشرة والعشرة عشر المائة
والمائة عشر الالف والالف عشر دية المسلم وكان يقول والله ما نطيب نفسي
بانفاق درهم الا درهما قرعت به باب الجنة او درهما اشتريت به موزا وقال
لان يكون لي ابن يحب الخمر احب الي من ان يكون لي ابن يحب اللحم لانه متى طلب لحما
وجده والخمر تعيبه احيانا وكان يقول من كان ماله كفافا فليس بغني ولا فقير
لان النايبة اذا نزلت اجحفت بكفافه ومن كان له مال دون الكفاف فهو فقير
ومن كان له مال فوق الكفاف فهو غني وكان يقول لان يكون لاحدكم جار ان
ينقب عليه بيته خيرا من ان يكون جار من التجار لا يناه ان يعطيه مالا ويكتب به
صكا الا فعل المجلس الحادي و السبعون في تاويل اية سائل عن قوله تعالى
قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين
بايات الله يجحدون فقال كيف يخبر عنهم بانهم لا يكذبونه ومعلوم
منهم اظهار التكذيب والعدول عن الاستجابة والتصديق وكيف ينفي
عنهم التكذيب والعدول عن الاستجابة والتصديق وكيف ينفي عنهم
التكذيب ثم يقول انهم بايات الله يجحدون وهل الجحد باياته الا تكذيب نبيه عليه السلم
الجواب قد ذكر في هذه الاية وجوه ثلثة اولها ان يكون انما نفى تكذيبهم بقلوبهم
تدينا واعتقادا وان كانوا يظهرون بافواههم التكذيب لانا نعلم انه
قد كان في المخالفين له عليه السلم من يعلم صدقه ولا ينكر بقلبه حقه وهو مع ذلك

فقال يا سبحان الله اتقي مثل دانق

يعاند فيظهر خلاف ما يبطن وقد قال تعالى وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم
يعلمون ومما يشهد لهذا الوجه من طريق الرواية ما رواه سلام بن مسكين
عن ابي يزيد المدني ان رسول الله لقي ابا جهل فصافحه ابو جهل فقيل له اتصافح
هذا الصبي فقال والله اني لاعلم انه نبي ولكن متى كنا تبعا لبني عبد مناف
فانزل الله الاية وفي خبر اخر ان الاخنس بن شريق خلا بابي جهل فقال له يا ابا الحكم
اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس من قريش ههنا احد غيري
وغيرك يسمع كلامنا فقال له ابو جهل ويحك والله ان محمدا لصادق وما كذب
قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والندوة والنبوة
ماذا يكون لساير قريش والوجه الثاني ان يكون معنى فانهم لا يكذبونك اي الكلام لا يفعلون
ذلك بحجة ولا يتمكنون من ابطال ما جئت به ببرهان وانما يقتصرون على الدعوى
الباطلة وهذا في الاستعمال معروف لان القائل يقول فلان لا يستطيع ان
يكذبني ولا يدفع قولي وانما يريد به انه لا يتمكن من اقامة دليل على كذبه ولا حجة
في دفع قوله وان كان يتمكن من التكذيب بلسانه وقلبه فيصير ما يقع من التكذيب
من غير حجة ولا برهان غير معتد به وروي عن امير المومنين عليه السلام انه كان يقرأ فانهم
ولا يكذبونك بالتخفيف ويقول ان المراد بها انهم لا ياتون بحق هو احق من حقك
وقال محمد بن كعب القرظي معناها لا يبطلون ما في يديك وكل ذلك يقوي هذا
الوجه وسنبين ان معنى هذا اللفظ مشددة يرجع الى معناها مخففة والوجه
الثالث ان يكون معنى الاية انهم لا يصادفونك كاذبا ولا يلفونك مكذبا كما يقول
قاتلتم فما اجبنتم اي ما وجدتم جبنا وحدثتم فما كذبتم اي لم الفكم كاذبا وقال
الاعشى. اثوى وقصر ليله ليزودا. فمضى واخلف من قتيلة موعدا. اراد انه صادف
منها خلفا للوعد ومثله اصممت القوم اي صادفتهم صما واخليت الموضع اي
صادفته خاليا قال الشاعر. ابيت مع الحداث ليلى فلم ابن. فاخليت فاستعجمت عند
خلائي. اي اصبته مكانا خاليا. ومثله لعيان بن قحافة. بين ابانا بالدواهيا. او

من اشدائد

من اشدائد المضارجا. يعني بها وسعن اصبن منابت واستعر فتبتن فيها وقال
عمرو بن براقة. تحالف اقوام على ليسمنوا وجروا على الحرب اذا انا سالم. يقال اسمن بنو
فلان اذا رعت ابلهم فصادفوا بها سمنا فقال ابو النجم. تقبلن للرايد اعشبنا انزل.
اي اصبت مكانا معشبا وقال ذو الرمة. تريك بياض لبتها ووجها. كقرن الشمس
افتق ثم زالا. اي وجد فتقا من السحاب وليس لاحد ان يجعل هذا الوجه مختصا بالقراءة
بالتخفيف دون التشديد لان في الوجهين معا يمكن هذا الجواب لان افعلت وفعلت
يجوز ان في هذا الموضع وافعلت بالتخفيف هو الاصل في الفعل ثم شدد تاكيدا
وافادة لمعنى التكرار وهذا مثل اكرمت وكرمت واعظمت وعظمت واوصيت
ووصيت وابلغت وبلغت وهو كثير قال الله تعالى فمهل الكافرين امهلهم رويدا
الا ان التخفيف اشبه بهذا الوجه لان استعمال هذه اللفظة مخففة في هذا المعنى
اكثر والوجه الرابع ما حكي الكسائي من قولهم ان المراد انهم لا ينسبونك الى الكذب
فيما اتيت به لانه كان عندهم كان امينا صادقا لم يجربوا عليه الكذب كذبا وانما
كانوا يدفعون ما اتى به ويدعون انه في نفسه كذب وفي الناس من يقوي هذا الوجه
وان القوم كانوا يكذبون ما اتى به وان كانوا يصدقونه في نفسه ويقوله ولكن
الظالمين بايات الله يجحدون وبقوله وكذب به قومك وهو الحق ولم يقل
وكذبك قومك وهو الحق وكان الكسائي يقرأ فانهم لا يكذبونك بالتخفيف ونافع من بين
سائر السبعة والباقون على التشديد ويزعم ان بين كذبت واكذبت فرقا وان
معنى اكذبت الرجل انه جاء بكذب ومعنى كذبته انه كذاب في كل حديثه وهذا
غلط وليس بين فعلت وافعلت في هذه الكلمة فرق من طريق المعنى اكثر مما ذكرنا
من ان التشديد يقتضي التكرار والتاكيد ومع هذا لا يجوز ان يصدق قوم في نفسه
ويكذبوا بما اتى به لان من المعلوم انه صلى الله عليه واله كان يشهد بصحة ما اتى به
وصدقه وانه الدين القيم والحق الذي لا يجوز العدول عنه فكيف يجوز ان يكون صادقا
في خبره وان كان الذي اتى به فاسدا بل ان كان صادقا فالذي اتى به حق صحيح

احمد بن محمد بن الحسين بن دريد عن احمد بن عيسى العطلي ... ... انشده
... الى النبي ... ما ان رايت ولا سمعت بمثله
... ومتى لنا ... عطى ...
... فقال له النبي ... ... من القصب ... والقطعة من القصب ...

وان كان الذى اتى به فاسدا فلا بد من ان يكون فى شيء من ذلك كاذبا وهذا
تاويل من لا يتحقق المعانى الوجه الخامس ان يكون المعنى فى قوله فانهم لا يكذبونك
ان تكذيبك راجع الىّ وعائد علىّ ولست المختص به لانه رسول الله صلعم فمن كذبه
فمن كذّبه فهو فى الحقيقة مكذّب بالله تعالى وراد عليه وهذا كما يقول احدنا
لرسوله امض فى كذا فمن كذّبك فقد كذّبنى ومن دفعك فقد دفعنى
وذلك من الله تعالى على سبيل التسلية لنبيه صلعم والتعظيم والتغليظ لتكذيبه
والوجه السادس انه يريد فانهم لا يكذّبونك فى الامر الذى يوافق فيه كتبهم وان
كذّبوك فى غيره ويمكن فى الاية وجه سابع وهو ان يريد ان جميعهم لا يكذّبونك
وان كذّبك بعضهم وهم الظالمون الذين ذكروا فى اخر الاية انهم يجحدون
بايات الله لان الله تعالى سلّى نبيه عليه السلم بهذا القول وعزاه الى الظالمين فلا
ينكر ان يكون عليه السلم لما استوحش من تكذيبهم له وتلقيهم اياه بالردّ
وظنّ انه لا متبع له منهم ولا ناصر لدينه اخبره الله تعالى بانّ البعض وان كذّبك
فانّ فيهم من يصدّقك ويتبعك وينتفع بارشادك وارادتك وكل هذا
واضح بحمد الله قال المرتضى رضى الله عنه ومن جيد شعر قول مطرود بن كعب الخزاعى
يا ايها الرجل المحوّل رحله. الا نزلت بآل عبد مناف. الاخذون العهد من افاقها.
والراحلون لرحلة الايلاف. والمطعمون اذا الرياح تناوحت. ورجال مكة مستون
عجاف. والمفضلون اذا المحول ترادفت. والقائلون هلم للاضياف. والخالطون
غنيهم بفقيرهم. حتى يكون غنيهم كالكافى. كانت قريش بيضة فتفلقت.
فالمح خالصه لعبد مناف. اما قوله الراحلون لرحلة الايلاف فكان هاشم صاحب
ايلاف قريش للرحلتين. واول من سنهما فالفوا الرحلتين فى الشتاء الى اليمن
والحبشة والعراق وفى الصيف الى الشام وفى ذلك يقول الزبعرى . والذى
هشم الثريد لقومه. ورجال مكة مستون عجاف. وهو الذى سن الرحيل لقومه
رحل الشتاء ورحلة الاصياف. فاما المستون فهم الذين اصابتهم السنة

هبلك امثالا لو نزلت عليهم
ضيوفك من جوع ومن اقراف

المجد

المجدبة الشديدة وقوله والخالطون غنيهم بفقيرهم من احسن الكلام واحضره
وانما اراد انهم يفضلون على الفقير حتى يعود غنيا ذا ثروة ولاحمد بن يوسف
على هذا الوزن والروى يمدح جامع ولد سعيد بن مسلم الباهلى وكان بخيلا
ابنى سعد انكم من معشر لا يعرفون كرامة الاضياف. قوم لباهلة بن يعصر انهم
نسبوا حسبتهم لعبد مناف. قربوا الغدا الى العشاء وقربوا. زاد العميرايك
ليس بكاف. وكانني لما حططت اليهم. رحلى نزلت بابرق الغراف. بينا كذلك
اذا تكبر اذهم. يلحون فى التبذير والاسراف. اراد بقوله قربوا الغدا الى العشاء
من بخلهم واقتصادهم فى المطعم باختصارهم والمشرب ويقال ان هذا الشعر حفظ وهما اكثر ما يسبون
به وليس قوتهم ولرب نزح جرجلا وعزة الشعر لا لستقال والشعر يسير
بحسب جودته ولقد احسن دعبل فى قوله. تموتنى ولما يسعنى غير شاب.
وغير عدوّ قد اصيبت مقاتله. يقولون ان ذاق الردى مات شعره وهيهات
عمر الشعر طالت طوائله. ساقضى ببيت يحمد الناس امره. ويكثر فى اهل
الرواية حامله. يموت ردى الشعر من قبل ربه. وجيده يبقى وان مات قائله
ولاخر فى هذا المعنى. لا تعرضن بمزح لامرء فطن. ما راضه قلبه اجراه فى الثبت
فرب قافية بالمزح جارية. مشؤومة لم يرد انماؤها نمت انى اذا قلت بيتا مات
قائله. ومن يقال له والبيت لم يمت المجلس السادس والتسعون تاويل اية
ان سال سائل عن قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا
به مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون
وعن قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب
بايات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو
ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون فقال كيف يقع من اهل الاخرة
نفى الشرك عن انفسهم والقسم بالله تعالى عليه وهم كاذبون ومع ذلك انهم
اعندكم فى تلك الحال لا يقع منهم شيء من القبيح لمعرفتهم بالله ضرورة ولانهم

ملجؤن هناك الى ترك جميع القبايح وكيف قال من بعد ولو ردوا لعادوا لما
نهوا عنه وانهم لكاذبون فشهد عليهم بالكذب ثم علقه بما لا يصح فيه معنى
الكذب وهو التمنى لانهم تمنوا ولم يخبروا الجواب قلنا اول ما نقوله انه ليس
فى ظاهر الاية ما يقتضى ان قولهم ما كنا مشركين انما وقع فى الاخرة دون الدنيا
واذا لم يكن ذلك فى الظاهر جاز ان يكون الاخبار تناول حال الدنيا وسقطت
المسلة وليس لاحد ان يتعلق فى وقوع ذلك فى الاخرة بقوله تعالى قبل الاية ويوم
نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون
وانه عقب ذلك بقوله ثم لم تكن فتنتهم فيجب ان يكون الجميع مختصا بحال الاخرة
لانه لا يمتنع ان تكون الاية تتناول ما يجرى فى الاخرة ثم تتلوها اية تتناول
ما جرى فى الدنيا لان مطابقة كل اية لما قبلها فى مثل هذا غير واجب وقوله ثم
لم تكن فتنتهم لا يدل ايضا على ان ذلك يكون واقعا بعد ما خبر عنه فى الاية
الاولى فكانه تعالى قال على هذا الوجه انما نحشرهم فى الاخرة ونقول اين
شركاؤكم الذين كنتم تزعمون. وما كان فتنتهم وسبب ضلالتهم فى الدنيا
الا قولهم والله ربنا ما كنا مشركين وقد قيل فى الاية على تسليم ان هذا
القول يقع منهم فى الاخرة ان المراد انا ما كنا عند نفوسنا وفى اعتقادنا
مشركين بل كنا نعتقد انا على الحق والهدى وقوله تعالى من بعد انظر كيف كذبوا
على انفسهم لم يرد به هذا الخبر الذى وقع منهم فى الاخرة بل اراد انهم كذبوا
على انفسهم فى دار الدنيا باخبارهم انهم مصيبون محقون غير مشركون
وليس فى الظاهر الا انهم كذبوا على انفسهم من غير تخصيص بوقت فلم نحمل على الاخرة
دون الدنيا ولو كان فى الاية ظاهر يقتضى وقوع ذلك فى الاخرة لحملنا على الدنيا
بدلالة ان اهل الاخرة لا يجوز ان يكذبوا لانهم ملجؤن الى ترك القبيح فاما
قوله تعالى حاكيا عنهم يا ليتنا نرد ولا نكذب وقوله وانهم لكاذبون
فمن الناس من حمل الكلام كله على وجه التمنى وصرف قوله وانهم لكاذبون

الى غير الامر الذى تمنوه لان التمنى لا يصح فيه الصدق والكذب وانما يدخلان
فى الاخبار المحضة لان قول القايل ليت الله رزقنى ولدا وليت فلانا اعطانى مالا
افعل به كذا وكذا لا يكون كذبا ولا صدقا وقع ما تمناه او لم يقع فيجوز على هذا
ان يكون قوله تعالى وانهم لكاذبون مصروفا الى حال الدنيا كانه قال وهم كاذبون
فيما يخبرون به عن انفسهم فى الدنيا من الاصابة واعتقاد الحق ويريد انهم
كاذبون ان يخبروا عن انفسهم بانهم فى الدنيا على الاصابة واعتقاد الحق ويريد
انهم كاذبون ان خبروا عن انفسهم بانهم متى ردوا امنوا ولم يكذبوا وان كان
ما حكى عنهم من التمنى ليس بخبر وقد يجوز ايضا ان نحمل قوله تعالى وانهم لكاذبون
على غير الكذب الحقيقى بل يكون المراد والمعنى انهم تمنوا ما لا سبيل اليه فكذب
املهم وتمنيهم وهذا مشهور فى الكلام لانهم يقولون لمن تمنى ما لا يدرك
كذب املك واكدى رجاؤك وما جرى مجرى ذلك قال الشاعر. كذبتم وبيت الله
لا تاخذونها. مراغمة ما دام للسيف قايم. وقال الاخر. كذبتم وبيت الله لا
تنكحونها. بنى شاب قرناها تصر وتحلب. ولم يرد الكذب فى الاقوال بل فى التمنى
والامل وليس لاحد ان يقول وكيف يجوز من اهل الاخرة مع انهم عارفون
الضرورية وانهم عالمون بان الرجوع الى الدنيا لا سبيل اليه ان يتمنوه
وذلك انه غير ممتنع ان يتمنى المتمنى ما يعلم انه لا يحصل ولا يقع ولهذا
يتعلق المتمنى بان لا يكون ما قد كان ولقوة اختصاص التمنى بما يعلم انه لا يكون
غلط قوم فجعلوا الارادة ما علم المريد انه لا يكون تمنيا هذا الذى ذكرناه وجه تاويل
الاية وفى الناس من يجعل بعض الكلام تمنيا وبعضه اخبارا او علق تكذيبهم بالخبر
دون ليتنا فكان تقدير الكلام يا ليتنا نرد وهذا هو التمنى ثم قال من بعد
فانا لا نكذب بايات ربنا ونكون من المومنين فاخبروا بما علم الله تعالى انهم فيه
كاذبون وان لم يعلموا من انفسهم مثل ذلك فلهذا كذبهم وكل هذا واضح بحمد الله
واخبرنا ابو عبيد الله المرزبانى قال حدثنا احمد بن عبد الله وعبد الله بن يحيى العسكرى

قال حدثنا الحسن بن العليل العنزي قال حدثنا احمد بن عبد الله العبدي قال حدثنا
ابو مسعود رجل من بني غنيم بن عبد القيس قال ورد منصور بن سلمة النمري مكة على البرامكة
وهو شيخ كبير وكان مروان بن ابي حفصة صديقا لي على اني كنت ابغضه وامقته
في الله فشكى الي فقال دخل اليوم علينا رجل اظنه شاميا وقد تقدمته البرامكة
في الذكر عند الرشيد فاذن له فدخل فسلم فاجاد فاذن له الرشيد فجلس فاوجست
منه خوفا يا نفس انا حجازي نجدي شافهت العرب وشافهتني وهذا شامي افتراه
اشعر مني قال فجعلت ارقوا نفسي الى ان استنشده هارون فاذا هو والله من افصح
الناس فدخلني له حسدا قال فانشده قصيدة تمنيت انها لي وان علي غرما قال
فقلت له ما هي قال احفظ منها ابياتا وهي. امير المومنين اليك خضنا غمار الموت
من بلد شطير. بخوص كالاهلة جانفات. تميل على السرى وعلى الهجير. حملن اليك امالا
عظاما. ومثل الصخر والدر النثير. فقد وقف المديح بمنتهاه. وغايته وصار الى
المصير الى من لا تشير الى سواه. اذا ذكر الندى كف المشير. قال مروان فوددت انه
اخذ جائزتي وسكت وعجبت من تخلصه الى تلك القوافي ثم ذكر ولد امير المومنين
فاحسن التخلص ورايت هارون يعجبه ذلك. قال. يد لك في رقاب بني علي. ومن ليس
بالمن اليسير. فان شكروا فقد انعمت فيهم. والا فالندامة للكفور. مننت على ابن عبد الله
يحيى وكان من الحتوف على شفير. وقد سخطت لسخطك المنايا عليه فهي حاميه السعير
ولو كافات ما اجترحت يداه. دلفت له بقاصمة الظهور. ولكن جل حلمك فاجتباه
على العفو اعفو من قدير. فعاد كانما لم يجن ذنبا. وكان بما اجتنى حسك الصدور
وانك حين تبلغهم اذاة. وان ظلموا المحرق الضمير. وان الرشيد قال لما سمع هذا
البيت هذا والله معنى كان في نفسي وداخله بيت المال فحكمه فيه فقال مروان [عدنا الى الخبر]
وكان هرون يبسم ويكاد يضحك للطف ما يسمع ثم اومى الي ان انشد فانشدته
قصيدتي التي اقول فيها. خلوا الطريق لمعشر عاداتهم. حطم المناكب كل يوم زحام
حتى اتيت على اخرها فو الله ما عاج ذلك الرجل يعني النمري بشعري ولا احفل به

قال وانشد منصور يومئذ. ان لهرون امام الهدى. كنزين من اجر ومن بر يرثي
ما تبري الليالي ولا. تريش ايديهن ما تبري. كانما البدر على رحله. ترميك منه مقلتا صقر
قال وانشده ايضا. ولمن اضاع عهده لقد وجدتك حافظا. لوصية العباس بالاخوال
قال مروان واخلق به ان يغلبني وان يعلوا علي عنده فاني ما رايت احسن من تخلصه
اذا ذكر الطالبين واخبرنا المرزباني قال حدثنا ابو عبد الله الحكيمي قال حدثني
يموت بن المزرع قال حدثني ابو عثمن الجاحظ قال كان منصور النمري ينافق
الرشيد ويذكر هرون في شعره ويريه انه من وجوه شيعته وباطنه ومراده
بذلك امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلم لقول النبي ص انت مني بمنزلة
هرون من موسى الى ان وشي به عنده بعض اعدائه وهو العتابي فقال
يا امير المؤمنين. هو والله الذي يقول. متى يشفيك دمعك من همول.
ويبرد ما بقلبك من غليل. وانشده ايضا. شاء من الناس راتع هامل.
يعللون النفوس بالباطل. ومنصور يصرح في هذه القصيدة بالعجايب
فوجه الرشيد برجل من بني فزارة وامره ان يضرب عنق منصور حيث يقع عليه
فقدم الرجل راس عين بعد موت منصور بايام قلائل قال المرزباني وبصدق قول
الجاحظ ان النمري كان يذكر هرون في شعره ويعني امير المؤمنين عليا عليه السلم
ما انشده محمد بن الحسن بن دريد للنمري. ال الرسول خيار الناس كلهم. وخير
ال الرسول الله هرون. رضيت حكمك لا ابغي به بدلا. لان حكمك بالتوفيق مقرون.
وروي ان ابا عصمة الشعبي لما وقع باهل ديار ربيعة وفدت ربيعة وفدا الى الرشيد
فيهم منصور النمري فلما صاروا بباب الرشيد امرهم باختيار من يدخل عليه فاختاروا
عددا بعد عدد الى ان اختاروا رجلين النمري احدهما اليه خلا وبالاحوج
وكان النمري مؤدبا لم يسمع منه شعر قط قبل ذلك ولا عرف فلما مثل هو وصاحبه
بين يدي الرشيد قال لهما قولا ما تريدان فاندفع النمري فانشد. ما تنقضي
حسرة مني ولا جزع. فقال الرشيد قل حاجتك ودع عن هذا فقال اذا ذكرت

شبابا بالبيس يرتجع وانشد القصيدة حتى انتهى الى قوله. ركب من التم عاد وابن
عمهم. ما هاشم ان الحى الا زلم الجذع. منوا اليك بقربى منك تعرفها. لهم
بها فى سنام المجد مطلع. ان المكارم والمعروف اودية. احلك الله منها حيث تجتمع
اذا رفعت امرا فالله رافعه. ومن وضعت من الاقوام متضع. نفسى فداؤك
والابطال معلمة. يوم الوغا والمنايا بينهم قرع. حتى اذا اتى على اخرها فقال
ويحك قل حاجتك فقال يا امير المومنين اخربت الديار واخذت الاموال
وهتكت الحرم فقال اكتبوا له بكل ما يريد وامر له بثلثين الف درهم واحتبسه عنده
وشخص اصحابه بالمكتب ولم يزل عنده يقول الشعر فيه حتى اذا استاذنه بالانصراف
فاذن له ثم اتصل بالرشيد قوله. شاءمن الناس راتع هامل. يعللون النفس
بالباطل. تقتل ذرية النبى ويرجون الجنان للقاتل. ما الشك عندى فى كفر قاتله
لكننى قد اشك فى الخاذل. فامتعض الرشيد وانفذ من يقتله فى بعض الروايات
ميتا وفى الاخرى عليلا لما به فسئل الرسول الا يأتم فيه وان ينتظر موته ففعل
ولم يبرح حتى توفى وعاد يخبر بموته الى والتمس. لو كنت اخشى معادى حق خشيته
لم تسم عينى الى الدنيا ولم تنم. لكننى عن طلاب الدين مختبل والعلم مثل الغنى والجهل
كالعدم. يجادلون دخولى فى سوادهم. لقد اطافوا بصدع غير ملتئم. ما يفعلون
النصارى واليهود على. حب القلوب ولا العباد للصنم. المجلس السابع
والسبعون فى تاويل اية. ان سال سائل عن قوله تعالى واذا الموؤدة
سئلت باى ذنب قتلت. فقال كيف يصح ان يسال من لا ذنب له ولا عقل
واى فايدة فى سوالها عن ذلك وما وجه الحكمة فيه وما الموؤدة ومن اى شئ
اشتقاق هذه اللفظة الجواب قلنا اما معنى سئلت ففيه وجهان احدهما
ان يكون المراد ان قاتلها طولب بالحجة فى قتلها وسئل عن قتله لها وباى
ذنب كان على سبيل التوبيخ والتعنيف واقامة الحجة فالقتلة فيهنا هم
المسئولون على الحقيقة لا المقتولة وانما المقتولة مسئول عنها ويجرى

هذا مجرى قولهم سالت حقى اى طالبت به ومثله قوله تعالى واوفوا بالعهد ان العهد
كان مسئولا اى مطالبا به ومسئولا عنه والوجه الاخر ان يكون
السؤال توجه اليها على الحقيقة على سبيل التوبيخ لقاتلها والتقريع له والتنبيه
على انه لا حجة له فى قتلها ويجرى هذا مجرى قوله تعالى لعيسى اانت قلت للناس
اتخذونى وامى الهين من دون الله على طريق التوبيخ لقومه واقامة الحجة عليهم
فان قيل على هذا الوجه كيف يخاطب ويسال من لا عقل له ولا فهم الجواب ان فى
الناس من زعم ان الغرض بهذا القول اذا كان تبكيت الفاعل وتهجينه وادخال
الغم عليه فى ذلك الوقت على طريق العقاب لم يمتنع ان يقع وان لم يكن من الموؤدة
فهم لان الخطاب وان علق عليها وتوجه اليها فالغرض فى الحقيقة غيرها ويجرى هذا
يجرى مجرى من ضرب ظالم طفلا له من ولده يقول لم ضربت وما ذنبك وباى شئ واقبل على ولده
استحل هذا منك وغرضه تبكيت الظالم لا خطاب الطفل فالاولى ان يقال
فى هذا ان الاطفال وان كان من جهة العقول لا يجب فى وصولهم الى الاعراض
المستحقة ان يكونوا كاملى العقول كما يجب مثل ذلك فى الوصول الى الثواب
فان الخبر متظاهر والامة متفقة على انهم فى الاخرة وعند دخولهم الجنان
يكونوا فى اكمل الهيئات وافضل الاحوال وان عقولهم تكون كاملة فعلى هذا
يحسن توجه الخطاب الى الموؤدة لانها تكون فى تلك الحال ممن يفهم الخطاب
ويعقله وان كان الغرض فيه التبكيت للقاتل واقامة الحجة عليه وقد روى
عن امير المومنين عليه السلم وابن عباس ويحيى بن معين ومجاهد ومسلم بن
صبيح وابن ابى الضحى ومروان وابى صالح وجابر بن زيد انهم قرؤا سالت بفتح
السين والهمزة واسكان التاء باى ذنب قتلت باسكان اللام وضم التاء
الثانية على ان الموؤدة موصوفة بالسؤال وبالقول باى ذنب قتلت
وروى القطعى عن سليمن الاعمش وعن حفص وعن عاصم قتلت بضم
التاء الثانية وسيلت مثل قراءة الجمهور بضم السين وروى عن ابى جعفر

المدنى قتّلت بالتشديد واسكان التاء الثانية وروى عن بعضهم واذا المودّة بفتح الميم والواو فامّا من قرا سالت بفتح السين فيمكن فيه الوجهان اللذان ذكرناهما من ان الله تعالى اكملها فى تلك الحال واقدرها على النطق والوجه الاخر ان يكون معنى سالت اى سال لها وطولب بحقها وانتصف لها من ظالمها فكانها هى السائلة تجوزاً ومن قرا بفتح السين من سئلت وبضم التاء الثانية من قتلت فعلى انها هى المخاطبة بذلك ويجوز على هذا الوجه ايضا قتلت باسكان التاء الاخيرة كقراءة الجماعة لانه اخبار عنها كما يقال سال زيد باى ذنب ضرب ويقوى هذه القراءة فى سالت ما روى عن النبى صلى الله عليه واله من قوله يجى المقتول ظلما يوم القيمة واوداجه تشخب دما اللون لون الدم والريح ريح المسك متعلقا بقاتله يقول يا رب سل هذا فيم قتلنى فامّا القراءة الماثورة عن حفص عن عاصم فى ضم التاء الاخيرة من قتلت مع ضم السين من سُئلت فمعناها واذا الموؤدة سئلت ما تبغى فقالت باى ذنب قتلت فاضمر ما سئلت عنه واضمر قولها والعرب قد تضمر مثل هذه الدلالة الخطاب عليه وارتفاع الاشكال عنه مثل قوله تعالى وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ اى يقولان ذلك ونظائر فى القران كثيرة جدا فامّا قراءة من قرا قتّلت بالتشديد فالمراد به تكرار الفعل والموؤدة وان كان لفظها لفظ واحدة فالمراد بها الجنس وارادة التكرار جائز فامّا من قرا المودة بفتح الميم والواو فعلى ان يكون المراد الرحم والقرابة وانه يسال قاطعها عن سبب قطعها وتضييعها قال الله تعالى فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم فامّا الموؤدة فهو المقتولة صغيرة وكانت العرب فى الجاهلية تئد البنات بان يدفنوهن احياء وهو قوله تعالى أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ وقوله تعالى قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ويقال انهم كانوا يفعلون ذلك لا لاحد امرين احدهما انهم كانوا يقولون ان الملائكة بنات الله

فالحقوا

وانما

وباى ذنب ضربت

٢٠

فالحقوا البنات بالله فهو احق بالبنات والامر الاخر انهم كانوا يقتلونهن خشية الاملاق قال الله تعالى وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ قال المرتضى وجدت ابا على الجبائى وغيره يقول انما قيل لها موؤدة لانها ثقلت بالتراب الذى طرح عليها حتى ماتت وفى هذا بعض النظر لانهم يقولون من الموؤدة وَأَدْتُ أَئِدُ وَأْدًا الفاعل وائد والفاعل وائد ومن الثقل يقولون ادنى الشى يودنى وئدا اذا اثقلنى اودا او روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن العزل فقال ذلك الواد الخفى وقد روى عن جماعة من الصحابة كراهية ذلك وقال قوم فى الخبر الذى ذكرناه انه منسوخ بما روى عنه عليه السلم انه قيل له ان اليهود تقول ان فى العزل هى الموؤدة الصغرى فقال كذبت اليهود لو اراد الله تعالى ان يخلقه لم يستطع احد ان يصرفه وقد يجوز ان يكون قوله عليه السلم ذلك الواد الخفى على تاكيد الترغيب فى طلب النسل وكراهية العزل لا على انه محظور محرم وصعصعة بن ناجية بن عقال جد الفرزدق بن غالب كان ممن وئد الموؤدات فى الجاهلية ونهى عن قتلهن ويقال انه احيا الف موؤدة وقيل دون ذلك وقد افتخر الفرزدق بهذا فى قوله. ومنا الذى منع الوائدات. واحيا الوئيد فلم يوأد. وفى قوله. ومنا الوئيد وغالب. ومنا حاجب والاقرع. وفى ذلك يقول انا ابن عقال وابن ليلى وغالب. وفكاك اغلال الاسير المكفر ليلى ام غالب وعقال هو محمد بن سفيان بن مجاشع وفكاك الاغلال ناجية بن عقال والمكفر الذى قد كفر وكبل بالحديد. وكان لنا شيخان ذو القبر منهما. وشيخ اجار الناس من كل مقبر. ذو القبر غالب وكان يستجار بقبره والذى اجار الناس من المقبر واحيا الوئيد صعصعة بن ناجية بن عقال. على حين لا تحيى البنات وانهم. عكوف على الاصنام حول المدور. انا ابن الذى رد المنية فضله. وما حسب دافعت عنه بمعور. الى احد الغيثين صعصعة الذى متى تخلف الجوزاء والنجم يمطر. اجار بنات الوائدين ومن يجر. على القبر يعلم انه غير

وفارق ليلى من نساء انت به. تعالج ريحا ليلها غير مقمر. فارق امراة ما خضا شبهها.
بالفارق من الابل وهي الناقة يضربها المخاض فتفارق الابل وتمشى على وجهها حتى تضع
فقالت. اجرلي ما ولدت فانني اتيتك من هزلى الحمولة مفتر. راى الارض منها
راحة فرمى به. الى جدد منها وفى شر محفر. فقال لها يا امى انى بذمتى لبنتك
جار من ابيها القنور اخبرنا المرزبانى قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولى قال
حدثنا محمد بن زكريا الغلابى عن العباس بن بكار الضبى عن ابى بكر الهذلى
قال الصولى وحدثنا القاسم بن اسمعيل عن ابى عثمان المازنى عن ابى عبيدة بطرف
منه قال وفد صعصعة منع الوئيد فى الجاهلية فلم يدع تميميا يئد وهو
يقدر على ذلك الى مجى الاسلام وقد فدى فى بعض الروايات اربعمائة جارية
وفى رواية اخرى ثلثمائة فقال للنبى بابى انت وامى اوصنى فقال اوصيك
بامك وابيك واختك واخيك وادانيك فقال زدنى يا رسول الله صلعم قال
رسول الله صلعم احفظ ما بين لحييك ورجليك ثم قال له صلى الله عليه واله
ما شى بلغنى عنك فعلته فقال يا رسول الله رايت الناس يموجون على غير وجه
ولم ادرِ اين الصواب غير انى علمت انهم ليسوا عليه فرايتهم يئدون بناتهم
فعرفت ان ربهم عز وجل لم يامرهم بذلك فلم اتركهم يئدون وفديت ما قدرت
وفى رواية اخرى ان صعصعة لما وفد على رسول الله صلعم فسمع من يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال حسبى ما ابالى ان لا اسمع
من القران غير هذا ويقال انه اجتمع جرير والفرزدق يوما عند سليمان بن
عبد الملك فافتخرا فقال الفرزدق انا ابن محيى الموتى فقال ان رجلى احيا
الموؤدة وقد قال تعالى ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا وقد احيى
جدى اثنين وتسعين موؤدة فتبسم سليمان وقال انك مع شعرك لفقيه
تاويل خبر ان سال سائل عن معنى الخبر الذى يرويه عن النبى صلى الله عليه واله
انه نهى ان يصلى الرجل وهو زناء الجواب قلنا الزناء هو الحاقن الذى يضايق

ان ناجية جد الفرزدق على رسول الله صلى الله عليه واله فى وفد من بنى تميم وكان صعصعة م

فقال سليمان انت ابن عمى الموتى م

ذرعا ببوله يقال ازناء الرجل فهو يزنئه ازناء وزنا ببوله يزنا زناء قال الاخطل
واذا ادفعت الى زناء قعرها. غبراء مظلمة من الاحفار. يعنى ضيق القبر ويقال
لا تات فلانا فان منزله زناء فيجوز ان يكون ضيقا. ويجوز ان يكون عسر المرتقى
وكلاهما يؤل الى المعنى الواحد ويقال موضع زناء اذا كان ضيقا صعبا من ذلك
قول ابى زبيد يصف اسدا. ابن عرينة عنابها اشب. ودون غايتها مستورد
شاس الهبوط زناء الحامين متى. يشع بواردة يحدث لها فزع. يعنى بزناء الحامين
ان ضيق جانبى الوادى وقوله متى يشع بواردة اى يضيق بجماعة ممن يرده وانما
يحدث لها فزع من الاسد والشاس الغليظ يقال مكان شاس اذا كان غليظا ومن
ذلك قولهم زنا فلان فى الجبل اذا كابد الصعود وهو يزنا فى الجبل زناء وروى
ابو زيد ان قيس بن عاصم المنقرى اخذ صبيا يرقصه وام ذلك الصبى منفوسة
وهى بنت زيد الفوارس بن ضرار الضبى فجعل قيس يقول له. اشبه ابا امك او اشبه
عمل. ولا تكونن كهلوف وكل. يريد عمل والوكل الجبان والهلوف الهرم
المسن وهو ايضا الكبير اللحية. واخذته امه ترقصه وتقول. اشبه اخى او اشبهن اباكا.
اما ابى فلن تنال ذاكا. تقصر عن مناله يداكا. المجلس التاسع والسبعون مجلس اخر تاويل
اية ان سال سائل عن قوله تعالى وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة وما
ادريك ما العقبة فك رقبة او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة
او مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا
بالمرحمة اولئك اصحاب الميمنة والذين كفروا باياتنا هم اصحاب
المشئمة عليهم نار موصدة الجواب اما ابتداء الاية فتذكير بنعم الله تعالى
وما ازاح به علتهم من الالات التى يتوصلون بها الى منافعهم ويستدفعون بها
المضار عنهم لان الحاجة ماسة فى اكثر المنافع الدينية والدنياوية الى العين للرؤية
واللسان للنطق والى الشفتين لحبس الطعام والشراب ومسكهما فى الفم وللنطق
ايضا فاما النجد فى لغة العرب فهو الموضع المرتفع من الارض والغور الهابط منها

وانما اراد به ههنا الجبان وارتقى الى الخيرات زناء فى الجبل م

فقال ما تاويل هذه الايات وما معنى ما تضمنته م

فى تكاليفهم وما فضل به عليهم م

وانما سمى الموضع العرب نجدًا لارتفاعه واختلف اهل التاويل فى المراد بقوله
النجدين فذهب قوم الى ان المراد بهما طريقا الخير والشر وهذا الوجه يروى
عن امير المؤمنين عليه السلم وابن عباس وابن مسعود وعن الحسن وجماعة من المفسرين
وروى انه قيل لامير المؤمنين ع ان ناسًا يقولون فى قوله وهديناه النجدين
انهما الثديان فقال عليه السلم لا انهما الخير والشر وروى عن الحسن انه قال بلغنى
ان رسول الله ص قال ايها الناس انهما نجدان نجد الخير ونجد الشر فما جعل نجد
الخير احب اليكم من نجد الشر وروى عن قوم اخرين ان المراد بالنجدين ثديا
الام فان قيل كيف يكون طريق الشر مرتفعا كطريق الخير ومعلوم انه لا شرف ولا
رفعة فى الشر قلنا يجوز ان يكون انما سماه نجدا لظهوره وبروزه لمن كلف اجتنابه
ومعلوم ان الطريقين جميعًا باديان ظاهران للمكلفين ويجوز ايضا ان يكون سمى
طريق الشر نجدا من حيث يحصل فى اجتناب سلوكه والعدول عنه الشرف
والرفعة كما يحصل مثل ذلك فى سلوك طريق الخير لان الثواب الحاصل فى اجتناب
طريق الشر كالثواب فى سلوك طريق الخير وقال قوم انما اراد بالنجدين انا ابصرناه
وعرفناه ما له وعليه وهديناه الى طريق استحقاق الثواب وثنى النجدين على عادة
العرب فى تثنية الامرين اذا اتفقا فى بعض الوجوه واجرى لفظ احدهما على الاخر
كما قيل فى الشمس والقمر القمران قال الفرزدق . لنا قمراها والنجوم الطوالع
ولذلك نظاير كثيرة فاما قوله تعالى فلا اقتحم العقبة ففيه وجهان احدهما
ان يكون فلا بمعنى الجحد وبمنزلة لم اى فلم يقتحم العقبة واكثر ما يستعمل هذا الوجه
بتكرير لفظ لا كما قال تعالى فلا صدق ولا صلى اى لم يصدق ولم يصل كما قال
الحطيئة وان كانت النعمى عليهم جزوا بها . فان انعموا لا كدروها ولا كدوا . وقل
ما يستعملون هذا المعنى من غير تكرير لفظ لا لانهم لا يقولون لا جئتنى يريدون
ما جئتنى فان قالوا لا جئتنى ولا زرتنى صلح الا ان فى الاية ما ينوب مناب
التكرار ويغنى عنه وهو قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا فكانه تعالى قال

فلا اقتحم

فلا اقتحم العقبة ولا امن ففى التكرار حاصل والوجه الاخر ان يكون لا جارية
مجرى الدعاء كقولك لا نجا ولا سلم ونحو ذلك وقال قوم فلا اقتحم العقبة
اى فهلا اقتحم العقبة قالوا ويدل على ذلك قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا
وتواصوا بالصبر ولو كان اراد النفى لم يتصل الكلام وهذا الوجه ضعيف جدا
لان قوله فلا خال من لفظ الاستفهام فى مثل هذا الموضع وقد عيب على عمر بن ابى
ربيعة قوله . ثم قالوا تحبها قلت بهرا . عدد القطر والحصى والتراب . فاما الترجيح
بان الكلام لو اريد به النفى لم يتصل فقد بينا انه متصل مع ان المراد به النفى
لان قوله ثم كان من الذين امنوا معطوف على قوله فلا اقتحم العقبة ثم كان
من الذين امنوا والمعنى انه ما اقتحم ولا امن على ما بيناه فالمراد بالعقبة فاختلف
فيه فقال قوم هى عقبة ملساء فى جهنم واقتحامها فك رقبة وروى عن النبى
انه قال ان امامكم عقبة كؤودا فى جهنم وروى ايضا انه قال العقبة هى النار نفسها فعلى
هذا الوجه يكون التفسير للعقبة بقوله فك رقبة على معنى ما يؤدى الى اقتحام
هذه العقبة ويكون سببا لجوازها والنجاة منها لان فك رقبة وما اتى بعد ذلك
ليس هو النار نفسها ولا موضعا منها وقال اخرون بل العقبة ما ورد مفسرا
لها من فك الرقبة والاطعام فى اليوم المسغبة وانما سمى ذلك عقبة لصعوبته
على النفوس ومشقته عليها وليس يليق هذا الوجه بالجواب الذى ذكرناه فى قوله
فلا اقتحم العقبة وانه على وجه الدعاء لان الدعاء لا يحسن الا بالمستحق ولا يجوز
ان يدعى على احد بان لا يقع منه ما كلف وقوعه وفك الرقبة والاطعام المذكور
من الطاعات فكيف يدعى على احد بان لا يقع منه فهذا الوجه يطابق ان تكون العقبة
هى النار نفسها او تكون عقبة فيها وقد اختلف الناس فى قراءة فك رقبة
فقرا امير المؤمنين عليه السلم ومجاهد واهل مكة والحسن وابو رجاء العطاردى وابو عمرو
والكسائى فك رقبة بفتح الكاف ونصب الرقبة وقراوا واطعم على الفعل دون
الاسم وقرا اهل المدينة واهل الشام وعاصم وحمزة ويحيى بن وثاب ويعقوب

او فلا اقتحم العقبة ؟

وقبح حذف حرف الاستفهام ؟

اى فلا اقتحم العقبة

لا يجوزها المثقلون وانا اريد ان اتخفف لتلك العقبة وروى عن ابن عباس انه قال هى عقبة كؤود فى جهنم ؟

والحضرمي فكُّ بضم الكاف وبخفض رقبةٍ او اطعامٌ على المصدر وتنوين الميم
وضمها فمن قرا على الاسم ذهب الى ان جواب الاسم بالاسم اكثر في كلام العرب
واحسن من جوابه بالفعل الا ترى ان المعنى ما ادراك ما اقتحام العقبة هو فك رقبة
او اطعام وذلك هو احسن من ان يقال هو فكَّ رقبةً او اطعم ومن مال القرا
الى القراءة بلفظ الفعل ورجحها بقوله تعالى ثم كان من الذين امنوا لان فعل
فالاولى ان يتبع فعلاً وليس يمتنع ان يفسر اقتحام العقبة وان كان اسما بفعل
يدل على الاسم وهذا مثل قول القايل ما ادريك ما زيد ثم يقول مفسرا يصنع الخير
ويفعل المعروف وما اشبه ذلك فياتي بالافعال والسغب الجوع وانما
اراد ان يطعم في يوم مجاعة لان الاطعام فيه افضل واكرم فاما مقربة فمعناه يتيما
ذا قربى من قرابة النسب والرحم وهذا حض على تقديم ذوي قرابة المحتاجين
على الاجانب في الافضال والمسكين الفقير الشديد الفقر والمتربة مفعلة من التراب
اي هؤلاء الصق بالارض من ضره وحاجته ويجري هذا الاشتقاق مجرى
قولهم في الفقير مدقع [illegible] وما هو ماخوذ من الدقعا وهي الارض التي لا شي
فيها وقال قوم ذا متربة اي ذا عيال والمرحمة مفعلة من الرحمة وقيل انه ماخوذ
من الرحم وقد يمكن في مقربة ان يكون غير ماخوذ من القرابة والقربى بل هو من القرب
الذي هو الخاصرة فكان المعنى انه يطعم من انطوت خاصرته ولصقت من شدة
الجوع والضر وهذا اعم من المعنى الاول واشبه بقوله ذا متربة لان كل ذلك
مبالغة في وصفه بالضر وليس من المبالغة في الوصف بالضر ان يكون قريب النسب
والله اعلم بمراده قال المرتضى رضي الله عنه ومن طريف المدح ومليحه قول الشاعر
وكانه من وفد عند القرى. لولا مقام المادح المتكلم. وكانما احدى
الثنايا به. لولا مقالته اطب للمؤدم. ويقارب ذلك في المعنى قول محمد بن حازم
سهل الفنا اذا حللت ببابه. طلق اليدين مؤدب الخدام. واذا رايت صديقه
وشقيقه. لم تدر ايهما اخو الارحام. ومثله لابي الهندي. نزلت على ال المهلب شاتيا.

غريب

غريبا عن الاوطان في زمن المحل. فما زال بي اكرامهم وافتقادهم. (والطافهم) وانعامهم
حتى حسبتهم اهلي. ولابن الفدعا يمدح عقبة بن سنان الحارثي المزني
شكرت ابا سعيد. بنعماه وقد كفر الموالي. ولم اكفر سحايبه اللواتي. مطرن
علي واهية العزالي. فمن يك كافرا نعماه يوما. فاني شاكر اخرى الليالي.
فتى لم تطلع الشعرى من افق. ولم تعرض ليمين او شمال. على الله ان عد يجد
ومكرمة واتلاف لمالي. واصبر في الحوادث ان المت. واسعى للمحامد والمعالي.
فتى عم البرية بالعطايا. فقد صاروا الراد في العيال. وقال اخر. لم افض من صحبة
زيد اربي. فتى اذا اغضبته لم يغضب. موكل النفس بحفظ الغيب. اقصى
الرفيقين له كالاقرب. فانه لم يرد ان الضعيف السبب في المودة كالقوي
السبب وانما اراد انه يرعى من غيب الرفيق البعيد الغايب وحقه ما يرعاه
من حق الشاهد الحاضر وانه يستوي عنده لكرمه وحسن حفاظه من بعدت داره
وقربت معا بخلاف ما عليه اكثر الناس من مراعاة امر الحاضر القريب واهمال
حق البعيد. هذا اخر مجلس املاه الشريف الامام المرتضى رضي الله عنه ثم تشاغل
بامور الحج وتم به الكتاب والحمد لله على نعمه وصلواته على خير خليقته
محمد وصحبه وعترته وحسبنا الله ونعم
الوكيل سنة ١٢٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشريف الاجل المرتضى علم الهدى ذو المجدين ابو القاسم علي بن الحسين الموسوي رضه
انه لا يزال المتكلمون يخالفون النحويين في ان للفعل ثلثة احوال ماض وحاضر ومستقبل و
يقول المتكلمون للفعل حال الان بغير ثالث لان كل معلوم من الافعال لا يخلو من ان يكون موجودا
او معدوما وبالوجود قد صار ماضيا والمعدوم هو المنتظر ولا حال ثالثة فلا المتكلمون
يحسنون العبارة عما لحظوه وارادوه حتى يزول الخلاف في المعاني التي هي المهم ولا اعتبار
بالعبارات ولا النحويون يفطنون لانهم مهم ما قصدوه بلفظ غير مشتبه ولا محتمل نكم من
معنى كاد يضيع لسوء العبارة عنه وقصورا لاشارة اليه واعلم ان المواضعات مختلفة و
العرف يختلف باختلاف اهله بحسب عاداتهم وقولنا فعل في عرف المتكلمين ليس هو الذي يعرفه
النحويون لان الفعل في عرف اهل الكلام هو الذات الحادثة بعد ان كانت معدومة من قادر و
هذا الحد يقتضي ان يكون كل موجود من الذوات غير الله تع وحده فعلا فزيد فعل والسماء كذلك
والحرف الذي فرق النحويون بينه وبين الاسم فعل ايضا والفعل ايضا على هذا الحد فعل لان
الحرف صوت يقطع على وجه مخصوص والاصوات كلها افعال غير ان المحقق من عرف القوم ان
النحويين ما فصلوا بين الاسم والفعل والحرف من حيث نفي الاشتراك في الحدوث والفعلية بل
فصلوا بينها مع اشتراكها في معنى الفعلية التي يذهب اليها المتكلمون لما بينها من الفصل في احكام اخر
يختص بها بعضها دون بعض فقالوا الاسم ما دل على معنى لا يقترن بزمان والفعل ما اقتضى معنى
مقترنا بزمان غير مخصوص والحرف ما خلا من هاتين العلامتين فكانهم قصدوا الى ما هو فعل
حادث على المتكلمين فصنفوه ونوعوه وسموا بعضه اسما وبعضه فعلا وبعضه حرفا لاختلاف
الاحكام التي عقلوها فلا لوم في ذلك عليهم ولا مناظرة فيه معهم وبالمناظرة الصحيحة يزول
الشبهات وتنحسم التبعات والذي يجب تحصيله والتعويل عليه ان الفعل الحادث في اول احوال وجوده

يسمى فعل الحال فانقضى وعدم صار ماضيا والفعل المستقبل هو المنتظر المتوقع الذي هو
الان معدوم فان فرضنا ان الفعل الحادث الذي فرضنا انه متى تقضى وعدم صار ماضيا
بقي ولم ينقض اما على مذهب من يقطع على انفاء الاعراض او على مذهب من يتوقف
عن القطع على بقاء او فناء فالواجب ان يكون استمراره لا يخرجه من استحقاق الوصف بانه
فعل الحال لان من هو عليه لم يتغير الحال التي وجبت له عنه ولا خرج عنها الا ترى انا لو فرضنا
انه تقضى وعدم وخلفه مثل له لكان ذلك الخالف لم يستحق الوصف بانه للحال وكذلك ما قام
مقامه واوجب مثل ما يوجبه لانه لا فرق في التسمية للجلوس بانه فعل حال بين ان يكون ما للمفتتح
لحدوث من اجزاء الجلوس بقي واستمر وبين ان يكون تجدد امثاله والاول باق او معدوم
بعد ان تكون الحالة المخصوصة ما تغيرت ولا تبدلت ولا فرق ايضا بين ان يكون ذلك الفعل يوجب
حالا مخصوصة كالالوان او حكما مخصوصا كالاعتمادات وما اشبههما فان الذي ثبت فيه ولم
تخرج عنه هو المنعوت بانه فعل الحال وما خرج عنه هو الماضي فان قيل كيف قولكم فيما مضى
وتقضى من الافعال ووصفتموه بانه ماض لتقضيه وعدمه ايجوز ان يكون مستقبلا على وجه
من الوجوه او لا يكون من الافعال مستقبلا الا ما لم يدخل في الوجود قط قلنا اما ما عدم وتقضى
من الاعراض المقطوع على انها غير باقية في نفوسها كالادراكات والاصوات وما اشبه ذلك
فلا شبهة في ان الماضي منه لا يصح ان يكون مستقبلا من فعل قديم او محدث واما ما يبقى من اجناس
الاعراض عند من قطع على بقائها او شك في حالها بين جواز البقاء عليها ونفيه فنحن لا نقدر على
اعادته والقديم تع قادر على اعادته الى الوجود فهذا الضرب من فعله تع لا يمتنع تسميته بانه
مستقبل لانه متوقع منتظر فاما الجواهر المعدومة فلا شبهة في انها ماضية من حيث عدمت و
مستقبلة من حيث كان مستانفا متوقعا ان الله تع لا بد من ان يعيد المكلفين للثواب والعقاب و
المكلف انما هو مؤلف من الجواهر فان قيل ههنا يقتضي ان يجتمع في الشيء الواحد ان يكون ماضيا
مستقبلا وهذا كالمتناقض قلنا لا تناقض في ذلك لان الجوهر الماضي يستحق الوصف بانه ماض
اذا عدم وكذلك العرض الماضي من افعال الله تع اذا عدم وان جاز من حيث صح وجوده ذلك مستانفا
ان يوصف بانه مستقبل لان معنى المستقبل هو المعدوم الذي يصح وجوده فلا تنافي بين الامرين ولو

ثبت بينهما عرف فيما لم الا يجتمعا وذلك ليس بثابت لجاز ان يجعل حد المستقبل هو المعدوم الذي يصح وجوده
مستقبلا من غير ان يكون الوجود حصل له في حالة من الاحوال فلا يلزم على ذلك ان يجتمع الوصفان في
فعل واحد وقد كنا قديما امليناها مسئلة في تحقيق الفرق بين الفعل الحال والماضي والمستقبل وهذا التلخيص
الذي ذكرناه ههنا اشرح واسبغ منها وتكلمنا هناك على ما كان ابو علي الفارسي اعتمده وعول عليه من
قوله تع لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وقول الشاعر واعلم ما في اليوم والامس قبله ولكنني عن
علم ما في غد عمي ومن طريقة اخرى في اعتبار تاثير الحروف في الاحوال المختلفة واستوفينا الكلام
على هذه الشبهة فلا طايل في اعادة ذلك هاهنا والجمع بين المسئلتين يغني عنه وما التوفيق الا بالله تع
مسئلة قال رضه لا معنى لقوله تع وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ على ما قال لنا النحويون انه للتاكيد لما بينا ان
التاكيد اذا لم يفد غير ما يفيده المؤكد لم يصح وقد علمنا بقوله تع من قرآن انه من جملة القران فاي معنى
لقوله منه ونكران قال رضه والصحيح ان معنى منه اي من اجل الشان والقصة من قرآن فيحمل على الشان والقصة
ليفيد معنى اخر وقال ايضا في قوله تع قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا قال لا يجوز ان يحمل قوله
فبذلك فليفرحوا على ما تقدم من فضل الله ورحمته ولا معنى له على ما يقوله النحويون انه للتاكيد كما لا معنى
لقول قايل زيد وعمرو ولهما يريد زيدا وعمرا فالصحيح ان نقول في هذا ان معناه قل بفضل الله ومعونته الله
ورحمته لان معونة الله وفضل الله ورحمته تونث في القول فيقول بفضل الله ومعونته يفرح فيه قوله
بفضل الله الى القول اي قل بفضله ومعونته هذا القول فان بهذا القول ومعونته ورحمته يفرحون ويكون
قوله فبذلك راجعا الى الفرح بالفضل والرحمة حتى يكون فيه فائدة لكل واحد من اللفظين فايدة مسئلة رسمت
الحضرة العالية الوزيرية ادام الله سلطانها وعلى ابدا شانها ومكانها ان اذكر ما عندي في ادخال لفظة
كان في قوله تع عالما في مواضع كثيرة من القران وقالت حرس الله عزها لفظة كان اذا كانت للماضي
فكيف دخلت على ما هو ثابت في الحال ومستمر دايم وما الوجه في حسن ذلك الجواب ان المزيل للشبهة
الكلام قد تدخله الحقيقة والمجاز ويحذف بعضه وان كان مرادا ويختصر حتى يفسر ولو بسط لكان طويلا
وفي هذه الوجوه التي ذكرناه تظهر فصاحته وتقوى بلاغته وكل كلام خلا من مجاز وحذف واختصار
اقتصا بعد عن الفصاحة وخرج عن قانون البلاغة والادلة لا يجوز فيها مجاز ولا يخالف الحقيقة وهي
القاضية على الكلام والتي بناه عليها والفروع ابدا تبنى على الاصول فاذا ورد عن الله تع كلام ظاهره

يخالف

يخالف ما دلت عليه ادلة العقول وجب صرفه عن ظاهره ان كان له ظاهر وحمله على ما يوافق الادلة العقلية
ويطابقها ولهذا رجعنا في ظواهر كثيرة من كتاب الله تع اقتضى ظاهرها الاخبار والتشبيه وما لا يجوز عليه تع
ولو سلمنا تبرعا وتطوعا ان دخول كان على العلم والقدرة يقتضي ظاهرها الماضي دون المستقبل لحملنا ذلك
على ان المراد به الاحوال كلها لان الادلة العقلية تقضي على ما يطلق من الكلام ولا يقضي الكلام على الادلة
غير انا نبين ان دخول كان على العلم والقدرة لا يقتضي ظاهرها الاختصاص بالماضي دون المستقبل لان لاهل
العربية في ذلك مذهبا معروفا مشهورا لان احدهم يقول كنت العالم وما كنت الا عالما وعليما خبيرا وما كنت
الا الشجاع والا الجواد ويريدون بذلك كله الاخبار عن الاحوال كلها ماضيها وحاضرها ومستقبلها ولا
يفهم من كلامهم سوى ذلك واذا كانت هذه عبارة عما ذكرناه فصيحة بليغة والقران نزل بافصح اللغات واملحها
وابرعها وجب حمل لفظة كان اذا دخلت في كونه تع عالما وقادرا على ما ذكرناه ومما يستشهد به على ذلك قول زياد
الاعجم يرثي المغيرة بن المهلب ابي صفرة شعر مات المهلب بعد طول تعرض للقتل بين اسنة وصفايح
الا ليال حوفه براته يغشى الاسنة فوق نهد قارح فاذا مررت بقبره فاعقر به كوم المطي وكل طرف سابح
وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون اخا دم وذبائح فقال لقد هبت فذهب سبيله فلقد يكون دائما ابدا فلقد كان
فعند يكون عن كان كذلك وجايز ان يراد بلفظة كان الاحوال المستقبلة ووجه اخر وهو انه تع لما اراد ان يخبر
عن كونه عالما في الاحوال كلها لم يجز ان يقول هو عالم في الحال او في المستقبل لان ذلك لا ينبي عن كونه عالما
فيما مضى فعدل عن ذلك الى ادخال لفظة كان الدالة على الازمان الماضية كلها ومن كان عالما فيما لم يزل
من الاحوال فلا بد من كونه عالما لنفسه وذاته لان الصفات الواجبة فيما لم يزل لا تكون الا نفسية والصفات
النفسية يجب ثبوتها في الاحوال كلها الماضية والحاضرة والمستقبلة فصار دخول كان في العلم والقدرة مطابقا
للغرض وموجبا لثبوت هذه الصفة في جميع هذه الاحوال وليس كذلك لو علق العلم بالحال او المستقبل هنا
وجه جليل الموقع ووجه اخر وهو انا اذا سلمنا ان لفظة كان تخص الماضي ولا تتعداه لم يكن في ادخالها في
العلم الا انه تع عالم فيما مضى من الاحوال وهو كذلك لا محالة اللهم الا ان يدعى ان تعليقها بالماضي يقتضي نفي
كونه تع عالما في المستقبل ودليل الامر على ذلك لان هذا قول بدليل الخطاب وهو غير صحيح على ما بيناه في مواضع
من كتبنا لان تعليق الحكم بصفة او اسم لا يدل على انتفاء تلك الصفة او الاسم وبينا ان قوله في سايمة الابل
الزكوة لا يدل على العاملة والمعلوفة لا زكوة فيهما وقد يقول القايل كان زيد عندك بالامس وان كان عنده

في الحال وضربت من غلماني فلانا وان كان قد ضرب سواه فكانه تعالى اذا سلمنا هذا الاصل الذي قدمناه انه غير صحيح
اراد ان يثبت بهذا القول كونه تعالى عالما فيما لم يزل وكلنا في انه عز وجل عالم في جميع الاحوال الى الادلة
العقلية الدالة على ذلك والى اخباره تعالى عن كونه عالما في ساير الاوقات بقوله جل وهو بكل شيء عليم وما
شاكل ذلك من الالفاظ الدالة على الحال والاستقبال تاويل اية قال رضي سالت عن املاء تفسير قوله تعالى
الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من
السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار
يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار فاجبنا الى ذلك واما قوله تعالى الم تر فالمراد الم
تعلم وان كان هذا اللفظ مشتركا بين الادراك والعلم وانما اختص هنا بالعلم دون الادراك لان اضافة ازجا
السحاب وتاليفه وجميع ما ذكر في الاية الى الله تعالى مما لا يستفاد بالادراك وانما يعلم بالادلة فاما قوله تعالى
يزجي سحابا فمعناه يسوق ولا يكاد يستعمل في هذا الموضع الا في السوق الضعيف الرفيق ومنه ازجى يزجي ازجا
وزجى يزجي تزجية اذا ساق ومنه ازجاء الكسير من الابل اذا سيق سوقا رفيقا حتى يسير ومنه قوله تعالى ببضاعة
مزجاة اي مسوقة شيئا بعد شيء على ضعف وقلة قال عدي بن الرقاع : تزجي اغن كان ابرة روقه : قلم
اصاب من الدواة مدادها : وقال الاعشى الواهب المائة الهجان وعبدها : عوذا تزجي خلفها اطفالها
اراد بالعوذ الحديثة النتاج ومعنى تزجي اي تسوق اطفالها وانما سوقا رفيقا لانها تحن فتتبع اطفالها وقال
مالك بن الريب المازني الا ليت شعري هل ابيتن ليلة : بوادي الغضا ازجي القلاص النواجيا : والسحاب جمع
سحابة ولهذا قال يؤلف بينه اي بين كل سحابة واخرى ولو كان ههنا ايضا اسما للجنس لجاز لان الجنس يوصل بعضه
ببعض ويؤلف بعضه ببعض وانما لا يصح ذلك في العين الواحد فاما الركام فهو الذي جعل بعضه فوق بعض ومنه
قوله تعالى سحاب مركوم وقوله تعالى فيركمه جميعا فاما الودق فهو المطر بين ودق يدق ودقا وكل ما قطر منه ماء او
رشح فهو وادق ويقال استودقت الفرس والاتان اذا اشتهت الى الفحل واستدعت ماءه ويقال ايضا اودقت
والاتان ودبق ودوق فاذا ارادت انزال الفحل الماء فيها وخلال الشيء خروقه وفروجه وقد قرئ من خلله
بغير الف فاما قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد فاني وجدت جميع المفسرين على اختلاف عباراتهم
يذهبون على انه اراد ان في السماء جبالا من برد وفيهم من قال ما قدره قدر جبال قال يراد به مقدار جبال
من كثرته وابو مسلم بن بحر الاصبهاني خاصة انفرد في هذا الموضع بتاويل طريف وهو ان قال الجبال ما جلل الله

من

من برد وكل جسم شديد مستحجر فهو من الجبال الم تر الى قوله تعالى في خلق الامم واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين
والناس يقولون فلان مجبول على كذا ووجدت ابا بكر محمد بن الحسن بن مقسم النحوي يقول في كتابه المعروف بالانوار
واما من الاولى والثانية فمعنى هذا التنزيل ونسبته الى الموضع الذي نزل منه كما تقول جئتك من كذا ومن بلد
كذا واما الثالثة فمعناه التفسير والتمييز لان الجبال تكون انواعا في ملك الله تعالى فجاءت من لتمييز البرد من غيره
وتفسير معنى الجبال التي انزل منها وقد يصلح في مثل هذا الموضع من الكلام ان يقال من جبال فيها برد بغير من
بترجم برد من جبال لانها مخلوقة من برد كما يقال الحيوان من لحم ودم والحيوان لحم ودم بمن وبغير من ووجدت
علي بن عيسى الرماني يقول في تفسيره ان معنى من الاولى لابتداء الغاية لان السماء ابتداء الانزال والثانية منه
للتبعيض لان البرد بعض الجبال التي في السماء والثالثة لتبيين الجنس لان جنس الجبال جنس البرد وهذه التفاسير
على اختلافها غير شافية ولا كافية وانا ابين ما فيها من خلل ثم اذكر ما عندي انه الصحيح اما من جعل في السماء جبالا
بردا وما مقداره مقدار الجبال على اختلاف عباراتهم فيدخل عليه ان يبقى قوله تعالى وينزل بغير مفعول ما
يتعلق به لان تقدير الكلام على هذه التفاسير وينزل من جبال برد في السماء فاي الشيء الذي انزل فما تراه في
الاية مذكورا والكلام كله خال منه على هذا التاويل فاما ابو مسلم فيلزمه هذا الكلام بعينه ويلزمه زيادة
عليه انه جعل الجبال اسما للبرد نفسه من حيث كان مجبولا مستحجرا وهذا غلط لان الجبال وان كانت في الاصل
مشتقة من الجبل والجمع فقد صارت اسما لذي هيئة مخصوصة ولهذا لا يسمي احد من اهل اللغة كل جسم ضم
بعضه الى بعض مع استحجار او غير استحجار بانه جبل ولا يخبرون بهذا اللفظ الا اجساما مخصوصة وليس يمتنع
في اللغة هذا لان اسم الدابة وان كان مشتقا في الاصل من الدبيب فقد صار اسما لبعض ما دب ولا
يعم كل ما وقع منه الدبيب وليس يعترض على هذه التاويلات التي ذكرناها ما يظنه بعض الناس من انه لا
يجوز ان يكون في السماء جبال برد او ما مقداره قدر الجبال من البرد لان ذلك غير ممتنع ولا مستحيل فان قالوا
كيف لا تهوي تلك الجبال من البرد قلنا يمسكها الله تعالى ويسكنها كما يمسك الارض والفلك وانما ينكر هذا
اصحاب الطبايع الذين لا يقرون بالخالق جلت عظمته فيذكرون في سبب وقوف الارض المركز وهو لا يعقل
ولو اثبتوا الصانع جلت عظمته لنسبوا سكون الارض اليه واستغنوا عن تكلف ما لا يعقل ولا يفهم والذي
في تفسير هذا الموضع ان تكون من الاولى والثانية لابتداء الغاية والثالثة زايدة لا حكم لها ويكون تقدير
الكلام وينزل من جبال في السماء بردا فزاد من كما تزاد في قولهم ما في الدار من احد وكم اعطيتك من درهم

وما لك عندي من حق وما اشبه ذلك وعلامة زيادتها في هذه المواضع انك اذا اخرجتها والغيتها كان الكلام

مستقلا لا يتغير معناه وجرى قوله تع وينزل من السما من جبال فيها من برد مجرى قول القايل كم حملت لك من

الكوفة من سوقها من ثوب والمعنى كم حملت لك من سوق الكوفة ثوبا والاولى ان يريد بلفظة السما هنا ما علا

من الغيم وارتفع فصار سما لنا لان سما البيت وسماوته ما ارتفع منه ولان السحاب لا يكون في السما التي هي

الفلك للكواكب وانما هو تحته واراد بالجبال التشبيه لان السحاب المتراكب المتراكم تشبهه العرب بالجبال و

الجمال وهذا شايع في كلامها كانه تع قال وينزل من السحاب الذي يشبه الجبال في تراكمه فقد ظهر على هذا التاويل

مفعول صحيح لينزل ولا مفعول لهذا الفعل على التاويلات المتقدمة فان قيل اذا جاز ان تجعلوا من الاخيرة

زايدة حتى يكون المنزل هو البرد فالا جعلتم من الثانية هي الزايدة ويكون تقدير الكلام وينزل من السما جبالا

من برد قلنا ليس يشبه البرد في نزوله الجبال على وجه ولا سبب والسحاب المتراكم يشبه الجبال وقد جرت عادة

العرب بتشبيهه بها فيجب ان تكون الثانية غير زايدة لما ذكرناه وتكون الاخيرة زايدة والاشيا بلا مفعول و

لانه تع قال فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء وهذه كناية عن البرد لا الجبال لانه لو كنى عنها لقال فيصيب

بها ولان الجبال على التاويلات التي حكيناها كلها منزل منها لا منزلة فان قيل الا كان المفعول محذوفا

مقدرا وكانه قال وينزل من جبال برد في السما بردا او الكلام يقتضيه قلنا انما نقدر مفعولا محذوفا

في الموضع الذي لا نجد فيه مفعولا ظاهرا وقد بينا ان في الاية مفعولا ظاهرا فيجب صرف الكلام اليه على انه لا

من مفعول الا ظاهرا وهو الذي اشرنا اليه ومحذوفا على ما تضمنه السوال لا سيما وفي الكلام كناية عنه في قوله

به من يشا ويصرفه عمن يشاء وما رايت احدا من المفسرين لهذه الاية على اختلافهم وذكر اكثرهم كلما تقتضيه

وجوه الاعراب في ايات القران تعرض لذكر المفعول ولا قال انه ظاهر ولا مقدر محذوف يدل الكلام عليه

وهذا على كل حال تقصير ظاهر فاما قوله تع يصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشا فالمراد به فيصيب بضرره من

يشاء ويصرفه ضرره عمن يشاء فان العادة جارية بان البرد يصيب ارضا ويتعدى ما يجاورها ويلاصقها

فاما قوله تع يكاد سنا برقه يذهب بالابصار فسنا البرق ضوءه وهو مقصور وسنا المجد والشرف ممدود

والهاء في برقه راجعة الى البرد او السحاب فقد جرى ذكر كل واحد منهما ويجوز اضافة البرق اليهما فاما قوله

يذهب بالابصار وقد قرئ يذهب بضم اليا فالمراد به ان البرق من شدة ضوئه يكاد يذهب بالعيون لان النظر

الحها له شعاع شديد يضر بالعين كعين الشمس وما اشبهها والقراءة بفتح اليا اجود مع دخول الباء تقول

البر

العرب ذهبت بالشيء فاذا ادخلوا الالف اسقطوا الباء فقالوا اذهبت الشيء بغيرها واما قوله يقلب الله الليل

والنهار فانما اراد انه ياتي بكل واحد منهما بدلا من صاحبه ومعاقبا له لما في ذلك من المصلحة والمنفعة فاما

قوله تع ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار فانما اراد بالعبرة العظة والاعتبار وروي عن الحسن انه قال

انما اراد ذوي ابصار القلوب لا العيون لان العين لا تضاف اليها العبرة والعظة وقال الكلبي لاولي الابصار

في الدين ورد قوم على الكلبي بان قالوا لو اراد ذلك لقال لاولي البصائر لان الذي في فيه بصيرة لا بصر و

الاولى ان يكون المراد بالابصار ها هنا العيون لان بالعيون ترى هذه العجايب التي عددها الله تع ثم

يكون الاعتبار والعظة في القلب بها ويكون من لا موعظة له ولا اعتبار كانه لا بصر له من حيث لم ينتفع

ببصره فيجعل اولي الابصار هم اولي الاعتبار من حيث انتفع اولو الاعتبار لم ينتفع بها من لا اعتبار عنده

وهذا كثير في القران فانه تع جعل الكفار في مواضع كثيرة صما وبكما وعميا من حيث شبهوا باعراضهم عن

الفكر والتامل والاعتبار من لا جوارح له وهذا بين لمن تامله مسئلة اعلم ان من عادة العرب الايجاز و

الاختصار والحذف طلبا لتقصير الكلام واطراح فضوله والاستغنا بقليله عن كثيره ويعدون ذلك فصاحة و

بلاغة وفي القران من هذه الحذوف والاستغناء بالقليل من الكلام عن الكثير مواضع كثيرة نزلت من الحسن

في اعلى منازله ولو اوردنا ما في القران من الحذوف العزيزة والاختصار الحسن العجيب لكنا بالكان واحتجنا في

ذلك قوله تع ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى ولم يات للو جواب في

صريح الكلام وانما اراد لو ان قرانا سيرت به الجبال لكان هذا ومثل هذا الحذف ما روي عن النبي من قوله

لو كتب هذا القران في اهاب وطرح في النار ما احرقته النار والمراد وكانت النار مما لا يحرق جسما لجلالة قدره

ما احرقته فحذف ذلك اختصارا لدلالة الكلام عليه ومثل هذا قوله تع انا عرضنا الامانة على السموات و

الارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا وتقديره ان السموات

والارض والجبال لو كن مما يابي ويشفق وعرضت عليهن الامانة لابين واشفقن وجعل المعلوم بمنزلة الواقع فيما

عرضنا من حيث علم ان ذلك المشروط لو وقع شرطه لحصل هو وهذا التاويل الذي استخرجناه اولى مما ذكره

المفسرون من انه تع اراد عرضنا الامانة على اهل السموات والارض لان اهل السموات والارض هم الناس والملائكة

فاي معنى لقوله وحملها الانسان وهو يريد الجنس ومثله قول الشاعر امتلا الحوض وقال قطني والمعنى امتلا حتى

لو كان ممن يقول لقال ذلك وهذا اولى في نفسي من تفسيرهم هذا البيت بانه ظهرت منه امارات القول والنطق و

وهذا الذي اشرنا اليه هو معنى كل ما جرى مجرى هذا البيت من قول الشاعر وا جهشت للتوباد حين رايته وكبر للرحمن حين راني
فقلت له اين الذين عهدتهم بجنبك في خفض وطيب زمان فقال مضوا واستودعوني بلادهم ومن ذا الذي يبقى
على الحدثان ومن المحذوف ايضا قوله تع حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم
طبتم فادخلوها خالدين ولم يات لاذا جواب في طول الكلام وانما حسن حذف الجواب الذي هو فدخلوها
لورود ما يقوم مقامه ويدل عليه من قوله تع وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وذلك لا يكون الا بعد
الدخول ومثل ذلك قول امرء القيس فلو انها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط انفسا فحذف جواب لو
الجزم ولكان ذلك اروح لها واخف عليها ومثله قول الهذلي حتى اذا اسلكوهم في قتائدة شلا كما تطرد
الجمالة الشردا ومثل هذا في الحذف كله انما التمني كنا لو اعطيته وظاهر هذا الكلام كانه مشروط وكانه قال
اتمني اتمناه انا اعطيته والامر بالضد من ذلك والمعنى لو اعطيته لبلغت مناي ولنفعني وما اشبه ذلك المعنى
والشعر القديم والمحدث مملو من ذلك قال البحتري ولو شئت يوم الجزع بل غليله محب بوصل منك لو نفع
الوصل وانما اراد لو ينفع الوصل لنفعني وبلغني منيتي وما اشبه ذلك ومثله قوله وتعجب من لو عني فنبتسمت
عن واضحات لو لثمن عذاب وانت اذا تاملت ضروب المجاز التي يتصرف فيها اهل اللسان في منظومهم و
منثورهم وجدتها كلها مبنية على الحذف والاختصار ولان قوله تع وجاء ربك واسئل القرية مما
الحذف فيه ظاهر وانما كان الكلام ابلغ وافصح لان كلامهم قلل بحذف بعضه ومعانيه بحالها وكذلك قولهم
في المدح فلان البدر والبحر والليث وفي الذم هو الحمار والحائط انما هو مبني على الحذف لان المراد هو
مشبه ومماثل لما ذكر فاسقط من الكلام ما يقتضي التشبيه لدلالة القول عليه فان قيل فاذا كانت الفصاحة
هي الاختصار فكيف قال تع ليس كمثله شيء فزاد الكاف ولا معنى لها الا الفصاحة فقد صارت الفصاحة
بالزيادة كما كانت بالنقصان قلنا دخول الكاف ههنا ليست على سبيل الزيادة التي لو طرحت لما تغير
المعنى بل يفيد بدخولها ما لا يستفاد مع خروجها لانه اذا قال ليس مثله شيء جاز ان يراد من بعض الوجوه
وعلى بعض الاحوال فاذا دخلت الكاف فهم نفي المثل على كل وجه الا ترى انه لا يحسن ان يق ليس كمثله
احد فينا بل على الاطلاق والعموم وبمثل هذا الجواب يجيب من يسئل عن قولهم ما ان في الدار زيد
لانه لو قال ما في الدار زيد لجاز ان يكون نفيه لكونه فيها على وجه دون وجه فاذا قال ما ان فيفهم نفي
كونه على كل حال وهذا يدل على انها مفيدة غير زائدة ومن قال انها دخلت للتوكيد يجب ان

يكون مراده ما قصدناه وشرحناه لان التوكيد متى لم يكن تحته فائدة كان دخوله عبثا و
هذا الكلام الذي بسطناه في تامله فوائد كثيرة وكان السبب فيه ان بعض من قرء
عليه كلام حكاه في وصف كتابين ووجدت فيهما من التغلغل والتوصل الى
مكامن الارتجاف ومغابن الاسعاف لا تطرق فجاجها ولا يفتح رتاجها ولا
يهتدي لشعابها ولا يلم بابوابها واطال الكلام ولم يرجع الى قوله من التغلغل بلد
وهذا من الحذف الذي حسنه طول الكلام ودلالة ما فيه على المحذوف لان التقدير
ووجدت فيه من التغلغل الكثير فاستغنى عن ذكره بالمفهوم من الكلام كما استغنى بالحذف
التي ذكرناها في القران والشعر بما في معنى الكلام وعد ذلك فصاحة وبلاغة وكونه
ان يفهم المعنى ويلحظ من غير لفظ صريح وبين ان ياتي فيه لفظ مصرح في البلاغة
والفصاحة وقد كنت امليت قديما مسئلة اوضحت فيها ان التاكيد لا بد فيه من
فائدة وخطات من ذهب الى خلاف ذلك وبينت ان كل موضع ادعى فيه انه للتاكيد
من غير فائدة مجددة لانه تعالى اراد متابا جميلا فيه فائدة مفهومة وان قوله تعالى فانه
يتوب الى الله متابا ما ورد هذا المصدر للتاكيد على ما يقوله قوم بل لفائدة مجددة
لانه تعالى اراد متابا جميلا مقبولا واقعا في موقعه فحذف ذلك اختصارا كما يقول
العربي الفصيح في الشعر المستحسن هذا هو الشعر والفرس الممدوح هذا هو الفرس و
انما حذف الصفة اختصارا والمراد هذا هو الشعر المستحسن والفرس الكريم ومثله قوله تعالى
وكلم الله موسى تكليما انه اراد الفضل والمدح وقال قوم بل سمع كلامه من غير واسطة ولا
متحمل له فاما قول القائل ضربته ضربا وما اشبه ذلك من ذكر المصادر مع الافعال وفي ذكر
الافعال من غير ذكر المصادر لدلالتها عليها فله وجهان احدهما ان يكون نفي صفة الضرب
اختصارا واراد ضربا شديدا مبرحا فحذف او يكون اراد انه باشر الضرب وتولاه لا
انه امر به فقد يقال ضربه اذا امر بضربه ولا يكادون يقولون ضربه ضربا اذا امر بضربه
ولم يباشره فاما قول العرب لامر ما جدع قصير انفه وقولهم لامر ما يسود من يسود

دعاء من ادعى ان ما ههنا زايدة لا معنى تحتها وانما دخلت للتاكيد فالاولى غير ما ذكره
ومعنى قولهم لا مرما كان كذا انه لا مر لست به عارفا لانهم لا يكادون يقولون لا مر ما كان
كذا وكذا وانا به عارف وان جاز ان يقولوا لا مر كان كذا وانا به عارف وانما قالت
الزباء لا مر ما جدع قصير انفه لانها كانت جاهلة بسبب قطع انفه وغير عالمة به و
هذا يبطل قول من جعلها زايدة بحصول بغير فايدة فاما قوله تع فبما رحمة من الله
لنت لهم وتقدير قوم ان ما ها هنا زايدة فليس الامر على ما ظنوه لان من شانهم ان
لا يدخلوا ما ههنا الا اذا ارادوا الاختصاص وزيادة فايدة على قولهم فبرحمة من
الله لنت لهم لان مع اسقاط ما يجوز ان تكون الرحمة سببا للين وغيرها ولا يكادون
يدخلونها مع ما الا والمراد انها سببه دون غيرها فقد افادت اختصاصا لم يستفد
قبل دخولها فاما قولهم ما ان في الدار زيد فيشبه ان يكون دخولها لفايدة تزيد على قولهم
ما في الدار زيد لانهم اذا قالوا ما في الدار زيد جاز ان يريدوا انه لا تصرف له في الدار
ولا تاثير لكونه فيها فكانه ليس فيها لانهم ابدا يقولون ما في هذه البلدة امير ولا لهذا الناس
ملك يريدون على السيا والتدبير فاذا قالوا ما ان في الدار زيد وما ان للبلد امير فلا بد ان
يريد وانه ليس فيها على الحقيقة ما ذكروه وهذا هو معنى قول اهل العربية ان ذلك للتاكيد ومعنى
التاكيد هو الذي اشرنا اليه لان التاكيد لا يجوز ان يكون لغير فايدة وان يكون دخوله كخروجه وجرى على
ما ذكرناه امثلته ولبطالب لكل شيء ادعي انه لمحض التاكيد فايدة قلت او كثرت فانما توجد ليس بجهل
الطالب لها بها يقتضي فقدها فان الادلة الواضحة قد دلت على ان العرب مع حكمتهم لا يتكلمون بما لا يفيد
وان الكلام الذي ما وضع في الاصل الا لفايدة فليلة في وجوب الفايدة ككثيره فربما ظهرت مدة الفايدة
لكل متدبر وربما خفيت واصول اهل العربية مملوة من هذا فانهم يتحملون ويتطلبون العوامل التي لا تظهر
في تمام الكلام ويقدرون فيها التقديرات البعيدة حراسة للاصول ونصرة لما دل عليه الدليل ومن
تصفح تحملهم للعامل في الحال اذا عري الكلام كله من تصريح بتعلقها الى ضعيف وقوي وقريب وبعيد علم ان الذي سلكناه
في تخريج هذه الحروف الزايدة الداخلة على الكلام وظن قوم انها للتاكيد من غير فايدة زايدة طريق صحيح لا اعتراض عليه

مسئلة

مسئلة جرى بالحضرة السامية الوزيرية العادلية المنصورة ادام الله سلطانها واعلى ابدا
شانها ومكانها في بعض الكلام ما روي عن النبي من قوله نية المؤمن خير من عمله فقلت على ما
الخبر سوال قوي وهو ان يقال اذا كان الفعل انما يوصف بانه خير من غيره اذا كان ثوابه اكثر من
ثوابه فكيف يجوز ان تكون النية خيرا من العمل ومعلوم ان النية اخفض ثوابا من العمل وانه لا
لا يجوز ان يلحق ثواب النية بثواب العمل ولهذا قال ابو هاشم ان العزم لا بد ان يكون دون المعزوم
عليه في ثواب وعقاب ورد على ابي علي قوله ان العزم على الكفر لا بد ان يكون كفرا والعزم على
الكبير يجب ان يكون كبيرا بان قال له لا يجب ان يساوي العزم والمعزوم عليه في ثواب ولا عقاب
فان كان ههنا دليل سمعي يدل على ان العزم على الكفر كفر والعزم على الكبير كبير صرنا اليه الا
انه لا بد مع ذلك من ان يكون عقاب العزم دون عقاب المعزوم عليه وان اجتمعا في الكفر و
الكبير ووقع بالحضرة السامية العادلة المنصورة ادام الله سلطانها من التقرير لذلك و
الخوض فيه كل دقيق غريب مستفاد وهذه عادتها حرسها الله بنعمتها في كل فن من فنون
العلم والادب لانها تنتهي من التحقيق والتدقيق الى غاية من لا يحسن الا ذلك الفن ولا يعرف
الا ذلك النوع وقال بعض من حضر قد قيل في تاويل هذا الخبر وجهان حسنان فقلت له اذكرهما
فربما كان الذي عندي فيه مما استخرجته احدهما فقال يجوز ان يكون المعنى ان نية المؤمن خير
من عمله العاري من نية فقلت لفظة افعل لا يدخل الا بين شيئين قد اشتركا في الصفة وزاد
احدهما فيها على الاخر ولهذا لا يقولون ان العسل احلى من الخل ولا ان النبي افضل من ابليس و
العمل اذا عري من نية لا خير فيه ولا ثواب عليه فكيف تفضل النية الجميلة عليه وفيها خير وثواب على
كل حال قال والوجه الاخر ان يكون نية المؤمن في الجميل خير من عمله الذي هو معصية فقلت وهذا
يبطل ايضا بما بطل به الوجه الاول لان المعصية لا خير فيها فيفضل غيرها عليها فيه وقالت الحضرة
السامية العادلة المنصورة ادام الله دولتها تحقيقا لذلك وتصديقا هو لنية المؤمن والكلام
موضوع على مدحها واطرائها واي فضل في ان تكون خيرا من المعاصي وانما الفضل ان تكون خيرا
مما فيه خير فسالت حينئذ ذكر الوجه الذي عنده فقلت لا تحمل لفظة خير في الخبر على معنى افعل
الذي هو للتفضيل والترجيح وقد سقطت الشبهة ويكون معنى الكلام ان نية المؤمن جملة الخير من

اعمال حتى لا يعتقد معتقد ان النية لا يدخلها الخير والشر كما يدخل ذلك في الاعمال فاستحسن هذا
الوجه الذي لا يخرج الى التعسف والتكلف اللذين يحتاج اليهما اذا جعلنا لفظة خير معناها معنى
افعل وانقطع الكلام لدخول الوقت لسعيد الحناد لدخول البلد ونهوض الحضرة السامية ادام
الله سلطانها للركوب وكان في نفسي ان اذكر شواهد لهذا الوجه ولواحق يقتضيها الكلام وخطر
بعد ذلك ببالي وجهان سليمان من الطعن اذا حملنا لفظة خير في الخبر على الترجيح والتفضيل وانا اذكر
ذلك اما شاهد ما استخرجته من التاويل من حمل لفظة خير على غير معنى التفضيل والترجيح فكثير وقد
ذكرت في كتابي المعروف بالغرر عند كلامي في قوله تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة
اعمى واضل سبيلا من الكلام على هذا الوجه ما استوفيته وذكرت قول المتنبي شعر
ابعد بعدت بياضا لا بياض له ⁝ لانت اسود في عيني من الظلم ⁝ وان
الالوان لا يتعجب منها بلفظ افعل الموضوع للمبالغة وكذلك الخلق كلها وانما يقال اشد سواده و
ان معنى البيت ما ذكره ابو الفتح عثمن بن جني من انه اراد انك اسود من جملة الظلم كما يقال حر من
احرار ولئيم من لئام فيكون الكلام قد تم عند قوله لانت اسود ولو اراد المبالغة لما كان تماما الا عند
صلة الكلام بقوله من الظلم واستشهد ابن جني ايضا على صحة هذا التاويل بقول الشاعر
وابيض من ماء الحديد كانه ⁝ شهاب بدا والليل داج كواكبه ⁝ كانه قال وابيض كائن من ماء الحديد
وقلت انا قول الشاعر يا ليتني مثلك في البياض ⁝ ابيض من اخت بني اباض ⁝ يمكن حمله على ما
حملنا عليه بيت المتنبي كانه قال ابيض من جملة اخت بني اباض ومن عشيرتها وقومها ولم يرد المبالغة و
التفضيل وهو احسن من قول ابي العباس المبرد لما انشد هذا البيت وضاق ذرعا بتاويله على ما
يطابق الاصول الصحيحة ان ذلك محمول على الشذوذ والندور فان قيل كيف تكون نية المؤمن
من جملة اعماله على هذا التاويل والنية لا تسمى عملا في العرف وانما تسمى بالاعمال افعال الجوارح و
لهذا لا يقولون عملت بقلبي كما يقولون عملت بيدي ولا يصفون افعال الله تعالى بانها اعمال
وان قل استعمال ذلك فيها الا ترى انهم لا يكادون يقولون فعلت بقلبي كما يقولون فعلت
بجوارحي وان كانت افعال القلوب تستحق التسمية بالفعل حقيقة بلا خلاف وانما لا تسمى افعال
الله تعالى بانها اعمال لان هذه اللفظة تختص بالفعل الواقع عن قدرة والقديم تعالى قادر لنفسه كما

لانفه

عساكر

لا نصفه تعالى بانه مكتسب لاختصاص هذه اللفظة بمن فعل لجر نفع او دفع ضرر ولو سلمنا
ان اسم العمل يختص بافعال الجوارح جاز ان يطلق ذلك على النية مجازا واستعارة فباب
التجوز اوسع من ذلك واما الوجهان اللذان خطرا لي اذا قدرنا ان لفظة خير في الخبر محمولة
على المفاضلة فاحدهما ان يكون المراد نية المؤمن مع عمله خير من عمله العاري من نية وهذا
مما لا اشتباه انه كذلك والوجه الثاني ان يريد نية المؤمن لبعض اعماله قد تكون خيرا من عمل آخر
له لا تتناوله هذه النية وهذا صحيح لان النية لا يجوز ان تكون خيرا من عملها نفسها وغير منكر ان
تكون نية بعض الاعمال الشاقة العظيمة الثواب افضل من عمل آخر ثوابه دون ثوابها حتى لا يظن ظان
ان ثواب النية لا يجوز ان يساوي او يزيد على ثواب بعض الاعمال وهذان الوجهان فيهما على
كل حال ترك لظاهر الخبر لادخال زيادة ليست في الظاهر وفي التاويل الاول اذا حملنا لفظة خير على
خلاف المبالغة والتفضيل مطابق للظاهر وغير محتاج لغيره وفي هذا كفاية بمشية الله مسئلة
سئل بعض الاخوان وقد خطر بباله عند قراءة شيء من اخبار الائمة وادعية السادة عليهم السلم
من ذكر اسم الله تعالى الاعظم وما خص به من الفضيلة دون ساير اسماء الله تعالى وما اعطى من دعا
به من سرعة الاجابة مثل اصف بن برخيا وصي سليمن ومجيئه بعرش بلقيس من سبا اليمن الى
بيت المقدس في اقل من طرف العين وما نقله الانبياء والائمة والصالحون من المعجزات وعن
قول الائمة عليهم السلام في ادعيتهم اللهم اني اسئلك باسمك الاعظم وغيره من قال الاعظم ومن
زاد على ذلك ومنهم من قال الاكبر الاكبر وقال هل ترى ان الاعظم غير الاكبر والاعظم الاعظم غير
الاعظم مرة واحدة واذا قلنا الاعظم يجب ان يكون ثم الطف واذا قلنا اكبر يجب ان يكون ثم اصغر والله
يتعالى من ان يكون له اسم الطف من اسم او اصغر اذ كانت اسماؤه تعالى لا تذكر الا على معنى واحد ولا
يشار بها الا اليه وقد نطق القرآن بنبإ وبها في المنزل وهي قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن
اياما تدعو فله الاسماء الحسنى وقال الله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وخير الله تعالى نبيه في ان
يدعو بايها شاء وذكر انها كلها حسنى فلم خص الائمة احدها بالتعظيم دون سايرها والمقصود بها
والمراد منها واحد تبارك وتعالى فان قيل لان فيها ما يشارك فيه المخلوقون مثل كريم ورحيم وعالم
وحاكم وغير ذلك فلهذا كانت رتبة بعضها في التعظيم اقل من ذلك قال والجواب عن ذلك انه

قد بقي منها عدة اسما لا يشاركه فيها احد من المخلوقين ولا يستحقها سواه مثل الله والرب وسبوح و
قدوس وما اشبه ذلك مما لا يوصف بها غيره ولا يليق الا به عز وجل فلم اختص الاسم الاعظم
باحد هذه دون الاخر ام هل الاسم الاعظم او الاكبر شي غير هذه الاسما المتعارفة بين العوام

مسئلة وسئل عن الاول من الاخوان عن قول الله تعالى في سورة يس لتنذر قوما ما انذر
اباؤهم فهم غافلون قال اذا كان اباؤهم لم ينذروا فباي شي يحتج عليهم وكيف يعاقبهم على عبادة
الاصنام وقد قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فكيف يصح ان تخلو امة من الامم من نذير مع
قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وقد علم انهم كانوا امما لا يحصيها كثرة غيره تعالى
وقرى كثيرة فكيف هذا واي شي المراد به ومعلوم ان كلامه تعالى لا يتناقض قال فان قال ان
ما التي في الاية المتقدمة ليست للنفي بل هي للاثبات والمعنى فيها مثل ما انذر اباؤهم او زايدة لان
الكلام يتم من دونها لتنذر قوما انذر اباؤهم قال والجواب عن ذلك ان هذا تاويل يفسد من
قبل ان المعلوم الذي لا شك فيه ولا اشكال ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد عيسى عليه السلام الا
المبعوث على فترة من الرسل صلى الله عليه وآله ولاجل ذلك وصفهم بالغفلة لما لم ينذر اباؤهم فثبت
بهذا ان ما التي في الاية المتقدمة للنفي دون الاثبات وان الاخذ بالمعلوم اولى من المظنون
قال فان قيل ان عيسى قد كان بعث اليهم وشاعت شريعته فيهم وانتشرت كلمته وسار الحواريون
بدعوته شرقا وغربا وسهلا وجبلا قال فالجواب عن ذلك اذا سلمنا ان عيسى عليه السلم بعث اليهم
فان الفترة انما كانت بينه وبين محمد صلى الله عليه وآله وسلم وان الحواريين لم يمكثوا بعده
الا قليلا وان الاباء المذكورين بانهم لم ينذروا هم الادنون دون الابعدين ولقايل ان
يقول ان عيسى لم يبعث الا الى بني اسرائيل خاصة دون العرب وبذلك نطق القران
فله ان يقول ان الاباء الابعدين والادنين في الاية سواء والذي يويد ذلك قوله تعالى قد جاءكم رسولنا
يبين لكم على فترة من الرسل الاية الى اخرها وقد صح بالجملة والتفصيل ان الاباء لم ينذروا
وان ما للنفي في موضعها من الاية دون الاثبات فكيف القول في الحجة عليهم ولا تحتج
بان العقل هو الحجة عليهم دون الانذار والرسل لان العقل حجة على من انذر وعلى من لم ينذر
وعليه معول الفلاسفة في الاستغنا عن الرسل والانبيا عليهم السلام **والجواب**

عن المسئلة الاولى ان الاولى والاشبه ان يكون اسم تعالى الاعظم خارجا عن هذه الاسماء
والصفات التي في ايدي الناس يناجون الله تعالى بها ويدعونه ويسئلونه لان ذلك الاسم لو
كان من جملتها وقد اجمعوا على ان الله تعالى لم يسئل به شيا الا اعطاه لكان يجب في كل داع
لهذه الاسما والصفات اذا كان الاسم من جملتها ان يجاب دعوته وتنجح مسئلته وقد علمنا
خلاف ذلك وان اكثر الداعين لهذه الاسما المسطورة غير مجابين فعلمنا ان الاعظم ليس من
جملتها فاذا قيل لنا فلم خص الله تعالى بهذا الاسم قوما دون قوم ولم يجره مجرى ساير اسمائه فالجواب
ان ذلك تابع للمصلحة واذا كان المعلوم ان كل سايل بذلك الاسم مجاب لا محالة فمن علم ان في
اجابته مفسدة لا يجوز ان يمكن من ذلك الاسم فاذا قيل فينبغي لمن يسئله تعالى وقال المحق اسئلك
الاعظم اعطني كذا ان يجاب لا محالة وقد علمنا خلاف ذلك فالجواب انه غير ممتنع ان تكون الاجابة
انما تكون واجبة عند التصريح والتلفظ بذلك الاسم دون الكناية عنه فاما تسميته بانه اعظم وان
ذلك يقتضي ان يكون من اسمائه ما ليس باعظم فالجواب عنه من وجهين احدهما ان تكون لفظة افعل
هنا راجعة الى باقي اسمائه والوجه الاخر ان ترجع الى اسما وصفات غيره وبيان الوجه الاول ان معنى
اعظم هو اختصاصه بفضيلة ان الدعاء به مجاب وهذه المزية ليست في باقي الاسما فكانه اعظم منها
لاختصاصه برتبة عالية ليست لباقيها واما الوجه الثاني فيكون المعنى انه اعظم بالاضافة الى عظمة
اسمائكم وصفاتكم لانه ليس لشي من صفاتنا هذه المزية ولم تجعل هذه المزية لاجل فقد المشاركة
في المعنى فيلزم عليه الله وقديم ورحمن على ما مضى في السوال بل لان الله تعالى خص هذا الاسم بهذه
المزية لما علم من المصلحة فاما الزامنا ان يكون في اسمائه تعالى ما هو اصغر فلا يلزم على الجواب الثاني
فاذا الزمنا ذلك على الجواب الاول قلنا اذا كان قولنا اعظم بالاضافة الى اسمائه تعالى ان له
هذه المزية والرتبة فلا [illegible] انه يجب فيما ليس له هذه المزية من اسمائه ان لا يكون الاعظم
ولا يجوز ان نقول اصغر واحقر وما يجري مجرى ذلك لانه يوهم المهانة وما لا يجوز في شي من
اسمائه واما قوله تعالى ولله الاسما الحسنى فادعوه بها فانما سماها كلها الحسنى وليس يمنع
ان يكون فيما هو حسن تفاضل وتزايد وكذلك قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما
تدعوا معناه تخيير لنا بين ان ندعو باي الاسمين شئنا وما يمضي في الفاظ الدعاء من اني اسئلك

باسك الاكبر ثان واخرى بالاعظم الاشبه ان يراد باللفظتين معنى واحد واما تكرير لفظ الاعظم
فهو على سبيل التاكيد والتعظيم لا لان الاعظم مرة واحدة غير الاعظم مرتين وبالله التوفيق
والجواب عن المسئلة الثانية انه غير ممتنع عندنا ان يخلو الزمان الطويل والقصير من رسول
مبعوث بشريعة وان كان لا يخلو من امام ولهذا يقول اصحابنا ان الامامة واجبة في كل زمان وليست
كذا النبوة والوجه فيه ان ارسال الرسول تابع لما يعلمه الله من المصالح للمكلفين في الشرايع والعبادات
وغير بعيد في العقل ان يعلم تعالى انه لا شيء من الشرايع فيه مصلحة للمكلفين فلا تجب الرسالة بل
لا تحسن فاما قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله وان من امة الا خلا فيها نذير
وقوله وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون فيجوز ان يكون مخصوصا غير عام ويعنى به من الشرايع
والعبادات من الطافه فان دل دليل قاطع على عموم هذه الظواهر قطعنا لاجله على ان
الشرايع من الطاف المكلفين وان كان جايزا في العقل ان لا يكون الامر على ذلك وقد اختلف
اهل التاويل في تاويل هذه الاية فقال جماعة ان لفظة ما هيهنا للنفي والمراد ان اباءهم ما انذروا
لان المصلحة لم تقتض بعثة رسول اليهم وليس من المعلوم لنا ان عيسى كان الحجة على كل
مكلف كان بين زمانه وبين زمان نبينا عليه السلام ويقوى هذا الجواب اثبات الفترة
وانه عليه السلام بعث على فترة من الرسل وذهب قوم من اهل التاويل الى ان ما في الاية ليست
للنفي بل للاثبات والمراد لتنذر قوما ما انذر اباءهم وهذا ايضا جايز ويقوى هذا الجواب
ويضعف الاول ان قوله تعالى فهم غافلون يقتضى الذم لهم بالغفلة وذلك يقتضى انهم انذروا
فغفلوا واعرضوا ولا يذم بالغفلة من لا سبيل له الى العلم والتبيين وفي الناس من حمل قوله
تعالى ما انذر اباءهم على النفي والمراد انه لم ينذرهم من هو منهم وعلى نسبهم ومن انفسهم كما
قال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم فيكون تلخيص الكلام لتنذر قوما انت منهم ما انذر
اباءهم من هو منهم اي من قومهم ومن انفسهم ويمكن في لفظة ما وجه اخر وهو ان يراد بها التنكير
كانه قال لتنذر قوما ما وتقف ثم تبتدى فتقول انذر اباءهم فهم غافلون كما يقول القايل
اكلت طعاما ما ولقيت جماعة ما ويكون الغرض التنكير والاجمال وليست لفظة ما هاهنا
زايدة لان هذه الزايدات يكون دخولها وعدم الفايدة كخروجه وهي هيهنا مفيدة على ما بيناه

سلا

مسئلة في الاعتراض على من استدل بدليل السحارة على ان العالم ملأ وما ابطل به ذلك
اعلم اني ذكرت فيما اجاب به ابو هاشم من يقول ان العالم ملأ اذا استدل بالالة التي تسمى
السحارة على ذلك وادعى ان علة وقوف الما عن النزول من الثقب الصغار التي في اسفلها
اذا سددنا راسها هو منع الهواء لسد الراس من ان يحدث في مكان الما وقول ابي هاشم ان العلة
في وقوف الما عن السيلان اذا سددنا راس السحارة بالاصبع ان الهواء منع الما من النزول
لضعف ما يخرج من الما في الثقب الصغار فاذا فتحنا الراس دفع الهواء الما من على السحارة
فقوي الماء على النزول فوجدته غير واضح لان الما فيه اعتمادات سفلا وثقل ونفس الهواء
على مذهبنا وهو الصحيح لا اعتماد فيه البتة فكيف يمنع ما لا اعتماد فيه للجسم الذي فيه اعتماد
سفلا عن الهبوط والنزول واذا كان الهواء هو المانع من نزول الما من الثقب الصغار ومن مذهب
ابي هاشم جواز خلو الاماكن من الهواء فكان يجب ان يجوز ان يسيل الما من اسفل السحارة مع سد
اعلاها بالاصبع بان يصادف ذلك مكانا خاليا من الهواء الذي يدعي انه مانع من نزول الما فاما
تقويته لذلك بذكر الريشة وانها تقف في الهواء فلا تنزل لان الهواء يمنعها من الهبوط فاول
ما فيه ان الريش لخفته ربما ابطا نزوله فظن انه واقف وربما كان في الهواء اعتمادات مختلفة صعدا
فتمنع هذه الاعتمادات التي هي في خلاف جهة اعتمادات الريشة من النزول فاما اذا كانت الريشة
في هواء ساكن لا اعتماد فيه فان الهواء لا يجوز ان يمنعها من الهبوط ومن طرائف الامور قوله ان
الهواء اذا فتحنا راس السحارة يدافع الما ويكون سببا لنزوله من الثقب لان الهواء على مذهبنا
لا اعتمادات فيه فكيف يدافع الما ومن قال من الفلاسفة ان فيه اعتمادات صعدا ولا يليق
دفع الماء بقوله لان تلك الاعتمادات في غير جهة اعتماد الماء واي عاقل يخفى عليه ان الهواء الساكن
المعتدل لا يجوز ان يدفع الما من راس السحارة وبعد فمع القول بجواز خلو الاماكن من الهواء
والقطع على ذلك في بعض الاحوال قد كان يجب ان يجوز ان يفتح راس السحارة ولا يسيل الما
من الثقب من اسفلها لان الهواء الذي ادعى انه يدافع الماء من راسها مفقود والذي يدعيه
ابو هاشم من ان السحارة لو ملئت زيبقا وسد راسها لنزل من الثقوب الصغار وقوله انما كان
كذلك لثقل الزيبق وان الهواء الذي يليه في من تحتها الثقوب الصغار ولا يقوى على منعه من النزول

كالانية ذلك في الماء موقوف على التجربة فاما ما جربناه فنتكلم على العلة المفرقة بين الزيبق
والماء والذي يجب ان يستند في نقض الاستدلال من القائلين بذلك في الماء والسحارة
ان يقال لهم ما انكرتم ان يكون الله تعالى اجرى العادة بان يفعل في الماء السكون والوقوف مع
سد راسها فلا ينزل من اسفلها واذا فتح راسها لم يفعل ذلك السكون فيجري الماء منها من الثقوب
ليس ينبغي ان ينكر اصحابنا خاصة ان يكون هنا بالعادة ونحن كلنا نقول ان انجذاب الحديد الى حجر
المغناطيس انما هو بالعادة والا فالمغناطيس وساير الاحجار سواء وان العادة وقع الشبع عند
تناول الخبز واللحم وارتفع عند غيرهما والجنس واحد وما نقول جماعتنا انه بالعادة اكثر من ان
يحصى واذا انكر الفلاسفة الملحدون تعليقنا ذلك بالعادة لجحدهم الصانع دللناهم على الاصل
الذي لما جهلوه ضعف ما نقول في نفوسهم فبثبوته يسهل ذلك كله فاذا قيل لنا فما طريقة العادة
يجوز فيها الاختلاف فجوزوا ان تكون السحارة في بعض البلاد التي لا تتصل بنا اخبارها تسيل الماء
من اسفلها مع سد راسها ولا تسيل مع فتحها قلنا نحن نجوز ذلك ولا نمنع ان تختلف العادة فيه
كما لا نمنع ان تستمر في كل بلد وعند كل احد ولا يخرج هذا الحكم مع استمراره من ان يكون مستندا الى
العادة الا ترى ان القاطعين على العلم الضروري بمخبر الاخبار اذا كان العدد زايدا على اربعة مع
استيفاء باقي الشروط لا يجوزون ان تختلف العادات في ذلك بل يقطعون على ان العادة مستمرة
بذلك في كل موضع فاذا قيل له كيف تميز ذلك وهو مع تمامه مع الاستمرار من الوجوب فان المستند الى العادة
لا بد ان يختلف على بعض الوجوه ليفارق بذلك الاختلاف الواجب ويتميز عنه والخبر الذي يجب عنده
حصول العلم الضروري قد يقع مثله ومن جنسه مع اختلاف بعض هذه الشروط فلا يجب العلم فلو كان من باب
الايجاب لوجب العلم على كل حال وهذا بعينه قايم في السحارة لان الثقوب لو وسعت لسال الماء على كل حال و
لو كانت هناك طبيعة موجبة لوقوف الماء لم تختلف الحال على بعض الوجوه وبعد فان علة ابي هاشم
في وقوف الماء من السحارة عن السيلان وان كنا قد بينا بطلانها لا نجدها في القدح المعروف
بقدح العدل وهو قدح في وسطه برج مخروق يبلغ ارتفاعه الى قريب من اعلاه وهذا البرج نافذ
من جهة اسفله على راس هذا البرج في وسط القدح كالغشاء يحيط به من جوانبه على تجاف عنه و
هو من اعلاه مسدود ومن اسفله مفرج فاذا طرحنا في هذا القدح ماء فهو ثابت حتى يبلغ الى

محاذاة راس البرج فاذا زاد عليها ولو باليسير خرج جميع الماء من القدح بان يصعد من اسفل
القدح الى راس البرج حتى ينزل جميعه واصحاب الملاء يدعون ان العلة في صعود الماء
الى فوق راس ذلك هو اضطرار الخلاء وحتى لا يخلو مكان من متمكن فيه فاما العلة في صعود
الماء ثم هبوطه على مذهب ابي هاشم وما يعلل في السحارة لا يتاتى ههنا وليس بعد ذلك
الا اسناده الى العادة وجريها والله ولي التوفيق مسئلة سئل رضه عن الفرق بين
الالثغ والاليغ فقال الالثغ الذي تكون في لسانه ردة في حرف بعينه كالطاء والسين وما
اشبههما من الحروف والاليغ الذي تكون في لسانه في ساير الحروف ردة مسئلة سئل رضه
عن قول النبي ص اعلمكم بنفسه اعلمكم بربه ما معناه فقال معنى هذا الخبر ان احدنا اذا كان
عالما باحوال من جعله على هذه الصفات وصير له هذه الاحوال والاحكام لان من علم الفرع
لا بد ان يكون عالما باصله الذي يستند اليه ويتفرع عليه واذا دخل التزايد في العلم وكان
بالفرع اعلم فهو بالاصل اعلم وشرح هذه الجملة ان من علم نفسه انه محدث مصنوع مخلوق
مربوب قادر حي عالم فلا بد من ان يكون عالما بمن جعله على هذه الصفات وصير له هذه الاحوال
والاحكام ولولاه جل اسمه لم يكن على شيء منها فالتزايد والتفاضل في احد الامرين يقتضي التزايد و
التفاضل في الاخر ولا يلزم على هذه الجملة ان احدنا قد يعلم نفسه موجودا وان لم يكن بالله تعالى عالما و
هو جل وعز الذي اوجده ولولاه لم يكن موجودا الا ترى ان الدهرية يعلمون العالم وما فيه موجودا وان
لم يعلموا ان له موجدا وكذلك قد يعلم احدنا كونه قادرا وعالما وحيا وان لم يعلم من جعله على هذه
الاحوال وذلك انا اذا ادخلنا لفظة افعل فقلنا من كان اعلم بنفسه كان اعلم بربه ومن علم نفسه
موجودا ولم يعلم موجده وخالقه ليس باعلم بنفسه وان قيل هو عالم ولفظة المبالغة تقتضي انه لا
يمتنع فيمن علم قطعة من النحو ان نقول انه عالم بالنحو الا اذا كان مستوليا على جميع علومه لا يند عليه
شيء منها وليس يمتنع ان نعكس لفظ هذا الخبر فنقول اعلمكم بربه اعلمكم بنفسه لانه من كان بالله
اعلم فلا بد من ان يكون عالما بانه خالقنا ورازقنا ومحيينا ومميتنا والجاعل لنا على هذه الاحوال
والصفات من حيث تعلق كل واحد من الامرين بصاحبه جاز ان يجعل كل واحد من الامرين
تارة فرعا وتارة اصلا مسئلة وسئل رضه عن قول الله تعالى ومن اياته خلق السموات

واختلاف السنتكم والوانكم وهل يوجب قوله واختلاف السنتكم ان يكون كلامنا على ظاهره الا
خلقا له تعالى فقال في هذه الشبهة ثلثة اجوبة منها ان معنى اختلاف السنتكم اى اختلاف
لغاتكم في البيان والاشكال ومنها اختلاف مخارج من السنتكم كلثغ الالثغ والالبغ والارت
والتمتام ونحوهم ومنها اختلاف السنتكم في خلقها واشكالها وصيغها كالطويل منها والقصير و
العريض والدقيق والله تعالى الموفق للصواب مسئلة قال رضه قد طعن من لا تامل له على الا
على ان الافعال الظاهرة فينا من قيام وقعود واكل وشرب وما جرى مجرى ذلك متعلقة بنا و
حادثة من جهتنا بوجوب وقوعها بحسب قصودنا واحوالنا ودواعينا بان قال كيف يجوز ان تدعو
العلم الضرورى بوجوب وقوع افعالكم بحسب احوالكم وانما تشيرون بالوقوع الى الحدث واذا كان
حدوث هذه الافعال لا يعلم ضرورة وانما يعلم بدقيق الاستدلال والنظر فكيف يجوز ان تعلموا
حكم الذات ضرورة وانتم تعلمون تلك الذات بدليل والعلم بالذات اصل للعلم بالاحكام ولا
يجوز ان يكون العلم بالاصل مستدلا عليه والعلم بالفرع ضروريا والجواب عن ذلك ان الوجوب او
الجواز حكم للاحوال الموجبة غير الافعال التى هى حادثة ونحن نعلم كون الجسم متنقلا وكاينا فى جهة
من الجهات ضرورة وان كنا لا نعلم الكون الذى فيه الا بالدلالة والوجوب حكم لكونه كاينا وليس بحكم
للكون الذى هو الذات فيها علمنا على هذا التقرير الاصل والفرع الا ضرورة وهذان العلمان منفصلان
عن العلم بالذات الذى يحتاج فيه الى الدلالة الا ترى ان الشيوخ نصوا فى كتبهم على ان المدرك منا
للجوهر يعلم ضرورة عند الادراك كونه متحيزا او كونه فى جهة مخصوصة وكونه موجودا ونصوا على ان
هذه العلوم ضرورية وواقعة عند الادراك وان كان الادراك لا يتناول الا كونه متحيزا دون
ما عدا هذه الصفة فكيف يشكل هذا الذى ذكرناه ومعلوم ان نفاة الاعراض من الموحدين و
الملحدين يعلمون كون الجسم متحركا او ساكنا وقريبا او بعيدا ضرورة ويعلمون كون احدنا قايما او
قاعدا او اكلا وشاربا كذلك ويعلمون ما هو واجب من هذه الاحوال او واجب فى الموضع الذى يجب
فيه او يجوز ضرورة وان كانوا لا يثبتون المعانى التى هى الاعراض ولا يعرفونها فكيف يشكل على
متامل ان الاحكام التى اشرنا اليها وادعينا وجوبها على بعض الوجوه ليست احكاما للمعانى التى لا تعلم
الا بالدلالة وانما هى احكام للاحوال ومن حمل نفسه على ان يخالف فى وجوب ما ذكرناه ودافع الضرورة

لان

لان العلم بما ذكرناه من وجوه المتردات والفرق بين وجوب كون احدنا اكلا وقد اشتد جوعه و
ارتفعت الموانع عنه وهو صحيح سليم وبين وجوب اكله اذا جاع غير معلوم ضرورة والحر ما يبدو
به العقل واذا كان الفرق الذى ذكرناه معلوما ثبت ما هو مستند اليه من الوجوب عند قوة
الداعى وخلوصها والمعارضة على هذه الطريقة بوجوب الشبع عند الاكل والسكر عند شرب الخمر وما
جرى مجرى ذلك غير صحيح لانه لا وجوب فى ساير ما ذكرناه الا ترى ان فى الناس من يشبع باللقمة و
فيهم من لا يشبع باكل العجة وكذلك فى السكر والرى ولما استند ذلك الى العادة جاز ان
يختلف بالاشخاص والاحوال ولما استندت ما ذكرناه من الوجوب الى غير العادة كان مستمرا فى
كل شخص وعلى كل حال وعلى كل وجه وسبب فاين احد الامرين من الاخر مسئلة فى تفضيل
الانبيا على الملئكة عليهم السلم الحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد واله الطيبين
الطاهرين وسلم تسليما اعلم انه لا طريق من جهة العقل من القطع بفضل مكلف على اخر لان
الفضل الراعى فى هذا الباب هو زيادة استحقاق الثواب ولا سبيل الى معرفة مقادير الثواب
من ظواهر فعل الطاعات لان الطاعتين قد تتساويان فى ظاهر الامر حالهما وان زاد ثواب واحد
على الاخرى زيادة عظيمة واذا لم يكن للعقل فى ذلك مجال فالمرجع فيه الى السمع فان دل السمع
مقطوع به من ذلك على شئ عول عليه والا كان الواجب التوقف عنه والشك فيه وليس فى
القران ولا فى سمع مقطوع على صحته ما يدل على فضل نبى على ملك ولا ملك على نبى وسنبين ان اية
واحدة مما يتعلق به فى تفضيل الانبياء على الملئكة عليهم السلام يمكن ان يستدل بها على ضرب
من الترتيب نذكره والمعتمد فى القطع على ان الانبيا افضل من الملئكة عليهم السلام على اجماع
الشيعة الامامية على ذلك لانهم لا يختلفون بل يزيدون عليه ويذهبون الى ان الائمة افضل
من الملئكة عليهم اجمعين السلام واجماعهم حجة لان المعصوم فى جملتهم وقد بينا فى مواضع من
كتبنا كيفية الاستدلال بهذه الطريقة ورتبنا واجبنا عن كل سوال يسئل عنه فيها وبينا كيف
الطريق مع غيبة الامام الى العلم بمذاهبه واقواله وشرحنا ذلك فلا معنى للتشاغل به ههنا و
يمكن ان يستدل على ذلك بامره تع للملئكة بالسجود لادم وانه يقتضى تعظيمه عليهم وتقديمه
وتكريمه وان كان المفضول لا يجوز تعظيمه وتقديمه على الفاضل علمنا ان ادم افضل من الملئكة

اكرامه

وكل من قال ان ادم افضل من الملئكة ذهب الى ان جميع الانبياء عليهم السلم افضل من جميع
الملئكة ولا احد من الائمة فضل بين الامرين فان قيل ومن اين انه امرهم بالسجود على جهة التقديم
والتعظيم قلنا لا يخلو تعبدهم بالسجود له من ان يكون على سبيل القبلة والجهة من غير ان يقترن
به تعظيم وتقديم او يكون على ما ذكرناه فان كان الاول لم يجز انفة ابليس من السجود وتكبره عنه وقوله
ارايتك هذا الذي كرمت علي وقوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والقران كله ناطق
بان امتناع ابليس من السجود انما هو لاعتقاده التفضيل به والتكرمة فلو لم يكن الامر على هذا لوجب
ان يرده الله تع عنه ويعلمه انه ما امره بالسجود على وجه تعظيمه له ولا تفضيله بل على الوجه الاخر الذي
لاحظ للتفضيل فيه وما جاز اغفال ذلك وهو سبب معصية ابليس وضلالته فلما لم يقع ذلك دل على
ان الامر بالسجود لم يكن الا على جهة التفضيل والتعظيم فكيف يقع شك فان الامر على ما ذكرنا وكل نبي
اراد تعظيم ادم ووصفه بما اقتضى الفخر والشرف نسبه باسجاد الملئكة له وجعل ذلك من اعظم فضائله
وهذا مما لا شبهة فيه واما اعتماد بعض اصحابنا في تفضيل الانبياء على الملئكة على ان المشقة
في طاعة الانبياء اكثر واوفر من حيث كانت لهم شهوات في القبايح ونفار عن الواجبات فليس بمعتمد لانا
نقطع على ان مشاق الانبياء اعظم من مشاق الملئكة في التكليف والشك في مثل ذلك واجب وليس كل
شي لم يظهر لنا ثبوته وجب القطع على انتفائه ونحن نعلم على الجملة ان الملئكة اذا كانوا مكلفين
فلا بد من ان تكون عليهم مشاق في تكليفهم لولا ذلك ما استحقوا ثوابا على طاعاتهم والتكليف انما
يحسن في كل مكلف تعريضا للثواب ولا يكون التكليف شاقا عليهم الا وتكون لهم شهوات فيما خطر
عليهم ونفار عما اوجب واذا كان الامر على هذا فمن اين يعلم ان مشاق الانبياء عليهم السلم اكثر
من مشاق الملئكة واذا كانت المشقة عامة لتكليف الامة ولا طريق الى القطع على زيادتها في تكليف
بعض ونقصانها في تكليف اخرين فالواجب التوقف والشك ونحن الان نذكر شبه من فضل الملئكة
على الانبياء ونتكلم عليها بعون الله فانهم تعلقوا به في ذلك قوله تعالى حكاية عن ابليس مخاطبا لادم
وحوا عليهما السلم ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين فرغبهما
في التناول من الشجرة في منزلة الملئكة حتى تناولا وعصيا وليس يجوز ان يرغب عاقل في ان يكون
على منزلة هو دون منزلته حتى يحمله ذلك على خلاف الله تع ومعصيته وهذا يقتضي فضل الملئكة

ع

على الانبياء عليهم السلام وتعلقوا ايضا بقوله تع لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا
الملئكة المقربون وتاخير ذكر الملئكة في مثل هذا الخطاب يقتضي تفضيلهم لان العادة انما جرت
بان يقال لن يستنكف الوزير ان يفعل هذا ولا الخليفة فيقدم الادون ويؤخر الاعظم ولم تجر
بان يقال لن يستنكف الامير ان يفعل كذا ولا الحارس وهذا يقتضي تفضيل الملئكة على الانبيا
وتعلقوا بقوله تع ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلنا
هم على كثير ممن خلقنا تفضيلا قالوا وليس بعد بني ادم مخلوق يستعمل في الخبر عنه لفظة من التي لا تستعمل
الا في العقلاء الا الجن والملئكة ولما لم يقل وفضلناهم على من بل قال على كثير ممن خلقنا علم انه تعالى
اخرج الملئكة عمن فضل بني ادم عليه لانه لا خلاف في ان بني ادم افضل من الجن واذا كان وضع الخطاب
يقتضي مخلوقا لم يفضل بنو ادم عليه فلا شبهة في انهم الملئكة وتعلقوا بقوله تع ولا اقول لكم عندي
خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك فلولا ان حال الملئكة افضل من حال النبي لما قال ذلك
فيقال لهم فيما تعلقوا به اولا لم زعمتم ان قوله تع الا ان تكونا ملكين معناه ان تصيرا وتنقلبا الى صفة
الملئكة فان هذه اللفظة ليست صريحة لما ذكرتم بل احسن الاحوال ان تكون محتملة له وما انكرتم ان يكون
المعنى ان المنهي عن تناول الشجرة غيركما وان النهي يختص الملئكة والخالدين دونكما ويجري ذلك مجرى
قول احدنا لغيره ما نهيت عن كذا الا ان تكون فلانا وانما يعني ان المنهي هو فلان دونك ولم يرد الا ان
تنقلب فتصير فلانا ولما كان غرض ابليس ايقاع الشبهة لهما فمن اوكد الشبهة ايهامهما انهما لم ينهيا وانما
المنهي غيرهما ومن وكيد ما تفسد به هذه الشبهة ان يقال ما انكرتم ان يكونا رغبا في ان ينقلبا الى صفة
الملئكة وخلقهم كما رغبهما ابليس في ذلك ولا تدل هذه الرغبة على ان الملئكة افضل منهما لانه بالتقلب الى
خلقة غيره لا ينقلب ولا يتغير بانقلاب الصورة والخلق فانه انما يستحق على الاعمال دون الهيئات و
غير ممتنع ان يكونا رغبا في ان يصيرا على هيئة الملئكة وصورها وليس ذلك برغبة في الثواب ولا
الفضل فان الثواب لا يتبع الهيئات والصور الا ترى انهما رغبا في ان يكونا من الخالدين وليس الخلود
مما يقتضي مزية في ثواب ولا فضلا فيه وانما هو نفع عاجل فكذلك لا يمتنع ان يكون الرغبة منهما في
ان يصيرا ملكين انما كانت على هذا الوجه ويمكن ان يقع للمعتزلة خاصة وكل من جاز على الانبيا الصغاير
ما انكرتم ان يكونا اعتقدا ان الملك افضل من النبي وغلطا في ذلك وكان منهما ذنبا صغيرا لان

الصغاير انما تدخل في الجوارح دون القلوب لان ذلك تحكم بغير برهان وليس يمتنع على اصولهم ان تدخل
الصغاير في افعال القلوب والجوارح معا لان حد الصغير عندهم ما نقص عقابه عن ثواب طاعات
فاعله وليس يمتنع معنى هذا الحد في افعال القلوب كما لا يمتنع في افعال الجوارح ويقال لهم فيما تعلقوا به
ثانيا ما انكرتم ان يكون هذا القول انما توجه الى قوم اعتقدوا ان الملئكة افضل من الانبيا فاخرج الكلام
على حسب اعتقادهم واخر ذكر الملئكة لذلك ويجري هذا القول مجرى قول من قال منا لغيره لن يستنكف
ابى ان يفعل كذا ولا ابوك وان كان القايل يعتقد ان اباه افضل وانما اخرج الكلام على حسب اعتقاد
المخاطب لا المخاطب وانما يجوز ان يقال ايضا انه لا تفاوت في الفضل بين الانبياء والملئكة وان
ذهبنا الى ان الانبيا افضل منهم ومع التقارب والتداني يحسن ان يوخر ذكر الافضل الذي لا تفاوت
بينه وبين غيره في الفضل وانما مع التفاوت والتداني لا يحسن ذلك الا ترى انه يحسن ان يقول القايل ما
يستنكف الامير فلان من كذا ولا الامير فلان من كذا وان كانا متساويين او متناظرين او متقاربين
ولا يحسن ان يقول ما يستنكف الامير من كذا ولا الحارس لاجل التفاوت واقوى من هذا ان يقال انما
اخر ذكر الملئكة عن ذكر المسيح لان جميع الملئكة اكثر ثوابا لا محالة من المسيح منفردا وهذا لا يقتضي
ان كل واحد منهم افضل من المسيح عليه السلام وانما الخلاف في ذلك ويقال لهم فيما تعلقوا به ثالثا
ما انكرتم ان يكون المراد بقوله تع على كثير ممن خلقنا تفضيلا انا فضلناهم على من خلقنا وهم كثير ولم
يرد التبعيض ويجري ذلك مجرى قوله تع ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا معناه لا تشتروا بها ثمنا قليلا وكل ثمن تاخذونه
عنها قليل ولم يرد التخصيص والمنع من الثمن القليل خاصة ومثله قول الشاعر من اناس ليس في
اخلاقهم وان وصفه بانه عاجل وتنجز عنها وان وصفه بالسوء وهذا من غريب البلاغة و
دقيقها ونظاير في الشعر والكلام الفصيح لا تحصى وقد كنا املينا في تاويل هذه الاية كلاما مفردا استقصينا
وشرحنا هذا الوجه واكثرنا من ذكر امثلته ووجه اخر في تاويل هذه الاية وهو انه غير ممتنع ان يكون
جميع الملئكة افضل من جميع بني ادم وان كان في جملة بني ادم من الانبياء عليهم السلام من يفضل كل
واحد منهم وعلى كل واحد من الملئكة لان الخلاف انما هو في فضل كل نبي ادم على كل ملك وغير ممتنع ان
يكون جميع الملئكة فضلا يستحق كل واحد منهم الجزيل الاكثر من الثواب فيزيد ثواب جميعهم على ثواب
جميع بني ادم لان الافاضل من بني ادم اقل عددا وان كان في بني ادم احاد كل واحد منهم افضل من كل

واحد من الملئكة ووجه اخر ومما يمكن ان يقال في هذه الاية ايضا ان مفهوم الاية اذا تاملت يقتضي انه
تعالى لم يرد الفضل الذي هو زيادة الثواب وانما اراد النعم والمنافع الدنيا وية الا ترى الى قوله ولقد كرمنا
بني ادم والكرامة انما هي الترفيه وما يجري مجراه ثم قال وحملناه في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات
ولا شبهة في ان الحمل لهم في البر والبحر ورزق الطيبات خارج مما يستحق به الثواب ويقتضي التفضيل الذي
وقع اطلاقه فيه ويجب ان يكون ما عطف عليه من التفضيل داخلا في هذا الباب في هذا القبيل فانه
اشبه من ان يكون المراد به غير ما سبق الاية وارد به ومبني عليه واقل الاحوال ان يكون لفظ فضلناهم
محتملة للامرين فلا يجوز الاستدلال بها على خلاف ما نذهب اليه ويقال لهم فيما تعلقوا به رابعا الدلالة في هذه
الاية الا ان حال الملئكة افضل من حال الانبيا لان الغرض في الكلام انما هو نفي ما لم يكن عليه لا انتفضل
لذلك على ما هو عليه الا ترى ان احدنا لو ظن انه على صفة الملئكة ليس عليها جاز ان ينفيها عن نفسها
بمثل هذا اللفظ وان كان على احوال هي افضل من تلك الحال وارفع وليس يجب اذا انتفى مما تبرا منه
من علم الغيب وكون خزاين الله تعالى عنده ان يكون فيه فضل ان يكون ذلك معنيا ذكل ما ينفع لنفع
لدى التبرى منه وانا لم يكن ملكا لو يكن عنده خزاين الله تعالى جاز ان ينتفي من الامرين من غير ملاحظة
لان اجاله دون هاتين الحالتين ومما يوضح هذا ويزيل الاشكال فيه انه تع حكى عنه قوله في اية اخرى
ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يوتيهم الله خيرا ونحن نعلم ان هذه منزلة غير جليلة وهو على كل حال ارفع منها
واعلى فما المنكر ان يكون نفي الملئكة عنه فانه لا يقتضي ان حاله دون حال الملك بمنزلة نفي هذه المنزلة وتعلق
بهذه الاية ضعيف جدا وفيما اوردناه كفاية وبالله التوفيق تفسير البيت الذي ذكره السيد بن محمد
الحميري في قصيدته المذهبة ⁖ وهن ردت عليه الشمس لما فاته ⁖ وقت الصلوة وقد دنت للمغرب
قال رضي الله عنه هذا خبر عن رد الشمس له عليه السلم في حياة النبي لانه روي ان النبي صلى الله عليه و
اله كان نايما ورأسه في حجر امير المؤمنين فلما حان وقت الصلوة العصر كره ان ينهض لادائها
فيزعج النبي من نومه فلما مضى وقتها وانتبه عليه السلم دعا الله تع برد ها له فردها فصلى عليه السلم
الصلوة في وقتها فان قيل هذا يقتضي ان يكون عليه السلم عاصيا بترك الصلوة قلنا عن هذا جوابان احدهما
انه انما يكون عاصيا اذا ترك الصلوة بغير عذر وازعاج النبي ورفعه لا ينكر ان يكون عذرا في ترك
الصلوة فان قيل الاعذار في ترك جميع افعال الصلوة لا تكون الا بفقد العقل والتمييز كالنوم والاغما وما اشبهها

ولم يكن عليه السلام في تلك الحال بهذه الصفة فاما الاعذار التي يكون معها العقل والتمييز ثابتين كالزمانة
والرباط والقيد والمرض الشديد واشتداد القتال فانما يكون عذرا في استيفاء افعال الصلاة وليس
بعذر في تركها اصلا فان كل معذور ممن ذكرناه يصليها على حسب طاقته ولو بالايماء قلنا غير منكر
ان يكون عليه السلام صلى مومیا وهو جالس لما تعذر عليه القيام اشفاقا من ازعاجه صلى الله عليه وآله
على هذا تكون فائدة رد الشمس ليصلي مستوفيا لافعال الصلاة وليكون ايضا فضيلة له ودلالة على شأنه
الجواب الآخر ان الصلاة لم تفته بمضي جميع وقتها وانما فاته ما فيه الفضل والمزية من اول وقتها ويعضد
هذا الوجه شيئان احدهما الرواية الاخرى لان قوله حين تغرب صحيح فان الغروب لم يقع وانما قارب وكاد
والامر الآخر قوله وقد دنت للمغرب يعني الشمس وهذا ايضا يقتضي انها لم تغرب وانما دنت وقاربت الغروب
فان قيل اذا كانت لم تفته فاي معنى للدعاء بردها حتى يصلي في الوقت وهو قد صلى فيه قلنا الفائدة في
ردها ليدرك فضيلة الصلاة في اول وقتها ثم ليكون ذلك دلالة على سمو محله وجلالة قدره في خرق
العادة من اجله فان قيل اذا كان النبي هو الداعي بردها فان العادة انخرقت للنبي لا لغيره قلنا اذا كان
النبي عليه السلام انما دعا بردها لاجل امير المؤمنين عليه السلام وليدرك ما فاته من فضل الصلاة فخرق
العادة والفضيلة به ينقسم بينهما عليهما السلام فان قيل كيف يصح رد الشمس واصحاب الهيئة والفلك يقولون
ان ذلك محال لا تناله قدرة وهبه كان جائزا على مذاهب اهل الاسلام اليس لو ردت الشمس من وقت الغروب
الى وقت الزوال لكان يجب ان يعلم اهل الشرق والغرب بذلك لانها تبطئ في الطلوع على بعض البلاد فيطول
ليلهم على وجه خلاف العادة ويمتد من نهار قوم آخرين ما لم يكن ممتدا ولا يجوز ان يخفى على اهل البلاد غروبها
ثم عودها طالعة بعد الغروب وكانت الاخبار تنتشر بذلك ويؤرخ هذا الحادث العظيم في التواريخ و
يكون ابهر واعظم من الطوفان قلنا قد دللنا بالدلالة الصحيحة الواضحة على ان الفلك وما فيه من شمس وقمر و
نجوم غير متحرك لنفسه ولا طبيعة على ما يهذي به القوم وان الله تعالى هو المحرك له والمصرف باختياره فيه وقد
استقصينا الحجج على ذلك في كثير من كتبنا وليس هذا موضع ذكره فاما علم اهل الشرق والغرب والسهل و
الجبل بذلك على ما مضى في السؤال فغير واجب لانا لا نحتاج الى القول بانها ردت من وقت الغروب
الى وقت الزوال وما يقاربه على ما مضى في السؤال بل نقول ان وقت الفضل في صلاة العصر هو ما يلي بلا
فصل زمان اداء المصلي فرض الظهر اربع ركعات عقيب الزوال وكل زمان وان قصر وقل يجاوز هذا

الوقت فذلك الوقت فاتت فيه واذا ردت الشمس لهذا القدر اليسير الذي نفرض انه مقدار ما يؤدي ركعة
واحدة خفي على اهل الشرق والغرب ولم يشعروا به بل هو مما يجوز ان يخفى على من حضر الحال وشاهدها ان
لم ينعم النظر والتنقير عنها فبطل السؤال على جوابنا الثاني المبني على فوت الفضيلة فاما الجواب الآخر المبني
على انها كانت فاتت بغروبها للعذر الذي ذكرناه فالسؤال ايضا باطل عنه لانه ليس بين مغيب جميع قرص الشمس في
الزمان وبين مغيب بعضها وظهور بعضها الا زمان يسير قصير يخفى فيه رجوع الشمس بعد مغيب جميع
قرصها الى ظهور بعضها على كل قريب وبعيد ولا يفطن اذا لم يعرف سبب ذلك على وجه خارق للعادة
ومن فطن بان ضوء الشمس غاب ثم عاد بعضه جوز ان يكون ذلك بغيم او حائل تفسير قول السيد في
هذه القصيدة ايضا : وعليه قد حبست ببابل مرة : اخرى وما حبست لخلق معرب :
هذا البيت يتضمن الاخبار عن رد الشمس ببابل على امير المؤمنين عليه السلام والرواية بذلك مشهورة
وانه عليه السلام لما فاته وقت العصر ردت له الشمس حتى صلاها في وقتها وخرق العادة هيهنا لا
يمكن نسبه الى غيره كما امكن ذلك في ايام النبي والصحيح في فوت الصلاة هيهنا احد الوجهين
اللذين تقدم ذكرهما في رد الشمس على عهد النبي وهو ان فضيلة اول الوقت فاتته لضرب من الشغل
فردت عليه الشمس ليدرك الفضيلة بالصلاة في اول الوقت وقد بينا هذا الوجه في تفسير البيت الذي
اوله ردت عليه الشمس وابطلنا قول من يدعي ان ذلك كان يجب ان يعم الخلق في الآفاق ويعرفونه حتى يدونوه
ويؤرخوه فاما من ادعى ان الصلاة فاتته بان تقضى جميع وقتها لتشاغله بتعبئة عسكره او لانها بابل
ارض خسف لا تجوز الصلاة عليها فقد ابطل لان الشغل بتعبئة العسكر لا يكون عذرا في فوت صلاة فريضة
وان امير المؤمنين اجل قدرا واثخن دينا من ان يكون ذلك عذرا في فوت فريضة واما ارض الخسف
فانما تكره الصلاة فيها مع الاختيار فاذا لم يتمكن المصلي من الصلاة في غيرها وخاف فوت الوقت وجب
ان يصلي فيها وتزول الكراهية فاما قول الشاعر وعليه قد حبست ببابل فالمراد بحبست ردت وانما
كره ان يعيد لفظة الرد لانها قد تقدمت فان قيل حبست بمعنى وقفت ومعناه يخالف معنى ردت قلنا
المعنيان هيهنا واحد لان الشمس اذا ردت الى الموضع الذي تجاوزته فقد حبست عن السير المعهود
وقطع الاماكن المألوف فاما المعرب فهو الناطق الفصيح بحجته يقال اعرب فلان عن كذا اذا ابان عنه
مسئلة سئل رضي الله عنه فقيل ما يقال لمن يدعي عندنا قيام الدليل على حدث الجسم والجوهر والعرض

شيئا ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض احدث الله تع الاشياء منه وما الذي يفسد دعواه غير المطالبة له بالدلالة
على صحتها الجواب اول ما نقوله في هذا الباب ان احداث شيء من شيء غيره كلام محال ظاهر الفساد لان المحدث
على الحقيقة هو الموجود بعد ان كان معدوما واذا فرضنا انه احدث من غيره فقد جعلناه موجودا في ذلك
الغير فلا يكون محدثا في الحقيقة ولا موجودا بعد عدم فكانا قلنا انه محدث وليس بمحدث وهذا مناقض على
ان الجوهر والاجسام انما حكمنا بحدثها لانها لم تخل من الاعراض ولم تتقدم في الوجود عليها وما لم يتقدم
المحدث فهو محدث مثله واذا كانت الاعراض التي توصلنا بحدوثها الى حدوث الاجسام والجواهر محدثة
لا من شيء ولا عن هيولى على ما تمنى هؤلاء المفلسفون به فيجب ان تكون الجواهر والاجسام ايضا محدثة
على هذا الوجه لانه اذا وجب ان يساوي ما لم يتقدم المحدث في حدوثه وجب ايضا ان يساويه في كيفية حدوثه
على انا قد بينا ان ما احدث من غيره ليس بمحدث في الحقيقة والعرض محدث على الحقيقة فيجب فيما لم يتقدمه
في الوجود ان يكون محدثا على الحقيقة يبين ما ذكرناه ان من احدث من طين وشمع صورة فهو غير محدث
لها على الحقيقة وكيف تكون كذلك وهي موجودة الاجزاء في الطين والشمع وانما احدث المصور تصويرها
وتركيبها والمعاني المخصوصة فيها وهذا يقتضي ان الجواهر والاجسام على مذهب اصحاب الهيولى غير
محدثة على الحقيقة وانما حدث التصوير والتركيب واذا كان الدليل على حدوث جميع الاجسام و
الجواهر قد ابطل هذا المذهب فاما الذي يدل على بطلان قول من اثبت شيئا موجودا ليس بجوهر ولا
جسم ولا عرض من غير جهة المطالبة له بتصحيح دعواه وتعجيزه عن ذلك فهو انه لا حكم لذلك موجودة ليست
بجسم ولا جوهر ولا عرض يعقل ويمكن الاشارة اليه وما لا حكم له من الذوات والصفات لا يجوز اثباته و
لا بد من نفيه لانه يؤدي الى اثبات ما لا نهاية له من اثباته ونفيه وتجويز ذلك يؤدي الى الجهالات والى
اثبات ما لا نهاية له من الذوات والصفات وقد بينا هذه الطريقة فهو اصح من كتبنا لا سيما في الكتاب
الملخص في الاصول على انا نقول لمن اثبت الهيولى وادعى انه اصل العالم وان الاجسام والجوهر منها
احدثت لا تخلو هذه الذوات التي تسمونها بالهيولى من ان تكون موجودة او معدومة وما تريد بالوجود
ما تعنونه انتم بهذه اللفظة لان الموجود عندكم يكون بالفعل ويكون بالقوة ويكون المعدوم عندكم
موجودا بالقوة او في العلم وانما نريد بالوجود هذا الذي نفعله ونعلمه ضرورة عند ادراك الذوات
المدركات لانا اخذنا اذا ادركنا الجسم متحيزا علمنا ضرورة وجوده وثبوته وكذلك القول في الالوان

وما عداها من المدركات فان قال هي موجودة على طريقكم قلنا فيجب ان تكون متحيزة لانها لو لم تكن بهذه الصفة
ما حصل منها التحيز الا ترى ان الاعراض لما لم تكن متحيزة لم يمكن ان يحدث منها التحيز واذا افردوا فيها
التحيز فهي من جنس الجواهر ويبطل القول بانها ليست بجوهر ووجب لها الحدوث لان دليل حدث الاجسام
يتناولها ويشتمل عليها فبطل ايضا القول بقدمها ونفي حدوثها وان قالوا هي معدومة قلنا اذا كانت معدومة
على الحقيقة فالزمكم اثبات قدم لها وللحدوث لان هاتين الصفتين انما تتعاقبان على الموجود فكانكم
تقولون ان الله تع جعل من هذه الهيولى المعدومة جواهر واجساما موجودة وهذه موافقة في المعنى لا
الحق القائلين بان الجواهر في العدم على صفة تقتضي وجوب التحيز لها متى وجدت وان الله تع اذا اوجد
هذه الجواهر وجب لها في الوجود التحيز لما هي عليه في نفوسها من الصفة في العدم الموجبة لذلك بشرط
الوجود وان الفاعل انما يؤثر في صفة الوجود ولا تاثير له في الصفة التي كانت عليها الجواهر في العدم
على ان هذه الطريقة اذا صاروا اليها تقتضي ان لاجناس الاعراض كلها هيولى لان الدليل قد دل على
ان للسواد ولكل جنس من الاعراض صفة ثابتة في حال العدم تقتضي كونه على الصفة التي يدرك عليها ان
كان مما يدرك في حال الوجود ان الفاعل انما يؤثر في احداثه وايجاده دون الصفة التي كان عليها في
حال العدم والقول في الاعراض كالقول في الجواهر في هذه القضية ويجب ان يكون للجميع هيولى لان
الطريقة واحدة وكلام هؤلاء ابدا غير محصل ولا مفهوم وهم يدعون التحقيق والتحديد وما ابعدهم من
ذلك مسئلة في العصمة ما حقيقة العصمة التي يعتقد وجوبها للانبياء والائمة وهل هي معنى يضطر
الى الطاعة ويمنع من المعصية او معنى يضام الاختيار فان كان معنى يضطر الى الطاعة ويمنع من المعصية
فكيف يجوز الحمد والذم لفاعلها وان كان معنى يضام الاختيار فاذكروه ودلوا على صحة مطابقته
له ووجوب اختصاص المذكورين به دون من سواهم فقد قال بعض المعتزلة ان الله عصم انبياءه بالشهادة
لهم بالاعتصام كما ضلل قوما بنفس الشهادة عليهم بالضلال فان يكن ذلك هو المعتمد انعم بذكره ودل
على صحته وبطلان ما عساه يعلم من الطعن عليه وان يكن باطلا دل على بطلانه وصحة الوجه المعتمد فيه
دون ما سواه الجواب اعلم ان العصمة هي اللطف الذي يفعله الله تع فيختار العبد عنده الامتناع من
فعل القبيح فيقع على هذا ان الله تع عصمه بان فعل له ما اختار عنده العدول عن القبيح ويقع ان العبد
معصوم لانه اختار عند هذا الداعي الذي فعل له الامتناع من القبيح واصل العصمة في موضوع اللغة

المنع يق عصمت فلانا من السوء اذا منعت من حلوله به غير ان المتكلمين اجروا على هذه اللفظة على من
امتنع باختياره عند اللطف الذي يفعله الله تعالى به لانه اذا فعل به ما لم يعلم انه يمتنع عنده من فعل
القبيح فقد منعه من القبيح فاجروا عليه لفظة المانع قهرا وقسرا واهل اللغة يتعارفون ذلك ايضا ويستعملونه
لانهم يقولون فيمن اشار على غيره براي فقبله منه مختارا واحتمى به لذلك من ضرر يلحقه وسوء يناله انه
حماه من ذلك الضرر ومنعه وعصمه منه وان كان ذلك على سبيل الاختيار فان قيل افتقولون فيمن لطف
له بما اختار عنده الامتناع من فعل واحد قبيح انه معصوم قلنا نقول ذلك مضافا ولا نطلقه فنقول انه
معصوم من جميع القبايح ونطلق في الانبيا والائمة عليهم السلم العصمة بلا تقييد لانهم عندنا لا
يفعلون شيا من القبايح بخلاف ما يقوله المعتزلة من نفي الكباير عنهم دون الصغاير فان قيل فاذا
كان تفسير العصمة ما ذكرتم فالا عصم الله تعالى جميع المكلفين وفعل بهم ما يختارون عنده الامتناع
من القبايح قلنا كل من علم الله تعالى ان له لطفا يختار عنده الامتناع من القبايح فانه لابد ان يفعل
به وان لم يكن نبيا ولا اماما لان التكليف يقتضي فعل اللطف على ما دل عليه في مواضع كثيرة غير انه
لا يمتنع ان يكون في المكلفين من ليس في المعلوم ان شيا متى فعل اختار عنده الامتناع من القبيح فيكون
هذا المكلف لا عصمة له في المعلوم ولا لطف وتكليف من لا لطف له يحسن ولا يقبح وانما القبيح منع
اللطف فيمن له لطف مع ثبوت التكليف فاما قول بعضهم ان العصمة هي الشهادة من الله تعالى بالاستعصام
فباطل لان الشهادة لا تجعل الشي على ما هو به وانما تتعلق على ما هو عليه لان الشهادة هي الخبر و
الخبر عن كون الشي لا يؤثر في كونه عليها فتحتاج اولا الى ان يتقدم لنا العلم بان زايدا معصوم او
معتصم ونوضح عن معنى ذلك ثم تكون الشهادة من بعد مطابقة لهذا العلم وهذا بمنزلة من سئل
عن حد المتحرك فقال هو الشهادة بانه متحرك او المعلوم انه على هذه الصفة وفي هذا البيان كفاية
لمن تامله **مسئلة** ما القول في الاخبار الواردة في عدة كتب من الاصول والفروع بمدح اجناس
من الطير والبهايم والماكولات والارضين وذم اجناس منها كمدح الحمام والبلبل والقنبر و
الحجل والدراج وما شاكل ذلك من فصيحات الطير وذم الفواخت والرخم وما يحكى من ان جنس
من هذه الاجناس المحمودة ينطق بثناء على الله تعالى وعلى اوليائه ودعاء لهم ودعاء على اعدائهم
وان كل جنس من هذه الاجناس المذمومة ينطق بضد ذلك من ذم الاولياء عليهم السلم وكذم

الجري

الجري وما شاكله من السمك وما نطق به الجري من انه مسخ بجحد الولاية وورود الاثار بتحريمه
لذلك وكذم الدب والقرد والفيل وساير المسوخ المحرمة وكذا البطيخة التي كسرها امير المؤمنين
عليه السلام فصادفها مرة فقال من النار الى النار ودحا بها من يده ففار من الموضع الذي
سقطت فيه دخان وكذم الارضين السبخة والقول بانها جحدت الولاية ايضا وقد جاء في
هذا المعنى ما يطول شرحه وظاهره ينافي ما انتدا العقول عليه من كون هذه الاجناس مفارقة
لقبيل ما يجوز تكليفه ويسوغ امره ونهيه وفي هذه الاخبار التي اشرنا اليها ان بعض هذه
الاجناس يعتقد الحق ويدين به وبعضها يخالفه وهذا كله ينافي ظاهرها العقلاء عليه ومنها
ما يتهدات لهذه الاجناس منطقا مفهوما والفاظا تفيد اغراضا وانها بمنزلة الاعجمي و
العربي اللذين لا يفهم احدهما صاحبه وان شاهد ذلك من قول الله سبحانه فيما حكاه عن
سليمن يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شي ان هذا لهو الفضل المبين و
كلام النملة ايضا مما حكاه سبحانه وكلام الهدهد واحتجاجه وجوابه وفهمه فليتعم بذكر ما عنده
في ذلك مثابا ان شاء الله الجواب وبالله التوفيق اعلم ان القول فيما يعتقد على ما تدل الادلة
عليه من نفي واثبات فاذا دلت الادلة على امر من الامور وجب ان نبني كل وارد من الاخبار اذا
كان ظاهره بخلافه عليه ونسوقه اليه ونطابق بينه وبينه ونجلي ظاهرا ان كان له ونشرط ان كان
مطلقا ونخصه ان كان عاما ونفصله ان كان مجملا ونوفق بينه وبين الادلة من كل طريق اقتضى الموافقة
والى المطابقة واذا كنا نفعل ذلك ولا نتحشم في ظواهر القران المقطوع على صحته المعلوم وروده
فكيف نتوقف عن ذلك في اخبار احاد لا توجب علما ولا تثمر يقينا فمتى وردت علينا اخبار فاعرضناها
على هذه الجملة وابنيناها عليها وافعل فيها ما حكمت به الادلة واوجبته الحجج العقلية وان تعذر
فيها بنا وتاويل وتخريج وتنزيل فليس غير الاطراح لها وترك التعريج عليها ولو اقتصرنا على
هذه الجملة لاكتفينا فيمن يتدبر ويتفكر وقد يجوز ان يكون المراد بذم هذه الاجناس من الطير انها
ناطقة بضد الثناء على الله وبذم اوليائه ونقص اصفيائه معناه ذم متخذيها ومرتبطيها وان هولاء
المغرين بمحبة هذه الاجناس واتخاذها هم الذين ينطقون بضد الثناء على الله تعالى ويذمون اوليائه

واجابته فاضاف النطق الى هذه الاجناس وهو لمتخذيها ومرتبطها للتجارب والتفاؤل وعلى سبيل
التجوز والاستعارة كما اضاف الله سبحانه في القران السؤال الى القرية وانما هو لاهل القرية وكما
قال تعالى وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا
نكرا فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا وفي هذا كله حذف وقد اضيف في الظاهر
الفعل الى من هو في الحقيقة متعلق بغيره والقول في مدح اجناس من الطير والوصف لها بانها تنطق
بالثناء على الله تعالى والمدح لاوليائه يجري على هذا المنهاج الذي نهجناه فان قيل كيف يستحق مرتبط
هذه الاجناس مدحا بارتباطها ومرتبط بعض اخر ذما بارتباطه حتى علقتم المدح والذم بذلك
قلنا ما جعلنا لارتباط هذه الاجناس حظا في استحقاق مرتبطها مدحا ولا ذما وانما قلنا انه غير
ممتنع ان تجري عادة المؤمنين الموالين لاولياء الله تعالى والمعادين لاعدائه بان يالفوا ارتباط
الاجناس من الطير وكذلك تجري عادة بعض اعداء الله تعالى باتخاذ بعض اجناس الطير فيكون متخذ
بعضها ممدوحا لا من اجل اتخاذه لكن لما هو عليه من الاتخاذ الصحيح فيضاف المدح الى هذه الاجناس
وهو لمرتبطها والنطق بالتسبيح والدعاء الصحيح اليها وهو لمتخذيها تجوزا واتساعا وكذلك القول
في الذم المقابل للمدح فان قيل فلم نهي عن اتخاذ بعض هذه الاجناس اذا كان الذم لا يتعلق باتخاذها
وانما يتعلق ببعض متخذيها لكفرهم وضلالهم قلنا يجوز ان يكون في اتخاذ هذه البهايم المنهي عن اتخاذها
وارتباطها مفسدة وليس يقبح خلقها في الاصل لهذا الوجه لانها خلقت لينتفع بها من ساير الوجوه
الانتفاع سوى الارتباط والاتخاذ الذي يمنع تعلق المفسدة به ويجوز ايضا ان يكون في اتخاذ هذه
الاجناس المنهي عنها شوم وطيرة فللعرب في ذلك مذهب معروف ويصح هذا النهي ايضا على مذهب من
نفى الطيرة على التحقيق لان الطيرة والتشوم وان كان لا تاثير لهما على التحقيق فان النفوس تستشعر ذلك و
يسبق اليها ما يجب على كل حال تجنبه والتوقي عنه وعلى هذا يحمل معنى قوله عليه السلام لا يورد ذو
عاهة على مصح فاما تحريم السمك الجري وما اشبهه فغير ممتنع لشيء يتعلق بالمفسدة في تناوله كما نقول
في ساير المحرمات فاما القول بان الجري نطق بانه مسخ بجحده الولاية فهو مما يضحك منه ويتعجب من قايله والمثبت
له مثله فاما تحريم الدب والقرد والفيل فكتحريم كل محرم في الشريعة والوجه في التحريم لا يختلف والقول

بانها

بانها ممسوخة اذا تكلفنا حملناه على انها كانت على خلق حميدة غير منفور عنها ثم جعلت على هذه الصورة الشنيعة
على سبيل التنفير عنها والزيادة في الصد عن الانتفاع بها لان بعض الاشيا لا يجوز ان يكون غيره على تحقيقه
والفرق بين كل حيين معلوم ضرورة فكيف يجوز ان يصير حي حيا آخر غيره واذا اريد بالمسخ هذا
فهو باطل وان اريد غيره نظرنا فيه واما البطيخة فقد يجوز ان يكون امير المؤمنين لما ذاقها ونفر عن طعمها
وزادت كراهيته له قال من النار والى النار اي هذا من طعام اهل النار وما يليق بعذاب اهل النار
كما يقول احدنا ذلك مما يستوبيه ويكرهه ويجوز ان يكون فوران الدخان عند الالقاء لها كان على سبيل
التصديق لقوله عليه السلم من النار الى النار واظهار معجز له واما ذم الارضين السبخة والقول بانها
جحدت الولاية فمتى لم يكن محمولا معناه على ما قدمناه من جحد اهل هذه الارض وسكانها الولاية لم يكن معقولا
ويجري ذلك مجرى قوله تعالى وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله واما اضافة اعتقاد الحق الى بعض
البهايم واعتقاد الباطل والكفر الى بعض آخر فمما تحيله العقول والضرورات لان هذه البهايم غير عاقلة
ولا كاملة ولا مكلفة فكيف تعتقد حقا او باطلا واذا ورد في ظاهره شيء من هذه المحالات اما
اطرح او تاول على المعنى الصحيح وقد نهجنا طريق التاويل وبينا كيفية التوصل اليه فاما حكايته تعالى عن سليمان
عليه السلم يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين فالمراد به انه
علم ما يفهم به ما تنطق به الطير وتتداعى في اصواتها واغراضها ومقاصدها بما يقع منها من صياح
على سبيل المعجزة لسليمن فاما الحكاية عن النملة فانها قالت يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا
يحطمنكم سليمن وقد يجوز ان يكون المراد به انه ظهر منها دلالة القول على هذا المعنى واشعرت باقي
النمل وخوفتهم من الضرر بالمقام وان النجاة في الهرب الى مساكنها فتكون اضافة القول اليها مجازا و
استعارة كما قال الشاعر: وشكا الي بعبرة وتحمحم وكما قال الاخر: وقالت له العينان سمعا
وطاعة: ويجوز ايضا ان يكون وقع من النملة كلام ذو حروف منظومة كما يتكلم احدنا تتضمن المعاني
المذكورة ويكون ذلك معجزة لسليمن لان الله تعالى سخر له الطير وافهمه معاني اصواتها على سبيل
المعجز له وليس هذا بمنكر فان النطق بمثل هذا الكلام المسموع منا لا يمتنع وقوعه ممن ليس بمكلف ولا
كامل العقل الا ترى ان المجنون ومن لم يبلغ الكلام من الصبيان قد يتكلمون بالكلام المتضمن للاغراض

وان كان التكليف والكمال عنهم زائلين والقول فيما حكي عن الهدهد يجري على الوجهين اللذين ذكرناهما
في النملة فلا حاجة بنا الى اعادتهما واما حكايته انه قال لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او لياتيني
بسلطان مبين وكيف يجوز ان يكون ذلك في الهدهد وهو غير مكلف ولا يستحق مثله العذاب والجواب
عنه ان العذاب اسم للضرر الواقع وان لم يكن مستحقا فليس يجري مجرى العقاب الذي لا يكون الا على
تقدم فليس يمتنع ان يكون معنى لاعذبنه اي لاولمنه ويكون الله تعالى قد اباحه الايلام له كما اباحه الذبح
لضرب من المصلحة كما سخر له الطير يصرفها في منافعه واغراضه وكل هذا لا ينكر في نبي مرسل تخرق له العادات
وتظهر على يديه المعجزات وانما يشتبه على قوم يظنون ان هذه الحكايات تقتضي كون النملة والهدهد مكلفين
وقد بينا ان الامر بخلاف ذلك **مسئلة** ان سال سائل عن قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم
الا تشركوا به شيئا وكيف يجوز ان يكون من جملة ما حرم علينا ان لا نشرك به شيئا والامر بالعكس من ذلك
الجواب قيل له هذا السؤال سؤال من لا تامل عنده بموضوع الاية وترتيب خطابها لان التحريم المذكور
فيها لا يجوز على مذهب اهل العربية ان يكون متعلقا بقوله الا تشركوا به شيئا وانما هو من صلة الجملة
الاولى ولو تعلق التحريم المذكور بقوله الا تشركوا لم يخل ان يكون تعلقه به تعلق الفاعل والمفعول وكانه
قال حرم الاشراك او المبتدا والخبر فكانه قال الذي حرم ربكم عليكم الا تشركوا والتعلق الاول يمتنع منه ان
لفظة حرم من صلة لفظة ما التي هي بمعنى الذي فلا تعمل فيما بعدها الا ترى انك اذا قلت حرمت كذا فالتحريم
عامل فيما بعده عمل الفعل في المفعول فاذا قلت الذي حرمت كذا بطل هذا المعنى ولم يجز ان يكون التحريم
متعلقا بما بعده على معنى الفعلية بل على سبيل المبتدا والخبر ولا يجوز ان يكون في الاية التعلق على هذا الوجه
لان صدر الكلام يمنع من ذلك الا ترى انه تعالى قال اتل ما حرم فما حرم منصوب على انه مفعول اتل و
اذا كان كذلك لم يجز ان يكون ما حرم مبتدا حتى يكون الا تشركوا خبرا له واذا بطل التعلق بين الكلام
من كلا الوجهين نظرنا في قوله تعالى الا تشركوا به ماذا يتعلق به واحتجنا الى اضمار متعلق به ولم يجز
ان نضمر حرم الا تشركوا به لان ذلك واجب غير محرم فيجب ان نضمر ما اوصيكم الا تشركوا به شيئا او اتل
عليكم الا تشركوا والاضمار الاول يشهد له اخر الاية في قوله تعالى ذلكم وصيكم به لعلكم تتقون
والاضمار الثاني يشهد له اول الاية من قوله تعالى اتل وما وصينا به فقد امرنا به وندبنا اليه

فان

فان قيل ما موضع ان من الاعراب قلنا في ذلك وجوه ثلاثة احدها الرفع ويكون التقدير فذلك الا تشركوا
به شيئا فكانه مبتدا وخبر والثاني النصب اما على اوصي الا تشركوا او على اتل الا تشركوا والثالث
الا يكون لها موضع ويكون المعنى لا تشركوا به شيئا فاما موضع تشركوا فيمكن فيه وجهان النصب بان
والثاني الجزم بلا على جهة النهي فان قيل كيف يعطف النهي في قوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم على الخبر و
اوصي الا تشركوا قلنا ذلك جائز مثل قوله تعالى قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين
ومثله قول الشاعر **شعر** حج واوصى بسليمى الاعبدا ؛ ان لا ترى ولا تكلم احدا
ولا يزل شرابها مبردا ؛ يعطف لا تكلم وهو مبني على الجزم ويمكن في الاية وجه غير مذكور فيها والكلام
بجملته وهو ان يكون الكلام انقطع عند قوله تعالى اتل ما حرم ربكم والوقف هاهنا ثم ابتدا عليكم الا تشركوا
به شيئا واذا كان على هذا الوجه احتمل عليكم الا تشركوا وجهين احدهما ان يراد به يلزمكم ووجب عليكم
ذلك كما يقال عليك درهم وعليك ان تفعل كذا ثم قال وبالوالدين احسانا اي واوصي بالوالدين احسانا
والوجه الاخر ان يريد الاغراء كما تقول عليك زيدا وعليك كذا اذا امرته باخذه والبدار اليه ولم
يبق بعد هذا الا سؤال واحد وهو ان يقال كيف يجوز ان يقول تعالى اتل ما حرم ربكم عليكم ثم ياتي بذكر اشياء غير
محرمات حتى تقدرت لها الوصية والامر وصدر الكلام يقتضي ان الذي ياتي به من بعد لا يكون الا محرما
الا ترى ان القائل اذا قال تعالوا اتل عليك ما وهبت كذا وكذا لا بد ان يكون ما بعده ويليه من الموهوبات
والا خرج الكلام من الصحة الجواب عن ذلك ان التحريم لما كان ايجابا والزاما اتى ما بعده من المذكور على
المعنى دون اللفظ بذكر الامور الواجبات والماموريات للاشتراك في المعنى وانضافت في الايجاب والالزام
تحريما الا ترى ان الواجب محرم الترك وكل شيء ذكر بعد لفظ التحريم فيه على بعض الوجوه تحريما فان قيل
الا حملتم الاية على ما حملها قوم عليه من ان لفظة لا زائدة في قوله الا تشركوا فكانه عز وجل حرم ان تشركوا
واستشهد على زيادة لا بقوله تعالى ما منعك الا تسجد اذ امرتك وبقول الشاعر فما الوم البيض الا
تسخرا ؛ لما راين الاشمط القفندرا ؛ وبقول الشاعر **شعر** الا يا القوم قد اشطت عواذلي
ويزعمن ان اودى بحقي باطلي ؛ ويلحينني في اللهو الا احبه ؛ وللهو داع دائب غير غافل ؛
قلنا قد انكر كثير من اهل العربية زيادة لا في مثل هذا الموضع وضعفوه وحملوا قوله ما منعك الا
تسجد اذ امرتك على انه خارج على المعنى والمراد به ما دعاك الى ان لا تسجد ومن امرك بان لا تسجد لان

منع من شيء نفقد دعا الحان لا يفعل ومتى حملنا قوله تع الا تشركوا به شيئا على ان لفظة لا زايدة على
تضعيف قوم لذلك فلا بد فيما اتصل به هذا الكلام من تقدير فعل اخر وهو قوله تع وبالوالدين
احسانا لان ذلك لا يجوز ان يكون معطوفا على المحرم فلا بد من اضمار ووصينا بالوالدين احسانا
واذا احتجنا الى هذا الاضمار ولم يغنينا عنه ما ارتكبناه من زيادة لفظ لا فاولى ان نكتفي
بهذا الاضمار في معنى صدر الكلام على حاله من غير الغاشي منه ونقدره ما تقدم بيانه فكانه
تع وصا الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وليشهد لذلك ويقويه اخر الايه مسئلة
ان سئل سايل عن قوله تع ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما فقال ما معنى
هذه الايه فان ظاهرها لا يدل على تاويلها الجواب قلنا قد ذكر المفسرون في هذه الايه وجهين نحن
نذكرهما ونوضح عنهما ثم نتلوهما بما خطر لنا فيها زايدا على المسطور واحد ما قيل في هذه الايه ما قيل
ان النبي كان اذا نزل عليه القران وسمعه من جبريل قرا عليه السلم معه ما يوحى به اليه من
القران اولا اولا قبل استتمامه والانتهاء الى اخره في الحال وقطع الكلام عليها وانما كان
يفعل النبي ذلك حرصا على حفظه وضبطه وخوفا من نسيان بعضه فانزل الله تع هذه الايه السلم حفظه
ليثبت النبي في تلاوة ما يسمعه من القران حتى ينتهي الى غايته لتعلق بعض الكلام ببعض قالوا ونظير هذه
الايه قوله تع لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه فاذا قراناه فاتبع قرانه ثم علينا بيانه
فضمن الله تع انه يجمع له عليه القران ثم يثبته في صدره ليوديه الى امته وليسقط عنه كلفة
الاستعجال بترداد تلاوته والمسابقة الى تلاوة كل ما يسمعه منه تخفيفا عنه وتوكيدا لما ذكرناه
بقوله تع فاذا قراناه فاتبع قرانه اي اذا انتهينا الى غاية ما نريد انزاله في تلك الحال فحينئذ اتبع قرانه
ذلك وتلاوته فلم يبق منه ما ينتظر في الحال نزوله والوجه الاخر انهم قالوا انما نهى النبي عن تلاوة القران
على امته واداء ما يسمعه منه اليهم قبل ان يوحى اليه عليه السلم بيانه والايضاح عن تاويله وتفسيره
لان تلاوته على من لا يفهم معناه ولا يعرف مغزاه لا يحسن قالوا ومعنى قوله من قبل ان يقضى اليك وحيه معناه لان
المراد به قبل ان يقضى اليك وحي بيانه وتفسير القضاء وان كانت على وجوه معروفة في اللغة فهي
ههنا بمعنى الفراغ والانتهاء الى الغاية كما قال تع فقضيهن سبع سموات في يومين كما قال الشاعر
ولما قضينا من منى كل حاجة ؛ ومسح بالاركان من هو ماسح ؛ اي فرغنا من حاجاتنا وانتهينا الى
غايه

غاية الوطر منها فاما الجواب الثالث الزايد على ما ذكرها انه غير ممتنع ان يريد لا تعجل بان تستدعي من
القران ما لم يوح اليك به فان الله تعالى اذا علم مصلحة في انزال القران علينا امر بانزاله ولم
يلحق عنك لانه لا يدخر عن عباده الاطلاع لهم على مصالحهم فان قيل على هذا الوجه انه لعن يخالف
الظاهر لانه تع قال ولا تعجل بالقران ولم يقل بطلبه واستدعائه والظاهر يقتضي ان الاستعجال
بنفس القران لا بغيره قلنا الامر على ما ظنه السايل وعلى الوجوه الثلثة في تاويل الايه لا بد من تقدير
ما ليس في الظاهر لان على الوجهين الاولين المذكورين لا بد من ان يقدر لا تعجل بتلاوة القران اما على
سبيل الدرس والتحفظ على ما ذكر في الوجه الاول وان يتلوه على امته قبل انزال البيان واي فرق في
مخالفة الظاهر بين ان يقدر ولا تعجل بتلاوة القران او يقدر ولا تعجل بطلب القران واستدعاء
نزوله فان قيل هذا يدل على وقوع معصية من النبي في استدعاء ما لم يكن له ان يستدعيه من
القران لان النهي لا يكون الا عن قبيح قلنا النهي لا يكون الا عن قبيح لا محالة لكن النهي لا يدل على
وقوع الفعل المنهي عنه لانه قد ينهى عن الفعل من لم يواقعه قط ولا يواقعه الا ترى ان النبي نهي عن
الشرك وساير القبايح كما ههنا ولم يدل ذلك على وقوع شيء مما نهي عنه منه وهذا ايضا يمكن ان يكون
جوابا لمن اعتمد على الوجهين الاولين اذا قيل له اوقع منه عليه السلام تلاوة القران على امته قبل
نزول بيانه او عجل بتكريره على سبيل الدرس كما نهي عنه ويمكن من اعتمد على الوجه الاولى في تاويل
الايه ان يقول في قوله تع لا تعجل بالقران وان كان ظاهره النهي ليس بنهي على الحقيقة وقد يرد على ما هو
بلفظ النهي وهو غير نهي على التحقيق كما يرد ما هو بصيغة الامر وليس بامر وانما ذلك تخفيف عنه وتنفيس
ورفع كلفة المشقة فقيل له لا تتكلف المسابقة الى تكرير ما ينزل اليك خوفا من ان تنساه فان الله تع
يكفيك هذه المؤنة ويغنيك عن حفظه وضبطه كما قال تع في الايه الاخرى ان علينا جمعه وقرانه اي جمعه
في حفظك وتاموره وبعد فان الاولى التوقف عن معرفة غاية الكلام التي ينتهي اليها ويقطع عليها
التلاوة لما يرد من الاول فالاول تلاوة لما لا يعرف معناه لتعلق الكلام بعضه ببعض فندب عليه السلم الى
الاولى من التوقف على غايته واما الوجه الثاني الذي اعتمد فيه على ان النهي انما هو عن تلاوته على
الامه قبل نزول بيانه فان كان المعتمد على ذلك لقول ليس ممتنع ان تكون المصلحة في التوقف عن الاداء الى
قبل ان البيان منهي عن ذلك لان المصلحة في خلافه فهذا جايز لا مطعن فيه وان كان المقصد الى الخطاب

لا يحسن الامر البيان على مذهب من يحسن البيان لا متاخرعن الخطاب فذلك فاسد لان الصحيح

البيان يجوز ان يتاخر عن وقت الخطاب وانما لا يجوز تاخيره عن وقت الحاجة وقد بينا الكلام

في هذه المسئلة والادلة على صحة ما ذهبنا اليه منها في مواضع من كتبنا وتكلمنا على شبه من قال

من اوجب اقتران البيان بالخطاب على ان من اعتمد على هذه الطريقة في الموضع فقد غلط لان الاية

تدل على ان الله تع قد خاطب نبيه بما يحتاج الى بيان من غير انضمام البيان اليه واذا جاز ذلك

في خطابه تع لنبيه جاز مثله في خطاب النبي لامته لان من ابطل تاخير البيان عن زمان الخطاب

يوجب ذلك في كل خطاب وليس يمكن ان يدعى انه تع قد بين له لان تاويلهم يمنع من ذلك لانه قبل

له على هذا الوجه لا تعجل بتلاوة القران على امتك قبل ان يقضى اليك وحيه يعني قبل ان ينزل اليك

بيانه فالبيان متاخر عنه على ذلك الوجه وذلك قبيح على مذهب من منع من تاخير البيان عن وقت

الخطاب والتاويل الذي ذكرناه ذاهبا على الوجهين المذكورين يمكن ان يفسر به الاية الاخرى التي

هي قوله تع لا تحرك به لسانك بطلب ما لم ينزل عليك من القران فان علينا انزال ما تقتضي

المصلحة انزاله عليك وجمعه لك وقوله تع فاذا قراناه فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه يدل ظاهره

على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب لانه تع امره اذا قرا عليه الملك ان يتبع بيانه بقراءه

ثم صرح ان البيان ياتي بعده فان ثم لا يكون الا للتراخي وما هو مقترن بالشئ لا تستعمل فيه لفظة

ثم الا ترى انه لا يقال اتاني زيد ثم عمرو وانما حضرا في وقت واحد مسئلة ان سئل سائل عن

قوله تع ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم

سابق بالخيرات فقال اى معنى لقوله تع اورثنا وما الكتاب المشار اليه واذا كان اصطفيه هولاء خيار

والاجتباء وذلك لا يليق الا بمن هو معصوم مامون منه القبيح كالانبياء والائمة فكيف قال بعد

ذلك فمنهم ظالم لنفسه وهذا وصف لا يليق بمن ذكرناه الجواب ان الذي يجب اعتماده في تاويل

هذه الاية ان قوله تع فمنهم ترجع الكناية فيه الى العباد لا الى الذين اصطفوا وهو اقرب اليه

في الذكر فكانه تع قال ومن عبادنا ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات فان قيل فاى

فايدة في وصف العباد بهذه القسمة وكيف عدل عن وصف الذين اصطفيهم وورثهم الكتاب قلنا

الوجه في ذلك ظاهر لانه تع لما علق توريث الكتاب بمن اصطفيهم من عباده اراد ان يبين وجه

الاختصاص

الاختصاص وانما علق وراثة الكتاب ببعض العباد دون بعض لان في العباد من هو ظالم لنفسه وهذا

مقتصد ومن هو سابق بالخيرات فوجه المطابقة بين الكلام واضح ونحن الان نتبعون ما قيل في

تاويل هذه الاية ونوضح عما فيه من صحة او اختلال ذكر ابو علي الجبائي ومن تابعه ان المراد بالـ

الذين اصطفوا الانبياء والظالم لنفسه من ارتكب الصغيرة منهم وانما وصف بذلك من حيث فوت

نفسه الثواب الذي ناله عند فعل الصغيرة ويودى ساير الواجبات والسابق الى الخير هو الذي استكثر

من فعل النوافل وهذا التاويل يفسد من جهة ان الدليل قد دل على ان الانبياء لا يقع منهم شئ

من المعاصي والقبائح وقد استقصينا الكلام في ذلك في كتابنا المعروف بتنزيه الانبياء والائمة ولو

عدلنا عن ذلك لم يجز ما قاله لان قولنا فلان ظالم لنفسه من اوصاف الذم والذم لا يستحقه فاعل الصغيرة

فكيف يجرى عليه اوصاف الذم ولا شبهة في ان قولنا فلان ظالم لنفسه من اوصاف الذم لانهم يقولون

في كل من فعل قبيحا انه قد ظلم من حيث فعل ما يستحق به العقاب وكانه ادخل على نفسه ضررا ما كان يستحقه

فاشبه بذلك الظالم لغيره ولا يجوز ان يوصف فاعل الصغيرة بانه ظالم لنفسه من حيث فوت نفسه

الثواب لانه ان عنى بذلك الثواب الذي يبطل بعقاب الصغيرة فمذهب ابي علي ان الصغيرة يحبط عقابها

بالثواب الكثير من غير ان ينقص من الثواب شئ لانه لا يذهب الى الموازنة التي يذهب اليها ابو هاشم فما

فوتت الصغيرة عنده ثوابا كان مستحقا له وان عنى بتفويت الثواب انه لو لم يفعل هذه المعصية لكان يستحق

على الامتناع منها ثوابا فانه بفعلها هذا يوجب ان تكون الانبياء في كل حال مفوتين لانفسهم الثواب بفعل

المباحات لانهم لو فعلوا الطاعات بدلا منها لاستحقوا الثواب ولو جب ان يوصفوا على القاعدة بانهم

ظالمون على انفسهم على ان وضع الكلام وترتيبه يقتضيان ان الظالم لنفسه في الاية في موضع ذم لانه

تع جعله بازاء المقتصد وليس بازاء المقتصد الا المسرف المذموم فان قيل فقد قلتم في تاويل حكايته

تع عن ادم وحواء قولهما ربنا ظلمنا انفسنا انما ارادا انا نقصنا ما الثواب الذي كنا نستحقه لو

فعلنا ما ندبنا اليه من الامتناع من تناول الشجرة قلنا انما قلنا ذلك هنالك وعدلنا عن الظاهر في

هذه اللفظة لقيام الدليل ان النبي لا يواقع المحظور كبيرا ولا صغيرا من الذنوب وليس في الاية التي

نحن في الكلام عليها ضرورة توجب العدول عن الظاهر بل قد بينا ان ترتيب الكلام ومقابلته تقتضيان

ان لفظة ظالم لنفسه في الاية تقتضي الذم لانها بازاء المقتصد على انه غير ممتنع ان تكون لفظة ظلم بخلاف

لفظة ظالم في عرفنا الاستعمال كما أن عند مخالفنا أن لفظة آمن بخلاف لفظة مؤمن لأنهم يصفون صاحب الكبيرة
بأنه آمن ولا يسمونه بأنه مؤمن ويزعمون أن الانتقال عن الاشتقاق إلى إفادة استحقاق الثواب إنما
هو في مؤمن دون آمن فلا ينبغي أن ينكروا مثل ذلك في ظلم وظالم وقد يحمل هذه الآية على أن المراد من
اختاره الله تعالى للتكليف وتوريث الكتاب من العقلاء البالغين ثم قسمهم الأقسام التي تليق بهم من غير
أن يكون المراد بالآية الأنبياء وهذا الجواب يفسد لأن الله تعالى يقول ثم أورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا ومن اصطفاه الله واختاره واجتباه بالإطلاق لا يكون إلا ممدوحا معظما فكيف
يكون فيهم من يستحق الذم والعقاب ومن اختاره الله لتكليفه شيئا مخصوصا لا يوصف بالإطلاق أن الله تعالى
اصطفاه والمعتزلة أبدا تنكر على المرجئة ما يأتيهم في قوله تعالى ولا يشفعون إلا لمن ارتضى على أن المراد من ارتضى
الشفاعة فيه ويقولون من ارتضى شيئا يتعلق به لا يوصف بأنه مرتضى على الإطلاق فكيف يثبتونه هاهنا ووجدت
أبا القاسم البلخي يقول في كتابه تفسير القرآن إنه تعالى أراد العقلاء البالغين ويجوز أن يكونوا عند الاصطفاء
أخيارا أتقياء ثم ظلم بعضهم نفسه فيكون كما قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه وهو في وقت
الارتداد غير مؤمن كذلك يكون في حال ظلمه نفسه ليس من المصطفين قال ويجوز أيضا أن يكون فيهم من ظلم
نفسه ثم تاب وأصلح ويكون قوله فمنهم ظالم لنفسه أي منهم من كان قد ظلم نفسه ليس أنه في هذا الوقت ظالم
لها هذه ألفاظه بعينها حكيناها عنه وهذا فاسد لأن من كان منهم ظالما مقدما على القبيح لا يوصفون على الإطلاق
بأن الله تعالى اصطفاهم فهذا الوصف يقتضي أن تكون الجماعة أخيارا وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا من
يرتد منكم عن دينه بخلاف هذا لأن وصفهم بأنهم آمنوا في الماضي لا يمنع من الردة في المستقبل وقوله تعالى الذين
اصطفينا يمنع أن يكون فيهم من ليست هذه صفته وأما حمل ذلك على من ظلم ثم تاب فهو غير صحيح لأن من تاب
لا يوصف بعد التوبة بأنه ظالم لنفسه لأن التوبة تمنع من إجراء ألفاظ الذم ووجدت بعضهم يتأول هذه
الآية على أن المراد بظالم لنفسه من جهد نفسه بالعبادة وحمل عليها وقال هذا يليق بأوصاف الأنبياء
ولا يمنع النبوة منه وهذا أيضا غير صحيح لأنا قد بينا أن لفظة ظالم لنفسه يذم بها في التعارف فكيف تجري
على المدح ومن هذا الذي يسمي من جهد نفسه في العبادة بأنه ظالم لنفسه بالإطلاق على أن السابق إلى
الخيرات هو المجتهد في العبادة الحامل على نفسه فيها فأي معنى للتكرار وهذا تأويل يفسد وبعد
هذه الجملة يتضح أن التأويل الصحيح ما قدمناه فأما قوله تعالى الكتاب فالظاهر أنه كناية عن القرآن المنزل

٤

على رسول الله فقد صارت هذه اللفظة بالإطلاق عبارة عنه ولهذا إذا أطلق القائل فقال هذا
ينطق به الكتاب ويحرم في الكتاب وورد في الكتاب لم يفهم منه إلا ما ذكرناه ومعنى أورثناه يعني علمه
وفوائده وأحكامه وليس يليق ذلك بالأنبياء المتقدمين فإنه لا حظ لهم في علم هذا الكتاب وإنما يختص
بهذه الفائدة نبينا والأئمة من ولده لأنهم المتعبدون بحفظه وبيانه والعمل بأحكامه وذلك كله
واضح بحمد الله ومنه. **مسألة** إن سأل سائل عن قوله تعالى ولا يملك الذين من دونه الشفاعة
إلا من شهد بالحق وهم يعلمون. الجواب قلنا أما الذين يدعون من دونه المراد به ما كان يعتقد المشركون
ويدعونه إلها من دون الله والهاء في دونه راجعة إلى اسم الله تعالى وتحقيق الكلام ولا يملك الذين
يدعون إلها وأربابا من دون الله تعالى الشفاعة ولما كثر استعمال هذه اللفظة فيمن يعبد من دون
الله ويدعى إلها دون الله استحسنوا الحذف لظهور الأمر في المراد ولهذا حمل محققو المفسرين قوله تعالى
قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم الآلهة من دونه وحذف ما يتعلق بهذا الدعاء في هذه الآية أشكل
من حذفه في قوله تعالى الذين يدعون من دونه لأن قوله جل وعز من دونه قد نبه ونص على أن المراد من
كان يدعى إلها من دونه والآية الأخرى لا دليل فيها من لفظها على ما يتعلق به قوله دعاؤكم ومعنى أنهم لا
يملكون الشفاعة أي ليس لهم أن يفعلوها ويتصرفوا فيها لأن معنى المالك ليس هو إلا من كان قادرا على
التصرف فيه وليس لأحد أن يمنعه من ذلك والشفاعة قد بينا في غير موضع من كتبنا أنها لا تستعمل على
طريقة الحقيقة إلا في طلب إسقاط المضار وإنما استعملت في إيصال المنافع تجوزا فيه واستعارة وقيل
في معنى الآية وجهان أحدهما أن المعبودين من عيسى بن مريم والملائكة وعزير لا يملكون الشفاعة عند
الله لأحد إلا لمن شهد بالحق وأقر بالتوحيد وبجميع ما يجب عليه الإقرار به والوجه الآخر أن الذين
يدعون من دون الله من البشر والأجسام وجميع المعبودات لا يملك الشفاعة عند الله إلا من شهد
بالحق منهم يعني عيسى وعزيرا والملائكة لا يملكون الشفاعة عند الله تعالى إلا إذا كانوا على الحق شاهدين
به معترفين بجميعه فإنهم يملكون الشفاعة عند الله وإن كان لا يملكها ما عداهم من المعبودات والفرق
بين الوجهين أن الوجه الأول يرجع الاستثناء إلى الشافع دون المشفوع فيه فإن قيل أي الوجهين
أرجح قلنا الثاني وإنما رجحناه لأن المقصد بالكلام أن الذين يدعونهم من دون الله يملكون لهم
نفعا كما قال تعالى في مواضع إنهم لا ينفعونكم ولا يضرونكم ولا يرزقونكم ووضع الكلام على نفي منفعة بضل

اليهم من جهتهم ولا غرض في عموم من يشفعون فيه او خصوصه ولما كان فيمن عبد من نبي او ملك من يجوز
ان يشفع فيمن تحسن الشفاعة له وجب استثناؤه حتى لا يتوهم ان حكم جميع من عبده واحد في انه لا
نصح منه الشفاعة وان من كان تصح منه الشفاعة انما يشفع فيمن يحسن الشفاعة له ممن لم يكن كافرا
ولا جاحدا ويترجح هذا الوجه من جهة اخرى وهي انا لو جعلنا الاستثناء يرجع الى من يشفع فيه
لكان الكلام يقتضي ان جميع من يدعون من دون الله يشفع لكل من شهد بالحق والامر بخلاف ذلك
لانه ليس كل من عبد من دون الله تعالى تصح منه الشفاعة لانهم عبدوا الاصنام وبعض عبد الكواكب
والشفاعة لا تصح منها فلا بد من ان تخصص الكلام ونقدره هكذا ولا يملك بعض الذين يدعون من دونه
الشفاعة الا فيمن شهد بالحق بعود الاستثناء الى الشافعين اولى حتى نخصص ايضا فلو عاد الاستثناء الا
الى المشفوع فيه لوجب ان يكون على غير هذه الصيغة فيقول الا فيمن شهد بالحق واذا قال الا من شهد
بالحق كان ذلك بان يرجع الى الشافع اولى لانه اليق باللفظ لانا اذا اردنا ان نستثني من جماعة
لا يشفعون قلنا هؤلاء لا يشفعون الا من كان بصفة كذا واذا كان الاستثناء ممن يشفع فيه قلنا لا
يشفعون الا فيمن صفته كذا وايضا فعلى الوجه الاول قد تقدم عموم ظاهر في اللفظة يجوز ان يستثنى منه
وهو قوله تعالى الذين يدعون من دونه وما جرى ذكر المشفوع فيه عموما يستثنى بعضه فان قيل الشفاعة
لفظة جنس يقتضي العموم قلنا قد بينا في غير موضع ان الفاظ الجنس لا تقتضي الاستغراق وضربنا له مثلا
بمن يقول هذه ايام اكل اللحم وزمان لبس الجباب فانه يقتضي الجنس من غير استغراق وان توهم خصوص
او عموم فخطا بما لا يعقل فان قيل اي فايدة في قوله تعالى وهم يعلمون وباي شي يتعلق علمهم قلنا ليس كل من
شهد بالحق يكون عالما لان المقلد والمبخت ربما شهد بالحق على وجه لا ينفع وانما ينفع ذلك مع العلم فكانه
تعالى قال وهم يعلمون صحة ما شهدوا به فان قيل اذا كان المستثنى هم الانبيا والملكة فهؤلاء لا يشهدون
بالحق الا مع العلم قلنا ذلك صحيح الا ان الاستثنا لما تناول في اللفظة من كان بصفة وكان مجرد هذه
اللفظة لا ينفع في المعنى المقصود الا مشروطا بالعلم وجب اشتراط العلم ليعلم افتقار تلك الصفة ممن
كانت اليه وهذا واضح فان قيل هذان الوجهان اللذان ذكرتموهما ورجحتم احدهما يقتضيان مشاركة
نبينا في الشفاعة للمذنبين ومن مذهب المسلمين انه منفرد بالشفاعة قلنا ليس فيما ذكرتم تضعيف
لهذين الجوابين من وجوه احدها ان انفراده بالشفاعة للمذنبين حتى لا يشاركه احد فيها ليس بمعلوم

١٥

ولا مقطوع عليه وانما يرجع فيه الى اقوال قوم غير محصلين الا ترى ان عند المسلمين كلهم الا من عند
المعتزلة ومن وافقهم ان للمومنين شفاعة بعضهم في بعض فكيف يدعى الاختصاص في هذا الى غيره
وثانيها ان المزية المدعاة لنبينا في الشفاعة انما هي على الانبياء المتقدمين دون الملكة
لانه لا خلاف في ان للملكة شفاعة وقد نطق القران بذلك فقال لا يشفعون الا لمن ارتضى وهم
من خشيته مشفقون واذا كان الامر على ما ذكرناه فالاستثناء يعود الى الملكة عليهم السلام لانهم من
جملة المعبودين فلا يمنع نفي الشفاعة عن الكل الا ان يستثنوا لان لهم شفاعة وثالثها ان الشفاعة قد
تكون الى الله تعالى والى غيره فان ثبت ما ادعى من تفرد نبينا بالشفاعة عند الله تعالى في مذنبي امته جاز ان
تثبت الشفاعة لغيره عند غير الله تعالى فكانه قال انتم تعبدون من لا يشفع فيكم في الدنيا ولا ينصركم
واستثنى من يجوز عليه ان يشفع في الدنيا ورابعها ان يكون المراد بالشفاعة هاهنا النصرة والمعونة
والمنفعة لان الشفاعة فيمن تتناوله نفع يوصل اليه وارادة الشفاعة في الاية معنى الشفاعة وهو
المنفعة والنصرة ونقدير الكلام انكم تعبدون من لا ينفعكم ولا يضركم ولا يعينكم ولما كان في جملة
هؤلاء المعبودين من يصح ان يضر وينفع استثنى ليبين ان حكمهم مفارق لحكم غيرهم وهذا بين لمن
تامله مسئلة ان اعترض معترض على ما نقوله من ان الاستثنا انما يخرج من الجمل ما صلح دخوله فيها
وليس بواجب فيخرج منها ما وجب دخوله بان يقول هذا يقتضي حسن ان يقول القايل جاني رجل
الا زيدا لان لفظة رجل تصلح ان تقع على زيد وعمرو بل لم من حق الاستثناء في اللغة العربية ان يدخل
على الجمل من الكلام فيخرج منها ما يصلح دخوله على مذهب نحا اللغة ولا يصح دخول الاستثناء على الفاظ
الوحدة ورجل لفظ واحد وان وقع في المعنى على الطويل والقصير وزيد وعمرو والاستثناء انما يخرج من
الجمل ما بينا ولها لفظها دون معناها فلهذا لم يستحسنوا جاني رجل الا زيدا وقد يستحسنوا في هذا المعنى
ما يجري مجرى الاستثنا بغير لفظة الا فيقولون جاني رجل ليس زيدا ولبس بزيد فيخرجون من الكلام ما صح
تناوله له وان لم يسموه استثناء ولا استحسنوا لفظة الا الا خاصة للاستثناء ولولا صحة الاصل
الذي ذكرناه لما استحسنوا ان يقولوا جاني رجال الا زيدا لانهم اخرجوا بالاستثنا ما تصلح لفظة رجال
له دون ما تتناوله وجوبا فان قيل الا كان قوله جاني رجال للجنس دون ما يدعي من تناوله للثلثة
فصاعدا فلهذا حسن الاستثنا منه بالا ولفظة رجل في قولهم جاني رجل للجنس قلنا لو كان لفظة رجال

اريد به جنس الرجال على عموم حسن استثناء النكرة منه من غير وصف لها ولا تقريب من المعرفة حتى يقول جاءني
رجال الا رجلا لانه اذا اريد الجنس حسن ذلك لانه كقوله لو جاءني الرجال بالالف واللام الا رجلا
واجمعوا واجمعوا على ان ذلك لا يجوز لانه غير مفيد ولو اريد بلفظة رجال ها هنا الجنس لكان استثناء
الرجل الواحد منها من غير وصف له مفيدا فاما لفظة رجل في الاثبات كقولهم جاءني رجل فانه لا يجوز ان
يكون عبارة عن الجنس في شيء من كلامهم ولو ارادوا به الجنس لحسن الاستثناء كما يحسن من الفاظ الجنس وانما
يراد في بعض المواضع بلفظة رجل الجنس اذا كانت في النفي مثل قولهم ما جاءني رجل وما ضربت رجلا و
ههنا يجوز ان تستثني فتقول الا رجلا مسئلة ان سئل سائل عن قوله تع يا قوم انكم ظلمتم انفسكم
باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب
الرحيم فقال كيف يجوز ان يتعبدهم بقتل انفسهم والعبادة بذلك لا تحسن الا ان تكون مصلحة لهذا
المكلف في دينه اما بان يفعل طاعة او يمتنع من قبيح وهو بعد الموت قد خرج من كل تكليف فلا يصح منه
شيء من الافعال الجواب ان المفسرين قد اختلفت اقوالهم في هذه الاية فمنهم من ذهب الى انه تع كلفهم ان يقتلوا
انفسهم القتل الحقيقي المعهود ومنهم من ذهب الى انه تع كلفهم ان يقتل بعضهم بعضا ومنهم من حمل الاية
على ان المراد بها تكليفهم الاستسلام للقتل ويقولون انهم استحقوا بعبادة العجل القتل فلما تابوا امرهم
الله تع بان يستسلموا لمن يقتلهم كما كلف الله القاتل لغيره ان يستسلم للقود منه فاما الوجه الاول
فيبطله ما ذكر في السؤال ولا يجوز ان يكون وجه حسن هذا التكليف المصلحة لغير المقتول لان مصلحة
زيد لا تكون وجها في وجوب الفعل على عمرو ولا يمكن ان يقال ان مصلحة المامور بقتل نفسه في نفس الامر
والتكليف قبل ان يقتل نفسه فان ذلك ربما كان لطفا له في بعض العبادات وذلك لان الامر بما ليس بمصلحة
وجوبا وندبا لا يحسن بل يكون الامر قبيحا واذا كان الامر قبيحا لم يحسن ان يكون فيه لطف لبعض المكلفين
بل يمنع منه كما يمنع من ان يلطف لبعض المكلفين بما هو قبيح في نفسه فلم يبق بعد ابطال هذا الوجه الا الوجهان
الاخيران من الاستسلام لمن يقتلهم القتل الذي استحقوه او قتل بعضهم بعضا فقد روي انهم برزوا باسيافهم
واصطفوا صفين يضرب بعضهم بعضا فمن قتل منهم كان شهيدا ومن نجا كان تائبا ويمكن في الاية
وجه اخر ما رأينا احدا من المفسرين سبق اليه وهو انه لم يزد في القوة على ما ذكر لم ينقص عنه وهو ان
يكون المراد بقوله تع فاقتلوا انفسكم اي اجتهدوا في التوبة مما اقدمتم عليه والندم على ما فات وادخالها المشاق

الشديد

الشديد عليكم في ذلك حتى تكادوا ان تكونوا قتلتم انفسكم وقد يسمى من فعل ما يقارب الشيء باسمه فعليه
ومذهب اهل اللغة في ذلك معروف مشهور يقولون ضرب فلان عبده حتى قتله وفلان قتله العشق و
اخرج نفسه وابطل روحه وما جرى مجرى ذلك وانما يريدون المقاربة والمشارفة والمبالغة في وصف
التناهي والشدة فلما اراد تعالى ان يامرهم بالتناهي والمبالغة في الندم على ما فات وبلوغ الغاية القصوى
فيه جاز ان يقول فاقتلوا انفسكم فاذا قيل طعنا على هذا الجواب انما يسمى مقاربة القتل قتلا مجازا و
توسعا وحمل الكلام على حقيقته اولى الجواب ان الوجهين اللذين ذكرهما المفسرون في هذه الاية من
قتل بعضهم بعضا والاستسلام للقتل مبنيا ايضا على المجاز وظاهر التنزيل بخلافهما لان الاستسلام
للقتل ليس بقتل على الحقيقة وانما سمي باسمه من حيث يؤدي اليه وكذلك قتل بعضهم بعضا مجاز لان
القاتل غير المقتول وظاهر الاية يقتضي ان القاتل هو المقتول واما استشهادهم في تقوية هذا الوجه
بقوله ولا تقتلوا انفسكم يعني اخوانكم لا يغني شيئا لان ذلك مجاز لا محالة وانما حمل على الاخوان بدليل
والظاهر ان يكون تكليفا لقتل الواحد نفسه وسلامته على نفسه فان قيل كيف يجوز ان يستحق القتل
بعد التوبة من الوجوه التي بها استحق القتل قلنا غير ممتنع ان يكلفنا الله تع بعد التوبة من الكفر
القتل امتحانا لا على سبيل العقوبة فان قيل كيف يصح ان تكون التوبة نفسها قتل انفسهم والتوبة هي
الندم والعزم وهما غير القتل قلنا الجواب الصحيح عن هذا السؤال ان الفاء في الاية عاطفة للقتل على
التوبة وليست مبينة ان القتل هو التوبة على ما ظنه بعض من لم يتامل وهو جار مجرى قوله ضربت
زيدا فعمرا وان الفاء ها هنا عاطفة وقائمة مقام الواو الا ان لها زيادة على حكم الواو فان الفاء تقتضي
الجمع الذي يقتضيه الواو ويقتضي الترتيب والتعقيب اللذين لا يفهمان من الواو وكانه تع قال
فتوبوا الى بارئكم واقتلوا انفسكم فلما امرهم بالقتل عقيب التوبة ادخل الفاء التي هي علامة على ذلك
وقد اجاب بعض الناس بان قال لما لم تتم التوبة الا به ومعه يصح ان يسمى باسمها كما يقال للغاصب اذا
عزم على التوبة ان توبتك رد ما غصبت وانما يريد ان توبتك لا تتم الا به وقد بينا ما يغني عن ذلك
في الجواب الذي اخترناه وهو اولى واوضح مسئلة ان سئل سائل عن قوله تع ليس على الذين
امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا
ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين هذه الاية تشاغل المفسرون بايضاح الوجه في التكرار الذي

نفسه وظنوا انه المشكل فيها ونكوا اما هو اشد اشكالا من التكرار وهو انه تع نفى الجناح عن الذين
امنوا وعملوا الصالحات فيما يطعمونه بشرط الاتقاء والايمان وعمل الصالحات واذا اريد بالاتقاء
تجنب القبايح والمحارم كان ذلك شرطا صحيحا فى نفى الجناح الا ان الايمان وعمل الصالحات ليس بشرط
فى نفى الجناح على وجه ولا سبيل لان من جانب القبيح المحظور عليه لم يكن عليه جناح فيما طعم وان
ان لم يكن مؤمنا ولا ممن عمل الصالحات الا نرى ان المباح اذا وقع من الكافر لا اثم عليه ولا
وزر وان وقعه منه مع كفره فى نفى الاثم كوقوعه من المؤمنين والاشكال انما هو فى اشتراط الايمان و
عمل الصالحات وليس كذلك تاثير معقول فى الجناح ونحن نبين ما يحل هذه الشبهة القوية ونتكلم
على التكرار ولنا فى ذلك طريقان احدهما ان نضم الى المشروط المصرح بذكره غيره حتى يظهر تاثير ما ذكر
من الشروط او نجعل ما ولى الاتقاء من الايمان وعمل الصالحات ليس بشرط حقيقى وان كان معطوفا على
الشرط وكلا الجائز اذا قاد الدليل اليه واحوج الى التعويل عليه اما الوجه الاول فبيانه ان يكون تقدير
الكلام ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا وغيره اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا
الصالحات لان الشرط فى نفى الجناح لابد ان يكون له تاثير حتى يكون متى انتفى ثبت الجناح وقد علمنا ان
بانتفاء المحارم ينتفى الجناح فيما يطعم هو الشرط الذى لا زيادة عليه ولما ولى ذكر الاتقاء الايمان و
عمل الصالحات ولا تاثير لها فى نفى الجناح وجب ان نقدر هنا له ما تؤثر هذه الافعال فى نفى الجناح
عنه فلشرطنا الحاضر ما تقدم ذكره حتى يصح الشرط ويطابق المشروط لان من اتقى الحرام فيما يطعم لا جناح
عليه فيما يطعم لكنه قد يصح ان يثبت عليه الجناح فيما اخل به من واجب وضيعه من فرض فاذا شرطنا
مع انتفاء القبيح ممن امن بالله وبما اوجب عليه الايمان به وعمل الصالحات ارتفع الجناح عنه من كل
وجه وليس بمنكر حذف ما قدرناه لدلالة الكلام عليه فمن عادتهم ان يحذفوا ما يجرى هذا المجرى وتكون
قوة الدلالة عليه وسوقها اليه مغنيين عن النطق به فى القران وفصيح كلام العرب واشعارها مثاله
كثيرة لذلك لا تحصى فمنه قوله تع واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان فقد ذكر فى الاية وجوه من اوضحها
انه تع اراد اتينا موسى الكتاب ومحمدا الفرقان لانه لما عطف الفرقان على الكتاب الذى اوتى
موسى وعلمنا انه لا يليق به لان الفرقان ليس مما اوتيه موسى وجب ان نقدر ما يطابق ذلك
ومثله قول الشاعر شعر تراه كأن الله يجدع انفه : وعينيه ان مولاه بات له وفر

لما كان الجدع لا يليق بالعين وهو ان كانت معطوفة على الانف الذى يليق به الجدع اضمر ما يليق
بالعين وهو البخص وما يجرى مجراه ومثله : يا ليت زوجك قد غدا متقلدا : سيفا ورمحا : ومثله
علفتها تبنا وماء باردا : والايماء مع قوة الدلالة احسن من الافصاح وادخل فى البلاغة والفصاحة
واما بيان الوجه الثانى فهو انا نعدل عن ظاهر الشرط فيما ولى الاتقاء من ذكر الايمان وعمل الصالحات
ونجعله ليس بشرط وان كان معطوفا على شرط لان العدول عن الظاهر بالادلة القاهرة واجب لازم
مستعمل فى كثير القران فكانه تعالى لما اراد ان يبين وجوب الايمان وعمل الصالحات وتاكد لزومه عطفه على
ما هو واجب لازم من انتفاء المحارم لاشتراكهما فى الوجوب وان لم يشتركا فى كونهما شرطا فى نفى الجناح فيما
يطعم وهذا نفسح ونتوسع فى البلاغة يجار فيها العقل استحسانا واستغرابا ونا ويدل على ان المخاطب بذلك
على امساك والعدول عن تفصيله يضع كل شى منه فى موضعه وكم فى القران من هذه الغرايب فى الفصاحة و
العجايب والحذوف والاختصارات التى لا يتجاسر بليغ ولا فصيح على الاقدام عليها والمرور بشعبها خوفا من
الزلل والخلل واما الجواب عن مشكل التكرار فالوجه فيه على الجملة ان نجعل الاحوال التى يقع فيها الاتقاء
والايمان وعمل الصالحات مختلفة مضى واستقبال فيزول التكرار او نجعل المامور به من الاتقاء و
الايمان وعمل الصالحات مشروطا مخصوصا متباينا ولى الاول غير متناول الثانى والثانى غير متناول الا
فيزول ايضا بذلك التكرار وقد اول المفسرون على اختلافهم بكثير من الجملة التى اشرنا اليها ذكروا
ان الشرط الاول يتعلق بالزمان الماضى والشرط الثانى متعلق بالدوام على ذلك والاستمرار على فعله و
الثالث مختص باتقاء ظلم العباد وذكر ابو على الجبائى هذا بعينه واستدل على ان الاتقاء الثالث
يختص بظلم العباد بقوله واحسنوا وان الاحسان اذا كان متعديا وجب ان يكون ما امروا باتقائه من
المعاصى ايضا متعديا وهذا ممن اعتمد من المفسرين مرجح لاختلاف الاحوال باختلاف المامور به
وما ينبغى ان يكون كذلك بل الواجب ان يبطل التكرار اما من جهة اختلاف الاحوال من غير ان يمزجها
باختلاف غيرها او نعدل عن اختلاف الاحوال فيبطل التكرار من حيث اختلاف المامور به فى عموم و
خصوص ولعل ابا على وغيره انما عدل فى الشرط الثالث عن ذكر الاحوال لما ظن انه لا يمكن فيه ما امكن
فى الاول والثانى ونحن نبين ان الامر بخلاف ما ظنه وهو انه لا يمتنع ان يحمل الشرط الاول على الماضى من
الزمان والثانى على الحال والثالث على المنتظر المستقبل والدليل على ان نقول لا واسطة عند المتكلمين بين

الماضي والمستقبل لان الفعل اما ان يكون معدوما فيكون مستقبلا او موجودا فيكون ماضيا ولهذا
يجعل الاحوال الثلثة النحويون ولا يرتضي ذلك المتكلمون والجواب عن هذا ان الصحيح انه لا واسطة بين
العدم والوجود على ما ذكر غير ان الموجود في اقرب الزمان لا يمتنع ان تسميه حالا ويبينه وبين الماضي الغابر
السالف فرق كما كان كذلك بينه وبين المنتظر واما بيان اختلاف المامور فان يحمل الانقاء الاول على اتقاء
المعاصي العقلية التي تخص المكلف ولا تتعداه والايمان الاول الايمان بالله تع وبما اوجب الايمان
به والايمان الثاني الايمان بقبح هذه المعاصي ووجوب تجنبها والاتقاء الثالث الاتقاء لما
يتعدى منا المعاصي من الظلم والاساءة وليس ينبغي ان يفزع فان الاتقاء الثالث يختص بظالم العباد
الى ما اعتمده ابو علي من قوله تع واحسنوا من حيث كان الاحسان اذا كان متعديا فكذلك ما عطف
عليه لان ذلك من ضعيف الاستدلال لان قول الله تع واحسنوا ليس بصريح في ان المراد به الاحسان
المتعدي لانه غير ممتنع ان يريد به فعل الحسن والمبالغة فيه وان اختص الفاعل ولم يتعده الا ترى انهم
يقولون لمن بالغ في الفعل الحسن وتناهى فيه وان اختص به احسنت واجملت ثم ان سلم ان المراد به الاحسان
المتعدي لم يمتنع ان يعطفه وهو متعد على فعل لا يتعدى الا ترى انه لو صرح بذلك لقال اتقوا المعاصي
كلها والقبايح واحسنوا الى غيركم لكان حسنا غير قبيح وانما ينبغي ان يفزع في التخصيص الى الغرض من التكرار
وحمله على ما يفيد وذلك يغني عما تكلفه ابو علي فان قيل اي فايدة في تخصيص الذين امنوا وعملوا الصالحات
بنفي الجناح فيما يطعمونه بالشرط المذكور ومن ليس بمؤمن يشاركهم في هذا الحكم مع ثبوت الشرط قلنا تعليق
الحكم بالصفة او الاسم لا يدل على نفيه عمن عدا المسمى او الموصوف وقد دل العلماء على ذلك في مواضع كثيرة
وليس يمتنع على المذهب الصحيح ان يعلق الحكم باسم او صفة ويكون من عدا الموصوف والمسمى مشاركا
في ذلك الحكم وقد قيل ان السبب في نزول هذه الاية انه لما نزل تحريم الخمر قال المسلمون كيف باخواننا
الذين تناولوا الخمر قبل نزول تحريمها وماتوا وهو في اجوافهم وكيف باخواننا الطايفين في اطراف
البلاد وهم لا يشعرون بهذا التحريم فانزل الله تع هذه الاية تطييبا لنفوسهم واعلاما لهم ان من يطعم
ما لم يبين له تحريمه لا جناح عليه وقيل ايضا ان الاية وردت في قوم حرموا على انفسهم اللحوم وسلكوا
طريق الترهب كعثمن بن مظعون وغيره فبين الله سبحانه ان الحلال لا جناح في تناوله وانما الجناح
التجنب للمحرم وهذه الاسباب لا تنفي معها مسئلة عن سبب تخصيص المؤمنين بنفي الجناح وكل هذا واضح

مسئلة سئل رضه عن قول الله عز وجل في قصة زكرياء انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر
فكانه سئل امرا يستحيل كونه وقد علمنا لا محالة ان زكريا يعلم ان الله تع لا يعجزه ما يريد فما وجه الكلام
فاجاب عن ذلك وقال انه غير ممتنع ان يكون زكرياء لم يسئل الذرية في حال كبره وهرمه بل قبل
هذه الحال فلما رزقه الله تع ولدا على الكبر مع كون امراته عاقرا قال انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر
وامراتي عاقر من غير انكار منه لقدرة الله تع على ذلك بل ليرد من الجواب ما يزداد به بصيرة ويقينا
ويجوز ايضا ان يكون سال الولد مع الكبر وعقم امراته ليفعل الله تع ذلك على سبيل الاية له وخرق
العادة من اجله فلما رزقه الله تع الولد عجب من ذلك وانكره بعض تضعف بصيرته من امته فقال
انى يكون لي ولد ليرد من الجواب ما يزول به شك غيره فكانه سئل في تحقيقه لغيره لا لنفسه ويجري
ذلك مجرى سوال عيسى ان يريه الله تع نفسه لما شك قومه في ذلك فسئل لهم لا لنفسه مسئلة
وسئل ايضا رضه عن قوله تع واذ نجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم
ويستحيون نساءكم فقال اي شيء في استحياء النساء من سوء العذاب وانما العذاب في ذبح الابناء
فقال اما قتل الذكور واستبقاء الاناث فهو ضرب من العذاب والاضرار لان الرجال هم الذين
يدفعون عن النساء عما يلحقهن به من الشر وهو واقع منهن في الاكثر مع الردع فاذا انفردن وعدم
الزوج ولا مانع وهذه مضرة عظيمة ووجه اخر وهو ان الراجع الى قوله يسومونكم سوء العذاب هو قتل
الابناء دون استبقاء النساء وانما ذكر استحياء النساء لشرح كيفية الحال لا لان من جملة العذاب
ذلك كما يقول احدنا فلان عذبني بان ادخلني داره وعليه ثياب فلانية وضربني بالمقارع وفلان
حاضر وليس كل ما ذكر من جملة العذاب وانما العذاب هو الضرب دون غيره وذكر الباقي على سبيل
الشرح للحال ووجه اخر وهو انه روي انهم كانوا يقتلون الابناء ويدخلون ايديهم في فروج النساء
لاستخراج الاجنة من بطون الحوامل فقيل يستحيون النساء اشتقاقا من لفظة الحيا وهو الفرج
هذا عذاب ومثلة وضرر شديد بلا محالة مسئلة ايضا فقيل اليس قد وعد الله المؤمنين في عدة
مواضع من كتابه المجيد بالجنة والخلود في النعيم فما معنى قول النبي ما ادري ما يفعل بي ولا بكم
الثواب والعقاب ودخول الجنة او النار ولانه عالم بان الجنة ماواه والثواب عاقبته ولا يجوز ان
يشك في انه ليس من اهل النار وان شك في ذلك من حال غيره والمراد بالاية انى لا ادري ما يفعل

ب ولابكم من المنافع والمضار الدنيا وية كالصحة والمرض والغنى والفقر والخصب والجدب
هذا المعنى صحيح واضح لا شبهة فيه ويجوز ايضا ان يريد انى لا ادرى ما يحدثه الله تع من العبادات
ويأمرنى به واياكم من الشرعيات وما ينسخ من الشرايع وما يقر منها ويستدام لان ذلك كله
مغيب عنه وهذا يليق بقوله تع فى اول الاية قل ما كنت بدعا من الرسل وفى اخرها ان اتبع الا ما
يوحى الى وسئل ايضا عن قوله وان كنت فى شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرءون الكتاب
من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين كيف يكون النبى فى شك مما اوحى اليه
وكيف يسئل عن صحة ما انزل اليه الذين يقرءون الكتاب من قبله وهم اليهود والنصارى المكذبون
له فقال ان قوله تع فان كنت فى شك مما انزلنا اليك ظاهر الخطاب له والمعنى لغيره كما قال تع
يا ايها النبى اذا طلقتم النسا فكانه قال فان كنت ايها السامع للقرآن فى شك مما انزلناه على نبينا
فسئل الذين يقرءون الكتاب فليس يمتنع عند من يعم النظر ان يكون الخطاب متوجها الى النبى
وليس اذا كان الشك لا يجوز عليه لم يحسن ان يق له ان شككت فافعل كذا كما قال تع لئن اشركت
ليحبطن عملك ومعلوم ان الشرك لا يجوز عليه ولا خلاف بين العلما فانه داخل فى ظاهر آيات
الوعيد والوعد وان كان لا يجوز ان يقع منه ما يستحق به من العقاب وان قيل له ان اذنبت عوقبت
فكذا لا يمتنع ان يق له ان شككت فافعل كذا وكذا وان كان ممن لا يشك ووجدت بعض المفسرين
يجعل ان ههنا بمعنى ما التى للجحد ويكون تقدير الكلام ما كنت فى شك مما انزلنا اليك واستشهد
على ذلك بقوله تع قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم اى ما نحن وقوله تع ان انت الا نذير اى ما انت
الا نذير ولا شك ولا شبهة فان لفظة ان قد تكون بمعنى ما فى بعض المواضع الا انه لا يليق بهذا الموضع
لكونها ان بمعنى ما لانه لا يجوز ان يقول تع ما انت فى شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرءون الكتاب
لان العالم لا حاجة به الى المسئلة وانما يحتاج ان يسئل الشاك غير انه يمكن نصرة هذا الجواب بانه تع لو
امره بسؤال الكتاب من غير ان ينفى شكه لاوهم امره بالسؤال انه شاك فى صدقه وصحة ما انزل عليه فقدم
كلاما يقتضى نفى الشك عنه فيما انزل عليه ليعلم ان امره بالسؤال لبزول الشك عن غيره لا عنه فاما
الذين امر بمسئلتهم فقد قيل انهم المؤمنون من اهل الكتاب الراجعون الى الحق ككعب الاحبار ومن
جرى مجراه ممن اسلم بعد اليهودية لان هؤلاء يصدقون عما شاهدوه فى كتبهم من صفات النبى

البشارة

البشارة به وان كان غيرهم ممن اقام على الكفر والباطل لا يصدق عن ذلك وقال قوم اخرون ان
المراد بالذين يقرءون الكتاب جماعة اليهود ممن امن وممن لم يؤمن فانهم يصدقون عما وجدوه
فى كتبهم من البشارة بنبى موصوف يدعون انه غيرك وانك اذا قابلت تلك الصفات صفاتك
علمت انك وكل من انصفت ان المبشر بنبوته هو انت وقال اخرون ما امره ان يسئلهم عن البشارة
لانهم يصدقون عن ذلك بل امرهم ان يسئلهم عما تقدم ذكره على هذه الاية بغير فصل من قوله تع
ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك
يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ثم قال الله تع فان كنت فى شك مما انزلنا اليك
فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك اى فى شك مما تضمنته هذه الاية من النعمة على بنى اسرائيل
فما كانت اليهود تجحد ذلك بل تفتخر به وتفخر بمكانه وهذا الوجه يروى عن الحسن البصرى وكل
ذلك واضح لمن تامله مسئلة سئل رحمه فقيل ما القول فيما يخبر به المنجمون من وقوع حوادث
ويضيفون ذلك الى تاثيرات النجوم وما المانع من ان تؤثر الكواكب على حد تاثير الشمس فى الادمة
فينا وان كان تاثير الكوكب مستحيلا فما المانع من ان تكون التاثيرات من فعل الله تع بمجرى العادة
عند طلوع هذه الكواكب وانتقالها فانعم ببيان ذلك فان الانفس اليه متشوقة وكيف تقول ان
المنجمين حادسون مع انه لا يفسد من اقوالهم الا القليل حتى انهم يخبرون بالكسوف ووقته ومقداره
فلا يكون الا على ما اخبروا به فاى فرق بين اخبارهم بحصول هذه التاثيرات فى هذا الجسم وبين حصول
تاثيرها فى اجسامنا الجواب اعلم ان المنجمين يذهبون الى ان الكواكب تفعل فى الارض ومن عليها
افعالا يسندونها الى طباعها وما فيهم احد يذهب الى ان الله تع اجرى العادة بان يفعل عند قرب
بعضها من بعض او بعده افعالا من غير ان يكون للكواكب انفسها تاثير فى ذلك ومن ادعى هذا المذهب
الان منهم فهو قايل بخلاف ما ذهبت القدما فى ذلك ومتجمل لهذا المذهب عند اهل الاسلام ومتقرب
اليهم باظهاره وليس هذا بقول لاحد ممن تقدم وكان الذى كان يجوز ان يكون صحيحا وان دل الدليل
على فساده لا يذهبون اليه وانما يذهبون الى المحال الذى لا يمكن صحته وقد فرغ المتكلمون من الكلام
فى ان الكواكب لا يجوز ان تكون فينا فاعلة وتكلمنا نحن ايضا فى مواضع على ذلك وبينا بطلان الطبايع
التى يهذون بذكرها واضافة الافعال اليها وبينا ان الفاعل لا بد ان يكون حيا قادرا وقد علمنا ان

الكواكب ليست بهذه الصفة فكيف تفعل وما يصح الافعال مفقود فيها وقد سطر المتكلمون طرقا
كثيرة في انها ليست بحية ولا قادرة اكثرها معترض واشف ما قيل في ذلك ان الحياة معلوم ان
الحرارة الشديدة كحرارة النار تنفيها ولا تثبت معها ومعلوم ان حرارة الشمس اشد واقوى من
حرارة النار بكثير لان الذي يصل الينا على بعد المسافة من حرارة الشمس بشعاعها يماثل او يزيد
على حرارة النار وما كان بهذه الصفة من الحرارة يستحيل كونه حيا واقوى من ذلك كله في نفي كون
الفلك وما فيه من شمس وقمر وكوكب احياء السمع والاجماع فان لا خلاف بين المسلمين في ارتفاع
الحياة عن الفلك وما يشتمل عليه من الكواكب وانها مسخرة مدبرة مصرفة وذلك معلوم من دين
رسول الله ضرورة واذا قطعنا على نفي الحياة والقدرة عن الكواكب فكيف تكون فاعلة وعلى
انا قد سلمنا لهم استظهارا في الحجة انها قادرة قلنا ان الجسم وان كان قادرا فانه لا يجوز ان يفعل
في غيره الا على سبيل التوليد ولا بد من وصلة بين الفاعل والمفعول فيه والكواكب غير مماسة لنا
ولا وصلة بيننا وبينها فكيف تكون فاعلة فينا فان ادعى ان الوصلة بيننا الهواء فالهواء اولا لا يجوز
ان يكون له في الحركات الشديدة وحمل الاثقال ثم لو كان الهواء الذي يحركنا بها الكواكب لوجب ان
نحس بذلك ونعلم ان الهواء يحركنا ويصرفنا كما نعلم في غيرنا من الاجسام اذا حركناه بالة على ان في
الحوادث الحادثة فينا ما لا يجوز ان يفعل بالة ولا يتولد عن سبب كالارادات والاعتقادات و
اشيا كثيرة فكيف فعلتها الكواكب ذلك فينا وهي لا يصح ان تكون مخترعة للافعال لان الجسم لا يجوز
ان يكون قادرا الا بقدرة والقدرة لا يجوز لامر يرجع الى نوعها ان تخترع بها الافعال فاما الا
فليس تؤثرها الشمس على الحقيقة في وجوهنا وابداننا وانما الله تع هو المؤثر لها وفاعلها بتوسط
حرارة الشمس كما انه تع هو المحرق على الحقيقة بحرارة النار والهاشم لما يهشمه الحجر بثقله وحرارة الشمس
مسودة للاجسام من جهة معقولة مفهومة كما ان النار تحرق الاجسام على وجه معقول فاي تاثير
للكواكب فينا يجري هذا المجرى في تميزه والعلم بصحته فليشر اليه فان ذلك لا قدرة عليه ومما يمكن ان
يعتمد في ابطال ان تكون الكواكب فاعلة فينا ومصرفة لنا ان ذلك يقتضي سقوط الامر والنهي والمدح
والذم عنا وتكون معذورين في كل اساة تقع منا وتجنيها بايدينا وغير مشكورين على شي من الاحسان
والافضال وكل شي تفسد به قول المجبرة فهو مفسد لهذا المذهب واما الوجه الاخر وهو ان يكون

ام

الله تع اجرى العادة بان يفعل افعالا مخصوصة عند طلوع كوكب وغروبه او اتصاله او مفارقته فقد بينا
ان ذلك ليس بمذهب للمنجمين البتة وانما يتجملون الان بالتظاهر به وانه قد كان جايزا ان يجري الله تع
العادة بذلك لكن لا طريق الى العلم بان ذلك قد وقع وثبت ومن اين لنا بان الله تع يفعل ان يكون
محل الاشارة لفظا اجرى ونقل الناسخ سهاعنا العادة بان يكون زحل او المريخ اذا كان في درجة
الطالع كان نحسا وان المشتري اذا كان كذلك كان سعدا واي سمع مقطوع به جاء بذلك واي نبي
خبر به واستفيد من جهته فان عولوا في ذلك على التجربة بانا جربنا ذلك ومن كان قبلنا فوجدناه
على هذه الصفة واذا لم يكن موجبا وجب ان يكون معتادا قلنا ومن سلم لكم صحة هذه التجربة و
انتظامها واطرادها وقد راينا خطاكم فيها اكثر من صوابكم وصدقكم اقل من كذبكم فالا نسبتم الصحة
اذا اتفقت منكم الى الاتفاق الذي يقع من المخمن والمرجم فقد راينا من يصيب من هولاء اكثر
ممن يخطي وهو على غير اصل معتمد ولا قاعدة صحيحة فاذا قلتم سبب خطاء المنجم زلل دخل عليه في
اخذ الطالع او تسيير الكواكب قلنا ولم لا كانت الاصابة سببها التخمين وانما كان يصح لكم هذا التاويل
والتخريج لو كان على صحة احكام النجوم دليل قاطع هو غير اصابة المنجم فاما اذا كان دليل صحة الاحكام
الاصابة فالا كان دليل فسادها الخطا فما احدهما في المقابلة الا كصاحبه ومما الجم به القايلون
بصحة الاحكام ولم يتحصل منهم عنه جواب ان قيل لهم في شي بعينه خذوا الطالع واحكموا هل يوخذ
او يترك فان حكموا اما بالاخذ او الترك خولفوا وفعل خلاف ما اخبروا به وقد اعضلتهم هذه المسلة
واعتذروا عنها باعذار ملفقة لا يخفى على عاقل سمعها بعدها من الصواب فقالوا في هذه المسلة يجب
ان يكتب هذا المبتلي بها ما يريد ان يفعل ويريد يجيء به غيره فانا نخرج ما قد عزم عليه من احد
الامرين وهذا التعليل منهم باطل لانه اذا كان النظر في النجوم يدل على جميع الكاينات التي من جملتها
ما يختاره احدنا من اخذ هذا الشيء او تركه فاي فرق بين ان يطوي ذلك فلا يخبر به ولا يكتبه حتى
يقول المنجم ما عنده وبين ان يجيء به ويكتبه قبل ذلك وانما فزعوا الى الكتابة وما جرى مجراها حتى
لا يخالف المنجم فيما يذكره ويحكم به من اخذ او ترك ولو كانت الاحكام صحيحة وفيها دلالة على الكاينات
لوجب ان يعرف المنجم ما اختاره من احد الامرين على كل حال ولو نزلنا على تحت حكمهم وكتبنا ما نريد
ان نفعله لما وجدنا اصابتهم في ذلك الا اقل من خطاهم ولم يزيد وافيه على ما يفعله المخمن المرجم

من غير نظر في طالع ولا غارب ولا رجوع الى اصل والا فالبلوى بيننا وبينكم وكان بعض الرؤساء بل
الوزراء ممن كان فاضلا في الادب والكتابة مشغوفا بالنجوم عاملا عليها قال لي يوما وقد جرى حديث
يتعلق باحكام النجوم وما اري من تعجبي ممن يتشاغل بذلك ويفني زمانه به اريد ان اسالك عن
شيء في نفسي فقلت سل عما بدا لك قال اريد ان تعرفني هل بلغ بك التكذيب باحكام النجوم الى ان
تختار يوما لسفر ولبس ثوب جديد وتوجه في حاجة فقلت قد بلغت الى ذلك والحمد لله وزيادة عليه
وما في داري تقويم ولا انظر فيه وما رايت مع ذلك الا خيرا ثم اقبلت عليه فقلت ندع ما يدل على بطلان احكام
النجوم مما يحتاج الى نظر دقيق وروية طويلة وههنا شيء قريب لا يخفى على احد ممن علت طبقته في الفهم او انخفضت
خبرني لو فرضنا جادة مسلوكة وطريقا يمشي فيه الناس ليلا ونهارا وفي محجته ابار متقاربة وبين بعضها وبعض
طريق يحتاج سالكه الى تامل وتوقف حتى يتخلص من السقوط في بعض تلك الابار فهل يجوز ان تكون سلامة من يمشي
في هذا الطريق من العميان كسلامة من يمشي من البصراء وقد فرضنا انه لا يخلو طرفة عين من المشاة فيه بصراء
وعميان وهل يجوز ان يكون عطب البصراء يقارب عطب العميان او سلامة العميان مقاربة لسلامة البصراء
فقال هذا مما لا يجوز بل الواجب ان تكون سلامة البصراء اكثر من سلامة العميان ولا يجوز في مثل هذا التقارب
فقلت اذا كان هذا محالا فاحيلوا نظيره وما لا فرق بينه وبينه وانتم تجيزون شبيه ما ذكرناه وعديله
لان البصراء هم الذين يعرفون احكام النجوم ويميزون سعدها من نحسها ويتوقون ببذل المعرفة مضارها
المزمنة ويتحفظون منها ويعتمدون منافعها ويقصدونها ومثال العميان كل من لا يحسن تعلم النجوم ولا يتقنه
البته من الفهماء والفقهاء واهل الديانات والعبادات ثم سائر العوام والاعراب والاكراد وهم اضعاف
اضعاف من يراعي علم النجوم ومثال الطريق الذي فيه الابار الزمان الذي يمضي على الخلق اجمعين ومثال الابار
معاطبه ونوائبه ومحنه وقد كان يجب لو صح العلم بالنجوم واحكامها ان تكون سلامة المنجمين اكثر ومصائبهم اقل
لانهم يتوقون المحن لعلمهم بها قبل كونها وتكون محن كل من ذكرناه من الطبقات الكثيرة اوفر واظهر حتى تكون
السلامة هي الطريقة الغريبة وقد علمنا خلاف ذلك وان السلامة والمحن في الجميع متقاربة غير متفاوتة
فقال ربما اتفق مثل ذلك فقلت له فيجب ان تصدق من خبرنا في ذلك الطريق المسلوك الذي فرضناه بان
سلامة العميان كسلامة البصراء ونقول لعله ان اتفق ذلك وبعد فان الاتفاق لا يستمر بل ينقطع والذي
ذكرناه مستمر غير منقطع فلم يكن عنده عذر صحيح ومما يفسد مذهب المنجمين ويدل على ان العلم ليتفق لهم

من

من الاصابة على غير اصل انا قد شاهدنا جماعة من الزنادقة الذين لا يعرفون شيئا من علم النجوم ولا
نظروا قط في شيء منه ويصيبون فيما يحكمون به اصابات مستطرفة وقد كان المعروف بالشعراني الذي شاهدناه
وهو لا يحسن ان ياخذ الاصطرلاب للطالع ولا نظر قط في زيج بل ولا تقويم غير انه ذكي حاضر الجواب
فطن بالزرق معروف بكثرة الاصابة وبلوغ الغاية فيما يخرجه من الاسرار ولقد اجتمع يوما بين يدي
جماعة كانوا عندي وكنا كلنا قد اعتزمنا جهة نقصدها لبعض الاغراض فسالنا احلنا عما نحن بصدده
فابتدا من غير اخذ طالع ولا نظر في تقويم فاخبرنا بالجهة التي اردنا قصدها ثم عدل الى كل واحد من الجماعة
فاخبر عن كثير من تفصيل امره واغراضه حتى قال لاحدهم وانت من بين الجماعة قد وعدك واعد بشيء
يوصله اليك وقلبك به متعلق وفي كمك شيء مما يدل على هذا وقد انقضت حاجتك وانجزت وضرب
يده الى كمه واستخرج ما فيه فاستحيا ذلك الرجل ووجم ومنع من الوقوف على ما في كمه بجهده فلم ينفعه
ذلك واعان الحاضرون على اخراج ما في كمه لما احسوا به الاصابة من الزنادق فاخرج من كمه رقاع
كثيرة من جملتها صك على دار الضرب بصلة من خليفة الوزارة في ذلك الوقت فعجبنا مما اتفق منا مثله
مع بعده من صناعة النجوم وكان لنا صديق يقول ابدا من اوكد دليل على بطلان احكام النجوم اصابة
الشعراني وجرى يوما مع من يتعاطى علم النجوم هذا الحديث فقال لعنه المنجمين ان السبب في اصابته من لا
يعلم شيئا من علم النجوم ان مولده وما يتولاه ويقتضيه كواكبه اقتضى له ذلك فقلت له لعل بطليموس و
كل عالم من علماء المنجمين ومصيب في احكامه عليها انما سبب اصابته مولده وما تقتضيه كواكبه من غير
علم ولا فهم فلا يجب ان يستدل بالاصابة على العلم اذا كانت تقع من جاهل ويكون سببها المولد واذا كانت
الاصابة بالمواليد فالنظر في علم النجوم عبث ولعب لا يحتاج اليه لان المولد ان اقتضى الاصابة او الخطا
فالتعليم لا ينفع وتركه لا يضر وهذه علة تسري الى كل صنعة حتى يلزم ان يكون كل شاعر مفلق وصانع حاذق
وناسج للديباج وموثق لا علم له بتلك الصناعة وانما اتفقت الصنعة بغير علم لما تقتضيه كواكب مولده
وما يلزم على هذا من المحالات لا يحصى واعلم ان المغيب بعلم مراكز الكواكب وابعادها واشكالها وتسييرها
حتى لم تكن ثمرة العلم بالاحكام والاطلاع على الحوادث قبل كونها لا معنى له ولا غرض فيه لانه لا فايدة
في ان يعلم ذلك كله ويخص نفس العلم به وما يجري الاطلاع على ذلك اذا لم يتعدا المعرفة الى العلم
بالاحكام الا مجرى العلم بعدد الحصى وكيل النوى ومعرفة اطوال الجبال واوزانها وكما ان العناية

ذلك عبث وسفه لا يجدي نفعا فكذلك العلم بشكل الفلك وتسييرات كواكبه وابعادها والمعرفة بزمان قطع كل
كوكب الفلك وتفاصيلها فيه وما شغل القوم بهذا الشان وافنوا اعمارهم الا لتقديرهم انه يفضي الى معرفة الاحكام
فلا نغتر بقول من يقول منهم انا ننظر في ذلك لشرف نفوسنا بعلم الهيئة ولطيف ما فيها من الاعاجيب فان ذلك
تجمل منهم وتقرب الى اهل الاسلام ولولا ان غرضهم معرفة الاحكام لما تعنوا بشيء من ذلك كله ولا كانت فيه فايدة
ولا منه عايدة ومن دل الدليل على بطلان احكام النجوم انا قد علمنا ان من جملة معجزات الانبياء ع الاخبار عن
الغيوب وعد ذلك خارقا للعادات كاحيا الميت وابرا الاكمه والابرص ولو كان العلم بما يحدث طريقا نجوميا
لم يكن ما ذكرناه معجزا ولا خارقا للعادة وكيف يشتبه على مسلم بطلان احكام النجوم وقد اجمع المسلمون قديما
وحديثا على تكذيب المنجمين والشهادة بفساد مذاهبهم وبطلان احكامهم ومعلوم من دين الرسول ص ضرورة
التكذيب بما يدعيه المنجمون والازراء عليهم والتعجيز لهم وفي الروايات عنه ص من ذلك ما لا يحصى كثرة وكذلك
عن علماء اهل بيته ع وخيار اصحابه فان الرواية من مذاهب المنجمين ويعدونها منزلا لا وضلالا وما
اشتهر هذه الشهرة في دين الاسلام كيف يغتر بخلافه منتسب الى الملة ومصل الى القبلة فاما اصابتهم في
الاخبار عن الكسوفات وما مضى في اثناء المسئلة من طلب الفرق بين ذلك وبين سائر ما يخبرون به من
تاثيرات الكواكب في اجسامنا فالفرق بين الامرين ان الكسوفات واقترانات الكواكب وانفصالها طريقه
الحساب وتسيير الكواكب وله اصول صحيحة وقواعد سديدة وليس كذلك ما يدعونه من تاثيرات الكواكب في الخير
والشر والنفع والضر ولو لم يكن في الفرق بين الامرين الا الاصابة الدائمة المتصلة في الكسوفات وما يجري مجراها
ولا يكاد يبين فيها خطا البتة وان الخطا المعهود الدائم هو في الاحكام الباقية حتى ان الصواب هو العزيز فيها
وما يتفق لعله فيها من الاصابة قد يتفق من المخمن اكثر منه فحمل احد الامرين على الاخر بهت وقلة دين **مسئلة**
فما ملت ما القول في المنامات اصحيحة هي ام باطلة ومن فعل من هي ومن اي جنس هي وما وجه صحتها في الاكثر
وما وجه الانزال عند رؤية المباشرة في المنام وان كان فيها صحيح وباطل فما السبيل الى تمييز احدهما من الاخر
الجواب اعلم ان النائم غير كامل العقل لان النوم ضرب من السهو والسهو ينفي العلوم ولهذا يعتقد النائم
الاعتقادات الباطلة لنقصان عقله وفقد علومه وجميع المنامات انما هي اعتقادات يبتدئها النائم
في نفسه ولا يجوز ان تكون من فعل غيره فيه لان من عداه من المحدثين كانوا بشرا او ملائكة او جنا
وبحسم لا يقدرون ان يفعلوا في غيرهم اعتقادا ابتداء بل ولا شيئا من الاجناس على هذا الوجه وانما يفعل ذلك

ن

في نفسه على سبيل الابتداء وانما قلنا انه لا يفعل في غيره جنس الاعتقادات متولدا الا ان الذي يعدى الفعل
من محل القدرة الى غيرها من الاسباب انما هو الاعتمادات وليس في اجناس الاعتمادات ما يولد الاعتقاد
ولهذا لو اعتمد احدنا على قلب غيره الدهر الطويل ما تولد فيه شيء من الاعتقادات وقد بين ذلك و
شرح في مواضع كثيرة والقديم تع هو القادر ان يفعل في قلوبنا ابتداء من غير سبب اجناس الاعتقادات
ولا يجوز ان يفعل في قلب النائم اعتقادا لان اكثر الاعتقادات للنائم جهل وتناول الشيء على خلاف ما
هو به لانه يعتقد انه يرى ويمشي انه راكب وعلى صفات كثيرة وكل ذلك على خلاف ما هو به وهو تع لا يفعل
الجهل فلم يبق الا ان الاعتقادات كلها من جهة النائم وقد ذكر في المقالات ان المعروف بصالح قبة كان
يذهب الى ان ما يراه النائم في منامه على الحقيقة وهذا جهل منه يضاهي جهل السوفسطائية لان النائم
يرى ان راسه مقطوع وانه قد مات وانه قد صعد الى السما ونحن نعلم ضرورة خلاف ذلك كله واذا جاز
عند صالح هذا ان يعتقد اليقظان في السراب انه ما وفي المودي اذا كان في الماء انه مكسور وهو على الحقيقة
صحيح لضرب من الشبهة واللبس لا جاز ذلك في المنام وهو من الكمال ابعد والى النقص اقرب وينبغي ان
يقسم ما يتخيل النائم انه يراه الى اقسام ثلثة منها ما يكون من غير سبب يقتضيه ولا داع يدعو اليه اعتقادا
مبتدا ومنها ما يكون من وسواس الشيطان يفعل في داخل سمعه كلاما خفيا يتضمن اشيا مخصوصة فيعتقد
النائم اذا سمع ذلك الكلام انه يراه فقد نجد كثيرا من النيام يسمعون حديث من يتحدث بالقرب منهم فيعتقدون
انهم يرون ذلك الحديث في منامهم ومنها ما يكون سببه والداعي اليه خاطرا يفعله الله تع او يامر بعض الملائكة
بفعله ومعنى هذا الخاطر ايضا ان يكون كلاما يفعل في داخل السمع فيعتقد النائم ايضا انه يرى ما يتضمن ذلك
الكلام والمنامات الداعية الى الخير والصلاح في الدين يجب ان تكون الى هذا الوجه مصروفة كما ان ما يقتضي
الشر منها الاولى ان تكون الى وسواس الشيطان مصروفة وقد يجوز على هذا فيما يراه النائم في منامه
ثم يصح ذلك حتى يراه في يقظته على حد ما يراه في منامه وفي كل منام يصح تاويله ان يكون سبب صحته ان
الله تع يفعل كلاما في سمعه لضرب من المصلحة بان شيئا يكون او قد كان على بعض الصفات فيعتقد النائم
ان الذي يسمعه هو يراه فاما صحة تاويله على ما يراه فما ذكرناه ان لم يكن مما يجوز ان تتفق فيه الصحة
اتفاقا فان في المنامات ما يجوز ان يصح بالاتفاق وما يضيق فيه مجال النسبة الى الاتفاق فهذا الذي ذكرناه
يمكن ان يكون وجها فيه فان قيل اليس قد قال ابو علي الجبائي في بعض كلامه في المنامات ان الطبايع

لا يجوز ان تكون مؤثرة فيها لان الطبايع لا يجوز على المذاهب الصحيحة ان تؤثر في شيء وانه غير ممتنع مع
ذلك ان يكون بعض الماكل يكثر عندها المنامات بالعادة كما ان فيها ما يكثر عنده بالعادة تخيل
الانسان وهو مستيقظ ما لا اصل له قلنا قد قال ذلك ابو علي وهو خطاء لان تاثيرات الماكل بمجرى
العادة على المذاهب الصحيحة اذا لم تكن مضافة الى الطبايع فهو من فعل الله تع فكيف يضيف التخيل
الباطل والاعتقاد الفاسد الى فعل الله تع فاما المستيقظ الذي استشهد به فالكلام فيه والكلام في
النايم واحد ولا يجوز ان نضيف التخيل الباطل الى فعل الله تع فاما المستيقظ ذو نايم ولا يقظان فاما
ما تخيل من الفاسد وهو غير نايم فلا بد ان يكون ناقص العقل في الحال وفي فقد التمييز لسهو وما
يجري مجراه فيبتدي اعتقادا لا اصل له كما قلناه في النايم فان قيل فما قولكم في منامات الانبياء وما
السبب في صحتها حتى عدما يرونه مضاهيا لما يسمعونه من الوحي قلنا الاخبار الواردة بهذا الجنس غير
مقطوع على صحتها ولا هي ممن توجب العلم وقد يمكن ان يكون الله تع اعلم النبي بوحي يسمعه من ملك على
الوجه الموجب للعلم اني ساريك في منامك في وقت كذا ما يجب ان تعمل عليه فيقطع على صحته من هذا
الوجه لا بمجرد رويته له في المنام وعلى هذا الوجه يحمل منام ابرهيم في ذبح ابنه ولولا ما اشرنا
اليه كيف كان يقطع ابرهيم بانه متعبد بذبح ولده فان قيل فما تاويل ما يروى عنه من قوله من راني
فقد راني فان الشيطان لا يتخيل بي وقد علمنا ان المحق والمبطل والمؤمن والكافر قد يرون في
النوم ويخبر كل واحد منهم عنه بضد ما يخبر به الاخر فكيف يكون راييا له في الحقيقة مع هذا قلنا
هذا خبر واحد ضعيف من اضعف اخبار الاحاد ولا معول على مثل ذلك على انه يمكن مع تسليم صحته
ان يكون المراد به من راني في اليقظة فقد راني على الحقيقة لان الشيطان لا يتمثل بي لليقظان
فقد قيل ان الشياطين ربما تمثلت بصورة البشر وهذا التاويل اشبه بظاهر الفاظ الخبر لانه
قال من راني فقد راني فاثبت غيره رائيا له ونفسه مرئية وفي النوم لا رائي له في الحقيقة ولا مرئي
وانما ذلك في اليقظة ولو حملناه على النوم لكان تقدير الكلام من اعتقد انه يراني في منامه وان
كان غير راء له على الحقيقة فهو في الحكم كانه قد راني وهذا عدول عن ظاهر لفظ الخبر وتبديل
لصيغته وهذا الذي رتبناه في المنامات اسد تحقيقا من كل شيء قيل في اسباب المنامات وما سطر
في ذلك معروف غير محصل ولا محقق فاما ما يهذي به الفلاسفة في هذا الباب فهو مما يضحك الثكلى

لانه

لانهم ينسبون ما صح من المنامات لما اعيتهم الحيل في سببه الى ان النفس اطلعت على عالمها فشرفت
على ما يكون وهذا الذي يذهبون اليه في حقيقة النفس غير مفهوم ولا مضبوط فكيف اذا اضيف اليه
الاطلاع على عالمها وما هذا الاطلاع والى اي شيء يشيرون بعالم النفس ولم يجب ان تعرف الكاينات
عند الاطلاع وكل هذا زخرفة ومخرقة وتهاويل لا يتحصل منها شيء وقول صالح قبة مع انه تجاهل
محض اقرب الى ان يكون مفهوما من قول الفلاسفة لان صالحا ادعى ان النايم يرى على الحقيقة ما
ليس يراه ولم يشر الى امر غير معقول ولا مفهوم بل ادعى ما ليس بصحيح وان كان مفهوما وهؤلاء عولوا
على ما لا يفهم مع الاجتهاد ولا يتقبل مع قوة السايل والمتدبر والفرق بينهما واضح واما سبب الانزال
فيجب ان يبنى على تحقيق سبب الانزال في اليقظة مع الجماع ليس هو ما يهذي به اصحاب الطبايع لانا قد
بينا في غير موضع ان قول اصحاب الطبع لا اصل له وان الاحالة فيه على سراب لا يتحصل واما سبب الماء
فان الله تع اجرى العادة باخراج من ظهر الرجل عند هذه الحركة المخصوصة وليس يمتنع ان يجري
الله العادة بان يخرج هذا الماء من الظهر عند اعتقاد النايم انه يجامع وان كان هذا الاعتقاد
باطلا مسئلة سئل رضه عن الخبر المنسوب الى النبي صلعم من انه قال لقد اخا رسول الله بين سلمان وابي
ذر ولو اطلع ابو ذر على ما في قلب سلمن لقتله وكيف يجوز ان يواخي النبي بين رجلين ليس احدهما
اذا اطلع على ما في قلب الاخر دمه وما القول فيمن تاول هذا القول وهو قتله على ان الهاء راجعة على
ما في قلبه واراد لقتله علما وهل ذلك تاويل جايز ام لا وما القول ايضا فيمن تاوله على غير هذا الوجه
فقال ان معنى قوله لقتله اي لكد فكره وخاطره كما يحمد وانه عبر بالقتل ههنا على سبيل المبالغة في
تعبيره عن شدة المبالغة والمشقة كما يقول القايل قتلني انتظار فلان ومت الى ان رايتك والى ان تخلصت
من الشدة التي كنت فيها عدة دفعات وهو يريد الاخبار عن شدة الكلفة والمشقة والمبالغة في وصفها
الجواب وبالله التوفيق ان هذا الخبر اذا كان من اخبار الاحاد التي لا توجب علما ولا تثلج صدرا وكان
له ظاهر ينافي المعلوم المقطوع به تاولنا ظاهره على ما يطابق الحق ويوافقه وان كان ذلك سهلا والا
فالواجب اطراحه وابطاله واذا كان من المعلوم الذي لا يختل سلامة سريرة كل واحد من سلمان وابي ذر
ونقاء صدر كل واحد منهما لصاحبه وانهما ما كانا من المدغلين في الدين ولا المنافقين فلا يجوز
مع هذا المعلوم ان يعتقد ان الرسول يشهد بان كل واحد منهما لو اطلع على ما في قلب صاحبه لقتله

على سبيل الاستحلال للدم وتعلم انه ان كان قال ذلك فلم تاويل غير هذا الظاهر الذي لا يليق بهما ومن اجود
ما قيل في تاويله ان الهاء في قوله لقتله راجعة الى المطلع لا الى المطلع عليه كانه اراد انه اذا اطلع
على ما قلبه وعلم موافقة باطنه وشدة اخلاصه له اشتد ضنه به ومحبته له وتمسكه بمودته ومضنته فقتله
ذلك الضن والود بمعنى انه كاد يقتله كما يقولون فلان لهوى عين وليشتد محبته له حتى انه قد قتله حبه
واتلف نفسه وما جرى مجرى هذا من الالفاظ ويكون فايدة هذا الخبر حسن الثناء من النبي على الرجلين
وانه اخا بينهما وباطنهما كظاهرهما وسرهما في الوفاء والصفاء كعلانيتهما حتى لو ان احدهما اطلع
على قلب الاخر لاعجب به وكاد يقتله مصيرته له وقد محبته له وضنا به وهذا اشبه بمنزلة الرجلين في نفوسهما
وعند النبي والبق بان يكون مدحا وتقريظا وذلك الوجه الاخر يقتضي غاية الذم ونهاية الوصف
بالنفاق وسوء الدخلة لان من يظهر جميعا ولو اطلع على باطنه لاستحل دمه هو عين المنافق وا
لمداهن فاما تاويل هذه اللفظة وحملها على العلم فغير مرضي لان المطلع على ما في قلب غيره الا
عالما بما اطلع عليه واي معنى للفظة قتله في هذا الموضع وهل ذلك الا تكرير ومما لا فايدة فيه فاما
حمله على انه كد خاطره وضم فكره فكاد فيما المسئلة عنه قايمة ولو يكون مثل كل واحد من هذين
الرجلين متى اطلع على قلب خاطره كد خاطره واتعب قلبه حتى كاد يقتله لولا انه يطلع على سوء ومكر
وهذا هو النفاق الذي نزه الرجلين عنه ولا يليق بهما ولا بالنبي ان يصفهما به مسئلة
الاحباء في اللغة العربية هو ان يباع الزرع قبل ان يبدو صلاحه يقال احبى الرجل يحبي احباء اذا فعل
ذلك فمعنى ما روي عنه من احبى فقد اربى من باع الزرع قبل ان يبدو صلاحه وقد نهي عن ذلك
وحظر عليه يجري مجرى من اربى لانه فاعل للمعصية محظورة عليه وان لم يكن بيع ما لم يبد صلاحه
ربا في الحقيقة ولا معناه معناه غير انه جار مجراه في الخطر والمعصية وجار مجرى قول القايل من
ذلك فقد سرق اي هو عاص مخالف لله تعالى كما ان ذلك بهذه الحال مسئلة وما ورد في القرآن
من معاتبات الرسول مع عصمته وطهارته وكونه الحجة على الخلق اجمعين الجواب انه اذا
ثبت بالدليل على عصمة الانبياء فكل ما ورد في القرآن مما له ظاهر ينافي العصمة ويقتضي
وقوع الخطا منهم فلابد من صرف الكلام عن ظاهره وحمله على ما يليق بادلة العقول لان الكلام
يدخله الحقيقة والمجاز ويعدل المتكلم به عن ظاهره وادلة العقول لا يصح فيها ذلك الا ترى ان

القرآن قد ورد بما لا يجوز على الله من الحركة والانتقال كقوله تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا
وقوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ولابد مع وضوح الادلة
على ان الله تعالى ليس بجسم واستحالة الانتقال عليه الذي لا يجوز الا على الاجسام من تاويل
هذه الظواهر والعدول عما تقتضيه صريح الفاظها قرب التاويل او بعد ولو جهلنا العلم بالتاويل
جملة لم يضر ذلك مع التمسك بالادلة وكان غايته ما فيه انا لا نعلم قصد المتكلم بما اطلقه من كلامه
ونعلم اذا كان حكيما ان له غرضا صحيحا على ان ظواهر الآيات التي خوطب بها النبي مما ظاهره
كالعتاب منها المقصود به امته والخطاب متوجه اليه ولهذا روي عن ابن عباس انه قال نزل القرآن
بإياك اعني واسمعي يا جارة ويشهد بذلك قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فخاطب النبي و
المراد بذلك جميع الامة ومنها ما يظن انه عتاب وليس كذلك بل هو تعليم وتاديب ولا محالة
ان تاديب النبي كان صادرا عن الله تعالى والمواعظ له ترادفت في كل وقت والشروع في ذكر
جميع الآيات والتنبيه على المراد بها يطول غير ان جملة الكلام ما ذكرناه ونذكر بعض ذلك ليبين
ان الكلام في الجميع على هذا المنهاج فمن الآيات قوله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى
الناس والله احق ان تخشيه وكقوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض وكقوله تعالى
يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك وقوله تعالى عفى الله عنك لم اذنت لهم
الى امثال هذه الاي اما قوله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه فالقصة فيه مشهورة وهي ان العرب
كانت تحرم على نفوسها نكاح زوجة من استضافوه الى نفوسهم بالبنوة وادعوه كما يحرمون ازواج
الابناء في الحقيقة فلما اراد الله تعالى نسخ ذلك لما علم فيه من المصلحة اعلم نبيه قبل طلاق زيد بن حارثة
الذي كان النبي تبناه زينب بنت جحش زوجته وامره بتزويجها اذا فارقها فلما خاصم زيد زوجته
عازما على طلاقها وعظه النبي وكف عن ذلك اشفاقا من شكوته عنه مع ما عزم عليه من نكاحها
ان يرجف عليه المنافقون ويضيفوا اليه ما قد نزهه الله تعالى منه عندنا خفاء عزمه على تزويجها
بعد فراق زيد لها لينتهي الى امر الله تعالى في ذلك ليشهد بصحة ما ذكرناه قوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا
زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا فان قيل
فالعتاب حاصل لانه كان ينبغي ان يظهر ما اضمره ويخشى الله ولا يخشى الناس الجواب عن ذلك ان

اخبار الله تعالى انه اخفى ما الله مبديه خبر محض لا يتعلق به ذم وقوله تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه
فالشبهة به ايضا ضعيفة لانه خبر انه خشي الناس والله احق بالخشية ولم يخبر انه لم يفعل الاحق و
عدل الى الادون فاين حصول العتاب مع الله الذي بيناه على ان غاية الاقتراح في هذا
انه عليه السلام فعل ما غيره اولى منه وليس يكون بترك الاولى عاصيا وانما يكون تاركا للافضل
والاوجه في تركه العذر الذي بيناه واما قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض فالعتاب
في الحقيقة متوجه الى سواه لان الله تعالى قد صرح بذلك في تمام الاية بقوله تريدون عرض الدنيا
والله يريد الاخرة وقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم والقصة في هذه الاية
ايضا مشهورة وانما اضاف الاسرى الى نبيه بقوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى وان كان المراد
بالخطاب من اسر لانهم اسروهم ليكونوا في يده فهم في الحقيقة اسراؤه ومضافون اليه وان لم يامر
باسرهم واما قوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك فانه اذا تؤمل في الحقيقة
لم يكن فيه عتاب وانما هو توجع له يدل على ان التحريم للرجل زوجته او طلاقه اياها او اعتزاله
بعض امائه ليس بقبيح بل هو مباح وانما هو من المشقة لا يستحق الفاعل له عتابا فلما فعل النبي
ذلك لمرضات بعض ازواجه وادخل المشقة على نفسه بفعله قال الله تعالى له لم فعلت ذلك الامر
مسكتها على ما كنت عليه ولم تبتغي مرضات ازواجك بادخال المشقة على نفسك هذا هو الظاهر
واذا دل على اقتراح الحكم في هذه الاية كان النبي قد عدل عن الاولى فكان الامساك وترك
التحريم افضل ولان يحرم ويجري قوله تعالى لم ما قال مجرى قول الواحد منا لغيره لم تركت صلوة الليل
ولم تترك صيام ثلثة ايام في كل شهر وان كان بترك ذلك لم يفعل قبيحا بل اخل بمندوب اليه وما
غيره اولى فاما قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم فليس يقتضي معصية وذلك ان المقصود في العتاب
بمثل هذا الخطاب التعظيم للمخاطب واستيضاح ما عنده فيما فعله الا ترى ان الواحد منا يقول
لغيره لم كان كذا وكذا رحمك الله وغفر لك وهو لا يقصد الا الملاطفة له وحسن المجاورة
ولا يقصد الاستيضاح له عن زلته وانما الغرض الاجمال في الخطاب وقد صار ذلك عرفا بين
الناس والمقصود به التوقير والاجلال فاما قوله لم اذنت فليس يجب حمله على العتاب لان هذه اللفظة
ليست موضوعة لذلك خاصة بل قد تطلق ويراد بها الاستفهام وتارة يراد بها التقرير وتارة العتب

وهي محتملة لجميع المذكور فلم يحملها في حق النبي على العتاب دون بقية الاقسام وغاية ما في ذلك
حمله على ترك الاولى على حسب ما تقدم في الايات واستقصاء ذلك وذكر ما في الايات يطول
ويكفي في التنبيه على الاي الباقية ما ذكرناه مسئلة وسئلت الحضرة العالية الوزيرية العميدية
حرس الله سلطانها ان اذكر ما عندي في تاويل قوله تعالى في سورة التغابن ذلك يوم التغابن ولفظة التغابن
ههنا مشتقة من الغبن الذي يكون في البيع والتجارة وما اشبه ذلك وهو النقصان و
الخسران لان المغبون هو الذي زاد غابنه عليه وربح ولما كان يوم القيمة يغبن فيه مستحق
الثواب ودخول الجنة والتعظيم فيها من مستحق العقاب ودخول النار صار مستحق الثواب ودخول
الجنان كانه غابن لمستحق العقاب ودخول النار لانهما جميعا عرضا بالتكليف لاستحقاق الثواب
ففعل احدهما ما استحق به ذلك وقصر الاخر عن هذه الغاية وعدل الى فعل ما استحق به العقاب
وجريا مجرى متبايعين فان احدهما بما هو اجدى عليه وانفع واصلح واختص الاخر بما هو ضار
له ووبال عليه فيسمى الفائز بالخير والصلاح غابنا والاخر مغبونا ولتسمية يوم القيمة بانه يوم
التغابن من افصح كلام واحسنه وابلغه والله الموفق للصواب : هذا اخر ما وجد مما اختاره
رضي الله عنه الى كتابه المعروف بغرر الفوائد ودرر القلائد والحمد لله رب العالمين و
الصلوة على خير خلقه محمد وآله
الطاهرين
والسلام

وقف کتابخانهٔ آستان قدس رضوی بتاریخ شهر
ذی الحجة الحرام ۱۳۸۵ هـ خانبابامشار





